شؤون فلسطينية

٤٨

آب (اغسطس) ١٩٧٥

شؤون فلسطينية

رئيس التحرير : الدكتور انيس صايغ

رقم ٤٨ — آب (أغسطس) ١٩٧٥

شهرية فكرية لمعالجة أحداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة .
تصدر عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

يشارك في التحرير : محمود درويش .

سكرتير التحرير : ابراهيم العابد **مدير التوزيع** : غازي خورشيد .

جميع الآراء الواردة تعبر عن وجهات نظر كاتبيها ولا تعكس بالضرورة آراء منظمة التحرير الفلسطينية ولا المحررين ولا المستشارين ولا الناشرين .

العنوان : بناية الدكتور راجي نصر ، شارع كولومباني (متفرع من السادات) ، رأس بيروت ، بيروت — لبنان ، ص.ب ١٦٩١ ، تلفون : التحرير ٣٥١٢٦٠ ، التوزيع ٢٢٦٥٨٥ ، برقيا مرأبحاث ، بيروت .

ثمن العدد : ٣١/٢ ل.ل. في لبنان ، ٤ ل.س. في سوريا ، ٤٥٠ فلسا في الكويت والعراق ، ٤١/٢ ل.ل. في سائر الاقطار العربية .

الاشتراك السنوي (بريد جوي) : ٥٠ ل.ل. في لبنان وسوريا ، ٦٠ ل.ل. في سائر الاقطار العربية ، ٨٠ ل.ل. في اوروبا وافريقيا ، ١٠٠ ل.ل. في اميركا واستراليا وآسيا .

الاشتراك السنوي (بريد عادي) : ٥٠ ل.ل. في جميع الدول غير العربية .

المحتويات

صفحة ٣ **شؤون فلسطينية** ، محمود درويش .

٨ **خريطة حزب العمل الاسرائيلي... عودة الى المواقف الاسرائيلية السابقة** ، صبري جريس .

١٧ **حول طرد اسرائيل من الامم المتحدة** ، نبيل الرملاوي .

٢٣ **اعادة تقييم أم مبادرة اميركية جديدة** ، الدكتور سامي منصور .

٣٠ **كيسنجر أو دبلوماسية « كسب الوقت » بين غيتنام والشرق الاوسط** ، عبد العال الباقوري .

٤٩ **المقاومة واستراتيجية التمزيق النفسي** ، عبد الرحمن غنيم .

٥٧ **على هامش الحوار العربي ــ الاوروبي : أوروبا الغربية والعرب واسرائيل** ، حسين أبو النمل .

٧٥ **آراء هركابي وموقفه من الشعب الفلسطيني وقضيته** ، حمدان بدر .

٩٠ **ازدياد قوة الجيش الاسرائيلي وأثره على الصراع** ، الرائد الطيار حسين عويضة .

١٠٤ **ثروة النفط العربي والموقف السوفييتي من النزاع العربي ــ الاسرائيلي** ، سمير كنعاني .

١٢١ **النخبة السياسية في المجتمع العربي في فلسطين** ، الدكتور تيسير الناشف .

١٦٨ **وزارة الخارجية الاسرائيلية وكيف تعمل** ، نجدة فتحي صفوة .

١٩٣ **مراجعات** : جسر على النهر الحزين : والقصة الفلسطينية ، ابراهيم الخليل . الحركة الوطنية الفلسطينية من ١٩١٧ ــ ١٩٣٦ ، عبد العال الباقوري . برتقال يافا ، وايام ابراهام بوجاتير السبعة ، الدكتور فيصل دراج .

٢١١ **مناقشات** : رد على مراجعة وليد نويهض ، بسلمى حداد . رد على ملاحظات عبد القادر ياسين ، حسين ابو النمل .

٢٢٠ **رسالتان** : كيف يتم أحيانا الوقوع في فخاخ الصهيونية ، ا.ق. السينما الصهيونية في مهرجان « كان » ١٩٧٥ ، مصطفى درويش .

٢٢٦ **تقارير** : (١) تحليل للدعاوة الصهيونية في شهر ايار ١٩٧٥ ، ادريس الخالدي . (٢) التطورات على جبهة النفط ، رهف بدوي . (٣) صناعة الاسلحة الاسرائيلية ومضمونها ، بسام العسلي . (٤) الحزب الشيوعي في اسرائيل ، الدكتور اياد القزاز .

٢٥٥ **شهريات** : (١) المقاومة الفلسطينية ، عصام سخنيني . (٢) القضية الفلسطينية دوليا . (٣) المناطق المحتلة ، عيسى الشعيبي . (٤) اسرائيليات ، يوسف حمدان وحنة شاهين . (٥) القضية الفلسطينية عسكريا ، الرائد الطيار حسين عويضة وحمدان بدر وفرحان صالح وعبد العال الباقوري . (٦) جدول بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية وآخر بالعمليات التي اعترف بها العدو الصهيوني من ٦/١٣ ــ ١٩٧٥/٧/١٤ ، غازي خورشيد .

تردُّد الماء
وحماس الحجر

محمود درويش

١ ــ لا اقول .. واقول

جاء وقت الكلام الذي لا يتكلم . هذه الانهار النازلة من لحاء الشجر ومن ينابيع المصادفات والغضب تصب الآن .. الآن في بحيرة الصفر .

وأعترف ، باسم الذين جاءوا الى الشارع باللغة العامية وارتطموا بالحائط المسدود باللغة الفصحى ، أعترف بأنني أدخل هذا البياض بدون خطة جاهزة . ومع ذلك ، فانني أدخل هذا البياض برشاقة الذاهبين الى غموض أجدى .

وأعترف ، أمام هذا البياض الذي يعتصرني كلما صغر ، بأنني لم أصل بعد الى الكلام الذي يليق ببساطة زقاق أنجبني واختفى في الحروب .

جاء وقت الكلام الذي لا يقال ، الكلام الذي يسفك . جاء منذ عشرين قرنا وأكثر . وفي نهائية العناق الذي يتفتح او يتكسر ندخل في دائرة العناق التي تتكرر . من كان منكم بلا خطيئة فليرجمني بمنفى . ومن كان منكم بلا وطن فليرجمني بحجر .

واعترف ، باسم العيون الصغيرة التي ترى القذائف قبل النور ، وباسم الشفاه الصغيرة التي تذوق التراب قبل الحليب ، بأن علاقة القلب بالحنجرة تقود الى الاغتيال أو تقود الى الاعتزال . جاء وقت الكلام حين مضى وقت الكلام . وفي كل حلم نسير الى خيمة أخرى ، وفي الخيمة ثقب واحد يطل على الولادة أو الهزيمة .

انني أضع مسدسي عند حدود الرغبة . وأعلق على حائط الآخرين حصانا أعلى من الحائط . تحته المدينة وخلفه اجتهادي . وهذا يعني ان حـــالة الانتحار كاملة ، لان الانهار النازلة من ضروع الجبال تسير الى بحيرة الصفر . وأحاول أن أنجز انتحاري وانقذ النهر ، فأضع جسدي صخرة لتغيير المسار الذي لا يروق لي .

وفي أوقات الفراغ ، أمارس هذه الهواية السيئة في النظر الى الادوار : أن يكون السنونو بشارة الربيع ، وأن يكون السمان بشارة الخريف . وأن يكون الوطن أجمل من الاغاني .

ولكن أشياء كثيرة تتغير ، كأن تصير الجراح موانىء للسفن وللتجار الذين ينطقون لفظة « الوطن » بشكل صحيح . وأن تتحول العصافير الى جوقـــة تصفيق لرئيس الشرطة في مدينة لم تهبط من الخارطة . وأن .. ان .. أن أضبط الآن انفجارات دمي ، وأرجىء صرخة احتجاجي الى نهاية سطر آخر .. حيث يكون الرقيب قد نام من السأم .

ان أشياء كثيرة تتغير ، وكأن الخروج من المقاهي ذهاب فوري الى الموقع الامامي ، وكأن اللون الفستقي هو لون الغابة . مر بي فارس نقـرت ذاكرته النسور . عدّد أوصاف السيف ، وتجاهل حنينه السهل الى امرأة طعنته . رأى ورقة علـى رئتي اليسرى وقال : هذا صحيح . قلت : هذا كلام ، فقال : السيوف كلام قديم . اليأس يأخذني اليك لانك اليأس النهائي . وقال : باستثناء غرناطة ، لم نودع الا غرناطة !..

أشياء كثيرة تتغير ، كأن يتحول السيف الى ايماءة ، وأن تطلب الريح اذنا بالمرور . ولكن طفلا من زقاق الصفيح يتعلم الوطن الآخر ، ويلعب بقنبلة ، ويصدق الكلام .

قال : زدني شعرا أكبر وتنفع القنبلة . كان بوسع الشاعر ان يحول الكلام الى غداء شرط أن يموت . ولكن بوسع الفداء ، دائما ، أن يأخذ الشعراء الى الكلام . لخلايا الجسد المصاب بالبرق والمرأة الجميلة نوافذ . ولكن ليست النوافذ كلها خلايا . اني أدون انطباعا ولا أسجل حكمة : في الضيق العميق متسع ، وفي السعة العادية ضيق .

وفي العلاقة .. دربني الغياب على الغياب . يقولني القول لمن أخاطبها .. بلادا كانت أم امرأة واضحة ، أم غيمة عند باب المطار : انني لا أرى في حضورك الا غيابي . وفي غيابك لا أجد الا الغياب الذي يجعلني حاضرا بكامل حواس الحرس ، وبكامل قلق العشاق المبتدئين . وهكذا .. هكذا أرى غيابك واضحا جارحـا مثلما أرى آثاره الصارمة على انتظاري واندفاعي وعلى حقيبة سفري وعلى بندقية صيد الكآبة ، وعلى خيام تجعل الغابات أصغر .

ولا نصب في الصفر ، بيد أنه احتمال . ولا أقول حين أقول ، بيد اني أقول حين أقال . وهكذا .. هكذا أرى غيابك ، لا أرى الا غيابك واضحا جارحا كالدم الذي يغطي حضوري بين القبائل المهاجرة الى وراء .

لم أدخل شيخوخة الوقت لكنني أبحث عن أي عمر لمكان ، لا يتسع لنا ، ويكون لنا ، خندقا ضيقا وسريرا ولادة ، لان المكان الآخر زمن آخـر . هاأنذا أمسك الصوت في يدي ، ولون السماء المزاجي فوق السهول التي تتشعب في خلاياي ، وزبد البحـر المتصبب من ساعدي ، ورائحة الصخور التي تكبر بعـد المطر الاول وتطردني عنها فراشة . ولا يكون دمي ، دائما ، لي . فان لموظفي البلديات رأيا في الكمية وجهـة السفك . وحين أستقر فلا يكون اطاري غير التابوت او الزنزانة او لاعب الشطرنج .

وعلى شك الكلام يكون الكلام . وبعد الكلام بياض . أحاول أن أتكلم .. أن أتقدم في الورق الدموي .. وفي العرق الدموي . أحاول أن أجد الصيغة المبتغاة لروحي . أحاول أن أكسر الفرق بين انهيارات هـذا المؤقت ، وبين انفجارات السير في جهـة واحدة : الى الامام .. الى الامام !.

٢ – لا أكون .. ولكون

● في الطريق الى الولادة الاخرى أضعت الطريق ، لان اتجاهات الصوت تأخذ شكل الاصابع لا شكل قبضة اليد .

ومن الكتابة نرث الندم . كيف أكون الآخر لأرى بشكل أحسن ؟. ولكننا ننطلق في تصويب الخناجر التي تقودنا من الظهر . لم يكن الوقت كافيـا لنكسر قوة استمرار الخيمة . ولم تكن الخيمة حقيبة لنملأها بالحصى أو لنرميها في النهر . يا أيها المدثر !

الليل حادث والفرح حالة . ولم أعدد جروحي لأتعرف على الليمون . واضح .. واضح هذا الخروج القرآني من شعاب مكة . والانصار ينبلجون كالرحمة .

أحيانا ، أسيطر على ضمير المتكلم ، كما يسيطر الصائم على رغيف يأتي من لحظة الغروب . وأحيانا .. أحيانا أسيطر على ضمير المخاطب ، كما يسيطر النائم على حلم لا يأتي من وقت . تارة أقع في النرجس .. وتارة أقع في البخار .

وهاأنذا أعدد أشكالي لأحدد جوهري ، ولا أصل الى الوقت الا بعد مرور الوقت . أيها النائمون على الغد وعلى الرمل الساخن ! اعطوني سر ساعاتكم لأجد وقتي فيكم .

أيها الذاهبون الى نهائية القصيدة ! أعطوني هذه الدقيقة فلم يبق عندي من العرق غير المسافة بين السور والخندق .

وفي الطريق الى الولادة الاخرى تتزوج الاحلام أضدادها ، وفي آخر الوجع الحاضر نفترق . لم نصل الى الجدار الامامي فلم نفترق . ولم ننفصل عن الجدار الخلفي فلم نفترق . ما زالت المسامير هي الحافز ، وما زلنا في بدايات الطريق .

لم أبدأ عملية احصاء ضلوعي فلم أشعر بالخسارة . ولم أراهن على جواد رابح أو خاسر لألهث في صفوف المشاهدين . أنا الجواد الرابح في جدارة العرق . وأنا الجواد الخاسر في حساب التجارة . أنا الجواد الذي قطع نصف الدائـــرة كقوس ناجح . أستدير .. وأستطيل وأمزق الهواء كما تمزقون أوراق الحظ الفاسد . أكر ولا أفر ، وأقبل ولا أدبر في الميدان واللغة . خلقي صحيح ، ونطقـــي صحيح ، لان جروحـــي صحيحة .

في الطريق الى الاحلام أتزوج السهول ولا جبل الا ظهري ، ولا أسرج لا أسرج لا أسرج . ريح وريح وريح وأنا الحصان والفارس والقمح انا والمنجل . أحيانا .. أخلع من عضلاتي ضمير المتكلم فيتدفق مني الشارع والمنجم والوجوه والحالات وتفاصيل الوطن الرديئة . وأحيانا اقتحم الحالات فلا أذوب ولا أتعرف علـــى اسمي ولا أنفع سائر الاسماء . لا أجد الشارع الا في قلبي ، ولا أجد قلبي الا في الشارع . وهكذا أعتقد أحيانا أحيانا أنني الوطن ..

أكون .. أكون . ودائما ضد الا أكون ، وضد أن أكون . جاء وقت الكلام الذي لا يتألف من كلمات ولا يخرج من ارتطام صمت بصمت . سأمنع النهر ، أو أنقذ النهر من الوصول الى الصفر ، وهذه أعضائي حاجز .

كل غصن كان ضلعا لي . وكل حصوة كانت ضرخة . وكل صليب كان صفصافة . فلتعد الاشياء المسروقة الى حزنها الجميل .

ـــ لماذا سقط العالم من غزوة القصيدة ؟

ـــ لان القصيدة سقطت من يد الشاعر .

ـــ ولماذا سقطت القصيدة من يد الشاعر ؟

ـــ لان العلوم كثيرة !!

لم تكن بلادي قمرا ، لأعلن براءتي من خديعة الجمال الكاذب بعدما اندس العلم الاميركي بين يدي ونهد حبيبتي . قولي للقمر الشاحب ان بلادي أجمل ، وان كليهما بعيـــد وفي متناول اليد والصرخة . ولكن بلادي أجمل .. أجمل . وقولي لهيغل ان كلامه قابل للنسخ الآن أكثر مما كان . وأين التعبير الشامل عن الصورة المثالية يا شعر ؟

هاأنذا أخرج من سياقي التعبيري لأقول : وقع القمر في الاسر النهائي ، وذلك لا يهم لانه خيبة البدو الذين استبدلوا ساعة النخيل بساعة يابانية الصنع فخسروا وقت النخيل ووقت الثورة . أين التعبير الشامل عن الصورة المثالية يا قصيدة ؟ وقع الوطن في الاسر المؤقت ، وذلك يهم لان الناس أهم من فضول الآلات . وفلسطين تعطي اللغة وعدا والمواطن قيدا ، فكيف نحل العلاقة بين الضمير وبين اللغـــة ؟ وفلسطين هي الصورة المثالية والطلب اليومي ، فكيف نحل الفوارق بين وضوح الرغيف وبين معاني الزنبق ؟

وها انذا اعود الى السياق :

أكون .. أن أكون في السؤال الصعب .

لليد الواحدة امكانية الورد ، والمسدس ، والمنديل ، والتعبير ، وتناول القهوة او السم .

ومن اليدين يخرج التصفيق ولا ينجز الانتحار .

كيف تكون يداي يدا واحدة . وكيف تكون يدي يدين ؟ في البحث عن الحل الذي قد يكون — أكون .

٣ — أذهب .. وأذهب

● الساعة المتأخرة من الليل هي الساعة المبكرة من النهار .

أغطي مساحة صوتي بيدك الصغيرة . وتغطي يدك الصغيرة برتقالة اكبر . ويغطي البرتقال نشيدي الذي أمشي اليه .

لم اقبض على شعاع ، وشعرك يفر من أصابعي ومن كلمات الوصف .

كل داخل اليك نبي اذا استطاع الخروج . وكل من يخرج من خلاياك ذاهب الى الشيخوخة .

انني أصغر من نحلة ، حولك ، وهديري محيط . وأذهب نحو الصدى لأنقح الكلمات من الرمل . أذهب نحو الصدى مثقلا بالشهداء والجرحى ، فيكون الصدى عناقيد . حبك محقق والرغبة لا تنضب . والعلاقة دائرة تلتحم .

كل وصول اليك ضلال . أحبك . وشعاب الجبل تؤدي الى الوادي . أحبك . وممرات الوادي تصعد نحو الجبل .

أعلن الحرب على الحرب ، فلا يكون سلام . وألقي السلام على السلام فلا تكون التحية .

تطلين ، كالمدينة ، من قاع الوادي فأنحني لأرى قلبي .. وتضيعان .

الساعات قتلاي ، والدقائق جرحاي ، والثواني اسراي .

في غموضي وضوح الخطأ . وفي وضوحي غموض العلاقة .

أطيعي تجدّد حلمي أجد صخرة صغيرة تشهد انفجاري .

أطيعي تردّد حلمي أجد حائطا صالحا لانتحاري .

وأطيعي غيابك .. اندفعي في الغياب النهائي كي أعلن يأسي وأجد لغتي .

الساعات قتلاي ، والدقائق جرحاي ، والثواني أسراي .

كل عشاقك انتحروا ...

كل عشاقك انتحروا . قا لي فارس : كدت المسها حين خر جوادي .

كل عشاقك انتحروا . قال لي شاعر : كدت أكتبها حين تم اغتيالي .

كل عشاقك انتحروا . قال لي عاشق : قد وجدت الحبيبة في صورة البرتقال .

كل عشاقك انتحروا في حروب الطوائف وفي حروب اللغة .

الساعات قتلاي . والدقائق جرحاي . والثواني أسراي .

طردوا موجة من البحر الابيض المتوسط . صارت لاجئة ثم صارت غزالة ترعى في حقول الالغام .

أفرغي حمولة الخيام كلها كلها من بكاء الاطفال الى المفاتيح الصدئة الى صلاحية البؤس لصعود الانتهازي .. الى بساطة الوطن .. وصعوبة الوصول . أفرغي حمولة الخيام كلها في يد تتدرب على اقتحام الجحيم وقطف الالف باء .

وما زلزلت الارض زلزالها . ولكن أقدام الغزالة التي تسمع الزلزال هي الساعة والحدس . أعرف الآن .. أعرف أمس .. وأعرف غدا ، وكل أيامي لم تجد يومها . ذاهب .. ذاهب في اتجاه زفيري ، وفي اتجاه اندفاعات قلبي. ذاهب في اتجاه البنفسج والموت يأخذ لون البنفسج . ذاهب .. ذاهب . قلت مليون مرة : لن أعود . أنا ذاهب في اتجاه دمي ، وضد مصيري .

ان تكوني بلادا أكن عاملا في مصانع صهر الحديد وصهر الخيام .

ان تكوني نساء أكن نرجسا أو طبيب ولادة .

ان تكوني خرائط أمسح جروحي وأبحث عن الحجر الاخضر .

ان تكوني نشيدا أضع جثتي بين سطرين أو فاصلة .

ان تكوني خيالا أحول طيور الكلام الى أقمشة .

ان تكوني مرايا أقبل حماسي القديم الى اللعب خارج أهلي ، وخارج بيتي ، وخارج درس الحساب العسير .

أن تكوني زنازين أقرأ الشعر في باحة المحكمة ، ضد قاضي القضاة ، وضد النيابة ، ضد الشهود ، وضد انقلاب الاماني على نفسها .

وأن تكوني فلسطين معناه معناه ان تكوني الجديد .. الجديد .. الجديد .

ان تكوني فلسطين معناه أن تسبحي في هدير النشيد

ومعناه ان القرنفل يحكم شعبا من الكلمات الجميلة .

ومعناه انك أجمل منك ومنا ، ومن جنة مستحيلة .

ومعناه أن المخيم كان درس الحساب العسير .

وكوني كما شئت .. كوني كما شئت .. نذهب اليك ، ونذهب اليك ، ونذهب اليك ..

خريطة حزب العمل الاسرائيلي ـ عودة الى المواقف الاسرائيلية السابقة

صبري جريس

في أواخر حزيران (يونيو) الماضي ، ادلى مئير زرمي امين عام حزب العمل الاسرائيلي الحاكم بتصريح أمام مؤتمر اتحاد الكفوتسوت والكيبوتسيم ـ احدى المنظمات الاستيطانية التي تشكل جزءا من الهيكل العظمي لحزب العمل ـ حول خريطة الحدود النهائية التي تطالب اسرائيل بها في اطار تسوية سياسية مع العرب ، بقوله : « ان خريطتنا معروفة ... لن ننزل من هضبة الجولان . الاردن حدودنا الامنية ، دون البت في مسألة السيادة على الضفة [الغربية] . ويعني هذا ان الضفة لا يمكن ان تكون قاعدة للعمل العسكري ضد اسرائيل . ستضم [منطقة] مشارف رفح الى دولة اسرائيل ... [مع] ... وجود اسرائيلي في شرم الشيخ ، بالاضافة الى شريط من الارض يصلها مع اسرائيل ، دون البت في مسألة السيادة الاسرائيلية على هذه الاماكن » . ورغم ان زرمي رسم عمليا بتصريحه هذا خارطة اسرائيل النهائية استنادا الى ما يسمى « المبدأ الشفهي » (الذي أصبح الآن خطي) ، سارع الى القول « ان اسرائيل لن ترسم خطوطا على الخريطة، لكي لا تفوت اية امكانية للسلام بسبب قرارنا حول خط معين » .

وقبل أن يدلي زرمي بتصريحه هذا بنحو شهر ، أعلن يتسحاق رابين رئيس حكومة اسرائيل ، في أواخر أيار (مايو) الماضي ، خلال النقاش السياسي في مركز حزب العمل حول مواقف اسرائيل من التسويات السياسية مع العرب ، أن اسرائيل لن تعود بأي حال الى حدود ١٩٦٧ . وكان رابين قد أدلى بتصريحه هذا بعد أن ظهر كأن هناك تعادلا بين « حمائم » الحزب الذين يطالبون بالعودة الى حدود ١٩٦٧ « تقريبا » وبين « الصقور » الذين يريدون الاحتفاظ بأكبر مساحة ممكنة من الاراضي المحتلة على الجبهات الثلاث ، ان لم يكن كل تلك المناطق . وخلال حديثه ، أعلن رابين ايضا ان اسرائيل تسعى للوصول الى تسوية سياسية وفق المبادىء الثلاثة التالية : « على الحدود المصرية : عمق اضافي [لاسرائيل] في سيناء فيما وراء الحدود القديمة ، السيطرة على شرم الشيخ وامتداد اقليمي اليها ، لم يحدد عرضه حتى الآن ويعتبر خاضعا للمفاوضات . على الحدود السورية : لن ننزل من هضبة الجولان ، رغم اننا لم نقرر نهائيا بشأن عرض المنطقة التي ينبغي علينا الاحتفاظ بها في الهضبة . وعدنا المستوطنات في الهضبة بأنها لم تقم هناك لكي تقتلع فيما بعد . على الحدود الاردنية : اقترحنا بشكل عام « مشروع آلون » ، وكذلك مشروعا [لتقسيم السلطة ؟] وظيفيا ، يضم حق الاستيطان اليهودي حتى تحت الحكم الاردني وحدودا مفتوحة » .

والواضح ان خريطة زرمي ـ رغم الضجة التي ثارت حولها في بعض عواصم العالم العربي في حينه ـ لا تختلف كثيرا عن مضمون تصريحات رابين بشأن الحدود التي

تطالب اسرائيل بها ، في المرحلة الحالية على الاقل. والواضح ايضا ان هذه المواقف لا تختلف كثيرا عن المواقف الاسرائيلية السابقة في هذا المجال ، التي تبلورت خلال ١٩٦٩ ــ ١٩٧٠ ، نتيجة لضغوط حزبية داخلية ، خاصة من قبل حزب مبام و« حمائم » حزب العمل من جهة وبتأثير مشروع روجرز واضطرار اسرائيل لاتخاذ موقف منه ، عند طرحه يومها ، من جهة اخرى . غير انه تجدر الاشارة هنا ، من ناحية ثانية ، الى ان موقف حزب العمل هذا لم يبق على ما هو عليه الآن خلال هذه الفترة بأكملها ، اذ ان تغييرات طرأت عليه خلال السنوات الخمس الاخيرة ، نتيجة للاوضاع السياسية ، الداخلية والخارجية ، التي سادت اسرائيل والمنطقة من حين لآخر. فبعد ايقاف حرب الاستنزاف على الجبهة المصرية سنة ١٩٧٠ ثم فشل مشروع روجرز ، ازدادت سيطرة الثلاثي المتصلب مئير ــ دايان ــ غليلي على السياسة الاسرائيلية ، وهو الاتجاه الذي وجد تعبيرا عنه في اقرار ما يسمى وثيقة غليلي سنة ١٩٧٣ ، قبيل الانتخابات للكنيست الثامن ، التي كان من المقرر ان تعقد في أواخر تشرين الاول ١٩٧٣ . وفسرت وثيقة غليلي في حينه كأنها دعم واضح لسياسة الضم الزاحف التي انتهجتها بعض الدوائر الاسرائيلية ، والهادفة الى ضم المناطق المحتلة بأسرها تدريجيا الى اسرائيل . ولكن وثيقة غليلي هذه لم تعمر طويلا ، ولم يتمكن حزب العمل من خوض الانتخابات العامة استنادا اليها ، اذ أن حرب تشرين التي نشبت قبل عقد الانتخابات اسفرت عن وضع جديد اضطر الحزب على اثره ، نتيجة لتضعضع مركز القيادة المتصلبة وسقوط أسهم العديد من أعضائها ، وخاصة دايان ، الى اقرار برنامج انتخابي جديد ، تميز « باعتداله » ، اذا ما قورن بوثيقة غليلي .

أما الآن ، واستنادا الى التصريحات التي أشرنا اليها ، وتصريحات اخرى عديدة غيرها ، فيبدو ان حزب العمل قد عاد الى منطلقاته السابقة . والواضح ان العودة الى تلك المنطلقات بشأن الحدود وغيرها لم تتم ، بالطبع ، صدفة بل جاءت نتيجة للتطورات التي حدثت منذ تشرين وحتى اليوم على عدة أصعدة ، منها الصعيد الاسرائيلي الداخلي ، الاوضاع العسكرية ، الموقف الاميركي والمواقف العربية .

رابين يثبت مركزه ...

من بين الاسباب الرئيسية المهمة التي تدفع حزب العمل الاسرائيلي ، ممثلا في قيادته الحالية ، للعودة الى مواقفه السابقة الاوضاع السياسية الداخلية في اسرائيل ومواقف القوى الحزبية المختلفة ، وبالتالي تأثير ذلك على الحكومة والحزب الحاكم وقياداته . لقد وصلت الحكومة الاسرائيلية الحالية الى الحكم ، في حزيران (يونيو) ١٩٧٤ ، بعد عواصف شديدة نشبت داخل اسرائيل بسبب التقصير ، في مجالات عديدة ، أثناء حرب تشرين الذي ارغم معظم القيادات السابقة ، السياسية والعسكرية ، على التخلي عن الحكم . كما ان رئيس الحكومة يتسحاق رابين فاز بمنصبه على منافسه شمعون بيريس ، وزير الدفاع الحالي ، بعد أن حاز على أكثرية ضئيلة من الاصوات في مركز حزب العمل ، الذي دعي لاختيار مرشح الحزب لرئاسة الحكومة (٢٩٨ صوتا لرابين مقابل ٢٥٤ صوتا لبيريس) . وبعد تشكيل الحكومة ، ورغم المحاولات المضنية التي بذلت لتوسيعها ، لم تستطع الفوز بالثقة في الكنيست الا بأكثرية صوت واحد فقط (٦١ من ١٢٠ صوتا) .

تعرضت الحكومة الاسرائيلية ــ ورئيسها ــ مع تشكيلها الى حملات عنيفة من قبل المعارضة ، المتمثلة في التكتل اليميني (ليكود) والحزب الديني القومي (مفدال) ، بهدف اسقاطها . واستمرت هذه المحاولات فترة غير قصيرة ، الى ان انتهت اخيرا ...

بضم المفدال (١٠ نواب) الى الحكومة ، بينما انسحبت منها — بسبب ذلك — قائمة حقوق المواطن (٣ نواب) ، وذلك بعد قبول حزب العمل بعدة شروط فرضها عليه المفدال ، اهمها عدم الموافقة على انسحاب من الضفة الغربية قبل حسم الامر في انتخابات عامة . وخلال تلك الاونة ، التي استؤنفت فيها الاتصالات المبدئية بشأن انسحاب جزئي آخر من سيناء ، بعد أن كانت الحكومة السابقة قد أنجزت اتفاقات فصل القوات على الجبهتين المصرية والسورية ، كثر الطعن في شخصية رابين ، الذي وصف بأنه ضعيف ومتردد وغير قادر على اتخاذ قرارات حاسمة ، بينما لوحظ ان وزير الدفاع بيريس يعمل على تقوية مركزه ودعم قوته ، فيحظى بشعبية متزايدة ويتجه الى طرح حلول استراتيجية بعيدة المدى للمشاكل التي تجابهها اسرائيل ، لا تختلف كثيرا في منهجها عن الطرق البنغوريونية الكلاسيكية — وهي حلول غير غريبة بالنسبة لعقلية بيريس ، تلميذ بن غوريون النجيب .

ويبدو ان رابين ، الذي كان محسوبا على الحمائم ووصل بفضل تأييدهم ، الى حد ما ، الى منصب رئيس الحكومة ، تنبه لهذا الوضع مبكرا ، وراح يعمل على تقوية مركزه كرئيس للحكومة وقائد لحزب العمل في ضوء واقع الاوضاع السياسية داخل اسرائيل التي تتجه ، عامة ، نحو اليمين والتصلب . وكان من أولى النشاطات التي قام بها رابين في هذا المجال التودد الى غولده مئير ، رئيسة حكومة اسرائيل السابقة ، التي لا تزال تحظى بتأييد الصقور « الادبي » ، ومحاولة كسب رضاها بواسطة استشارتها من حين لآخر قبل اتخاذ قرارات مهمة ، على الصعيدين الداخلي والخارجي . ويظهر ان رابين نجح في محاولاته هذه ، فكسب بذلك ايضا عطف وتأييد قسم لا بأس به من صقور حزب العمل . وفي مرحلة لاحقة عاد رابين وصحح علاقاته مع ليكود اليميني ، وبعد ان وصف بيغن في احدى جلسات الكنيست بأنه « شخصية متخفية » — وعن حق — تراجع عن وصفه هذا وأجرى « صلحة » مع زعيم ليكود ، راح على اثرها يستشيره في الحالات الصعبة . وفي الوقت نفسه يصر رئيس حكومة اسرائيل على عدم قطع علاقاته مع حركة حقوق المواطن ، التي زاد عدد نوابها من ٣ الى ٤ بعد انضمام الياف ، الامين العام السابق لحزب العمل ، اليها اثر انشقاقه عن الحزب ، رغم ان الحركة ليست ضمن الائتلاف الحكومي ، فيقوم أيضا باطلاع زعماء الحركة على مواقف حكومة اسرائيل وتحركاتها ، معلنا انه تعهد بالقيام بذلك قبل ان تنسحب الحركة من الحكومة . اما آخر تحركات رابين في هذا المجال فكانت اسكات طويل اللسان اريئيل شارون ، الجنرال الذي يتمتع بتأييد فئات واسعة في اسرائيل ، بتعيينه ... مستشارا له ، وذلك — كما يبدو — في محاولة (ناجحة) للحد من تأثير « تحالف » وزير الدفاع بيريس مع رئيس الاركان الجنرال غور ، الذي قد يشكل تهديدا لمركزه ، خاصة في المجال الامني الحساس . ومن ناحية ثانية ، أدت هذه التحركات الى الحد من نفوذ وزير الخارجية آلون ، الذي يتزعم جناح « الحمائم » ، رسميا ، ويطالب باتباع سياسة اكثر مرونة من تلك التي ينتهجها بيريس او رابين .

ان هذه التحالفات السياسية لا تؤدي ، بالطبع ، الا الى اتخاذ مواقف متصلبة ، تدفع نحو مواقف اكثر تصلبا ، لان اي تحرك قد ينم عن مرونة او اعتدال سيؤدي الى ضعضعة تلك التحالفات ، وبالتالي الى سقوط الحكومة واجراء انتخابات جديدة — وهو وضع يرى معظم حكام اسرائيل انفسهم حاليا في غنى عنه ، في المرحلة الحالية على الاقل . وبعبارة أخرى : ان الاوضاع السياسية الداخلية في اسرائيل لا تترك مجالا غير العودة الى المواقف المتصلبة السابقة — وربما كخطوة على الطريق نحو مواقف اكثر

تصلبا . وهذا في راينا واحد من الاسباب الرئيسية في عودة رئيس حكومة اسرائيل وحزبه الى التمسك بالمواقف السابقة .

... والعسكر يستعيدون نفوذهم

اذا كانت الاوضاع السياسية الداخلية في اسرائيل تدفع نحو المواقف المتصلبة عامة، فان الجيش الاسرائيلي ، بكبار ضباطه ، والى جانبهم أصحاب النظريات الامنية على اختلاف انواعها ، يدفعون أيضا في الاتجاه نفسه ، رغم ما قيل من تأثير حرب تشرين عليهم . ويبدو الآن ، بعد مرور سنة ونصف السنة على حرب تشرين ، أن عسكر اسرائيل يكاد يفرغ من دراسة احداث الحرب ونتائجها ، وانه استخلص الدروس شبه النهائية منها . ومع الابتعاد ، زمنيا ، عن تلك الحرب واستتباب الهدوء ، نسبيا ، على معظم الجبهات ، يتضح ان الاسرائيليين ، وخاصة عسكرهم ، يتماثلون للشفاء تدريجيا من آثار تلك الحرب ، بينما يعود العديد منهم الى مواقفه وآرائه السابقة .

أسفرت نتائج حرب تشرين ، كما هو معروف ، عن تشكيل عدة لجان تحقيق ، علنية أو عسكرية ـ داخلية ، لدراسة « التقصير » الذي حدث أثنائها . كذلك نجم عن تلك الحرب نقاش واسع داخل اسرائيل ، لم يترك ناحية واحدة من نواحي الحياة أو النشاط هناك الا وتطرق لها . ويمكننا تلخيص النتائج التي استخلصت من تلك التحقيقات والمناقشات الى شطرين : الاول منها تكتيكي ، للمدى القصير والمتوسط ، يتعلق بالاوضاع والمواقف الراهنة ، وما قد يطرأ عليها من تغييرات خلال السنوات القليلة القادمة ، والثاني استراتيجي وللمدى الطويل .

وعلى المدى القصير ، يبدو ان الاكثرية ، وخاصة بين الضباط ، تعتبر ان ما حدث من «تقصير» اثناء الحرب، كان ، عامة، عبارة عن سلسلة من الاخطاء التكتيكية، التي كان بالامكان تلافيها ، ان كانت تلك التي تمثلت في « مفاهيم » المخابرات العسكرية الخاطئة واستخفافها بقدرة العرب وعدم تقدير تحركاتهم العسكرية حق قدرها ، او تلك التي نجمت عن عدم حشد القوات الكافية في المكان والزمان الملائمين او الانتظار حتى يقوم العرب بتوجيه الضربة الاولى ، الخ. والواضح ان أصحاب هذا الرأي لا يرون حاجة لادخال أية تغييرات على سياسة اسرائيل الخارجية أو مواقفها الاستراتيجية ، ما دامت القوة العسكرية الاسرائيلية قادرة على دعم تلك السياسة ، بواسطة تصحيح الاخطاء التي انكشفت خلال تشرين . ويبدو ان القيادة العسكرية ، والسياسية ، الاسرائيلية تميل بأكثريتها الى الاخذ بهذا الرأي ، كما يتضح من عدد من الاجراءات العسكرية التي اتخذتها منذ الحرب . وكان من بين هذه الاجراءات اعادة تشكيل شعبة المخابرات على أسس جديدة (ولوحظ في هذا الصدد ازدياد الطلبات على الاشخاص الذين يتقنون اللغة العربية) ، واقامة شعبة مخابرات مستقلة خاصة بالطيران ، ثم ادخال تغييرات على أسلحة الجيش الاخرى . كذلك تمت زيادة الجيش النظامي الدائم بنحو ٥٠ ٪ ، ويقال ان عدد أفراده يصل الآن الى نحو ١٢٠ ـ ١٣٠ الفا ، وهي قوة تستطيع بحسب تقديرات الاسرائيليين صد أي هجوم مفاجيء على اسرائيل او احتوائه لحين دعوة قوات الاحتياط . وفي الوقت نفسه أجريت عملية مسح شامل للقوى البشرية في اسرائيل ، وأعيد بضع عشرات من الآلاف من المعفيين سابقا من الخدمة العسكرية الى الجيش، بينما مددت فترة الخدمة الالزامية الى الحد الاقصى المسموح به قانونيا ، والغيت معظم تسهيلات الاعفاء من الخدمة التي اتبعها الجيش سابقا . كذلك أعادت القيادة العسكرية أكثرية الضباط الكبار ، من درجة عقيد فما فوق ، الى الخدمة في قوات الاحتياط . وهذه الاجراءات تمكن اسرائيل ، استنادا الى

وضع قوتها البشرية ، من تجنيد نحو نصف مليون انسان ، وربما اكثر ، من ذكور واناث ، في حالة حرب شاملة ، لتشغيل الآلة الحربية من جهة والاهتمام بالمصالح المدنية الحيوية من جهة أخرى . ومن ناحية ثانية ، استعادت اسرائيل من أميركا كل الاسلحة التي فقدتها في تشرين وحصلت على كميات اضافية ، ولا تزال تعمل للحصول على أسلحة متطورة أخرى ، اضافة لبعض الانواع التي تنتجها مصانعها . ويبدو ان لسان حال العسكرية الاسرائيلية ، في تحركاتها هذه ، يعلن انه اذا كان العرب مصممون أو قادرون على منع حزيران آخر ، فنحن أيضا لن نسمح بتشرين آخر .

غير ان التحديات التي أسفرت عنها حرب تشرين بالنسبة للاسرائيليين لا تقف عند هذا الحد ولا يمكن مجابهتها بالاجراءات « التقليدية » التي أشرنا لها ، مهما بلغت نجاعتها ، خاصة عندما يتعلق الامر بالتحدي الاستراتيجي على المدى البعيد ، المتمثل في تعاظم قدرات العرب المالية والعسكرية والسياسية وتقوية نفوذهم في العالم ، وبالتالي ازدياد امكاناتهم عند مجابهة اسرائيل — وغيرها . والواضح ان هذه الناحية تقلق بال دوائر اسرائيلية عديدة ، وحتى تلك منها التي تؤيد الاجراءات العسكرية الحالية وتعتقد ان اسرائيل تستطيع بواسطة ذلك التصدي لاي هجوم عربي عليها خلال السنوات القليلة المقبلة — وهذا أحد الاسباب التي تدفع تلك الدوائر ، او بعضها على الاقل ، الى السعي حثيثا للوصول الى تسوية سلمية مع العرب . الا أنه يبدو ان المؤسسة العسكرية الاسرائيلية لم تقدم جوابا على هذا الوضع أيضا ، وذلك بواسطة تصريحاتها العلنية بوجوب قيام اسرائيل بالحصول على الاسلحة الذرية او تطويرها للرد ، استراتيجيا ، على القوة العربية المتعاظمة .

كانت اسرائيل قد لجأت ، في هذا المجال ، الى امتلاك مفاعلات ذرية قبل عدة سنين ، رغم ان الحديث عن مشاريع انتاج أسلحة ذرية عرض همسا وبشكل « غير جدي » . ولكن هذا الوضع تغير بعد تشرين . فبعد تعيين شمعون بيريس وزيرا للدفاع — وبيريس كان في حينه ، بصفته مدير عام وزارة الدفاع ، من أكبر المؤيدين لبن غوريون في مساعيه للحصول على مفاعلات ذرية — كان من بين أولى نشاطاته تعيين أحد علماء الذرة المعروفين في اسرائيل ، يوفيل نئمان ، مستشارا له . وبعد هذه الخطوة بوقت قصير بدأ الحديث علنا عن ضرورة قيام اسرائيل بانتاج أسلحة ذرية خاصة بها . وكان أول من طرق هذا المجال رئيس اسرائيل ، كتسير ، نفسه الذي وجد من المناسب أن « يحذر العالم » — على حد قوله — من قدرات اسرائيل الذرية ، ثم تبعه رئيس هيئة تطوير وسائل القتال في الجيش الاسرائيلي الذي أدلى بتصريحات مماثلة . وقبل مدة قصيرة انضم رئيس الاركان الاسرائيلي ، الجنرال غور ، نفسه الى الجوقة فأعلن جوابا على أسئلة وجهت اليه ، في ما اعتبر كأنه رد على التنازلات حول سياسة اسرائيل في المستقبل مقابل القوة العربية المتعاظمة ، انه يتوقع أن تدخل الاسلحة الذرية واجهزة لايزر للمنطقة خلال ١٠ — ١٥ عاما ، بحيث ينشأ عندها ميزان رعب يمنع أي من الطرفين من التفكير في ابادة الآخر . ولم يكد غور ينتهي من الادلاء بتصريحاته هذه ، حتى راحت صحف اسرائيل ووسائط اعلامها الرسمية تتحدث بصراحة عن الموضوع . ومما يلفت النظر في هذا المجال الدعوات المتحمسة لضرورة حصول اسرائيل على الاسلحة الذرية ، التي يطلقها أحد الكتاب الاسرائيليين المعروفين ، ميخائيل بار — زوهار ، كاتب سيرة بن غوريون وأحد المعروفين بصلاتهم الوثيقة مع الدوائر الامنية الاسرائيلية .

وعلى أي حال ، مهما يكن من أمر الاسلحة الذرية واللجوء لاقتنائها على المدى البعيد وجدواها اذا امتلك العرب أسلحة مماثلة — والى ان يتم ذلك ، لكل حادث

حديث — يبدو ، من ناحية ثانية ، أن بضعة أسابيع من القتال خلال تشرين وبعده ، ورغم الخسائر التي لحقت بالاسرائيليين خلالها ، لم تكن كافية لاقناع جيل البلماح الذي لا يزال يشكل الهيكل العظمي للمؤسسة الاسرائيلية العسكرية ، رغم انه دخل في طور الكهولة ، ان استناد اسرائيل الى القوة ليس دائما سليم العواقب . بل على العكس من ذلك ، يبدو أن بعضهم يتوق الى غزوة أو غزوات عسكرية « لتلقين » العرب بعض الدروس والانتقام لتشرين ، خاصة بعد أن اعتادوا على احراز الانتصارات ، الواحد تلو الآخر ، منذ مطلع الاربعينات وحتى اليوم . وهذا سبب آخر وراء عودة اسرائيل الى مواقفها السابقة المتصلبة .

أوضاع اسرائيل الدولية لا تزال مريحة

تلعب الاوضاع الدولية الراهنة أيضا دورا لا بأس به في دعم موقف اسرائيل المتصلب واصرارها على التمسك به ، رغم النكسات التي تعرضت لها علاقاتها الدولية ، خلال حرب تشرين وبعدها ، اثر الضغوط العربية ، من قطع عدد لا بأس به من الدول لعلاقاتها معها واعلان عدد آخر عن تحفظه من مواقفها في المناطق المحتلة او القضية الفلسطينية . وقد وصلت هذه الاوضاع في حينه الى درجة بدا معها كأن عزلة دولية تامة تطبق على اسرائيل . ولكن هذا الوضع لم يدم طويلا اذ لم تمر الا بضعة أشهر حتى استعادت اسرائيل أنفاسها على الصعيد الدولي . ففي افريقيا ، التي قطعت كل دولها تقريبا علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل ، ظهر أن قطع العلاقات الدبلوماسية لم يؤثر على العلاقات الاقتصادية وغيرها التي كانت قائمة سابقا . ويبدو أن اسرائيل مكتفية حاليا بهذا النوع من العلاقات ، على أمل استئناف العلاقات السابقة عندما تسنح الفرصة لذلك . اما بالنسبة لاوروبا الغربية ، فقد طرأ توتر ما على العلاقات معها بعد الحرب مباشرة ، الا أن هذه العلاقات أخذت تتحسن تدريجيا ، الى أن وقعت اسرائيل مؤخرا اتفاقا اقتصاديا مع السوق الاوروبية المشتركة — رغم الاعتراضات الشكلية التي تقدمت بها بعض الدول العربية بعد فوات الاوان — يؤمن نوعا من الحل لعدد من مشاكلها الاقتصادية .

غير ان الاهم من هذا كله ، بالنسبة لاسرائيل ، على صعيد علاقاتها الدولية هي العلاقات مع الولايات المتحدة الاميركية ، نظرا لما تحصل عليه من مساعدات عسكرية واقتصادية أو دعم سياسي من هذا البلد من جهة وحرصها على الحفاظ على علاقات متينة من اليهود الاميركيين ، الذين يشكلون اكبر التجمعات السكانية اليهودية في العالم ويبلغ عددهم نحو ضعفي عدد سكان اسرائيل من جهة أخرى . والواضح أن أي توتر أو خلل في هذه العلاقات يعود بأضرار كبيرة على اسرائيل .

لقد راهنت بعض الدول العربية ، قبل حرب تشرين وبعدها ، على الاتجاه الداعي الى التصالح مع اميركا وكسب ودها ، في محاولة لحملها على توجيه الضغوط الى اسرائيل للانسحاب من المناطق المحتلة ١٩٦٧ في اطار حل سلمي ، أو عسكري — سلمي ، ان صح التعبير ، لازمة المنطقة والصراع العربي الاسرائيلي . والواضح ان التفكير في مثل هذا الاتجاه ، رغم كره الكثيرين له — ودون ان نتطرق الى الثمن الذي ينبغي دفعه لكسب ود الولايات المتحدة — لا يخلو من منطق ، اذ أن هذه الدولة الكبرى التي دعمت اسرائيل بشكل يكاد يظهر معه كأن اسرائيل ليست الا ولاية اخرى من الولايات الاميركية ، لا تزال تملك طاقة كبيرة للضغط على اسرائيل وحملها على التخلي عن الكثير من مواقفها المتصلبة ، وذلك رغم ادعاء البعض من أن اسرائيل ايضا قادرة على توجيه ضغوط الى الحكومة الاميركية بواسطة الفئات المؤيدة لها داخل اميركا .

غير انه يبدو ان الذين راهنوا على هذا التحرك السياسي وقعوا في خطأين ، على الاقل، عندما اتجهوا لتنفيذه : اولهما التقرب أكثر مما ينبغي من أميركا وعدم تجنيد القوى العربية بشكل كاف ، يشعر معه الاميركيون ان مصالحهم في المنطقة ليست مضمونة ما لم يتخذوا موقفا واضحا وصريحا يعترف بحقوق العرب ويعارض مطامع اسرائيل التوسعية — ولا يمكن للمرء ، على أي حال ، ان يتوقع من الولايات المتحدة أكثر من ذلك . وثانيهما ان هذا التحرك تم ، الى حد ما ، من خلال المس بمصالح وهيبة دولة كبرى أخرى هي الاتحاد السوفييتي ، و هي عملية كان من المناسب عدم القيام بها ، خاصة وان الاتحاد السوفييتي ناصر العرب وقدم لهم مساعدات ضخمة خلال العشرين سنة الاخيرة .

أما النتيجة المهمة التي ترتبت على هذا الوضع ، والتي لم تكن في صالح العرب ، فكانت انفراد الولايات المتحدة — تقريبا — في محاولات حل أزمة المنطقة ، ثم ازدياد النفوذ الاميركي فيها دون أن يحصل العرب على مكاسب ملموسة . وأدى ذلك عمليا ، من ناحية ثانية ، الى تقوية الموقف الاسرائيلي في المساومة مع الولايات المتحدة ، خاصة بعد استبعاد الاتحاد السوفييتي وتأمين عدم تدخله الفعلـــي في المفاوضات ، بحيث استطاعت اسرائيل الاستمرار في سياسة الابتزاز تجاه اميركا ، مثل طلب مساعدات اقتصادية وعسكرية ، بمبالغ خيالية ، والمماطلة في المفاوضات وتقديم شروط جديدة من حين لآخر ، لم تكن تطرأ على البال في الماضي . وان كان قد ظهر أحيانا وكأن علاقات اسرائيل بأميركا قد تدهورت ، وان اميركا ستضطر الى تحديد مواقفها علنا ، خاصة بعد فشل كيسنجر في آذار (مارس) الماضي ثم اعلان الولايات المتحدة عن عزمها على اعادة النظر في سياستها في المنطقة ، فان التطورات التي حصلت بعد ذلك تدل على أن الاوضاع تعود تدريجيا الى ما كانت عليه في السابق من مماطلة وتأجيل ، بل ان آخر الانباء تشير الى أن اسرائيل تسعى الى حمل دول معينة على التوسط بينها وبين اميركا، لحملها على اتخاذ موقف « معتدل » تجاهها . . .

والاوضاع الدولية المريحة هذه هي السبب الثالث وراء تمسك اسرائيل بمواقفها السابقة .

المواقف العربية وتأثيرها

يبقى هناك سبب آخر وراء مواقف اسرائيل الراهنة ، اضافة الى الاسباب التي ذكرناها ولا يقل أهمية عنها ، وهو ذلك المتمثل في الموقف العربي من الصراع في المنطقة، كما تبلور منذ حرب تشرين . وأهم ما يلفت النظر في هذا المجال هو تلك الخلافات في وجهات النظر لدى الاطراف العربية المعنية مباشرة في الصراع — مصر ، سوريا ، الاردن ، منظمة التحرير الفلسطينية — التي ظهرت أكثر من مرة ، حول طرق حل الازمة في المنطقة او المفاوضات لتسوية سلمية وموقف كل طرف منها ، بل ان شيئا من هذه الخلافات ظهر حتى قبل أن ينتهي القتال . ومما لا شك فيه ان المواقف العربية المختلفة ، خاصة تلك التي تدور حول تسوية شاملة او تسوية على مراحل ، دورها في دعم التصلب في الموقف الاسرائيلي ثم توضيحه ، كما يتضح من تقلباته منذ سنتين وحتى اليوم .

في مثل هذا الشهر من سنة ١٩٧٣ نشر حزب العمل الاسرائيلي ما يسمى بوثيقة غليلي حول سياسة اسرائيل في المناطق المحتلة . وكانت خلاصة هذه الوثيقة ، التي يقال ان دايان هو الذي أملاها ، بعد أن هدد بالانشقاق عن الحزب ، وغليلي هو الذي صاغها ، بمثابة اعلان صريح عن نية الحزب في العمل على ضم المناطق المحتلة الـــى

اسرائيل تدريجيا ، بواسطة عدة طرق ، منها مشاريع اسكان اللاجئين في قطاع غزة و« تطوير » الضفة الغربية وتقوية روابطها بالاقتصاد الاسرائيلي ومنح التسهيلات لرأس المال الاسرائيلي في المناطق المحتلة وتنظيم عمل سكانها في اسرائيل ، مع الابقاء على الجسور المفتوحة . كذلك دعت الوثيقة الى تسهيل عمليات شراء الاراضي من قبل الاسرائيليين في المناطق المحتلة ، ثم تجميع تلك المساحات لاقامة المستوطنات عليها . وطالبت الوثيقة أيضا ، في نطاق تقوية الاستيطان الاسرائيلي في المناطق المحتلة ، باقامة مركز استيطاني اقليمي في مشارف رفح ، جنوبي قطاع غـزة ، واستمرار عمليات الاسكان اليهودية في مدينة القدس وضواحيها واقامة ميناء في جنوبي غزة (يميت) ومركز صناعي في منطقتي طولكرم وقلقيلية في الضفة الغربية يكون تابعا لمدينة كفار سابا الاسرائيلية القريبة من البلدتين العربيتين . ومع نشر هذه الوثيقة سربت معلومات الى وسائط الاعلام الاسرائيلية تتحدث عن خطط لاقامة ٢٦ مستوطنة يهودية جديدة في المناطق المحتلة خلال السنوات الاربع التالية . والواضح من تفاصيل وثيقة غليلي هذه ان الذين وصفوها بأنها تكريس لسياسة « الضم الزاحف » للمناطق المحتلة الـى اسرائيل ، وهي التي وضعت في وقت وصل استخفاف الاسرائيليين فيه بقدرات العرب الى أوجه ، كانوا على حق .

غير ان وثيقة غليلي ، كما اشرنا ، لم تعمر طويلا اذ لم يمر شهران على نشرها حتى نشبت حرب تشرين ، التي حطمت عددا من البديهيات التي استندت اليها تلك الوثيقة ، مما أجبر دوائر حزب العمل الحاكم على اعادة النظر فيها ، خاصة وان الانتخابات للكنيست الثامن ، التي اجلت لآخر يوم من سنة ١٩٧٣ ، كانت على الابواب . وفي نهاية تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٣ ، أي بعد مرور نحو شهرين على نشوب الحرب ، أعلن حزب العمل انه أقر سياسة جديدة ، ضمن برنامجه الانتخابي ، أطلـق عليها اسم « المبادىء الاربعة عشر » ، التي اعتبرت بمثابة بديل لوثيقة غليلي او ، على الاقل ، تعديلا لها . وجاء مضمون هذه المبادىء أكثر « لياقة » من مضمون وثيقة غليلي ، اذ اختفى الحديث عن الاستيطان والتطوير واقامة المراكز الصناعية وما شابه ، وحل مكانه الحديث عن حل اقليمي وسط ومؤتمرات سلام واقامة دولة اردنية ــ فلسطينية الى الشرق من اسرائيل تضم الاردن وأجزاء من الضفة الغربية وقطاع غزة . ومما لا شك فيه أن حرب تشرين قد لعبت دورا معينا في تغيير لهجة الدوائر المسيطرة على حزب العمل ، كما ظهرت في المبادىء الاربعة عشر ، وان كانت تلك المبادىء غير واضحة ومطاطة لجهة تفسير السياسة الاسرائيلية الفعلية التي ترمي اليها .

ومع عودة الهدوء تدريجيا الى المنطقة ، اثر انتهاء القتال ، تم الدخول في مفاوضات طويلة حول التسويات الجزئية على هذه الجبهة او تلك راح الموقف الاسرائيلي يتضح ــ ويتصلب ــ اكثر فأكثر ويصاغ على شكل طلبات محددة ، تقدم الى الدول الكبرى والجهات العربية المعنية . كما اتضحت في الوقت نفسه أسس الاستراتيجية الاسرائيلية للتسوية مـع العرب ، وذلـك بالسعي للوصول الـى اتفـاق جزئي مـع مصر ، يكون عمليا اتفاقا شاملا ، قبل أي دولة عربية أخرى ، وبشكل يسمح للاسرائيليين بحرية الحركة على الجبهات الشرقية ، سوريا والاردن ولبنان . ويبدو ان اسرائيل مستعدة ايضا لتقديم « تنازلات » في سبيل ذلك ، خاصة بالنسبة لمصر ، اذ بينما كانت المواقف الاسرائيلية السابقة تطالب بصراحة ووضوح بضرورة ضم منطقة شرم الشيخ اليها ، والاحتفاظ ايضا بشريط من الارض يصل بينها وبين ايلات (العقبة) ، يلاحظ ان بعض الدوائر الاسرائيلية تتحدث مؤخرا عن ترتيبات أخرى يمكن ان توافق اسرائيل عليها بالنسبة لشرم الشيخ ، منها عدم الاصرار على المطالبة بالاعتراف بسيادة اسرائيلية

عليها ، او وضع قوات اجنبية ــ اميركية مثلا ــ فيها بدلا من القوات الاسرائيلية . وفي الوقت نفسه ، ومن ناحية ثانية ، تزداد تصريحات الاسرائيليين حدة في تأكيدهم لنيتهم بعدم الانسحاب من الجولان وتشديد قبضتهم على المناطق الفلسطينية المحتلة سنة ١٩٦٧ ، وطرح مشاريع مختلفة « لحل » القضية الفلسطينية ، آخرها مشروع وزير الدفاع الاسرائيلي بيريس الداعي الى اقامة اتحاد فدرالي بين اسرائيل والمناطق المحتلة ، ثم بينهما وبين الاردن ، وبشكل تصان معه السيطرة الاسرائيلية على المناطق المحتلة على أحسن وجه .

ان التصلب الاسرائيلي ، الآخذ في الازدياد ، تجاه الجبهة الشرقية لم يأت صدفة ، وهو بالاضافة الى كونه تعبيرا صادقا عن المطامع التوسعية الاسرائيلية الكلاسيكية من جهة ، يعتبر رد فعل على الاوضاع السائدة على هذه الجبهة ، والخلافات السائدة بين أطرافها من جهة اخرى . وبعبارة اخرى ، ان سكوت هذه الجبهة هو الذي يدفع اسرائيل الى الاستخفاف بها ــ وهذا هو السبب الاخير وراء تصلب مواقف اسرائيل .

ان الخاسرين الثلاثة من التحركات الاسرائيلية الحالية هم سوريا والاردن ومنظمة التحرير الفلسطينية ، واحد الاسباب المهمة وراء ذلك هو الشلل الذي اصاب التنسيق بين هذه الاطراف وعدم محاولتها جديا الوصول الى أقل مدى ممكن من التعاون فيما بينها بالنسبة للقضايا المصيرية . ان الجبهة الشرقية ، نتيجة لقربها من « بطن اسرائيل وصدرها » ــ المناطق الصناعية الآهلة في وسط اسرائيل وشمالها ــ تتمتع بمواقع استراتيجية حساسة في اي صدام عسكري مع اسرائيل ، كما انها تملك قوات عسكرية لا بأس بها . وقد آن الاوان لتحريك هذه الجبهة .

حول طرد اسرائيل من الامم المتحدة

نبيل الرملاوي

بعد أن حققت منظمة التحرير الفلسطينية النجاح السياسي الكبير في الدورة التاسعة والعشرين للامم المتحدة بصدور قراريها ٣٢٣٦ و٣٢٣٧ ، اثر الانتصار السياسي في مؤتمر القمة العربي السابع بالرباط ، كان من الطبيعي ان لا تكف القوى الصهيونية والامريكية ومعها بعض القوى العربية عن محاولاتها الدؤوبة للالتفاف حول هذه الانتصارات واجهاضها . ولقد نشطت هذه القوى على صعيد تحقيق حلول جزئية عرفت أهدافها ، بتكريس الوجود الصهيوني في فلسطين ، وتمزيق التضامن العربي ، وضرب الثورة الفلسطينية ، وذلك على مدى شهور عديدة بعد صدور قرارات الامم المتحدة المذكورة . وقد وجدت الثورة الفلسطينية نفسها خلال هذه الشهور بعيدة عن موقع الفعل وصناعة الحدث ، بل أكثر من ذلك ، انها كادت أن تلهث وراء الحدث متخلفة عنه ومتأثرة به دون أن تؤثر فيه ، حتى جاء بيان اللجنة التنفيذية للمنظمة الذي وجهته الى الامة العربية في شهر مارس الماضي وحددت فيه بكل صراحة موقف المنظمة والثورة الفلسطينية مما يجري على الساحة العربية من مؤامرات تستهدف رأس الثورة والقضية برمتها ، وقد عزز هذا الموقف العمليات العسكرية البطولية لمقاتلينا في الارض المحتلة الذين استشهدوا ليؤكدوا للعالم كله موقف الثورة الفلسطينية من تلك المؤامرات على صعيد عملي ، فأحدث ذلك ردود فعل عربية ودولية ، وخرجت المنظمة من تخلفها التأثيري ، ولحقت بمصدر الحدث ، وخلخلت أركانه ، وتعثرت مساعي المؤامرة .

واليوم ونحن نشهد عودة جديدة لتلك المساعي بزخم سياسي على أعلى المستويات في المسؤولية ، بعد أن اتفقت أطراف موازين القوى السياسية الدولية على استئنافها قد نجد أنفسنا على أبواب تخلف جديد سوف تعمل كل الاطراف ذات المصلحة المتصلة بتلك المساعي على ابقائنا في مواقعنا لتحقيق أهدافها التي هي أهداف السياسة الامريكية الصهيونية ذاتها ، كما كانت في المرحلة ما قبل مارس الماضي . كل ذلك يمكن أن يحدث ما لم نستبق المؤامرة ونقبض على زمام المبادرة السياسية ، ولا شك اننا قادرون على ذلك ، فما زالت الظروف السياسية بمجملها ليست في صالح ما يجري ضد ارادة شعبنا وثورته ، ولا بد من استغلالها في الوقت المناسب ، وفتح معركة سياسية جديدة ضد العدو الصهيوني والمخططات الامريكية على المستوى الدولي بالعمل المكثف على جميع المستويات لطرد اسرائيل من الامم المتحدة . وقد يكون من أهم عوامل طرح موضوع طرد اسرائيل من الامم المتحدة والمطالبة به والعمل من أجله هو :

ـ نقل المعركة السياسية من حدودها الضيقة الى مستوى عالمي بنقلها الى المنظمة الدولية مما يحمل العديد من الدول عربية وغير عربية على تحديد مواقفها بصراحة ووضوح ازاء هذا الموضوع ، الامر الذي يعرض المساعي السياسية المشبوهة في المنطقة الى التعثر في حالة اتخاذ تلك الدول مواقف مؤيدة لهذا المطلب .

— ان قرارات الجمعية العامة للامم المتحدة في دورتها التاسعة والعشرين الماضية تتعرض لفقدان معانيها وقيمها في ظل تمرد اسرائيل عليها والتنكر لهـا ما لم تتبعها قرارات اكثر حزما بحقها ، وقرار طردها من الامم المتحدة في الدورة المقبلة هو القرار المناسب .

— شعور دول العالم الثالث وبشكل خاص دول عدم الانحياز بأن قراراتها حول تطبيق العقوبات على اسرائيل طبقا لما جاء في الفصل السابع من ميثاق الامم المتحدة ، أمر يتعذر تحقيقه نظرا لاضطلاع مجلس الامن فقط بهذه المسؤولية ، مما حمل هذه الدول ممثلة بمكتب التنسيق لدول عدم الانحياز الذي عقد دورتيه في الجزائر عام ١٩٧٤ وهافانا عام ١٩٧٥ على اتخاذ توصية لمؤتمر وزراء الخارجية المزمع عقـده في ليمـا عاصمة البيرو في أواخر أغسطس القادم بالعمل على طرد اسرائيل من الامم المتحدة .

ولعل طرد اسرائيل من الامم المتحدة ينطوي على متغيرات سياسية أهمها :

— عزل اسرائيل على المستوى الدولي بفاعلية أكثر شمولا من أساليب العزل التي اتبعت ازاءها من قبل العديد من الدول والتـي تمثلت في الماضي بقطـع العلاقـات الدبلوماسية وعلى مستوى جزئي من العالم .

— تأكيد الارادة الدولية التي ظهرت بقرارات الجمعية العامة للامم المتحدة في الدورة الماضية على دعمها ومساندتها لنضال الشعب الفلسطيني .

— تعزيز موقع منظمة التحرير الفلسطينية في الامم المتحدة والعالم باعتبارها الهيئة الوحيدة التي تنطق باسم فلسطين في المحافل الدولية .

— افشال محاولات التسوية الامريكية ومخططاتها في المنطقة ، وهي التي حذرت منها ومن خطورتها اللجنة التنفيذية للمنظمة في بيانها المذكور سابقا ، وذلك اما باحتمال تشدد اسرائيل في تلك المحاولات بعد وقوع هزيمتها الجديدة في الامم المتحدة ، او دفعها لقطع اي مفاوضات تجري بهدف الوصول الى تلك التسوية .

— تعزيز قدرة دول العالم الثالث في الجمعيـة العامة للامم المتحـدة على اتخاذ القرارات والتعبير عن ارادتها ازاء قضـايا الشعوب المكافحة في وجه السيطـرة الامبريالية الامريكية التي بدأت تخبو من سماء المنظمة الدولية مـع نمو دول العالم الثالث وتطورها وامتلاكها لارادتها وتحقيق حريتها واستقلالها ، بحيث أصبحت تشكل الثقل الاساسي في المنظمة الدولية والكتلـة القادرة على اتخـاذ القرار في جهازها الرئيسي .

ومما لا شك فيه ان موضوع طرد اسرائيل من الامم المتحدة يثير تساؤلات قانونية وسياسية تتصل بالنجاح والفشل في حالة طرحه على الجمعية العامة للامم المتحدة ، وأهم هذه التساؤلات هي التساؤلات القانونية يليها ما يتعلق بمواقف الدول والكتـل السياسية داخل الجمعية العامة تجاه هذا الموضوع .

الجانب القانوني

ينقسم الجانب القانوني في موضوع طرد اسرائيل من الامم المتحدة الى قسمين وهما:

اولا : **المبرر والتعليل الذي يتعلق باسرائيل نفسها كدولة تخضع لتطبيق قرارات الامم المتحدة والالتزام بمبادىء ميثاقها والامتناع عن القيام بما من شأنه تهديد السلام والامن الدوليين للخطر ، وعدم الاعتداء على أراضي الغير واكتسابها بالقوة والمحافظة على حقوق الانسان.** ففي هذا المجال يمكن القول انه منذ ان وافقت الجمعية العامةللامم

المتحدة في دورتها الثالثة بتاريخ ١١ أيار (مايو) ١٩٤٩ على قبول اسرائيل عضوا في الامم المتحدة بناء على توصية مجلس الامن التي أعربت عن قناعة المجلس آنذاك بأن اسرائيل دولة محبة للسلام وراغبة في الالتزام بميثاق ومبادىء الامم المتحده وقراراتها، شبكت اسرائيل فضلا عن قيامها عنوة واغتصابا للارض الفلسطينية العربية ، بؤرة للتوتر والحرب في منطقة الشرق الاوسط بسبب تكوينها ونواياها العدوانية والتوسعية التي ترجمتها حروب متتالية اعوام ١٩٤٨ ، ١٩٥٦ ، ١٩٦٧ ، ومـا رافق ذلك من اجراءات مستمره ما زالت تهدف الى تهويد مدينة القدس والاراضي العربية المحتلة التي استولت عليها اثر حرب عام ١٩٦٧ .

وكان العالم ممثلا بمنظمة الامم المتحدة يحاول ايجاد علاج للمشاكل الناتجة عـن القضيه الاساسية ويتخذ بشانها قرارات في دورات الجمعيه العامه للامم المتحدة . وبالرغم من ان طبيعة تلك القرارات كانت قاصره ومشوهه لما يجب ان يتوجه العالم الى حله بالوسائل الناجعة ، فان اسرائيل لم تلتزم باي من تلك القرارات على الاطلاق . ومع ادراك العالم كله لحقيقة اسرائيل وممارساتها العدوانية ضد الشعب الفلسطيني والبلدان العربية بما يتعارض مع مبادىء ميثاق الامم المتحـدة ، منتهكة بذلك أبسط الحقوق الانسانية ، مهدده الامن والسلام الدوليين استطاع العالم مـن خلال الدورة التاسعة والعشرين للجمعية العامة للامم المتحده ان يجابه واقـع اسرائيل العدواني الاغتصابي بقرارات نفذت ولاول مرة الى أعماق المشكلة بعيدا عن الضياع في البحث عن مخارج لمترتباتها وانعكاساتها . نذكر هنا القرار رقم٣٢٣٦ الذي اعترف بحق الشعب الفلسطيني في فلسطين ، وحقه في عودته الى وطنه وممتلكاته ، وحقه في تقرير مصيره بنفسه دون تدخل خارجي وحقه في الاستقلال والسيادة الوطنيين ، وحقه في استعادة حقوقه بجميع الوسائل طبقا لاهداف ومبادىء ميثاق الامم المتحدة . ودعا جميع الدول والمنظمات الدولية لزيادة مساندتها للشعب الفلسطيني في كفاحه مـن أجل استعادة حقوقه طبقا لميثاق الامم المتحدة . وكانت الجمعية العامة ومجلس الامن قـد اتخـذا قرارات عديدة تتعلق بمدينة القدس وتنص صراحة على مبدأ عدم جواز اكتساب الارض باستخدام القوة نأخذ منها (الجمعية العامة ارقام ٢٢٥٣ «ES-V» و٢٢٥٤ «ES-V») (ومجلس الامن أرقام ٢٥٠ (١٩٦٨) ٢٥١ (١٩٦٨) ٢٥٢ (١٩٦٨) و٢٦٧ (١٩٦٩) و٢٧١ (١٩٦٩) و٢٩٨ (١٩٧١)) . كما كانت الجمعية العامة قد اتخذت عـلى مدار سنوات طويلة قرارات عديدة مشابهة .

ولكن مـاذا كانت نتيجة هذه القرارات ، ان العجز التنفيـذي الذي عرف عـن القوانين الدولية واعتبارها قوانين ادبية فحسب لغياب السلطـة الدولية التي تقوم بتنفيذ القوانين والقرارات بالقوة حين تتجاوزها دولة او اكثر قد جعل من اسرائيل لا تنظر الى هذه القرارات بأي درجة من الاهتمام مستخفة بها وبالعالم كله وبالارادة الدولية التي عبرت عنها بكل وضوح تلك القرارات . لقد أكدت اسرائيـل بالممارسة المتكررة تنكرها واستهتارها بالمبادىء التي أعلنت التزامها بها من اجل قبولها عضوا في الامم المتحدة ، وبهذا وحده يسقط عن اسرائيل حقها في البقاء ضمن المجموعة الدولية كعضو في الامم المتحدة .

ثانيا : **الاجراءات وتطبيق أحكام ميثاق الامم المتحدة على اسرائيل باعتبارها تمثـل الدولة المنتهكة لمبادىء الميثاق والمتنكرة لقرارات الامم المتحدة ، والمكتسبة لاراضي الغير بالقوة ، والمهددة للامن والسلام الدوليين بالخطر .**

يحكم ميثاق الامم المتحدة بجواز اتخاذ الجمعية العامة قرار توقيف اي عضو اتخذ

مجلس الامن قبله عملا من أعمال المنع أو القمع ، عن مباشرة حقوق العضوية ومزاياها ، ويكون ذلك بناء على توصية مجلس الامن ، ولمجلس الامن أن يرد لهذا العضو تلك الحقوق والمزايا (الفصل الثاني — المادة الخامسة) . كما ان الميثاق قد أجاز للجمعية العامة أن تفصل أي عضو من أعضائها من الهيئة بناء على توصية من مجلس الامن اذا أمعن هذا العضو في انتهاك مبادىء الميثاق (المادة السادسة) .

ومن ناحية أخرى أعطى الميثاق الحق للجمعية العامة بأن تصدر قراراتها في المسائل الهامة بأغلبية ثلثي الاعضاء الحاضرين المشتركين في التصويت ، وتشمل هذه المسائل من بين ما تشمله ، قبول أعضاء جدد في الامم المتحدة ، **ووقف الاعضاء عن مباشرة حقوق العضوية والتمتع بمزاياها ، وفصل الاعضاء** . (المادة الثامنة عشرة — الفصل الرابع) .

وبناء على هذه المواد يدعي البعض ومنهم الولايات المتحدة الامريكية بأنه ليس للجمعية العامة الحق في اتخاذ قرار يقضي بطرد اسرائيل من الامم المتحدة ، استنادا للمضمون الشكلي للميثاق الذي يربط ضرورة قرار من هذا القبيل بتوصية من مجلس الامن ، وعملا بالاعراف الاجرائية الخاطئة التي سادت العلاقة بين مجلس الامن والجمعية العامة في الفترة الطويلة الماضية .

غير ان الجانب القانوني في الميثاق يمنح الجمعية العامة للامم المتحدة الحق باتخاذ قرار التوقيف عن مباشرة حقوق العضوية ومزاياها ، او الفصل من الهيئة الدولية استنادا الى الاسس التالية :

١ — ان احكام المادة الخامسة غير ملزمة للجمعية العامة الا في حالة واحدة فقط وهي الحالة التي يكون فيها مجلس الامن قد اتخذ ازاء الدولة المعنية عملا من أعمال المنع او القمع كما هو منصوص عليه في الفصل السابع من الميثاق . أما فيما يتعلق بالحالات الاخرى فتتصل بأحكام المادة الثامنة عشرة التي أجازت للجمعية العامة اتخاذ قرارات التوقيف أو الفصل من الهيئة الدولية بحق أي عضو من أعضائها على أن يتمتع هذا القرار بثلثي أصوات الاعضاء الحاضرين ، وتدخل في هذا النطاق الحالات التي يصمت فيها مجلس الامن أمام مخالفة دولة ما لمبادىء ميثاق الامم المتحدة وامعانها بذلك ، وتنكرها لقراراتها وتعريض السلام والامن الدوليين للخطر .

٢ — ان المضمون القانوني للمادة السادسة يقضي بأن تتخذ الجمعية العامة قرار الفصل من الهيئة الدولية بناء على توصية مجلس الامن بحق أي عضو يمعن في انتهاك مبادىء الميثاق ، وهذا يعني ان يكون مجلس الامن قد قرر رفع توصية بذلك الى الجمعية العامة ، وهذه حالة محددة ايضا . اذ أن هذا النص الذي ورد في المادة السادسة لم يمنع الجمعية العامة من اتخاذ مثل ذلك القرار منعا مطلقا ، وانما حدد لها حالة واحدة لتتصرف بشأنها وترك لها حرية التصرف ازاء باقي الحالات .

٣ — ان احكام المادتين الخامسة والسادسة من الميثاق تلزم الجمعية العامة بحالات محددة يكون مجلس الامن قد قرر بشأنها رفع التوصيات الى الجمعية العامة ، ولم تتضمن هاتان المادتان ، أي نص او اشارة تمنع الجمعية العامة من اتخاذ قرار التوقيف او الفصل من الهيئة اذا ما عزف مجلس الامن عن بحث او اتخاذ توصية بهذا الشأن .

٤ — لم يتضمن ميثاق الامم المتحدة خارج اطار المادتين الخامسة والسادسة اية مادة او نص يمنع الجمعية العامة للامم المتحدة من اتخاذ قرارات مشابهة بهذا الشأن على غير ما جرت عليه العادة الاجرائية الخاطئة برفع التوصيات الى مجلس الامن .

٥ ــ لم يحدد ميثاق الامم المتحدة اية جهة اخرى غير الجمعية العامة لاتخاذ مثل هذه القرارات ، وان كان قد حاول تقييد الجمعية العامة بأحكام المادة الثانية عشرة ، بحيث منعها حتى في مجال البحث بشأن اي موقف او نزاع في حالة مباشرة مجلس الامن ببحث هذا الموقف أو ذاك النزاع . وهو في هذه المادة اعطى مجلس الامن الحرية في وضع حد لاي بحث لا يرغب في أن تقوم به الجمعية العامة ، بحيث اذا ما شعر مجلس الامن أن الاتجاه داخل الجمعية العامة يرمي الى بحث قضية من شأنهـــا استصدار قرار او توصية تعتبر مدعاة لاحراجه ، بادر على الفور للانعقاد لبحث نفس القضية الامر الذي يجعل الجمعية العامة تتوقف عن البحث فيها ، وهو بالتالي يملك ابداع الصيغة التي يريد ان يخرج بها بشأن هذه القضية بعد ان يفوت الفرصة على بحثها داخل الجمعية العامة .

ولكن كل هذه المحاذير لا تنفي غياب ما يمنع الجمعية العامة للامم المتحدة من ان تتخذ قرارها بطرد اسرائيل من الامم المتحدة .

٦ ــ ان أسوأ الاحتمالات ان تتخذ الجمعية العامة قرارها بطرد اسرائيل مـــن الامم المتحدة ، فيتداعى مجلس الامن للانعقاد ويرفض ذلك القرار كمـــا حدث في الدورة التاسعة والعشرين بالنسبة لجنوب افريقيا ، وفي هذه الحالة تستطيع الجمعية العامة ان تتمسك بحقها وتدافع عن قرارها القانوني اعتمادا على ما صمت عنه الميثاق وجاز لها الاجتهاد فيه . وهذا اجراء ينطوي على معاني سياسية هامة بالنسبة للرأي العام العالمي من ناحية ، ويعمق النزاع القانونـــي بين الجمعية العامة للامـــم المتحدة التي أصبحت تعبر عن الارادة الدولية ، وبين مجلس الامن الذي يهيمن على المنظمة الدولية بحكم بعض احكام الميثاق ، وتفسير غياب النصوص لتعزيز طغيان المجلس على الجمعية العامة . ولعل ذلك يدفع باتجاه الاهتمام بشكل فعال نحو اعادة النظر في بعض احكام الميثاق الاجرائية التي تحول دون نقل الارادة الدولية الى موقع التنفيذ ، ولا سيما ان الجمعية العامة قد شكلت لجنة لاعادة النظر بميثاق الامم المتحدة في الدورة الماضية . واذا كان الامر كذلك فان قضية فلسطين تصبح من العوامل الهامة في دعم اتجاه تغليب الارادة الدولية على النصوص والاحكام التي وضعت في الماضي لتتطابق مع هذه الارادة، ولكنها أصبحت مع مرور الزمن ، وتحرر الدول والشعوب ، ومشاركتها بارادتها الحرة في المحافل الدولية ، تقول أصبحت متخلفة عن هذه الارادة ومتعارضة معهـــا ، الامر الذي يحمل على الغاء هذه النصوص والاحكام او تعديلها بحيث تتطابق مع هذه الارادة في الوقت الحاضر .

أما التساؤلات السياسية فتدور في الغالب حـــول مواقف الدول ولا سيما الدول العربية ازاء هذا الموضوع . انه لمن الثابت ان مؤتمر القمة العربي السابع في الرباط قد قرر في مجال المنظمات والمحافل الدولية :

أ ــ الاستفادة من الامم المتحدة ومؤسساتها لكشف اسرائيل واستصدار المزيد من القرارات بشأن قضيتي فلسطين والشرق الاوســـط التي من شأنها عـــزل اسرائيل سياسيا واعلاميا لدى الراي العام العالمي ومحاولة الحصول على اجراءات اكثر فاعلية لكشف مناورات اسرائيل ورفضها تنفيذ قرارات المنظمات الدولية وابراز ذلك أمـــام الرأي العام العالمي وتحميلها مسؤولية اعاقة الجهود باتجاه اقامة السلام العادل .

ب ــ تعزيز التعاون مع مجموعة عدم الانحياز ، والعمل على تنفيذ قرارات مؤتمر القمة الرابع لدول عدم الانحياز ، وطرح موضوع تطبيق عقوبات الفصل السابع مـــن ميثاق الامم المتحدة على اسرائيل ، والمطالبة بطردها من الامم المتحدة ، وذلك في مؤتمر

وزراء خارجية دول عدم الانحياز الذي سيعقد في صيف عـــام ١٩٧٥ ، تمهيدا لطرح الموضوع أمام الدورة الثلاثين للجمعية العامة للامم المتحدة . وبهذا أصبح العمل على طرد اسرائيل من الامم المتحدة التزام عربي اجماعي .

ولقد أثار هذا التوجه لدى منظمة التحرير الفلسطينية والعمل على انجاحه موجة من الغضب لدى الدوائر الامريكية والصهيونية ، فهددت امريكا على لسان الرئيس فورد بأنها ستقاوم موضوع طرد اسرائيل بكل شدة ، وأعلن مندوبها لدى الامم المتحدة بأن بلاده سوف تحجب التزاماتها نحو الامم المتحدة اذا ما تقدم العرب بمثل هذا المشروع ، بل ان بعثة الولايات المتحدة الامريكية سوف تطلب من حكومتها الانسحاب من المنظمة الدولية اذا ما تقدم اقتراح كهذا الى الجمعية العامة في الدورة المقبلة. كما أعلنت بعض الصحف الاسرائيلية بتاريخ ٧٥/٦/٢٥ أن على اسرائيل في حالة العمل على طردها من الامم المتحـــدة ، ان توقف جميع المفاوضات التي تجري مع جيرانها بشأن التسوية . ومن المعروف ان الولايات المتحدة الامريكية تدرك تماما ما يجب ان تفعله منظمة التحرير الفلسطينية استكمالا للمعركة التي بدأتها في اطار الامم المتحدة في الدورة الماضية ، ولقد جـــاء تصريح الرئيس فورد الى مجلة الاكسبريس في شهر يونيو الماضي عبـــارة عن انعكاس لشعور سياسة الولايات المتحدة الامريكية ليس بعزم المنظمة على طرح هذا الموضوع على الجمعية العامة للامم المتحدة في الدورة المقبلة فقط ، ولكن لشعورهم أيضا بامكانية نجاحه . غير ان موقف الولايات المتحدة الامريكية هذا ومعها معظم دول اوروبا الغربية ، هو موقف طبيعي ومنسجم مـــع سياساتها المتكاملة مـــع مصالح الصهيونية واسرائيل ، وقد سبق أن أعلنته بمعارضتها لقرارات الامم المتحدة في دورتها الماضية/لكن تلك المعارضة لم تتمكن من تغيـــير القدرة على اصدار تلـــك القرارات التاريخية بالنسبة لقضية فلسطين .

ان طرح موضوع طرد اسرائيل من الامم المتحدة في المؤتمرات الدولية القادمة وهي مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية ، المنعقد في جدة بتاريخ ٧٥/٧/١٢ ، ومؤتمر القمة الافريقي المنعقد في كمبالا بتاريخ ٧٥/٧/٢٨ ، ومؤتمر وزراء خارجية دول عدم الانحياز المزمع عقده بتاريخ ٧٥/٨/٢٥ في ليما عاصمة البيرو ، تمهيدا لطرحه على الدورة المقبلة للجمعية العامة للامم المتحدة التي تبدأ أعمالها بتاريخ ٧٥/٩/١٦ يعتبر استكمالا طبيعيا للسياسة الفلسطينية التـــي بدأت بصدور قرارات الامـــم المتحدة في الدورة الماضية ، والاستنكاف عنه ينطوي على خطورة امساك زمام المبادرة من قبل الولايات المتحدة الامريكية واسرائيل ومعهم باقـــي الدول الاستعمارية للالتفاف حول القرارات السابقة واجهاضها .

لم يعد العالم بحاجة الى التأكيد على ان اسرائيل كيان عدواني بطبيعته ، توسعي بأهدافه ، عنصري بتكوينه ، وبالتالي يشكل امتدادا للقوى الامبريالية الاستعمارية العالمية في المنطقة العربية ، ولم يعد العالم بحاجة للتأكيد على ان اسرائيل لم تقم اي وزن او احترام لمبادىء وميثاق الامم المتحدة وحقوق الانسان وقرارات المنظمة الدولية، ولم يعد العالم بحاجة الى المزيد من تلك القرارات النظرية التي تطلب مـــن اسرائيل الالتزام بتنفيذ قراراته طواعية، فسبعة وعشرون عاما من هذا النهج السياسي بنتائجها السلبية لكفيلة بحمل العالم على اتخاذ الاجراءات العملية، لتأكيد احترام الارادة الدولية والمحافظة على مبادىء وميثاق الامم المتحدة ولا سيما تلك التي تكفل حق تقرير المصير للشعوب المكافحة وحقها في الحرية والاستقلال والسيادة بأوطانها .

اعادة تقييم أم مبادرة أميركية جديدة ؟!

الدكتور سامي منصور

« اعادة تقييم السياسة الاميركية في الشرق الاوسط » شعـــار طرحته الحكومة الاميركية في الساحة العربية منذ مارس الماضي . وقد تحقق الهـــدف من مجرد طرح الشعار . فأصبح المصير العربي ـــ ! ـــ معلقا انتظارا لكلمة الرئيس الاميركي فورد . وأصبح مقبولا أن الحكومة الاميركية ـــ دعامة اسرائيل الاساسية ـــ هي صاحبة الحل والربط في أخطر قضايا الامة العربية ، وأكثرها حيوية .

فبعد فشل كيسنجر ـــ وزير الخارجية الاميركية ـــ بعد جولته الطويلة بين عواصم عربية واسرائيل في الوصول الى ما كانت تتمنى الولايات المتحـــدة تحقيقه لاسرائيل ، اعلنت وشنطن شعار اعادة تقييم سياستها في الشرق الاوسط . والايحاء الخاطىء الذي أرادت أن تعطيه الولايات المتحدة بهذا الشعار هو أن هناك احتمالا أن تتغـــير السياسة الاميركية عما كانت عليه قبل فشل كيسنجر . فالمفروض ان اعادة التقييم تعني انها تعيد النظر بدراسة موضوعية في ضـــوء المصالح الاميركيـــة من هـــذه السياسة ، وتقضي على السلبيات الاساسية فيها التي كانت السبب في فشل هذه السياسة، وتدعم الايجابيات التي تفتح الباب لامكانية التخلص من آثار الفشل للانطلاق الى النجاح ، وبالتالي فهو عملية تمس جوهر السياسة بل واستراتيجيتها .

والامر الذي لا شك فيه ، ولا تحاول أي حكومة اميركية ان تخفيه هو ان الدعامة الاساسية للسياسة الاميركية في الشرق الاوسط هي الانحيـــاز الكامل والشـــامل لاسرائيل .

وفي ضوء هذه الاستراتيجية جاء كيسنجر الـــى الشرق الاوسط وأخذ يتنقل بـــين العواصم فيما لم يسبق حدوثه في الدبلوماسية الدولية املا في أن يصل الى نوع من الاتفاق يحقق سلاما مؤقتا بشروط اميركية يضمن به احتواء ما حققته الجماهير العربية من انتصارات عسكرية على اسرائيل في حرب اكتوبـــر ، وامتصاص استعادة هذه الجماهير للثقة بالنفس بما قد يفتح الباب من جديد لتيار النضال الثوري للانسياب عبر رقعة العالم العربي . وفي النهاية يحقق لاسرائيل ما لم تستطع ان تحققه بحروب أربع وبهزيمة سنة ١٩٦٧ بالذات . والغريب انه ما كاد ان يحققه كيسنجر يقل كثيرا عما كانت سوف تحققه اسرائيل بهزيمة العرب سنة ١٩٦٧ . وكأن العرب مع كيسنجر اضحوا يقبلون بانتصارات حرب اكتوبر ما رفضوه في ظل هزيمة ١٩٦٧ !!

وفشلت مهمة كيسنجر ، وخرجت اجهزة الاعلام الاميركية وانساقت خلفها اجهزة الاعلام العربية تتحدث عن العناد الاسرائيلي وضعف رئيس الوزراء اسحاق رابين وما الى ذلك من اسباب تدخل جميعها تحت دعوى ان اسرائيل كانت السبب في فشل مهمة كيسنجر . وحتى مع التسليم بأن ذلك صحيح فانه ما كان مفروضا ان يكون مدعاة فخر اعلامي عربي كما حدث طوال الاشهر الماضية ، بل على العكس هي شهادة مشينة للعرب او على الاقل ليست في صالح الذين يتحدثون باسم التيار الوطني العربي .

فالمسألة ليست سباقا حول حمل لقب « دعاة سلام » ولكنها صراع على الارض ، نضال من أجل تحرير الارض . والتاريخ لم يشهد تحريرا تحقق بدعوة سلام . **وتاريخ الصهيونية — ومن خلاله اسرائيل — يشهد ان السلام لا يعني في قاموسهم الا الاستسلام للاهداف الصهيونية .**

والسلام في حد ذاته ليس هدفا . والمجتمع الدولي بطبيعته لا ينحني أمام ارادة دعاة السلام ولكنه يحترم الاقوياء . وتكفي نظرة على سنوات الهزيمة منذ سنة ١٩٦٧ وحتى حرب اكتوبر لتوضح ان حديثنا عن السلام كان يثير عطف المجتمع الدولي ولكننا لم نستطع ان نكسب احترامه الا بعد حرب اكتوبر . **فالسلام في المجتمع الدولي هو التعبير المادي عما تستطيع ارادة مدعمة بالقوة ان تفرضه . والقوة هنا بمعناها الشامل وليس بالمعنى المحصور في القدرة العسكرية . والمعنى الشامل يشمل ان يكون الهدف مشروعا ويتفق فيه الحق والعدل . وهذا ما يضيف قوة الى ارادة العمل الوطني .**

وبالتالي فان الانسياق وراء اعلام اميركي يلح في ان اسرائيل كانت السبب في فشل مهمة كيسنجر هو سقوط خاطىء فريسة الاعلام الاميركي . فقد يكون ذلك مهما للاعلام والرأي العام الاميركي . ولكنه، بالتأكيد، ليس بنفس القدر من الاهمية لغيره . وبالتأكيد فلا قيمة له للانسان العربي الذي يعلم بما لا يقبل التشكيك ان عدوه الاول هو الاستعمار ممثلا في اسرائيل ودعامتها الرئيسية الولايات المتحدة . وهو يعلم ان اسرائيل لا تسعى لسلام وانما لاحتلال الارض العربية وان كيسنجر ممثل الدعم الاميركي لاسرائيل لن يحقق سلاما بشروط عربية ولكنه سلام بشروط اميركية . وبالتالي فطبيعي ان ترفض اسرائيل ما لا يحقق لها مطامعها في الوطن العربي ، بل ان الحركة الوطنية العربية قد أخذت في بعض الاحيان مواقف سلبية أحد أسبابها قناعة ان اسرائيل سوف ترفض ما تعرضه الانظمة العربية .

والخطأ انه في اطار عام من تداعي الاحداث يصبح طرح شعار اعادة تقييم السياسة الاميركية في الشرق الاوسط هو ايحاء للجماهير العربية باحتمال ان تعيد الحكومة الاميركية النظر في موقفها من اسرائيل . وبالتالي فسوف تنتظر عملية اعادة التقييم وهي تتوقع أن يتغير الموقف الاميركي من اسرائيل .

ولعل ذلك يقودنا الى سؤال يفرضه سير الاحداث وهو حول مدى امكانية ان تعيد الولايات المتحدة حقيقة تقييم سياستها في الشرق الاوسط ، وبالتحديد موقفها من اسرائيل ؟

فالاصل كما قلت في الموقف الاميركي هو الانحياز الكامل لاسرائيل والعمل على اخضاع العرب لهذه المخططات . والحكومات الاميركية على مدى السنين وعلى اختلاف الاسماء والاحزاب لم تغير من هذا الخط الاستراتيجي في سياستها وانما كان الخلاف كله قاصرا على التكتيك .

والواقع ان نظرة سريعة على خريطة الاحداث تؤكد ان هذه الامكانية في التغيير الجوهري تكاد تكون معدومة ان لم تكن معدومة بالفعل . ودليل ذلك:

١ — ان انتخابات الرئاسة الاميركية على الابواب حيث تجري في العام القادم ، وقد بدأت بالفعل بوادرها . والرئيس الاميركي فورد حريص على ان يخوضها وينجح . وحتى يتحقق له ذلك فهو لا بد ان يقطع خطوات ايجابية على طريق ارضاء مراكز الضغط والتأثير في الانتخابات . وموقف فورد صعب بسبب انه يفتقر الى تاريخ حقيقي من العمل السياسي ، مما يجعله ورقة غير مضمونة لحزبه في الانتخابات حتى رغم انه في

الحكم وعادة ما ينجح في الولايات المتحدة مرشح الرئاسة الجالس في البيت الابيض . ويكفي أن نعرف ان أول اجتماع انتخابي للحزب الجمهوري لم يوقع على قرار تأييد فورد للترشيح في انتخابات الرئاسة سوى ١٦ عضوا من ٤٨ عضوا جمهوريا في مجلس الشيوخ أي ثلث أصوات الجمهوريين في مجلس الشيوخ . وليس معنى ذلك انه سوف يخرج من المعركة بل هو مؤشر على ان طريقه للوصول طويل وصعب . ولكي يكسبه لا بد ان يقدم أكثر من دليل على خضوعه للخطوط الاساسية للسياسة الاميركية ، وبالتالي لا يمكن التحدي او التصدي بالتغيير والتعديل فيها .

ومجال الحركة أمامه محدد الدائرة . فهو يستطيع ان يقوم مثلا بمغامرة عسكرية مفاجئة مثلما فعل لفك أسر السفينة الاميركية التي احتجزتها كمبوديا الثورة . فهو بذلك يسير على طريق مصالح العسكرية الاميركية المتحالفة مع أصحاب الاموال ، ولكنه لا يستطيع أن يقطع خطوة واحدة في طريق مضاد لمخططات اسرائيل .

٢ — ان الكونجرس بمجلسيه مع اسرائيل . وتكفي رسالة شيوخ اميركا الى الرئيس فورد قبل سفره الى النمسا التي يطالبون فيها باستمرار الدعم الحربي والاقتصادي لاسرائيل لتوضيح مدى حجم التأييد الاسرائيلي . فقد وقع الرسالة ٧٦ عضوا من ١٠٠ عضو بمجلس الشيوخ أي ثلاثة ارباع المجلس . وتاريخ الكونجرس على طريق تأييد اسرائيل طويل ولا أظن انه يحتاج الى مراجعة . والرئيس الاميركي فورد او أي رئيس اميركي لا يستطيع ان يعمل منفردا ، فهو ليس صاحب القرار الاخير مثلما يحدث في معظم دول العالم النامي ، بل هو يصدر قراره في ضوء ما تتفق عليه المؤسسات الاميركية سواء كانت تشريعية أو تنظيمات سياسية او جماعات اقتصادية وعسكرية .

وبذلك يصبح اتخاذ موقف من الرئيس الاميركي مستقل عن هذه المؤسسات أمرا غير محتمل ولا حتى مطروحا في الظروف العادية ويزداد الامر تعقيدا في حالة اقتراب انتخابات الرئاسة الاميركية حيث يزداد حجم هذه المؤسسات وثقلها .

٣ — ان المصالح الاميركية في الشرق الاوسط ليست في خطر ، ولا هي في مواجهة احتمالات خطر قريب . صحيح ان حرب اكتوبر قد هزمت نظرية الامن الاسرائيلي ، وان احداث ما بعد الحرب قد طرحت فكرة امكان تنفيذ الاهداف الاميركية من خلال عواصم بديلة . ومع انها فكرة مقبولة الا انها لا يمكن ان تكون بديلة لدور اسرائيل . فأي دور ممكن لعاصمة أخرى يمكن أن يكون دور مساعد ولكنه ليس الاساس والجوهر . وخاصة وان هناك قناعة اميركية واسرائيلية وان ما حدث في حرب اكتوبر يجب الا يتكرر وانه وقع نتيجة خطأ القياس لاجهزة المخابرات والقياس الاميركية ، وهو ما لن يتكرر في اعتقادهم !..

حتى مسألة البترول لم يعد ممكنا استمرار ترديد ان الحظر كان ضد المصالح الاميركية . فقد تحول الى سلاح لضرب الموقف الاوروبي المستقل وحقق كل اهدافه بينما الشركات الاميركية شاركت في الكسب والارباح . وبالتالي كان حظر البترول سلاحا مساعدا في تحقيق الاستراتيجية الاميركية في السيطرة على العالم . **ولعل مراجعة أحداث الاشهر التي مضت منذ حرب اكتوبر حتى الآن تؤكد ان المصالح الاميركية تزداد اتساعا في المنطقة وتحصل على مزيد من الامان في المنطقة .**

٤ — ان الاتحاد السوفييتي باعتباره أحد العملاقين في المجتمع الدولي والذي كان دعما للمعركة العربية ضد اسرائيل ومعها الولايات المتحدة مضروب الآن في المنطقة العربية . فالمسألة ليست مجرد حملة اعلام شرسة ضد الاتحاد السوفييتي، لان حملات

الاعلام تتغير بين لحظة وأخرى من نقيض الى آخر ولكن الامر الجوهري ان الوجود السوفييتي في المنطقة يتعرض لموجة جزر قوية . وليس موضوعنا البحث وراء المسؤول عن ذلك ولكن المهم في الحديث عن السياسة الاميركية هو تحديد الامر القائم بالفعل .

فهناك مواقع كثيرة في العالم العربي ضرب فيها الاتحاد السوفييتي والخطير ان الولايات المتحدة قد حلت مكانه. ولو كان خروج الاتحاد السوفييتي تحت راية «التخلص من نفوذ أي دولة عملاقة» لكان الامر يقبل المناقشة اما أن يصبح ذلك لصالح الولايات المتحدة فهو بالتالي امر يختلف تماما . والولايات المتحدة تحسب حساب الوجود السوفييتي في كل موقع بالعالم وترسم خططها لمحاهرته . ولو كان الوجود السوفييتي في العالم العربي بعد حرب اكتوبر متعاظما لكان من الجائز القول ان الولايات المتحدة تعيد النظر في سياستها اما وهي المنتصرة والمد معها فليس لاعادة النظر سبب مطروح .

٥ — ويضاف للعوامل الاربعة ان الحكومات العربية الصديقة للولايات المتحدة قد اصبحت بعد حرب اكتوبر — على عكس المفروض — اقوى صوتا وأكثر تأثيرا ونفوذا في المنطقة . واذا كانت الولايات المتحدة خلال السنوات العشرين الماضية تعمل بلا أمل ملموس على ان يكون للحكومات الصديقة لها صوت في المنطقة ، فان الحلم قد اصبح اليوم حقيقة . وما كان مفروضا بالامس قد أصبح واقعا اليوم .

وهكذا تجتمع العوامل متماسكة على ان احتمال تعديل جوهري في السياسة الاميركية أمر غير محتمل الوقوع ، ولا ممكن الحدوث لسنوات قادمة على الاقل .

اذن ما هي حكاية اعادة التقييم للسياسة الاميركية اذا كانت امكانية اعادة التقييم غير متوفرة ؟

لقد أعلن الرئيس الاميركي فورد في اكثر من مناسبة ان الاختيارات الثلاثة المطروحة امامه في عملية اعادة التقييم هي :

— ان يستأنف هنري كيسنجر جهوده التي توقفت في مارس الماضي .

— ان يتقدم الرئيس الاميركي نفسه بعدد من التوصيات حول الازمة خلال مؤتمر جنيف المحتمل عقده .

— العودة الى سياسة « الخطوة خطوة » لتحقيق خطوة اكثر تقدما مع مصر واسرائيل تحت مظلة مؤتمر جنيف .

وهكذا يكشف فورد نفسه أن المسألة ليست اعادة تقييم السياسة الاميركية في الشرق الاوسط ولكنها اعادة صياغة اقتراحات اسلوب العمل الاميركي في ضوء ما انتهت اليه حرب اكتوبر . وأعتقد ان الفارق الهائل بين الطريقين واضح لا يحتاج الى دليل وتأكيد .

فلو كانت الولايات المتحدة تريد فعلا اعادة التقييم لكانت الاقتراحات المطروحة امام الرئيس الاميركي تختلف تماما عن هذه الوسائل وتصل الى المبادىء . وهي في قضيتنا واحد من ثلاثة :

— اتخاذ موقف الحياد بين العرب واسرائيل .

— تخفيف الانحياز الاميركي لاسرائيل والاقتراب نوعا من الموقف العربي .

— الانحياز للعرب والتخلي عن الدعم لاسرائيل .

والوقائع وحدها للسياسة الاميركية هي التي تحدد مدى التغير في السياسة الاميركية واتجاه هذا التغير منذ حرب اكتوبر حتى الآن .

فقد أعلن مكتب المحاسبة الاميركي العام — في آخر يونيو — تقريرا رسميا يسجل ان قوات النقل الجوي الاميركي قد نقلت خلال حرب اكتوبر ولمدة شهر بعدها ٥ر٢٢ الف طن من العتاد الحربي على ٢٢٨ رحلة بمعدل رحلة كل ٣ ساعات . وان تكاليف عملية النقل وحدها قد بلغت ٥ر٨٨ مليون دولار .

وقد يقول قائل ان هذا الدعم كان ضروريا ولكن كيسنجر جاء بعد ذلك وتغير الموقف . ومرة أخرى نعود الى الوقائع . فنجد انه خلال سنة ١٩٧٤ أي العام التالي للحرب حصلت اسرائيل على أسلحة تصل قيمتها الى ١ر٣ الف مليون دولار . وقيل ان ذلك لاقناعها بقبول الانسحاب — ! — الذي لم يتحقق بل وكان السلاح لدعم الاحتلال للاراضي العربية .

الاكثر من هذا في يناير من العام الحالي اخطرت وزارة الدفاع الاميركية الكونجرس رسميا انها قررت بيع ٢٠٠ صاروخ « لانس » لاسرائيل وهو الصاروخ الذي يحمل رؤوسا ذرية ويمكن استخدامه بدونها . ومدى الصاروخ ٧٠ ميلا .

في فبراير الماضي طلب الرئيس فورد من الكونجرس اعتمادا اضافيا لمساعدة اسرائيل قيمته ٢٤٧ مليون دولار ، بينما كانت لجنة القوات المسلحة في مجلس النواب الاميركي في اسرائيل تبحث احتياجاتها العسكرية على الواقع . وفي ابريل تم توقيع اتفاق يقضي بمنح اسرائيل قرضا قيمته ٥ر١٧٤ مليون دولار لشراء بضائع اميركية . وبذلك ترتفع قيمة القروض الاميركية لاسرائيل خلال السنة المالية التي تنتهي في يونيو ١٩٧٥ الى ٥ر٣٢٤ مليون دولار . كما أعلنت الاجهزة الاميركية ان طلبات اسرائيل المقترحة للسنة المالية التي تبدأ في يوليو ١٩٧٥ تبلغ ٢٢٠٠ مليون دولار أي ثلاثة اضعاف ما حصلت عليه اسرائيل من قبل ، ومنها ١٥٠٠ مليون دولار للسلاح .

فاذا أضيف ذلك كله الى ما كشف في ابريل الماضي من ان السلاح الجوي الاميركي طلب قرضا قيمته ٢ر٥ مليون دولار لتمويل تجارب خاصة بتحويل بعض انواع الطائرات المدنية الضخمة مثل البوينج ٧٤٧ الى « خزانات للوقود » طائرة . والسبب كما قيل هو قرار البرتغال بعدم استخدام قاعدة « لاجيس » الاميركية في جزر آزور اذا وقعت حرب جديدة بين العرب واسرائيل .

وكان تقرير المحاسبة العام الاميركي قد اشار الى أن بريطانيا واسبانيا وايطاليا واليونان وتركيا قد رفضت السماح باستخدام القواعد الاميركية في أراضيها لمد اسرائيل بالاسلحة . **وان على الحكومة الاميركية أن تستعد لمواجهة الحرب الخامسة بين العرب واسرائيل .**

وفي اطار الاستعداد للحرب الخامسة قامت الولايات المتحدة بالدور الاساسي في انقلاب قبرص وتقسيم الجزيرة وهي تحاول اليوم تحويلها الى قاعدة اميركية هي بلا شك أنسب القواعد للعمل الاميركي لدعم اسرائيل ضد العرب .

فان أضفنا أيضا الى ذلك قرار الكونجرس الاميركي في مايو ١٩٧٥ بمطالبة رومانيا بالسماح بهجرة اليهود منها الى اسرائيل شرطا للحصول على معاهدة « الدولة الاولى بالرعاية » في المعاملات الاقتصادية، وهو ما كان شرطا قبل ذلك على الاتحاد السوفييتي لظهر ان الحكومة الاميركية تحاول الحصول على دعم بشري لاسرائيل . واذا كان يهود اميركا يكتفون بالتمويل والتسليح فهم يستخدمون أجهزة الحكم الاميركي لتهجير اليهود من دول العالم الى اسرائيل مقابل الحصول على اتفاقيات تجارية مع الحكومة الاميركية !

وبهـــذا تكون الحكومة الاميركيـــة قد زادت من مجالات الدعم الاميركي لاسرائيل . والزيادة بسبب الاستعداد لحرب خامسة وامتصاص آثار الحرب الرابعة التي لم تكن في صالح اسرائيل .

فالحكومة الاميركية تقدم الدعم المالي والاقتصادي بلا حساب وتقدم السلاح بكميات هائلة وصلت الى حد اعتراف وزير الدفاع الاسرائيلي ان كميات السلاح الاميركي كانت اكبر من امكانيات الجيش الاسرائيلي البشرية اذ لم يكن هناك عدد يكفي لهذه الاسلحة. ويضاف لذلك دعم بشري بالضغط على دول اوروبا الشرقية لتهجير مزيد من اليهود الى اسرائيل .

وهكذا يتضح بجلاء الموقف الذي اختارته الحكومـــة الاميركية وهي تعلن اعـــادة التقييم لسياستها . **وهذا ما يؤكد استمرارها على طريق الانحياز الكامل لاسرائيل . وفي نفس الوقت تغيير الاسلوب لتحقيق ما تريده اسرائيل ولم تستطع الحصول عليه بحروب أربع .**

ويصبح الشعار المطروح مجرد مبادرة اميركية جديدة في ضوء الاتصالات التي تمت بين الحكومة الاميركية والعرب واسرائيل تنتهي باقتراحات حلول جزئية على حساب الهدف العام .

وطالما ان الامر يمثل هذا الوضوح يبقى السؤال المعلق هو حول الاسباب التي دفعت بالحكومة الاميركية الى طرح شعار اعادة تقييم سياستها في الشرق الاوسط .

وفي اعتقادي انه ليس هناك من سبب غير :

١ ـــ ان الحكومة الاميركية تريد كسب الوقت وتهدئة الموقف منعا من اي تصاعد في التوتر . فهي ان لم تكن قد طرحت هذا الشعار لكان ضروريا الاتجاه الى جنيف لينكشف الدور الاميركي مرة اخرى أمام الجماهير العربية ويصبح الطريق مفتوحا امام احتمال واحد ، وهو لا بد ان يصل اليه ، وهو الحرب الخامسة .

٢ ـــ ان الولايات المتحدة لا تريد ان تفقد الدور الاميركي في المنطقة الذي كسبته تحت شعار انها وحدها صاحبة القدرة على الحل . فمؤكد انها لو فقدت هذا الدور فانها تفتح الباب من جديد لتواجد الدور السوفييتي . وهو ما لا تريده وشنطن .

والواقع ان صاحب القـــدرة علـــى الحـــل هـــو ليس الحكومـــة الاميركيـــة ، ولكنه لا يخرج عن دائرة قدرة العرب الحربية على استعـــادة حقوقهم وأراضيهم . والحكومة الاميركية ليست قدرة مساعدة على الحل ولكنها قـــوة مضافة لدعم احتلال الارض . وهو الحل الاميركي وليس الحل العربي !

والحكومة الاميركية لا تريد الحل الشامل ، فليس ذلك هدفها ولكنها تريد تخفيف التوتر في المنطقة أي أن تستطيع من خلال الهدنة تحقيق ما لم يتحقق من خلال الحرب !

ويبقى بعد ذلك أن نرى ابعاد الاستراتيجية الاميركية في المنطقة العربية والتي لم تتغير حتى بعد هزيمة العسكرية الاميركية في فيتنام وكمبوديا بل انها تحاول دعم هذه الاستراتيجية في ضوء هزيمتها في فيتنام وكمبوديا . وابعاد هذه الاستراتيجية :

١ ـــ ضرب الثورة العربية او على الاقل في المدى القريب استيعاب الثورة وتفريغها من مضمونها وبعد ذلك ضربها . والذي جرى في لبنان هو جزء من هذا المخطط ، وحلقة اساسية فيه .

٢ ـــ محاصرة الوجود السوفييتي والعمل على تصفيته في المنطقة . فان تعذرت التصفية فعلى الاقل فرض حركة تقلص على اكبر ما يمكـــن ان يكون الانحســـار والتقلص . وقطع شرايين الاتصال بين العرب والاتحاد السوفييتي .

٣ ـــ ضمان الحصول على البترول العربي وتوسيع وحماية الاستثمارات الاميركية في الشرق الاوسط .

٤ ـــ دعم الحكومات الصديقة للولايات المتحدة ومحاولة جذب حكومات اخرى الى دائرة الصداقة الاميركية بأي وسيلة سواء كانت بالاغراء او الغواية او الضغط او التغيير .

واذا كانت حرب فيتنام قد فرضت على الولايات المتحدة اعادة النظر في امكان ان تخوض بقواتها حربا محدودة اخرى فانها لم تستبعد هذا . والتغير هو في توفير كل الظروف لتحقيق الهدف المنشود حتى لا تتكرر الهزيمة .

وأخطر ما تطرحه الحكومة الاميركية في ضوء هزيمتها في حرب كمبوديا وفيتنام هو التصعيد في تكنولوجيا السلاح بدلا من التصعيد في عدد القوات الاميركية التـــي تخوض المعركة .. اي معركة .

والولايات المتحدة ومفكروها يحاولون استيعاب الهزيمة في فيتنام وتبريرها مثل أي مهزوم . وقد خرج هؤلاء برفض المقارنة بين الشرق الاوســـط وفيتنام تحت دعـــوى بأن اسرائيل ليست مثل الحكومات الاميركية التي سقطت في فيتنـــام وكمبوديا وان العرب ليسوا مثل ثوار فيتنام وكمبوديا .

وننتهي من ذلك الى ان الاستراتيجية الاميركية ما زالت تعتمد على اسرائيل باعتبارها القوة الضاربة لتحقيق أهداف الاستراتيجية الاميركية في المنطقة . وان هزيمة اسرائيل في حرب اكتوبر لم تقنعها بالاستغناء عن اسرائيل بل علـــى العكس ازداد اعتمادها عليها. والجديد هو استخدام عواصم اخرى في المنطقة كعوامل مساعدة تهيىء الظروف لاسرائيل لتمضي خطوات نحو جولة خامسة مع العرب بأمل اميركي ان تستطيع اسرائيل هذه المرة تحقيق هزيمة جديدة للعرب تلغي ما تحقق في اكتوبر وتحقق ما لم يتحقق في الحروب السابقة .

وتبقى في الموقف صفحة التاريخ في الحرب العالمية الثانية حين تصورت بريطانيا ان الحرب بعيدة عنها وباركت السلام المؤقت بتنازلات جغرافية . فاذا بتشمبرلن برفضه أن يحارب من أجل دانزنج ١٩٣٨ فاذا به يموت من اجل بريطانيا المحاصرة المرتبكة والمعزولة سنة ١٩٤٠ .

كيسنجر أو دبلوماسية « كسب الوقت » بين فييتنام والشرق الاوسط

عبد العال الباقوري

« الحقيقة تنتقل من انسان الى آخر »

مثل فييتنامي

« نحن أقوياء ، لدرجة ان هانوي لا تستطيع ان تقهرنا »

هنري كيسنجر : « سياسة امريكا الخارجية » ص ١٢٩

« ان الامريكيين يتصورون (عندما يزورون الدول الاجنبية) ان هؤلاء الذين يلتقون معهم في السهرات في العاصمة يمثلون الشعب كله »

الجنرال ديجول

« انه يوم حزين جدا لامريكا ، ويوم حزين جدا لاسرائيل » . هكذا اعترف كيسنجر ، والاعتراف سيد الادلة ، وكان ذلك في ساعة رحيله في مارس الماضي من اسرائيل ، اثر فشل دورانه المكوكي لتنفيذ دبلوماسية الخطوات الصغيرة ، أو الخطوة بخطوة . وهذا الاعتراف يمثل أبلغ الادلة على من الذي يستفيد من خطوات كيسنجر . هو نفسه يعترف: أمريكا واسرائيل . ذلك هو الجانب المستفيد من الدبلوماسية الكيسنجرية أو السياسة الامريكية . الجانب الآخر : العرب وحلفاؤهم ، هو الخاسر . ولم يكن هذا هو الاعتراف الوحيد الذي أدلى به كيسنجر ليؤكد أنه يسعى لضمان مصالح اسرائيل ، ومصالح أمريكا بالطبع . وبعد كل هذا القدر من الوضوح ، هل لا نزال في حاجة الى الحديث عن فييتنام ، ودبلوماسية كيسنجر في فييتنام : ماذا خطط ، وماذا استهدف ، والى أي مصير انتهت خططه ؟

صحيح ان الحقائق واضحة بذاتها ، وان أهداف كيسنجر من حركته المكوكية وخطواته القصيرة في الشرق الاوسط ، أهداف مكشوفة وعارية ، ولكن « المقارنة المنهاجية » لها دورها بهذا الخصوص . وبالذات بين ظاهرة اكتملت او تطورت أكثر من ظاهرة أخرى تتشابه — بقدر أو آخر — مع الظاهرة الاولى ، ويمكن أن تتأثر بها .

وما أكثر أوجه التشابه بين فييتنام والشرق الاوسط ، من ناحية الاسلوب والتكتيك الدبلوماسي الذي استخدمه — ولا زال — هنري كيسنجر وزير خارجية امريكا في مواجهة هذين الوضعين وعلاجهما ، بشكل يضمن مصالح أمريكا وحلفائها ، كما تصورها وأرادها كيسنجر .

وقد كتب الكثير حول دبلوماسية كيسنجر في فييتنام ، وكذلك حول دبلوماسيته في الشرق الاوسط . ولكن من النادر — حتى الآن — اخضاع دبلوماسيته في الحالتين لدراسة مقارنة ، وهذه بالطبع محاولة أولية، ومختصرة، تسعى الى أن تتجنب — بقدر

الامكان ـــ الاهتمام بالتفاصيل والتشابهات الجزئية، لتتوقف عند العموميات أو المبادىء العامة ، والغرض من وراء ذلك لا يحتاج الى تسجيل أو تذكير ، الا وهـــو الخروج بالدروس المستفادة من الفشل الذي لحق بكيسنجر ودبلوماسيته وسياسة بلاده في فييتنام ، ليتسلح بها المفاوض العربي والشعب العربي في مواجهة كيسنجر . اذ لا يخفى أن فشل كيسنجر في فييتنام ليس فشلا لشخص ، مهما كانت نقاط الضعف وجوانب القصور في دبلوماسيته ، وانما هو فشل لسياســـة كاملة متكاملة للدولة الامبريالية الاعظم في عصرنا . وفي نفس الوقت ، فان نجاح المفاوض الفييتنامي ـــ وهو هنا لي دوك تو عضو المكتب السياسي لحزب العمل [الحزب الشيوعي] الفيتنامي ـــ ليس نجاحا شخصيا او فرديا ، وانما هو نجاح استراتيجيـــة كاملة متكاملة : عســـكريا واقتصاديا وسياسيا ودبلوماسيا . بل ان هذا النجاح ليس نجاحا فييتناميا فقط ، بل ولكنه كسب ونجاح لكل الدول والقوى والمنظمات المعادية للامبريالية .

وأعداء النضال العربي يرفضون المقـــارنة بين فييتنام والشرق الاوسط ، لان هذه المقارنة ليست في صالحهم ولا تخدم اهدافهم او سياساتهم . ويحاولون ، بغباء شديد، مغمضين العين عن الواقع ، الادعاء بأن ما جرى في فييتنام شيء ، وما يجري في الشرق الاوسط شيء آخر ، مختلف تماما ! وهم يتناسون أن الفشل الامريكي في فييتنام « مهما أخفى ، سوف يستغل من الثوار في كل مكان ، كمدعم لنظرية حرب الجماهير الثورية ، وكبرهان على انه من المستطاع هزيمة حتى الدول العظمـــى بواسطة جيش مـــن الفلاحين »(١).

وهذا الدرس ، يخشى أعداء النضال العربي من أن يستفيد العرب به. ولكن دروس النضال ليست في حاجة الى قاعة تدريس. يكفي أن نذكر أنه في سايجون ـــ هو شي منه حاليا ـــ وقبل أن تتحرر كان أستاذ فييتنامي اسمه تون ثان نيين يقول : « لن يصدق أحد الامريكيين بعد اليوم انه سيحدث لاسرائيل ما حدث لنا ، برغم انها قد تكون أقوى وأكثر يقظة منا »(٢).

هذا هو الدرس الفييتنامي العام لقوى النضال العربي ضد اسرائيل والصهيونية والامبريالية . ويتفرع عنه درس دبلوماسي خاص ، جدير بالاستفادة والاستخلاص ، حين نجد أن « العزيز هنري » « الساحر » و« المعجزة » لم يكن أحسن حظا ـــ ولم يكن ممكنا أن يكون ـــ من أعظم جنرالات أمريكا الذين فقدوا عظمتهم وعبقريتهم العسكرية في أحراش فييتنام ، وتمرغوا في وحلها . وكل ما استطاع الساحر كيسنجر ان يوفره لهم هو الانسحاب بعد أن عجزوا تماما عن تحقيق النصر، والدولة الكبرى حين تعجز عن تحقيق النصر ، تكون قد فشلت ، هذا ما قاله كيسنجر نفسه ، ولكنه حاول بدبلوماسية وبقدرة فائقة على المناورة والخديعة أن يغطي على هذه الهزيمة ، ويحولها الى نصر ، أو الى ضمان الاحتفاظ بالحد الادنى من المصالح الامريكية في الهند الصينية . وحتى هذا الهدف لم يمكنه الفييتناميون من تحقيقه .

فكيف جرى ذلك ؟ وما وجه المقارنة بينه وبين ما يقوم به كيسنجر في الشرق الاوسط؟ وما هي احتمالات نجاحه أو فشله هنا ؟ هذه الاسئلة وغيرها يمكن أن نجيب عليها من خلال رصد سريع لاسلوب الدبلوماسية الكيسنجرية اولا ثم ننتقل منه الى مقارنة بين مسرح الاحداث في فييتنـــام والشرق الاوســـط حينما تقدم كيسنجر ليجـــري الاعيبه الدبلوماسية ، وينقلنا هذا مباشرة الى تكتيكات كيسنجر وكيف استهدفت في فييتنام والشرق الاوسط كسب الوقت ، من أجل الحفاظ على مصالح امريكا وحلفاء امريكا . وهنا استطاع ثوار فييتنام أن يسبقوا كيسنجـــر ، ليأخذوا عنصر الوقت في أيديهم ،

ويجعلوه سلاحهم وليس سلاح عدوهم . أما في الشرق الاوسط ، فالرواية لم تكتمل فصولها بعد ، بحيث نجدنا مطالبين بالتنبؤ من جانب ، وبالدعوة الى التنبه، والاستفادة من درس فييتنام الدبلوماسي من جانب آخر .

١ ــ دبلوماسية كيسنجر

الدبلوماسية في أبسط معانيها هي فن المفاوضة ، بل ما يعنيه ذلك من أخذ وعطاء ، وتشدد ومرونة ، ومحاولات للف والدوران ، واستغلال نقاط الضعف في الخصم وتقوية نقاط القوة الذاتية وتضخيمها وتغطية نقاط الضعف الذاتي ، وغير ذلك . وأدوات الدبلوماسية هي الارغام والاغراء ، وكل منهما يعتمد على الآخر الى حد كبير ويتدعم به ، القدرة على الارغام تعطي قدرة كبيرة على اغراء الخصم على قبول ما هو معروض عليه .

وقد توصل كيسنجر في يناير (كانون الثاني) ١٩٧٣ الى توقيع اتفاق باريس حول فييتنام . قيل الشيء الكثير عن قدراته الدبلوماسية الخارقة ، وهي قدرات لا مجال للتقليل من شأنها ، ولكنها صورت ــ على الاقل في بلادنا ــ بأكثر من حقيقتها . جاء كيسنجر من الجامعة الى العمل السياسي التنفيذي : مستشارا للرئيس لشؤون الامن القومي ، ثم وزيرا للخارجية . وكيسنجر رجل الجامعة !الاكاديمي يملك فلسفة بمعنى وجهة نظر متكاملة في سياسة بلاده الخارجية . وجهة نظر صاغها وكونها قبل أن يدخل مجال السياسة العملية . وهذا شيء نادر في دنيا السياسة ، حيث نجد اما رجل نظرية وفكر أو تفكير سياسي فقط ، او رجل سياسة عملية فقط . كيسنجر واحد من تلك القلة النادرة التي جمعت بين « النظرية » و« العمل » ، بين « الفكر » و« التطبيق » .

من جانب آخر ، وعى كيسنجر ظروف العصر واستوعبها جيدا ، وحاول أن يوائمها ويتواءم معها ليحقق هدفا مباشرا وأساسيا : أن تكون أمريكا القوة الكبرى الوحيدة القادرة على أن تحدد وتتحكم في مسار ومصير العلاقات الدولية ، لاطول فترة ممكنة ، ولا مانع في ذلك من أن تكون « الاول بين الاوائل » ، أو القوة الاكبر بين القوى الكبرى : تتجمع في يدها كل الخيوط ، فتشد هذا ، وترخي ذلك ، وتتقدم هنا وتتأخر هناك ، وتتنازل في مكان وتتمسك بشدة في مكان آخر ، وتتراجع في نقطة وتتقدم في أخرى ، اعتمادا على أسلوب « الجمع بين السلام والقتال » وتطبيقه على مستوى الصراع الدولي ككل ، وعلى كل مشكلة على حدة . وهو الاسلوب الذي برع كيسنجر في تطبيقه .

والبراعة الفردية ، دبلوماسية او غير دبلوماسية ، تحكمها في النهاية الظروف التي تحيط بها . واذا كان كيسنجر قد وعى ظروف عصره وحاول التواؤم مع هذه الظروف لتحقيق « السلام الامريكي » ، واذا كان كيسنجر قد أعجب بميترنيخ رجل التوازن الاوربي والسيادة الاوربية من مؤتمر فيينا في ١٨١٥ الى الحرب العالمية الاولى في ١٩١٤ ، ولمدة مائة عام كاملة ، وحاول أن يتشبه به ، فان عصر كيسنجر ، ليس عصر ميترنيخ . وعصر سيادة الاستعمار ثم تحول الاستعمار الى امبريالية شيء ، وعصر الانتقال العالمي من الرأسمالية الى الاشتراكية شيء آخر . وهذا هو القيد « القدري » الذي أحاط بدبلوماسية كيسنجر ، وحدد مصيرها ، أيا كانت الانجازات التي تمكن الرجل من تحقيقها في فترة أو أخرى ، على طريق « الانفراج الدولي » أو تهدئة بعض الصراعات الدولية المشتعلة وتبريدها .

ذلك أن دبلوماسية كيسنجر تتسم بأنها « دبلوماسية تهدئة » و« تبريد » للمشاكل الساخنة ، وليست دبلوماسية حلول نهائية أو بعيدة المدى ، كما انها دبلوماسية

« السلام المعلق والمنتظر » الذي يأتي ولا يأتـــي ، بحيث يكون هنـــاك دائما مجال للمساومة ، وللاخذ والعطاء ، حتى في ظل نيران المعارك ودوي القنابل والمدافع . وكل هذا يرسمه كيسنجر ببراعة وتفوق ، و« يهندسه » ، بحيث يحاول أن يتحكم في كافة المتغيرات في الموقف الواحد ، وما تخلقه هذه المتغيرات من تأثيرات في المواقف الدولية الاخرى، بل وفي الموقف الاصلي ذاته، الذي بدأ منه ، وبحيث يحاول أيضا ان يتحكم في التوازنات التي خلقها أو « تخلقت » ويسيرها نحو ضمان الهدف الاصلي الذي دفعه الى اتخاذ الحركة الاولى ، وهذا الهدف هو « جعل الولايات المتحدة القطب الوحيد المتحكم في العالم المعاصر »(٣). فدبلوماسية كيسنجر ، دبلوماسية التهدئة والتبريد أو التسكين تحاول أن تتخطى حقائق الموقف كما هي في الواقع ، وترفض تقديم الحلول الكاملة ، وانما تعتمد على اقامة موازنات ومعادلات شكلية بين قوى متعادية — لا مانع من ان تبدو هذه الموازنات أحيانا في شكل اضعاف الصديق وتقوية العدو ظاهريا بالطبع — بغرض أن تكون أمريكا وحدها هي التي تمسك بزمام الموقف ، وتتحكم في مصير العالم .

وفي النهاية لا يصح الا الصحيح ، ويذهب الزبد جفاء ، لذلك لم يكن صدفة بحتة أن الدبلوماسية الكيسنجرية « تتعطل » في الشرق الاوسط، في وقت اثبات فشلها «العظيم» في فييتنام ، فتتحرر سايجون بعد حوالي شهر من هجر كيسنجر لتنقلاته المكوكية بين اسوان واسرائيـــل . وبذلك يتأكد أن دبلوماسيـــة تهدئة العداوات — مهمـــا كانت براعتها — لن تجد في الشرق الاوسط مصيرا خيرا من مصير لقيته في فييتنام ، رغم ان اسرائيل لا تزال تمثل حتى الآن أنجح نموذج في العالم لسياسة « الفنتمة » ، وهي سياسة تجمع بين الحرب المحدودة والحرب الخاصة ، تمثل جزءا من مبدأ نيكسون — كيسنجر في آسيا ، لاطالة أمد النفوذ والتفوق الامريكيين ، وهي في حقيقتها احياء لمبدأ استعماري معروف هو « دع الآسيويين يقتلون الآسيويين » .

ودبلوماسية كيسنجر في تهدئة العداوات ، هـــي في الواقع دبلوماسية « الفترات المتباعدة » أو الخطوة بخطوة ، سواء في فييتنام او في الشرق الاوسط ، وان كان التعبير الاول — الفترات المتباعدة — يصدق على فييتنام بشكل اكبر ، فان دبلوماسية الخطوة بخطوة، قد ارتبطت بتحركات كيسنجر وحركاته في الشرق الاوسط. والهدف في الحالتين واحد ، ليس مجرد التبريد والتهدئة ، ولكن خلق روح الاستسلام نفسيا لدى العدو ، وخلق الاقتناع لديه بأن القتال لن يفيد ، وان السلام — الامريكي بالطبع — هو الممكن الوحيد ، والمفيد الوحيد . ويتم ذلك من خلال عملية انهاك نفسي مخططة ومحبوكة وتتم أيضا خطوة بخطوة ، على طريق الاستسلام النهائي ، في أرض المعركة قبل الاستسلام على مائدة المفاوضات .

وفي سبيل تحقيق ذلك ، يعتمد كيسنجـــر الدبلوماسي والمفاوض البـــارع على عدة أساليب ، يمكن اجمالها فيما يلي :

أ — الولع والميل الى الدبلوماسية السرية الكاملة . البعض يحاول أن يعزو ذلك لاسباب نفسية ، اعتمادا على دور التربية « اليهودية » والالمانية في تكوين كيسنجر ، التي خلقت لديه ميولا تسلطية لا يستطيع ممارستها بطريقة مفتوحة وزائدة في المجتمع الامريكي ، فلا يجد مفرا من اللجوء الى السرية، « ويقال انه بسبب ذلك يحس كيسنجر بسهولة أكبر في التعامل مع زعماء الانظمة الشمولية ، والدكتاتورية ، ولكنه أقل نجاحا وفاعلية حينما يتعامل مع قادة أنظمة ديمقراطية ليبرالية او شعبية »(٤). ودون أن نسقط العامل النفسي من الاعتبـــار ، ودون أن نؤمـــن بأن السرية صفة ملازمـــة للدبلوماسية ، فان أخذ كيسنجر بالسرية الشديدة ، يتناسب مع الاهداف التي يريد تحقيقها ، بحيث أولا لا يكشف أوراقه ، وبحيث يسهل عليه ثانيا التراجع عن وعود

بذلها ، وبحيث يضمن انفراده وانفراد بلاده بالحل بمعزل عن القوى الكبرى الاخرى ، فضلا عن أن هذا الاسلوب يتفق تماما مع ميول شخص مثل كيسنجر لا موضع في تفكيره أو في نشاطه السياسي للجماهير ، ولا اهتمام بالرأي العام . وسرية كيسنجر في فييتنام واضحة من مرحلة المفاوضات السرية التي استغرقت حوالي أربعة أعوام ، وواضحة في الشرق الاوسط في اتفاقات فصل القوات ، التي تشير مصادر كثيرة الى أنه صاحبتها اتفاقات سرية لم تعلن بعد ، وقد أثير ذلك في الفترة الاخيرة بشكل خاص مع اعادة فتح قناة السويس للملاحة الدولية ، اذ تحدثت اسرائيل عن تعهد مصري بالسماح للبضائع الاسرائيلية بالمرور(٥) .

ب ــ التدخل للانتقال بالمشكلة من مرحلة « السخونة » الى « البرودة »، فالسخونة تجعل التدخل مقبولا وتخلق استجابة لدى أطراف النزاع لذلك، والانتقال الى « التبريد» يعني أن هناك انجازا قد تحقق ، لا يتورع كيسنجر ــ ومحيطوه ــ عن تضخيمه وتصويره على أنه خطوة كانت مستحيلة لولا لمسات يد الساحر العجيب الدكتور كيسنجر ، وفي نفس الوقت يتخذ كيسنجر ذلك وسيلة لابطاء الحل ، والتسويف والمماطلة ، ما دام أن خطوة عظيمة قد تحققت .

ج ــ يرتبط بذلك الاقدام على خطوة تستهدف نزع فتيل الاشتعال من الموقف المتفجر، وهي خطوة تعني بالاساس وضع الموقف بالكامل تحت سيطرة كيسنجر ، بواسطة محاولة اقناع طرفي النزاع بأنه ليس في الامكان أبدع مما هو كائن حاليا ، ولفترة ما ، وبحيث يصير وجود كيسنجر نفسه هو عامل التوازن في الموقف ، ويخشى كل جانب من أن ينسحب الرجل « المعجزة » من الساحة فينهار كل شيء ، في وقت يرى كل طرف انه غير ملائم له . وبالطبع ، فان التهديد الكيسنجري بين وقت وآخر بالانسحاب أمر وارد ، مع الاشارة بطرف العين الى طرفي النزاع بأن الكارثة واقعة لا محالة اذا انسحبت . ولاسباب عديدة ، لم يستطع كيسنجر أن يزاول هذه الهواية في فييتنام ، وبرع في ذلك في الشرق الاوسط طوال عام ١٩٧٤ بشكل خاص ، بل كانت براعة كيسنجر الحقيقية وقمة نجاحه هي غزو الوطن العربي على انه حكم في الصراع العربي ــ الاسرائيلي وليس طرفا فيه . وهذا لا يعود الى عبقرية كيسنجر ، بقدر ما يعود الى سيادة جو معين في القيادة العربية مكنه من تحقيق ذلك . وان كان هذا لا يقلل من شأن نجاح كيسنجر في اهتبال فرصة ــ تكاد تكون نادرة ــ وجدها متاحة له .

د ــ التقدم على طريق الحل يعتمد أسلوبا ذا شقين :- الاول : عدم طرح اي حل شامل أو كلي للمشكلة بدعوى أن ذلك يبرز جوانب الخلاف بين الاطراف ولا يساعد على تحقيق الاتفاق ، الثاني : تجزئة المشكلة الى العديد من القضايا الفرعية ، التي لا يتم الاقتراب منها مرة واحدة ، وانما على فترات متباعدة ، بحيث لا يرتبط اي أجزاء المشكلة ببعضها ، وبحيث لا يكون هناك التزام محدد بأن حل جزء معين من المشكلة لا بد وأن يتلوه حل جزء آخر . لقد بدأ كيسنجر بفصل القوات في سيناء ، ثم تلاه فصل القوات في الجولان ، هذه الخطوة الثانية كان يمكن ان لا تحدث بالضرورة ، اذ كان يمكن أن يحل محلها خطوة أخرى في سيناء نفسها ، أو في الضفة الغربية ، وهكذا . وترتيب هذه الخطوات لا يخضع ــ في تقدير كيسنجر ــ الا لما يريده ويتوخاه كيسنجر نفسه .

هـ ــ المزاوجة والمراوحة بشكل شبه دوري وبشكل متعمد بين القوة والدبلوماسية، بين المفاوضات والقتال، بين اختلال التوازن العسكري والتهديد بالقتال، فالدبلوماسية في قاموس كيسنجر لا تظهر الا مقترنة بالقوة ، وهو يعتقد أن « الدبلوماسية التي لا ترتبط ارتباطا وثيقا باستخدام القوة هي دبلوماسية عقيمة »(٦) كما ان استخدام القوة من دون الدبلوماسية يسبب « تهورا وقت الانتصار وذعرا وقت المحن »(٧) .

و ـــ الميل أو تفضيل استخدام الانذار لتحقيق الاهداف ، أكثر من استخدام الحرب أو القوة ، ويعتبر كيسنجر أن التهديد والانذار يضمن أحيانا تحقيق الاهداف أكثر مما يضمنها استخدام القوة نفسها ، فقد تستخدم القوة وتفشل ، أما الانذار والتهديد فيمثل رادعا مخيفا ، ومسلطا على رقاب العدو ، وقد يهوي عليها في أي وقت . ويرى كيسنجر أن الانذار ليس مجرد القدرة على الكلام أو التهديد ، وهذا كله لا قيمة له ، اذا لم تسانده المقدرة على خوض الحرب والارادة على خوضها اذا لم يحقق الانذار هدفه(٨) . المثال النموذجي على ذلك ، انذار كيسنجر الى الدكتور محمد حسن الزيات وزير خارجية مصر في ٦ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٣ بالعودة الى الخطوط التي كانت عليها القوات عند بدء القتال ، عندما لم تستجب مصر لهذا الانذار ، فتح كيسنجر خزائن الترسانة الامريكية أمام اسرائيل ، حتى لا يحقق العرب نصرا كبيرا يمثل ضغطا عليه حيثما يتقدم للعمل على حل المشكلة . يومها قال الزيات لكيسنجر ، ان العودة الى خطوط بدء القتال افضل من وضع تتمنى فيه مصر تحقيق ذلك . ورغم الصياغة الدبلوماسية ، لم يكن أسلوب الانذار ليخفى على دبلوماسي محنك مثل الزيات .

هذه ، بصفة عامة ، هي الخطوط الاساسية ، والاساليب الاساسية في دبلوماسية كيسنجر . ومن أجل الايجاز لا داعي للحديث عن سياسة امريكا الخارجية قبل كيسنجر ، وما الذي تغير فيها على يديه ، وما علاقة كل هذا بالتغير الذي حدث في العلاقات الدولية وغير ذلك .

٢ ـــ مسرح الاحداث

أعني ذلك الموقف القائم في كل من فييتنام والشرق الاوسط حينما تقدم هنري كيسنجر لحل كل من المشكلتين ، مشكلة التورط الامريكي في فييتنام ، ومشكلة الصراع العربي ـــ الاسرائيلي ودور أمريكا فيه ، على مسرح الشرق الاوسط . ونلاحظ بداية بعض وجوه الاتفاق والاختلاف في الموقفين : من ناحية أولى ، يتميز الصراع في المنطقتين بطول مدته ، انه بشكل عام بدأ في أعقاب الحرب العالمية الثانية مباشرة ، حين تزايدت درجة ومستوى التدخل الامريكي مع مرور الوقت ، وساعدت امريكا فرنسا في العودة الى فييتنام واعادة احتلالها ، بعد الحاق الهزيمة بالفييتناميين . وقدمت أمريكا للفرنسيين قدرا من المعونة ضد حركة الكفاح الفيتنامي . هزمت فرنسا في النهاية . ووقعت اتفاقيات جنيف في عام ١٩٥٤ . رفضت أمريكا التوقيع . وخلقت حكم الجنرالات الذي ظنته وسيلة لصد ما أسمته النفوذ الشيوعي عن الهند الصينية . ومع بداية الستينات بدأ التورط الامريكي في فييتنام ، وبلغ قمته في تواجد حوالي نصف مليون جندي امريكي في المنطقة ، وتجنيد نصف مليون آخر من قوات الحلفاء « دفاعا عن الحضارة الغربية » وشن حرب جوية قذرة ضد جمهورية فييتنام الديمقراطية (الشمالية) . وخلال سنوات الحرب بلغت التكاليف الامريكية حوالي ١٥٠ مليار دولار ، وأكثر من ١٥٦ الف قتيل أمريكي . وفوق هذا وقفت قوات أمريكا عاجزة عن تحقيق النصر والحاق الهزيمة بقوات جبهة التحرير الوطني في فييتنام الجنوبية . وخلقت هذه الحرب تصدعا في داخل المجتمع الامريكي . وكان وعد ريتشارد نيكسون في انتخابات الرئاسة عام ١٩٦٨ للناخبين بالانسحاب من فييتنام سببا في نجاحه ، بعد أن اضطرت الحزب الرئيس السابق جونسون الى عدم اعادة ترشيح نفسه في هذه الانتخابات . وقد ساعدت حرب فييتنام في تغيير ميزان القوى الاجتماعية داخل المجتمع الامريكي ، مما أدى الى نجاح نيكسون في الانتخابات ليصبح معبرا عن مصالح الجناح النفطي ـــ المالي أو المصرفي في الرأسمالية الاحتكارية الكبيرة الحاكمة في أمريكا . وقد وجد هذا الجناح الذي يجوز وصفه بالليبرالية في مواجهة احتكارات صناعة السلاح ، وجد في كيسنجر خير من

يستطيع خدمة مصالحه(٩) بوضع سياسة خارجية ملائمة ، وهكذا جاء كيسنجر ليعمل مستشارا للرئيس نيكسون لشؤون الامن القومي في مرحلة كانت تفرض الحاجة الى وضع حد للتورط الامريكي في فييتنام . وكان على كيسنجر ان يحقق لبلاده « انسحابا مشرفا » ، ويحقق لها في نفس الوقت ضمانا بأن لا تسقط فييتنام الجنوبية في يد الشيوعيين ، ولا يكون الانسحاب على حساب اضعاف مركز أمريكا في المنطقة ، ولحساب تقوية مركز قوة منافسة اخرى وهي الاتحاد السوفييتي ، دون أن يخل ذلك باتجاهات التهدئة وبسياسة الانفراج الدولي .

وقد حاول كيسنجر بكل ما لديه من قدرات وطاقة ان ينفذ هذه السياسة ، وذلك بحل المشكلة الفييتنامية على أساس « الفتنمة » وسحب القوات الامريكية ، مع تجميد الموقف على ما كان قائما عليه عند توقيع اتفاقيات باريس حول فييتنام في ٢٧ يناير (كانون الاول) ١٩٧٣ بل والعمل على تحسين هذا الوضع لصالح حكم الجنرال فان ثيو في سايجون .

وهكذا فرضت مشكلة فييتنام ، أو مشكلة أمريكا في فييتنام ، نفسها على كيسنجر ، لتكون أول أعماله ومن أهمها في منصبه مستشارا للرئيس لشؤون الامن القومي .

من ناحية أخرى ، بالنسبة للشرق الاوسط ، أبدى كيسنجر نوعا من عدم الاكتراث بالموقف ، لانه قابل للانتظار ، وغير مهدد بالانفجار ، وتركه في يد وزارة الخارجية لتعالجه بأساليبها التقليدية المعروفة . السبب في ذلك ان كيسنجر اعطى أغلب اهتمامه لمشكلة فييتنام ، ولدعم سياسة التهدئة مع السوفييت ، ورأى ان العرب غير قادرين على شن القتال ، بحيث يمكن أن تطول سياسة « اللاسلم واللاحرب » لمدى أطول ، وعندئذ لن يملك العرب الا أن يأتوا الى مائدة المفاوضات وهم راغمون ، يقبلون ما يعرض عليهم .

والحقيقة ان هذه هي الصورة التي حاول كيسنجر أن يشيعها خاصة منذ حرب اكتوبر (تشرين الاول) عن موقفه تجاه الازمة في الشرق الاوسط ، وعشية الحرب تماما كان يدعي انه لم يفتح ملف هذه القضية بعد ، ويمكن أن يفعل ذلك بعد الانتخابات الاسرائيلية . ويريد كيسنجر من وراء ذلك الايهام بأن حرب اكتوبر قد غيرت موقفه وموقف بلاده تماما ، ونقلته من حالة عدم الاهتمام الى الاهتمام ، ومن تأييد اسرائيل الى موقف آخر .

ولكن كثيرا من الوقائع المعروفة لا تخدم تصوير كيسنجر هذا ، وتؤكد انه كان يلعب بيده ، بشكل او آخر ، في مشكلة الشرق الاوسط ، ومن هذه الوقائع ما يلي :

أولا : منذ تولى كيسنجر منصب مستشار الرئيس لشؤون الامن القومي ، حدد مجموعة من القضايا كرس لها جهوده وجهود مجلس الامن القومي ، وكانت قضية الشرق الاوسط واحدة من هذه القضايا(١٠) . وقد أعاد كيسنجر تنظيم هيئات مجلس الامن القومي بحيث أصبح يشرف بنفسه على اغلب فروعه الهامة ، مثل « لجنة الاربعين » التي تتولى الاشراف على كل العمليات السرية لاجهزة المخابرات الامريكية في كل جهات العالم ، و« مجموعة واشنطن الخاصة للعمل » التي تدير الازمات العالمية الطارئة او المفاجئة نيابة عن مجلس الامن القومي او الى حين انعقاده ، وأثناء مذبحة أيلول (سبتمبر) ١٩٧٠ في الاردن ضد الفلسطينيين ، تولت هذه المجموعة ادارة الموقف(١١) وكان كيسنجر نفسه هو الذي وافق على أن تتدخل اسرائيل ضد سوريا اذا تدخلت القوات السورية ضد الملك حسين .

ثانيا : بناء على ما سبق يبدو صحيحا ان كيسنجر ومساعديه قد اعدوا دراسة حول الموقف في الشرق الاوسط منذ وقت مبكر لتوليه منصب المستشار لشؤون الامن القومي ، وانها تضمنت سبعة حلول بديلة ، تجمل في ثلاثي هي : التزام امريكا بموقف سلبي كامل ، أو الضغط على الاطراف لحل المشكلة ، أو القيام باجراءات بسيطة لتحسين الموقف . واستبعد الحلان الاول والثالث داخل مجلس الامن القومي ، وأخذت أمريكا بسياسة الضغط على أطراف المشكلة ، التي قيل انها تمثلت في الاستجابة الامريكية للاقتراح الفرنسي بعقد الاجتماعات الرباعية(١٢) . ومن المعروف ان امريكا هي التي تتحمل مسؤولية فشل هذه الاجتماعات . وبالطبع ، لم يكن المندوب الامريكي فيها يعمل بعيدا عن توجيهات كيسنجر ، ما دام قد اعتبر مشكلة الشرق الاوسط — كما رأينا — واحدة من المشاكل الرئيسية التي ركز عليها جهوده وجهود مجلس الامن القومي .

ثالثا : لعب كيسنجر دورا في تعطيل مبادرة روجرز ومنع تنفيذها ، وقرر الرئيس نيكسون في اكتوبر (تشرين الاول) وضع سياسة بديلة عن مبادرة روجرز(١٣)، وليس متصورا أن يضع أحد هذه السياسة البديلة ، الا كيسنجر .

رابعا : في العام ١٩٧٢ ، جرت محاولة لعقد اجتماع بين كيسنجر وبين احد المسؤولين المصريين ووقع الاختيار يومئذ على محمد حسنين هيكل رئيس تحرير الاهرام ، والرجل الواسع النفوذ في السلطة المصرية ، ولكنه فضل تأجيل هذا(١٤) .

خامسا : في فبراير (شباط) ١٩٧٣ ، زار حافظ اسماعيل مستشار الرئيس السادات لشؤون الامن القومي ، واشنطن ، والتقى بالرئيس نيكسون ، الذي أحاله بدوره الى الدكتور كيسنجر . وعقد حافظ اسماعيل وكيسنجر ثلاثة اجتماعات ، انتهت بأن وضع كيسنجر ثلاثة مبادىء لتعامله مع مصر ، هي : الثقة المتبادلة ، وعدم الخداع ، والسرية المطلقة(١٥)، وطالب كيسنجر في هذه الاجتماعات بتقديم تنازلات سياسية واقليمية وليس مجرد ضمانات شفوية . ويقول هيكل « كان واضحا من كلام كيسنجر ان مصر البلد المحتلة أرضه ، هو الجانب المطالب بتقديم تنازلات »(١٦) .

وخلاصة ذلك ، أن كيسنجر كان في الفترة من ١٩٦٩ حتى حرب تشرين (اكتوبر) لا يقف بعيدا عن أزمة الشرق الاوسط، بل كان قد بلور فكرة متكاملة وخطة كاملة ازاءها . وحيث انه كان قد فرغ من توقيع اتفاقيات فييتنام في اوائل ١٩٧٣ ، فقد كان متوقعا أن يتحرك في ساحة الشرق الاوسط مع نهاية العام أو بداية العام الجديد . وجاء انفجار القتال على غير ما كان يتوقع . يشير كيسنجر بنفسه الى ذلك فيقول في ٣٠ سبتمبر (أيلول) ١٩٧٤ مخاطبا أعضاء الجامعة العربية في نيويورك : « لقد تحدثت الى صديقي عمر السقاف قبل اسبوعين من نشوب حرب تشرين الاول (اكتوبر) وأبلغته اننا سنحاول القيام بمجهود ديبلوماسي كبير لتعزيز السلام في الشرق الاوسط ، ثم نشبت الحرب ، ومنذ ذلك الحين ، أتيحت لنا الفرصة للتحدث معا عن مشاكل عديدة »(١٧) .

ولذلك ، ليس صحيحا ما تدعيه صحيفة اسرائيلية من ان كيسنجر لم يكن يهتم بمسائل الشرق الاوسط ومشاكله، عندما كان يشغل منصب مستشار الرئيس نيكسون لشؤون الامن القومي(١٨) .

ولم يكن موقف كيسنجر هذا من أزمة الشرق الاوسط ، والادعاء بأنه بعيد عنها ، الا اشارة لسياسة المماطلة وكسب الوقت التي سيتبعها من خلال تحركاته المكوكية وبواسطة خطواته القصيرة، ما دام من ذلك الضمان لمصالح امريكا ، ومصالح اسرائيل حليفة امريكا .

وعندما نشبت حرب اكتوبر (تشرين) أدارها كيسنجر من جانبه بشكل يضمن لـه تحقيق الاهداف التي كان يتوخاها لو لم تنشب هذه الحـرب ، وبحيث لا يضطر الـى اجراء تعديل كبير في خطته . وخرج كيسنجر من الحرب وقد غنم ما كان يسعى اليه ، فتقدم بزاول دبلوماسية كسب الوقت ، من خلال دبلوماسية الخطوة خطوة(١٩) .

٣ ــ المماطلة وكسب الوقت

نجاح كيسنجر في وقف القتال في الشرق الاوسط يشبه الى حد كبير نجاحه في وقف القتال في فيتنام(٢٠) واستمراره في كلا المنطقتين ، كان يهدد مصالح امريكا وحلفائهـا بدرجة أكبر .

وعندما وقع كيسنجر اتفاقيات باريس في يناير (كانون الثاني) ١٩٧٣ ، كان قـد صمم على أن يجمد الموقف على ما كان عليه ، او يسمح فقط بتحسينه لحساب حكـم ثيو الذي أمل ان كيسنجر سيتمكن من تعطيل هذه الاتفاقيات . وعندما وافقت أمريكا على قرار مجلس الامن رقم ٣٣٨ في ٢٢ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣ ، بوقف القتال ، لم تمانع في أن تحسن اسرائيل مواقعها لتصبح خطوط ٢٢ تشرين وسيلة للمساومة ، وفي نفس الوقت فان النتيجة التي آلت اليها الحرب كانت توفر فرصة ملائمة لتحقيـق التسوية ، لو كانت لدى كيسنجر العزيمة الصادقة لتحقيق السلام في الشرق الاوسط ، ولكن ذلك لم يكن واردا عند كيسنجر(٢١) وكان الهدف المفضل لديه هو كسب الوقت .

وكسب الوقت عند كيسنجر في الشرق الاوسط ، يعني تحقيق ما يلي :

١ ــ خدمة مصالح اسرائيل في تدعيم قبضتها على الاراضي العربية المحتلة التي لا تزال تحت سيطرتها(٢٢) .

٢ ــ خدمة مصالح امريكا والـدول الصناعية الاخـرى بحيث تتمكن من اتخـاذ الاجراءات التي تكفل لها التغلب على سلاح البترول العربي(٢٣) ، أو تضمن الحصـول عليه خاصة في السنوات القليلة القادمة .

٣ ــ بذر بذور الشقاق داخل الدول العربية ، من أجـل اضعاف تضامنها ضـد اسرائيل(٢٤) ، وكسر وحدة العمل العربي التي تحققت في حرب تشرين (اكتوبر) .

٤ ــ اقرار العرب بوجود اسرائيل الشرعي ، وذلك قبل أن يتم الانسحاب من كافة الاراضي العربية المحتلة .

٥ ــ تضييق الخناق على الوجود السوفييتي في المنطقة من خلال اكتساب امريكا لمواقع جديدة في الشرق الاوسط ، واعادة ترتيب الاوضاع بما يخدم المصالح الامريكية .

٦ ــ خلال ذلك قد لا يستتب السلام ، ولكن سيتم اخمـاد « بؤر عدم الاستقرار » في المنطقة ، بمعنى تقليم اظافر حركة التحـرر الوطني العربية ، ومحاصرة الفكـر والتطبيق الاشتراكي من ناحية اخرى ، بحيث يعود للمشروع الخاص والمبادرة الفردية حرية العمل ، وحرية الارتباط بالسوق الامبريالي العالمي ، بما يتضمنه ذلـك من تحسين العلاقات مع بعض الدول العربية ، بحيث يخدم ذلك التحسين مصالح امريكا واسرائيل ، فقد صرح اسحـق رابين رئيس وزراء اسرائيـل في مقابلة مع صحيفـة « معاريف » بأن : « تحسين العلاقات الامريكية المصرية لن يكون الا لمصلحة اسرائيل والولايات المتحدة »(٢٥) .

وهذه الاهداف تكاد تكون هي نفس اهداف امريكا في الشرق الاوسط ، قبل حـرب تشرين الاول(٢٦) ، ولم يطرأ عليهـا مجرد التعديل ، اللهم الا المزيد مـن الانتظار ،

ومن كسب الوقت حتى تحقق الاهداف كاملة . بحيث ان السائرين وراء كيسنجر والذين يسايرونه اصبح عليهم ان يجيبوا على اكثر من سؤال ، تتلخص جميعها في سؤال وحيد : لماذا كيسنجر اذن ؟

لقد رأى كيسنجر بثاقب نظره ، ان العرب حققوا بحرب تشرين (اكتوبر) انجازا لا يمكن اسقاطه من الحساب ، وهو يعني في المحصلة النهائية ، وعند تحويل النصر العسكري الى نصر سياسي ، اسقاط مرحلة اللاحرب واللاسلم ، وعمل كيسنجر على تفويت ذلك ، وتضييع ثمرة حرب تشرين (اكتوبر) بالعودة الى اللاحرب واللاسلم مرة اخرى ، مع فارق اساسي بين مرحلة ما قبل الحرب وما بعدها .

مرحلة اللاسلم واللاحرب قبل حرب تشرين (اكتوبر) كانت مقرونة بلاءات الخرطوم المعروفة ، وبالاستعداد للحرب من اجل التحرير . مرحلة اللاحرب واللاسلم بعد حرب تشرين (اكتوبر) لا بد ان تسقط لاءات الخرطوم ، هكذا يفكر كيسنجر ، بواسطة اقناع العرب بمقولة بسيطة جدا وخطيرة جدا ، هي ان الحل العسكري لمشكلة الشرق الاوسط مستحيل . وقد أعلن الرئيس السادات اكثر من مرة عن اقتناعه بذلك صراحة ، وأعلنه ضمنا منذ صرح في ١٦ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٣ انه لن يحارب امريكا .

اما في فيتنام ، فقد رغب كيسنجر كسب الوقت بهدف اساسي هو عدم سقوط فيتنام الجنوبية في يد الشيوعيين ، وحتى لا تسقط الهند الصينية كلها في ايديهم طبقا لنظرية الدومينو المعروفة . وحسب كيسنجر ان سياسة الفتنمة وتكوين جيش فيتنامي جنوبي حديث ، مع عدد كبير من الخبراء الامريكيين الذين يعملون سرا ، يمكن أن يحقق له هدفه . ولم يمانع ثوار جبهة التحرير في اغراء كيسنجر بامكانية تحقيق الهدف ، ولكنهم في نفس الوقت عملوا بتخطيط وذكاء من اجل اخذ عنصر الوقت في أيديهم ، وابقاء زمام المبادرة في صفهم .

من باريس الى جنيف : سياسة كسب الوقت او تضييع الوقت — في جانبها الاخر — لا زال السيرك الخاص بها منصوبا امامنا في الشرق الاوسط ، ولا تزال أدق تفصيلاتها واضحة للعيان ، بحيث ان مؤتمر جنيف الذي كان متصورا انه سيعقد بعد فترة وجيزة من وقف القتال في اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٣ ، وبعد انسحاب القوات الاسرائيلية من جميع الاراضي العربية المحتلة ، اصبح الان مجرد عقدة أمنية من الاماني الغالية والعزيزة لدى السائرين مع العزيز هنري .

ولكن قبل الوصول الى جنيف ، يجب ان نقف ولو قليلا في محطة باريس ومحادثاتها الفيتنامية ، لنشاهد ونرصد بعض فصول المماطلة الكيسنجرية من اجل كسب الوقت .

احدى المسلمات العسكرية في الحرب تقول : عليك ان توقف الحرب ، حينما تصبح خسائرك أكبر من حجم الاهداف التي تريد تحقيقها ، أما السياسة فتوصي : لا تضح بامكانياتك المتبقية لك ، حين يوافق العدو على قبول اهدافك(٢٧) .

بناء على المسلمة العسكرية ذهب الامريكيون الى باريس التي ذهب اليها الفيتناميون الشماليون بناء على القاعدة السياسية المذكورة ، من اجل محادثات لوقف القتال في فيتنام . فقد ذهب الفيتناميون الى مائدة المفاوضات بعد ان تأكدوا ان ميزان القوى بينهم وبين عدوهم ، قد حسم لصالحهم ، ولن يستطيع اي مفاوض مهما كانت قدراته أن يصل الى اتفاق لا يعكس ثقل هذه الحقيقة ، بعد أن اضطروا الرئيس جونسون الى ان يعلن في ٣١ مارس (اذار) ١٩٦٨ استعداده للمفاوضة مع هانوي ، كما اعلن عدم تجديد مدة رئاسته .

وبناء على ذلك ، بدأت في العاصمة الفرنسية باريس في ١٣ مايو ١٩٦٨ أول جلسة في المفاوضات بين الولايات المتحدة الامريكية وجمهورية فيتنام الديمقراطية . وفي ٣١ اكتوبر (تشرين الاول) أعلن الرئيس جونسون موافقته على تحويل المحادثات الى محادثات رباعية ، وحدد لذلك يوم ٦ تشرين الثاني (نوفمبر) من نفس العام ، وأعلن وقف الغارات على شمال الفيتنام . ولكن هانوي رفضت ربط بدء المحادثات بوقف القصف . واصرت ان يكون وقف القصف غير مشروط . نبع موقف هانوى هذا من أن الذي يفرط في شيء بسيط في مجال المفاوضة ، يعطي فرصة لعدوه لان يطالبه بالمزيد من التنازلات .

ولم تبدأ المفاوضات الرباعية الا في ٢٥ يناير (كانون الثاني) ١٩٦٩ ، بعد وصول الرئيس نيكسون للرئاسة . أما كيسنجر فكان قد انتقد سياسة الرئيس جونسون تجاه المفاوضات الفيتنامية ، وذلك في كتابه « السياسة الخارجية الامريكية » ، فانتقد عقد المباحثات في شكل رباعي ، اعتبارا من ضعف مركز سايجون ، وأكد انه من العسير انهاء هذه الحرب التي طال مداها مرة واحدة وبحركة مسرحية ، وقال ان أمريكا لم تستطع اقامة بناء سياسي في فيتنام الجنوبية يقاوم الزحف الشيوعي عند سحب القوات الامريكية .

ووضع كيسنجر تصوره للحل على النحو الاتي :

« ١ — أن يتم الانسحاب على فترة طويلة نسبيا ، تكفل قيام نظام سياسي خالص ينمو وينجح في فيتنام الجنوبية ، وبحيث لا يؤدي ذلك الى ان يكون هذا الانسحاب ستارا يخفي وراءه سيطرة الشيوعيين على السلطة .

٢ — ان يتعهد الطرفان بعدم الالتجاء للعنف خلال فترة الانسحاب سعيا لتحقيق بعض اهدافهما .

٣ — أن يترك — بقدر الامكان — للفيتناميين الجنوبيين امر تحديد واختيار النظام السياسي الذي يلائمهم خلال المدة التي يتفق عليها للانسحاب »(٢٨).

هل كان يتوقع كيسنجر حين كتب هذا التصور ، ان الدور سيأتي عليه من اجل وضع تصوره موضع التنفيذ ! . على أي حال أصبح كيسنجر مستشارا للرئيس نيكسون لشئون الامن القومي ، وكانت المشكلة الفيتنامية أول المشاكل التي ورثها . ولم يأت اليوم الرابع من اغسطس (آب) ١٩٦٩ الا وكان كيسنجر يحضر بنفسه أول جلسة محادثات يعقدها هو مع ممثلي فيتنام الشمالية ، في باريس ، قبل ذلك بحوالي شهر ، اي في يوليو (تموز) كان الرئيس نيكسون قد قام برحلة في جنوب شرق آسيا ، أعلن خلالها تبني سياسة جديدة ، تقوم على سحب القوات الامريكية من فيتنام ، على أن يتحمل الفيتناميون عبء القتال .

وباختصار ، عندما جاء كيسنجر يفاوض الفيتناميين ، كان أمر الانسحاب الامريكي مبدأ مقررا ، ومفروغا منه ، على ان يتم هذا في « اسرع وقت ممكن ، وبأقل الخسائر الممكنة » .

واذا أسرع وقت يتحول على يد الساحر كيسنجر من يناير (كانون الثاني) ١٩٦٩ الى يناير (كانون الثاني) ١٩٧٣ ، اي أربع سنوات كاملة جرب خلالها كيسنجر أسلوبه المفضل بالمزاوجة بين القوة والمفاوضة ، مع التركيز على برنامج الفتنمة عن طريق تزويد جيش ثيو بأحدث الاسلحة ، وتوسيع نطاق المعارك بتوجيه ضربات الى معاقل الثوار في لاوس وكمبوديا ، وذلك لتصفية الثوار بشكل نهائي ، قبل اتمام سحب

القوات الامريكية من فيتنام . وفي نفس الوقت كانت المفاوضات في باريس تسير بسرعة السلحفاة . واكتشفت هانوي واكتشف الثوار حقيقة اهداف كيسنجر — نيكسون . وفي ربيع ١٩٧٢ شن الثوار هجومهم الواسع الذي اسقط سياسة « الفتنمة » واثبت لامريكا ان تحديد مصير المنطقة ليس بيدها .

وفي مايو (أيار) ١٩٧٢ ، توقفت محادثات باريس ، ولم تستأنف الا في ١٣ يوليو (تموز) بعد وساطة بكين وموسكو .

لم يشن الثوار هجومهم عبثا ، لقد احسنوا استغلال الجو الدولي السائد وقتذاك ، منذ بداية عام ١٩٧٢ ، حينما زار نيكسون كلا من بكين وموسكو ، واصبحت سياسة واشنطن على اعقاب مرحلة جديدة تبحث فيها عن « الوفاق » مع القوى الكبرى الاخرى . وفهم الثوار الفيتناميون من ذلك ، ان امريكا ستحتاج الى فترة تحرص فيها على عدم اغضاب كل من بكين وموسكو . وبحساب دقيق ، حدد الثوار تاريخ الهجوم ، وهم متأكدون ان بكين وموسكو لا بد ان تضغطا — بشكل او اخر — على واشنطن ، من اجل العودة الى المفاوضات .

وكان النصف الثاني من عام ١٩٧٢ عبارة عن سباق عنيف بين الجانبين ، الامريكي والفيتنامي [هانوي والثوار] من أجل تحقيق أفضل موقف في أرض المعارك ، ليفرض نفسه فوق مائدة المفاوضات ، وفي الاتفاق الذي سيتم الوصول اليه .

وكانت الشهور الثلاثة الاخيرة من العام ١٩٧٢ نموذجا مجسما للماطلة الكيسنجرية في كسب الوقت . ففي ٢٦ اكتوبر (تشرين الاول) أعلنت هانوي بيانا هاما احتوى الوقائع التالية :

- قدمت حكومة هانوي في ٨ اكتوبر (تشرين الاول) مشروع اتفاقية سلام في محادثات باريس . وعرضت هانوي الخطوط العريضة لهذا المشروع المقترح .
- وافقت الولايات المتحدة على مشروع الاتفاق .
- اقترحت هانوي ان يتم التوقيع على الاتفاق في منتصف اكتوبر (تشرين الاول) .
- في ٢٠ اكتوبر (تشرين الاول) اقترحت امريكا ان يكون التوقيع على الاتفاق في ٣١ اكتوبر (تشرين الاول) .
- في ٢٢ اكتوبر (تشرين الاول) تم التوصل الى النص النهائي للاتفاق بعنوان « الاتفاق الخاص بانهاء الحرب واعادة السلام في فيتنام » .
- عاد الجانب الامريكي في ٢٣ اكتوبر (تشرين الاول) واشار الى وجود صعوبات مع حكومة سايجون ، وطلب مهلة للتغلب على هذه الصعوبات(٢٩) .

واتهمت حكومة هانوي الولايات المتحدة بالماطلة والتراجع . ولم تجد واشنطن بدا من الاعتراف بصحة البيان الذي أعلنته هانوي . وقال كيسنجر « ان السلام أصبح في متناول اليد » . ومع ذلك تأخر توقيع الاتفاق ثلاثة شهور كاملة ، استغلتها واشنطن في امداد حكومة ثيو بأسلحة ومئونة اضافية ، تقدر بمليار دولار . وكانت سايجون خلال ذلك تتلقى ٧٠٠ طن من المواد الحربية ، كما تسلمت مئات من الطائرات المقاتلة(٣٠) .

وكان هدف نيكسون وكيسنجر من هذه الماطلة هو « ضمان بقاء حكومة ثيو لفترة كافية من الزمن يمكن ان تمتد في اعتقادهما الى عام ١٩٧٧ »(٣١) ولذلك عمل كيسنجر على أن يتم الاتفاق الذي وقع في ٢٧ يناير (كانون الثاني) عددا من الثغرات التي

تستطيع حكومة سايجون استغلالها في اطالة امد بقائها . فلم ينص الاتفاق على تنازل ثيو عن الرئاسة ، بل قسم التسوية الى مرحلتين : الاولى هي وقف العمليات الحربية وسحب قوات امريكا وحلفائها من فيتنام ، وتضمنت المرحلة الثانية تسوية المشاكل السياسية في فيتنام الجنوبية ، وحل مسألة اعادة توحيد شطري الفيتنام(٣٢) . ولم يكن الهدف من ذلك الا خلق وسائل للتسويف والمماطلة في تطبيق الاتفاق .

وفي فيتنام ، كانت هانوي وكان ثوار الجنوب في حاجة الى مرحلة يستطيعون خلالها تدعيم مواقعهم وسد الثغرات في صفوفهم العسكرية . ووجدوا في اتفاقية باريس وسيلة لتحقيق ذلك . وكانوا موقنين ان اتفاق باريس ليس الا مرحلة من نضالهم الطويل ، وان موقف امريكا لن يختلف كثيرا عن موقفها من اتفاقية جنيف في عام ١٩٥٤ . واعتبر الثوار الاتفاقية مجرد مساومة تكتيكية تتضمن في نفس الوقت نجاحا استراتيجيا لهم .

وبدأت علامات المماطلة والارجاء بعد توقيع اتفاقية باريس مباشرة . فقد صرح هوا غ دوك نها كبير مستشاري ثيو وابن اخيه ، بعد الاتفاق بخمسة ايام فقط بأنه لن تجري انتخابات مع الشيوعيين والمحايدين ، طالما يوجد جندي فيتنامي شمالي واحد في فيتنام الجنوبية(٣٣) .

وبدأت حكومة ثيو عمليات عسكرية خرقا للاتفاق ، وبعد عام من الهدنة ، كانت سايجون قد استولت على ١٥ ٪ من الاراضي اكثر مما كانت تشرف عليه وقت توقيع اتفاقية باريس ، وقابل البيت الابيض ذلك بدهشة وغبطة ، فرحا بنجاح « فتنمة الحرب »(٣٤) وفي ابريل (نيسان) ١٩٧٤ ، قطعت حكومة سايجون المحادثات مع الحكومة الثورية المؤقتة حول مستقبل البلاد السياسي ، ثم امتنعت بعد شهرين من التعاون في اللجنة العسكرية التي نصت عليها الاتفاقية .

وغضت واشنطن الطرف عن خرق ثيو لاتفاقيات باريس ، بل ساعدته في ذلك ، واصمت اذنيها عن دعوات الحكومة الثورية المؤقتة وحكومة هانوي لها ، بتنفيذ التزاماتها بتطبيق الاتفاقية .

واستقال نيكسون وجاء فورد . ولم تتغير سياسة امريكا تجاه فيتنام . فقد كان كيسنجر منذ مارس (آذار) ١٩٧٤ هو المخطط والمنفذ الفعلي لسياسة امريكا الخارجية ، بعد تضعضع مركز نيكسون بسبب فضيحة ووترغيت .

وحصلت حكومة ثيو من امريكا على معونة عسكرية واقتصادية بلغت حوالي ٤ مليارات من الدولارات خلال عامي ١٩٧٣ و ١٩٧٤(٣٥) . ورغم ذلك ، قال كيسنجر : « يمكن توجيه اللوم الينا لاننا خفضنا مساعداتنا الى حد كبير خلال السنتين الماضيتين »(٣٦) . وحتى اليوم السابق على تحرير سايجون ، كان الامريكيون يرسلون الاعتدة والذخائر لجيش ثيو(٣٧) . ولكن هذا لم يمنع الثوار من التقدم لتحرير سايجون لتحمل الاسم الخالد لاشرف اسم بين المناضلين في هذا العصر ، هو شي مينه ، او العم هو ، الذي تألق اسمه فوق « اعظم » هزيمة لحقت بأمريكا في تاريخها ، وفوق خيبة امهر قادتها العسكريين ، وفوق فشل عبقرية العزيز هنري وسياسته في الفتنمة ، ودبلوماسيته في المماطلة ، وكسب الوقت ، التي كانت قمتها هي الوعود التي منحها نيكسون لثيو بتوجيه ضربة امريكية قاسية الى فيتنام الديمقراطية اذا هاجمه الثوار . وكان هذا هو السبب وراء تعنت ثيو ورفضه لتنفيذ اتفاقية باريس .

ولم يكن كيسنجر ليتصور ان كل امجاده التي بناها في باريس حول فيتنام ، وحصل

من اجلها على نصف جائزة نوبل للسلام ، ستضيع بهذه السرعة ، وتضيع معها وعوده لجمهورية فيتنام الديمقراطية بمساعدتها في اعادة البناء وتعمير ما ضربته الحرب ، فقد سعى كيسنجر لاستخدام المعونة الاقتصادية لاغراء فيتنام الديمقراطية بقبول الامر الواقع ، والقناعة بجنات السلام الامريكي . وهو نفس المسعى الذي يقوم به لدى بعض عواصم الشرق الاوسط . فبعد توقيع اتفاقية باريس ، زار كيسنجر منطقة جنوب شرق اسيا ، وتوجه الى هانوي ، وناقش مع زعمائها تقديم المعونة لهم ، التي قدرت يومئذ بحوالي ٢ر٥ مليار دولار . واعلن كيسنجر ان اعادة البناء حافز قوي للتطور السلمي في فيتنام(٣٨). ولكن الذين ناضلوا من اجل الحرية والاستقلال ، ودفعوا في سبيلهما اغلى ثمن من الارواح والضحايا ، لم يكونوا مستعدين لرهن الحرية والاستقلال مقابل مبالغ معدودة ، ملايين من الدولارات ، تكون حصان طروادة او مسمار جحا لمواصلة النفوذ الامريكي في المنطقة .

وفي غمرة الضيق الذي اعترى كيسنجر لتحرير سايجون ، لم يتمالك نفسه عن كشف وفضح اسلوبه في الاعتماد على المعونة الاقتصادية للحصول على مكاسب سياسية ، اذ اعلن ان امريكا لن تقدم مساعدات لتعمير فيتنام الديمقراطية(٣٩).

وكان ذلك كل ما استطاع كيسنجر ان يهدد به ، بعد أن ضاع منه الرهان على كسب الوقت ، اضاعه منه الفلاح الفيتنامي البسيط ، الذي اثبت انه مفاوض « شرس » لا تقل قدرته على المفاوضة عن كفاءته في ميدان القتال .

وبينما كان المواطن الفلسطيني يحيي تحرير سايجون رافعا شعار « اليوم فيتنام وغدا فلسطين » ، كانت صحف اسرائيل تقول ان تطور الاحداث في فيتنام لا يدانيه في خطورته سوى اجتياح النازي لاوروبا في اواخر الثلاثينيات . بينما تساءلت صحيفة « معاريف » عما اذا كانت الولايات المتحدة ستتعلم من اخطائها ، بحيث لا تحاول اضعاف اسرائيل خلال اعادة تقييم سياستها في الشرق الاوسط ، في الوقت الذي تمثل فيه اسرائيل الحليف الوحيد لامريكا في المنطقة(٤٠).

واذا كانت امريكا مطالبة بأن تتعلم من اخطائها في فيتنام ، فان القوى الوطنية والثورية العربية ملزمة بأن تستفيد من أخطاء امريكا في فيتنام ، وملزمة بأن تتعلم الكثير من درس النضال الفيتنامي ، حتى على مائدة المفاوضات ، وفي مواجهة الساحر العزيز هنري !

سيناريو المماطلة الكيسنجرية في الشرق الاوسط : استهدفت دبلوماسية كيسنجر في فيتنام الوصول الى انقاذ امريكا من ورطتها بواسطة سحب جيشها بشكل مشرف من ناحية ، وتدعيم حكم ثيو من ناحية اخرى حتى تكون هناك أكبر مسافة زمنية ممكنة بين الانسحاب الامريكي وبين سقوط حكم ثيو ، بمعنى منع فيتنام الجنوبية من « الوقوع » في يد قوات جبهة التحرير لاطول مدى ممكن . وكانت هذه الاهداف هي دوافع المماطلة الكيسنجرية . وفي الشرق الاوسط ، اشرنا ، من قبل ، الى اهداف كيسنجر من محاولة كسب الوقت .

وسبقت الاشارة من قبل ايضا الى ان عجز امريكا عن تحقيق نصر عسكري في فيتنام ، كان المحرك والدافع لسعيها الى تسوية المشكلة الفيتنامية . وهنا نتساءل ما هو هذا الدافع في الشرق الاوسط الذي حدا بكيسنجر على العمل لتسوية المشكلة ؟

على أي حال ، ورغم جزئية النصر العربي في حرب اكتوبر (تشرين الاول) الا أنه فاجأ كيسنجر ، واضطره الى ان يعدل — ولا يغير — في بعض تكتيكاته ، مع احتفاظه

بنفس الاهداف التي كان قد حددها لنفسه قبل ان تندلع شرارة الحرب ، التي اثبتت وأكدت حقيقة معروفة من قبل ، وهي عجز اسرائيل بامكاناتها وقدراتها الذاتية ومدعومة بأحدث الاسلحة الامريكية ، عن الصمود لحرب عربية طويلة المدى نسبيا .

وبناء على هذا ، عمل كيسنجر اولا على تهيئة الظروف التي تضمن لاسرائيل ان لا تلحق بها هزيمة عربية حاسمة ، وعمل ثانيا وفي نفس الوقت على تعطيل وارجاء اي حرب عربية — اسرائيلية قادمة ، وبنى كيسنجر ذلك على توقعه بأن أي حرب قادمة بين العرب واسرائيل ستقود في النهاية الى انسحاب اسرائيلي من الاراضي العربية المحتلة يكون اقل ملاءمة لمطالب واحتياجات واهداف اسرائيل من شروط انسحاب معين نتيجة لحرب اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٣(٤١) .

وقد كشف كيسنجر في بعض تصريحاته عن هذا التصور . ففي اجتماع له مع سبعة من ابرز المثقفين اليهود الامريكيين قبل أول جولة له في عواصم الشرق الاوسط ، قال كيسنجر : « لا بد ان نعترف بان العرب هم المنتصرون في حرب اكتوبر (تشرين الاول) . ان اسرائيل قد كسبت الحرب تكتيكيا ، ولكنها خسرتها استراتيجيا ... ان العرب هم الذين سيكسبون اذا استمر الصراع ، وليس هذا فقط ، بل انهم كسبوا اكثر مما يدركون حتى الان ، والاسرائيليون لن يكسبوا من اي تأجيل للمفاوضات .. » وتحدث كيسنجر في هذا الاجتماع عن ضرورة دفع اسرائيل الى السلام مع العرب(٤٢) .

وقال كيسنجر ايضا : « ان اسرائيل بجميع ما تستطيع ان تعطيها امريكا اياه من دعم ، اذا استمرت امريكا في عدائها مع العرب ، فأقصى ما تستطيع ان تطمح اليه هو أن تكون تايوان اخرى . اما اذا عدلت امريكا سياستها واستمالت العرب ولطفت من المطالب العربية ، عندئذ يصبح لاسرائيل قدرة على الوجود الطبيعي العادي في الشرق الاوسط »(٤٣) .

وبناء على حسابات كيسنجر لقوة العرب المتزايدة نصح اسرائيل بانه من الافضل لها « ان تنسحب نحو السلام — عندما تحين الفرصة المناسبة لذلك ، بدلا من المخاطرة »(٤٤) . وتبعا لذلك تحرك كيسنجر ليكسب الوقت من اجل اتاحة الفرصة المناسبة لاسرائيل كي تنسحب نحو السلام ، مع اعطاء العرب « قليلا » من اجل تشجيعهم على الاستمرار في السياسة المعتدلة(٤٥) .

وقد جاءت كل تحركات كيسنجر وخطواته القصيرة منذ حرب اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٣ لتضع هذا التصور موضع التطبيق ، بحيث كانت اسرائيل — وامريكا — هي الرابح الاول والمستفيد الاكبر — حتى الان — من كل انجازات كيسنجر في الشرق الاوسط ، التي تقود العرب على طريق الاعتراف بشرعية وجود اسرائيل — كما تبين التطورات الاخيرة — دونما اي التزام باعادة الاراضي العربية المحتلة ، فضلا عن الاعتراف بحقوق شعب فلسطين .

ولسنا في حاجة هنا الى رصد سيناريو التحركات الكيسنجرية بالكامل ، منذ حرب اكتوبر (تشرين الاول) حتى الان . فقد استغرقت عملية زحزحة اسرائيل عدة كيلومترات على قناة السويس وفي الجولان ، حوالي العامين . والله وحده هو الذي يستطيع ان يعرف متى ستتحرر جميع الاراضي العربية المحتلة اذا اتيح لكيسنجر البقاء في السلطة ومد من عمره حتى يتحقق هذا ! حتى تتم « التسوية النهائية قبل عودة المسيح المنتظر بقليل » على حد تعبير الزعيم الصهيوني المعروف ، ناحوم جولدمان .

والموقف من الشرق الاوسط الان يكاد يشابه ، في بعض ابعاده وجوانبه ـــ الموقف في فيتنام ، قبل ان يشن الثوار هجومهم الاخير الذي انتهى بتحرير سايجون ، مع فارق اساسي هو ان العزيز كيسنجر لا يزال قادرا على اغراء الحاكمين العرب بالمزيد من الانتظار ، واعطائه مهلة ثانية وثالثة ، مرة تحت ستار العمل على ترويض العناد الاسرائيلي ، او التذرع بالظروف الداخلية الامريكية ، ومرة اخرى بدعوى اعادة تقويم سياسة امريكا الخارجية(٤٦)، ولم تنفد بعد قدرات الامريكان على صك عبارات رنانة تكون ستارا لمزيد من التهدئة ، والانتظار ، والسير على طريق السلام الامريكي في المنطقة ، وهو سلام اذا تحقق لن يعود بالفائدة الا على امريكا واسرائيل ، ولن يعود بالضرر الا على العرب ، سواء في ذلك من يسيرون مع كيسنجر خطوة خطوة او من يرفضون كل خطوات كيسنجر .

ولا شك ان كيسنجر قد ربح اكثر من جولة في الشرق الاوسط . ويبدو انه سيربح جولات اخرى ، على طريق التهدئة وتهيئة العرب لقبول الوجود الاسرائيلي ، والدوران في الفلك الامريكي .

هذا هو الواقع القائم اليوم . ولكن مسرح الاحداث في الشرق الاوسط مفتوح من القاع وعند القمة لكل الاحتمالات .

ولكن أرجح الاحتمالات الان ان تخرج عملية اعادة تقييم سياسة امريكا الخارجية ، ببعض أحجار تلقيها الى العرب ، مثل عدم تصدير أسلحة جديدة الى اسرائيل ، وتعليل ذلك ان اسرائيل اصبح لديها ما يكفيها من سلاح وذلك طبقا للجنة القوات المسلحة في مجلس النواب الامريكي التي زارت المنطقة في هذا العام .

والراجح ايضا ، انه نتيجة للقاء فورد مع الرئيس السادات في سالزبورج ومع رابين في واشنطن خلال شهر يونيو (حزيران) أن يتم استئناف نشاط كيسنجر ، ولكنه في هذه الحالة ، وحتى اجراء الانتخابات الامريكية لمنصب الرئاسة في العام القادم لن يحقق ـــ اذا حقق ـــ اكثر من فصل جديد للقوات في سيناء(٤٧) .

وربما لا تخرج عملية اعادة تقييم السياسة الامريكية الا بعدة وعود وكلمات رنانة وشعارات عن الحاجة الى سياسة متوازنة او منصفة وغير ذلك ، وحتى اشعار آخر ، بعد الانتخابات الامريكية ، فمن التقاليد الامريكية المعروفة انه لا تتخذ خطوة أساسية في مجال السياسة الخارجية في سنة الانتخابات . وهذا الاحتمال يصبح واردا بشكل اكبر من قبل رئيس غير منتخب ويسعى لترشيح نفسه ، ويواجه معارضة قوية من الكونجرس .

وعلى أي حال ، وأيا كانت التطورات ، فان الشهور القادمة ستكون حاسمة بالفعل في تحديد مسار التطورات على المدى البعيد .

---

١ ـــ برين كروزير : الاستخدامات الاستراتيجية للحرب الثورية ، نقلا عن : هانسون ابلدوين : استراتيجية للغد ، ترجمة الدكتور محمود خيري بنونه ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٧٢، ص ٣٠ . ليس معنى ذلك الدعوة الى نقل أساليب الكفاح الفيتنامي لتطبيقها في التجارب الاخرى ، الاستفادة واردة بالطبع . ولكن النقل الحرفي ليس واردا . فلكل تجربة ، ومنطقة ، ظروفها الخاصة ، التي يجب ان تؤخذ المبادىء العامة على ضوئها .

٢ ـــ مجلة شبيجل الالمانية : الحرب التي خسرتها امريكا ، ١٤ ابريل (نيسان) ١٩٧٥ . يجب القول منذ الان ان جميع الاشارات والاقتباسات الواردة في هذه الدراسة من الصحف الاجنبية ،

قد اعتمدنا في ترجمتها على « جريدة الجرائد العالمية » التي تصدر في القاهرة عن الهيئة العامة للاستعلامات ، بوزارة الاعلام ، ومن أجل تجنب الاطالة لن أحيل الى ارقام جريدة الجرائد وتواريخ العدد الذي أقتبس منه ، وسأكتفي بتاريخ صدور الصحيفة او المجلة الاجنبية . وفي الحالات التي لم أعتمد فيها على جريدة الجرائد ، سأذكر ذلك .

٣ — لمزيد من التفاصيل ، انظر الدكتور حامد عبدالله ربيع: سلاح البترول والصراع العربي — الاسرائيلي ، المؤسسة العربية للدراسات ، بيروت ١٩٧٤ ، ص ٤٠—٤٢ ، وقد بلور كيسنجر نفسه أسلوبه هذا ، فقال في الجمعية العامة للامم المتحدة في ٢٣ سبتمبر (ايلول) ١٩٧٤ : « ان فن المفاوضة هو تحديد أهداف يمكن تحقيقها ضمن وقت محدد ، وبلوغ هذه الاهداف بتصميم ، وكل خطوة الى الامام تعدل تصورا قديما ، وتوجد وضعا جديدا يحسن فرص الوصول الى تسوية شاملة .. » ، نقلا عن « الحوار العربي — الامريكي منذ حرب تشرين ، دار النهار ، بيروت ، نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٤ ، ص ١٣٢ .

٤ — الدكتور سعد الدين ابراهيم : كيسنجر ، مدخل لدراسة شخصيته واسلوبه ، قضايا عربية ، العدد ٧ ، نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٤ ، ص ٧١ .

٥ — أنظر نشرة وكالة الانباء الفرنسية (و . ا . ف) في ٥ حزيران (يونيو) ١٩٧٥ ، حول تصريحات الدوائر السياسية في القدس عن التعهد المصري ، ثم قول الوكالة : « ان المراقبين يعتقدون ان الرئيس السادات قد اخذ هذا التعهد على نفسه ، ضمن تعهدات اخرى تجاه البيت الابيض » واشارت الوكالة نفسها في اليوم نفسه الى ان روبرت نيسن المتحدث باسم وزارة الخارجية الامريكية قد أعلن — ردا على الاسئلة الخاصة بأن «مصر أعطت اسرائيل ضمانا كتابيا ينص على السماح للسفن الاسرائيلية بالمرور في قناة السويس » — أعلن ان مضمون بعض بنود اتفاقيات الفصل بين القوات التي وقعت في يناير (كانون الثاني) من العام الماضي لا يزال سريا . (ومن المعروف ان متحدثا رسميا مصريا نفى ذلك) .

٦ — كيسنجر : الاسلحة النووية والسياسة الخارجية ، ص ٢٠١ ، نقلا عن فرجينيا برودين ومارك سلدن : « السر المعروف ، مبدأ نيكسون وكيسنجر في آسيا » ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ١٩٧٤ ، ص ٢٧ .

٧ — المصدر نفسه .

٨ — فرجينيا برودين ومارك سلدن: السر المعروف، مصدر سابق ، ص ٣١ .

٩ — الدكتور سعد الدين ابراهيم : كيسنجر ، مصدر سابق ، ص ٦٧—٦٩ .

١٠ — المصدر نفسه ، ص ٥٩ .

١١ — المصدر نفسه ، ص ٦١ .

١٢ — الدكتور حسين شريف : مفهوم السياسة الخارجية الامريكية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٣ ، ص ٩ .

١٣ — ادوارد شيهان : الحرب التي شنها السادات ، مجلة نيويورك تايمز ، ١٨ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٣ ، نقلا عن مجلة « السياسة الدولية » السنة العاشرة ، العدد ٣٥ ، يناير (كانون الثاني) ١٩٧٤ ، ص ٢٢٣ .

١٤ — محمد حسنين هيكل: حرب رمضان، الاهرام ١٢ مايو (مايو) ١٩٧٥ . وكان هيكل قد روى هذه القصة من قبل على صفحات الاهرام في مقال بعنوان « كيسنجر .. وانا » ، وكان ذلك بمناسبة الرد على بعض الصحفيين السلطويين الموتورين من هيكل ، والذين حاولوا ان ينالوا منه باتهامه بأنه يصور نفسه دائما في منصب الرجل الذي يقابل الزعماء ويتحدث الى المسئولين، ويعطي نفسه أكثر من قيمتها .

١٥ — المصدر نفسه .

١٦ — المصدر نفسه .

١٧ — الحوار العربي — الامريكي، مصدر سابق، ص ١٣٧ .

١٨ — هانتسوفيه : مناورات متواصلة يقوم بها كيسنجر ، ١٩٧٥/٤/٢٣ .

١٩ — سياسة الخطوة خطوة ليست وليدا شرعيا للدكتور كيسنجر ، انها أصلا سياسة امريكية ، عبر عنها مثلا الدكتور روجر فيشر استاذ القانون الدولي في جامعة هارفارد في كتابه « أعزائي الاسرائيليين أعزائي العرب » . أنظر شفيق

الاسدي : « ماذا بعد فشل سياسة الخطوة خطوة ؟ » ، صوت فلسطين ، السنة السابعة ، العدد ٨٨ ، ايار (مايو) ١٩٧٥ ، ص ٢٤ ، وانظر ايضا :
Reisman, The art of possible, the diplomatic alternatives in the Middle East, 1970.

٢٠ — انظر وجهة نظر قريبة من ذلك :
Alstair Buchan: The Irony of Henry Kissinger. International Affairs (London), Vol. 50, No. 3, July 1974, p. 378-379.

٢١ — جون ريداواي : برنامج سلام جديد للشرق الاوسط ، الجارديان ، ١٩٧٥/٤/٢٥ .

٢٢ — المصدر نفسه .

٢٣ — يديعوت أحرونوت ، ١٩٧٥/٢/٧ ، نقلا عن قضايا اسرائيلية ، السنة الثانية ، العدد ١١ ، ٢٠ فبراير (شباط) ١٩٧٥ ، ص ١١٢ .

٢٤ — صحيفة « نهان دان » الفيتنامية ، نقلا عن وكالات الانباء في ١٩٧٥/٣/٢٤ ، وقد أطلقت الصحيفة على دبلوماسية كيسنجر « دبلوماسية التفرقة » . ولا ينبيك مثل عليم .

٢٥ — نقلا عن ميشيل كامل : خطة « التقارب المتوازن » بين العرب واسرائيل ، السفير ، ١٩٧٥/٥/٣٠ .

٢٦ — محمد حسنين هيكل : حرب رمضان ، الاهرام ، ١٩٧٥/٥/١٢ .

٢٧ — ميشيل كيلو : «نقاش حول دروس فيتنام» ، صوت فلسطين ، مصدر سابق ، ص ٢٢ .

٢٨ — الدكتور حسين شريف : مفهوم السياسة الخارجية الامريكية ، مصدر سابق ، ص ٨٨ .

٢٩ — عبد العزيز العجيزي : التسوية السياسية والتسوية العسكرية لحرب فيتنام ، السياسة الدولية ، السنة التاسعة ، العدد ٣١ ، يناير (كانون الثاني) ١٩٧٣ ، ص ١١٢ — ١١٣ .

٣٠ — Trinh Dinh Thao: The Paris Agreement is Two Years Old. South Viet Nam (Central Organ of N.F.L.), 9th year, No. 285, 27 Jan. 1975, p. 4.

٣١ — الاكسبرس (الفرنسية) ١٣/٧ ابريل (نيسان) ١٩٧٥ .

٣٢ — عبد العزيز العجيزي : الصراع السياسي في فيتنام بعد اتفاقية السلام ، السياسة الدولية ، السنة التاسعة ، العدد ٣٢ ، ابريل (نيسان) ١٩٧٣ ، ص ١٣١—١٣٢ .

٣٣ — مجلة شبيجل (المانية) ، ١٩٧٥/٤/١٤ .

٣٤ — المصدر نفسه .

٣٥ — مجلة شبيجل ، مصدر سابق .

٣٦ — كيسنجر في حديث صحفي الى «الاكسبرس» الفرنسية ، نقلا عن الاهرام ١٩٧٥/٤/٢٥ .

٣٧ — مركز التخطيط في منظمة التحرير الفلسطينية : فيتنام رمز انتصار الانسان ، السفير ١٩٧٥/٥/٢٢ .

٣٨ — عبد العزيز العجيزي : الصراع في فيتنام بعد اتفاقية السلام ، مصدر سابق ، ص ١٣٩ .

٣٩ — الجمهورية (القاهرة) اول مايو (أيار) ١٩٧٥ .

٤٠ — الاهرام ، اول مايو (ايار) ١٩٧٥ .

٤١ — عبر عن هذه الحقيقة الكاتب الاسرائيلي دافيد شوحام في « يديعوت أحرونوت » بتاريخ ١٩٧٥/٤/٢١ فقال : « اذا انتظرنا أربع سنوات اخرى ، سيكون المقابل الذي نحصل عليه أصغر من الذي نحصل عليه الان » ، انظر فلسطين الثورة ، السنة الثالثة ، العدد ١٤٣ ، ١٨ مايو (أيار) ١٩٧٥ ، ص ٣١ . ويجب ان نلاحظ ان كيسنجر بنى حساباته على أساس وقوع حرب ، وليس على مجرد الانتظار كما يرى شوحام !

٤٢ — أيمن الامير : كيسنجر في مواجهة أصعب تحديات تاريخه السياسي ، الاهرام ، ١٩٧٥/٣/١٤ .

٤٣ — الدكتور فايز صايغ في ندوة عن « السياسة الامريكية تجاه القضية الفلسطينية » ، شؤون فلسطينية ، العدد ٣٧ ، سبتمبر (ايلول) ١٩٧٤ ، ص ٣٠ .

٤٤ — معاريف ، ١٩٧٥/٢/٢١ ، نقلا عن « قضايا اسرائيلية » ، السنة الثانية ، العدد ١٢ ، ١٩٧٥/٣/٦ ، ص ١٥٣ .

٤٥ — الدكتور فايز صايغ ، مصدر سابق .

٤٦ — اعادة تقويم السياسة الخارجية ، مطلب : ليس حديثاً في امريكا ، فقد تردد منذ سنوات ، وبالذات في أعقاب اغتيال كنيدي ، والفشل في خليج الخنازير من قبل ، ثم التدخل في فيتنام . وبالنسبة للوطن العربي ، انظر على سبيل المثال ، جون بادر : الموقف الامريكي تجاه العالم

العربي ، الهيئة العامة للاستعلامات ، وزارة الارشاد القومي (الاعلام حاليا) ، سلسلة كتب مترجمة رقم ٦٩٢ ، القاهرة ، بدون تاريخ خاصة الفصل الاخير الذي يدعو فيه صراحة الى الحاجة الى سياسة متوازنة بين العرب واسرائيل .

٤٧ — حتى هذا الاحتمال ، يبدو انه لم يعد واردا في تفكير كيسنجر الذي يعتبر ان كل شيء هادىء الان على ضفاف القناة ، فقد نسب اليه انه قال خلال مهمته الاخيرة في مارس (آذار) ١٩٧٥ « ان المدن والصناعات المصرية التي ستنشأ على طول القناة ، من الممكن ان تضمن الامن في المنطقة ، وسوف تعمل على اقرار هدنة في شكل سلام دائم » . دينو فرسكوبالدي: « الامة العربية الجديدة ... تعبر السويس »، كوريرا ديلا سيرا (ايطالية) ، ١٩٧٥/٥/٩ ، وقد ردد موشي ديان تصريحا مشابها لذلك فقال: « ان قناة السويس مفتوحة امام الحركة المدنية، كما ان مدن القناة المكتظة بالسكان ، أمر هام للغاية لامن اسرائيل ، لانه يشكل دعما أقوى من خط بارليف » ، هآرتس ، ١٩٧٥/٥/٢١ .

صدر حديثـــا عن مركز الابحاث

كتـــاب

كفاح الشعب الفلسطيني

قبل العام ١٩٤٨

بقـــلم

عبد القادر ياسين

سعر النسخة ٣ ل.ل. تضاف اليها اجور البريد

اطلب نسختك من : مركز الابحاث ، قسم التوزيع

ص.ب ١٦٩١ — بيروت

المقاومة واستراتيجية التمزيق النفسي

عبد الرحيم غنيم

الاستراتيجية كما يعرفها الجنرال سوكولوفسكي « أسلوب للمعرفة النظرية يهتم بقوانين الحرب كصراع مسلح من أجل مصالح طبقة معينة ، وعلى أساس مستمد من الخبرة العسكرية والظروف السياسية والعسكرية والامكانات الاقتصادية والمعنوية ، والاساليب الجديدة لادارة الحرب ، ووجهات نظر العدو المنتظر »(١). فهي اذن تتطلب شمولية في الحسابات التي تضم الخبرة والظروف والامكانات والاساليب والاحتمالات ، كل ذلك في نطاق ما أسماه اندريه بوفر بـ « فن حوار القوى » أو « فن حوار الارادات التي تستخدم القوة لحل خلافاتها »(٢) أو ما أسماه ترونغ شين بـ « فن قيادة الحرب الى النصر »(٣).

من الواضح في ضوء هذا التعريف ان دور العامل النفسي « المعنوي » هو دور جزئي ، ولا يستطيع بالتأكيد النهوض وحده كأداة لقيادة الحرب الى النصر . وهـذا طبيعي ، اذ ان عامل التأثير النفسي انما يستمد أهميته في الحرب من القوى المادية التي يستند اليها . كما أن اهميته تقاس بمدى ما يترتب عليه من تأثير مادي .

الا ان هناك فرضية نستطيع ان ندير حولها الجدال بصـدد الصراع العربي ـ الصهيوني بالذات وهي ان عنصر التأثير النفسي يمكن ان يرتقي في هذا الصراع من مسـتوى اداء دور العامل المساعد الى مستوى العنصر ذا التـأثير الاستراتيجي الحاسم . وان ارتقاءه الى هذا المستوى يتوقف على شرط رئيسي ـ بالاضافة الى المستلزمات الضرورية لادارة الحرب النفسية ـ وهو توافر طاقة الدفاع والردع العربية . واثبات هذه الفرضية ، من شأنه ان يقود الى استنتاجات بالغة الاهمية فيما يتعلق بالدور العسكري والسياسي للمقاومة الفلسطينية ، والابعاد الخاصة لتجربتها النضالية، ودورها في نطاق الاستراتيجية العربية الشاملة للتحرير. فدورها في الصراع لن يحسب في مثل هذه الحالة على أساس قياس تطور ميزان القوى الفعلي في الصراع، وفق الحسابات المعتادة للقوى والوسائط وفن ادارة الحرب ، وانما سيحسب على أساس مدى قدرتها على اغراق العدو في دوامة التمزق النفسي ، والنتائج المادية لذلك.

ان الاساس الذي تعتمد هذه الفرضية عليه هو حجم تأثير العامل النفسي في اقامة الكيان الصهيوني في فلسطين واستمراريته . فالكيان الصهيوني « اسرائيل » هو نتاج للايديولوجيا الصهيونية (فكرا وحركة) ، وقد اعتمدت الايديولوجيا الصهيونية عـلى مرتكزات اساسية ثلاثة هي : وهم القومية اليهودية ، ودعوى اضطهاد السامية ، والنظرة اليهودية النفعية ، كعناصر متكاملة فكرية ونفسية ومادية ، تبرر الاغتصاب لاقامة « الوطن القومي اليهودي » الذي يكون ملجأ آمنا لليهود وقاعدة اسـتثمار أمبريالي وتوسع اقليمي(٤).

ان استمرار ممارسة الايديولوجيا الصهيونية لدورها الذي تفترضه تلقائية التأثير

السابق الاشارة اليها ، يتطلب شرطا أساسيا ، هو استمرار التفوق الصهيوني المطلق على العرب ، بما يكفل بقاء اسرائيل التي تعيش في حالة توتر تجسيدا أكيدا موثوقا من قدرته على البقاء لوهم القوميه اليهوديه وملجا امنا أكيدا لليهود وقاعدة استيطان وتوسع وتغلغل اقتصادي قادرة على اداء دورها في خدمة الامبريالية . فاذا خسرت اسرائيل حالة التفوق ، واصبحت عبئا بدلا من ان تكون مغنما ، تهاوت ميكانيكية العمل والفكر الصهيونيين ، ودخلت الصهيونية حتما مجال الانهيار .

ومطالعة صورة الوضع الذي خلفته حرب تشرين التحريرية ، تؤكد ان الصهيونية قد دخلت بالفعل مرحلة الجزر بعد المد ، مرحلة النكوص بعد الاندفاع . ان عامل « التوتر الامني » الذي كان عنصر توحيد وحشد لليهود بمواجهة العرب والعالم في ظروف التفوق الاسرائيلي على العرب ، قد تغير مدلوله اثر حرب تشرين ، وبعد اختلال توازن القوى في المنطقه لصالح العرب ، فاصبح ارضيه قلق واسع يغمر التجمع الاسرائيلي والحركة الصهيونيه . وتقدم لنا المصادر الصهيونية ذاتها تاكيدا لهذه الحقيقة . ففي دراسة اجراها معهد الابحاث الاجتماعية للتطبيقات العملية بالاشتراك مع معهد العلاقات في الجامعة العبرية تبين ان ٨٦٪ من الاسرائيليين قلقون من الوضع الامني و٨١٪ قلقون من الوضع الاقتصادي و٨٢٪ قلقون من الوضع السياسي .

فما هي التأثيرات المادية لحالة القلق هذه ، التي هي من نتاج حرب تشرين وشكل تطور العمل الفدائي في الفترة التي اعقبتها ؟ ان دراسة التأثيرات المادية لحالة القلق هذه ومقارنتها بالنتائج المباشرة للمعارك العسكرية من شأنها ان توضح الاهمية البالغه لعامل التأثير النفسي في حربنا مع العدو .

والحقيقة ان التأثيرات المادية لحالة القلق الناتجة عن استمرار التوتر الامني في ظروف غير ملائمة لاسرائيل هي من الاهمية والخطورة ، لدرجة دفعت العدو الى وضع التجمع الاسرائيلي برمته على مائدة التحليل النفسي في مؤتمر عالمي للتحليل النفسي عقد في كانون الاول ١٩٧٤ في هلتون تل ابيب ، وحضره ثلاثة آلاف عالم ومحلل نفسي من مختلف انحاء العالم . وقد خرج ذلك المؤتمر باستنتاجات بالغة الخطورة حول واقع اسرائيل الراهن .

فحالة القلق الناجمة عن التوتر الامني في ظروف غير ملائمة لاسرائيل ، قادت الى حدوث تأثيرات بالغة الخطورة سواء على الايديولوجيا الصهيونية، او الوضع السياسي، او الوضع الاقتصادي ، او الوضع الاجتماعي ، بالاضافة الى بروز امراض نفسية خطيرة يعاني منها التجمع الاسرائيلي . وسنحاول في هذه الدراسة استعراض أبرز ملامح الصورة باختصار .

بدء انحلال الايديولوجيا الصهيونية : لقد كانت النتيجة المباشرة ، والاكثر أهمية ، لاصطدام الصهاينة بطاقة الدفاع والردع العربية ، وشعورهم بامكانية او بحتمية انهيار الحلم الصهيوني ، هي بدء انهيار الايديولوجيا الصهيونية التي تجعل من عملية تجسيد هذا الحلم محورا لها . وكان لهذا الوضع انعكاساته المادية الهامة سواء داخل التجمع الاسرائيلي او في الاوساط اليهودية في العالم ، أو في طبيعة العلاقة بين التجمع الاسرائيلي ويهود العالم .

ويمكننا تلخيص أبرز هذه الانعكاسات في الامور التالية :

١ ــ كان رد الفعل داخل التجمع الاسرائيلي ازاء المأزق الايديولوجي هو الميل نحو التطرف باتجاهين : اتجاه يميني يحاول انقاذ الصهيونية من الانهيار واتجاه يساري

او يميل نحو اليسار ويؤثر البحث عن مخرج بعيدا عن الايديولوجيا الصهيونية ذاتها. وقد زاد ثقل كلا الاتجاهين في التجمع الاسرائيلي بينما ضعفت القوى الصهيونية التي تتظاهر بالاعتدال . وكان الامر أكثر اهمية في نطاق هذه الظاهرة تصدع بعض القوى التي تقف أساسا ضد الصهيونية او وجدت نفسها تخرج على الصهيونية باستعدادها للاتصال بمنظمة التحرير الفلسطينية وبلورة موقف يهودي عربي مشترك ضد الصهيونية (مثلا الفهود السود وطائفة ناطوري كارتا) ، وهو الموقف الذي يشكل بادرة تشير الى امكانية حدوث انشقاقات في التجمع الاسرائيلي .

فاذا عرفنا ان الوضع الذي كان قائما في السابق هو ضمان القيادة الصهيونية لاستمرار تلاحم التجمع الاسرائيلي بمواجهة العرب وارغامه على تجميد تناقضاته الداخلية تحت تأثير دائرة الخوف والعنف في ظروف التوتر المستند الى جدار التفوق الاسرائيلي ، أصبح واضحا أن كسر جدار هذا التلاحم وجعل التناقضات الداخلية تمارس دورها ، انما تم نتيجة استمرار التوتر في ظل القلق الاسرائيلي ، حيث لم تعد الصهيونية هي الملاذ الذي يحتمي به الجميع .

٢ ــ ان الاثر المادي المباشر ، والذي يعود الى حد كبير لبدء انحلال الايديولوجيا الصهيونية داخل التجمع الاسرائيلي ، هو ازدياد حجم الهجرة العكسية ازديادا كبيرا بعد حرب تشرين ، واستمرار نمو هذه الظاهرة حتى الان . وقد تجاوز عدد اليهود الذين غادروا فلسطين المحتلة عام ١٩٧٤ العشرين الف شخص . وقد وصف تسموكي رئيس المجلس الصهيوني ، الهجرة العكسية بأنها « هروب من الجبهة »(٥) .

٣ ــ تعترف المصادر الصهيونية صراحة ببدء تخلي يهود العالم عن « التجمع الاسرائيلي » والصهيونية. ومن أمثلة ذلك قول مدير عام قسم الثقافة والتربية المهجري في الوكالة اليهودية بأن هناك ميلا من جانب بعض اليهود لتجاهل دولة اسرائيل بعد أن أصبحوا ينظرون اليها كعامل عرقلة يسيء الى هدوئهم وتطورهم ونموهم(٦) .

ويعترف دافيد فيتال ، استاذ العلوم السياسية في جامعة حيفا ، ان التطورات التي حدثت بعد حرب تشرين أدت الى نشوب خطر الانقسام بين اسرائيل واليهود في « المهجر » ، وان الشكوك حول قدرة الحكومة الاسرائيلية وشعبها على ان يشقا طريقهما عبر الازمات الحالية واللاحقة تقود الى قبول يهود المهجر بحقيقة ان السبب الاساسي لليهودية الحديثة (يقصد الصهيونية) هي اسرائيل التي تشكل سلامتها الاهتمام الاول [ومن ثم ما جدوى الصهيونية ازاء الشعور باستحالة بقاء اسرائيل ؟ ــ التعقيب من الكاتب] . ويضيف فيتال ان التكاليف السياسية والاقتصادية والاجتماعية للتعاطف مع اسرائيل تتفاقم الى حد بعيد . والمواقف المضادة لاسرائيل التي يتخذها العرب **قد تستميل حلفاء في مجالات اقتصادية بعيدة التنافس حيث يشترك بها كثيرون من يهود الغرب**. وفي نفس الوقت فان اعتماد اسرائيل الحتمي على الوسائل العسكرية يخلق مصاعب لغالبية يهود المهجر الذين يعيشون في بلدان يبدو فيها كل شيء عسكري مستهجنا بنظرهم(٧) .

أما آلان س. براون فلد فيقول انه لم يعد هناك ناطق صهيوني باستطاعته اعطاء صورة تظهر اتحادا للمجتمع اليهودي المؤيد للصهيونية في اميركا(٨) .

ويعترف الدكتور حاييم شاميل ، مدير قسم دراسة التوراة في الوكالة اليهودية ، ان سحر اسرائيل قد اختفى بالنسبة لمعظم اليهود في العالم ، وانه وجد تناقضا بين اليهود في اعترافهم بما أسماه الشخصية اليهودية (يقصد وهم القومية اليهودية) .

وان هؤلاء يشعرون بأن اسرائيل أصبحت حملا ثقيلا على اكتافهم ، ومضايقة ، وتدخلا مستمرا في حياتهم وافكارهم . ويضيف ان عملية فقدان السحر بدأت بعد حرب تشرين، لان اليهود لاحظوا انه يمكن حتى لاسرائيل ان ترتكب الاخطاء(٩).

٤ ــ كانت النتيجة المادية المنطقية لانحسار الايديولوجيا الصهيونية بين يهود العالم، هي انخفاض الهجرة اليهودية الى فلسطين انخفاضا كبيرا . فقد انخفضت عام ١٩٧٤ بنسبة ٤٦ ٪ بالقياس الى عام ١٩٧٣ ، حيث بلغ عدد المهاجرين ٣٢،٢٠٠ مهاجر(١٠). وقد حدد بنحاس سابير الصاعب الفعلية التي تعرقل الهجرة الى فلسطين المحتلة بالتوتر الامني والركود الاقتصادي(١١) ، اما شلومو روزين ، وزير الاستيعاب ، فقال ان خطر تجدد الحرب في المنطقة ، والوضع الاقتصادي القائم ، والوضع الدفاعي ، والوضع المعنوي ، كل هذه الامور تؤثر على الهجرة تأثيرا سيئا(١٢). وحدد بنحاس سابير مغزى انخفاض الهجرة واحتمال توقفها كليا ، بقوله « ان لم تحدث هجرة لن تكون هناك حياة للدولة »(١٣).

٥ ــ كما كان من نتائج بدء انحلال الايديولوجيا الصهيونية ، انخفاض حجم الجباية اليهودية لاسرائيل ، حيث انخفض دخل الجباية عام ١٩٧٤ الى حوالي النصف عما كان متوقعا(١٤) واضطرت الوكالة اليهودية بسبب ذلك الى تخفيض ميزانيتها الى ٥٨٠ مليون دولار بدلا عن ٧١٠ ملايين دولار(١٥).

بالطبع يشارك الوضع العام السياسي والاقتصادي والاجتماعي في ظروف القلق الناجم عن التوتر الامني بعد حرب تشرين في انخفاض حجمي كل من الهجرة والجباية وازدياد الهجرة العكسية كمظاهر مادية للتحلل الايديولوجي . ومن الصعب في الواقع الفصل المطلق بين العلاقة العضوية لجملة المؤثرات وتكاملها في التأثير ، ونحن نعتمد في دراستنا هذه على عنصر الترجيح في تحديد مكان كل ظاهرة من الدراسة دون اغفال عنصر التشابك في المؤثرات .

الاضطراب السياسي : يمكن تلخيص أبرز مظاهر الاضطراب السياسي الناجم عن سيادة حالة القلق نتيجة للتوتر الامني في ظروف غير ملائمة لاسرائيل ، في النقاط الاساسية التالية :

١ ــ الميل نحو التطرف وتأثيره على الحزب الحاكم (حزب العمل) من جهة وعلى التماسك الداخلي للتجمع الاسرائيلي من جهة ثانية . وقد رأينا كيف ان الميل نحو التطرف قاد الى النتائج التالية : سقوط الزعامات التاريخية لحزب العمل الحاكم ، سقوط أسهم حزب العمل جزئيا في انتخابات الكنيست واضطراره لتشكيل حكومة ائتلاف بأغلبية ضئيلة جدا ، تعرض حزب العمل للانقسام ، تعزيز مواقع كتلة ليكود اليمينية المتطرفة في الكنيست ، تعزيز مواقع القوى اليسارية والقوى المعادية للصهيونية .

٢ ــ صعوبة اتخاذ القرار السياسي بسبب ضعف الحكومة، وازدياد قوة المعارضة.

٣ ــ ازدياد الاعتماد على الولايات المتحدة الامريكية بشكل يكاد يكون مطلقا .

٤ ــ العجز عن اختراق جدار العزلة المحيط باسرائيل على الصعيد الدولي .

الاضطراب الاقتصادي : مع ان الازمة الاقتصادية التي يعاني منها العدو في الظرف الراهن هي من نتاج خسائره في حرب تشرين ، ومحاولات اعادة بناء مؤسسته العسكرية ، الا اننا سنركز انتباهنا في نطاق هذه الدراسة على النتائج المادية المترتبة على حالة القلق الناجمة عن التوتر الامني . وأبرز هذه النتائج هي :

١ ــ انخفاض الاستثمارات : وتعترف مصادر العدو انه بعد حرب تشرين ، انخفضت اهمية عملية جذب المستثمرين الاجانب(١٦) بمعنى انها لم تعد مجدية . وقد ذكرت هذه المصادر ان تقريرا حكوميا داخليا يسجل أن سياسة الحكومة الاسرائيلية لتشجيع الاستثمارات قد أفلست ولم تحقق أي هدف من أهدافها(١٧) . وقد ذكر مارك موشفيتس ، رئيس لجنة التنسيق بين المنظمات الاقتصادية ان استثمارات رجال الاعمال الاجانب في فلسطين المحتلة توقفت كليا خلال الفترة الاخيرة ، واعترف بأن ذلك ناجم عن قلة الارباح ، والاعتبارات الامنية ، والخوف من القوة المالية العربية(١٨) . وقد اعلن في فلسطين المحتلة مؤخرا ان الاستثمارات الامريكية في الصناعة الاسرائيلية قد انخفضت عام ١٩٧٤ بنسبة ٧٠٪ عما كانت عليه عام ١٩٧٣ ، اذ لم تزد هذه الاستثمارات عن ٤٥ مليون دولار مقابل ١٥٢ مليون دولار في عام ١٩٧٣ .

والنتيجة المباشرة لانخفاض الاستثمارات ، عدا عن سيادة حال الجمود الاقتصادي وكأحدى نتائجها ، هي حالة البطالة بما تنطوي عليه من مخاطر بالغة . وقد توقعت مصادر العدو ان يصل عدد العمال العاطلين عن العمل عام ١٩٧٥ الى ٦٤ الف عامل أي ضعف عدد العاطلين عن العمل لعام ١٩٧٤(١٩) . وتضمن تقرير الميزانية توقعا بأن يصل عدد العاطلين عن العمل الى ٥٧ الف عامل(٢٠) .

٢ ــ انخفاض الحركة السياحية : تؤثر حالة التوتر الامني على السياحة تأثيرا سلبيا . وقد انخفضت السياحة في عام ١٩٧٤ بنسبة ٦ ٪ عما كانت عليه عام ١٩٧٣ ، ويتوقع لها انخفاض اكبر بكثير في عام ١٩٧٥ الحالي ، حيث وصلت نسبة الانخفاض في الشهرين الاولين الى ١٧ ٪ (٢١) وقد اعترف موشيه كول ، وزير السياحة الصهيوني، بتأثير الوضع الامني المضطرب ، واحتمالات تجدد الحرب ، على حجم الحركة السياحية الى فلسطين المحتلة(٢٢) . والجدير بالذكر ان السياحة تشكل أحد المصادر الاساسية لدخل العدو من العملات الصعبة .

٣ ــ حوادث العمل : ان احدى النتائج البالغة الخطورة لحالة القلق النفسي هي حوادث العمل وحوادث الطرق . وهي تقود الى خسائر مادية وبشرية كبيرة . ولا تتوفر في الوقت الراهن احصاءات رقمية لعدد حوادث العمل والخسائر الناجمة عنها في الفترة التي أعقبت حرب تشرين . وان كان من المؤكد ان هذه الخسائر كبيرة .

٤ ــ انخفاض الانتاج : يؤثر التوتر الامني تأثيرا مباشرا على انتاجية العمل، وخاصة في مناطق الحدود . فهو يقود الى نقص الايدي العاملة في بعض المناطق، واهمال العمل في مناطق اخرى . كما ان صعوبة توفير الحماية من العمليات الفدائية تقود الى توقف برامج العمل في بعض الاحيان . وكنموذج على ذلك نشير الى تعثر تجديد برنامج الطلبة الثانويين في قطاف الحمضيات في العام الحالي ، وعدم تنفيذه بسبب المشاكل المترتبة على عدم امكانية توفير الحماية لهم في الحقول . وكان البرنامج قد نص على تنفيذ ١٠٠ يوم عمل في الحقول على شكل دورات تدوم الواحدة منها اسبوعين ويشترك فيها ١٢ ــ ١٣ الف طالب . الا ان الخوف من العمليات الفدائية وعدم القدرة على تأمين حراسة كافية حال دون ذلك(٢٣) .

وبالطبع فاننا يجب ان نضيف الى المظاهر التالية تأثير حالة التوتر الامني على توزيع بنود الميزانية وانخفاض حصة التنمية فيها لصالح النفقات العسكرية .

الاضطراب الاجتماعي : يتخذ الاضطراب الاجتماعي الناجم عن التوتر الامني الذي يعاني منه العدو الصهيوني مظاهر شتى يمكن تحديد أبرزها كما يلي : ١ ــ الانحلال الاخلاقي . ٢ ــ نمو ظاهرة العنف . ٣ ــ انتشار الامراض النفسية .

ونبدأ بظاهرة الانحلال الاخلاقي . تتمثل أبرز هذه المظاهر في ازدياد الاقبال على تعاطي المخدرات ، وازدياد ظاهرة قبول الرشوة في الجهاز الاداري . ولا تتوافر احصاءات رقمية شاملة حول ظاهرة الرشوة ، وان كانت صحف العدو تعج بالانباء والتحقيقات الصحفية حول هاتين الظاهرتين . أما ادمان المخدرات ، فتقول مصادر وزارة الصحة الصهيونية ان ٤٠ الف اسرائيلي يحاولون الآن او حاولوا في الماضي استعمال مادة الحشيش . وان ٣٠ ٪ من هؤلاء مدمنون على هذه المادة . وقد انتقل قسم منهم الى استعمال المواد الاكثر خطورة كالافيون والحبوب المنومة ، وان ٥ ٪ من طلبة المدارس الثانوية قد استعملوا المواد المخدرة . وان الجيل الحساس لمسألة المخدرات في الوقت الحاضر يتراوح بين ١٥ ــ ١٦ عاما ، كما انه اكتشف مؤخرا ولد في التاسعة من عمره وهو يتعاطى المخدرات(٢٤).

ومن المؤكد ان ارقام وزارة الصحة الصهيونية بصدد هذه الظاهرة تظل أقل من الحقيقة نظرا لان تعاطي المخدرات يتم بسرية .

ولا تخفى مخاطر ظواهر الانحلال الاخلاقي على التجمع الاسرائيلي وعلى أي مجتمع آخر في العالم يبتلى بانتشار مثل هذه الظواهر . وقد ضاعف من مخاطر مثل هذه الظواهر المرضية بروز ظاهرة العنف التي تنتشر على نطاق واسع . وهذه الظاهرة هي في الواقع أخطر ما يجابه التجمع الصهيوني، بحكم التربية الصهيونية اولا ، وبحكم التركيب العنصري للتجمع الاسرائيلي ثانيا. وبحكم الواقع الطبقي المسيطر على هذا التجمع ثالثا .

فالتربية الصهيونية استهدفت غرس الرغبة في العنف بين المستوطنين اليهود ، على ان يوجهوا هذا العنف باتجاه العدو الخارجي (العرب) . وعودتهم من خلال سياستها العدوانية التوسعية على ان يمارسوا عملية التنفيس عن هذه الرغبة في العنف من خلال الاعتداء على العرب . لكن الفشل في مواجهة العرب ، وسيادة شعور الصهاينة بالتوتر والقلق ، وطبيعة الواقع الاقتصادي والاجتماعي في التجمع الاسرائيلي (اضطهاد طبقي وتمييز عنصري) جعل هذه الرغبة في ممارسة العنف تتحول الى مظاهر من السلوك الفردي المغامر العنيف الخشن الذي يميل الى الحصول على ما يرغب عن طريق الابتزاز .

وهكذا أخذت الصحف الصهيونية تصدر يوميا وهي مشحونة بانباء حوادث القتل والسرقة والجريمة كمظاهر للعنف . وقد سجل تقرير المؤتمر العالمي للتحليل النفسي ان اسرائيل تضم أكبر نسبة من المصابين بالقلق والعصبية والمشاكسين والاشخاص الذين يعملون ليومهم فقط . وتقول مصادر العدو ان ظاهرة العنف ليست جديدة على جو المدن في « اسرائيل » ، ولها جوانب عديدة ، ولكنها تفاقمت في الفترة الاخيرة ، وتزايدت كثيرا حركة الخاوة والبلطجة ، أي ابتزاز أجور مقابل حماية ، وان هذه الظاهرة تدل على الجريمة المنظمة وشبه المنظمة(٢٥). وأشكال هذه الظاهرة هي القتل والاعتداء والسطو المسلح والابتزاز وغظاظة السلوك ، هذه كلها مظاهر للعنف في التجمع الاسرائيلي . ولا غرابة ان نجد الكثير من مقترفي جرائم العنف هم من الجنود الفارين . وكانت أبرز تطورات ظاهرة العنف الجماعي هي اللجوء الى القتل الجماعي دون ادنى اكتراث ، كما حدث حين القى جندي غار قنبلة يدوية على ملهى ليلي مما ادى الى مقتل اربعة اشخاص واصابة أكثر من ثلاثين بجراح . وكما حدث في عمليات عنف

وقتل مماثلة في بتاح تكفا والقدس وايلات وغيرها ، وهي الحوادث التي جعلت اصحاب الملاهي الليلية المرتعدين خوفا يميلون الى اغلاقها .

والنماذج النفسية وراء جرائم العنف متعددة : — مرتكب جريمة ناتانيا من العناصر العريقة في الجريمة وكان ينتمي الى عصابات العالم السفلي قبل ان يستدعى الى الخدمة العسكرية، — مرتكب جريمة بتاح تكفا أطلق النار على زملائه فقتل ثلاثة وجرح خارسا حاول التدخل ، وقيل انه فعل ذلك في نوبة جنون(٢٦)، — الجندي الذي كاد يلقي قنبلة يدوية في مطعم بورتوريكو في ناتانيا كان قد هرب من سجن عسكري وسرق من وحدته في الشمال رشيشا وقنبلة يدوية وسيارة واتجه نحو ايلات ، واحتسى في مطعم بورتوريكو عدة زجاجات من البيرة وبعد ذلك شهر القنبلة اليدوية وفتح عتلة الأمان وهدد بقذفها بدافع اليأس واستمر متحكما باعصاب الحضور المنهارة لمدة ساعة كاملة الى أن تمكن قائد الشرطة من انتزاع القنبلة منه(٢٧). وفي مستشفى بيت ليفنستين اتخذت ظاهرة العنف الذي يمارسه الجنود الجرحى شكل الظاهرة الجماعية الى حد ما مما اضطر ممرضات المستشفى الى الاضراب احتجاجا على اعمال العنف والغوغائية التي يمارسها الجنود الجرحى العاجزين الخاضعين للعلاج . اذ لم يقتصر سلوك هؤلاء على تهديد الممرضات بالضرب فحسب ، بل اخذوا يحطمون الاثاث والمفروشات خالقين موجة من الارهاب في المستشفى(٢٨).

فمظاهر العنف هذه لا تدل على مجتمع سوي ، وانما تشير الى تفشي الامراض النفسية على نطاق واسع .

وحوادث الطرق هي واحدة من حصاد الخشونة التي اصبحت تميز السلوك العام ، وحالة الشرود الذهني المسيطرة على السائقين والمشاة . فقد سجلت في الكيان الصهيوني عام ١٩٧٤ — كما اعلنت مصادر العدو — ٦٨٠ الف مخالفة سير . ويعترف العقيد ابراهيم ترجمان ، رئيس مصلحة السير ، ان ٨٠ ٪ من حوادث الطرق كانت نتيجة للناحية النفسية التي نجمت عن التوتر الامني(٢٩). وكانت خسائر العدو في حوادث الطرق عام ١٩٧٤ هي ٧٢٤ قتيلا واكثر من ٢١٤٠٠٠ جريح . أما حوادث الطرق بين الجنود فقد ذكرت مصادر العدو انه قتل خلال السنتين الماضيتين ١٢٢ جنديا وجرح ١٦٠٠ جندي بسبب السفر بطريق الاوتوستوب(٣٠).

ومن مظاهر الاضطراب النفسي التي يعاني منها العدو بالاضافة الى ما سبق ، ازدياد حالات الجنون والانهيار العصبي ازديادا كبيرا للغاية منذ حرب تشرين ، كذلك اتساع ظاهرة الانتحار تعبيرا عن حالة اليأس السائدة ، ومن حوادث الانتحار التي وقعت مؤخرا ، اقدام حفيفا رومانو والدة الرياضي الصهيوني يوسف رومانو الذي قتل في عملية ميونيخ على الانتحار ، وكانت منذ مقتل ابنها تعيش حالة انهيار نفسي ، ونقلت الى المستشفى عدة مرات الى ان وضعت حدا لحياتها في نهاية المطاف(٣١).

كما ان من الاحصاءات الطريفة والهامة حول آثار حالة القلق التي يعاني منها العدو ما جاء في دراسة اجراها طبيب نفساني معروف في تل ابيب ، حيث ذكر ان ٢٠ ٪ من سكان « اسرائيل » مصابون بالعقم ، وان سبب ذلك لدى الرجال والنساء هو توتر الاعصاب الناجم عن حالة الامن السيئة ومن سوء الاحوال الاقتصادية في البلاد(٣٢).

استنتاجات

ان حجم التأثير الذي يمارسه القلق الناجم عن التوتر الامني في ظروف غير ملائمة للكيان الصهيوني هو كما يوضح لنا العرض السابق للمعطيات المتوفرة من

الضخامة بحيث يتجاوز بكثير التأثير المباشر للعمليات العسكرية ذاتهـــا (القتلـى والجرحى والاليات والمعدات المدمرة والمستهلكة) . ومن الطبيعي في ضوء هذا الواقع ان نعطي مسألة تعميق حالة القلق النفسي التي يعاني منها العدو قسطـــا كبيرا من الاهتمام العربي .

وهنا على وجه التحديد تبرز الاهمية الاستراتيجية لعمليات المقاومة الفلسطينية في الابقاء على حالة التوتر وتعميق القلق الناجم عنها في صفوف العدو . ويصبح مقياس النجاح لكل عملية فدائية على حدة ، ولسلسلة العمليات ، مجتمعة ، ليس متوقفـا على حجم خسائر العدو المباشرة ، وانما بمدى تأثيرها النفسي على العـدو (ومـن الطبيعي أن يكون هذا التأثير النفسي اكثر كلما كان حجم خسائر العدو المباشرة اكبر) . اي أن العمل الفدائي ينبغي ان يعتمد الحرب النفسية اعتمادا رئيسيا في استراتيجيته .

ان عمليات الخالصة وترشيحا وام العقارب ونهاريا وبيسان وتل ابيب والقدس لتمثل نماذج بارزة للعمليات الفدائية القادرة على تمزيق العدو نفسيا والحفاظ علـى تأثيرها النفسي والمادي لفترة طويلة من الزمن . ومن هنا يجيء الاستنتاج القائل بأن اسلوب العمل العسكري للمقاومة يجب تطويره على نطاق واسع انطلاقا من الاستفادة من تجربة النجاح في تلك العمليات ، بحيث يتوخى النوع في العمليات اكثر مما يتوخى الكمية العددية . وبحيث يصبح تأثير هـذه العمليـات اوسع بكثير من حجم نتائجها المباشرة من خلال اعطائها طابع العمليات التي تستهدف التمزيق النفسي للعدو قبـل اي شيء .

---

١ — المارشال سوكولوفسكي ، **أضواء حـــول الاستراتيجية العسكرية السوفياتية** ، ترجمـة عبد الغني البشري ، القاهرة ١٩٧٠ ، ص١٤ .

٢ — الجنرال اندريه بوفر، **مدخل الى الاستراتيجية العسكرية** ، ترجمة أكرم ديري والهيثم الايوبي، دار الطليعة ، بيروت ١٩٦٨ ، ص ٢٩ .

٣ — ترونغ شين ، **ستنتصر المقاومـــة** ، ادارة الشؤون العامة والتوجيه المعنوي ، دمشق ١٩٦٨ ، ص ٧٤ .

٤ — عبدالرحيم غنيم : **المرتكزات النفسية للفكرة الصهيونية** ، منشورات الطلائع ، دمشق ١٩٧٣، ص ٨٩ .

٥ — **رصد اذاعة اسرائيل** (ر.ا.ا.) ، مركـز الابحاث الفلسطينية ، ١٩٧٥/٢/١٨ .

٦ — **هاتسوفيه** ، ١٩٧٥/٣/٢ .

٧ — **جويش كرونيكل** ، ١٩٧٤/١٢/٢٠ .

٨ — مجلة « **الشرق الاوسط الدولية** » ، ١ ايلول ١٩٧٤ .

٩ — **الشعب** ، ١٩٧٥/٣/١٨ .

١٠ — **دافار** ، ١٩٧٥/١/١ .

١١ — **دافار** ، ١٩٧٥/٣/١٠ .

١٢ — **هاموديع** ، ١٩٧٥/٣/٢ .

١٣ — ر.ا.ا. ، ١٩٧٥/٢/١٨ .

١٤ — ر.ا.ا. ، ١٩٧٥/١/٢٨ .

١٥ — **جيروزالم بوست** ، ١٩٧٤/١٢/٢٤ .

١٦ — ر.ا.ا. ، ١٩٧٥/١/٧ .

١٧ — **يديعوت أحرونوت** ، ١٩٧٥/١/٦ .

١٨ — ر.ا.ا. ، ١٩٧٥/٢/١٧ .

١٩ — **يديعوت أحرونوت** ، ١٩٧٤/١٢/٢٤ .

٢٠ — **عل همشمار** ، ١٩٧٥/٢/٢٦ .

٢١ — **هاتسوفيه** ، ١٩٧٥/٣/٥ .

٢٢ — **معاريف** ، ١٩٧٥/٣/١٤ .

٢٣ — **دافار** ، ١٩٧٥/١/٢١ .

٢٤ — **دافار** ، ١٩٧٥/١/١٢ .

٢٥ — ر.ا.ا. ، ١٩٧٥/٢/١٨ .

٢٦ — ر.ا.ا. ، ١٩٧٥/٢/١٢ .

٢٧ — ر.ا.ا. ، ١٩٧٥/٢/١٨ .

٢٨ — **جيروزالم بوست** ، ١٩٧٥/٣/٢٤ .

٢٩ — **هاتسوفيه** ، ١٩٧٥/٣/١٨ .

٣٠ — ر.ا.ا. ، ١٩٧٥/١/١٤ .

٣١ — **يديعوت احرونوت** ، ١٩٧٥ /٣/٢٤ .

٣٢ — **هاعولام هازيه** ، ١٩٧٥/٣/١٢ .

على هامش الحوار العربي الاوروبي :

اوروبا الغربية والعرب واسرائيل

حسين ابو النمل

في هذه الفترة يكثر الحديث عن الحوار العـــربي الاوروبي وتتزايد الاتصالات بين أوروبا الغربية والعرب . وتوجت هذه الاتصالات بمجوعة من الاجتماعات والزيارات المتبادلة التي قام بها رسميون من الطرفين للعواصم العربية والاوروبية . وتنبع أهمية العلاقة مع أوروبا الغربية ، من كونها واحدة من اكبر الكتل السياسية الاقتصادية في العالم ، وعندما نقول بأهمية الاطار الدولي للتحرك العربي ، فان أوروبا الغربية هي أحد مجالات هذا التحرك .

ان الآفاق الصحيحة لاية علاقة مع اوروبا الغربية رهن بالفهم الصحيح لدور هذه الكتلة في الصراع الدائر في العالم ، والمصالح التي تحرك مواقفها . وان أية مراهنة على موقف أوروبا الغربية خارج هذا الاطار ستكون مراهنة خاسرة ، ولهـــا انعكاساتها السلبية على قضيتنا لان اطار تحـــركنا الدولي من الاهميـــة بمكان بحيث يترك آثارا حاسمة على مجمل نشاطنا السياسي .

ان علاقة أوروبا الغربية بالمنطقة قديمة جدا . ولسنوات قليلة خلت، لا تتجاوز عقدا من الزمن كانت أوروبا الغربية تستعمر بشكل مباشر مناطق عربية ، ولم تخرج منها الا بالقوة وبعد نضال ضار ، وتضحيات لا محدودة قدمتها جماهيرنا . لذا فصورة أوروبا الغربية بالنسبة لجماهيرنا كانت دائما صورة الدول المستعمرة التي انشأت اسرائيل وحمتها ، وشاركتها العدوان على مصر عام ١٩٥٦ .

ان خروج دول أوروبا الغربية من المنطقة وحصول الجزائر واليمن على استقلاليهما قد خفف بدرجة كبيرة من الاحتكاك العدائي اليومي المباشر بين العرب وأوروبا الغربية التي بدأت تحاول تجميل صورتها في المنطقة خصوصا بعد أن بدأت الامبريالية الامريكية تلعب الدور القذر الذي طالما لعبته دول اوروبا الغربية من قبل .

ان محاولات دول أوروبا الغربية تجميل صورتها بعد أن خرجت مضطرة من المنطقة قد ترافق وبالذات في الفترة الاخيرة مع حملة مركزة تحاول ان تقدم لنا أوروبا الغربية في صورة الكتلة التي يمكن ان تكون في موقع الصديق بالنسبة الينا ، حيث استندت تلك الحملة على مجموعة من الامور تصور وكأن أوروبا الغربية انتقلت في مواقفها الى موقع النقيض لمواقفها التاريخية السابقة والمعروفة ، وحيث كانت تلك الحملة تتوقف طويلا عند نزعة أوروبا الغربية للاستقلال في مواقفها عـــن الولايات المتحدة ، مستندة على الظاهرة التي مثلتها الديغولية في أوروبا الغربية كأبرز مثـــل على نزوع أوروبا الغربية للاستقلال عن الولايات المتحدة الامريكية . وبحيث بدت وكأنها تتحرك نحو الحياد لا بين كتلتين دوليتين شيوعية ورأسمالية وانما بين قوتين كبيرتين هما الاتحاد السوفياتي

والولايات المتحدة حسب قول احد الكتاب ! بل ووصلت الامور بالبعض الى حد تشبيه نزعة الديغولية للاستقلال عن الولايات المتحدة الامريكية بالظاهرة التي مثلتها الناصرية حسب كلام كاتب آخر !!

ان مفتاح فهم وتوقع مستقبل اية علاقة بين المنطقة وبين أوروبا الغربية هو في الفهم الصحيح لدلالات نزعة أوروبا للاستقلال . معنى هذا الاستقلال ، موقعه التاريخي ، آفاقه ، حدوده من زاوية العلاقة بالامبريالية الامريكية من ناحية ، ومن ناحية اخرى من زاوية نمط العلاقات التي يمكن ان تقيمها أوروبا الغربية مع الدول النامية والموقف السياسي الذي يمكن أن تتخذه من القضايا المطروحة .

استقلال ... أم صراع احتكارات ؟

يجمع المؤرخون التقدميون ان الحرب العالمية الثانية — بالرغم من كافة اسبابها المباشرة — هي حرب بين الاحتكارات ومحاولة لاعادة توزيع الرقع الاقتصادية في العالم ، بين الاحتكارات الالمانية من ناحية ، والاحتكارات الفرنسية — البريطانية من ناحية أخرى . ولقد انتهت تلك الحرب عمليا بدمار شبه كامل لاقتصاديات الفريقين ، وكانت الولايات المتحدة الامريكية التي دخلت الحرب الى جانب الحلفاء بشكل متأخر نسبيا ، الدولة العظمى الوحيدة التي خرجت من تلك الحرب بكامل قوتها السياسية والعسكرية والاقتصادية تقريبا . الامر الذي مكنها من وراثة الامبراطوريتين الفرنسية والبريطانية في الكثير من بقاع العالم . وابتلعت الاحتكارات الامريكية الكثير من امتيازات هاتين الدولتين اللتين كانتا عاجزتين عن الصمود ، بل حتى عن اعادة بناء اقتصاديهما الا بمعونة من الولايات المتحدة التي اسهمت في اعادة بناء أوروبا الغربية بما سمي مشروع مارشال نسبة الى جورج مارشال وزير الخارجية الامريكية حينذاك . وان اعتماد اوروبا الغربية على الولايات المتحدة لاعادة بناء اقتصادها قد ترافق مع اجواء الحرب الباردة التي بدأت تلف العالم ، ولتزيد من هذا الاعتماد على الصعيدين السياسي والعسكري على الولايات المتحدة الامريكية والذي انتهى بتشكيل الحلف الاطلسي بزعامة الولايات المتحدة الامريكية ساعد على استكمال عمليات وراثة الاحتكارات الاوروبية الغربية في العالم أجمع مستغلة وبطريقة ذكية متناقضين هامين ساعداها على اتمام عملية الوراثة هذه بسرعة كبيرة ، اذ استغلت عقدة العداء للشيوعية من ناحية ومن ناحية أخرى العداء لبريطانيا وفرنسا بالذات وهما الدولتان اللتان كانتا قد تورطتا في أكثر من حرب وتلطخت صورتهما السياسية في العالم أجمع .

بدأت فكرة اوروبا الموحدة في بداية الخمسينات ، حيث راجت فكرة « اعادة بناء اقتصاد أوروبا رهن بوحدتها » وبأن « البلاد الصناعية قد زجت في ثورة تقنية يجعل مستحيلا قيام أي تقدم اقتصادي واجتماعي في نطاق قومي » حسب قول بيير جاليه . ولذا فقد بدىء بتكوين هيئة للاشراف على موارد الحديد والصلب والفحم الاوروبية ، ووقعت الاتفاقية في باريس عام ١٩٥١ حيث شكلت منظمة الفحم والصلب الاوروبية وكان جوهر معاهدة باريس يقوم على « ان انتاج وتوزيع كل حديد وفحم اوروبا قد وضع تحت تصرف سلطة عالية مستقلة » .

تبلورت تلك البداية في العام ١٩٥٧ بتوقيع معاهدة روما وبقيام السوق الاوروبية المشتركة ، وحيث تطورت العلاقات بأن **زالت جميع الرسوم الجمركية والحواجز الاخرى الموضوعة في طريق التجارة وأقيمت تعرفة جمركية خارجية مشتركة بين دول السوق والعالم الخارجي .**

وانتهت المشاركة في الحديد والصلب والفحم عام ١٩٥١ ، والتي تطورت الى

المشاركة في السوق الداخلي عام ١٩٥٧ ، الى مشاركة في السوق الخارجي لتلك البلدان ، وذلك بأن وقعت في العام ١٩٦٣ اتفاقية « ياونده » التي نظمت العلاقة بين المستعمرات القديمة لدول السوق الاوروبية المشتركة وبين دول السوق الاوروبية المشتركة نفسها ، حيث اصبحت علاقة تلك المستعمرات مع دول السوق ككل ، والتي أصبحت تتمتع بنفس الامتيازات التي كانت في السابق حكراً على هذه الدولة او تلك . وقد ترتب على الاتفاقية الجديدة دخول ١٨ دولة افريقية في النطاق الاقتصادي للسوق المشتركة على اساس من الاتحاد الجمركي وانتقال رؤوس الاموال والبضائع بشكل حر بين دول السوق ودول اتفاقية ياونده . ولقد كانت هذه الخطوات الوحدوية التي لجأت اليها دول اوروبا الغربية من وحدة للسوق الداخلي ووحدة للسوق الخارجي التي تقع تحت نفوذها خير ترجمة للشعار الذي رفع في الخمسينات عن ان اعادة بناء اقتصاد اوروبا رهن بوحدتها .

اوروبا وامريكا .. نقطة الصدام ونقطة اللقاء

لقد كان من الطبيعي بعد ان تجاوز اقتصاد دول اوروبا الغربية مرحلة اعادة البناء، ان يكون عاجزا عن الاستمرار في التوسع والنمو الا على هامش المصالح والاحتكارات الامريكية وفي الاسواق التي تسيطر عليها هذه الاحتكارات . واذا كانت كل درجة نمو اقتصادي لا بد وان تعبر عن نفسها بمواقف سياسية معينة ، فمن الطبيعي ايضا ان يترجم الصدام بين احتكارات الدول الاوروبية الغربية والولايات المتحدة الامريكية بمجموعة من المواقف السياسية التي تعبر عن ذلك الصراع . ولقد ترافقت مع درجة النمو الذي بلغته اقتصاديات دول اوروبا الغربية ، ظروف سياسية وعالمية مكنت احتكارات تلك الدول من التعبير عن مصالحها بحرية اكبر فقد سادت العالم سياسة التعايش السلمي من ناحية ، وامتلكت دولتان اوروبيتان غربيتان السلاح الذري . لقد حرر هذان الحدثان اوروبا الغربية نسبيا من حاجتها للغطاء النووي الامريكي لمواجهة احتمال قيام الاتحاد السوفياتي بهجوم على اوروبا الغربية كما كانت تروج الدوائر الامبريالية ، كي تزيد من تبعية اوروبا الغربية للولايات المتحدة الامريكية . ولذا لم تتردد فرنسا عندها من الانسحاب من الحلف الاطلسي كتعبير عملي عن هذا التوجه . وبدأت ما يسمى مرحلة الديغولية في فرنسا التي ، وان ارتبطت باسم الرئيس الفرنسي الراحل شارل ديغول ، فانها كانت عمليا نتاجا طبيعيا لدرجة النمو الذي بلغته الاحتكارات الفرنسية الباحثة عن منافذ جديدة لها . ولم تقتصر ظاهرة الديغولية على فرنسا فحسب ، بل وفي فترة لاحقة خطت المانيا الغربية خطوة واسعة على هذا الصعيد ، ايام المستشار براندت ، تمثلت بسياسة الانفتاح على المعسكر الاشتراكي ومحاولة تسوية بعض القضايا العالقة .

لقد كانت فرنسا هي السباقة في محاولة التعبير عن مصالحها بشكل مستقل عن الولايات المتحدة الامريكية ، وذلك بمحاولاتها شق طريق سياسي مستقل يمكنها من فتح افاق جديدة لاقتصادها ولذا فقد اتخذت مجموعة من المواقف السياسية المتمايزة ، عن موقف الولايات المتحدة الامريكية وبالذات بالنسبة للاعتراف بالصين الشعبية وكذلك بالنسبة لازمة الشرق الاوسط حيث كان لكلا الموقفين ترجماتهما الاقتصادية المباشرة ، وحيث تمكنت فرنسا من الحصول على معاملة مميزة في بعض الدول العربية وانفتحت امامها مجالات عدة . وان زيادة العجز في ميزان المدفوعات لدول اوروبا الغربية سيكون حافزا جديدا لها نحو المزيد من السعي والبحث عن اسواق جديدة . وبالتالي المزيد من الصراع مع غيرها من الاحتكارات . ولهذا فان صراع الاحتكارات الاوروبية الغربية والامريكية والذي يسمى تلطفا « استقلال اوروبا » يبقى صراع احتكارات

فيما بينها وحدود صراعها قد لا تقف عند حد ، بل وقد تصل لمحاولة تدمير الواحد منها للاخر ، وهو ليس بالامر الجديد او غير المألوف . ففي فترات تاريخية معينة كان يصل الى درجة شن الحروب بين هذه الدول . ولكن صراع الاحتكارات هذا لا يقف خارج اطار الصراع التاريخي بين الرأسمالية والاشتراكية واي حديث عن اوروبا التي تتحرك نحو الحياد هو حديث سطحي يتمسك بظواهر الامور فقط ويتغاضى عن الطبيعة العدوانية الرأسمالية والامبريالية .

ان صراع الاحتكارات لا يعني اتجاه جزء منها نحو « **منطقة الحياد** » بل على العكس من ذلك فان الصراع حتى التدمير بين الاحتكارات يتحول ليصبح وحدة حتى الموت في مواجهة الاشتراكية او تنامي الحركة الثورية . والصراع بينهما مهما اتخذ شكل سياسات متعارضة ومواقف سياسية متباينة في ضوء المصالح المختلفة ، يبقى محكوما بسقف واحد هو المصلحة العليا للامبريالية ، وبما يعنيه هذا من عداء لكل ما هو تقدمي من ناحية ، والحفاظ على كل ركائز الامبريالية في العالم من ناحية ثانية . وسوف نبين كيف تحاور اوروبا العرب وفي الوقت نفسه تقدم لاسرائيل ما يجعلها تخطو خطوات واسعة نحو ترسيخ بنيانها الاقتصادي والسير خطوات واسعة نحو الاستقلال الاقتصادي ، حيث ان المساعدات في هذا المجال لا تقل بأي حال عن المساعدات الامريكية التي قدمت وتقدم اليها .

الامبريالية الامريكية ترد الهجمة

لقد جوبهت محاولات اوروبا للعب دور اقتصادي مستقل عن الولايات المتحدة بتحرك مضاد من قبل الاخيرة وعلى كافة الاصعدة في محاولة لاعادة اوروبا الغربية الى الحظيرة ولتأكيد زعامة الولايات المتحدة .

ان الولايات المتحدة التي اضطرت تحت ضغط العجز في ميزان المدفوعات الى تخفيض قيمة الدولار في الوقت الذي ضغطت به على المانيا الغربية واليابان كي لا تخفضا قيمة عملتيهما ، انما كانت الخطوة الرئيسية والهامة التي اتخذتها امريكا لتحسين قدرة سلعها على المنافسة في الخارج ، ولقد ترافق مع هذه الخطوة عملية تملص من دولاراتها السابحة في اوروبا الغربية حيث ابتدع لها في ذلك الحين اسم « اليرو دولار » تأكيدا لعدم مسئولية الولايات المتحدة عنها ، ولو اضفنا مسألة تخفيض قيمة الدولار كوسيلة لتحسين قدرة السلع الامريكية على المنافسة، الى التحرك الامريكي على صعيد الاستجابة والرضوخ لحقائق الوضع في فيتنام ، لأمكن لنا ايجاد تفسير لذهاب نيكسون الى الصين الشعبية ، والتي كان قد طرق ابوابها قبل ذلك الفرنسيون واليابانيون ، باحثين عن علاقات اقتصادية واسواق جديدة لسلعهم . وان انفتاح الولايات المتحدة على الصين وقبل ذلك على الاتحاد السوفياتي ، كان الرد الاميركي على نشاط الاحتكارات الفرنسية واليابانية بالذات التي مدت يدها الى الصين من وراء ظهر حليفتها الكبرى الولايات المتحدة، ولذا فقد أتت نهاية حرب فيتنام ومحاولة توسيع سياسة الوفاق لتشمل الصين ايضا استجابة للوضع الاقتصادي الامريكي الذي كان يدفع ثمن المكاسب التي كان يحققها حلفاؤه .

أن خطوات الولايات المتحدة هذه لم تمنع اوروبا الغربية واليابان من الاستمرار في سياستهما المستقلة اقتصاديا عن الولايات المتحدة الامريكية والتحرك الامريكي المضاد لتلك السياسة ، فمن محاولة ضرب صناعة الطيران الفرنسي — البريطاني بمحاربة مشروع الكونكورد عن طريق سحب طلبات الشراء التي كانت قد تقدمت بها بعض الشركات الامريكية الى الاستمرار في تصدير رؤوس الاموال الى اوروبا ومحاولة

احتكارات السيارات الامريكية السيطرة على هذه الصناعة في فرنسا وبريطانيا ، اذ قامت شركة « كرايزلر » الامريكية بشراء شركة سيمكا الفرنسية ، وسنبيم البريطانية ..

سلاح النفط .. وتركيع اوروبا

بلغت محاولات اوروبا الغربية للانفلات ومحاولة الولايات المتحدة المضادة للتركيع ذروتها من خلال تجيير الولايات المتحدة الامريكية لسلاح النفط الذي حظر اثر حرب ١٩٧٣ لمصلحتها وكوسيلة حاسمة لتركيع اوروبا الغربية نهائيا . وقد يكون من الغريب القول بان النفط العربي كان اداة اميركية لتركيع اوروبا الغربية . ولكن هذه هي الحقيقة لان النفط الذي قطع وبشكل متساو عن اوروبا الغربية واليابان والولايات المتحدة ، لم يؤثر عمليا سوى على اليابان واوروبا الغربية وبكلمة أدق فان اثار الحظر الاقتصادية على هاتين الكتلتين كانت كبيرة وليس أمامنا سوى تذكر ان نسبة اعتماد الولايات المتحدة الامريكية واوروبا الغربية واليابان على بترول الشرق الاوسط من جملة استهلاكها من الطاقة هي على التوالي ٦٪ ، ٦٠٪ ، ٨٥٪ . ولذا فان درجة معاناة كل من الولايات المتحدة واليابان واوروبا كانت بنسبة اعتماد كل منهما على بترول الشرق الاوسط وعلى الجانب الاخر فان درجة تضرر اوروبا الغربية واليابان من ارتفاع أسعار النفط هي أكثر من الضرر الذي لحق بالولايات المتحدة اذ ساهم ارتفاع اسعار النفط في تفاقم الخلل في ميزان مدفوعات دول اوروبا الغربية ، بينما لم تتأثر الولايات المتحدة الامريكية بالدرجة نفسها باعتبار أن الشركات الامريكية هي المالك الرئيسي للاحتكارات النفطية ، واي ارتفاع في الاسعار سينعكس على ارباحها، وبالتالي ، زيادة في حجم التحويلات المالية الى داخل الولايات المتحدة الامريكية وزيادة « دفع » الدول المستهلكة للنفط هي بالمقابل زيادة في ما تقبضه الدول المنتجة والشركات المالكة بالرغم من أن التركيز كان يتم دائما على دور الدول المنتجة في ارتفاع اسعار الطاقة ، والرساميل التي تتكدس عندها ، حيث كانت تلك الحملة تستهدف تحميل الدول المنتجة مسئولية الأزمة التي عانى منها العالم نتيجة لارتفاع اسعار الطاقة ، بالرغم من أن شركات النفط قد حصدت هي ايضا ثمار ذلك الارتفاع . وان عنى هذا شيئا في الميزان السياسي ، فانه يعني ان سياسة لوي الذراع التي مارستها الولايات المتحدة ضد اوروبا الغربية قد آتت ثمارها ، وجعلت الاخيرة تقتنع ان امكانياتها في اللعب بعيدا عن دائرة نفوذ الولايات المتحدة هي امكانيات محدودة . وبعدها لن تستطيع اوروبا الغربية الحديث كثيرا عن « اليرو دولار » حيث تتمكن الولايات المتحدة من استرداده الان بسهولة بعد ارتفاع اسعار النفط وبعد ان قبضت الولايات المتحدة عبر احتكاراتها النفطية جزءا كبيرا من فوائد ارتفاع اسعار النفط .

ان شهوة اوروبا الغربية للاستقلال شهوة جامحة ، ولكن اوروبا الغربية تعلمت درسا ثمينا جدا عندما سعت للتعامل مع الدول البترولية مباشرة فوجدت نفسها وجها لوجه أمام الشركات الامريكية باعتبارها صاحبة القرار ، وبدلا من سعيها عن حل في عواصم الدول البترولية هرولت ثانية تبحث عن الحل في عواصم الشركات البترولية وكان ميشال جوبير وزير الخارجية الفرنسية السابق خير من عبر عن هذا وهو احد الرموز التي كانت تعبر عن نزعة اوروبا الاستقلالية عن الولايات المتحدة اذ قال في ٢٦ شباط ١٩٧٥ بالحرف الواحد « انه بعد سنة من المباحثات لم توقع باريس الى الان اتفاقا للحصول على النفط من السعودية لان واشنطن غير موافقة » . وهكذا كان وسقط جوبير واتجاهه السياسي في فرنسا . ومن المهم الاشارة ايضا الى ان سلاح

الارصدة في العالم لم يتحرك حتى الان قط وحتى خلال حرب تشرين ١٩٧٣ ، ولا نجد تفسيرا لهذا سوى ان المتضرر الاكبر من استعمال سلاح الارصدة هي بريطانيا ولذا فان ذلك السلاح لم يتحرك لان بريطانيا قد حافظت طيلة الفترة الماضية على موقف ملتصق بموقف الولايات المتحدة الامريكية من قضايا المنطقة وآخرها كان الغاء صفقة السلاح مع ليبيا . حيث كوفئت بريطانيا على موقفها من قبل الولايات المتحدة بأن قدم لها قرض من احدى الدول العربية يساوي اربعة مليارات دولار . وبهذا كانت الولايات المتحدة الامريكية تمارس سياسة لوي الذراع . بل سياسة الثواب والعقاب من خلال طرف ثالث هو بعض الدول المنتجة للنفط .

يعطي العرض الذي تقدم تفسيرا صحيحا لمعنى « استقلال » اوروبا الغربية كما عبرت عنه بالمواقف السياسية المتمايزة نسبيا عن موقف الولايات المتحدة ، وبصراعها الاقتصادي ومحاولات للانفلات من قبل اوروبا الغربية وسياسة لوي الذراع والمطاردة التي لجأت اليها الامبريالية الامريكية الامر الذي يجعلنا نخلص الى مجموعة من النتائج ، هي :

١ — ان نزعة اوروبا « الاستقلال » عن الولايات المتحدة هي نزعة مخادعة ، فالامبريالية كالحية تخلع جلدها لكنها لا تغير طبيعتها . والصراع الحاد بين اوروبا الغربية والولايات المتحدة ليس سوى صراع على مناطق النفوذ وتعبير عن درجة معينة من نمو الاحتكارات الاوروبية الغربية التي تحاول جاهدة شق طريق لنفسها حتى ولو كان على حساب احتكارات غيرها من الدول . ولكن صراع المصالح هذا لا يعني في اي حال من الاحوال تغييب التناقض الرئيسي لهما في هذا العالم وبحيث تسهمان في تبديل ميزان القوى على صعيد العالم من خلال افتقاد أية ركيزة امبريالية في هذا العالم اذ ان هنالك دائما سقف سياسي لاية خطوة يمكن ان تقدم عليها الدول الامبريالية .

٢ — من الضروري جدا استغلال التناقضات القائمة بين اطراف المعسكر الواحد ومحاولة الاستفادة من هذه التناقضات لمصلحة القضية السياسية التي نناضل من اجلها ولكن القدرة على استغلال هذه التناقضات مرتبطة بقدرتنا على ممارسة سياسة ثواب وعقاب صحيحة ، لا ان نكون اداة في يد هذا الاحتكار او ذاك لتصفية حساباته مع غيره من الاحتكارات او ان نكون كما حدث ابان ازمة الطاقة ، اداة في يد الطرف الاكثر سوءا لضرب الطرف الاقل سوءا بالنسبة لمصالحنا .

٣ — من الاهمية بمكان ان يكون واضحا أفق أية علاقة مع اوروبا الغربية والمدى الذي يمكن ان تبلغه العلاقات العربية الاوروبية . لان افق علاقة اوروبا الغربية بالعرب لا يمكن ان يتجاوز حدودا معينة . وقدرة اوروبا على التجاوب معنا قدرة محدودة ايضا . اي ان خط تحالفاتنا الدولية الرئيسي هو الكتلة الاشتراكية، خصوصا وان التركيز على دور اوروبا الغربية والعلاقة معها ليس بعيدا عن المحاولات الهادفة لايجاد بديل عن العلاقة مع المعسكر الاشتراكي خصوصا وان الولايات المتحدة نتيجة لموقفها العلني والمفضوح من قضايانا لا يمكن ان تكون في هذه المرحلة على الاقل البديل المطلوب ومن هنا التركيز دائما على اي موقف ايجابي تتخذه اوروبا الغربية حتى ولو كان موقفا جزئيا ومحدودا وليس له أية نتائج ذات أبعاد استراتيجية .

اوروبا تحاول ان تلعب
الدور الذي لعبته امريكا عام ١٩٥٦

ان الصورة التي تقدم بها اوروبا الغربية للمنطقة في هذه الفترة تعيد الى الاذهان الطريقة التي سارت عليهـــا الامور في بداية الخمسينـــات . ففي الوقت الـــذي تردت سمعة الدولتين الاستعماريتين فرنسا وبريطانيا في المنطقة ، وتجنبا لان يأخذ التيـــار الجماهيري مداه الحقيقي الذي كان يضغط باتجاه معاد للعلاقات مع تلك الدولتـــين ، مما كان يفرض على الانظمة القائمة في المنطقة انتهاج سياسة تحالفات دولية جديدة ، وفي هذا الوقت قدمت الولايات المتحدة الامريكية لتكون البديل ، وحيث ركز كثيرا علـــى موقفها ابان عدوان ١٩٥٦ . واستعيدت الى الاذهـــان مواقفهـــا من حقوق الانسان واستقلال الشعوب او مبـــادىء الرئيس ويلسون ! لتقديمهـــا بصورة الدولة غـــير المستعمرة ، والتي لم يسبق لها ان استعمرت اي شعب آخر وهي التي ناضلت ضد الاستعمار البريطاني ، وها هي تدين العدوان على مصر في العام ١٩٥٦ !!! ان الامور تكرر نفسها تقريبا والولايات المتحدة اصبحت مفضوحة ، بعد ان لعبت دورا اساسيا في حربي ١٩٦٧ و ١٩٧٣ ولدرجة ان الرئيس المصري انور السادات قد اعلن اكثر من مرة انه قد اضطر لايقاف الحرب في ١٩٧٣ لانه اكتشف انه يحارب امريكا . ولذا فقد كان من الطبيعي ان يتشكل راي عام معاد لامريكا أكثر من اي وقت مضى وان تثـــور تساؤلات من طراز الحاجة لقوه دولية تدعم العرب وضرورة التسليح... وغيرها من التساؤلات المنطقية والطبيعية التي لا تستطيع القوى الرجعية منع تداعيها ، ولكنهـــا تحاول اجهاضها ومنعها من الوصول الى نهاياتها المنطقية ، ومن هنا طرحت اوروبـــا كبديل وكند للولايات المتحدة الامريكية . لقد مهد لهذا الطرح بمقدمات طويلة وبحملـــة اعلامية مركزة نموذجها كان التسليم بدعم امريكا لاسرائيل ، ثم ارفاقه بتساؤل، «ولكن ماذا نفعل والسوفييت لا يعطوننا سلاحا هجوميا » ؟ وبعد ان اثبتت حرب تشرين ان « السلاح الدفاعي » ليس « بالسوء » الذي صور به ، طورت الحملة الاعلامية لتصبح « ولكن السوفييت لا يعطوننا السلاح الذي نريد والذي نحتاجه ، ولذا فلا بد من البحث عن مصدر آخر يسلحنا غير الامريكيين الذين يدعمون اسرائيل والسوفييت الذين قطعوا الاسلحة عنا، ومن تبقى في العالم غير اوروبا الغربية ؟...» الخ. وبهذه الطريقة كانت تجهض نتائج التساؤلات التي طرحت بحدة بعد حربي ١٩٦٧ و ١٩٧٣ . ووجد البديل الذي لا يشكل التعامل معه اي خطر جدي على جوهر العلاقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية السائدة في المنطقة ... ومن هنا كان التركيز على اي موقف ايجابي تتخذه اوروبا الغربية لصالحنا حتى ولو كان من قبيل ذر الرماد في العيون ...

السياسة الاوروبية في التطبيق العملي

ان السياسة العملية لاوروبا الغربية تجاه قضايا الصراع في المنطقة تنسجم بشكل كامل مع العرض الذي تقدم ، ولا يخرج عن جوهر الموقف الامريكي لو تجاوزنا التمايز النسبي لموقف فرنسا . ولو جردنا الموقف الاوروبي من كلمات المجاملة التقليدية عـــن ضرورة التعاون وغيرها من التعبيرات التي تقال اثر اي لقاء بين دولتين ، لاكتشفنـــا بسهولة ان الموقف الاوروبي بشكل عام لا يخرج عن اطار موقفه منذ العام ١٩٦٧ وما زال يقوم اساسا على قرار ٢٤٢ وبشكل ادق اقرب الى التفسير الاسرائيلي للقـــرار المذكور وللفهم الاسرائيلي لقضايا الصراع في المنطقة . واما الاشكال اللبقة والمهذبة احيانا التي يقدم بها الموقف الاوروبي فتلك مسألة شكلية ولن تغير كثيرا من الصورة .

ان الموقف الاوروبي ينطلق اساسا من الاعتراف بوجود اسرائيل ، بحدود آمنـــة ،

معترف بها ، وانهاء حالة العداء بينها وبين جيرانها العرب واوروبا ليست على استعداد لبحث اي مسألة من المسائل الا انطلاقا من هذه النقطة ، ولعل خير دليل على ذلك موقف دول اوروبا الغربية من موضوع طرح القضية الفلسطينية على الجمعية العامة للامم المتحدة، حيث انقسم الموقف الاوروبي بين معارض وممتنع عن التصويت، ولم يعد سرا ان الكتلة الاوروبية قد اشترطت لتأييد اي قرار متعلق بالقضية الفلسطينية ان يشتمل على فقرة تتضمن الاعتراف بوجود اسرائيل ، وهذا الموقف لا يخرج عن جوهر الموقف الاسرائيلي . فاسرائيل تشترط ان يسبق اي حوار مع منظمة التحرير اعتراف الاخيرة بوجودها ، اي ان جوهر الموقف ينطلق من مصلحة اسرائيل اولا واخيرا . اي الاعتراف باسرائيل اولا ثم يكون الحديث عن القضية الفلسطينية بعد ذلك ، ولا بأس من الحديث عن حقوق الفلسطينيين شرط ان لا يمس هذا مصالح اسرائيل . ولقد سبق أن تحدث أكثر من مسؤول اسرائيلي عن الفلسطينيين بقوله « واما منظمة التحرير فلا لان ايديولوجيتها تقوم على تدمير اسرائيل » . وتجنبا للغوص بعيدا في التاريخ فلسوف نكتفي بالاشارة الى ما نشر في « النهار » يوم ٧٥/٥/١ نقلا عن وكالات الانباء بشأن الحوار العربي — الاوروبي الذي بدأ في يوم ١٠ حزيران ١٩٧٥ . يقول الخبر « ذكرت مصادر هولندية مطلعة ان تبادل وجهات النظر حول الموضوع ما زال مستمرا بين الفريقين وان المجموعة الاوروبية تريد تخطي صعوبة معينة هي اشتراك ممثلين عن منظمة التحرير الفلسطينية في الحوار وهو أمر قد يفسره الجانب العربي بأنه اعتراف من قبل دول السوق الاوروبية المشتركة بالمنظمة. واضافت المصادر ان الفريقين توصلا الى حل يقول باشتراك ممثلي المنظمة في الحوار من دون ذكر اسم المنظمة كوفد مستقل » . ولو تساءلنا الآن وفي ضوء الخبر السابق ما هي المصلحة العربية التي يمكن ان تتحقق من الحوار العربي الاوروبي ؟ اقتصاديا ، فان اوروبا الغربية هي التي تحتاج المنطقة ، سوقا ومواد خام ومصدر للطاقة ، ورساميل واستثمارات . وحاجتها هذه هي أكثر من حاجة العرب . وبالمقابل فالذي تستطيع ان تقدمه اوروبا الغربية هو اعطاء موقف متقدم على الصعيد السياسي . وأساس الموقف السياسي المطلوب هو الموقف من القضية الفلسطينية ، وعندما يكون موقف دول السوق الاوروبية المشتركة هو كما عبر عنه التصريح الذي سبق الاشارة اليه ، ألا يعني هذا ان اوروبا تريد ان تحقق مصلحتها بدون تقديم مقابل على الصعيد السياسي الذي يمكن ان يخدم قضيتنا ؟ وموقف أوروبا الغربية هذا ألا يعتبر نسخة كربونية عن الموقف الاسرائيلي الذي يقول باشراك الفلسطينيين في مؤتمر جنيف ولكن من خلال وفد عربي ؟ ألا يعتبر هذا دليلا كافيا على ان جوهر الموقف الاوروبي يتحرك في ضوء الموقف الاسرائيلي ، وان مقدار ملامستهم لاي موقف ، هو من خلال تماس هذا الموقف مع مصلحة اسرائيل ورأيها . ولو قورن هذا الموقف بالموقف الامريكي هل نستطيع تبيان خلاف جوهري الا في مقدار الوقاحة التي تعلن بها امريكا عن مواقفها خاصة وانها بدأت تتحدث منذ فترة عن مصالح الفلسطينيين أي في الاطار الانساني للمشكلة وبما في ذلك من تطوير لغوي فقط للتعبير الذي كان متداولا سابقا وهو « اللاجئون الفلسطينيون » .

أوروبا الغربية وسياسة اليد المفتوحة لاسرائيل

ان الموقف الاوروبي من قضيتنا والمتوافق في جوهره مع الموقف الاسرائيلي والامريكي، والمتخلف حتى عن ما أجمع عليه العالم وما أصبح يرتقي الى مستوى البديهيات بفضل البندقية الفلسطينية التي فرضت قضيتنا على العالم ، هو على الصعيد الاسرائيلي موقف من نوع آخر كليا وفي انعكاساته العملية لا يقل بأي حال من الاحوال خطورة عن

الموقف الامريكي ، لان العبرة ليست فيما تتداوله اجهزة الاعلام عن خلاف في وجهات النظر بين اسرائيل وأوروبا بل في ترجمات العلاقة بينهما .

واذ كان الدعم الامريكي لاسرائيل أكثر بريقا ونلمسه في كل لحظة ومع كل دمار تخلفه آلة الحرب الامريكية ، ولكن الفانتوم عمليا ليست هي كل شيء وان سرقت كل البريق . فمساعدة أوروبا لاسرائيل بانعكاساتها الحاضرة والمستقبلية لا تقل خطورة عن مساعدات امريكا لها . مع تأكيدنا مرة ثانية ان البريق والضجيج الاعلامي ليس هو كل شيء .

فبالقدر الذي ساهمت فيه بريطانيا في خلق الكيان الصهيوني على ارض فلسطين بدءا من وعد بلفور عام ١٩١٧ وانتهاء بتسليم فلسطين للصهاينة في العام ١٩٤٨ ، وما تخلل تلك الفترة التي استعمرت فيها بريطانيا فلسطين من تسهيلات ومساعدات لليهود عن طريق تسهيل هجرة اليهود الى فلسطين بطرق مشروعة وغير مشروعة ، الى استملاك الاراضي العربية والاستيلاء عليها .. ثم تسهيل عملية التسليح وتدريب العصابات الصهيونية .. فبالقدر الذي ساهمت فيه بريطانيا في خلق الكيان الصهيوني ، منذ العام ١٩١٧ ، فقد **تعهدت** اوروبا الغربية **اسرائيل** بعد العام ١٩٤٨ ، فبالاضافة الى الرعاية السياسية التي تكفلت بها ، فقد تعهدتها اقتصاديا . ففي الوقت الذي كانت فرنسا وبريطانيا ترعى اسرائيل سياسيا وتشاركها عدوانها على مصر عام ١٩٥٦ ، فان المانيا الغربية كانت تقوم بالرعاية الاقتصادية لهما . فقد تقدمت ببرنامج التعويضات المعروف الذي بدىء بتنفيذه في العام ١٩٥٣ ، في وقت بلغ به الاقتصاد الاسرائيلي أدنى درجاته حيث لم تبلغ نسبة الناتج القومي في ذلك العام سوى ٦ر٠ ٪ على أساس أسعار ١٩٥٥ بينما كانت في السنتين السابقتين ٣٢٪ و٧٪ على التوالي . وفي الوقت ذاته فقد هبطت قدرة اسرائيل على استيعاب مزيد من المهاجرين الى الحضيض حيث لم تبلغ الهجرة في ذلك العام سوى ٢ر١ ألفا في الوقت الذي بلغت به في السنتين السابقتين ٥ر١٦ الفا و٤ر١١ الفا على التوالي. حيث ارتبطت دائما قدرة اسرائيل على الاستيعاب بدرجة نموها الاقتصادي كما يوضح الجدول التالي المنشور في كتاب **بحوث في الاقتصاد الاسرائيلي** ، الذي صدر اخيرا عن مركز الابحاث .

العام	عدد المهاجرين بالآلاف	الزيادة المئوية السنوية في الناتج القومي الاسرائيلي على اساس أسعار عام ١٩٥٥
١٩٥١	١٦٫٥	٣٢ ٪
١٩٥٢	١١٫٤	٧ ٪
١٩٥٣	١٫٢	٠٫٦ ٪
١٩٥٤	١١٫٤	٢١ ٪
١٩٥٥	٣١٫٥	١٢ ٪
١٩٥٦	٤٥٫٢	٨ ٪
١٩٥٧	٦٠٫٢	٩ ٪

وفي هذا الظرف بدىء بتنفيذ اتفاق التعويضات الالماني الغربي لاسرائيل والتي حلت الازمة الاقتصادية الاسرائيلية وفي الوقت نفسه أسهمت برفع قدرة اسرائيل على استيعاب مزيد من المهاجرين ودفع معدلات الهجرة دفعات كبيرة والى الامام .

ان المساعدات المذكورة لا تنفصل عن التحالف العضوي الذي كان قائما حينذاك بين المانيا الغربية من ناحية وفرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة من ناحية ثانية . ولم تحل لاسرائيل مشكلة اقتصادية ذات طابع آنـي فحسب ، بل حلت مشكلة اقتصاديـة استراتيجية ايضا كونها قد وفرت القاعدة التحتية للاقتصاد الاسرائيلي ، لان برنامج التعويضات الالماني المذكور كان عمليا برنامجا لتصنيع اسرائيل. والامكانيات الصناعية لاسرائيل في الوقت الحاضر لا تنفصل عن ذلك البرنامج التصنيعي الشامل . « لقد تم قبول حوالي ٨٠ ٪ من الاتفاق في صورة شحنات من سلع رأسمالية من جميع الانواع. وبناء على ذلك كانت الشحنات التي تمت وفقا للاتفاق تشكل عنصرا اساسيا واضحا ودائما في بناء الصناعة في اسرائيل في تلك السنوات الاولى وهو عنصر بالغ الاهمية بالنسبة لتماسك اسرائيل اقتصاديا . وكان ذلك بمثابة مساهمة هامة وبناءة في تصنيع اسرائيل . ان الشحنات التي تمت وفقا لهذا الاتفاق يمكن العثور عليها في جميع أنحاء اسرائيل وبصفة خاصة في المناطق ذات الاهمية الصناعية ، مما يوضح قيمة المساهمة التي تحدثت عنها والتي كان أثرها بناء وفعالا بأكثر من مجرد قيمة الارقام في ذلك الوقت بالذات ... » هذه الكلمات التي قيمت بها مساعدات المانيا الغربية لاسرائيل كانت حبلى بالمضامين وتعبر بالضبط عن حقيقة الامر . فلقد قطف الاقتصاد الاسرائيلي وما زال ثمار ذلك الاتفاق اذ عكس نفسه علـى الصناعة الاسرائيلية وعلـى الاقتصـاد الاسرائيلي ككل وبالتالي على الصادرات الاسرائيلية . وكما ان ذلك البرنامج قد نفذ على مراحل ، فان انعكاساته كانت مرتبطة بتلك المراحل ، وطبيعة ما نفذ منه ، ومهما قيل فان الارقام تبقى أكثر دلالة وتعبيرا عن حقيقة الامر ، وما علينا سوى القاء نظرة على الجداول التالية لنلمس أثر ذلك البرنامج .

جدول بصادرات اسرائيل ١٩٤٩ ــ ١٩٧٣ (بملايين الدولارات)

العام	الصادرات الزراعية	الصادرات الصناعية	اجمالي الصادرات	نصيب الصادرات الزراعية المئوية
١٩٤٩	١٨،١٢٣	١٠،٣٧٢	٢٨،٤٩٥	٪٦٣،٦
١٩٥٠	١٦،٩٩٧	١٨،١٥٠	٣٥،١٤٧	٪٤٨،٣
١٩٥١	١٦،١٢٩	٢٨،٦٢٥	٤٤،٧٥٤	٪٣٦
١٩٥٢	١٦،٦٨٨	٢٦،٨٠١	٤٣،٤٨٩	٪٣٨
١٩٥٣	٢٢،٠٨٧	٣٥،٥٤٩	٥٧،٦٣٦	٪٣٨
١٩٥٤	٣٥،٧٤٥	٥٠،٥٤٦	٨٦،٣٠٠	٪٤١
١٩٥٥	٣٤،١٣٧	٥٤،٩١٩	٨٩،٠٥٦	٪٣٨،٣
١٩٥٦	٤٣،٦٤٦	٦٣،٤٨٩	١٠٧،١٣٥	٪٤٠،٧
١٩٥٧	٥٤،٣٥٣	٨٦،٩٠٠	١٤١،٢٥٣	٪٣٨،٤
١٩٥٨	٥٦،٨٤٨	٨٣،٧٧٥	١٤٠،٦١٧	٪٤٠،٤
١٩٥٩	٥٨،٠٦٣	١٢٠،٧٠٣	١٧٨،٧٦٦	٪٣٢،٤
١٩٦٠	٦٣،١٥٣	١٥٣،٤٥٢	٢١٦،٦٠٥	٪٢٩،١
١٩٦١	٦٢،٦٠٣	١٨٢،٦٧٧	٢٤٥،٢٨٠	٪٢٥،٥
١٩٦٢	٦٨،٣٧٨	٢١٠،٨١٩	٢٩٧،١٩٧	٪٢٤،٤
١٩٦٣	٨٩،٠٠٥	٢٦٢،٤٨٩	٣٥١،٤٩٤	٪٢٥،٣
١٩٦٤	٦٦،٦٩٩	٣٠٥،٦٥١	٣٧٢،٣٥٠	٪١٧،٩

١٩٦٥	٨٦،٥٢٢	٣٤٣،٠٦٩	٤٢٩،٥٩١	٪٢٠،١
١٩٦٦	٩٥،٠٢٤	٤٠٨،٤٢٠	٥٠٣،٤٤٤	٪٢٠،١
١٩٦٧	١٠٧،٨٩٤	٤٤٦،٥٥٩	٥٥٤،٤٥٣	٪١٩،٤
١٩٦٨	١١٣،١٦١	٥٢٦،٥٢٩	٦٣٩،٦٩٠	٪١٧،٦
١٩٦٩	١١٧،٨	٦١١،٥	٧٢٩،٣	٪١٦،١
١٩٧٠	١٢٩،٦	٦٤٩،٢	٧٧٨،٧	٪١٦،٦
١٩٧١	١٥٤،٨	٨٠٢،٤	٩٥٧،٣	٪١٦،١
١٩٧٢	١٥٧،٢	٩٨٩،٧	١١٤٧،٥	٪١٣،٦
١٩٧٣	١٧٣،١	١٢٧٥،٦	١٤٤٨،٧	٪١١،٩

عدد المرات التي ضوعفت بها الصادرات بين ١٩٤٩ — ١٩٧٣

الزراعة ٩،٥ مرة　　الصناعة ١٢٣ مرة　　اجمالي ٥٠،٨ مرة

* كتاب الاحصائيات السنوي لاسرائيل للسنوات المذكورة ، والنسب مستخرجة .

ان القاء نظرة على أرقام الجدول السابق كافية لمعرفة انعكاسات البرنامج التصنيعي المذكور على جملة هيكلية الاقتصاد الاسرائيلي والصادرات الاسرائيلية . وهي انعكاسات ذات دلالة هامة جدا وبعيدة المدى . ومن المفيد الاشارة الى المراحل التي يمكن تقسيم أثر برنامج التصنيع المذكور اليها . فالمرحلة الاولى هي بين ١٩٥٤ — ١٩٥٨ . والمرحلة الثانية ١٩٥٨ — ١٩٦٥ . والمرحلة الثالثة بين ١٩٦٥ — ١٩٦٧ . والرابعة ١٩٦٧ — وحتى الآن . وما يهمنا هو الفترتان الاوليان ، ففي المرحلة الاولى تم بناء القاعدة التحتية للصناعة الاسرائيلية وخصوصا المشاريع غير المنتجة ، وهي المشاريع الضرورية للدخول في المرحلة التالية أي مرحلة بناء المشاريع المنتجة والمصانع الخ . وهي المرحلة التي شارفت على الانتهاء في العام ١٩٦٥ . والحقائق التي يمكن تسجيلها هي :

١ — مضاعفة الصادرات الصناعية ١٢٣ مرة مقابل ٥ر٩ مرة للصادرات الزراعية ، بين العامين ١٩٤٩ — ١٩٧٣ أي بالارقام المطلقة من ١٢٣ر١٨ مليون دولار الى ١٧٣ر١ مليون دولار للصادرات الزراعية مقابل ٣٧٢ر١٠ مليون دولار — عام ٤٩ الى ١٢٧٥ مليون دولار عام ١٩٧٣ للصادرات الصناعية . وبحيث انخفضت الاهمية النسبية للصادرات الزراعية الى اجمالي الصادرات من ٦ر٦٣ ٪ عام ١٩٤٩ الى ٩ر١١ ٪ عام ١٩٧٣ برغم ان الزراعة الاسرائيلية حافظت على تزايد قيمتها المطلقة ، أي ان وتيرة تزايد الصناعة كانت أكبر بكثير من وتيرة تزايد الزراعة .

وكما يمكن لنا ملاحظة المحطات الرئيسية التي تعرضت لها تلك النسبة ، اذ بقيت تتراوح حول ٤٠ ٪ حتى العام ١٩٥٨ وهي الفترة التي نفذت بها المشاريع غير المنتجة ولكن خلال الفترة الثانية هبطت تلك النسبة بشكل ملفت للنظر ، وذلك ابان الفترة التي نفذت بها المشاريع المنتجة ، لتصل الى ٢٠ ٪ فقط في العامين ١٩٦٥ — ١٩٦٦ وعندما تهبط نسبة الصادرات الزراعية من ٦ر٦٣ ٪ الى ٢٠ ٪ فقط وتتزايد الصادرات الصناعية من ٢٧٣ر١٠ مليون دولار الى ٤٢٠ر٤٠٨ مليون دولار عام ١٩٦٦ فان ذلك يعتبر تطورا كبيرا جدا ولا يمكن عزله عن البرنامج التصنيعي الذي نفذ قبل ذلك بحيث لم تأت سنة ١٩٦٦ الا وهنالك طاقة انتاجية عاطلة في الصناعة الاسرائيلية ، والاقتصاد الاسرائيلي يدخل مرحلة من نوع جديد هي مرحلة تشغيل تلك الطاقة وايجاد

اسواق لتصريفها وحيث كانت هنالك قفزة حقيقية ، ففي الوقت الذي لم يقفز به رقم الصادرات الصناعية خلال ثمانية عشر عاما ، اي بين الاعـــوام ١٩٤٩ ـــ ١٩٦٧ الا بـ ٤٣ مرة ، أي من ١٠٫٣٧٢ مليون دولار الى ٤٤٦٫٥٥٩ ، فان الصادرات الاسرائيلية الصناعية قد حققت خلال ٦ أعوام فقط اي بين ١٩٦٧ ـــ ١٩٧٣ قفزة تساوي ، ان لم يكن أكثر ، القفزة التي حققتها خلال الثماني عشرة سنة السابقة للعام ١٩٦٧ ، حيث أطلق العنان للقاعدة الصناعية التي قامت أوروبا ببنائها . فلقـــد قفزت الصادرات الصناعية من ٤٤٦٫٥٥٩ مليون دولار عام ١٩٦٦ لتصل الى ١٢٧٥٫٦ مليون دولار عام ١٩٧٣ ، وخلال هذه المرحلة حصل الهبوط الشديد في نسبة الصادرات الزراعية الى اجمالي الصادرات فقد هبطت من ١٩٫٤ ٪ الى ١١٫٩ ٪ وهي نسبة هبوط ذات اهمية كبرى ودلالات عميقة .

أوروبا الغربية المستورد الرئيسي

اذا كانت أوروبا الغربية هي التي قامت بخلق القاعدة الصناعية لاسرائيل عبـــر برنامج التعويضات ـــ التصنيع الذي تكفلت به المانيا الغربية ، فان أوروبا الغربية مجتمعة وبالذات دول السوق الاوروبية المشتركة قد شكلت المنفذ الرئيسي للصادرات الاسرائيلية ، حيث كانت الصادرات الاسرائيلية اليها تتزايد بمعدلات سنوية قريبة من تلك المعدلات التي كانت تتزايد بها صادراتها الاجمالية . والفترة التي شهدت بهـــا الصادرات الاسرائيلية توسعا هائلا انما كانت الفترة التي تلت عدوان ١٩٦٧ كما تدلنا أرقام الجداول (المبينة على الصفحتين ٧٢ ـــ ٧٣) .

لقد استوعبت السوق الاوروبية بدرجة أساسية تلك الزيادات التي كانت تطرأ على الصادرات الصناعية الاسرائيلية رغم ان الدول الاوروبية هي دول مصنعة وبالتالي دول مصدرة . فاضافة الى استيعاب السوق الاوروبية لما يتراوح بين ٤٥ ٪ و٣٧ ٪ من اجمالي صادرات اسرائيل على مدى السنوات من ١٩٦٣ الى ١٩٧٣ فانها قـــد استوعبت ما يتراوح بين ٣٦ ٪ و٣٤ ٪ من اجمالي صادرات اسرائيل الصناعية خلال الفترة نفسها ، علما بأن السوق الاوروبية قد استوعبت ما يتراوح بين ٧٢ ٪ و٦٧ ٪ من صادرات اسرائيل الزراعية . وبهذا كانت تتفوق على الولايات المتحدة الاميركية التي تبلغ وارداتها الزراعية من اسرائيل حوالي ٦٠/١ من واردات اوروبا وحوالي نصف واردات اوروبا من صادرات اسرائيل الصناعية ، حيث بلغ نصيب الولايات المتحدة عام ١٩٧٣ ١٨٫٤ ٪ مقابل ٣٨٫٦ ٪ نصيب اوروبا مـــن اجمالي صادرات اسرائيل الصناعية .

ان ما تقدم يدفعنا الى القول ان أوروبا الغربية قد صنعت اسرائيل في الفترة الاولى من عمر الاخيرة عبر المانيا الغربية . وأوروبا الغربية مجتمعة وبالذات من خلال الدول التي شكلت في وقت لاحق السوق الاوروبيـــة المشتركـــة كانت المستوعب الرئيسي للصادرات الاسرائيلية الامر الذي كـــان يكفل لاسرائيـــل مزيدا من النمو والتقـــدم والامكانيات حيث كانت أوروبا تتفوق في هذا المجال حتى على الولايات المتحدة برغم ان مساعدات الاخيرة أكثر بريقا واثارة .

ان أوروبا الغربية التي صنعت اسرائيل كمرحلة أولى وأوجدت المجـــال لتسويق غالبية منتجاتها كمرحلة ثانية ، أقدمت في الفترة الاخيرة على خطوة ثالثة هي ذات اثر حاسم على المستقبل الاقتصادي لاسرائيل حيث وقعت اتفاقيـــة جديدة بين اسرائيل والسوق المشتركة لا يوازيها خطورة سوى برنامج تصنيـــع اسرائيل الذي سبقت

الاشارة اليه . وكانت **شؤون فلسطينية** عدد ٤٤ قد اشارت في حينه الى ذلك الاتفاق وقيمته بقولها :

« ان الاتفاقية الجديدة والتي هي الخطوة ما قبل الاخيرة لانضمام اسرائيل الكامل للسوق المشتركة، ستترك آثارها العميقة والسريعة على مستقبل الاقتصاد الاسرائيلي، لانها تتوافق تمام التوافق مع خطة التنمية التي نفذتها اسرائيل والتي سبق لنا الاشارة اليها . باعتبار ان الاقتصاد الاسرائيلي يعاني في هذه المرحلة من عدم توازن خطير في العناصر المكونة له . اذ يقابل الوفر في عناصر الانتاج من عدد وآلات ويد عاملة فنية ، نقص خطير في امكانيات السوق سواء على صعيد المستهلكين او اليد العاملة غير الفنية . ولقد أتت الاتفاقية المذكورة لتحل الجزء الاكبر من هذا الخناق ، بتوفيرها السوق المطلوبة وبالشروط التي سبق الاشارة اليها ، ولم يكن ممكنا ان تكون لتلك الاتفاقية اية قيمة لولا درجة النمو التي بلغها الاقتصاد الاسرائيلي . لانه لا معنى اطلاقا لان تحظى اسرائيل بتسهيلات تصديرية ، في الوقت الذي لا تملك به قدرات تصديرية .

ولو تذكرنا حجم الطاقة العاطلة سواء في مجال الصناعة او اليد العاملة لادركنا الى اي مدى تستطيع اسرائيل مضاعفة معدل انتاجها لانها لن تكون بحاجة حينئذ وفي ظل الاتفاقية الجديدة ، سوى لتشغيل تلك الطاقة ، هذا اذا ما تذكرنا حقيقة أخرى ألا وهي ان امكانية توفير عنصر اليد العاملة غير الفنية يخضع لمرونة كبيرة بالمقارنة مع امكانية توفير أي عنصر آخر من عناصر الانتاج . وان زيادة معدل الانتاج، وبالمقابل بدون اعباء في مستوى تلك الزيادة ، ستعكس نفسها ايجابا على معدل النمو في اسرائيل ، ويتيح لها تعديل أوضاع ميزان مدفوعاتها والقضاء على العجز المزمن فيه او تخفيضه بدرجات كبيرة على الاقل . ويمكن لنا معرفة وادراك الخطورة التي يمثلها أي تزايد جديد في معدل الناتج القومي أو القدرة التصديرية لاسرائيل . اذا ما علمنا أن الناتج القومي لاسرائيل في العام ١٩٧٤ قد زاد عن الناتج القومي المصري في نفس العام (٧ر٨ مليار دولار لاسرائيل ، ٥ر٨ مليار دولار مصر) . واذا ما تذكرنا اثر الاوضاع الاقتصادية في الاوضاع السياسية والعسكرية لاي مجتمع من المجتمعات، فان خطر الاتفاقية المذكورة يصبح أكثر وضوحا . وبامكان اسرائيل الان ان تطمئن لمستقبلها بعد أن تحقق لها الشق الاسلم من الشعار الذي رفعته بعد حرب تشرين ، « التصدير أو الموت » ، في معرض تشبيه اوضاعها الاقتصادية بأوضاع أوروبا الغربية بعد الحرب العالمية الثانية » . وهي التي سبق أن قالت على لسان صحيفة معاريف ونقلتها النهار في ١٩٧٤/١٠/٣١ « ان وجود الفائض في العملة الصعبة باحتياطي الدولة هو حاجة حيوية لا يعلو عليها شيء في وضع اسرائيل الاقتصادي والامني ، فالحرب لا تتطلب فرقا مسلحة وانما عملة صعبة أيضا » .

أوروبا تعالج الامراض الاقتصادية المزمنة لاسرائيل

ان التضخم والعجز في ميزان المدفوعات هما الظاهرتان المرضيتان اللتان لازمتا الاقتصاد الاسرائيلي ، وقد بلغتا معدلات خطرة بالذات في الفترة التي تلت حرب تشرين، وطالما لجأت اسرائيل الى اتخاذ اقسى الاجراءات الاقتصادية لمواجهة هذين المرضين ، فقد قامت في الفترة الاخيرة بتخفيض قيمة عملتها لتزيد من صادراتها وتخفيف وارداتها ، اضافة الى الاجراءات التي استهدفت كبح جماح التضخم المالي . وقد أتت التسهيلات التي قدمتها أوروبا الغربية اخيرا بفتحها باب السوق الاوروبية المشتركة على مصراعيه أمام السلع الاسرائيلية لتشكل الدواء الناجع لمشكلة ميزان المدفوعات ، فمن المتوقع ان تقفز صادرات اسرائيل بمعدلات عالية الامر الذي يزيد من موارد اسرائيل المالية من العملة الحرة وبهذا ينخفض مقدار العجز في ميزان المدفوعات .

ان انعكاسات زيادة صادرات اسرائيل لا تقف عند حدود علاج ميزان المدفوعات فحسب ، بل تتعداها لمعالجة ظواهر سلبية اخرى يعاني منها اقتصاد اسرائيل. فزيادة الصادرات تفترض زيادة الانتاج وهذا يستدعي تشغيل الطاقة الانتاجية العاطلة في الصناعة الاسرائيلية ويتم تلافي الخسائر المترتبة على وجود طاقة انتاجية عاطلة ، اضافة لذلك خلق مزيد من فرص العمل أمام الاكاديميين والفنيين الذين يزيدون في هذه الفترة من قدرة الاقتصاد الاسرائيلي على الاستيعاب. وكذلك زيادة قدرة اسرائيل على ابتلاع المزيد من اليد العاملة العربية من المناطق المحتلة وما لها من انعكاسات على جملة الاوضاع هناك ، علما بأن تدعيم قدرة اسرائيل الاقتصادية بشكل عام انما هو في النهاية تدعيم لقدرة اسرائيل على الصمود .

ان ما تقدم يدفعنا الى القول بأن موقف أوروبا الغربية من قضايانا ومن دعم اسرائيل لم يتبدل طيلة الفترة الماضية رغم تبدل المظاهر التي قدم في ظلها ذلك الدعم الذي كان يتناسب ودرجة النمو التي قطعها الاقتصاد الاسرائيلي . وبحيث يأتي دعم اوروبا الغربية ليسهم في نقل اقتصاد العدو من مرحلة الى ارقى ، وبما في ذلك من رفع لقدرتها السياسية .

اين المقاطعة : أين المطاردة الاقتصادية ؟

ان تطور علاقات اوروبا الاقتصادية باسرائيل تفتح المجال واسعا امام سؤال ولكن اين نشاط المقاطعة العربية لاسرائيل ؟ وما هو أثر ذلك النشاط اذا كان ثمة نشاط له ؟ ولو تجاوزنا الفترة التي سبقت عدوان ١٩٦٧ ، وتساءلنا عن الترجمة العملية لموقف أوروبا الغربية تجاه عدوان ١٩٦٧ واستمرار ذلك العدوان ، لأمكن لنا القول ان ذلك الموقف هو مجرد كلام لا اكثر ولا أقل .

ان « ذروة » النشاط العربي لمجابهة اسرائيل كان في العام ١٩٧٣ ، عام حرب تشرين ، وقد كثر الحديث عن الضغط العربي ... الخ . ولكن الحقيقة ان العام ١٩٧٣ هو الذروة ايضا في علاقات اسرائيل الاقتصادية مع اوروبا، فقد زادت الصادرات الاسرائيلية لدول السوق المشتركة في ذلك العام بنسبة ٣٣ ٪ ، في الوقت الذي لم تزد به اجمالي الصادرات سوى بنسبة ٢٦ ٪ ، وزيادة صادرات اسرائيل لدول السوق المشتركة تعتبر زيادة قياسية فيما لو قورنت بالزيادة التي حققتها الصادرات الاسرائيلية طيلة السنوات العشر الماضية بين ١٩٦٣ — ١٩٧٣ (راجع الجدول) . علما بأن دول القارة الافريقية هي الدول الوحيدة التي انخفضت صادرات اسرائيل اليها حيث يمكن لنا القول أن الضغط العربي قد ترك أثرا ، ولكن وبرغم ان واردات افريقيا قد انخفضت عام ١٩٧٣ و١٩٧٢ بـ ٨ ٪ و٣ ٪ على التوالي ، ولكن تلك النسبة بالقيمة المطلقة هي ٤٥٦ر٣ و٢٧٣ر١ مليون دولار ، أي ان حجم الضغط العربي عام ١٩٧٣ كان في النهاية ثلاثة ملايين ونصف مليون دولار ! مقابل زيادة حققتها صادرات اسرائيل لدول السوق المشتركة فقط تبلغ ١٤٠ر٢٥٠ مليون دولار وذلك زيادة في صادرات عام ١٩٧٣ عن العام ١٩٧٢ .

ان ميدان المجابهة مع اسرائيل هو السوق الاوروبية ، فالقارة الافريقية بكاملها لم تستورد في العام ١٩٧٣ سوى بـ ٦٩٢ر٤٢ مليون دولار أي ٣٠ ٪ مما تستورده بريطانيا فقط ، و٣١ ٪ مما تستورده المانيا الغربية فقط ، و٤٣ ٪ مما تستورده هولندا فقط . وحيث لا يبلغ اجمالي ما تستورده افريقيا سوى ٧ ٪ من اجمالي ما تستورده دول السوق ، مع ملاحظة مسألة ملفتة للنظر ، الا وهي ان الدول الاوروبية الاكثر عرضة للضغط العربي الا وهي بريطانيا باعتبارها الاكثر استيعابا للرساميل العربية ، هي الدولة التي تحتل المرتبة الاولى من بين دول السوق في علاقاتها الاقتصادية مع

اسرائيل ، حيث استوردت لوحدها ٢٥ ٪ مما استوردته كافة دول السوق الاوروبية المشتركة من اسرائيل . وفيما يلي جدول بصادرات اسرائيل لدول السوق وتطورها في العامين ١٩٧٢ و١٩٧٣ ، وجدول ثان ببنـود الصادرات الزراعيـة والصناعية لدول السوق المشتركة في الفترة المذكورة :

بنود الصادرات الزراعية والصناعية لدول السوق المشتركة بين ١٩٧٢ — ١٩٧٣* بملايين الدولارات

	عام ١٩٧٢	عام ١٩٧٣	نسبة الزيادة السنوية
ا — صادرات زراعية (اجمالي)	١١٣٫٣	١١٧٫٥	٪ ٣٫٧
١ — حمضيات	٧٥٫٤	٧٢٫٢	٪ ٤٫٣ (—)
٢ — صادرات زراعية اخرى	٣٧٫٩	٤٥٫٣	٪١٩٫٥
ب — صادرات صناعية (اجمالي)	٣٠٥٫٥	٤٤١٫٦	٪٤٤٫٥
١ — كيماويات	١٦٫٦	٢٢٫٧	٪٣٦
٢ — أقمشة وجلود	٣٨٫٩	٥٤٫٦	٪٤٠
٣ — أغذية ومأكولات	٥٧٫٦	٧١٫٦	٪٢٤
٤ — ماس مصقول	١٢٢٫٩	١٩٩٫٩	٪٦٢
نسبة الصادرات الزراعية من اجمالي الصادرات	٪٢٧٫١	٪٢١	—

تطور صادرات اسرائيل الى دول السوق

	عام ١٩٧٢	١٩٧٣	نسبة الزيادة المئوية	حصة كل دولة من صادرات اسرائيل لدول السوق ١٩٧٣
١ — اجمالي الصادرات لدول العالم	١١٤٧	١٤٤٨٫٧	٪٢٦	
٢ — اجمالي الصادرات لدول السوق فقط	٤١٨٫٩	٥٥٩٫١	٪٣٣	
٣ — دول السوق				
١ — ايطاليا	٢٨٫٥	٣٤٫٨	٪٢٢	٪ ٦٫٢٢
٢ — ايرلندا	٠٫٧	٠٫٩	٪٢٨	٪٠٫١٦
٣ — بلجيكا ولوكسمبورج	٤٦٫٣	٧٥٫٧	٪٦٣	٪١٣٫٥
٤ — المانيا الغربية	١٠٣٫٦	١٣٧٫٦	٪٣٢	٪٢٤٫٦
٥ — الدنمرك	٥٫٧	٧٫٦	٪٣٣	٪ ٠٫١٣
٦ — هولندا	٦٧٫٤	٩٨٫٠	٪٤٥	٪١٧٫٥
٧ — بريطانيا	١١١٫٣	١٤٠٫٨	٪٢٤	٪٢٥٫١
٨ — فرنسا	٥٥٫٤	٦٣٫٧	٪١٤٫٩	٪١١٫٤
٤ — نصيب دول السوق من صادرات اسرائيل الاجمالية	٪٣٦	٪٣٨٫٦	—	—

* كتاب الاحصائيات السنوي لاسرائيل ١٩٧٣ ، ١٩٧٤ .

** النسب مستخرجة .

تطور اجمالي صادرات

البلد	قيمة الصادرات عام١٩٦٣	نسبة العام الحالي للعام السابق	١٩٦٤	نسبة	١٩٦٥	نسبة	١٩٦٦	نسبة	١٩٦٧	نسبة
كافة الدول	٣٥١٬٤٩٤	—	٣٧٢٬٣٥٠	٪ ١٠٥	٤٢٩٬٥٩١	٪ ١١٥	٥٠٣٬٤٤٤	٪ ١١٧	٥٥٤٬٤٥٣	٪ ١١٠
دول السوق	١٥٩٬٨٥٧	—	١٥٥٬١٢٨	٪ ٩٧	١٧٧٬٧٤٥	٪ ١١٤	٢١٠٬٨٩	٪ ١١٨	٢٣٥٬٩٩٦	٪ ١١١
الولايات المتحدة	٤٦٬٣٦٤	—	٥٤٬٦٦٤	٪ ١١٧	٦٢٬٤٠٤	٪ ١١٤	٧٧٬٥١٨	٪ ١٢٤	٨٩٬٩٢٥	٪ ١١٦
افريقيا	١١٬٥٦٤	—	١٢٬٧٣٧	٪ ١١٠	٢١٬٦١٨	٪ ١٦٩	١٩٬٥٤٦	٪ ٩٠	٢٤٬٤٣٩	٪ ١٢٥
نصيب دول السوق	٪ ٤٥	—	٪ ٤١	—	٪ ٤١	—	٪ ٤١	—	٪ ٤٢	—
نصيب الولايات المتحدة	٪ ١٣	—	٪ ١٤٫٦	—	٪ ١٤٫٥	—	٪ ١٥	—	٪ ١٦	—
نصيب افريقيا	٪ ٣٫٢	—	٪ ٣٫٤	—	٪ ٥٫٠٣	—	٪ ٣٫٨	—	٪ ٤٫٤	—

تطـور صـادرات اسرائيـل

كافة البلدان	٢٦٢٬٤٨٩	—	٣٠٥٬٦٥١	٪ ١١٦	٣٤٣٬٠٦٩	٪ ١١٢	٤٠٨٬٣٥٥	٪ ١٩٩	٤٤٦٬٥٥٩	٪ ١٠٩
دول السوق	٩٥٬٢٥٣	—	١٠٩٬٨٤٨	٪ ١١٥	١١٨٬٣٦٣	٪ ١٠٧	١٤٧٬٢٥٤	٪ ١٢٤	١٦١٬٢٨٢	٪ ١٠٩
الولايات المتحدة	٤٥٬٨٨٤	—	٥٤٬٢٩١	٪ ١١٨	٦١٬٩٥٨	٪ ١١٤	٧٦٬٩١٠	٪ ١٢٤	٨٩٬٧٠٦	٪ ١١٦
نصيب دول السوق	٪ ٠٫٣٦	—	٪ ٠٫٣٥	—	٪ ٠٫٣٤	—	٪ ٠٫٣٦	—	٪ ٠٫٣٦	—
نصيب الولايات المتحدة	٪ ٠٫١٧	—	٪ ٠٫١٧	—	٪ ٠٫١٨	—	٪ ١٨٫٨	—	٪ ٠٫٢٠	—

تطـور صـادرات اسرائيـل

كافة البلدان	٨٩٬٠٠٥	—	٦٦٬٦٩٩	٪ ٧٤	٨٦٬٥٢٢	٪ ١٢٩	٩٤٬٩٢٧	٪ ١٠٩	١٠٧٬٨٩٤	٪ ١١٣
دول السوق	٦٤٬١٥٥	—	٤٤٬٤٧٥	٪ ٦٩	٥٨٬٧٠٩	٪ ١٣٢	٦٢٬٩٨٥	٪ ١٠٧	٧٧٬١٤	٪ ١٢٢
الولايات المتحدة	٠٫٤٨٠	—	٠٫٣٧٣	٪ ٧٧	٠٫٤٤٦	٪ ١١٩	٠٫٦٠٨	٪ ١٣٦	٠٫٢٢٩	٪ ٣٧
نصيب دول السوق	٪ ٧٢	—	٪ ٦٦٫٦	—	٪ ٦٧٫٨	—	٪ ٦٦	—	٪ ٧١	—
نصيب الولايات المتحدة	٪ ٠٫٥	—	٪ ٠٫٥	—	٪ ٠٫٥	—	٪ ٠٫٦	—	٪ ٠٫٢	—

* كتاب الاحصائيات السنوي لاسرائيل للاعوام ١٩٦٣ — ١٩٧٣ .
* النسب مستخرجة .

اسرائيل ١٩٦٣ — ١٩٧٣ (بملايين الدولارات)

١٩٦٨	نسبة	قيمة الصادرات عام١٩٦٩	نسبة النمو الحالي للعام السابق	١٩٧٠	نسبة	١٩٧١	نسبة	١٩٧٢	نسبة	١٩٧٣	نسبة
٦٢٩٬٢١٩	٪ ١١٥	٧٢٩٬٣١٠	٪ ١١٤	٧٧٨٬٧٢٥	٪ ١٠٦	٩٥٧٬٦٠٩	٪ ١٢٢	١١٤٦٬٩٧٢	٪ ١١٩	١٤٤٨٬٦٥٩	٪ ١٢٦
٢٥٤٬٤٠٤	٪ ١٠٧	٢٧٠٬٥٥٩	٪ ١٠٦	٢٩١٬٨٢٩	٪ ١٠٧	٣٦٠٬٠٦٠	٪ ١٢٣	٤١٨٬٨٥٢	٪ ١١٦	٥٥٩٬١٠٢	٪ ١٣٣
١١٩٬٤١٥	٪ ١٢٢	١٣٥٬٧١٢	٪ ١١٣	١٤٩٬١١٤	٪ ١٠٩	١٨٥٬٥٤٨	٪ ١٢٤	٢٢٢٬٤٧٣	٪ ١٢٠	٢٦٧٬٠٠٩	٪ ١١٩
٢٧٬٩٤٥	٪ ١١٤	٣٤٬٢٤٦	٪ ١٢٢	٤١٬٥٤٢	٪ ١٢١	٤٧٬٤٢١	٪ ١١٤	٤٦٬١٤٨	٪ ٩٧	٤٢٬٦٩٢	٪ ٩٢
٪ ٤٠	—	٪ ٣٧	—	٪ ٣٧٬٥	—	٪ ٣٧٬٦	—	٪ ٣٦٬٥	—	٪ ٣٨٬٦	—
٪ ١٨٬٦	—	٪ ١٨٬٦	—	٪ ١٩	—	٪ ١٩	—	٪ ١٩	—	٪ ١٨٬٤	—
٪ ٤٤٣	—	٪ ٤٤٦	—	٪ ٥٤٣	—	٪ ٤٤٩	—	٪ ٤٤٠٢	—	٪ ٢٤٩	—

الصنـــاعيـــة ١٩٦٣ — ١٩٧٣

٥٢٦٬٥٢٢	٪ ١١٧	٦١١٬٥	٪ ١١٦	٦٤٩٬٢	٪ ١٠٦	٨٠٢٬٤	٪ ١٢٣	٩٨٩٬٧	٪ ١٢٣	١٢٧٥٬٦	٪ ١٢٨
١٧٦٬٧٧٧	٪ ١٠٩	١٩٠٬٥	٪ ١٠٧	٢٠٢٬٤	٪ ١٠٦	٢٤٨٬٦	٪ ١٢٢	٣٠٥٬٥	٪ ١٢٢	٤٤١٬٦	٪ ١٤٤
١١٧٬٦٥٥	٪ ١٢١	١٣٤٬٦	٪ ١١٤	١٤٨٬١	٪ ١١٠	١٨٤٬٤	٪ ١٢٤	٢١٩٬٤	٪ ١١٨	٢٦٦٬٢	٪ ١٢١
٪ ٣٣٬٥	—	٪ ٠٬٣١	—	٪ ٢١	—	٪ ٢٠٬٩	—	٪ ٢٠٬٨	—	٪ ٢٤٬٦	—
٪ ٠٬٢٢	—	٪ ٠٬٢٢	—	٪ ٢٢	—	٪ ٢٢	—	٪ ٢٢	—	٪ ٢٠٬٨	—

الزراعيـــة ١٩٦٣ — ١٩٧٣

١١٣٬١٦١	٪ ١٠٤	١١٧٬٨	٪ ١٠٤	١٢٦٬٤	٪ ١٠٧	١٥٤٬٨	٪ ١٢٢	١٥٧٬٢	٪ ١٠١	١٧٣٬١	٪ ١١٠
٧٦٬٧٣٢	٪ ٩٩	٧٩٬٣	٪ ١٠٣	٨٨٬٧	٪ ١١١	١١١٬١	٪ ١٢٥	١١٣٬٣	٪ ١٠١	١١٧٬٥	٪ ١٠٣
١٬٧٦٠	٪ ٧٦٨	١٬١	٪ ٦٢	١	٪ ٩٠	١٬٢	٪ ١٢٠	١٬٧	٪ ١٤١	١٬٨	٪ ١٠٥
٪ ٦٧٨	—	٪ ٠٬٦٧	—	٪ ٠٬٧٠	—	٪ ٧١٬٧	—	٪ ٠٬٧٢	—	٦٧٬٨	—
٪ ١٬٥	—	٪ ٠٬٤٩	—	٪ ٠٬٤٧	—	٪ ٠٬٤٧	—		—	٪ ١	—

التاريخ يعيد نفسه

ان درجة النمو التي حققها الاقتصاد الاسرائيلي ككـل ، والقفزات التـي تشهدها الصادرات الاسرائيلية هي الترجمة العملية لبرنامج التصنيع الذي « نفذ » لاسرائيل .

فالصناعة هي العامل الاساسي وراء تلك القفزات . وعندما نقول صناعة اسرائيلية ، فان الذاكرة تعود الـى الخمسينات حيث بدىء في دفع التعويضات الالمانيـة الغربية لاسرائيل ، بشكل برنامج تصنيعي ، يومهـا احتجت الدول العربية . ولكن بعـد شهور معدودة تفهموا الموقف وساد الصمت ، ومرت الاتفاقية . وما زالت اسرائيل تقطف ثمارها . وبرغم ان دول السوق قد أقدمت على توقيع اتفاقية اقتصادية ، لا تقل آثارها عن اتفاق التعويضات المذكور ، برغم هذا ، استؤنف الحوار العربي ــ الاوروبي في موعده بعد جولة في المنطقة قام بها وزير خارجية ايرلندا ، « ليوضح لكل من قابله سوء الفهم الذي لحق بالاتفاقية المذكورة » . وبعد ان « ردت دول السوق بأن الاتفاقية لا تتضمن الاراضي العربية المحتلة بعد حزيران ١٩٦٧ بمعنى ان دول السوق لا تقوم او تتعاون في مشروعات داخل هذه الاراضي » ! وهكذا هدأت الزوبعة واستؤنف الحوار . . كما ساد الهدوء في الخمسينات .

ان (الرجل الاوروبي) ممثلا بوزير خارجية ايرلندا ، كان يحتقر عقول العرب وهو يوزع « توضيحات » هنا وهناك ، والجميع يعرف تمام المعرفة ، العلاقة بين السياسة والاقتصاد ، وليس ماركس وريكاردو وآدم سميث . . . فقط .

وعندما تتوفر للعدو موارد مالية جديدة ، فان أحدا لن يستطيع تحديد متى ، وأين وكيف تصرف . . وبرغم هذا استؤنف الحوار !

آراء هركابي وموقفه من الشعب الفلسطيني وقضيته

حمدان بدر

يعتبر الجنرال (احتياط) يهوشفاط هركابي واحدا من الخبراء الاسرائيليين في الشؤون العربية المعروفين ، وذلك للمناصب التي شغلها في الماضي وكذلك لانه يتقن اللغة العربية ، ويتابع قراءة ما يصدر في العالم العربي من كتب ونشرات وخاصة فيما يتعلق بالنزاع العربي — الاسرائيلي والقضية الفلسطينية . وانه ليس من السهل فصل موقف البروفيسور هركابي من الصراع العربي — الاسرائيلي عن قصة حياته ، فوالده القاضي تسدقياهو هركابي ، اضطر في الثمانينات من القرن الماضي ، للسفر الى القدس والدراسة في مدرسة ابتدائية عربية ، حيث كان اليهودي الوحيد فيها . وقد جعلت هذه الدراسة الطريق مفتوحا أمامه الى المدرسة الثانوية في سوريا وقد أتم دراسته في دمشق . وعندما عاد الى فلسطين تزوج من احدى فتيات بيتح تكفا ، ورزق عام ١٩٢١ بابنه « يهوشفاط » . وقد تعلم هركابي الابن في مدرسة « هريئالي » في حيفا ، حيث تفوق بالعلوم الدقيقة ولكنه فضل أن يدرس في الجامعة العبرية مواضيع مثل الفلسفة والتاريخ واللغة والادب العربي . وفي عام ١٩٤٣ تم تجنيده في الكتيبة الثانية في الفرقة العبرية .

عاد هركابي بعد انتهاء الحرب العالمية الى الدراسة في مؤسسة تابعة للوكالة اليهودية ، وهي التي اعدت الرعيل الاول من سلك وزارة الخارجية ، وفي عام ١٩٤٧ تركز في النشاط العسكري كقائد لكتيبة الطلبة الجامعيين في القدس . ثم انضم بعد حرب عام ١٩٤٨ الى وزارة الخارجية الاسرائيلية التي كانت قيد التنظيم وعين رئيسا لدائرة شؤون آسيا ، ثم عمل بعد ذلك بمدة قصيرة كضابط للاتصال بين الجيش الاسرائيلي ووزارة الخارجية برتبة رائد . كما اشترك مع الوفد الاسرائيلي في المفاوضات مع مصر والاردن وفي محادثات رودس . وبفضل منصبه اجتاز عدة مرات الحدود الى الاردن ، واجتمع الى الملك عبدالله عدة مرات في مقره الشتوي في غور الاردن (الشونة الجنوبية) . وكانت الوظيفة التالية التي شغلها هي رئيس مكتب وزير الخارجية وسكرتيره السياسي (كان موشيه شاريت، وزيرا للخارجية في ذلك الوقت) . وفي هذه المرحلة ، اقترح عليه بصورة مفاجئة ، وظيفة نائب مدير شعبة الاستخبارات من قبل رئيس الاركان ، حيث عمل فترة ما في هذا المنصب ، سافر بعدها الى فرنسا لقضاء سنة دراسية في العلوم السياسية هناك . وعندما عاد تسلم منصب مدير شعبة الاستخبارات وذلك ابتداء من عام ١٩٥٥ برتبة جنرال .

وبقي هركابي في منصبه هذا حتى عام ١٩٥٩ ، الى ان وقع حادث ادى الى عزله من منصبه . فقد عين بن غوريون لجنة في ابريل ١٩٥٩ ، للتحقيق في مسألة التعبئة العلنية لمناورة الاحتياط ، الامر الذي ادى الى استقالته هو و(الجنرال) مئير زوريع من الجيش . وعندها سافر هركابي الى جامعة هارفارد بهدف مواصلة طريقه الاكاديمي ، حيث درس الاقتصاد والاجتماع والعلاقات الدولية وحصل على درجة

الماجستير من هناك ، ثم عاد الى الجامعة العبرية وحصل عام ١٩٦٥ على الدكتوراه ، وكانت اطروحته «موقف العرب في الصراع العربي ــ الاسرائيلي » .

ومنذ ذلك الوقت وهو يحاضر في مواضيع استراتيجية في الجامعة العبرية وينشر الكتب التي تتعلق بالصراع العربي ــ الاسرائيلي ، مثل « موقف العرب في الصراع العربي ــ الاسرائيلي » و« الحرب الذرية والسلام الذري » و« بين اسرائيل والعرب » و« فتح في الاستراتيجية العربية » و« عبرة العرب من هزيمتهم » و« كيف تم شرح الموقف العربي في الجيش المصري » و « الميثاق الوطني الفلسطيني » وقد أصدر بعد حرب اكتوبر . ونظرا للحملة العنيفة التي وجهت الى مجموعة الخبراء الاسرائيليين بالشؤون العربية ، لتقديمهم صورة ومفاهيم خاطئة عن العالم العربي ، مما دفع هركابي وغيره الى اصدار مجلة فصلية تحمل اسم « اسرائيل والعرب » ، تحتوي على ترجمة للمقالات والدراسات التي تصدر في العالم العربي ، لوضعها بين متناول أيدي المعنيين وذوي الاختصاص . وتم في اغسطس من العام الماضي ، اعارته لمدة سنة من قبل الجامعة الى وزارة الدفاع ، حيث يعمل الآن مساعدا لوزير الدفاع في السياسة الاستراتيجية ويشتغل ايضا في التخطيط الاستراتيجي للمدى الطويل (ملحق دافار ــ ٧٥/٢/٢٨) .

الفلسطينيون في النزاع الاسرائيلي ــ العربي

من الملفت للنظر انه بالرغم من ان هركابي يتابع القضية الفلسطينية بكافة جوانبها وخلفياتها ، وبالرغم من أنه يحصل على كافة المعلومات حول القضية الفلسطينية والشعب الفلسطيني سواء من مصادر عربية او فلسطينية او نتيجة لاختلاطه بسكان المناطق المحتلة ، وبالرغم من تأليفه عددا من الكتب وكتابة عشرات المقالات والمحاضرات حول هذا الموضوع ، رغم هذا كله فاننا لا نجد موقفا موحدا وواضحا لهركابي تجاه الشعب الفلسطيني وقضيته . بل يلاحظ المتتبع لكل ما قاله وكتبه حول هذا الموضوع بأنه يتخذ مواقف غامضة ومبهمة من هذه القضية ، فنراه مثلا احيانا يعطي أهمية للفلسطينيين ولمشكلتهم في النزاع الاسرائيلي ــ العربي . ثم لا يلبث ان يعود الى التقليل من هذه الاهمية ، بحيث لا يعطيهم الوزن والثقل الكافيين .

وسيتبين معنا خلال استعراض آراء هركابي ومواقفه بالنسبة للفلسطينيين ، مدى الغموض وعدم الوضوح والجزم في آرائه ، بالنسبة لكافة جوانب القضية الفلسطينية.

هذا ولا يسع هركابي ، الا الاعتراف بالارتباط الذي يشد الفلسطينيين الى وطنهم ، ويعترف بأن الجيل الفلسطيني الشاب يسعى الى العودة ليس من خلال الاشتياق الى ملك معين وانما لرفضه حياته الحالية ومن خلال موقف ايديولوجي ، وذلك لازالة الظلم الذي لحق به وعدوانية اسرائيل وضرورة تصفية اسرائيل وكذلك تحقيق العدل في المنطقة . ويؤكد هركابي على ارتباط الفلسطينيين بوطنهم ، رغم تغير صورته ، بعد أن قاموا بزيارة قرى آبائهم ، ويدعو الا يؤدي الاعتراف بأن للفلسطينيين ارتباطا بالبلاد الى الزعزعة والقلق داخل اسرائيل .

ومن جهة أخرى يدعو هركابي الى التخلي عن الادعاء القائل بأن الفلسطينيين ليسوا شعبا، وبأنه لم يكن هناك في الماضي شعب فلسطيني، ووصف الادعاء بأنه ليس مقنعا. وان أي شعب لم يكن قائما منذ الازل فهو يخلق بعملية تاريخية. ويشير هركابي الى ان تدخل الدول العربية في النزاع قد أدى الى هبوط مكانة الفلسطينيين، حيث أصبحوا بعد عام ١٩٤٨ عاملا هامشيا . ولكن طرأ تغيير كبير على وضع الفلسطينيين نتيجة لحرب الايام الستة ، فقد انتصبت قامتهم ، وقد عملت لهم العمليات الفدائية أسهما في الدول

العربية وخارجها ، وتحول الفلسطينيون الى حاملي راية القومية العربية والى مصدر للاعتزاز (هركابي ، الميثاق الوطني الفلسطيني ودلالته) .

يقول هركابي ، أن للعرب الفلسطينيين ولمشكلتهم مكانا مهما في النزاع اليهودي — العربي . ولكنهم على الرغم من تعريفهم كفلسطينيين ، وتشديدهم على هذه الخاصية ، لا يشكلون اليوم عنصرا موحدا في النزاع . فهم منقسمون ومنشقون على أنفسهم ، والفوارق بينهم الآن ، أساسية أكثر من الماضي ، الى درجة انه لا يمكن من الناحية السياسية لف الفلسطينيين في رزمة واحدة . ويقسم هركابي ، الفلسطينيين ، من الناحية الجغرافية الى ثلاث جماعات أساسية ، يقابله انقسام متفاوت من الناحية الفكرية . (١) عرب الضفة الغربية . (٢) الفلسطينيون الذين استوعبوا اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا في الاردن ، وهم يؤيدون حكم حسين ، وبالامكان اعتبارهم جزءا من الاردن . (٣) منظمة التحرير الفلسطينية ، وفي الاغلب منظمات الفدائيين التي ترفض ، رفضا متطرفا ومطلقا كل تسوية للتعايش مع اسرائيل . « وقد سمعت في بعض الاحيان ، سقسقة ، عن تغييرات في مفهومهم ، ولكن اتضح بعد فترة انها كانت شائعات فارغة . وان المبدأ الرئيسي في مفهومهم هو عدم استعدادهم للموافقة على قيام دولة يهودية ، ولم يظهروا أي ميل للتنازل عنه » (معاريف ١٩٧٢/٦/٩) .

ويحلل هركابي موقف هذه الجماعات من النزاع الاسرائيلي — العربي ، فيقول ، انه يسود العرب الفلسطينيين في الضفة الغربية — وهم أيضا ليسوا من جبلة واحدة — شعور بضرورة التوصل الى تسوية شاملة مع اسرائيل . ولم تعد أغلبيتهم تتوقع خلاصها من الدول العربية والفدائيين . وعلى العكس ، فان اليأس من الدول العربية ، واحساس الفلسطينيين بأنهم ضحية ديمومة النزاع والتناقض الذي تكشف لهم بين تأخر الدول العربية في مجالات النمو والتقدم ، وبين انجازات اسرائيل ، وسلوكها الليبرالي نحوهم الذي نقض توقعاتهم ، وفشل الفدائيين وقمعهم الوحشي في الاردن في اثناء حوادث أيلول ١٩٧٠ والصدامات التي تلتها ، كل ذلك أثر فيهم تأثيرا عميقا وأثار في أوساطهم أفكارا وخواطر حول امكان انتزاع زمام المبادرة في معالجة مشكلاتهم الجماعية التي تتعدى حدود البلديات (قال هركابي هذا الكلام خلال عام ١٩٧٢ ، أي قبل أن يرى الانتفاضة الشعبية التي اجتاحت المناطق المحتلة خلال اكتوبر ١٩٧٤ ، وذلك تأييدا لمنظمة التحرير الفلسطينية واعتبارها الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني، وبهذا يكون هركابي وغيره قد أخطأوا في تقديرهم بخلق بديل لـ م.ت.ف) .

ويطرح هركابي ، امكانات لحل المشكلة الفلسطينية ، وذلك قبل الاخذ بالحسبان أهداف اسرائيل السياسية وضرورة موافقتها . ١) دولة مستقلة فلسطينية في الضفة الغربية . ويصف هذا الحل فيقول : يبدو ان مثل هذه الدولة غير قابلة للبقاء ، ليس بسبب صغر حجمها فقط ، وانما الاهم من ذلك بسبب وضعها السياسي . فاذا اقيمت ، على الرغم من معارضة الاردن ، فباستطاعته ان يعزلها ويمنع مواطنيها من الاتصال بالبلاد العربية وبأقربائهم الموجودين فيها . وستكون لهذا العزل آثار اقتصادية واجتماعية وسياسية بعيدة المدى في هذه الدولة ومواطنيها . ولن يكون موقف الدول العربية الاخرى من هذه الدولة أكثر تساهلا . وتعتبر منظمة التحرير الفلسطينية والكتل الملتفة حولها ، الدولة الفلسطينية في الضفة ، مؤامرة صهيونية جهنمية وتطلق عليها اسم « دويلة » او « فلسطينتان » .

ويضيف هركابي ، ان مجرد التفكير في المقاطعة والحصار اللذين ستفرضهما الدول العربية والفلسطينيون المقيمون في هذه الدول ، هو اليوم بمثابة كابوس بالنسبة الى

المرشحين لمواطنية الدولة الجديدة ، يردعهم عن اية تسوية منفردة مع اسرائيل . (لم يؤخذ في الاعتبار امكان طرح شعار « السلطة الوطنية » في الضفة الغربية والقطاع من قبل م. ت. ف.) .

والحل الثاني الذي يطرحه هركابي ، من خلال تحليله ورؤيته للوضع ، هو الانضمام الى الاردن بحسب مشروع الملك حسين . ولكنه يرى ان العودة الى الحكم الهاشمي ، ليست احتمالا سارا ، على الاطلاق ، لفلسطينيين كثيرين في الضفة . ويرى انه في الوقت الذي تعتبر فيه اقامة دولة فلسطينية مستقلة في الضفة ضربا من المستحيل ، كما ان الانضمام الى اسرائيل او الى الاردن امر غير مرغوب فيه ، فان عرب الضفة يندفعون الى متاهة . ويبدو ان الاغلبية تميل ، في مثل هذه الحالة ، الى اختيار الوضع القائم كأهون الشرين ، وحتى الى التسليم به .

ويضيف هركابي الى هذه الحلول ، حلا اخر ، يطرحه البعض من اهالي الضفة ، وهو اقامة دولة فلسطينية في الضفة ، تبقى تحت وصاية الامم المتحدة عدة سنوات ، ويحسم مستقبلها في النهاية عن طريق الاستفتاء ، على افتراض ان هذه الطريقة ستؤدي الى قبول الدول العربية بها . كما ان هناك من يقترح بتحويل الاردن نفسه ، بمرور الوقت الى دولة فلسطينية ، بفضل تغلب العنصر الفلسطيني داخله . ولكن هركابي نفسه يعارض هذا الاتجاه ، ويرى في الاردن جبهة هادئة ، ولا حاجة الى تحريكها ضد اسرائيل عن طريق تحويلها الى فلسطينية (المصدر نفسه) .

الدولة الديموقراطية ــ « شعار للتمويه والخداع »

كان لطرح شعار « الدولة الفلسطينية الديمقراطية » ، ردود فعل واصداء مختلفة لدى الاسرائيليين ، ويمكن القول انه لم يترك اي شعار او اية فكرة ، آثارا على الاسرائيليين كما فعل هذا الشعار . حيث سبب لهم ضيقا وحرجا لدى اغلبية الرأي العام العالمي ، لما لاقاه من استحسان وتجاوب ونجاح لدى كثير من الاوساط العالمية . ويمكن القول ان هذا الشعار هو افضل ما طرحته المقاومة الفلسطينية ، كرد على الحل الصهيوني للمشكلة الفلسطينية .

وكان هركابي احد الذين تضايقوا جدا من هذا الشعار وما حققه من نجاح عالمي ، وذلك لانه كان يكثر من القاء المحاضرات والاشتراك في الندوات في الخارج ، حيث كان يجابه دائما بهذا الشعار . ولهذا عمل كل ما بوسعه من أجل الرد على هذا الشعار وتفنيده واقناع العالم بان هذا الشعار ليس الا مجرد « شعار دعائي » وانه لا يعبر شيئا عن حقيقة الموقف الفلسطيني . كما ان هذا الشعار هو تكتيكي فقط وليس استراتيجي . وقد اعتمد هركابي في ذلك على أن المنظمات الفدائية قد رفضت في المجلس الوطني الفلسطيني السادس هذا الشعار ، واورد بعض النصوص من « تعميم داخلي حول مناقشات ونتائج المجلس الوطني السادس » ، حول الدولة الديمقراطية ، بين من خلاله انه كانت هناك عدة مواقف واتجاهات بالنسبة لهذا الشعار . فكان هناك من قال ان هذا الشعار هو تكتيكي ، نرفعه لانه لاقى استقبالا جيدا في العالم . وهناك من يقول ان هذا الشعار استراتيجي وليس تكتيكيا ، ولكنه سيبقى شعارا وليس مبدأ اساسيا . وهذا الموقف حسب هركابي ، يشبه سابقه مع محاولة التلاعب في الكلمات فقط (معاريف ١٩٧٠/٤/٣) .

ومن جهة اخرى ، يورد هركابي نصا ورد في كتاب صدر عن الجبهة الديمقراطية « حركة المقاومة الفلسطينية في وضعها الراهن ، دراسة نقدية » (اكتوبر ١٩٦٩)

يقول ، ان النضال من اجل حل ديمقراطي شعبي للمسألة الفلسطينية والاسرائيلية ، يعتمد على طرد الكيان الصهيوني المتمثل بكافة مؤسسات الدولة (الجيش والادارة والشرطة وكافة المؤسسات السياسية والثقافية الشوفينية والصهيونية) ، وورد في النص ايضا ، ان الدولة الفلسطينية الديمقراطية ستكون جزءا لا يتجزأ من دولة فيدرالية عربية في هذه المنطقة، دولة معادية للكولونيالية وللاستعمار والصهيونية الخ. ويعلق على هذا هركابي بقوله : ان الحل الديمقراطي مقدم اذن كوسيلة بين حلين شوفنيين ــ دولة يهودية ، والقاء اليهود في البحر كأنها متوازنة ومتوازية . وهذا كما يبدو حل وسط منطقي ، العرب يتنازلون عن قتل اليهود، واليهود يتنازلون عن دولتهم.

ويرى هركابي ان الاختلاف في التحليل والطرح من قبل المنظمات بالنسبة لهذا الشعار سيؤدي الى خلق مشاكل كثيرة لها ، ويرى ان هذا الشعار بالنسبة للعرب سيخلق المشاكل اكثر مما يحلها . ويورد بعض الامور التي تخضع للخلافات ، وذلك بالنسبة لتحديد الحقوق التي سيتمتع بها اليهود في هذه الدولة ، فهناك من يعترف ، كالجبهة الديمقراطية ، ان اليهود يشكلون شعبا ، ولهذا فهم يرون الحل عن طريق الصراع الطبقي في هذا البلد . ولكن فتح ترى شيئا اخر ، فهي ترى أنه باستمرار النضال ، فستتوقف الهجرة الى اسرائيل وسيزداد النزوح منها ، وبهذا يكونون قد تخلصوا من المعضلة التي ستواجههم بالنسبة لاعطاء الحقوق الى اليهود الذين سيبقون في البلاد . ولكن هركابي يعتبر توقف الهجرة الى اسرائيل ، وازدياد المقاومة ضد اسرائيل من الداخل كما يتصوره الفلسطينيون ، انما هو مجرد وهم ، بل بالعكس فان « البيشوف » اليهودي سيكبر وان امكانات هضمه كأقلية ستأخذ في الصغر ومن ثم بالتلاشي . وعندها سيطلب الى الفلسطينيين بدفع الحساب، اي ثمن الشعار الذي طرحوه ، وسيؤدي ذلك حتما الى كثرة التخبطات والمناقشات وسيتحول الى موضوع اخر يختلف العرب عليه . ولهذا يرى هركابي ان الفلسطينيين قد توقفوا منذ مدة عن مناقشة وتحليل هذا الشعار . (المصدر نفسه) .

وقد عمل هركابي جاهدا على الرد على هذا الشعار ، فقام باعداد نشرة لتكون دليلا حول الدولة الديمقراطية الفلسطينية ، يتسلح به الاسرائيليون في الخارج لدى مناقشتهم لهذا الطرح . ويقول في هذه النشرة انه تم طرح هذا الشعار للمرة الاولى ، في المؤتمر الدولي لنصرة الشعوب العربية في القاهرة ما بين ٢٥ ــ ١٩٦٩/١/٢٨ . وقد تم طرحه ، لاصلاح الانطباع بان موقف العرب متطرف تجاه الاسرائيليين . وعندما طالبت الجبهة الديمقراطية في المجلس الوطني الفلسطيني السادس ، بتحديد هدف اقامة دولة فلسطينية ديمقراطية كمبدأ وكذلك تعديل الميثاق الوطني الفلسطيني بناء على ذلك ، فقد رفض هذا الطلب ، ولكن جميع الفئات الممثلة في المؤتمر وافقت على الاستمرار برفع هذا الشعار كوسيلة للعلاقات العامة . ويشير هركابي الى استغلال بعض النقاط المتعلقة بهذا الشعار وابرازها لدى الرأي العام لاطلاعه على التناقض في الموقف الفلسطيني . وخاصة عندما يستغرب أنه بالرغم من قبول صيغة الدولة الديمقراطية ، فانه لم يتم تعديل البند السادس في الميثاق الوطني من قبل المؤتمرات السبعة للمجلس الوطني التي اجتمعت من ذلك الوقت . ويعترف هركابي بان قرار الدولة الديمقراطية نص على ان كافة مواطني هذه الدولة سيتمتعون بالحقوق نفسها ، ولكن لم يحدد بوضوح من هم وكم سيبلغ عددهم . ولهذا يدعو هركابي الى استغلال التناقض بين مفهوم الدولة الديمقراطية ، الذي لا يتناقض مع تقييد عدد اليهود ومساواتهم في الحقوق ، وبين البند السادس من الميثاق الذي يحدد عدد اليهود الذين

سيسمح لهم في البقاء في الدولة « المحررة » وخاصة ذلك الذي عدل ١٩٦٨ ، حيث ان هذا يتنافى مطلقا وشعار الدولة الديمقراطية ، ومن هنا ، يرى هركابي انه يمكن استغلال ذلك احسن استغلال لكشف مدى الزيف والخداع والتمويه في طرح مثل هذه الشعارات .

ويزود هركابي رجال الاعلام الاسرائيليين بالوصايا التالية للرد على هذا الشعار (١) ان المسألة ليست جديدة ، وانه ليس ابداء لموقف ليبرالي تجاه اليهود ، ان هذا فقط تكتيك كلامي . (٢) اشرح الخلافات في الاراء بين المنظمات التي تكشف مشكلة الموضوع . (٣) اذا كان الفلسطينيون قد وهبوا بموهبة للديمقراطية ، فمن الافضل ان يتبرعوا بذلك للدول العربية المحتاجة له اكثر . ان اسرائيل ديمقراطية والدليل هو تأثير ضغط الرأي العام على السلطة بعد حرب يوم الغفران . (٤) ليس صحيحا ان الدول العربية علمانية . ففي جميع دساتيرها (ما عدا لبنان) تحدد ان دين الدولة هو الاسلام او ان الرئيس يجب ان يكون مسلما . ٥) وضح العلاقة بين الدولة الديمقراطية والبند السادس من الميثاق ، وكيف ان ملامح « الدولة الديمقراطية » لا تناقض تقييد عدد اليهود . ٦) ابرز ناحية هدم اسرائيل واجلاء اليهود كشرط للدولة الديمقراطية في الموقف الفلسطيني . ٧) حسب وصف العرب فان الدولة ستقوم بعد حرب دموية لهدم اسرائيل ، وهناك اصطناعية لا يمكن تصديقها وهي ان العداء وسفك الدماء ستنقلب الى شغف لاقامة دولة مشتركة . (٨) وحتى ان الفكرة اذا لم تكن مليئة بالتناقضات ، فان الاسرائيليين يريدون دولة لهم ويطالبون بتقرير المصير ولن يوافقوا على التنازل عن الفكرة الرئيسية في الصهيونية (دافار ١٩٧٤/٧/١٩) .

السلطة الوطنية والمجلس الوطني الثاني عشر

يقول هركابي انه منذ حرب الايام الستة ، اتخذت منظمة التحرير الفلسطينية والمنظمات المنضوية تحت لوائها ، موقف الرفض تجاه امكانية التسوية السياسية للنزاع او اقامة دولة فلسطينية في الضفة . ولكن حرب يوم الغفران وبداية تسويات فصل القوات قد وضعتهم أمام نظرتهم الى مفاوضات جنيف بكل حدتها . ويقول انه كان هناك موقفان رئيسيان لدى الفلسطينيين في المجلس الوطني الثاني عشر ، احدهما يؤيد الاشتراك في مؤتمر جنيف ويدعو الى اقامة سلطة وطنية في اي جزء يتم «تحريره» من الارض الفلسطينية ، والثاني يدعو الى رفض ذلك ، ويدعو الى مواصلة الكفاح المسلح حتى يتم تحرير كامل التراب الفلسطيني ، وتصفية الكيان الصهيوني .

وقد اورد هركابي تلخيصا للحجج التي تدمها كل من « القابلين والرافضين » ودعا الى دراستها بشكل جيد « وذلك من اجل ان نفهم وضعنا ونخطط سياستنا ، لان مهمة مثل هذه السياسة هي منافسة الاتجاهات التي تبدو لدى م. ت. ف وتطويقها واحباطها » .

تبريرات الذين يدعون للذهاب الى جنيف : (١) ان رفض م.ت.ف. الاشتراك في المفاوضات بجنيف يترك الاردن المدعي الوحيد بالنسبة للضفة وحتى لقطاع غزة ، وان هذه المناطق يمكن ان تنتقل الى سلطته (الاردن) . (٢) ان رفض م. ت. ف. الاشتراك في المفاوضات يعيد الموقف الفلسطيني الى الموقف الرافض التقليدي . وان الدرس الذي يجب تعلمه من تاريخ الحركة الفلسطينية هو ان المواقف المتطرفة كانت كابوسا . وان ما رفضته اصبح بعد ذلك هدفا تعتبر انجازه مكسبا . وان المفاوضات يمكن ان ترسخ مكاسب تم تحقيقها في حرب اكتوبر ، وان عدم استغلالها سيكون بمثابة تقصير قومي . وان الوعي الثوري هو عدم ادارة الظهر لاي انجاز ، ولو كان

صغيرا ، حتى ولو كان مشكلا ، طالما ان فيه ما يضعف الخصم والدعم الذاتي . ويجب تحقيق الهدف على مراحل ، حيث يتم في المرحلة الاولى ، سلطة وطنيـــة في اي أرض تنسحب منها اسرائيل (التعبير « سلطة وطنية » للامتناع عن استخدام تعبير « دولة فلسطينية » في الضفة) . (٣) ستطلب اسرائيل تسوية تضمن أمنها وستكون مصحوبة بتعهد عربي لانهاء النزاع . ويجب عدم الخوف من ذلك اكثر من اللزوم . وان استمرار النضال ضد اسرائيل سيتأثر من حقائق الواقع ، مثل ميزان القوى الذي سينشأ ، اكثر من التسويات الشكلية . وان الضربة التي تكمن لوضع اسرائيل في الانسحاب الـــى خطوط ١٩٦٧ ، واكثر من ذلك ، حسب التصور الشخصي لدى الاسرائيليين ، ستكون بمثابة اهتزاز لاسس اسرائيل . وعندها ستتوقف الهجرة وكذلك يتوقف تدفق الاموال اليها واستثمارها فيها . وحتى اذا انسحبت اسرائيل الى حدود ١٩٦٧ فسيكون لدى العرب ما يقولونه ، بان مسألة الفلسطينيين لم تحل بعد ، والاستمرار بالمطالبة بـــأن تنسحب اسرائيل الى حدود التقسيم عام ١٩٤٧ والمطالبة باعادة كافـــة الفلسطينيين الذين سكنوا في هذه الحدود واسترجاع أملاكهم . ٤) لتدعيم موقف المنظمة في الضفة الغربية ، كيلا تعود الى الملك حسين مرة اخرى ، وقد اعطيت الاشارة الى اهـــالي الضفة بأن مســتقبلهم الســياسي مرتبط بـــ م. ت. ف. ، عن طريق تعيين اربـــع شخصيات من المبعدين من الضفة في اللجنـــة التنفيذيـــة . ٥) من المهم أن يندمـــج الفلسطينيون في التيار الرئيسي للقومية العربية الممثلة من قبـــل مصر ، حتى ولو كان عليهم ان يدفعـــوا مقابـــل الذهاب الى جنيف . عليهـــم ان يستجيبـــوا لطلبات مصر بالاشتراك في المفاوضات ، حتى ولو كانت هنـــاك خلافـــات في الرأي بينهم وبينها ، بالنسبة للاسلوب ، فهناك اتفـــاق بالنسبة للهـــدف النهائي . وانـــه يجب رفـــض عزلة الفلسطينيين عن الخط السياسي للجبهة العربية ، الا اذا انتهت جميع النهايـــات واتضح بان الدول العربية تخون المصلحة الفلسطينية . ٦) يجب على الفلسطينيـــين والعرب الا يخافوا من التعبير عن الاستعداد للتسوية مع اسرائيل . وللحقيقة فـــان مثل هذه التسوية ليست ممكنة ، لان اسرائيل لن توافق على الانسحاب الى خطـــوط ما قبل حرب ١٩٦٧ ، لن تقبل الانسحاب من الجولان ولن تتنـــازل عن السيطرة عـــلى القدس . ولكن مصر وسوريـــا اعلنتا عـــدم موافقتهما على الحـــل الوسط والتنازل الاقليمي . وزيادة على ذلك ، فـــان الشرط العربي للتسويـــة هو تجسيد الحقـــوق المشروعة للفلسطينيين . وان تنفيذ ذلك معناه اخلاء مدن وأراضي كبـــيرة في اسرائيل من سكانها اليهود وايجاد سكان يهود بدون مأوى . وبســيكون ذلك بمثـــابة خراب اقتصادي واجتماعي وسياسي لاسرائيل ، والذي سيتحقق دون ان يضطر العرب الى استخدام وسائل العنف . وان قرارات الامم المتحـــدة هي الاداة لتصفية اسرائيـــل .

وباختصار ، فان اسرائيل لا تستطيع الصمود امام المطالب العربية وقرارات الامم المتحدة ، حتى ولو حكمها الحمائم . ولكن مجرد الخلاف في اسرائيل ، ووهم الحمـــائم فيها التي حسب شروطهم باستطاعتهم تحقيق اتفاقية ، فانها تفيد الجـــانب العـــربي بزيادتهم للتوتر الداخلي في اسرائيل ، وبالصاقهم لاسرائيل صفـــة الرفض والتطرف . وفي النهاية سينفجر الموقف ، ومن الافضل ان يحدث هـــذا الانفجـــار بسبب رفض اسرائيل وليس بسبب امتناع الفلسطينيين عن الذهـــاب الى جنيف . ٧) لا توجـــد ضرورة لصياغة قرار قاطع في المجلس الفلسطيني لصالح الذهاب الى جنيف . لم تصل الدعوة بعد الى م. ت. ف وأنه لم يحن بعد القرار بهذا الشأن . وزيادة عـــلى ذلك ، فان مثل هذا القرار يمكن ان يشق المنظمات ويخلق الخصومات الاخوية . ومن الافضل اتخاذ صيغة معينة التي من جهة لا تغلق مطلقا احتمال الذهاب الى جنيف ومن جهـــة

اخرى غامضة بما فيه الكفاية ، الى درجة ان توافق عليها جميع المنظمات . ٨) صحيح ان قرار ٢٤٢ يتحدث عن الفلسطينيين كلاجئين وليس كشعب ذي حق قومي . وصحيح ان باستطاعة الاردن ، بموجب هذا القرار ، المطالبة بأن تعود الضفة اليه ، ولكن هذه المشكلة يمكن تسويتها في المطالبة بالاعتراف بالحقوق القومية للفلسطينيين . ومن اجل ذلك يمكن الاستعانة بقرارات الجمعية العمومية التي تكررت في السنوات الاخيرة (نوفمبر ٧٠ ، ديسمبر ٧١ ، وديسمبر ٧٣) وتعترف بصراحه بحق تقرير المصير للفلسطينيين ، وان اسرائيل تظلمهم بمنعهم من تجسيد هذا الحق ولهذا فهم من ضمن اصحاب الحق في النضال من اجل تجسيد حقوقهم القومية .

تبريرات المعارضين الذهاب الى جنيف : ١) المفاوضات في جنيف ستعتمد على قرار مجلس الامن ٢٤٢ . وصحيح ان في تعديله بحيث ينظر الى الفلسطينيين كشعب وليس كلاجئين سيكون بمثابة مكسب ، ولكن لا توجد ضمانة بتنفيذ هذا التعديل . وذلك لان هذا القرار يعتبر وثيقة قانونية لمطالبة الاردن بالضفة ، ولهذا ستعارض كل من اسرائيل والاردن بقوى مشتركة التغيرات الموجهة ضد كليهما . ٢) حتى ولو كان قرار ٢٤٢ لا يتحدث عن السلام مع اسرائيل والاعتراف بها ، فانه يحدد الغاء حالة الحرب ، وستصر اسرائيل على ان تتم تسويات مادية وقانونية لضمان ذلك . وحتى لو استلم الفلسطينيون السلطة على الضفة فسيضطرون للتعهد او سيتورطون رغما عنهم ، بالالتزام خلال المفاوضات ، بايقاف نضالهم العسكري ضد اسرائيل . ٣) ان الذهاب الى جنيف والموافقة على تسوية سياسية ، ولو مؤقتة ، معناه التمرد على كافة القرارات التي اتخذت في أكثر من عشرة مجالس فلسطينية ، وان مجرد الانحراف والتغير في الموقف العربي ، والموافقة على دولة فلسطينية صغيرة ، سيضعضع ثقة الجماهير بمنظمة التحرير الفلسطينية ويمس الرؤية الفلسطينية لاقامة دولة فلسطينية على كافة المنطقة غربي نهر الاردن . ٤) يوجد في الدولة الفلسطينية في الضفة حل لسكان الضفة من ناحية تخلصهم من الوجود الاسرائيلي ، ولكن لا يوجد فيه ابدا حل للمشكلة الفلسطينية والرئيسية . ٥) تستطيع م . ت . ف . الاستمرار في الوجود فقط في ظل استمرار الحرب بين العرب واسرائيل ، وان التسوية السياسية بين الدول العربية واسرائيل ، وبالاحرى التسوية التي يوافق عليها الفلسطينيون ، يناقض ذلك ويهبط من الحماس للمواجهة . وحتى ان التسوية التي تتم كخطوة تكتيكية يمكن ان تضرب جذورا وتصبح دائمة . ٦) ان الدولة الفلسطينية ستكون مرتبطة بالارادة الحسنة لكل من اسرائيل والاردن ، للعبور الى القطاع ومن ثم الى الاردن ، وسيكون ذلك بمثابة وسائل ضغط بأيدي اسرائيل والاردن لاجبارها على التصرف كما تريدان . وان هذه الدولة المسكينة لن تكون قاعدة انطلاق للمعركة لهزيمة الاردن او اسرائيل . ٧) على الفلسطينيين الا يخافوا من التسوية التي ستتم بين الدول العربية واسرائيل من وراء ظهرهم . عليهم الا يخافوا من المواجهة مع مصر ، فالفلسطينيون ليسوا وحيدين وبامكانهم ايجاد العون والمساعدة في دول مثل العراق وليبيا . ٨) يجب عدم الخوف من انه اذا تمت تسوية سياسية ، وعادت الضفة الى الاردن ، فان ذلك سيكون نهاية وجود المنظمات الفلسطينية ونضالها . وان الخلاص سيأتي عن طريق الثورة الاجتماعية ولهذا يجب توجيه الجهود الى احداث ثورة في الاردن وتحطيم نظامه . (معاريف ١٩٧٤/٧/١٢) .

يستشف هركابي من قرارات المجلس الوطني الفلسطيني الثاني عشر ، بان هناك اتفاقا مبدئيا للذهاب الى جنيف والاشتراك بالمفاوضات ، ولكن مقابل ذلك هناك نص بان التسوية التي ستحصل يجب ان تكون فقط كهذه ، بحيث تمكن من استمرار النضال

ضد اسرائيل (والاردن) ، والغاء قرار ٢٤٢ ، كما يوجد في القرارات موافقة على اقامة « السلطة الوطنية » في اي جزء تجلو عنه اسرائيل حتى تستخدم قاعدة لاستمرار النضال .

ومن جهة ثانية ، يتطرق هركابي ، الى بعض الاستنتاجات والملاحظات التي استوحاها من مقررات هذا المجلس ومناقشاته ، والتي يعتبرها بمثابة دروس وعبر يجب الاستفادة منها في السياسة الاسرائيلية ، اهمها ١) يجب الاستفادة من المناقشات بان الفلسطينيين اذكياء للغاية في تكتيكاتهم . فقد شحذت معاناتهم حواسهم ومستوى النقاش بينهم اصبح رفيعا . ويبدو لي ان علينا في المرحلة الحالية تكريس مزيد من الانتباه للمناورة والتكتيك وفصلها عن الايديولوجيه . فالعرب والفلسطينيون يفعلون ذلك ، وعلينا عدم الاشمئزاز « من عدم الصدق » الكائن في الألاعيب والتكتيك . ٢) يمكن الاستفادة بدرس كبير من موقف المنظمات الفلسطينية ، كما تمثلت في مناقشات وقرارات هذا المجلس . فاذا ما تأكد الفلسطينيون بان الحصول على دولة فلسطينية في الضفة سيغلق أمامهم استمرار النضال فربما — انني لا أتظاهر بان املي عليهم ماذا سيفعلون — سيسرعون الى رفض التسوية ورفض الدولة الفلسطينية . ٣) من المناقشات بين الفلسطينيين يمكن الاستفادة كيف أن التعبير عن استعدادنا للتفاوض مع م . ت . ف يمكن ان يكون اداة سياسية من الدرجة الاولى ، وزرع الانشقاق فيها ، ومن الافضل ان نعرض استعدادنا للتفاوض معها ، وسيعتبر ذلك لصالحنا ، خوفا من ان نجر الى ذلك رغما عنا . وان مثل هذا الاستعداد من طرفنا سيكون سلاحا حادا وعنيفا أكثر من كافة عمليات الانتقام التي نقوم بها في لبنان (المصدر نفسه) .

الميثاق الوطني الفلسطيني ودلالته

كان الميثاق الوطني الفلسطيني من اهم القضايا التي شغلت هركابي ، وجعلته يخصص وقتا كبيرا ومجهودا لا يستهان به ، من أجل دراسة هذا الميثاق وتحليله . ويعتبر هركابي الميثاق الفلسطيني بأنه الوثيقة الهامة جدا ، في هذه المرحلة ، من النزاع الاسرائيلي — العربي ، وخاصة تجاه الجانب العربي . فهو يعتبره بانه يشكل تلخيصا موثوقا ومركزا لموقف المنظمات الفلسطينية في النزاع . وقد نصح هركابي بتدريس الميثاق في المدارس اليهودية ، حيث انه لا يعتقد بوجود طريقة افضل منه لمعرفة الموقف الفلسطيني الرسمي . وقد نجح هركابي بالفعل بمشروعه هذا ، اذ تم البدء بتدريسه في المدارس الثانوية وخاصة لطلاب الصف الحادي عشر ، الذين سيلتحقون بالخدمة العسكرية ، بعد سنة من ذلك . وقام هركابي بتأليف كتاب خاص بالميثاق الفلسطيني وبقرارات المجالس الوطنية الفلسطينية جميعها ، مع تقديم شروحات عنها ، لتدريسها الى الطلبة .

ويرى هركابي ان هناك أهمية لمعرفة الميثاق ، من ناحية الحجة السياسية الاسرائيلية والنقاش مع متحدثين عرب في الخارج ومع مؤيديهم ، الذين يبذلون جهودا كبيرة لاضفاء صفة الاعتدال على الموقف العربي ، وبالمقابل يصفون الموقف الاسرائيلي بأنه متطرف ويشكل عقبة رئيسية امام السلام . ويلاحظ هركابي ، التعديل الذي طرأ على ميثاق عام ١٩٦٤ ، في المجلس الوطني عام ١٩٦٨ ، حيث تم تغيير « القومي » بكلمة « الوطني » ، حيث أصبح يسمى « الميثاق الوطني الفلسطيني » وذلك من اجل ابراز الوطنية الفلسطينية ، كما حدثت تغييرات وتعديلات اخرى على الميثاق في تلك

السنة ، وذلك بتأثير المنظمات الفدائية ، التي اصبح لها مركز مرموق داخله ، وخاصة منظمة فتح .

هذا ويستعرض هركابي كافة البنود التي وردت في الميثاق ، مع مقارنتها بتلك الموجودة في الميثاق السابق ، ثم يحدد الاضافات التي الحقت به . ويشدد هركابي على عدة بنود وردت في هذا الميثاق ويدعو الى ابرازها ، اهمها ، ان الميثاق يدعو الى عروبة فلسطين والى كونها جزءا لا يتجزا من العالم العربي ، كما يحدد بأنه يجب عدم تقسيمها الى دولة يهودية وعربية . كما يدعو البند الثالث الى تأجيل مسألة الحسم بقضية الحكم الداخلي الى ما بعد التحرير ، وان هذا البند يشمل ايضا ، حسب هركابي ، تأجيل الحسم بشأن النظرة الى المملكة الاردنية والنظام الهاشمي . واما اهم البنود التي يهتم بها كثيرا ، ويكرس لها عناية فائقة ، فهو البند السادس . الذي ينص على ان اليهود الذين سكنوا في فلسطين بصورة دائمة حتى بداية الغزو الصهيوني اليها ، سيعتبرون فلسطينيين . كما ان المجلس الوطني يقر ، بأن العدوان على الشعب الفلسطيني وارضه قد بدأ مع الغزو الصهيوني على فلسطين عام ١٩١٧ . ولهذا فان ازالة آثار العدوان يجب ان تكون ازالة كل آثار العدوان منذ بداية الغزو الصهيوني ، وليس منذ حرب يونيو ١٩٦٧ .

ويقول هركابي معلقا على هذا البند : ان اليهود الذين سكنوا في فلسطين بصورة دائمة قبل ١٩١٧ سيعترف بهم كفلسطينيين . ويفهم من ذلك ان البقية هم بمثابة أجانب ويجب أن يغادروا البلاد . ويرد هنا على الذين يقولون بان العرب اصبحوا واقعيين وان موقفهم اصبح أكثر اعتدالا ، حيث انهم يطالبون بطرد مليونين ونصف المليون يهودي . ويتساءل هركابي وهل يوجد هناك شيء مناقض للشعار الذي يرفعونه « دولة بروليتارية » ، أكثر من هذا البند ؟ كما يرى بأن الشقيري كان أكثر تساهلا واعتدالا في موقفه ، في ميثاق عام ١٩٦٤ ، من موقف المنظمات الحالية الذي تمثل في ميثاق ١٩٦٨ . ومن الجدير بالذكر هنا ، ان هركابي تملكته الدهشة والحيرة ، بالنسبة للسبب الذي دفع المجلس الوطني لان يدخل هذا التغيير العنيف بالنسبة لليهود الذين « سيسمح » لهم بالبقاء في الدولة الفلسطينية (هركابي ، الميثاق الوطني الفلسطيني ودلالته ، صدر عن مصلحة المعلومات في مكتب رئيس الحكومة) .

هجوم عنيف على الفدائيين

لا شك في مدى نجاح الفدائيين ، من تحقيق انجازات ومكاسب لا يستهان به على كافة الاصعدة ، وخاصة السياسية منها والاعلامية والعسكرية، الخ. ولم يستطع حتى الاسرائيليون انفسهم من اخفاء هذه الحقيقة ، فقد اعترفوا بالتوتر النفسي والقلق والخوف الذي احدثه الفدائيون ، كما اعترفوا بانخفاض لم يسبق له مثيل في مجال الهجرة وكثرة النزوح ، وكذلك انخفاض كبير في عدد السياح وتدفق الاستثمارات الى اسرائيل ، وكذلك النكسات والاخفاقات التي مني بها الاعلام الاسرائيلي ، وخاصة في الخارج ، بعد ان وجد منافسا خطيرا وكبيرا ، تمثل بما طرحته الثورة الفلسطينية من مفاهيم وشعارات جديدة ، فندت من خلالها الادعاءات والافتراءات الصهيونية ، التي كانت تصول وتجول في الساحة لوحدها . كل هذا النجاح وغيره ، الذي اعترف به كما اشرنا المسؤولون الاسرائيليون والصحافة وغيرها ، لم يعجب الخبير بالشؤون العربية والفلسطينية ، والذي كما يبدو قد اعمته شوفينيته وتعصبه الاعمى عن رؤية الحقيقة ، والا ما معنى هذه الحملة العنيفة التي شنها ضد الفدائيين ، ناعتا اياهم

بأوصاف ان دلت على شيء ، فانما تدل على حقده ضد هذا الشعب وضد حقه في تقرير مصيره .

كان هركابي قد القى محاضرة خلال النصف الاول من عام ١٩٧١ ، امام « لجنة دراسة الشرق الاوسط » ، التابعة لمجلس شيكاغو للعلاقات الخارجية ولمعهد أدلاي ستيفنسون للعلاقات الخارجية حول « اسرائيل في مواجهة الفدائيين الفلسطينيين » . وقد قلل خلالها من قيمة النشاط الفدائي ووصفه بأنه هامشي بالنسبة الى مشكلات اسرائيل الدفاعية . ويصل الغرور والتعجرف لدى هركابي حدا بقوله ، ان أي مقدار من العمل الفدائي لا يستطيع ان يقنع اسرائيل بالتخلي عن سيادتها او نزع الطابع اليهودي (وهو ما يعرف بالغاء الصهيونية) عنها . ويؤكد هركابي ، من جهة ثانية ، على ان المنظمات الفدائية قد فشلت في اقامة شبكة في المناطق المحتلة ، حيث اكتفى السكان المحليون بالتأييد السلبي ، وخصوصا في اطار التصريحات والبيانات ، وهم مترددون في التأييد الفعلي للنشاط الفدائي وتقديم المعونة للفدائيين ومنحهم الملجأ [لا ندري اذا كان ، هركابي ، لا يزال مصرا على موقفه هذا ، بعد التصاعد الكبير الذي حدث في العمليات الداخلية وتلاحم السكان هناك مع الثورة الفلسطينية] . وتصل حملة هركابي الى ذروتها عندما يصف الفدائيين بأنهم « مجموعة من المرتزقة » وانهم يعملون فقط بدافع الحصول على المكاسب المالية ، وانهم لا يقاتلون من اجل التحرير والدفاع عن الوطن .

ولا نريد هنا الخوض بنقاشات عقيمة مع هركابي ، لان هذه المسألة محسومة ولا تحتاج الى نقاش . ولكن بودنا ان نترك الرد على هذا الكلام للاسرائيليين انفسهم . وسنجعل أحد الذين تسلموا مراكز حساسة داخل اسرائيل يتولى هذه المهمة ، ونعني بذلك اريه الياف ، سكرتير حزب العمل الاسرائيلي الاسبق ، عندما تحدث في كتابه « أرض الظباء » عن مشكلة الفلسطينيين ، فاعترف بوجود حركتهم القومية ، وهاجم الذين يسمونهم بمنظمات « التخريب » وانما أطلق عليها « منظمات المقاومة الفلسطينية » .

تحدث الياف عن الفدائيين وعن نضالهم فقال بالحرف الواحد : « انهم وائقون من انهم يحاربون في سبيل قضية عادلة ، ولا تنقصهم ابدا الشجاعة والفطنة . اذ لا بد من شجاعة غير قليلة لمغادرة القواعد خارج حدود اسرائيل ، والتغلغل فيها عبر جهاز كثيف من التحصينات والسياجات والحقول الملغومة والاجهزة الالكترونية ، ثم العيش في المغاور والوهاد ، حيث يطاردهم الجيش الاسرائيلي وقوات الامن الاخرى دون رحمة وباستمرار . ان هؤلاء المحاربين الفلسطينيين يعرفون انهم يضحون بارواحهم ، وانه من كل عشرة أشخاص يعود واحد او اثنان فقط سالمين الى قواعدهم ، ان من يدعي بان هؤلاء الذين يذهبون على هذا النحو الى المعركة هم عربان جبناء او رعاع لا يعرف ما يقول » . واعترف الياف ، بان الفلسطينيين عامل حاسم في المنطقة ، وانه لا وجوب للنقاش حول ما اذا كان يوجد شعب فلسطيني أم لا ، وانه لا مجال لحل دون الفلسطينيين .

فشل المنظمات

يقول هركابي ، بان المنظمات الفلسطينية فشلت فشلا كاملا بالنسبة الى اولوية الاهداف والمفهوم السياسي والقتال اسلوبا وتنظيما . فمن ناحية اولوية الاهداف يرى هركابي ان الفلسطينيين اعتقدوا في الماضي ان النصر على اسرائيل يؤدي الى سقوط الاردن في ايديهم ثمرة ناضجة . وادركوا بعد ذلك ، ان نقطة البداية يجب ان

تكون مختلفة وان ثورة في الاردن هي شرط لمحاربة اسرائيل . ولم يؤد تغيير ترتيب الاهداف الى انقاذهم ، بل ورطهم في انهيار خطر في الاردن . وبالنسبة للمفهوم السياسي يستنتج هركابي ، أنه عندما اتضح للفلسطينيين ان الاعلان عن هدف تصفية اسرائيل وابعاد سكانها لاخلاء المكان لعودة الفلسطينيين قد اضر بهم ، اخرجوا من جعبتهم الشعار القديم ، الدولة الديمقراطية ، التي يعيش فيها المسلمون واليهود والمسيحيون معا في اخوة ومساواة . ولكن هذا الشعار ، حسب هركابي ، لم يحل المشكلة الاساسية وهي كيفية خلق مكان للفلسطينيين وتغيير طابع الدولة من يهودي الى عربي . ومن هنا وقع الفلسطينيون في شبكة من التناقضات عبر عنها ميثاقهم الوطني الذي طالب بالاعتراف باقلية صغيرة فقط من اليهود الذين سكنوا البلاد قبل ١٩١٧ .

ويضيف هركابي ، أنه مع ان شعار الدولة الديمقراطية احدث اثرا في اوساط عدة في الخارج ، الا انه لم يستطع جذب الانظار مدة طويلة ، فقد ظهر بوضوح انه ليس سوى لغة نظيفة لهدف قديم هو تصفية اسرائيل ، اذ انه يعارض بشدة حق اليهود في دولة لهم ، حتى انه يستوجب خفض عدد اليهود بالعنف ، لانهم لن ينصرفوا بالطرق السلمية . ويقول انه في غياب مفهوم سياسي اخر ، يستمر الفلسطينيون بالتمسك بهذا الشعار ، ولكن بثقة اقل كثيرا . وبالنسبة لاسلوب القتال ، يقول ، بعد ان يئس الفلسطينيون من التطلع الى حرب نظامية عربية شاملة ضد اسرائيل ، طوروا المبدا القائل ان الحرب الصغيرة التي بدأوها هي الاسلوب الذي سيؤدي الى حل مشكلتهم ، وراوا في هزيمة العرب ، في حرب الايام الستة ، تصديقا لمفهومهم هذا . ويعتقد هركابي ، بان مفهومهم « الفلسطيني » ارتكز منذ البداية على مقياس كان يفتقر الى المنطق ، فقد استنبطوا ببساطة من فشل أسلوب معين ان عكسه سينجح . واستنتجوا فورا ، بالنسبة الى الحالة التي نحن بصددها ، ان حربا نظامية عربية شاملة قد فشلت ، وان حربا فلسطينية ستؤدي الى النصر . ومفهوم ان هناك على الاقل امكانا ثالثا هو أن الاسلوبين غير ملائمين . ويرى ان الفلسطينيين قد وضعوا نصب اعينهم اهدافا تتجاوز قدرتهم كثيرا ، وهذا البون الشاسع بين القدرة والهدف ينتقم منهم انتقاما قاسيا (معاريف ١٩٧٢/٦/١٦) .

حساب النفس وسياسة المراوغة

لم يكن بوسع هركابي ، بعد ما حققته الثورة الفلسطينية من انتصارات على الصعيد العالمي ، وخاصة فيما يتعلق بطرح بعض الشعارات المعتدلة ، كالسلطة الوطنية ، والاستعداد للذهاب الى مؤتمر جنيف . الا أن يعيد حساباته السابقة ، ويبدا برسم سياسة واتجاه جديد لسياسته تجاه الفلسطينيين وبالتالي لسياسة الحكومة الاسرائيلية . كما أنه لم يكن بوسعه الا الانحناء امام ما حققه الفلسطينيون في نضالهم وكفاحهم ، فبعد ان كان يقول بان الفلسطينيين لا يعرفون ماذا يريدون ، وانهم يمزجون ويخلطون بين الاستراتيجية والتكتيك ، كما وأنهم لا يشكلون ثقلا في المنطقة وانهم لا يستطيعون افشال او انجاح اية تسوية في المنطقة ، نراه الان يناقض نفسه مرة اخرى ويعترف بما انكره ونفاه بالامس .

يقول هركابي ، « ان الفلسطينيين انتصروا علينا من الناحية الثقافية ، فقد راوا امورا وخططوا للمدى البعيد . نحن لم نفعل ذلك وهذا اخطر ما حدث لنا . فهم [الفلسطينيون] ينوون بجدية . وانهم لا يمزحون ، لديهم مخططات مبلورة . وهم يعرفون كيفية النضال من اجلها . يجب دراستها وفهمها والعمل على تخطيط النضال

ضدها على أساس المعرفة الواضحة وليس على أساس الاماني » . ومن جهة ثانية اعترف هركابي ، ان لدى الفلسطينيين خلال السنوات الاخيرة تمييزا بين الاستراتيجية السياسية والتكتيك ، وبين الاهداف وبين وسائل تحقيقها . ويرى هركابي ، ان الفلسطينيين يدركون انه طالما ان موقفهم هو تصفية اسرائيل ، فان وضع اسرائيل جيد ، عندما ترفض التفاوض مع الذين يريدون تصفيتها . وهو يرى ان الفلسطينيين قد تبنوا موقفا جديدا ليتمكنوا بواسطته من سلب اسرائيل هذه الميزة . ويتضمن هذا الموقف حسب هركابي ، التمسك بالقضاء على اسرائيل ، الى جانب الهمسات التكتيكية ، في آذان الاجانب ، انهم سيكونون مستعدين للاعتراف باسرائيل والاكتفاء بما هو اقل من تصفية اسرائيل . ولكنه يعتبر الميثاق الفلسطيني هو الموقف الاستراتيجي ، وان الهمسات تمثل روح لحل وسط تكتيكي (ملحق معاريف ٢/٢٨/ ١٩٧٥) . وكان قد ذكر في احد المقالات ان هناك انعداما للحنكة السياسية عند الفلسطينيين ، مما يؤكد تخبط وتناقض هركابي كما سيرد لاحقا (المصدر نفسه ١٩٧٢/٦/٩) .

ويرى هركابي ان اسرائيل لم تجد الاسلحة المطلوبة ولم تنجح في الرد على الموقف الفلسطيني ، مع العلم ان الادوات المطلوبة للمعركة الاسرائيلية ، موجودة في « المخزن الاستراتيجي الفلسطيني » . ويعتبر هركابي ، ان احد هذه الاسلحة ، هو قرار المجلس الفلسطيني الثامن في فبراير ١٩٧١ ، بأنه لا يوجد شعب فلسطيني منفرد ، وانما وحدة اردنية فلسطينية ، وان الفلسطينيين والاردنيين هم وحدة واحدة . ومن هنا فان الفلسطينيين ليسوا جماعة لا وطن لها ، وانما الاردن هو وطنهم . وان سعيهم لضم « اسرائيل » اليه انما هو من قبيل التوسع . ولهذا يدعو هركابي الى استغلال هذه النقطة لدى الراي العام العالمي ، الذي يميز كثيرا بين مظلومين لا وطن لهم ، وبين اصحاب وطن ، الذين يريدون توسيعه على حساب دولة اخرى . ولو نجحت اسرائيل في نشر هذا القرار وترسيخه في الوعي السياسي العالمي ، لكانت اسرائيل ، برأي هركابي ، قد تقدمت خطوة كبيرة للغاية . ولكن هركابي نفسه يقع في تناقض حول هذه المسألة ، عندما عارض بشدة فكرة صبغ الاردن بالفلسطينية ، لان ذلك سيثور جبهة كانت حتى الان هادئة . ولكنه يبرر هذا التناقض باعزاء موقفه هذا الى النضال السياسي فقط ، فهو يعتقد انه عن طريق القول بأن الفلسطينيين يعتبرون الاردن وطنا لهم ، سيؤدي ذلك الى هبوط في مكانتهم التي يتمتعون بها الان في العالم (المصدر نفسه) .

واستمرارا ، من هركابي ، في سياسته المراوغة هذه ، والتي لا يتخذ فيها مواقف حاسمة وواضحة ، يدعو الى الاعلان بالموافقة على التفاوض مع منظمة التحرير الفلسطينية ، وانه يعتبر ان الموقف الاسرائيلي المعلن ، والذي يقضي بعدم الاستعداد للتفاوض معها ، انما هو خاطىء . فبعد ان اعترفت حوالي مائة دولة بها ، فيجب عدم القيام بدور النعامة في هذه المسألة . وهو يعتبر ان اشراك م . ت . ف في المفاوضات لا يعني بالضرورة الاعتراف بها كممثلة وحيدة للفلسطينيين . ويرى ان موافقة الذهاب الى جنيف وعلى السلام انما هو خطوة تكتيكية وليست استراتيجية ، ولهذا دعا الى اتخاذ موقف مبدئي للتفاوض مع الفلسطينيين ، وعلى رأسهم م . ت . ف من خلال المطالبة بان يحدد بالاتفاقية صراحة بان السلام هو نهاية الصراع ، وانه يشكل اعترافا بالتعايش مع اسرائيل . ويرى هركابي ان هذه الكلمات تشكل تناقضا لمبادىء م . ت . ف التي يتضمنها الميثاق الفلسطيني ، وانهم سيرفضون ذلك ، عندها نكون

[الاسرائيليين] نحن الرابحين . ويرى ان البدء في ذلك ، فيه ما يقوي موقف اسرائيل تجاه الاردن ، حيث يلوح له بأن هناك منافسا له في المفاوضات .

ومن أساليب الخداع والمراوغة التي يتبعهـا هركابي ، في هذا الصدد ، انه يدعو اسرائيل لدى تجدد المحادثات في جنيف ، المطالبة باستباق مناقشة مطالب الفلسطينيين على التفاوض مع الدول العربية . وطالب ان يجري في بدايـة المفاوضات « تحديـد حقوق الفلسطينيين » وليس بعد ذلك . كما لمح هركابي الى اتباع سياسة الخداع ، بالنسبة الاعتراف بحق الفلسطينيين في تقرير مصيرهم ، وذلك بشرط ان يعترفوا بحق الاسرائيليين في تقرير مصيرهم . وان هذا بمثابة تحد لهم وانه يتناقض مع موقفهـم الاساسي ، بأن اليهود ليسوا أمة ، ولا يحق لهم اقامة دولة . ويرى انه من السهـل للفلسطينيين التعبير بصورة غامضة عن الاعتراف باسرائيل وأنه من الصعب جدا عليهم الاعتراف بحق اليهود بتقرير مصيرهم . ويعتبر هذا التكتيك الاسرائيلي ، من نـاحية المواجهة الدولية ، انه سيقلب الامـر رأسا عـلى عقب . (ملحق معاريف ٢/٢٨/ ١٩٧٥) .

وعندما نأتي الى تقييم آراء هركابي ومواقفه من الشعب الفلسطيني وقضـيته ، بناء على ما أستعرضناه ، نرى انه لا يملك موقفا محددا ، كما اشرنا سابقا ، فهو يتخذ مواقف غامضة ومبهمة ، وان أفضل وصف لموقفه هذا يمكن تسميته «باطفاء الحرائق»، حيث انه يسعى الى معالجة المشاكل عندما تظهر فقط ، دون ان يكون له موقف ومخطط مسبق بالنسبة لمجمل القضايا . كما انه يتبين مما تقدم ان هركابي لا يزال يتمسـك بالمفاهيم التي اكل الدهر عليها وشرب ، فهو من ناحية يتجاهل احيانـا الفلسطينيين وتأثيرهم في المنطقة ، ومن جهة أخرى يعود ويناقض نفسه ، عندما يعترف باهميتهـم ومكانتهم في الصراع في المنطقة . كما انه يدعو الحكومة الاسرائيلية ، بان لا تكـون كالنعامة في سياستها تجاه الفلسطينيين ، ومن جهة اخرى ، يجعل من نفسه النعامة بذاتها ، عندما ينصح الحكومة باتخاذ مواقف تكتيكية للرد على الانجازات والشعارات التي طرحتها الثورة الفلسطينية ، مما يثبت انه لم يستفد من تجارب الماضي ، وانـه لم يستوعب حتى الان الدروس المترتبة عـلى التطـورات الاخيرة بالنسبة للثـورة الفلسطينية والشعب الفلسطيني عالميا وعربيا .

ومن الملفت للنظر ، ان هركابي الخبير بالشؤون الفلسطينية والذي الف عدة كتب ، وعشرات المقالات حول القضية الفلسطينية ، يطلع علينا بمفاهيم وتحليلات مغايـرة ومنافية تماما للواقع. ففي الوقت الذي اعترف فيه معظم الخبراء الاسرائيليين بالشؤون العربية ، امثال الجنرال (احتياط) متتياهو بيلد ، والدكتور يهوشع بن فورات وغيرهم من الساسة الاسرائيليين ، بتعلم الدروس من الواقع ، واقتناعهم بأنه لا يمكن ان يتم اي حل او اية تسوية في المنطقة دون تلبية اماني الفلسطينيين ، نراه هنا يفذلك الامور ويدعو الى تبني حلول غير منطقية وغير واقعية . كما انه من الجدير بالذكر هنا ، ان هناك استغرابا كبيرا ، نتيجة لتعيين هركـابي ، مستشارا لوزير الدفاع للشـؤون الاستراتيجية بعيدة المـدى ، حيث انه من المؤكد سيقـدم توصيات ومفاهيم تتعلـق بالسياسة الاسرائيلية ، ازاء الفلسطينيين . ومن المؤكـد ايضا ان هذه التوصيـات سيكون لها اثر سلبي على هذه السياسة ، وبالتالي فـان هركابي سيواجه حملـة عنيفة من قبل الاسرائيليين انفسهم اذا ما استمر ينتهج هذه السياسة ، وذلك كمـا واجه بعد حرب السادس من اكتوبر سيـلا من التهـم العنيفة ، نتيجة للتحليـلات والمعلومات التي قدمها في اعقاب حرب الايام الستة عن العالم العربي ، والتي ساهمت

كثيرا ، حسب رأي الاسرائيليين انفسهم ، في الزلزال الذي احدثته الحرب ، وقد طلب اليه الجمهور الاسرائيلي ولغيره من الخبراء بالشؤون العربية ، ان يبحثوا لهم عن مجال اخر يرتزقون منه ، ونحن نؤكد هنا ، انه اذا ما استمر بسياسته هذه ، فانه سيواجه ما هو اعنف واشد من ذلك .

ويهمنا ان نشير هنا الى ان هركابي لا يؤمن باجراء اي مفاوضات حقيقية مع الفلسطينيين ، وكل ما يريده هو اتباع سياسة من شأنها اطلاق الشعارات التي تبدو في ظاهرها معتدلة ومرنة، ولكن الهدف الحقيقي من ورائها هو زرع الانشقاق والخلاف داخل المعسكر الفلسطيني . ويجب الاشارة هنا الى ان هركابي هو احد اعضاء المدرسة الاسرائيلية التي ظهرت في بداية الخمسينات ولا تزال مستمرة حتى الان ، هذه المدرسة التي تخشى على اسرائيل من قبول العرب التفاوض وعقد السلام معها ، هذه المدرسة التي اعتقدت ولا تزال تعتقد بأن العرب ، لو اعترفوا باسرائيل عام ١٩٤٨ ، لما بقيت اسرائيل حتى الان .

صدر عن مركز الابحاث كتاب

فلسطين في ربع قرن (١٩٤٨ — ١٩٧٣)
مشروع قائمة ببيليوغرافية بالمطبوعات العربية والمعربة
الصادرة في لبنان والعراق

بقلم

يونس اسماعيل الخاروف

سعر النسخة ١٠ ل.ل. تضاف اليها أجور البريد
اطلب نسختك من : قسم التوزيع في مركز الابحاث
ص.ب ١٦٩١ — بيروت

ازدياد قوة الجيش الاسرائيلي واثره على الصراع

الرائد الطيار حسين عويضة

تولي المؤسسة العسكرية الاسرائيلية أهمية كبيرة لشؤون الامن والدفاع فقد اندفعت بعد حرب تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣ الى اعادة تنظيم قواتها في ضوء نتائج الحرب، فكانت عمليتها واسعة بحيث شملت النواحي التالية : (١) تجهيز الجيش بالاسلحة الحديثة (٢) زيادة القوى البشرية في الجيش (٣) القيام بالمناورات الموسمية والضرورية (٤) اقامة التحصينات الدفاعية (٥) اعادة تنظيم القيادات والوحدات المقاتلة (٦) اعادة تنظيم جهاز الاستخبارات العسكرية (٧) اعادة تنظيم صناعتها الحربية .

وقد لخص شمعون بيريس وزير الدفاع الاهداف التي تسعى المؤسسة الى بلوغها في هذه المرحلة بقوله « ان السياسة الاسرائيلية ستكون في المستقبل مستندة الى أربعة مبادىء اساسية هي (١) المحافظة على ميزان القوى لمنع نشوب الحرب او تحقيق الانتصار في حال نشوبها (٢) تقليل الارتباط بالخارج قدر الامكان (٣) تحقيق التفوق التكنولوجي (٤) افهام العرب بأن من يريد حشد الجيوش ضدنا ، عليه ان يوزع جيوشه في بلاده دفاعا عن ممتلكاته وأراضيه »(١).

(١) تجهيز الجيش بالاسلحة : ان هذا البرنامج الطموح سيجبر اسرائيل على رصد الاموال الضخمة ، خاصة وان معطيات الصراع قد تغيرت فبعد أن كانت اعباء الحرب المادية والمعنوية تقع بكاملها على الجانب العربي ، أصبحت اسرائيل منذ حرب تشرين الاول تتحمل العبء نفسه ان لم يكن أكثر ، وهذه معطية تشير الى حدوث توازن استراتيجي في الصراع ، ولما كانت اسرائيل لا تقدر على تحمل مثل هذه الاعباء خاصة وان تكاليف الصراع قد زادت عما كانت عليه في المواجهات السابقة فضلا عن اتساع نطاق جبهات القتال بعد فتح القناة واحياء الجبهة الشرقية حيث أصبحت الحرب تستوعب المزيد من الاسلحة الحديثة والتجهيزات الالكترونية الباهظة الثمن فضلا عن ان الطرفين ما فتئا يحشدان قواتهما المسلحة على خطوط وقف اطلاق النار وهذا بحد ذاته سيؤدي الى ارهاقها ماليا واضعاف الروح المعنوية بين المقاتلين والمواطنين على حد سواء ، لذلك سعت اسرائيل الى تخصيص مبالغ ضخمة لمشاريعها الامنية والدفاعية ، فقد ذكر وزير الدفاع الاسرائيلي انها رصدت للسنوات الخمس القادمة مبلغ (٨٠٠٠) مليون دولار لمواجهة احتمالات الموقف العسكري . لقد قدرت طلباتها من الولايات المتحدة للسنة القادمة ٧٥ ــ ١٩٧٦ بـ ٢ر٥ مليار دولار منها (١ر٧٦ ــ ١ر٩١) مليار دولار على اساس مساعدات تشمل تجهيزات حربية ، وتزيد طلبات المشتريات عن طلبات السنتين السابقتين بنسبة ٢٠٪ (٢). فقد ضمت هذه الطلبات التي تقدم بها وزير الخارجية يغال الون اثناء زيارته الاخيرة لواشنطن انواعا جديدة من الاسلحة والتجهيزات الحربية ، تشمل طائرات حديثة من طراز (ف ــ ١٤) و(ف ــ ١٥) بما في ذلك المزيد من طائرات (فانتوم) و (سكايهوك) وطائرات (غرومان اي ــ ٢

سي هوك اي) للانذار المبكر المجهزة بالرادار والصواريخ والقذائف الموجهة جو — ارض بما فيها تلك الموجهة بأشعة لايزر ، وصواريخ موجهة تكتيكية أرض — أرض من نوع (لانس) والذي يبلغ مداه (١١٠) كم(٣). وكان قد ذكر في واشنطن ان محادثات شليسنغر — الون انتهت بموافقة الولايات المتحدة بصورة أولية على تجهيز اسرائيل بهذه الاسلحة والمعدات الا أن هذه الطلبات ظلت بحاجة الى موافقة نهائية من وزيري الدفاع والخارجية الاميركية . ومن جهة اخرى اعلن ان البنتاغون قد خصص في موازنته للعام القادم مبالغ اضافية خصصها للآتي : (٥٣) مليون دولار لتطوير وتصنيع الصواريخ الموجهة التي تطلق من الجو للارض من نوع (شرايك) و(مافريك) و(وول اي) والقنابل الذكية بنوعيها . و(٢٥) مليون دولار لتطوير وسائل الهجوم على اجهزة الرادار المختلفة. و(٣٤) مليون دولار لتطوير استخدام المركبات الجوية التي تطير بدون طيار والتي تطلق الصواريخ الموجهة جو — أرض الى اهدافها من نقاط تقع خارج مجالات الدفاعات الارضية الصاروخية والتقليدية . و(٥) ملايين دولار لتطوير الاوعية التي تحتوي على كميات كبيرة من مادتي الزجاج المعدن ونفايات الالمنيوم والتي تعمل على التشويش على اجهزة الرادار . و(٢) مليون دولار لتطوير وسائل ضد صاروخ جندي المشاة الموجه نوع (سام — ٧ ستريلا) الذي يستخدم على نطاق واسع في الجيوش العربية . ولما كانت عدة مصادر اجنبية قد أوردت في السابق بأن الولايات المتحدة قد زودت اسرائيل بكميات كبيرة منها(٤)، فمن المتوقع أن يستفيد الجيش الاسرائيلي من هذه التطورات في التسليح(٥).

ونظرا لان **الطيران** يشكل العمود الفقري لقوة اسرائيل الضاربة في المنطقة فقد اتبعت اسرائيل منهجا جديدا في استخدام الطائرات المقاتلة وذلك باستبدال الطائرات المقاتلة ذات المهام القتالية المحددة بطائرات قتالية ذات مهام متعددة ، وذلك بهدف المحافظة على تفوقها الجوي وحتى تمكن طيرانها من العمل في عدة جبهات وضد أهداف عربية متعددة ومتناثرة ومتباعدة في عمق الجبهات والاراضي العربية بالاضافة الى مهماته في الدفاع عن الاجواء الاسرائيلية والاهداف الحيوية العسكرية والاقتصادية في داخل الأراضي المحتلة . فقد شملت المساعدات العسكرية الاميركية مزيدا من طائرات (الفانتوم) و(سكايهوك) حيث بلغ مجموع ما لدى سلاح الطيران الاسرائيلي منها (٢١٠) للاولى و(٢٠٠) للثانية ، خاصة وان الاولى تعتبر من طائرات التفوق الجوي التي تعمل في الاسراب الجوية الاميركية الضاربة الموزعة في العالم . كما ان هذه الطائرات شملت (٢٠) طائرة نقل متوسطة من نوع (هيركوليز سي — ١٣٠) والتي تتسع لـ ٩٦ جنديا بكامل تجهيزاتهم الحربية و(٢٠) طائرة هليكوبتر ثقيلة من طراز (سيكورسكي سي هـ — ٥٣ أ) والتي تتسع لـ (٣٨—٦٥) جنديا بكامل تجهيزاتهم الحربية. وكانت اسرائيل قد ابدت تحمسا للحصول على طائرات (ف — ١٤ توم كات) و(ف — ١٥ ايغل) وهي طائرات التفوق الجوي المتعددة المهام القتالية . وقد أشارت التقارير ان الصفقة ستكون بحدود (٥٠٠) مليون دولار . وان الولايات المتحدة ستعطي جزءا كبيرا منها مجانا كما ان المعلومات الواردة من مصادر عليمة افادت ان واشنطن اقترحت على اسرائيل حصر طلبها بطائرة (ف — ١٥) ذلك لان سلاح البحرية الاميركية صاحب مشروع (ف — ١٤) يرفض تزويد الطائرة الى اسرائيل . لذلك اقترحت الولايات المتحدة على قادة السلاح الجوي الاسرائيلي تركيز اهتمامهم على (ف — ١٥) خاصة وانها اسهل من كافة النواحي من (ف — ١٤) ذات الاجنحة المتغيرة . لهذا فان الدلائل تشير الى ان الصفقة ستشمل فقط طائرات (ف — ١٥) . على أي حال قررت الولايات المتحدة مؤخرا ارجاء ارسال الطيارين والفنيين الاسرائيليين الى الولايات

المتحدة بدعوى ان الطائرة لا زالت قيد التجارب(٦) . ان حصول العدو الاسرائيلي على هذه الطائرات من شأنه أن يزيد طاقته التدميرية وقدرته القتالية والهجومية . وقد اعتبرت الاوساط العسكرية في العالم حصول اسرائيل على هذه الطائرة بمثابة رد على حصول العرب على طائرة (ميغ ٢٣) من الاتحاد السوفييتي .

ان من أهم المعدات والتجهيزات الحربية التي تسلمها العدو الاسرائيلي وأدخلها في الخدمة مع سلاح الطيران الاسرائيلي كانت المركبات الجوية التي تطير بدون طيار من النوع الذي يقوم بمهام الاستطلاع والتصوير الجوي من ارتفاعات واطئة ومتوسطة وعالية ، من طراز (تليدان رايان — أ. كيو . م — ٣٤ — م) وقد استخدمت اسرائيل هذه الانواع في المراحل الاخيرة من حرب رمضان وتم اسقاط عدد منهـــا في الجبهتين السورية والمصرية . غير ان اسرائيل تحاول الحصول على أنواع أكثر تقدما وتعقيدا من نوع (تليدان رايان — بي جي م — ٣٤ أ) الهجومية التـــي تحمل صاروخين او قنبلتين موجهتين تحت جناحيها حيث تطلقهما باتجاه الهدف من مسافات بعيدة خارج نطاق مدى الدفاعات الجوية ، ونوع (تليدان رايان — أ. كيو . م — ٩١ أ) للاستطلاع البعيد المدى ولجمع المعلومات العسكرية عن العدو وللتجسس على ذبذبات الصواريخ الموجهة المعادية . غير ان الولايات المتحدة لا زالت تتردد في تزويد اسرائيل بهذه الانواع المعقدة والمتقدمة . ان اسرائيل شعرت بعد حرب رمضان أنها أحوج ما تكون الى مثل هذه المركبات لمهاجمة بطاريات الصواريخ الموجهة وقواعد الرادار والاهداف الحيوية العسكرية والاقتصادية العربية . لقد دخلت علـــى الصراع معطيات جديدة بظهور الصواريخ الموجهة أرض — جو العربية الـــى المسرح . فقد قفزت خسائر اسرائيل بالطائرات في المعارك الاخيرة قفزة كبيرة ، أصبح معه من الصعوبة مهاجمتها بدون اية خسائر مادية وبشرية . لذلك اتجهت اسرائيل الى هذه الاجهزة المعقدة على أمل ان تتمكن من تحقيق غاياتها .

ومن المعدات والتجهيزات والاعتدة الحربية التي حصلت عليها جهاز (تيسو) لكشف الاهداف المتحركة في الجو وعلى الارض وأجهزة للتشويش على الرادار من نوع (أ. ل. أي — ٢٩) و(أ. ل. اي — ٣٨) . كما حصلت على قنابل وصواريخ موجهة جو — أرض من انواع متقدمة وحديثة منها (بولباب) و(مافريك) و(شرايك) و(وول أي) وصواريخ موجهة جو — جو من طراز (سايدوايندر) و(سبارو) . والجدير بالذكر أنها أنتجت الصاروخ الموجه (شفرير) حيث أدخل في الخدمة الفعلية ، لكن لم تتوفر اية معلومات عن مدى دقته في اصابة الاهداف ، وكل ما نقلته المصادر الاجنبية لا تعدو عن كونها معلومات فنية استقتها من مصادر اسرائيلية . يضاف الى كل هذا ان اسرائيل طلبت من الولايات المتحدة تزويدها بطائرات مجهـــزة بالرادار وبالاجهزة الالكترونية تستخدم للانذار المبكر وللتجسس ومراقبة النشاطات الحربية في الجانب العربي(٧) . غير ان الولايات المتحدة تتردد في اعطائها هذه الطائرات ، وظلت الطلبية رهنا بموافقة شخصية من وزير الخارجية الامريكي الدكتور هنري كيسنجر .

اما على صعيد آخر فلقد لمست اسرائيل أهمية طائرات النقل العسكرية المتوسطة والبعيدة المدى . لذلك حصلت من الولايات المتحدة على طائرات نقل عسكرية حديثة من طراز (هيركوليز سي ١٣٠) . كما ضمت ولاول مرة في تاريخها الى سلاح الجو طائرات نقل عسكرية من طراز (بوينغ ٧٠٧) النفاثة . وتضاف هذه الى أنواع أخرى من طائرات النقل العسكري العاملة في سلاح الطيران من طراز (نور أطلس) و(عرفا) و(داكوتا سي ٤٧) . وهكذا تحسنت احوال سلاح الجـــو بالنسبة للنقل العسكري

وقدرته على نقل الجنود والتجهيزات الحربية من الخارج الى ميادين القتال اضعاف ما كانت عليه قبل وأثناء حرب رمضان .

لقد ازداد اهتمام اسرائيل ايضا بالنسبة لطائرات الصهريج الجوي . وهذه تعتبر من الوسائل التكتيكية الحديثة التي درجت الدول المتقدمة عسكريا على استخدامها لزيادة مدى ومدة تحليق طائراتها في الجو . لذلك حصلت اسرائيل منذ مدة على طائرتين مروحيتين من طراز (ستراتوكروزر ك سي ٩٧) . لكن ظروف المعارك في حرب تشرين لم تسمح باستخدام هذا الاسلوب المتقدم في تزويد الطائرات بالوقود اثناء تحليقها في الجو . على الرغم من ذلك تحاول اسرائيل الحصول من الولايات المتحدة على انواع نفاثة من طراز (بوينغ ك سي — ١٣٥ أ) الابعد مدى لكنه لم تتوفر اية معلومات عن تسلمها مثل هذه الطائرات .

الى جانب ذلك فقد ضاعفت اسرائيل من عدد الطيارين والفنيين العاملين في الخدمة النظامية وذلك من أجل رفع مستوياتهم الفنية والنظرية والقتالية عن طريق الحاقهم بدورات تدريبية فنية وقتالية ، واشراكهم بالتمارين الجوية التي يقوم بها سلاح الطيران باستمرار .

ومن بين المهام التي يسعى سلاح الطيران الى تحقيقها لتأمين استمرار التفوق الجوي تحسين تسليح طائراته ، فقد تم بهذا الصدد استبدال مدفعي طائرات (سكايهوك) من عيار (٢٠) ملم بمدفعين من نوع (ديفا) عيار (٣٠) ملم(٨). وهذا سيزيد من تأثير نيرانها في مهام الهجوم الارضي ضد أفراد المشاة وضد الاليات في جبهات القتال وضد الطائرات على الارض وفي الجـو وضد مواقع الصواريـخ الموجهة وضد المنشـآت والاهداف الحيوية العسكرية والاقتصادية مثل مقرات القيادات وخزانات الوقود .

ان المشاكل الاساسية التي تواجه سلاح الطيران الاسرائيلي في المواجهة القادمة هي كيفية تدمير بطاريات الصواريخ الموجهة ارض — جو العربية ، وكيفية التسلل الى عمق الاراضي العربية بهدف مهاجمة المطارات والاهـداف الهامة الاخرى ومقـرات القيادات الخلفية وكيفية التصدي للطائرات العربية التي زادت قدرتها على المناورة وتوسع مدى عملها وتسليحها بحصول سلاحي الطيران المصري والسوري على طائرات من نوع (ميغ ٢٣) وبحصول سلاح الطيران المصري على طائرات فرنسية متفوقة من نوع (ميراج ٥ د) و(ميراج ف — ١) الحديثة ذات المدى البعيد والحمولة الكبيرة . ومما يزيد الامور خطورة وتعقيدا الاتفاق الذي تم بين سوريا والاردن في ١٩٧٥/٦/١٤ والذي نجم عنه احياء الجبهة الشرقية(٩). وسيتيح هذا الاتفاق اشراك طائرات الاردن الحديثة والبعيدة المدى وذات الحمولة الجيدة (٧٠٠٠) رطل والتي تعتبر من أحسن الطائرات في مهام الدعم الارضي والقتال الجوي . ان الجبهة الشرقية تعتبر من أخطر الجبهات على اسرائيل ، وقد تزداد اوضاع اسرائيل سوءا بانتقال طائرات سلاح الطيران العراقي للمرابطة فيها الى جانب الطائرات الاردنية والسورية ، والطائرات السعودية التي ستزود بها المملكة العربية السعودية جبهة القتال . وقد يربك ذلك القيادة الجوية في اسرائيل ويثقل كاهلها اذ لا يعقل أن يتحمل سلاح الطيران الاسرائيلي مهام قتالية على طول امتداد ثلاث جبهات رئيسية (الجنوبية والشرقية والشمالية) فضلا عن المهام التي ستوكل اليه في الداخل وعلى الجبهة اللبنانية (ضد المقاومة) .

لقد زادت اسرائيل من عدد **تشكيلاتها المحمولة جوا** وأصبح ما لديها منها (٦) ألوية (نظامية واحتياطية)(١٠)، لان مسؤولياتها في ميادين القتال تضاعفت ، وزاد جهدها الجوي لنقل القوات المحمولة جوا حتى بلغ مجموع ما بامكانها نقله من هؤلاء مجموعة

لواءين في طلعة واحـــدة . وان كانت ظروف المعركة لم تسمح لهـــا في حرب رمضان باستخدام تشكيلاتها المحمولة جوا فان اسرائيل تظل قادرة على استخدام هؤلاء في عمليات عسكرية ضمن المدى التكتيكي والعملياتي ، غـــير ان التطورات الجارية في الجانب العربي قد تزيد من خطورة مثل هذه العمليات وتزيد نسبة الخسائر بينها، لذلك ستكون اسرائيل مترددة في قيامها بمثل هذه العمليات الخطيرة .

قامت استراتيجية اسرائيل في الاصل على أساس نقل الحرب الى عمق الاراضي العربية والقيام بعمليات كوماندو خاصة خلف الخطوط العربية ، ولما كانت القوات المحمولة جوا هي احدى أذرع هذه الاستراتيجية فقـــد اهتمت اسرائيل بزيادة عـــدد طائرات الهليكوبتر الموجودة بحوزتها . فاصبح مجموع ما لديها ٢٠ طـــائرة من نوع (أ. ب ـــ ٢٠٥ أ) و٢٥ طائرة من نوع (يو ـــ هـ ـــ أ ـــ د) و٩ طائرات (سوبر فريلون) و٢٠ طائرة من نوع (سيكورسكي س هـ ـــ ٥٣)(١١).

أما **سلاح الدبابات** والذي يشكل القوة الضاربة في التشكيلات البرية الاسرائيلية فقد أعيد بناؤه على أسس حديثة . وتعتمد القيادة الاسرائيلية على هذا السلاح بشكل رئيسي في تنفيذ هجماتها غير المباشرة وفي توجيه الضربات القوية للدفاعات العربية . لهذا أولته اسرائيل مرتبة هامة في سلم الاولوية فقامت بتعزيزه بالدبابات مـــن طراز (باتون م ـــ ٤٨ أ ١) و(م ـــ ٦٠ أ ١) الاميركيتـــين وبأخرى بريطانية من طـــراز (سنتوريون) وبناقلات جنود مـــن نوع (م ـــ ١١٣ أ) و(م ـــ ١١٤) المخصصـــة للاستطلاع . لقد زادت اسرائيل قوة سلاح مدرعاتها حتى أصبح يضم في صفوفه اكثر من (٢٥٠٠) دبابة متوسطة وحوالي (٦٠٠٠) ناقلة للجنود ومدرعة مسلحة(١٢). وبهذا يكون سلاح المدرعات الاسرائيلي قد عوض تشكيلاته المقاتلة أكثـــر بكثير مما خسر من دبابات في المعارك الاخـــيرة . بالاضافة الى ان قيادة السلاح قـــد أدخلت تحسينات عديدة على مشاغلها الرئيسية وورشاتها الفنيـــة لتصليح الدبابات وهـــذا سيمكنها من رفع نسبة الدبابات الصالحة التي بامكانها الحاقها بالقتال ، فضلا عن ان ذلك سيتيح لها امكانية تصليح ما يعطب منها في القتال في فترة زمنية قصيرة(١٣). لقد تزايدت قوة هذا السلاح بشكل لم يسبق له مثيل في تاريخ الجيش الاسرائيلي ، كما بذلت القيادة جهودا كبيرة لتأمين احتياجات السلاح مـــن القادة والطواقم والفنيـــين بالاضافة الى رفع كفاءتهم وقدراتهم القتالية بزيادة ساعات التدريب وعدد مناورات الرماية واجراء المناورات المشتركة . وطبيعي ان تلجأ إسرائيل الى ذلك استعدادا للمواجهة القادمة حيث سيكون نطاق عمليـــات الدروع أكثر اتساعا وأبعـــد مدى . بالاضافة الى مدى العمليات فان سلاح المدرعات الاسرائيلي سيواجه أسلحة المدرعات العربية المتفوقة عددا وعدة . هذا وتقدر المصادر الاجنبية حجـــم الدبابات العربية بالنسب التالية : مصر (٢٠٠٠) دبابة ، سوريا (٢٠٠٠) دبابة ، العراق (١٦٠٠) دبابة ، الاردن (٥٠٠) دبابة ، السعودية (٣٥٠) دبابة ، المغرب (٣٠٠) دبابة ، الجزائر (٤٥٠) دبابة ، ليبيا (٤٠٠) دبابة . ان اكثر ما تخشاه اسرائيل هو ان تتمكن دول المساندة العربية بدفع ما لديها من دبابات للمشاركة في القتال كما حدث في حرب تشرين الاول ١٩٧٣ .

وقد علق الجنرال اسرائيل تال على أهمية الدبابات في الحروب بقوله « أثبتت حرب تشرين الاول أن التشكيل المدرع المتحـــرك المجحفل يحتل مركـــز الصدارة في الحرب والدبابة هي العمود الفقري لهذا التشكيل » . واضاف قائلا « ان الدبابة هي سلاح هجومي محض ، وبواسطة استخدامها على نطاق واسع وهجومي تتقلص الخسائر ويتحقق التفوق »(١٤). لذلك أدخل الجيش الإسرائيلي التعديلات والتحسينات العديدة

على معظم الدبابات العاملة معه ، كان أبرزهـــا استبدال محركات البنزين لدبابات (م ــ ٦٠) الاميركية بمحركات أخرى تعمل على الديزل ، وهذا التعديل سيتيح الفرصة أمام هذه الدبابات للعمل في الاحوال الجوية الحارة ، ثم سيجنبها امكانية تفجيرها لدى اصابتها من الاسلحة المضادة او من قذائف الدبابات المضادة ، فقد عانت القيـــادة الاسرائيلية كثيرا من هذه الظاهرة في الحرب الاخيرة وكانت نسبة كبيرة من دباباتها قد انفجرت بمجرد اصابتها من الاسلحة المضادة . يضاف الى ذلك ان القيادة الاسرائيلية قامت بادخال التعديلات والاصلاحات المناسبة على الدبابات السوفييتية الصنع التي غنمتها في حربي ١٩٦٧ و١٩٧٣ من المصريين والسوريين . ان المصادر الاسرائيلية تقول ان سلاح المدرعات هو اكبر مما كان عليه قبل اندلاع القتال في الحرب الاخيرة ، كما جرى تعزيزه بأكثر من (١٠) آلاف من وسائط النقل الاخرى(١٥).

وعلى صعيد آخر فرضت تطورات الحرب علـــى العدو الاسرائيلي الحصول على **صواريخ موجهة تكتيكية** أرض ــ أرض وأرض ــ جو لمواجهة متطلبات الصراع فطلبت من الولايات المتحدة تزويدها بصواريخ (لانس) وقد أشرنا الى ذلك في بداية دراستنا. كما شعرت في خلال الحرب الاخيرة بأهمية الصواريخ الموجهة ارض ــ جو والمدافع المضادة للطائرات الموجهة بالرادار . لذلك سعت لدى الولايات المتحـــدة في اعقاب الحرب للحصول على انواع متطورة معدلة من نوع (هوك) لمقاومة الطائرات على ارتفاعات متوسطة وعالية وأنواع ذاتية الحركة من نوع (شابرال) لمقاومة الطائرات على ارتفاعات منخفضة ومتوسطة(١٦). واضافة الى ذلك عززت وسائط دفاعها الجوية بالمدفع الاميركي المضاد للطائرات ذاتي الحركة من نوع (فولكان اكس. م ــ ١٦٣) السداسي عيار (٢٠) ملم والذي يطلق (٦٠٠٠) طلقة في الدقيقة(١٧)، وهو شبيـــه بالمدفع السوفياتي (ز س يو ــ ٢٣ ــ ٤) المضاد للطائرات والموجه بالرادار والذي يستخدم على نطاق واسع في مصر وسوريا والعراق والجزائر والعديد مـــن الجيوش العربية التي تستخدم أسلحة شرقية . والجديـــر بالذكر ان نسبة كبيرة مـــن خسارة اسرائيل بالطائرات كانت بفعل هذا المدفع .

ومما يزيد أهمية هذه الاسلحة بالنسبة لاسرائيل هو صلابة وفعالية اجهزة الدفاع الجوية العربية ، ونجاحها في التصدي للطائرات الحربية بفعالية كبيرة أذهلت المراقبين العسكريين في العالم ، خاصة وانها تمكنت من حصر نطـــاق عمل الطائرات الحربية الاسرائيلية بأضيق نطاق . لهذا اهتمت اسرائيل بزيادة ما لديها ، كاجراء وقائي لما قد يحدث في المواجهة القادمة .

ومن الامور الهامة الاخرى ان اسرائيل أخذت بعين الاعتبار تفوق المدفعية العربية كما ونوعا ومدى ، لذلك حصلت من الولايات المتحدة على المدفع الاميركي ذاتي الحركة ذي القوة النارية الكبيرة نوع (م ــ ١١٠ ــ عيار ١٧٥ ملم) والذي يصل مداه الى (٣٣) كم في سبيل تحسين تأثير نيران ومدى مدفعيتها. وكان سلاح المدفعية الاسرائيلي حتى حرب تشرين الاول ١٩٧٣ يحتل مركزا ثانويا بالنسبة لبقية التشكيلات، لكن الحرب اقنعت اسرائيل بضرورة تدعيمه وتعزيزه وزيادة حجم وعدد تشكيلاته . وهذا في حد ذاته يمكن ان يدلل على تطور المفاهيم العسكـــرية الاسرائيلية التـــي أصبحت تولي التكتيكات الدفاعية الاهمية نفسها التي توليها للتكتيكات الهجومية . لقد ظلت اسرائيل منذ تكوين جيشها تمتلك سلاح مدفعية صغير عددا وعدة بالنسبـــة لسلاح المدفعية المصري أو السوري أو العراقي . وظل واجبه تقديم الدعم في بعض الحالات للقطاعات البرية الاخرى في نطاق المعركة الهجومية وحرب الحركة . اذ كان لوجود سلاح طيران قوي قادر على تقديم الدعم الفعال والتمهيد لوحدات المشاة والدروع اثره على حجم

ومهام هذا السلاح لذلك لم يسند له قط أي واجب يعتمد القصف الكثيف والعنيف لارض المعركة للتمهيد للقطاعات الاخرى قبل قيامها بهجماتها كما هي العادة في معظم جيوش العالم العصرية . لكن بعد حرب تشرين وفي ضـــوء تقليص دور سلاح الطيران نتيجة لظهور الاسلحة الحديثة والتقليدية الفعالة المضادة للطائرات فقـــد تلمست اسرائيل أهمية مضاعفة عدد أسلحته وطاقاته ليتناسب ذلك والمعطيات الجديدة التي دخلت على الصراع . ان اسرائيل اصبحت تمتلك ما لا يقل عن (٨٠٠) قطعة مدفع ذاتي الحركة ومتطور . تشكل المدافع ذاتية الحركة الجزء الاكبر منها وهي أنواع حديثة تستخدمها وحدات المدفعية الاميركية(١٨) .

لقد تعززت أوضاع المدفعية الاسرائيلية بحصولها على مدافع من عيار (١٧٥) ملم بعيدة المدى ، غير ان كل من سوريا ومصر قامت هي الاخرى بالحصول على المدفع السوفياتي بعيد المدى من عيار (١٨٠) ملم والذي يصل مداه الى أكثر من (٤٠ كم) . وبهذا عادت وانتزعت التفوق بالمدى وتأثير النيران من الاسرائيليين .ومما يقلل من أهمية المدفعية الاسرائيلية امتلاك العرب لصواريخ موجهة أرض ـــ أرض تكتيكية من نوع (فروغ ـــ ٤) ومداه (٥٠) كم و(فروغ ٧) ومداه (٧٠) و(سكود) ومداه يتراوح بين (١٦٠ ـــ ٢٩٠) كلم .

غير ان اسرائيل تدعي بالمقابل انها تعمل على تطوير صاروخ موجه أرض ـــ أرض من طراز (اريحا ـــ م د ـــ ٦٦٠) الذي يبلغ مداه (٤٤٠ كم) . لكن لحد الآن لم تتوفر أية معلومات دقيقة وصحيحة تؤكد مصداقية المصادر المعادية لهذا يظل هذا الصاروخ خارج نطاق البحث .

وعلى صعيد العمليات البحرية فقد أعيـــد تسليح **سلاح البحرية** بزوارق سريعـــة مسلحة بالطوربيد وأخرى مسلحة بالصواريخ . وأبرزها النوع (ساعر) حيث جرى تسليحها بصواريخ سطح سطح موجهة نوع (جابرييل) الذي يصل مداها الى (٢٠ ـــ ٤٠) كم لاعطاء هذه الزوارق القدرة على مطاردة الوحدات البحرية العربية ، ومهاجمة الاهداف الحيوية والمنشآت الساحلية العربية . لقد بدأت اسرائيل منذ مدة تبذل الجهود لتحويل سلاح البحرية من قوة طابعها الدفاع عن الشواطىء والمياه الاقليمية الاسرائيلية الى قوة هجومية بعيدة المدى وقادرة على توجيه ضربات مؤلمة للاراضي والسواحل العربية . غير ان المتغيرات التي دخلت على الصراع وأهمهـــا تقليص نفوذ الطيران الاسرائيلي ونمو قوة الاسلحة الجوية العربية وبوجه خـــاص الاسلحة الجوية لدول المواجهة الثلاث والعراق والسعودية والجزائر وليبيا سيعزز ويدعم موقف البحرية المصرية وشقيقتها البحرية السورية وبالتالي يطلق يدهما في البحرين الابيض المتوسط والاحمر ، وعلى الاخص الغواصات والمدمرات التي بامكانها العمل بعيدا عن قواعدها الرئيسية لفترة طويلة . ان سلاح البحرية الاسرائيلي بامكانه ان يعمل بحرية تامة ضد الجبهة اللبنانية وهي الجبهة العربية الوحيدة التي ظلت على حالها ولم تزدد قوة طيلة سنوات الصراع حيث ظلت دفاعاتها محدودة للغاية . لكنها تظل حالة مستبعدة ضد الجبهتين المصرية والسورية ، ذلك لان طاقات وامكانات البحرية الاسرائيلية اليوم لا تكفي للقيام بعمليات انزال بحرية ناجحة ضد مصر وسوريا ، او أي دولة عربية اخرى . وان عملية الانزال التي قامت بها في جزيرة « شدوان »* اثناء حرب الاستنزاف في عام ١٩٦٩ القوات الاسرائيلية المحمولة جوا بمساندة فعالة من الطيران الاسرائيلي تمت في

---

* تقع جزيرة « شدوان » في البحر الاحمر ما بين البر المصري والطرف الجنوبي لشبه جزيرة سيناء على مسافة (٣٤) كم من رأس محمد في الطرف الجنوبي لسيناء و(٣٠) كم عن الغردقة على الساحل المصري.

ظروف كان الجيش المصري ينتقل فيها من حالة الصمود الى الدفاع النشط ، وهي حالة لا يمكن ان تتكرر اليوم ولا مستقبلا نظرا للمتغيرات التي طرأت على الموقف العسكري العام .ومهما تقدم اسرائيل من معلومات مضخمة عن سلاح بحريتها (طاقاته او امكاناته وادواره في المواجهة القادمة) بقصد الدعاية والتأثير على معنويات المقاتلين والجماهير العربية ، تظل البحرية العربية هي المرشحة لتبوء مركز السيادة والزعامة في البحرين (فيما يتعلق بالصراع العربي — الاسرائيلي) . ان مسؤولية سلاح البحرية الاسرائيلي الصغير (العدد والاسلحة والطاقات) هي الدفاع عن (١٠٠٠) كم من الحدود البحرية لذلك تظل امكاناته وطاقاته الحالية دون المستوى المطلوب وغير قادرة على تحمل هذه الاعباء . ان دور زوارقه السريعة المسلحة بالصواريخ الموجهة نوع (جابرييل) اقتصر في الحرب الاخيرة على اضرب واهرب ولا يستبعد ان يتكرر ذلك في المواجهة القادمة ويمكن أن تلجأ الغواصات الاسرائيلية وعددها (٥)(١٩) للدور نفسه وتفاجيء القطع البحرية والسفن التجارية العربية بهجمات خاطفة مفاجئة وهي مرابطة في موانئها او في عرض البحر ، بحيث تحقق نصرا معنويا ونفسيا .

وعلى صعيد آخر سعت قيادة سلاح البحرية لدى الولايات المتحدة لتزويدها بقطع بحرية كبيرة وهي قطع تفتقر اليها . فقد افادت بعض المصادر الصحفية الاسرائيلية نقلا عن صحيفة اميركية ، ان الولايات المتحدة قد وافقت على تزويدها بقطعتين بحريتين من القطع الخردة التي سبق أن استغنى عنها سلاح البحرية الاميركية ويجري العمل الآن على تصليحهما واعدادهما في ترسانة (رينشموند) لترميم السفن . والسفينتان من فئة (بلوك ايلاند) وحمولة كل منهما (١٥) الف طن وبامكان الواحدة حمل ما لا يقل عن (٢٠) طائرة هليكوبتر . ان امتلاك سلاح البحرية الاسرائيلي لهاتين السفينتين سيوسع نطاق عملياته ، بالاضافة الى زيادة قدراته القتالية والهجومية ضد المدمرات والغواصات وزوارق الصواريخ العربية(٢٠) .

(٢) **زيادة الطاقة البشرية في الجيش** : تلعب الطاقة البشرية دورا هاما ورئيسيا في الصراعات المسلحة وعليها تتوقف امكانية توسيع الجيش او تقليص حجمه . ولما كانت اسرائيل تفتقر الى الطاقة البشرية فقد سعت للتعويض عن ذلك بكامل تفوقها العلمي والتقني .

وقد تمكنت بواسطة طاقتها المحدودة المتفوقة ثقافة وعلما وتقنية من تأمين تفوق نوعي في ميادين القتال . وقد استدعى ذلك تركيز طاقتها المدربة في سلاحي الطيران والمدرعات اللذين شكلا رأس الحربة في تشكيلاتها المقاتلة وقوتها الضاربة حيث شكل هذان السلاحان ٨٠ ٪ من قوة الجيش النظامي . لكن دروس حرب تشرين (وهي ملاحظات ابديناها سابقا) علمت القيادة الاسرائيلية بأن دور سلاح المدفعية لا يقل أهمية عن دور السلاحين المذكورين ، خاصة مع تطور استخدام الاسلحة المضادة للطائرات والمضادة للدروع . وهي خطوة تستلزم زيادة العنصر البشري في الجيش لمواكبة الزيادة في هذا السلاح وبقية الاسلحة الاخرى .

ان القوات المسلحة في اسرائيل تتشكل في الاساس من **قوة نظامية** (الجيش النظامي) **وأفراد الخدمة الالزامية** الذين يمضون في الخدمة مددا تتراوح بين (٣٦) شهرا للرجال و(٢٤) شهرا للنساء ، ثم تشكيلات **الاحتياطي الاستراتيجي** الذين يستدعون للخدمة في الحالات الطارئة في خلال ٤٨ — ٧٢ ساعة عبر نظام تعبئة دقيق يضمن لاسرائيل قدرة الرد بالضربة الثانية . (يبلغ **الجيش النظامي** ٣٣٫٥٠٠ جندي ، **وأفراد الخدمة الالزامية** ١١٤٫٠٠٠ **والاحتياطي الاستراتيجي** ٢٥٤٫٠٠٠ جندي) . ان الجيش الاسرائيلي هو من الجيوش القليلة في العالم التي تعتمد على المتطوعين والخبراء

الاجانب . فهؤلاء يشكلون خميرة هامة يحتاج اليهم الجيش الاسرائيلي في وقت الشدة . ويحمل هؤلاء جنسيات مزدوجة في بعض الاحيان . ولدى استدعائهم يلحق قسم منهم في تشكيلات المشاة ، اما الخبراء والفنيون منهم والمدربون الذين سبق لهم الخدمة في أسلحة الجيوش الاجنبية الاخرى او عملوا على اساس مرتزقة في جيوش الدول الاجنبية فيلحقون في سلاح الجو كطيارين وفنيين ارضيين ، كما يلحقون في اسلحة المدفعية والمدرعات والبحرية ويتسلم هؤلاء في بعض الاحيان واجبات قيادية وفنية .

لقد لمست اسرائيل بعد حرب تشرين الاول ١٩٧٣ أهمية دور الجيش النظامي ومعدات الخدمة الالزامية في صد الضربة الاولى العربية . لذلك وجهت اهتمامها بعد الحرب الى وضع الترتيبات لزيادة حجم هذه التشكيلات فوضعت ترتيباتها وخططها لزيادة حجم القوه النظامية بنسبة ٥٠ ٪ كما زيدت تشكيلات الخدمة الالزامية بنسب أقل . كما اتجهت النية لزيادة عدد افراد الاحتياطي ، فلجأت القيادة الى تقليص دائرة المعفيين من الخدمة بالحاق آلاف منهم في الاحتياطي وفي الجيش النظامي . لقد بدأت هذه الحملة في أوائل شهر (أيلول) ١٩٧٤ عندما أصدر رئيس مركز التجنيد أمرا يدعو فيه جميع المعفيين البالغ عددهم نحو (١٥٠) الفا للحضور الى مراكز التجنيد لاجراء الفحوص الطبية(٢١) . وقد أعلنت مصادر شعبة الطاقة البشرية في رئاسة الاركان ان التجنيد بدأ بنسب عالية (حتى ٢١ ٪) لتجنيد اصحاب اللياقات البدنية غير الصالحين للخدمة العسكرية . كما سمح بتجنيد اصحاب العاهات للاستفادة منهم في واجبات ادارية ومكتبية لتفريغ الجنود للمهمات الميدانية القتالية(٢٢) . ومن جهة اخرى وسعت دائرة المهام التي تشغلها الفتيات في الجيش ، فهذه الدائرة تعتبر من أهم الدوائر والشعب نظرا لارتباطها المباشر بالجندي . ان تسلم الفتيات لها يترك الباب واسعا امام الشباب للالتحاق بالتشكيلات الميدانية(٢٣) .

وعلى هذا الاساس زيد عدد التشكيلات المقاتلة ، ومن المعتقد ان يكون عددها الآتي على اساس تنظيم اللواء نظرا لان **اللواء** هو اكبر تشكيل قتالي في الجيش الاسرائيلي(٢٤):

	عدد الالوية في الحالات الاعتيادية	عدد الالوية عند التعبئة العامة
تشكيلات الدروع	١٠	١٧ — ٢٠
تشكيلات المدفعية	٣	٤ — ٥
تشكيلات المشاة	٩	١٦ — ١٩
تشكيلات ميكانيكية	٩	١٦ — ١٩

لقد لجأت القيادة الى دراسة اوضاع الجنود وحاجة القطاعات الاقتصادية اليهم في وقت السلم وحالات الطوارىء . ان القيادة تعمل على اجراء الدراسات للاستفادة اكبر قدر ممكن من الطاقة البشرية المتوفرة حتى يستفيد منها المجهود الحربي والقطاعات الاخرى في آن واحد ، وهكذا فان المؤسسة العسكرية في اسرائيل لجأت منذ تأسيس الدولة في عام ١٩٤٨ الى اعداد الدولة لتكون أمة محاربة بحيث يعتبر فيها كل مواطن قادر على حمل السلاح جنديا مقاتلا احتياطيا ، لهذا تعتبر اسرائيل في نظر العرب دولة اسبارطة ، وهي مرحلة من الاعداد الحربي لا تعتمدها سوى الدول العصرية المتقدمة

صناعيا وحضاريا . في حين لا زالت الدول العربية تعتمد على الجيوش النظامية المحترفة حيث لا يمكنها في هذه الحالة الاستفادة من كافة طاقاتها الشابة المقتدرة على حمل السلاح .

لقد قامت القيادة الاسرائيلية أيضا بتحسين الأجور في القوات المسلحة لتشجيع الخدمة في الجيش(٢٥). ان ما يشغل بال القيادة الاسرائيلية هو تعدد الجبهات والتطورات الايجابية الجارية في الجيوش العربية التي تشمل الكم والنوع . لقد واجهت في حرب رمضان معارك طاحنه في الجبهتين ، لذلك أخذت الدروس والعبر منها ، وهي تدرك الى جانب ذلك ان الحرب القادمة ستدور على أكثر من جبهتين . لذلك اتجهت الى زيادة عدد تشكيلاتها المقاتلة تحسبا للمستقبل . ان الجيش الاسرائيلي يعتمد على الطواقم المدربة الجاهزة ، ولما كانت المعارك تمتص نسبة كبيرة من هؤلاء فان الجيش الاسرائيلي سيتعرض الى كارثة ان لم يعمل مقدما على اعداد الطواقم الكافية البديلة، خصوصا اذا واجه معارك طاحنة حامية كتلك التي دارت في رمضان ١٩٧٣ . ثم انه من المتوقع أن يواجه نقصا في المتطوعين الاجانب ذلك لان النتائج التي تمخضت عنها الحرب الاخيرة لا بد تركت أثرا على الكثيرين في الخارج .لهذا يتوقع أن يتخلف العديد منهم ويمتنعوا عن الحضور الى اسرائيل في حال اندلاع الحرب من جديد .

(٣) **القيام بالمناورات الموسمية والضروريـة** : ان المناورات والتدريبات ضرورية لرفع كفاءة التشكيلات الميدانية . ان الجيش الاسرائيلي هو أكثر الجيوش في العالم حاجة الى التدريبات لمواصلة تدريب احتياطيه . لقد وجدت القيادة العسكرية نفسها مضطرة للتخلي عن نسبة كبيرة من تدريباتها ومناوراتها بسبب مواصلة استعداداتها العسكرية ومرابطة وحداتها بصورة مستمرة على خطوط القتال . وعلى الرغم من ذلك تقوم القيادة العسكرية في اسرائيل بالمناورات والتدريبات الموسمية الضرورية ، وقد أجرت مناورات عدة في الجولان والضفة الغربية وسيناء وأشركت فيها كافة تشكيلاتها المقاتلة من طيران ووحدات برية وبحرية . ان العامل الرئيسي الذي تتوخاه القيادة الاسرائيلية من كل هذه التدريبات والمناورات هو ايجاد التنسيق الفعال بين جبهات القتال وبين اسلحة الطيران والمدرعات والمدفعية والمشاة الميكانيكية . كما تولي هذه القيادة اهتمامها بالوحدات الخاصة المحمولة جوا لرفع مستواهم القتالي تمهيدا لاستخدامهم متى اندلع القتال في مهام خاصة في عمق الاراضي العربية . ان جزءا كبيرا من هذه التدريبات يهدف الى تعويد القادة والمقاتلين على شكل المعارك وطبيعة المناطق التي سيقاتلون فيها . ولما كانت القيادة في الجيش الاسرائيلي تعتبر سيناء المسرح الرئيسي لعملياتها القادمة فقد قامت باجراء العديد من المناورات فيها كان آخرها اشتراك تشكيل مدرع بالذخيرة الحية في تدريب على اختراق سلسلة من الموانع المائية(٢٦).

(٤) **اقامة التحصينات** : لقد لمست اسرائيل اهمية التحصينات والتلال المحصنة في الحرب الاخيرة ، اذ لولا هذه الخطوط والتلال المحصنة لتمكن الجيش السوري من احتلال الهضبة بسهولة وبفترة زمنية قصيرة حيث لعبت هذه التحصينات دورا هاما في صده واعاقة تقدمه في الجولان . لذلك أنفقت اسرائيل على اقامة التحصينات مبالغ طائلة . فقد انفقت على اقامة خط دفاعي محصن في الجبهة الشمالية مبلغ (١٠٠٠) مليون ليرة وأنفقت المبلغ نفسه على اقامة التحصينات الدفاعية في شبه جزيرة سيناء ، نصفه صرف على تقوية دفاعاتها في الممرات الاستراتيجية . كما انهـا صرفت مبلغ (٣٥٠) مليون ليرة على اقامة التحصينات والخطوط الدفاعية على طول امتداد سلسلة جبال نابلس ــ القدس ــ الخليل . بالاضافة الى ما أنفقته على اقامة السياج الامني

العازل الذي يمتد على طول الحدود مع لبنان في محاولة لمنع تسلل الفدائيين الى داخل الارض المحتلة(٢٧).

ان اسرائيل تدرك جيدا وعلى الرغم من النتائج الجيدة التي حصلت عليها من الخطوط المحصنة في الشمال ، ان هذه التحصينات والخطوط الدفاعية سرعان ما تنهار في حال تعرضها لهجمات منظمة ومكثفة كالتي حصلت ضد « خط بارليف » على القناة . لذلك تظل تعتمد بصورة اساسية على طيرانها ومدرعاتها ووحدات مدفعيتها المحمولة جوا القادرة على الانتقال في ميادين القتال بسرعة كبيرة(٢٨).

(٥) **اعادة تنظيم القيادات والوحدات المقاتلة** : لقد منيت اسرائيل بخسائر فادحة في الحرب الاخيرة ، وكان طبيعيا أن تلجأ بعد توقف القتال الى تغيير قياداتها وتجديدها بما يتناسب ودروس الحرب. لقد تغيرت صورة القيادة العسكرية العليا في اسرائيل بسبب حرب رمضان ، واضطر وزير الدفاع ورئيس الاركان ومدير شعبة الاستخبارات ومجموعة كبيرة من كبار جنرالات وقادة الجيش الى الاستقالة ، كما شملت التسريحات أعدادا كبيرة من القادة الميدانيين في الجيش من الذين ينتمون الى الجيل الثاني. ان هذه هي المرة الثانية التي يتعرض فيها الجيش الاسرائيلي الى هذه الاستقالات والاقالات الجماعية . وكان الجنرال دافيد اليعازر قد قام قبل الحرب أي في عام ١٩٧٢ وبداية العام ١٩٧٣ باستبدال قادة الاقسام والفروع في القيادة العامة كما استبدل قادة المناطق والاسلحة المختلفة والسكرتيرين العسكريين لرئيس الحكومة ووزير الدفاع والناطق الرسمي بلسان الجيش الاسرائيلي . وقد شملت هذه الاجراءات مجموعة من كبار الضباط منهم « أهارون ياريف » رئيس شعبة الاستخبارات ، « شلومو لاهاط » رئيس شعبة الطاقة البشرية ، « مردخاي هود » قائد سلاح الجو ، « ابراهام بوتسر » قائد سلاح البحرية ، « ارئيل شارون » قائد المنطقة الجنوبية وسيناء ، « رحبعام زئيفي » قائد المنطقة الوسطى و« دان لانر » قائد القوات المدرعة في سيناء . اما بعد الحرب فشملت هذه التسريحات والاقالات والاستقالات مجموعة ثانية لا تقل اهمية عن المجموعة الاولى شملت موشي دايان ، واسرائيل تال ، والياهو زعيرا ، وشلومو اغونين ، ودافيد اليعازر ويتسحاق حوفي وكان ابراهام مندلر (قائد القوات المدرعة في سيناء) قد قتل في بداية المعارك. وهكذا تقلص عدد قادة الصف الاول والقادة الميدانيون في الجيش .

لذلك وجدت القيادة الاسرائيلية ان الجيش أصبح يعاني من نقص خطير في القادة الكبار بالاضافة الى النقص الحاصل بالطاقة البشرية . واصبحت القيادة مدركة لخطورة الوضع بسبب النقص في قادة الالوية والمناطق والكتائب والشعب والفروع . لقد وجدت القيادة انها ستحتاج الى سنتين او ثلاث سنوات لتأهيل الضباط الصغار لشغل مناصب عالية(٢٩).

وقد علق رئيس الاركان على هذا الوضع بقوله « يمكن نظريا ترفيع الضباط الصغار ولكن الترفيع السريع قد يؤدي الى ضرر خطير في نوعية الجيش ، لذا يجب بذل الجهود لتجنيد ضباط اكفاء وذوي تجارب قتالية في الجيش الدائم وذلك من الاحتياط ولو الى فترة محدودة الى أن يتم تأهيل الضباط الصغار »(٣٠).

ومما زاد الامور تعقيدا وخطورة ان القيادة لجأت الى تكوين تشكيلات مقاتلة جديدة وهذه احتاجت الى قادة أكفاء ، لهذا واجهت القيادة صعوبة في ايجاد القادة المناسبين لهذه الوحدات . ثم انه كلما زاد تعدد الجبهات وكبرت مساحاتها كلما تطلبت أعدادا كبيرة من الوحدات المدربة المجهزة ، التي بدورها ستكون بحاجة الى قادة جدد ، لذلك

يمكن القول ان هذه الاوضاع أثرت على نوعيـــة القيادات في الجيش وبالتالي على امكاناته وقدراته القتالية ، مما دفعها الـــى اعادة الكثير مـــن القادة المسرحين حيث أسندت الى بعضهم مناصب هامة .

(٦) **اعادة تنظيم جهاز الاستخبارات العسكرية** : في اعقاب صدور توصيات لجنة « اغرانات » (تشكلت اللجنة في ١٩٧٣/١١/١٨ وأنهت تحقيقها بتاريخ ١٩٧٥/١/٣٠) باشرت القيادة العسكرية في اسرائيل بدراسة هذه التوصي واجراء اللازم في ضوئها . وكانت اللجنة قـــد أدانت في تقريرها الجزئـــي الذي أصدرته في ١٩٧٤/٤/٢ رئيس فرع الاستخبارات الجنرال الياهو زعيرا وثلاثة من كبار مساعديه وهم الكولونيل اربيه شاليف والكولونيل يونا نيدمان والكولونيل دافيد جداليا ، واتهمتهم بالتقصير في اعطاء انذار مسبق عن نوايا العرب في خوض الحرب . كما اتهم هؤلاء بالفشل والتقصير وعدم تجميع المعلومات الضرورية والدقيقة عن تحركات الجيوش العربية في الجبهتين المصرية والسورية واعطاء تصور دقيق لما كان يدور من تطورات فيهما ، مما أثر على تقييم القيادة للموقف العسكري العام وبذلك حرمها من وضع خططها الدفاعية واتخاذ الاجراءات الوقائية المناسبة قبل تردي الاوضاع في الجبهات .

وعليه يسعى جهاز الاستخبارات في رئاسة الاركان الاسرائيلية هذه الايام الى شتى الوسائل والطرق ويلجأ الى استخدام اكثر الاجهزة تعقيدا من أجل الحصول على أدق المعلومات عن الجيوش العربية وخاصـــة المصري والسوري والاردنـــي والعراقي والجزائري والسعودي والذين يتوقع ان يلعبوا دورا بارزا في المواجهة القادمة .

ان الجهاز يواجه صعوبات جمـــة في الحصول على مثل هـــذه المعلومات بسبب المتغيرات التي دخلت على أوضاع دول المواجهة العربية خاصة في المجالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعسكرية ، بالاضافة الى التطورات التي حدثت في الاوساط العسكرية العربية وارتفـــاع اجهزة الاستخبارات العربيـــة المضادة وكفاءة القائمين عليها . ان هذه التطورات حرمت جهـــاز الاستخبارات المعادي الكثير مـــن وسائله التقليدية التي كان يستعملها في التجسس على الدول والجيوش العربية .

ان هذا الجهاز يعمل بالتنسيق مع « الموساد » جهاز المخابرات المسؤول عن تنفيذ المهمات الخاصة في الخارج ، في جمع المعلومات عن الجيوش العربية ، وان مسؤوليته تشمل المجالين الاستخباري التعرضي والاستخباري الوقائي . وتوسعت واجباته الى حد كبير بعد حربي عام ١٩٦٧ و١٩٧٣ . ففي الاولى توسعت دائرة عمله في ضوء التوسعات الاقليمية . لكن عقلية القائمين على الجهاز لم تتطور بالشكل الكافي وظلت تعيش عقلية ما قبل حرب حزيران معتمدة على العمق الاستراتيجي الذي كان يتمتع به الجيش ونظرية الامن الاسرائيلية . لذلك وعندما طلب منها تقييم الاوضاع على جبهتي القتال تقدمت بتصوراتها الخاطئة التي مهدت لهزيمة الجيش الاسرائيلي في الجولة الاولى للحرب الاخيرة . اما بعد الحرب الاخيرة فقد ازدادت هذه الدائرة توسعا بحكم دخول معطيات جديدة على الصراع أهمها : (١) ازديـــاد القدرة القتالية للجيوش العربية ، (٢) التنسيق الرائع الذي تم بين جبهتي القتـــال المصرية والسورية ، (٣) الدعم الفعال الذي قدمته دول المساندة الى دول المواجهة ، (٤) دخول اسلحة جديدة الى الصراع .

لهذا ازدادت واجبات هذا الجهاز لدرجة كبيرة . ان المعلومـــات تفيد انه بدأ في استغلال الطاقات الكامنة في الطيور والحيوانات والاسمـــاك وتسخيرها في مجـــالات التجسس والامور العسكرية . فقد ذكرت مصادر اجنبية ان العدو بدأ يستخدم الحمام

والاسماك والجرذان للتجسس على الجيوش العربية والثورة الفلسطينية ورصد تحركاتها ونشاطاتها . كما ان هذا الجهاز يعتمد بصورة أساسية على طلعات طائرات الاستطلاع والتصوير الجوي اليومية التي تحلق بشكل شبه متواصل على محاذاة خطوط وقف اطلاق النار . ولما أصبحت الرحلات الجوية في عمق الاراضي العربية خطرة للغاية بسبب تزايد فعالية الصواريخ الموجهة العربية ، لجأ العدو لشراء مركبات جوية تطير بدون طيار تعتبر من أكثر الاجهزة الالكترونية تعقيدا وتقدما في الولايات المتحدة ، ليستخدمها في جمع المعلومات العسكرية الدقيقة عن الاهداف العربية الحيوية البعيدة عن ساحات القتال ولمراقبة التطورات الجارية في جبهات القتال .

ان هذه القضايا مجتمعة ، جعلت الحكومة الاسرائيلية تواقة الى تطوير صناعتها الحربية الناشئة ودفعها الى الامام مع توسيع مجالات عملها ، تمهيدا للاكتفاء ذاتيا ، وحتى لا تظل اسرائيل تعتمد على مصادر السلاح الاجنبية ، لقد اولت المؤسسة العسكرية في اسرائيل هذه الناحية اهتماما كبيرا بعد الدرس الذي تلقته في عام ١٩٦٧ على يد فرنسا في اعقاب فرضها حظرا على توريد السلاح الى دول الصراع ، وخوفا من ان تدفع التطورات السياسية الجارية الولايات المتحدة الى اتخاذ الخطوة نفسها فان اسرائيل تحاول جهدها ايجاد مصدر ثابت آخر غير المصدر الاميركي ، فهي تحاول الان التقليل من ارتباطها بالخارج والاعتماد على ما تنتجه صناعتها المحلية ، غير ان هذه الصناعة لا زالت ناشئة وغير قادرة على تلبية احتياجات المجهود الحربي الاسرائيلي من السلاح والتجهيزات الحربية ، يضاف الى ذلك انه لا يمكنها منافسة الصناعات الاجنبية المتقدمة والمتطورة في انتاجها . غير ان اسرائيل لا زالت ترصد الاموال والكفاءات والخبرات لها على أمل ان يمنحها ذلك القدرة على الاستمرار في الانتاج والتقدم في مجالات أبحاثها العلمية ومشاريعها لتطوير الاسلحة التي يحتاج اليها الجيش .

ان متغيرات الصراع دفعت العديد من المسؤولين والقادة والهيئات الحزبية في اسرائيل الى المطالبة بالتوجه الى الاعتماد على الانتاج العسكري المحلي بصورة اكثر ومن هذه الاصوات جاء صوت المعارضة المتمثلة بليكود حيث طالب الحزب رسميا بضرورة تعزيز وزيادة انتاج السلاح محليا ، للرد على الضغوط التي تمارسها واشنطن لتقليص مساعداتها العسكرية ، كما طالبت هذه المصادر بتحويل الانتاج الى انتاج حربي(٣١) . كما ان أصواتا اخرى ارتفعت تؤيد مثل هذه الخطوات دعما للاقتصاد وللمجهود الحربي وتفاديا للبطالة المتوقعة على حد قول بعض المسؤولين في ليكود(٣٢) .

لهذا ولاعتبارات اخرى صادقت الحكومة الاسرائيلية في ١٩٧٥/١/١٢ على اضخم موازنة للدفاع منذ قيام الدولة ، اذ بلغت (٢٢) مليار ليرة اسرائيلية من أصل الموازنة العامة البالغة (٥٨) مليار ليرة للسنة المالية ١٩٧٦/٧٥(٣٣) . وتتألف هذه الميزانية من بندين أساسيين خصص الاول منها لزيادة تعاظم القوة العسكرية وشراء الاسلحة والتجهيزات والمعدات الحربية من الخارج ، في حين خصص الثاني لتغطية نفقات ومصاريف وزارة الدفاع داخل اسرائيل(٣٤) . وحتى تتجنب المصاريف الاضافية في شراء الاسلحة فقد الغت الحكومة الاسرائيلية عمولات السماسرة على الاعتدة الحربية وصفقات السلاح وذلك من أجل حصر المصروفات في أضيق نطاق ممكن ، وهو اجراء ساعد على تخفيض اسعار العديد من الاعتدة والاسلحة . ومن جهة اخرى تطالب وزارة الدفاع الاسرائيلية حكومة واشنطن بضرورة الغاء العمولة المفروضة على اتفاقات السلاح(٣٥) . ولتقليل المصاريف الاضافية صادق رئيس الاركان الاسرائيلي الجنرال مردخاي غور على خطة شاملة تهدف الى تقليص مصاريف الدفاع ومشترياتها

من السوق المحلية بنسبة ١٠ ــ ٢٠ ٪ بالاضافة الى تخفيض مستوى الحياة لمختلف الرتب في الجيش(٣٦).

ان وزارة الدفاع تحاول تأمين المبالغ اللازمة لشراء أحدث الاسلحة الموجودة في الترسانة الاميركية ، لمواجهة احتمالات الموقف ، كما تسعى في الوقت نفسه الى زيادة عدد افراد قواتها المسلحة (النظامية ، وأفراد الخدمة الالزامية ، والاحتياطي الاستراتيجي) لمواجهة التغييرات الحاصلة في الجانب الآخر والتي أخذت أبعادا أخطر مما كانت القيادة الاسرائيلية تتوقعه . ان همها الاساسي هو الابقاء على موازين القوى في الصراع على ما هي عليه عن طريق دعم الولايات المتحدة الفعال لها .

---

١ ــ صحيفة دافار ، ١٩٧٥/١/٢١ .

٢ ــ **معاريف** ، ١٩٧٥/١/٣١ .

٣ ــ **دافار** ، ١٩٧٥/١/٢٨ .

٤ ــ حول هذا الموضوع راجع المصادر التالية :
Time - 29/10/1973, pp. 27 - 28
Aviation Week, 5/11/1973, p. 18
Aviation Week, 22/10/1973, p. 20
Aviation Week, 29/10/1973, p. 15.

٥ ــ راجع **هآرتس** ، ١٩٧٤/٦/١٠ .

٦ ــ انظر المصادر التالية :
(أ) دافار ١٩٧٤/٦/٢٥ .
(ب) ر.أ.أ. عدد ٨٠٢ تاريخ ١٩٧٥/٤/٢٤ .

٧ ــ **معاريف** ، ١٩٧٤/٤/١٢ .

٨ ــ **معاريف** ، ١٩٧٥/٣/٩ .

٩ ــ ر.أ.أ ــ ٨٣٨ ، تاريخ ١٩٧٥/٦/١٣ .

١٠ ــ راجع كتاب محمود عزمي **القوات الاسرائيلية المحمولة جوا** ، الصادر عن مركز الابحاث التابع لمنظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ، ١٩٧٣ ، ص ١٦٤ .

١١ ــ انظر **ميزان القوى للعام ٧٤ ــ ١٩٧٥** الصادر عن معهد الدراسات الاستراتيجية في لندن .

١٢ ــ انظر المراجع التالية : (أ) **المصدر نفسه** ، (ب) يديعوت احرونوت ، ١٩٧٥/٣/١٨ .

١٣ ــ **دافار** ، ١٩٧٥/٣/٩ .

١٤ ــ **هآرتس** ، ١٩٧٤/١٠/٢٠ .

١٥ ــ **المصدر نفسه** ، ١٩٧٤/١٠/٢٩ .

١٦ ــ انظر مجلة :
International Defence Review, No. 5, October 1974, p. 674.

١٧ ــ **المصدر نفسه** .

١٨ ــ انظر :
The Military Balance, 1974 - 1975, The International Istitute for Strategic Studies, London 1974, p. 34.

١٩ ــ انظر : *Janes Fighting Ships* 1974 - 1975, pp. 179 - 181.

٢٠ ــ انظر **نشرة الارض** ، عدد ١٠ ، تاريخ ١٩٧٤/٢/٧ ، ص ٣٥ .

٢١ ــ **دافار** ، ١٩٧٥/٣/١٠ .

٢٢ ــ ر. أ. أ ، تاريخ ١٩٧٥/٢/٥ .

٢٣ ــ **المصدر نفسه** ، ١٩٧٥/٣/١٠ .

٢٤ ــ انظر : *The Military Balance* **المصدر** السابق .

٢٥ ــ **دافار** ، ١٩٧٤/٦/٢٧ .

٢٦ ــ **معاريف** ، ١٩٧٥/٢/٢١ .

٢٧ ــ **معاريف** ، ١٩٧٤/١٢/١٨ .

٢٨ ــ **يديعوت احرونوت** ، ١٩٧٥/٢/١٧ .

٢٩ ــ **معاريف** ، ١٩٧٤/٧/٥ .

٣٠ ــ **دافار** ، ١٩٧٤/٦/٢٧ .

٣١ ــ ر. أ. أ عدد ٧٧٨ ، تاريخ ١٩٧٥/٣/١٥ .

٣٢ ــ **المصدر نفسه** .

٣٣ ــ **يديعوت احرونوت** ، ١٩٧٥/١/١٧ .

٣٤ ــ **معاريف** ، ١٩٧٥/١/١٢ .

٣٥ ــ ر. أ. أ ، ١٩٧٥/١/٤ .

٣٦ ــ **معاريف** ، ١٩٧٥/١/٦ .

ثروة النفط العربي والموقف السوفييتي من النزاع العربي ـ الاسرائيلي

سمير كنعاني

هل للثروة الهائلة من النفط الكامنة بوفرة في باطن اراضي الوطن العربي دور في صياغة السياسة السوفييتية تجاه النزاع العربي ـ الاسرائيلي ؟ وان كان لها مثل هذا الدور فما هو تأثيره على الموقف السوفييتي العام من هذا النزاع ؟ وما هي ابعاده ومعطياته ؟ وما هي مضامينه ودلالاته ؟ وكيف يمكن اخذ ذلك بالحسبان في معادلات موازين القوى المؤثرة في هذا النزاع ؟ وكيف يمكن ان يكون لثروة النفط هذه دور أشد فعالية في تعميق الالتزام السوفييتي بالقضية العربية والحق الفلسطيني في هذا النزاع ؟ وكيف ينعكس مثل هذا الدور على مستقبل العلاقات والروابط بين الشعوب العربية والاتحاد السوفييتي ؟

هذه وغيرها اسئلة عديدة سنحاول ان نجيب عليها من خلال تحليل المعطيات المتوفرة عن مستويات الانتاج والاستهلاك للنفط والغاز في الاتحاد السوفييتي ودول المنظومة الاشتراكية الاخرى ، وكذلك متطلبات احتياجات الاتحاد السوفييتي ودول المنظومة الاشتراكية في المستقبل المنظور من النفط والغاز ، وايضا ، ما يتوفر لدى الاتحاد السوفييتي من احتياطي مصادر الطاقة الاخرى في ضوء احتياطي الولايات المتحدة وبقية مناطق العالم الاخرى الفاعلة في التأثير ، آنيا وفي المستقبل ، في هذه المنطقة من العالم .

ولعل ما يفرض نفسه كمدخل لهذا الموضوع تلك المزاعم التي ما فتئت تروجها الدوائر الاستعمارية والصهيونية وابواقها الدعائية وعملاؤها في الاوساط الرجعية العربية حول المطامع السوفييتية في النفط العربي ، والاستحواذ على آبار النفط العربية الغزيرة والاستئثار بها ، وهي نغمة صيغت على نسق النغمة الاخرى التقليدية القائلة بتوق « الدب الروسي » وشوقه الدائم للابحار في المياه الدافئة الواقعة الى الجنوب والسيطرة على شواطئها .

فمن بين هذه النغمات على سبيل المثال مقال نشرته صحيفة « الجيروسالم بوست » الاسرائيلية على لسان مراسلها في باريس جاك موريس في ١٩٧٣/١٢/١٣ في خضم الاجواء الدبلوماسية المشحونة التي اعقبت حرب اكتوبر ، فقد جاء في المقال المذكور : « يتزايد اعتقاد الدوائر العسكرية والسياسية والدبلوماسية هنا (باريس) بانه قد تم التوصل الى اتفاق سري بين واشنطن وموسكو ستقع بموجبه بلدان النفط العربية تحت الاشراف الامريكي او السوفييتي المباشر بواسطة التدخل العسكري اذا اقتضت الضرورة ، وان هذا الحلف يشبه ما اقدم عليه البابا في القرون الوسطى يوم ان قسم العالم بين اسبانيا والبرتغال ، واتفاقيات مؤتمر يالطة عام ١٩٤٥ ، واتفاق هتلر ـ ستالين لاقتسام بولنده عشية الحرب العالمية الثانية في آب ١٩٣٩ . وكانت المجلة الفرنسية « نوفيل اوبزرفاتور » [الموالية للصهيونية] هي أول من أشار الى احتمال حدوث تدخل غربي عسكري ضد دول النفط العربية قبل اسابيع من نشوب حرب اكتوبر ، وان ذلك سيتم باستخدام قوات المظلات الايرانية والاسرائيلية بدعم من امريكا ...

وبموجب هذا الاتفاق سيبقى الاتحاد السوفييتي على الحياد ، ولكنه يقبض مقابل ذلك ثمنا باهظا ،

جزء منه يعطي الاتحاد السوفييتي قواعد عسكرية في الخليج « الفارسي » والبحر الاحمر وبعض ابار النفط « ليحميها » ضد الهجوم الاستعماري ... وتتضمن تقارير باريس حتى تاريخ وقوع ذلك وهو قبل حلول رأس السنة ، ومن بين دول النفط العربية التي ستنجو من ذلك الغزو الجزائر » .

بطبيعة الحال لقد حلت رأس السنة المزعومة منذ شهور طويلة ولم يحدث شيء مما اشارت اليه هذه التقارير الصهيونية الموثوقة !!

هذه واحدة ... ونغمة ثانية على هذا الوتر ذاته تترنم بها صوت اخر صهيوني النكهة استعماري المرامي هو يكوتيل فيدرمان رئيس مجلس ادارة « مؤسسة فنادق دان الشهيرة » وذلك في مقالة نشرتها له صحيفة « الجيروسالم بوست » الاسرائيلية في ١٩٧٣/١٢/٣ بعنوان : « على القاهرة والقدس ان تعملا معا لوقف الروس » ، وفي مقالته المذكورة وجه السيد فيدرمان المذكور دعوة مفتوحة الى العرب ، ولا سيما الى مصر ، من اجل احلال التفاهم مع اسرائيل من اجل وقف « الزحف الروسي » على المنطقة والذي « يهدد المنطقة بأكملها بالعبودية فيقول : « ان الحقد الاعمى قد جعل العرب يتعون في الفخ الروسي المنصوب لهم واتاح للاتحاد السوفييتي السيطرة على البلدان العربية في الشرق الاوسط ... وان الاهداف البعيدة المدى للسوفييت من ذلك هي السيطرة على البحر المتوسط وشل اوروبا الوسطى والجنوبية ، وفتح قناة السويس لتمهيد السبيل امام اساطيلهم للوصول الى المحيط الهندي ولا سيما الى الصين والسيطرة على احتياطي النفط في شبه الجزيرة العربية والخليج « الفارسي » وفي نهاية المطاف في ايران ايضا ...

ان سوريا والعراق قد باعا نفسيهما للسوفيات ... وان العربية السعودية هي اغراء غني جدا للسوفييت بحيث لا يتصورون ان يتركوها وشأنها ... وان ثروة ليبيا النفطية وموقعها الاستراتيجي على البحر المتوسط تشكل رصيدا بالغ الضخامة واغراء بالغ الشدة بحيث لا يستطيع الروس ان يتركوها ... وان الخليج « الفارسي » هو بحسب مخططات الكرملين ينبغي السيطرة عليه ليجعل من روسيا والدول الدائرة في فلكها القوة النفطية الاولى في العالم بلا منازع » ...

واقع الامر ان النغمات التي من هذا القبيل هي اكثر من ان تعد او تحصى ، فهي طبق يومي تتحف به اذاعة اسرائيل باللغة العربية مستمعيها متوخية من وراء ذلك بث مشاعر الريبة والشك لدى العرب تجاه نوايا اصدقائهم السوفييت . وكذلك ، هذه النغمة هي معزوفة دائمة من معزوفات ابواق الدعاية الاستعمارية الموجهة للمنطقة العربية مثل راديو لندن وراديو « صوت امريكا » الخ .. لتحقيق المرامي ذاتها ... وأخيرا وليس اخرا هي معزوفة دائمة تترنم بها الاوساط الرجعية العربية المتحالفة مع قوى الاستعمار والصهيونية لتأجيج روح الحقد ضد السوفييت حلفاء حركة التحرر الوطني العربية ولتمهيد السبيل أمام استمرارية السيطرة الامبريالية حليفة القوى الرجعية العربية على مقدرات المنطقة العربية وثرواتها ...

ونحن هنا لا نميل الى الاخذ بمنطق التعصب الاعمى في رفض هذه الاقاويل والنغمات والمزاعم جملة وتفصيلا دونما بحث او مناقشة او تروٍ ، بل نرى انه لا بد من فحص هذه المقولات في ضوء المعطيات الموضوعية المتوفرة عن مستوى انتاج النفط في الاتحاد السوفييتي وبقية دول المنظومة الاشتراكية ومقدار استهلاكها وكذلك مدى ما يتوفر لدى الاتحاد السوفييتي من احتياطي نفطي وأيضا مدى ما يتوفر لديه من احتياطي من مصادر الطاقة الاخرى في ضوء احتياجات الاتحاد السوفييتي ودول المنظومة الاشتراكية من الطاقة في المستقبل القريب والمنظور . فلا ريب ان مثل هذه المعطيات عن الانتاج السوفييتي وما يتوفر لديه من النفط ومصادر الطاقة الاخرى في ضوء احتياجاته ومتطلبات استهلاكه الانية والمستقبلية قد يكون لها، الى حد بعيد ، تأثير على توجهاته السياسية تجاه المنطقة العربية الغنية بالنفط ، كما تصلح كمؤشر الى مدى الاولوية التي تحظى بها المنطقة العربية في سلم اولويات الاستراتيجية العامة للسياسة السوفييتية في هذا الجزء من العالم . وذلك ، بطبيعة الحال ، في اطار الاعتبارات الاخرى الاساسية التي تحكم هذه الاستراتيجية — سواء كانت اعتبارات عقائدية او جغرافية او اقتصادية

— في ضوء الميزان العام للقوى العالمية في الفترة الراهنة وفي المستقبل المنظور .

انتاج النفط والغاز ومصادر الطاقة الاخرى واستهلاكها والاحتياطي المتوفر منها في الاتحاد السوفييتي ودول الكوميكون

تشير اخر احصائية توفرت لدينا من انتاج النفط في الاتحاد السوفييتي الى ان هذا الانتاج قد ارتفع في النصف الاول من هذه السنة بنسبة ٨٫٣٪ عن مستواه في الفترة ذاتها من العام الماضي فبلغ حوالي ٢٢٠ مليون طن اي بمعدل حوالي ٨٫٨ مليون برميل في اليوم . وينتظر ان يصل الانتاج السوفييتي من النفط هذه السنة الى ٤٥٠ مليون طن اي ما معدله تسعة ملايين برميل في اليوم بزيادة تبلغ ٦٫٩٪ عن مستواه في العام الماضي والبالغ ٤٢١ مليون طن(١) . وبذلك يحافظ الاتحاد السوفييتي على المرتبة الثانية بين الدول المنتجة الرئيسية للنفط في العالم ، ولكنه اصبح هذه السنة يحتل المرتبة الثانية في انتاج النفط في العالم بعد المملكة العربية السعودية التي اصبحت المنتج الاول للنفط في العالم ، والتي يبدو انها ستبقى كذلك خلال السنوات العشر القادمة على الاقل . وقد انتزعت السعودية المرتبة الاولى في انتاج النفط من الولايات المتحدة الامريكية التي ما فتىء انتاجها من النفط يتراجع منذ سنوات حتى تدنى اخيرا الى ما دون التسعة ملايين برميل في اليوم ، اما السعودية التي اخذ انتاجها من النفط ، ابتداء من شهر ايار (مايو) الماضي ، يزيد على ما معدله تسعة ملايين برميل في اليوم ، فان لديها خططا لرفع انتاجها الى ما معدله ١١٫٢ مليون برميل في اليوم قبل نهاية عام ١٩٧٥ ، ومن ثم البلوغ به الى مستوى عشرين مليون برميل يوميا بحلول عام ١٩٨٠ وذلك لتلبية احتياجات الولايات المتحدة الامريكية المتزايدة من النفط ليس الا !! وبذلك اصبح ترتيب الدول المتنافسة في حلبة انتاج النفط العالمي على الوجه التالي : السعودية (أكثر من ٩ ملايين برميل يوميا) ثم الاتحاد السوفييتي (حوالي تسعة ملايين برميل يوميا) فالولايات المتحدة الامريكية (دون ٩ ملايين) فايران (أكثر من ٦ ملايين) ثم فنزويلا (حوالي ٣ ملايين) والكويت (نحو ٢٫٥ مليون برميل يوميا) ، ثم العراق فنيجيريا فليبيا فاندونيسيا فأبو ظبي ويتراوح انتاج كل منها بين ٢ مليون برميل في اليوم الى ١٫٥ مليون برميل في اليوم .

وكان انتاج النفط الخام في الاتحاد السوفييتي في العام الماضي ١٩٧٣ والذي بلغ مجموعه نحو ٤٢١ مليون طن متري(٢) قد زاد بنسبة ٨٪ عما كان عليه في العام السابق ١٩٧٢ ، ونسبة الزيادة هذه ٨٪ مساوية لنسبة الزيادة في انتاج النفط الخام في العالم اجمع في تلك السنة ، ويعود الفضل في الزيادة التي حققها انتاج النفط السوفييتي في عام ١٩٧٣ الى سيبيريا الغربية وحدها حيث ارتفع انتاجها من ٥٦ مليون طن في عام ١٩٧٢ الى ٨٧ مليون طن في عام ١٩٧٣ .

ويبين الجدول التالي(٣) ارقام انتاج النفط في الاتحاد السوفييتي منذ العام ١٩٧٠ كما يظهر التقديرات المتوقعة لهذا الانتاج حتى العام ١٩٨٠ وكيف ان سيبيريا الغربية ستشهد اعظم النشاطات النفطية خلال السنوات القادمة وانها ستسهم في القسط الاوفر من هذا الانتاج ابتداء من عام ١٩٨٠ .

الانتاج بملايين الاطنان المترية

السنة	سيبيريا الغربية	المجموع الكلي
١٩٧٠	٣١٤	٣٥٢٫٦
١٩٧١	٤٤٫٢	٣٧٢
١٩٧٢	٦٢٫٧	٣٩٤
١٩٧٣	٨٦٫٥	٤٢٠
١٩٧٤	١١٥٫٠	٤٥٠
١٩٧٥	١٤٥٫٠	فوق ٤٨٠
١٩٨٠	٢٧٠ — ٣٠٠	—

ولكن ، أين يقف هذا الانتاج في ضوء احتياجات الاتحاد السوفييتي من النفط ؟ من المعروف ان الاتحاد السوفييتي هو مصدر صاف للنفط منذ مطلع الخمسينات ، وهو لا يسد فقط احتياجات حليفاته من دول المنظومة الاشتراكية الاعضاء في منظمة المساعدة المتبادلة « الكوميكون » بل يصدر كذلك حوالي ٥٠ مليون طن من النفط سنويا الى أقطار اخرى عديدة أهمها في اوروبا الغربية . ومن المفروض ان استهلاك الاتحاد السوفييتي نفسه من النفط هو الفارق بين ارقام انتاجه السنوية وارقام صادراته ، بيد أن علينا ان نأخذ في الحسبان ان دولة كبرى كالاتحاد السوفييتي تتخذ احتياطات للظروف الطارئة فتخزن لديها كميات هائلة من النفط وتعمل على زيادة هذا المخزون سنويا لتلبية الاحتياجات المتزايدة في ضوء النمو الاقتصادي والصناعي والاستهلاكي بصورة عامة وفي ضوء الزيادة السكانية السنوية .

وتفيد الاحصائيات الرسمية التي اذيعت في موسكو مؤخرا ان الصادرات السوفييتية من النفط والغاز قد سجلت ارتفاعا في العام الماضي ١٩٧٣ . فقد ارتفعت صادرات النفط الخام ومنتجاته الى ١١٨ مليون طن من ١٠٧ ملايين طن في عام ١٩٧٢ . وكان المستوردون الرئيسيون للنفط السوفييتي على النحو التالي (بملايين الاطنان)(٤): تشيكوسلوفاكيا ١٤،٣ والمانيا الشرقية ١٣ وبولندة ١٢ وبلغاريا ٩ والمجر ٦ وفنلنده ١٠ وايطاليا ٩ والمانيا الغربية ٦ وفرنسا ٥ . ان صادرات الاتحاد السوفييتي من النفط الى حليفاته من الدول الاشتراكية هي في تصاعد مستمر وهذا ما يجعل صادراته الى خارج العالم الاشتراكي تستقر في حدود تتراوح بين ٤٠ الى ٥٠ مليون طن سنويا اي بمعدل يتراوح بين ٨٠٠ الف الى مليون برميل في اليوم . فقد ارتفعت صادرات الاتحاد السوفييتي من النفط ومنتجاته الى دول الكوميكون (بلغاريا وتشيكوسلوفاكيا والمانيا الديموقراطية وبولنده والمجر) والى كوبا وكوريا الشمالية وفييتنام الشمالية ومنغوليا من ٢،٣٨٩ مليون طن عام ١٩٥٥ الى ١،٠٤٩ مليون طن عام ١٩٦٠ فالى ٢٦،٨ مليونا عام ١٩٦٥ فالى ٤٧،٦ مليون طن عام ١٩٧٠(٥)، وفي العام الماضي ارتفعت هذه الصادرات الى اكثر من ٧٠ مليون طن. وسر هذه الزيادة هو ان اقطار اوروبا الشرقية الاشتراكية فقيرة بالنفط فكان انتاجها منه عام ١٩٧٠ مقدار ١٦،٥ مليون طن فارتفع في عام ١٩٧٣ الى ١٧،١ مليون طن اكثر من ١٣ مليون طن منها في رومانيا .

ومن جهة اخرى ، هنالك مؤشرات عديدة الى ان لدى الاتحاد السوفييتي مشاريع طموحة لزيادة انتاجه من النفط زيادة كبيرة خلال السنوات القادمة ، فمن المقرر ان يزيد على ٤٨٠ مليون طن عام ١٩٧٥ . وان يتراوح بين ٦٠٠ الى ٦٢٠ مليون طن عام ١٩٨٠(٦)، اي بمعدل يزيد على اثني عشر مليون برميل يوميا . وواقع الامر ان انتاج الاتحاد السوفييتي شهد زيادة سنوية كبيرة مستمرة منذ مطلع الخمسينات ، فزاد خلال الاعوام ١٩٥٠ — ١٩٧١ بمقدار عشرة اضعاف ، وبلغ معدل زيادته السنوية خلال الفترة المذكورة ١٦،٢ مليون طن بينما كان انتاج الولايات المتحدة الامريكية خلال تلك الفترة يتزايد بمعدل ٩،٧ مليون طن سنويا قبل ان يأخذ في التناقص ابتداء من عام ١٩٧١ بحيث انخفض من مستوى حوالي ١٤ مليون برميل في اليوم الى ما دون تسعة ملايين برميل في اليوم حاليا .

ولكن هل ستلبي الزيادات المقررة في انتاج النفط السوفييتي حاجة الاتحاد السوفييتي في المستقبل ؟. لقد اجابت على هذا صحيفة « الفايننشال تايمز » البريطانية فقالت : « ان النمو في الاقتصاد السوفييتي بالاضافة الى الزيادات المقررة في انتاج اللوريات والسيارات الصغيرة قاد بعض الاقتصاديين الغربيين الى تقدير الاحتياجات السوفييتية في عام ١٩٨٠ بنحو ٥٠٠ مليون طن اي اقل بنحو ١٠٠ مليون طن من الانتاج المقرر لتلك السنة وهو الهدف الذي يعتبره البعض متفائلا اكثر من اللزوم ، على ان ثمة بعض الاقتصاديين الغربيين يتنبأون بأن الاحتياجات ستكون اقل من ذلك بكثير ، ولكن الاتحاد السوفييتي سيحتاج الى ابقاء مستوى صادراته عاليا خاصة وان احتياجات دول الكوميكون الاخرى آخذة بالتزايد ايضا »(٨).

ترى هل يعد الاحتياطي النفطي الكامن في باطن الارض السوفييتية بقابلية هذه الاحتياجات

المتزايدة ؟ واقع الامر ان ارقام الاحتياطي من النفط الكامن في باطن الارض قد اصبحت تعتبر لدى الكثير من الدول وشركات النفط بمثابة اسرار بحيث يتعذر البت بصورة يقينية بمقدار الاحتياطي النفطي في هذا البلد أو ذاك ، الا ان بعض المصادر قد نسبت الى مصادر سوفييتية ان الاحتياطي النفطي الثابت على البر في الاتحاد السوفييتي في العام ١٩٧١ كان في حدود ٦٨ مليار برميل بينما قدر الاحتياطي في المناطق المغمورة بنحو ١٠٠ مليار برميل والاحتياطي المحتمل اكتشافه على البر بنحو ٢٠٠ مليار برميل »(٩). ومن هذا نرى انه وان كان الاحتياطي الثابت من النفط الكامن في اراضي السعودية يبلغ قرابة ضعف (١٢٥ مليار برميل) الاحتياطي الثابت لدى الاتحاد السوفييتي فان الارقام الكبيرة لاحتياطي النفط المحتمل الكامن على البر السوفييتي وفي مناطق المغمورة تنبيء بأن الاتحاد السوفييتي قد يكون هو اغنى بلدان العالم بالنفط . واذا أخذنا الاحتياطي السوفييتي الثابت من النفط كأساس للتقدير فان لدى الاتحاد السوفييتي من النفط على اساس انتاج سنوي مقداره ٦٠٠ مليون طن ما يكفيه لمدة ١٧ سنة فقط اي حتى عام ١٩٩٠ ، ولكن اذا اخذنا الاحتياطي المحتمل بالحسبان يصبح لديه ما يكفيه اكثر من ٨٠ سنة على اساس انتاج سنوي مقداره ٦٠٠ مليون طن .

اذا كان هذا هو الوضع النفطي في الاتحاد السوفييتي فما هو وضع مصادر الطاقة الاخرى لديه ؟ واقع الامر ان جميع المعطيات المتوفرة تشير الى ان الاتحاد السوفييتي هو غني جدا بمصادر الطاقة على انواعها بل انه قد يكون اغنى أقطار الارض قاطبة بمصادر الطاقة بصورة اجمالية ، ولا عجب في ذلك فهو اكبر الاقطار مساحة (٢٢ مليون كيلومتر مربع) اي ثلاثة اضعاف مساحة الولايات المتحدة الامريكية ، وما زالت سيبيريا الشاسعة الارجاء ارضا بكرا وهي تعد بالكثير في ميدان الطاقة .

ولنبدأ اولا بثروة الغاز الطبيعي الكامنة في جوف الاراضي السوفييتية . والغاز ، شأنه شأن النفط ، لا يعتبر فقط من مصادر الطاقة السامية من حيث النقاوة وسهولة الاستعمال وما الى ذلك من مزايا فحسب ، بل يعتبر ايضا من المواد الخام الاساسية في العديد من الصناعات البتروكيميائية الحيوية .

ان انتاج الاتحاد السوفييتي حاليا من الغاز الطبيعي هو انتاج وفير حقا ، وقد زاد انتاج الغاز الطبيعي في عام ١٩٧٣ بمقدار ١٥ مليار متر مكعب اي بنسبة ٧٪ فبلغ ٢٣٦ مليار متر مكعب ، وكان المقرر ان يصل في عام ١٩٧٤ الى ٢٥٨ مليار متر مكعب ، اما الهدف المقرر لعام ١٩٧٥ بموجب الخطة الخمسية فيتراوح بين ٣٠٠ و ٣٢٠ مليار متر مكعب . وان اهمية الغاز الطبيعي بين انواع الوقود الرئيسية في الاتحاد السوفييتي آخذة بالازدياد بصورة ملموسة .

وهذا ما يتبين بوضوح من الجدول التالي :(١٠)

الاتجاهات في انتاج انواع الوقود الرئيسية في الاتحاد السوفييتي

(بالنسبة المئوية من اجمالي الانتاج)

نوع الوقود	١٩٦٠	١٩٦٥	١٩٧٠	١٩٧٥	١٩٨٠
الفحم	٥٣٫٩	٤٢٫٦	٣٥٫٩	٢٩٫٥	٢٧—٢٥
النفط الخام	٣٠٫٥	٣٦٫٤	٤١	٤٤٫١	٤٨—٤٦
الغاز الطبيعي	٧٫٩	١٥٫٨	١٨٫٤	٢٣٫٣	٢٦—٢٤
انواع اخرى	٧٫٧	٥٫٢	٤٫٧	٣٫١	٢
اجمالي الانتاج بملايين الاطنان*	٦٩٢٫٨	٩٦٦٫٦	١٢٧٧	١٦٣٩	٢٢١٢

* محتسبة على ما يعادل ٧٠٠٠ كالوري في الكيلوغرام .

ان من المعروف ان الاتحاد السوفييتي هو أغنى اقطار العالم بالغاز الطبيعي ، بل ان بعض المصادر تورد ان هناك « تباينا في الرأي بين المخططين السوفييت فيما اذا كان ينبغي ان يوجه الاهتمام لتطوير انتاج النفط او الغاز الطبيعي ، وحجة انصار الغاز هي ان في الاتحاد السوفييتي من احتياطي الغاز الثابت وجوده والذي يمكن استخلاصه كميات كبيرة جدا تبلغ حوالي ١٥ تريليون (مليون مليون) متر مكعب ، بيد ان المطعن في هذه الحجة هي ان اكثر من ٦٠٪ من مجموع هذا الاحتياطي موجود في سيبيريا ، ولا سيما في أصقاعها الشمالية حيث يصعب جدا تطويرها »(١١)

اما بلدان المنظومة الاشتراكية الاخرى فثروتها من الغاز الطبيعي ليست وفيرة وان كانت افضل حالا من ثروتها النفطية وهذا ما يتبين من الجدول التالي :(١٢)

انتاج الغاز الطبيعي في المنظومة الاشتراكية
(بمليارات الامتار المكعبة)

السنة	الاتحاد السوفييتي	سائر اوروبا الشرقية
١٩٧٠	١٩٨	٣١
١٩٧١	٢١٢	٣٤
١٩٧٢	٢٢١	٣٨
١٩٧٣	٢٣٦	٤٢
١٩٧٥	٣٢٠	٥٧
١٩٨٠	٥٥٠—٦٠٠	(...)

ان الرقم ٥٧ مليار متر مكعب الذي يشير الى التقديرات المتوقعة لانتاج الغاز الطبيعي في اقطار اوروبا الشرقية للعام ١٩٧٥ تشمل رومانيا ٢٦ مليار متر مكعب والمانيا الديموقراطية ١١،٥ — ١٤ مليارا ، وبولونيا ١٢ ، والمجر ٥،٣ ، وتشيكوسلوفاكيا ١،٢ ، وبلغاريا ٠،٣ ، ومن هنا نرى ان رومانيا هي اغنى اقطار اوروبا الشرقية بالغاز علاوة على النفط ، في حين ان افقرها هي على التوالي بلغاريا وتشيكوسلوفاكيا والمجر(١٣).

وتشير الظواهر الى ان الاتحاد السوفييتي يجد لديه وفرة في الغاز الطبيعي اكثر من النفط ولذلك فهو يتجه الى تصدير كميات متزايدة من الغاز « فمن المتوقع ان تصل كميات الغاز الطبيعي التي يجري تصديرها الى خارج الكتلة الاشتراكية ، بموجب العقود الحالية ، بحلول عام ١٩٨٠ اكثر من عشرين الف مليون متر مكعب سنويا ، ولو ان صافي الصادرات ، اذا اخذنا بعين الاعتبار المستوردات من ايران وافغانستان ، لن يزيد كثيرا على ٨٠٠٠ مليون متر مكعب في السنة »(١٤).

وفي العام الماضي ١٩٧٣ ارتفعت صادرات الغاز الطبيعي من ٥،١ مليار (الف مليون) متر مكعب في عام ١٩٧٢ الى ٦،٨ مليار متر مكعب . ان زيادة صادرات الغاز السوفييتي تنتظر استكمال انشاء عدة شبكات من خطوط الانابيب ، فعلاوة على خطوط الغاز الرئيسية الموجودة حاليا او التي تقرر بناؤها ورد في الانباء مؤخرا ان بلدان المعونة الاقتصادية المتبادلة « الكوميكون » قد توصلت الى اتفاق مبدئي لمد خط لانابيب الغاز طوله ٣٠٠٠ كيلومتر يمتد من حقل « أورنبرغ » في منطقة الاورال — فولغا الى جميع انحاء بلدان الكوميكون وذلك بالاضافة الى « خط أنابيب الصداقة » الذي يمون اقطار اوروبا الشرقية بالنفط السوفييتي ، كما ان هنالك شبكة اخرى من خطوط انابيب الغاز من الاتحاد السوفييتي الى اقطار اوروبا الشرقية ويجري توسيعها الان بحيث تمتد الى المانيا الغربية وفرنسا وايطاليا ، وستصل الى

ابعد محطاتها (فرنسا) قبل نهاية عام ١٩٧٥ وتغطي كذلك بلاد البينيلوكس (بلجيكا وهولنده واللوكسمبورغ) . بيد ان مشاريع تصدير الغاز الطبيعي الكبرى في الاتحاد السوفييتي هي تلك التي تم الاتفاق عليها بين السوفييت وشركة أوكسيدنتال الامريكية للنفط لتطوير موارد الغاز الوفيرة في منطقة « ياكوتسكيا » في شرقي سيبيريا، ويشتمل هذا المشروع على مد خط انابيب لنقل الغاز يمكنه بعد اكتماله — ربما في عام ١٩٨٠ — ان ينقل ٣٠ مليار متر مكعب في السنة ويستمر في ذلك على الارجح مدة ٢٥ سنة ، ويحصل السوفييت بموجب هذا المشروع على ثلث الغاز المستخرج بينما يصدّر الثلثان الاخران على شكل غاز مسيل الى الولايات المتحدة واليابان(١٥). أما الاتفاق الثاني الذي وقع بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي ، وهو ايضا اتفاق من حيث المبدأ ، فيقوم على استغلال حقل الغاز الكبير في « أورينغوي » في منطقة تيومن في غربي سيبيريا ويشتمل على مد خط انابيب طوله ١٥٠٠ ميل الى معمل لتسييل الغاز يقام في ميناء « مرمانسك » . وينتظر ان تكون طاقة هذا الخط هي ايضا ٣٠ مليار متر مكعب في السنة تشحن مجموعة الشركات الامريكية ثلثيها الى الساحل الغربي من الولايات المتحدة الامريكية ، وينتظر كذلك ان يبدأ الشحن في هذا المشروع في عام ١٩٨٠ وان يستمر طيلة ٢٥ عاما(١٦)، بيد ان هذه المشاريع الضخمة ما زالت حبرا على ورق لان هنالك عدة عقبات تعترض سبيل تنفيذها ليس اقلها احتمال اعتراض مجلس الشيوخ الامريكي عليها واحباطها .

نستخلص من ذلك كله ان الاتحاد السوفييتي لا يشكو من مجاعة في الغاز الطبيعي ، بل لديه منه احتياطي هائل بحيث يلبي جميع احتياجاته واحتياجات حليفاته من دول المنظومة الاشتراكية في المستقبل المنظور مع فائض كبير للتصدير الى بلدان العالم الاخرى .

أما بالنسبة للفحم الحجري ، وهو المصدر الاخر الرئيسي من مصادر الطاقة ، فيقف الاتحاد السوفييتي في طليعة اقطار العالم انتاجا واحتياطيا . ففي العام ١٩٧٢ بلغ مجموع الانتاج العالمي من الفحم الحجري ٢٠٧٦ مليون طن بزيادة ضئيلة عن مستوى انتاجه عام ١٩٦٥ حيث كان ٢٠٠٤ ملايين طن . وكان نصيب الاتحاد السوفييتي من هذا الانتاج عام ١٩٧٢ زهاء ٦٥٥ مليون طن تليه الولايات المتحدة ٥٤١ مليون طن ، فالصين حوالي ٤٠٠ مليون طن ، اما دول السوق الاوروبية المشتركة مجتمعة فبلغ انتاجها زهاء ٣٠٠ مليون طن ، كذلك تعتبر بولنده من الاقطار الرئيسية المنتجة للفحم حيث كان انتاجها في تلك السنة ١٥١ مليون طن(١٧). وفي ضوء ازمة امدادات النفط التي تفاقمت في العالم الرأسمالي مؤخرا عاد الاهتمام من جديد بتطوير مصادر الفحم الحجري واستغلاله بعد ان ظلت مكانته تتراجع تدريجيا بثبات منذ مطلع الخمسينات نتيجة توفر كميات متزايدة من امدادات النفط الذي ما فتئت الاحتكارات النفطية الغربية تنهبه من اقطار العالم الثالث ، ولا سيما من الوطن العربي ، بأسعار زهيدة جدا هي دون كلفة استخراج الفحم الحجري في اقطار اوروبا الغربية علاوة على المزايا العديدة الاخرى التي يتمتع بها النفط ويمتاز بها على الفحم كمصدر للطاقة . ففي ضوء ازمة امدادات النفط التي بدأت منذ سنوات ونجاح بعض من الدول المنتجة للنفط في العالم الثالث في استعادة شيء من سيادتها القومية على ثروتها النفطية من الاحتكارات النفطية الاستعمارية وما تلا ذلك من تطورات تسارعت بفعل الضغوط الجماهيرية التي افلتت من عقالها بفعل ارادة المقاتلين العرب في حرب تشرين الماضي ، وأدت الى رفع اسعار النفط الخام نحو أربعة اضعاف ما كانت عليه قبل هذه الحرب في غضون فترة ثلاثة شهور فقط . في ضوء هذه المتغيرات الجديدة اخذت الاقطار المستهلكة للنفط تفكر بمصادر للطاقة بديلة للنفط لان ارتفاع أسعاره رفع فاتورة مستورداتها الى مستويات مرهقة تلحق عجزا مزمنا بميزانها التجاري وتخلق فيها ازمات اقتصادية متفاقمة . وكان من الطبيعي ان تتجه انظار هذه الاقطار الى استئناف تطوير ما لديها من مصادر الفحم الحجري . وقد اقرت دول المجموعة الاقتصادية الاوروبية خططا اقتصادية تتوخى ابقاء مستوردتها من النفط حتى العام ١٩٨٥ على مستوياتها الحالية اي في حدود ١٥ مليون برميل يوميا . كذلك فان الخطة الامريكية لتحقيق الاكتفاء الذاتي من مصادر الطاقة المحلية بحلول العام ١٩٨٠ والتي دعاها نيكسون

« مشروع الاستقلال » ، وهي خطة قدرت ان احتياجات الولايات المتحدة الامريكية من جميع مصادر الطاقة ستبلغ حينئذ ما يعادل ٤٢ مليون برميل في اليوم من النفط قد تضمنت رفع انتاج الفحم مما يعادل في قيمته الحرارية ٦٤٩ مليون برميل في اليوم من النفط الى ما يعادل ١١ مليون برميل في اليوم(١٨). وهذا يمثل زيادة كبيرة . وتشير التقديرات الاولية الى ان انتاج العالم من الفحم الحجري سيرتفع بحلول العام ٢٠٠٠ الى حوالي ٣٥٠٠ مليون طن منها ١٢٠٠ مليون طن في الولايات المتحدة وحدها(١٩). واقع الامر ان زيادة انتاج الفحم الحجري وتطوير مصادره تشكل النقطة المحورية في خطط تطوير مصادر الطاقة المحلية في معظم الاقطار الصناعية اليوم للمدى المتوسط وذلك الى ان يتيح التطور التكنولوجي استنباط مصادر جديدة تماما للطاقة بأسعار زهيدة وهذا في المدى الطويل . ان احتياطي العالم من الفحم الحجري يفوق كثيرا احتياطي النفط ، وفي باطن اراضي بعض الاقطار كميات هائلة منه . « فلدى الولايات المتحدة احتياطي من الفحم الحجري يقدر بحوالي ١٦٠٠ مليار طن وهذا يوازي نحو ٢٤٠٠ مليار برميل من النفط الخام التركيبي اي ٤ مرات مجموع احتياطي النفط الثابت في العالم و ٦ مرات مجموع احتياطي النفط الثابت في دول منظمة الاقطار المصدرة للنفط (أوبيك) والبالغ ٤٠٥ مليارات برميل . اما الاتحاد السوفييتي فان احتياطي الفحم الحجري لديه هائل حقا اذ يقدر بحوالي ٤٣٠٠ مليار طن اي ٢٧ اضعاف الاحتياطي الامريكي »(٢٠). ولا ريب ان هذه الكميات الهائلة من الفحم الحجري الكامنة في باطن الاراضي السوفييتية تشكل رصيدا ضخما من الطاقة لسد احتياجاته واحتياجات دول المنظومة الاشتراكية في المستقبل ، لا سيما وان من المتيسر استخراج النفط والغاز الطبيعي من الفحم الحجري بعمليات كيميائية ليست عالية الكلفة نسبيا .

لقد استعرضنا بايجاز اوضاع انواع الطاقة الرئيسية الثلاثة في الاتحاد السوفييتي وفي العالم أجمع اليوم وهي النفط الخام والغاز الطبيعي والفحم الحجري . وهذه المصادر الثلاثة توفر اليوم نحو ٩٥٪ من احتياجات الاتحاد السوفييتي من الطاقة بينما توفر المصادر الاخرى مثل الطاقة الكهرمائية والطاقة النووية وغيرها اقل من ٥٪ . وتدل مؤشرات عديدة على ان النفط والغاز الطبيعي سيكونان هما المصدران الاهم بين مصادر الطاقة في الاتحاد السوفييتي للمدى القصير بينما سيأخذ الفحم الحجري في استرجاع اهميته التي ظلت تتضاءل تدريجيا منذ مطلع الخمسينات فيصبح المصدر الاهم للطاقة في المدى المتوسط (بعد ١٠ — ١٥ عاما) الى ان تصبح الطاقة النووية هي المصدر الرئيسي في مطلع المدى الطويل ، بعد حوالي ٢٠ عاما وذلك الى ان يتم استنباط مصادر جديدة للطاقة الرخيصة التي لا بد وأن تطورها التكنولوجيا الانسانية في المستقبل المنظور مثل الطاقة الشمسية وطاقة الرياح وحرارة الارض الباطنية الخ .

ان أنواع الطاقة الاخرى ، عدا النفط والغاز والفحم ، لا تشكل سوى ٥٪ أو ما دون ذلك من مجموع انواع الطاقة المستخرجة في الاتحاد السوفييتي اليوم . ومن اهم هذه الانواع الاخرى الطاقة الكهرمائية اي الطاقة الكهربائية المولدة بفعل قوة الماء من محطات تقام على سدود الانهار الخ ... ومن المعروف ان الاتحاد السوفييتي هو أغنى بلدان العالم بمصادر الطاقة الكهرمائية نظرا لكثرة انهاره وتعدد السدود الضخمة المقامة عليها ولدى الاتحاد السوفييتي عدد من اضخم المحطات الكهرمائية في العالم ، ومثل هذه الطاقة مرشحة للازدياد والنمو كثيرا في المستقبل . وقد بلغ انتاج الاتحاد السوفييتي من الطاقة الكهرمائية عام ١٩٧١ اكثر من ١٣٣ مليون كيلووات بينما كان انتاج الولايات المتحدة نحو ٥٦ مليون كيلووات (الكتاب السنوي للاحصائيات لعام ١٩٧٢ — الامم المتحدة). اما مصدر الطاقة الهام الاخر والمرشح لان يلعب دورا كبيرا في المستقبل فهو الطاقة النووية . ولكن الطاقة النووية ما زالت في طور طفولتها في الاتحاد السوفييتي فهي لا تشكل سوى اقل من ١٪ من مجموع الطاقة المستخرجة . وفي الولايات المتحدة ما زالت الطاقة النووية تشكل مصدرا ضئيل الاهمية جدا لا يتجاوز عشر واحد في المائة من اجمالي الطاقة المولدة ، وبلغ انتاج الولايات المتحدة منها عام ١٩٧١ زهاء ٨٦٨٧ ميغاواط والاتحاد السوفييتي ٢٠٣١ ميغاواط (كتاب الامم المتحدة السنوي للاحصاء عام ١٩٧٢). ولكن الطاقة

النووية ستزداد اهميتها بحيث تشكل ١٤٣٪ من اجمالي الطاقة المستهلكة في الولايات المتحدة عام ١٩٨٠ . وفي عام ١٩٨٥ ستشكل ٢٤٦٪(٢١). اما في الاتحاد السوفييتي فتنص الخطة الخمسية السوفييتية الحالية (١٩٧٠ — ١٩٧٥) على انشاء محطات نووية جديدة يتراوح مجموع طاقتها بين ٦ الى ٨ ملايين كيلوواط اي ما يعادل ٦٠٠٠ الى ٨٠٠٠ ميغاواط (لاحظ ان المحطة النووية الامريكية الموعودة لمصر طاقتها ٤٠٠ ميغاواط)(٢٢). ولكن رغم هذا كله ، ورغم ان الخطة الخمسية القادمة ستتضمن ولا شك توسعا كبيرا في انشاء محطات الطاقة النووية ، فانه من غير المتوقع ان تغدو الطاقة النووية مصدرا رئيسيا للوقود في الاتحاد السوفييتي او في اي من الدول الصناعية الكبرى الاخرى قبل اواخر الثمانينات . وهنالك مصدر اخر للطاقة في الاتحاد السوفييتي ستزداد اهميته في المستقبل وهو نفط السجيل الذي يبلغ انتاجه من جمهورية استونيا السوفييتية سنويا نحو ٣٤٥ مليون طن وهو في ازدياد(٢٣).

نخلص من كل ما تقدم الى ان الاتحاد السوفييتي غني جدا بشتى انواع الطاقة ، بل انه بصورة اجمالية أغنى بلدان الارض بمصادر الطاقة على وجه الاطلاق فهو لا يشكو شحا في النفط ولديه أعظم احتياطي في العالم من الغاز الطبيعي والفحم الحجري ومصادر الطاقة الكهرمائية . بل ان ذخيرته من اليورانيوم وقود الطاقة النووية المتعاظمة الشأن لا تقل عن ذخيرة الولايات المتحدة الامريكية ، حتى ان هنري سيمونيه المسؤول عن سياسة الطاقة في لجنة السوق الاوروبية المشتركة قد حذر من ان دول السوق قد تضطر الى شراء الاورانيوم المقوى من الاتحاد السوفييتي في حال عدم تمكن الولايات المتحدة من تزويد السوق الاوروبية المشتركة باحتياجاتها منه(٢٤). ان سيبيريا ، هذه الارض البكر ، هي بالفعل بمثابة خزان ضخم لمصادر الطاقة يعد بالكثير وان ما تخبئه منها ما زال اكثر مما كشفت عنه . وقد عبرت عن هذا الواقع السوفييتي الغني بمصادر الطاقة « مجلة النفط » لسان حال الاحتكارات النفطية الاستعمارية فقالت حاسدة : « وعلى وجه العموم، يمكن القول ان الاتحاد السوفييتي والكتلة الاشتراكية بمجموعها تتمتع بوضع جيد من حيث امدادات الطاقة . وان الاتحاد السوفييتي ، من بين الاقطار الصناعية الكبرى في العالم ، هو البلد الوحيد الذي ينتج من النفط والغاز والفحم اكثر مما يحتاج اليه للاستهلاك المحلي ، ولديه احتياطي كبير جدا ما زال ينتظر الاستكشاف والتطوير . أما هل يمكن للاتحاد السوفييتي ان يحافظ على وضعه الجيد هذا زمنا طويلا فذلك امر يتوقف الى حد كبير ، على القرارات السياسية التي تتخذ في المرحلة الراهنة »(٢٥).

وقبل أن ننتقل لتحليل جوهر العلاقات النفطية بين الاتحاد السوفييتي وأقطار الكوميكون من جهة وبين الاقطار العربية من جهة اخرى ، نجد أن من الضروري التوقف قليلا عند طبيعة العلاقات النفطية والاقتصادية المتنامية بين الاتحاد السوفييتي ودول المعسكر الرأسمالي الصناعية والدواعي الاقتصادية لهذه العلاقات وكذلك المدلولات السياسية التي تنطوي عليها .

الدواعي الاقتصادية والمضامين السياسية للاتفاقات التجارية بين الشركات الغربية والاتحاد السوفييتي

كثر الحديث في الآونة الاخيرة عن هذه العلاقات المتنامية وتضاربت الاراء في تعليل دواعيها الاقتصادية وفي تحليل مدلولاتها ونتائجها السياسية. وان أول ما يسترعي الانتباه في هذه العلاقات ان الجزء الاعظم منها يتعلق باستغلال مصادر الطاقة في سيبيريا ولا سيما النفط والغاز الطبيعي وكذلك تطوير الصناعات البتروكيميائية والكيميائية بوجه عام في الاتحاد السوفييتي . ولعل أهم الاتفاقات الاقتصادية التي تمت بصورة مبدئية ، حتى الان بين الاتحاد السوفييتي والمؤسسات الغربية هي الاتفاقية بين شركة أوكسيدنتال الامريكية وثلاث مؤسسات سوفييتية وفق عقود طويلة الأمد لتبادل السلع الكيميائية بما قيمته عشرين مليار دولار . وتنص صفقة الكيميائيات على ان تزود شركة أوكسيدنتال الاتحاد السوفييتي بالمعدات اللازمة لاقامة مجمع ضخم جدا للصناعات البتروكيميائية وكذلك تزويده بمليون طن سنويا من حامض الفوسفات المقوى لمدة عشرين عاما ، وان تستلم أوكسيدنتال بالمقابل الامونيا واليوريا بمعدل ١٫٥ مليون طن سنويا لكل منهما وكذلك مليون طن سنويا من البوتاس في السنة وايضا ١٫٥ مليون طن من

الامونيا سنويا لتسديد قيمة المعدات الامريكة ، وقد قدرت قيمة هذه الصفقات من كل طرف في حدود ٥٠٠ مليون دولار في السنة على اساس الاسعار الحالية . وتنص العقود على المباشرة بالتسليم عام ١٩٧٨ ، وستستعمل هذه المواد الكيميائية في صناعة الاسمدة(٢٦). وبالاضافة الى ذلك هنالك خطط ضخمة للتعاون مع شركات امريكية ويابانية لتطوير حقل غاز ياكوتسكيا الهائل في شرقي سيبيريا ومع شركات امريكية اخرى للتعاون في تطوير حقل الغاز الكبير في اورينغوي في غرب سيبيريا كما كانت هنالك خطط لتطوير حقل نفط ثيومن في سيبيريا الغربية بالتعاون مع اليابان ، بيد أن هذه الخطط قد تعثرت عندما اصر السوفييت على انهم لن يبيعوا اليابانيين سوى ٢٥ مليون طن في السنة من انتاج هذا الحقل من النفط بعد تطويره ، بينما يريد اليابانيون ان يحصلوا على ٤٠ مليون طن سنويا من هذا الانتاج . واقع الامر، أن معظم هذه الصفقات الضخمة ما زالت حبرا على الورق لان عقبات عدة تعترض سبيل اقرارها بصورة نهائية ليس اقلها امتناع الكونغرس الامريكي عن اقرارها . ومن جهة اخرى ، ابرمت مؤخرا بين الاتحاد السوفييتي وشركة « ايني » الايطالية الحكومية صفقة مقايضة ضخمة تقدر قيمتها بحوالي ٩٥٧ مليون دولار . وتقضي الصفقة بأن تقوم شركة ايني الايطالية الحكومية بتزويد الاتحاد السوفييتي بست معامل بتروكيميائية و ٢٤ محطة ضخ على أن يسدد السوفييت ثمن هذه المعامل والمحطات بامدادات من النفط والغاز الطبيعي ومنتجات المعامل المزمع انشاؤها . وهنالك موضع الدراسة الان مشروع لبناء محطات نووية ضخمة لتوليد الكهرباء بتوظيف استثمارات المانية غربية كبيرة فيها على أن يحصل الالمان الغربيون على جزء من انتاج هذه المحطات من الكهرباء بمد شبكة خطوط كهربائية قوية . أضف الى ذلك شبكة خطوط انابيب الغاز الضخمة التي يجري مدها حاليا لتصل الى فرنسا قبل نهاية عام ١٩٧٥ والتي ستزود العديد من اقطار اوروبا الغربية بكميات من الغاز الطبيعي السوفييتي تزيد على ٢٠ مليار متر مكعب في السنة في المرحلة الاولى ، وان كان من المتوقع لمثل هذا النوع من المشاريع ان يتزايد في المستقبل القريب .

ان السمات العامة لهذه المشروعات جميعا هي أولا انها تنصب اما على تطوير مصادر الغاز الطبيعي في سيبيريا او انها تستهدف تطوير الصناعات الكيميائية والبتروكيميائية في الاتحاد السوفييتي .

ثانيا : ان الجانب الغربي في هذه الاتفاقيات يقدم المعدات والمعامل او الاموال اللازمة لتنفيذ هذه المشروعات .

ثالثا : ان هذه الاتفاقيات هي بصورة عامة اتفاقيات مقايضة ، اي أن الجانب الغربي يقدم المعدات والمعامل والخبرة التكنولوجية الخ ويسدد الجانب السوفييتي اثمانها من انتاج هذه المشروعات بعد تنفيذها أو يسدد اثمانها سلعا اخرى يحتاجها الجانب الغربي .

من الناحية الاقتصادية البحتة ، يظهر من النظرة الاولى لهذه المشروعات ان فيها فوائد اقتصادية جمة لكلا الطرفين . فهي توفر للجانب الغربي سوقا جديدة واسعة لتصدير سلعه الانتاجية كما انها توفر له مصادر اضافية من الطاقة ، ولا سيما الغاز الطبيعي ، وهي مصادر يحتاجها حاجة ماسة ، كما انها توفر للجانب الغربي ايضا سلعا كيميائية أساسية غير مكتملة التصنيع تستخدم كلقيم في عمليات التصنيع النهائية لتصنع منها السلع الاستهلاكية . اما بالنسبة للجانب السوفييتي فتوفر له رؤوس الاموال والمعدات والمعامل اللازمة للسير بخطط تطوير الصناعات الكيميائية والبتروكيميائية لديه بخطوات حثيثة للمسارعة في وتيرة تطوير الاقتصاد السوفييتي ولادخاله مرحلة التصنيع الاستهلاكي على نطاق واسع بحيث يصبح الاقتصاد السوفييتي في طليعة دول العالم في الحجم الاجمالي لانتاجه العام حسبما يطمح المخططون السوفييت في المستقبل المنظور .

وتدل هذه الاتفاقيات من الناحية الاقتصادية على أن الاتحاد السوفييتي يعاني من نقص نسبي في انتاج المعدات والمعامل واللوازم الاخرى الضرورية لتطوير اقتصاده بالسرعة العالية التي يطمح اليها مخططو الاقتصاد السوفييتي . وليس سرا ايضا ان الميزان التجاري السوفييتي مع دول المعسكر الغربي يعاني من عجز مقداره حوالي ٥٠٠

مليون جنيه استرليني في السنة ، وان كان يخفض هذا العجز الى ٣٠٠ مليون جنيه استرليني سنويا بفضل شحنات الذهب الكبيرة التي يبيعها في بورصة زيورخ كل سنة(٢٧). وبعبارة اخرى ، ان شعار السوفييت في تعاملهم الاقتصادي مع دول الغرب على هذا الصعيد هو : لا بأس من اعطاء الغربيين شيئا من فائض الغاز والنفط لدينا شريطة أن يساهم هؤلاء في التكاليف العالية لتطوير حقول النفط والغاز في سيبيريا وأن يزودونا بالمعدات والمعامل واللوازم اللازمة لهذا الغرض والتي يحتاجها الاقتصاد السوفييتي حاجة ماسة نظرا لان خطط التنمية والتطوير الاقتصادي في الاتحاد السوفييتي تتجاوز في أهدافها القدرة الراهنة لمنشآت صناعة وسائل الانتاج في البلاد على تلبية جميع الادوات والمعدات واللوازم والمعامل التي يتطلبها تنفيذ خطط التنمية والتطوير الطموحة هذه . ولا يستطيع المرء ان يستوعب معنى هذا كله الا اذا كانت لديه فكرة عن طبيعة سيبيريا ومدى المصاعب التكنولوجية والتكاليف العالية التي ينطوي عليها تطوير هذه الصحراء الجليدية الكبرى ... وقد كتبت عن ذلك صحيفة الفايننشيال تايمز تقول : « سيبيريا متجمدة شتاء وتتحول الى مستنقعات رخوة صيفا يكثر فيها البعوض ويستحيل فيها نقل المعدات . وقد استنبطت لهذا الغرض طريقة خاصة هي حفر انفاق في الجليد بواسطة المتفجرات تردم بالحجارة. وفي الصيف تصبح هذه الانفاق بمثابة سدود يكون بالامكان تحريك المعدات عليها . ويقر السوفييت بأنه تنقصهم الرساميل والخبرة الفنية المطلوبة لاستغلال الاحتياطي السوفييتي الضخم من النفط ونقله . وان تقديرات الخبراء الامريكيين تضع الرساميل المطلوبة لتطوير احتياطي النفط غير المستغل بحوالي ١٠٠ مليار دولار اي مائة الف مليون دولار . اما عن موعد بدء السوفييت في الحصول على اي عائد من هذه الاستثمارات فلا يمكن التنبؤ به »(٢٨).

أضف الى ذلك أن « المسافات الطويلة التي تفصل حقول النفط والغاز عن مناطق الاستهلاك قد جعلت من بناء شبكة انابيب مكلفة امر لا بد منه . ففي عام ١٩٧٠ نقلت خطوط الانابيب التي تدر طولها بحوالي ٤١٢٠٠٠ كيلو متر حوالي ٤٠٪ من النفط السوفييتي ، وبحلول عام ١٩٧٥ ينتظر مد خطوط انابيب اضافية طولها نحو ٣٠٠٠٠ كيلو متر »(٢٩).

وفي السنة الحالية وحدها من المقرر مد مما مجموعه ٩٠٠٠ كيلو متر من خطوط النفط والغاز الرئيسية ، فهناك عدا عن خط ساموتلور — كويبيشيف مشاريع رئيسية تشتمل على مد خط لانابيب النفط الخام طوله ١٨٦٦ كيلومترا من باشكيريا الى نوفوروسينسك على البحر الاسود ، واجراء مزيد من التوسع في أنابيب الغاز الممتدة من كومي في شمالي روسيا الاوروبية ومن تيومن في سيبيريا الغربية الى اواسط روسيا الاوروبية»(٣٠). ومن جهة اخرى ، ان بناء المساكن والمدن في سيبيريا يفرض صعوبات تكنولوجية لا تقل عن تلك التي يتطلبها بناء المنشآت الصناعية الخ ، فقد قررت السلطات السوفييتية المختصة بناء مدينة جديدة متوسطة الحجم في منطقة حقل ساموتلور للنفط في سيبيريا الغربية . وبما ان هذه المدينة تقع في منطقة تكثر فيها المستنقعات التي تنمو فيها نباتات الخث (نبات متفحم) وتمتد جذورها الى عمق ١٢ مترا ، لذلك ستشيد مساكنها على منصات من الخرسانة تسندها اعمدة مغروزة في الارض ... أما الشوارع والارصفة فستبنى بمربعات من الخرسانة »(٣١).

نخلص من هذا كله الى أن الضرورات الاقتصادية التي تدعو الاتحاد السوفييتي الى التوجه للدول الرأسمالية الغربية لتطوير سيبيريا واضحة وتتمثل في الكميات الهائلة من رأس المال (زهاء مائة الف مليون دولار) اللازمة ، وهي مبالغ لا تتوفر في الاقتصاد السوفييتي في وقت يجري فيه استثمار كميات كبيرة من رأس المال المتوفر لتطوير الصناعات الاستهلاكية في البلاد والمضي قدما في خطط رفع مستوى معيشة المواطنين وتوفير المزيد من وسائل الرفاهية لهم على نطاق واسع ، كما أن هذه الضرورات الاقتصادية تتمثل في عجز منشآت صناعة وسائل الانتاج عن تلبية جميع احتياجات مشاريع التطوير وخطط التنمية هذه بالسرعة المطلوبة مما يستلزم استيراد قسم من هذه المعدات والمعامل واللوازم من دول الغرب الرأسمالي . أما من هو الرابح الاكبر من هذه الصفقات اقتصاديا فذلك أمر تختلف فيه الاراء ، ولكن يبدو ان

السوفييت يكسبون من ذلك تطوير صناعاتهم واستغلال ثروات سيبيريا الهائلة بينما لا يخسرون سوى شيء من الغاز والنفط الفائض عن حاجتهم(٣٢) والذي تشير الدلائل الى انهما سيفقدان أهميتهما كمصدر اساسي للطاقة مع نهاية هذا القرن ، وان كانا سيحتفظان بأهميتهما كمادة خام للصناعات البتروكيميائية .

ولكن ماذا عن المدلولات والمضامين السياسية لهذا التعامل على نطاق واسع بين الاتحاد السوفييتي والدول الغربية ؟ لا ريب ان التعامل التجاري وعقد الصفقات الطويلة الامد لتطوير حقول النفط والغاز وموارد الثروة الطبيعية الاخرى في سيبيريا وكذلك في مجال تطوير الصناعات الكيميائية والبتروكيميائية الاخرى بل وفي ميدان تطوير الاستخدام السلمي للطاقة النووية ببناء محطات نووية لتوليد الكهرباء في الاتحاد السوفييتي تتزود منها المانيا الغربية ببعض احتياجاتها علاوة على التعاون في حقل العلوم الفيزيائية والفضائية مع الولايات المتحدة ومع غيرها من دول المعسكر الرأسمالي ، مثال ذلك استعانة الولايات المتحدة الامريكية بخبراء سوفييت لتطوير الطريقة الهيدروديناميكية المغنطة (هـ. د. م) لتوليد الكهرباء باستخدام الغاز الناتج عن احراق الفحم لتشغيل توربينات اليكترومغنطيسية ، وهي الطريقة التي يتفوق فيها السوفييت على بقية دول العالم(٣٣).

ان التعامل بين الاتحاد السوفييتي ودول المعسكر الرأسمالي في ميادين التبادل التجاري والتصنيع والعلوم والابحاث على هذا النطاق الواسع وبهذا الحجم وعلى هذه الاصعدة جميعا هو ، بلا ريب ، يمثل ظاهرة جديدة في العلاقات بين المعسكرين الرأسمالي والاشتراكي تبلورت في غضون السنوات القليلة المنصرمة .

ولرب قائل ان التعامل بين الدولة السوفييتية ودول المعسكر الرأسمالي في ميادين التجارة والاقتصاد انما هو هدف من أهداف السياسة الخارجية لهذه الدولة منذ ايام مؤسسها الاكبر لينين، بل ان سياسة التعامل التجاري والاقتصادي هذه هي من أركان السياسة اللينينية المنبثقة من المقولة اللينينية الصائبة والقائلة بامكانية انتصار وبناء الاشتراكية في دولة واحدة ، وهي المقولة التي خاض لينين نضالا ايديولوجيا عنيفا لتثبيتها واقرارها في وجه المعارضة الشرسة التي واجهها من انصار نظرية الثورة الاممية الشاملة العامة والثورة الدائمة من التروتسكيين والمنشفيك وغيرهم . ان هذا صحيح تماما، فمن الانصاف للقيادة السوفييتية الحالية التي تتوجه للتعامل مع اقطار المعسكر الرأسمالي في ميادين التجارة والاقتصاد والعلوم أن نقر بأن ما يدعى بالستار الحديدي لم يكن في حقيقة الامر سوى القيود الشديدة التي فرضتها الدول الرأسمالية والاستعمارية على التعامل والتبادل الاقتصادي والتجاري مع الدولة السوفييتية في جهد يائس ومتواصل لخنقها او اعاقة تطورها ونموها . وان القوائم الطويلة من السلع والبضائع التي كانت الولايات المتحدة وغيرها من الدول الرأسمالية تحظر تصديرها وبيعها للاتحاد السوفييتي باعتبارها سلعا استراتيجية تستخدم في المجهود الحربي هي خير شاهد على ان ما يسمى « بالستار الحديدي » انما هو ستار فولاذي من المقاطعة الرأسمالية التي كانت مفروضة على الدولة السوفييتية الفتية ، حينئذ ، وان معارضة السناتور الاميركي هنري جاكسون الموالي للصهيونية وغيره من غلاة الرجعيين والاستعماريين في اوساط السياسيين الامريكيين ورفضهم المصادقة على الاتفاقيات التجارية والاتفاقيات الاخرى التي تم التوصل اليها بين شركات النفط الامريكية والحكومة السوفييتية لتطوير مصادر الغاز والنفط في سيبيريا هي مثال حي على الستار الحديدي الذي ما فتئت هذه الاوساط الرأسمالية الغربية تفرضه على الاتحاد السوفييتي ودول المنظومة الاشتراكية الاخرى . وتقول المصادر السوفييتية ان توسيع نطاق التعامل الاقتصادي والتبادل التجاري بين الاتحاد السوفييتي ودول العالم الرأسمالي انما هو تطوير لسياسة « الانفراج الدولي » وهي السياسة المستمدة من مقولة « التعايش السلمي » وهي احدى المقولات اللينينية الاساسية للسياسة الخارجية للدولة السوفييتية تجاه دول العالم الرأسمالي ودول العالم أجمع ، وهي المقولة التي أعاد تأكيدها المؤتمر العشرون للحزب الشيوعي السوفييتي عام ١٩٥٦ وظلت منذ ذلك الوقت المحور الاساسي للسياسة الخارجية السوفييتية ، وان

التباين بين قيادة خروشوف والقيادة الثلاثية الحالية (بريجنيف — كوسيغين — بودغورني) هو حول التطبيقات والممارسات في السياسة الداخلية وليس حول تطوير مسألة « الانفراج الدولي » . وتقول المصادر السوفييتية ايضا ان توسع نطاق التعامل الاقتصادي والتبادل التجاري بين المعسكرين انما جاء كمحصلة نهائية لتحول ميزان القوى بصورة نسبية لصالح المعسكر الاشتراكي وقوى حركة التحرر العالمية بصورة عامة على حساب معسكر الرأسمالية والاستعمار والرجعية في العالم . ان المعطيات السياسية والاقتصادية لاحوال العالم الراهنة تؤيد هذه المقولة السوفييتية ايضا ، ولكن، هنالك أبعاد أخرى كامنة في ثنايا هذا التوسع الملموس في التعامل الاقتصادي والتبادل التجاري بين المعسكر الاشتراكي واقطار المعسكر الرأسمالي .

ولعل من أهم هذه الابعاد الاخرى والتي سنكتفي هنا بايرادها بايجاز شديد لان المقام لا يتسع لمناقشتها وتحليلها بصورة تفصيلية :

اولا : ان من الصعب ، بل يكاد يكون من المستحيل ، ان نسقط من صورة هذا التوسع في التعامل بين المنظومة الاشتراكية واقطار المعسكر الرأسمالي واقع الصراع الصيني — السوفييتي الذي يتخذ منذ سنوات مظاهر حادة وخطرة شديدة العنف ومشحونة بشتى الاحتمالات المدمرة الى درجة تثير اشد القلق في صفوف انصار الحرية والتقدم في العالم أجمع . ولا ريب ان هذا الصراع الحاد يلعب دورا ملموسا في حث السياسة السوفييت على تخفيف حدة المواجهة بين بلادهم وبين أقطار المعسكر الغربي حتى لا يصبحوا في وضع يضطرون فيه الى خوض حرب مدمرة على جبهتين هائلتين في آن واحد.

ثانيا : ان ربط اقطار اوروبا الغربية ، وهي جناح حلف شمال الاطلسي الاقرب جغرافيا الى الاتحاد السوفييتي ، بشبكة حيوية وهامة من المصالح والروابط الاقتصادية مع الاتحاد السوفييتي ودول المنظومة الاشتراكية يجعل هذه الاقطار تعتمد على الاتحاد السوفييتي ودول الكتلة الاشتراكية الاخرى اعتمادا كبيرا في حقول اساسية وموارد استراتيجية هامة مثل امدادات النفط والغاز اللذين تستطيع ان تحصل عليهما من مناطق اخرى كالشرق الاوسط وشمال افريقيا مثلا . وان مثل هذا الاعتماد يجعل هذه الاقطار في موقف اضعف من الناحية الاستراتيجية عندما تصل الامور والتطورات الى درجة المواجهة الساخنة ، اذ ان انقطاع مثل هذه الامدادات الحيوية من النفط والغاز عن هذه الاقطار فجأة في ظروف الطوارىء يشل قطاعات اساسية من نشاطاتها الاقتصادية في وقت تكون فيه في مسيس الحاجة الى مصادر الطاقة . ولكن ، رب قائل بأن حكومات اقطار أوروبا الغربية ليست غافلة عن مثل هذا الامر ولكنها تقدر بأن المواجهة المقبلة بين المعسكرين ، ان انفجرت ، ستكون نووية تحسم في ايام قليلة ان لم يكن في ساعات . ان هذا صحيح بوجه عام ، بيد أن هنالك مدى عريضا من المناورة الدبلوماسية والسياسية والضغوط الاقتصادية بين حالة التوتر التي تنذر بالمواجهة وبين انفجار المواجهة الحقيقية المدمرة . وفي مثل هذا المدى العريض تكون شبكة العلاقات الاقتصادية التي بناها الاتحاد السوفييتي مع أقطار أوروبا الغربية ، بما في ذلك امدادات النفط والغاز ، ورقة مناورة فعالة في يد الجانب السوفييتي لممارسة الضغط السياسي والاقتصادي على هذه الاقطار وترويض اتجاهاتها ونواياها السياسية والعسكرية ، لا سيما وان طبيعة الانظمة الرأسمالية من الناحية الاقتصادية والسياسية تجعل حكومات الدول الرأسمالية عرضة لتأثيرات وضغوط الكتل والجماعات المصلحية والاقتصادية داخل هذه الاقطار . وبالتالي فان الفئات الرأسمالية المتعاملة مع الاتحاد السوفييتي ودول الكتلة الاشتراكية والتي ترى ان مصالحها قد تتعرض للدمار في حالة توتر الاجواء بين الكتلة الاشتراكية وبين القطر الاوروبي الذي تنتمي اليه تمارس ضغوطا على حكومة ذلك القطر بحيث تتجنب المواجهة ، وهذا ما يستجيب للركن الاساسي من أركان السياسة الخارجية السوفييتية وهو توطيد السلم العالمي من اجل تقوية الفرصة على اندلاع حرب نووية مدمرة ، ولكي يتاح للكتلة الاشتراكية ولقوى التحرر في العالم تطوير اقتصادها وقواها الى ان يتحول ميزان القوى العالمي لصالح معسكر الشعوب بصورة حاسمة بحيث تصبح القوى الامبريالية عاجزة عن المغامرة بمواجهة نووية او غيرها .

ثالثا : ان تطوير العلاقات الاقتصادية وغيرها

مع الولايات المتحدة الامريكية في ميادين هامة وحيوية كالنفط والغاز ، وكذلك في ميادين التجارة وعلوم الفضاء والتكنولوجيا الخ . هو أيضا ، كما اسلفنا القول ، بالنسبة لاقطار اوروبا الغربية ، يخلق داخل الطبقة الحاكمة في الولايات المتحدة الامريكية ناديا قويا ونافذا من اصحاب المصالح الاقتصادية والمنافع المالية المباشرة في التعامل الاقتصادي مع الاتحاد السوفييتي ودول الكتلة الاشتراكية وبالتالي خلق الاجواء السياسية الملائمة لمثل هذا التعاون والتعامل ... وان هذا جميعه يساهم مساهمة مادية ملموسة في لجم درجة عدوانية تلك العناصر والفئات الامبريالية داخل الطبقة الحاكمة الامريكية المغرقة في رجعيتها والتي تشتط في غلوائها وحقدها على الكتلة الاشتراكية الى حد قد تجازف معه في سلوك سياسات عدوانية مغامرة تبلغ حد المجازفة باشعال حرب نووية مدمرة ، مثل اصحاب مصانع السلاح وغيرهم ...

رابعا : ان التعامل الاقتصادي بين الاتحاد السوفييتي وأقطار المعسكر الرأسمالي بصورة عامة يساهم ، الى حد بعيد ، في خلق اجواء نفسية تخفف من روح العداء المكارثية والفاشية تجاه الاتحاد السوفييتي والكتلة الاشتراكية ، وهذا لا بد وان ينعكس بصورة ايجابية على نشاط القوى الديموقراطية المحلية داخل هذه المجتمعات الرأسمالية . ففي ظل اجواء العداء للاتحاد السوفييتي والكتلة الاشتراكية تشدد الطبقات الحاكمة في الدول الرأسمالية من قبضة اجراءاتها لخنق صوت القوى الديموقراطية والعاملة من أجل التغيير الاجتماعي . ويبدو ان مصممي الاستراتيجية السياسية السوفييتية يرون في مثل هذا التعامل وهذه العلاقات مع أقطار المعسكر الرأسمالي عاملا مساعدا على خلق الاجواء المناسبة لنمو قوة الاحزاب الشيوعية القوية في بعض اقطار أوروبا الغربية مثل فرنسا وايطاليا كما يرون في هذا التعامل عاملا مساعدا على تنمية التيارات الراديكالية والليبرالية والقوى المناهضة للحرب في داخل المجتمع الامريكي ذاته .

خامسا : ان السؤال الملح في نهاية المطاف هو : هل هذا التعامل الاقتصادي على هذا النطاق مع أقطار المعسكر الرأسمالي يعني على وجه التحديد أن التوجه نحو الغرب بصورة عامة قد غدا يتصدر قمة أولويات الاستراتيجية السياسية الكونية السوفييتية ؟ وهل أصبح السوفييت يرون في التعامل الاقتصادي والتركيز على خلق روابط وعلاقات أفضل مع أقطار المعسكر الغربي أقصر طريق لتغيير موازين القوى لصالح قوى الاشتراكية في المدى البعيد ؟ وهل مثل هذا التعامل والتوجه ينم عن تطلع لاقتسام السيطرة على دول العالم الثالث مع قوى الامبريالية كما تقول بعض الاوساط هنا وهناك ؟ ثم هل ان هذا التعامل والتوجه هو على حساب حركة التحرر العالمية ، ولا سيما حركة التحرر الوطني في العالم الثالث وخاصة في العالم العربي ؟ وأخيرا وليس آخرا ، ترى اي أثر كان للفشل النسبي الذي عانت منه السياسة السوفييتية في العالم الثالث ، وخصوصا في العالم العربي ، طوال السنوات الماضية في بلورة هذا التوجه لدى مخططي الاستراتيجية السياسية الكونية السوفييتية ؟

ان الاجابة عن هذه الاسئلة والتساؤلات بصورة واعية هي أكبر من نطاق هذه الدراسة المحدودة الغرض والحجم ، بيد ان من الجلي ان هذا التعامل مع اقطار المعسكر الغربي يعكس رؤية سياسية تجد ، في المدى الطويل ، ان السبيل الاجدى في الوقت الراهن ، وفي ضوء مجمل الظروف القائمة ، لالحاق الهزيمة النهائية بالنظام الرأسمالي هو في غزوه من الداخل عن طريق التعامل معه بدلا من التركيز بالدرجة الاولى على محاولة اجتثاث امتداداته في مناطق العالم الثالث ، وان تكن هنالك مؤشرات وشواهد عديدة على ان السوفييت يسعون الى أن يقرنوا عملية غزو الانظمة الرأسمالية من الداخل بالتعامل الاقتصادي معها بعملية اجتثاث امتداداتها في مناطق العالم الثالث كلما استطاعوا الى ذلك سبيلا حسبما بدا ، مثلا ، في حرب ٦ تشرين ١٩٧٣ . وتبادل الدول الرأسمالية السوفييت اللعبة ذاتها تسعى الى غزو الانظمة الاشتراكية من الداخل كما جرى في تشيكوسلوفاكيا وبولنده الخ ... في الوقت الذي تسعى فيه لخنق حركات التحرر وطرد السوفييت من مواقع تأثيرهم في العالم الثالث كما جرى في التشيلي وقبرص ومصر الخ ... أما بالنسبة للجوانب الاخرى من مجموعة الاسئلة والتساؤلات السالفة فسنسعى للاجابة عنها بعد استعراض أشكال العلاقات

النفطية القائمة بين الاتحاد السوفييتي ودول الكوميكون من جهة وبين الاقطار العربية من الجهة الاخرى وتحليل طبيعة هذه العلاقات ونوعيتها ومضامينها الاقتصادية ومدلولاتها السياسية .

ثروة الطاقة الوهمية في الوطن العربي

ان من الضروري قبل التطرق الى الحديث عن طبيعة العلاقات النفطية بين دول المنظومة الاشتراكية والاقطار العربية ان نبدد أولا وهما روجته أوساط الاحتكارات النفطية الاستعمارية في العالم أجمع لغرض في نفس يعقوب . فمن خلال الضجة الاعلامية المفتعلة التي « فبركتها » أوساط الاحتكارات النفطية الاستعمارية وما زالت تشنها منذ أكثر من سنة حول أزمة الطاقة المزعومة التي تهدد العالم المعاصر بكارثة !! رسخت هذه الاحتكارات النفطية الاستعمارية من خلال حملتها الاعلامية تلك في أذهان الناس ، بما في ذلك العرب أنفسهم ، ان الوطن العربي الواسع الارجاء والذي لا يسكنه سوى نفر قليل من البدو المتخلفين يحتوي على قرابة ثلثي احتياطي العالم اجمع من الطاقة . وقد تعمدت تلك الاوساط الاحتكارية في حملتها الاعلامية الديماغوغية ان تستخدم كلمة طاقة وكأنها رديف لكلمة نفط . بطبيعة الحال ، من المعروف ان الوطن العربي غني نسبيا بالنفط . ولكن ، ان ما لا تعرفه الاغلبية الساحقة من الناس ، بما في ذلك العرب أنفسهم ، هو أن الوطن العربي هو من مناطق العالم الفقيرة بمصادر الطاقة بمعناها الواسع . لان الوطن العربي يكاد ان يخلو من الفحم الحجري وليس لديه من احتياطي العالم من الغاز الطبيعي سوى حوالي ١٣ ٪ (حوالي ٢٨٠٢٤٥ مليار قدم مكعب من اجمالي الاحتياطي العالمي البالغ ٢٠٣٣٣٧٢ مليار قدم مكعب)(٣٤) ، بينما لدى الاتحاد السوفييتي زهاء ٣٠ ٪ ، كما ان الوطن العربي لم يكتشف فيه اليورانيوم بعد ، وهو وقود طاقة المستقبل ـ الطاقة النووية ، كذلك ان الوطن العربي فقير جدا بمصادر الطاقة الكهرمائية باستثناء بعض المخطات الكهرمائية التي اقيمت عند السد العالي في اسوان وسد الفرات في سورية . والاهم من هذا جميعه ، ان الوطن العربي ما زال يعتبر فقيرا نسبيا بالخبرة التكنولوجية والخبراء المؤهلين في مجالات تطوير مصادر الطاقة المبتكرة . وحيث ان عالمنا مقبل مع نهاية هذا القرن على تطوير واستنباط مصادر جديدة للطاقة تعتمد بالدرجة الاولى على توفر الخبرة التكنولوجية والخبراء المختصين مثل الطاقة النووية والشمسية وطاقة الرياح وحرارة الارض الباطنية الخ ... فمعنى ذلك ان الاقطار العربية ستغدو مع أفول عصر النفط والغاز في نهاية هذا القرن اقطارا مستوردة لمصادر الطاقة ، ولا ريب ان الاقطار الصناعية المتطورة المستهلكة حاليا للنفط العربي لن تبيع الاقطار العربية مصادر الطاقة التكنولوجية التي ستستنبطها بأثمان زهيدة مماثلة للاثمان البخسة التي حصلت بها على النفط العربي طوال السنين الماضية .

والاهم من هذا كله ، ان على المسؤولين العرب أن يتنبهوا قبل فوات الاوان الى واقع ان ثروة النفط المتوفرة حاليا في الوطن العربي هي ثروة وهمية في منظار السنوات العشر القادمة ولا نقول العشرين السنة القادمة او الثلاثين ... انها وهمية من حيث ان الارقام التي تذيعها الاحتكارات النفطية الاستعمارية المتحكمة بثروة النفط العربي هي أرقام مضللة ، فهذه الارقام تقول بأن مجموع احتياطي النفط الثابت في الوطن العربي هو زهاء ٣٢٧ مليار برميل من اجمالي احتياطي العالم الثابت من النفط والبالغ ٦٢٧ مليار برميل ، اي ان في الوطن العربي نحو ٥٢ ٪ من اجمالي الاحتياطي العالمي من النفط . بيد ان الركون الى هذا الشعور الجميل تكتنفه محاذير كثيرة منها :

أولا : ان أرقام الاحتياطي النفطي ليست بالارقام الاكيدة بحيث يستطيع المرء ان يجزم بصدقها وصحتها . فرغم تقدم أساليب التنقيب عن النفط واستكشافه ، فان القول الفصل الذي يحدد وجود النفط او عدمه هو الحفر ، ولذلك فان لسان حال جيولوجيي النفط هو أنك لا تستطيع ان تجزم بوجود النفط في باطن الارض في بقعة ما الا بعد ان تحفر في تلك الارض ويتدفق النفط من البئر التي حفرتها . وبناء على ذلك ، فان ارقام الاحتياطي النفطي ، بوجه عام ، هي أرقام افتراضية .

ثانيا : ان الاسرار الحقيقية عن ارقام الاحتياطي النفطي في الوطن العربي هي ملك شركات الاحتكارات النفطية الاستعمارية وحدها ، وهي الاحتكارات التي ما زالت تسيطر على انتاج معظم الثروة النفطية في الوطن العربي . وبالتالي فان

أرقام الاحتياطي النفطي هي ارقـام سياسية ، وتجنح الاحتكارات النفطية الى تضخيم الاحتياطي النفطي او الى تقليله وفق مـا يخدم مصالحها وأهواءها . وقد أكد هذا الواقع الرهيب « ما جاء علـى لسان ريتشارد هيلمـز المديـر السابـق للاستخبارات المركزية الامريكية اثنـاء استجوابه بتاريخ ١٩٧٤/٢/٧ أمام لجنة الشؤون الخارجية لمجلس الشيوخ الامريكـي حيث قال ان وكالـة الاستخبارات المركزية الامريكية لم تستطع الحصول من الشركات على معطيات صحيحة عن احتياطي النفط العالمي الثابت او المحتمل وعـن هيكلية الاسعار التي تعتمدها » . ولدى حديثه عما تفعله الشركات في فنزويـلا قال ريتشارد هيلمز « ان شركات النفط تحتفظ لنفسها بالسر وليست مستعدة لتقاسم المعلومات فيما بينها او مع طرف آخر»(٣٥). وبناء عليه ، فان هنالك شواهد كثيرة تحمل على الاعتقاد بأن احتكارات النفط الاستعمارية رغبة منها في استنزاف ثروة النفط العربية في اسرع وقت ممكن لتجمع منها أكبر قدر من الارباح تبسل أن تستيقظ الشعوب العربية وتستعيد سيادتها الوطنية على ثروتها النفطية ، عمدت هذه الاحتكارات الى تضخيم الاحتياطي النفطـي لدى بعض الاقطـار العربية لتطمئن حكام هذه الاقطار وتشجعهم على رفع انتاج النفط من بلادهم ارتفاعا كبيرا لا يحتاجه اقتصادهم . وقد تمنعت الكويت عن الاستجابـة لهذه الدعوة الخبيثة بينما يبدو ان دولة اخـرى سائرة في رفع انتاجهـا مـن النفـط الـى معدل ٢٠ مليون برميل في اليوم بحلول العـام ١٩٨٠ خدمة للاقتصاد الامريكي ليس الا . ومن جهة اخرى ، قد تعمد الاحتكارات النفطية احيانا الى تقليل ارقام الاحتياطي النفطي خدمة لمآرب سياسية معينة كممارسة الضغط على حكومة ما ، وهذا ما فعلته شركة نفط العراق مع الحكومات العراقية منذ الاطاحة بحكم نوري السعيد في ١٤ تموز ١٩٥٨ . فازاء مطالبة حكومة عبد الكريم قاسم والحكومات العراقية التالية بزيادة الانتاج لتوفير المزيد من الموارد لخطط التنمية كانت الشركة تتعلل بانخفاض احتياطي العراق النفطي مما يجعل من العسير رفع مستوى الانتاج وذلك للضغط على الحكومات العراقية سياسيا وحرمانها من موارد مالية كبيرة تمكنها من تنمية القطاعات الاقتصادية الاخرى غير النفطية مما يجعلها في موقف اقوى في مواجهاتها مع الشركة من أجل استعادة السيادة الوطنية العراقية على ثروة البلاد النفطية ، علما بأنه بات معروفا الان بأن العراق هو الثاني بعد السعودية في منطقة الشرق الاوسط مـن حيث ضخامة الاحتياطي النفطي لديه .

ثالثا : في ضوء الارتفاع الاخير الكبير في اسعار النفط الخام فقد النفط العربي ميزته الاساسية وهي انه نفط رخيص الاستخراج والكلفة والسعر ، وطرأ وضع جديد بات فيـه من المربح والمجدي اقتصاديا البحث عن النفط في كل مكان على الارض وفي البحر وفي الاصقاع الباردة الخ ... ، ولذلك وضعت شركات النفط برامج واسعة للتنقيب عن النفط في البحر وفي مناطق عديدة كانت كلفة الانتاج فيها عالية مثل الاسكا وسيبيريا وغيرها، ولن يطول الوقت حتى يبدأ البحث عن النفط في القـارة المتجمدة الجنوبية (القطب الجنوبي) . وهنالك ما يدعو الى الاعتقاد بأن ما في العالم فعلا من النفط هو أكثر بكثير مما استكشف منه حتى الان ، وهذا ما يجعل النسبة الحقيقية لارقام الاحتياطي النفطي في الوطن العربي بالنسبة للاحتياطي العالمي الحقيقي من النفط هي أقل بكثير من ٥٢ ٪ .

رابعا : ان ارتفاع اسعار النفط الخام عقب حرب تشرين قد جعل الانتاج مـن مصادر اخرى عديدة للطاقة مجد اقتصاديا « فقد باتت المعامـل الصغيرة لتوليد الكهرباء من الطاقة النووية والتي تتراوح طاقتها بين ١٠٠ ميغاواط الى ٤٠٠ مغاواط قادرة على منافسة المعامل التي تشغل بالنفط » . ويفيد تقرير أوردته نشرة وكالة الطاقة الذريـة العالمية ان « اسعار النفط التي تصبح معهـا المعامل النووية الصغيرة من مختلف الاحجام قادرة على المنافسة هي ٦ر١٢ دولارات للبرميل بالنسبة للمعامل التي قوتها ١٠٠ مغاواط ، ٤ر٣٧ دولارات للمعامل التي قوتها ٢٠٠ مغاواط و ٣ر٦٦ دولارات للمعامل التي قوتها ٣٠٠ ميغاواط و ٣ر٢٢ دولارات للمعامل التي قوتها ٤٠٠ ميغاواط »(٣٦). علما بأن سعر النفط الخام في السوق الحرة الان يزيد على ١٠ر٥ دولارات للبرميل مع ان بعض الصفقات ما زالت تعقد بحوالي ١٤ دولارا للبرميل .

ومن جهة اخرى اصبح انتاج النفط من صخور السجيل والتي يوجد منها كميات هائلة في الولايات

المتحدة الامريكية وكندا وغيرهما مجد من الناحية الاقتصادية . فقد بينت دراسة نشرت مؤخرا اعدها المجلس الوطني الامريكي للبترول ان تكاليف انتاج نفط السجيل مع تحقيق ربح في حدود ٢٠ ٪ من رأس المال المستثمر في الانتاج اصبحت تنافس اسعار شراء النفط الخام من الشرق الاوسط . وهذا ما يتضح من الجدول التالي(٣٧):

الاسعار بالدولار المقدرة لنفط السجيل في حدود ربح ١٠ الى ٢٠ ٪
(المصدر : المجلس الوطني الامريكي للبترول)

	٣٠ غالون نفط للطن من السجيل		٣٥ غالون نفط للطن من السجيل	
المردود على التدفق النقدي المعدل للقيمة الحاضرة	مناجم ذات انفاق	مناجم عمودية	مناجم ذات انفاق	مناجم عمودية
١٠ ٪	٤ر٣٢	٤ر٤٧	٣ر٩٧	٤ر٠٩
١٥ ٪	٥ر٥٨	٥ر٧٩	٥ر١٠	٥ر٢٩
٢٠ ٪	٧ر٠٣	٧ر٢٩	٦ر٤٥	٦ر٧٢

ان ما ينبىء به هذا الجدول هو هام جدا اذا علمنا ان لدى الولايات المتحدة وكندا من سجيل النار هذا ومن الرمال الاسفلتية احتياطي هائل يعطي من النفط اضعاف الاحتياطي العالمي الثابت من النفط المعروف لدينا الان.وسجيل النار الامريكي الغني وحده يعطي حسبما صرح به الرئيس الامريكي نيكسون في تموز ١٩٧١ اكثر من ٦٠٠ مليار برميل من النفط اي ما يعادل اجمالي الاحتياطي العالمي الثابت من النفط المعروف حاليا(٣٨). اضف الى ذلك كله ان انتاج الفحم الحجري في أوروبا الغربية عاد الان ليصبح مجديا من الناحية الاقتصادية بعد أن كانت الحكومات تضطر الى تقديم الاعانات لشركات مناجم الفحم لضمان استمرار استخراجه قبل ارتفاع اسعار النفط مؤخرا .

ان المعطيات السالفة الذكر التي تضع ثروة النفط العربي في أطار الزمن المتحرك وفي منظار الظروف المستجدة على واقع مصادر الطاقة في العالم تشير الى :

اولا : ان الوطن العربي ليس من مناطق العالم الغنية بمصادر الطاقة بصورة عامة .

ثانيا : ان ثروة النفط العربي ليست هائلة بالقدر الذي صورته الحملة الاعلامية التي فبركتها احتكارات النفط الاستعمارية ، وان هذه الثروة لها قوة حاسمة في غضون السنوات القليلة القادمة وحتى عام ١٩٨٥ على ابعد تقدير ، وبعد ذلك ستواجه منافسة شديدة من مصادر النفط في مناطق العالم الاخرى ، كما ستواجه منافسة قاتلة من مصادر الطاقة الاخرى .

العلاقات النفطية بين الاتحاد السوفييتي والاقطار العربية

ان العلاقات النفطية بين الاتحاد السوفييتي والاقطار العربية هي علاقات حديثة العهد نسبيا ، وهي علاقات ما زالت محدودة النطاق وصغيرة الحجم . وقد بدأت العلاقات النفطية بين الاتحاد السوفييتي والاقطار العربية على صورة شحنات من النفط ومنتجاته لمصر بعد العدوان الثلاثي عليها عام ١٩٥٦ ، وذلك لمساعدتها على فك الحصار الاقتصادي الاستعماري عنها لانها كانت تعتمد جزئيا على استيراد بعض منتجات النفط من مصفاة عدن التابعة لشركة البترول البريطانية والتي قطعت عن مصر . ثم تمثلت هذه العلاقات في اعمال التنقيب عن النفط والغاز في مصر في واحة سيوه وفي دلتا نهر النيل والتي أدت الى اكتشاف الغاز في الدلتا . وفي السبعينات اعتمدت سوريا اعتمادا كبيرا على الخبراء السوفييت في التنقيب عن النفط

تنفيذا لعزمها على ان تستغل ثروتها النفطية استغلالا وطنيا بصورة كلية ، وأن لا تسمح للشركات الاحتكارية بالتغلغل في اقتصاد البلاد عن طريق الجيب النفطي ، وساعد السوفييت سوريا على انتاج النفط من حقول السويداء وغيرها وفي بناء خطوط للانابيب الى ميناء طرطوس لتصدير النفط ، وكذلك في تزويدها بمعظم المنشآت والمعدات التي احتاجتها لانتاج نفطها .

كذلك اعتمدت الجزائر على خبراء النفط السوفييت الى حد بعيد في جهودها المتواصلة لبناء شركة النفط الوطنية الجزائرية « سوناطراك » ومن أجل استعادة السيادة الوطنية الجزائرية على ثروة البلاد من النفط والغاز وتحريرها من سيطرة شركات النفط الاستعمارية . بيد ان اهم عملية نفطية ساهم فيها الاتحاد السوفييتي حتى الان في الاقطار العربية هي مساعدة العراق على استغلال حقل الرميلة الشمالي الغزير بالنفط .

وواقع الامر ان قصة استغلال هذا الحقل هي نفسها قصة صراع الحكم الوطني في العراق لاستعادة السيادة الوطنية على ثروة البلاد النفطية. ففي عام ١٩٦٠ اصدر عبد الكريم قاسم « القانون رقم ٨٠ » الشهير والذي نزع بموجبه من شركة نفط العراق جميع مناطق امتيازها — وهي مساحة العراق بأكمله — فيما عدا الاراضي التي لها فيها حقول منتجة فعلا . وكان من المعروف ، حينئذ ان حقل الرميلة الشمالي غني جدا بالنفط ، ولذلك اسست حكومة عبد الكريم قاسم شركة النفط الوطنية العراقية لتتولى استغلال حقل الرميلة الشمالي وبقية الحقول المنتزعة من شركة نفط العراق ، ولكن جهود شركة النفط الوطنية العراقية هذه تعثرت اثر الاطاحة بحكم عبد الكريم قاسم عام ١٩٦٣ . وظلت شركة نفط العراق تعطل كل جهد وطني لاستغلال حقل الرميلة الشمالي طوال العهود السياسية التي تبدلت على العراق بعدئذ الى ان كان عام ١٩٦٩ حيث تم الاتفاق بين السلطات العراقية والاتحاد السوفييتي على ان يساعد الاتحاد السوفييتي العراق في استغلال هذا الحقل الهام . ولهذا الغرض قدم الاتحاد السوفييتي للعراق قرضا قيمته ٦٣ مليون دولار على هيئة معدات ومنشآت ولوازم بالاضافة الى الخبراء والفنيين ، وفي ربيع عام ١٩٧٢ تم تدشين الانتاج من حقل الرميلة الشمالي بعد ان تم مد خط للانابيب يصله بميناء البصرة وذلك بطاقة انتاج اولية مقدارها خمسة ملايين طن سنويا اي بمعدل ١٠٠ الف برميل/اليوم . وكان حرص رئيس الوزراء السوفييتي كوسيغين على حضور حفل التدشين ذاك ذا مغزى كبير مثلما كانت كلمات خطابه في تلك المناسبة والتي دعا فيها الدول العربية الى تحرير ثروتها النفطية من سيطرة الاحتكارات الاستعمارية والى استعادتها الى حظيرة السيادة الوطنية . وفي شهر نيسان ١٩٧٤ دشن الانتاج من المرحلة الثانية من مراحل حقل الرميلة الشمالي والتي ارتفع انتاج الحقل بمقتضاها الى ١٨ مليون طن في السنة وذلك بمعونة سوفييتية قيمتها اكثر من ١٢ مليون دينار عراقي . وقبل نهاية عام ١٩٧٥ من المقرر ان يدشن الانتاج من المرحلة الثالثة من مراحل استغلال حقل الرميلة الشمالي حيث سيرتفع انتاجه الى ٤٠ مليون طن في السنة اي بمعدل ٨٠٠ الف برميل/اليوم . وكالعادة ، علا صراخ الاحتكارات النفطية الاستعمارية وابواقها في الاوساط العربية جنبا الى جنب مع الدوائر الصهيونية بأن الاتحاد السوفييتي قد وضع يده على حقل ثمين للنفط الى اخر هذه المعزوفة . بيد أن المعطيات الاحصائية المستمدة من منشورات الاحتكارات النفطية ذاتها تظهر ان الاتحاد السوفييتي لم يأخذ من انتاج حقل الرميلة الشمالي في عام ١٩٧٣ والبالغ ١٠٠ الف برميل/اليوم سوى ما معدله اربعة الاف برميل /اليوم(٣٩) هي تسديد للقرض الذي منحه للعراق لهذا الغرض ولتسديد ثمن المنشآت والمعدات واللوازم والخبرة الفنية التي قدمها لتطوير هذا الحقل النفطي الهام الذي حرمت الدوائر الاستعمارية العراق من انتاجه اكثر من عشر سنوات . وحيث ان الاتحاد السوفييتي هو دولة مصدرة للنفط فانه يبيع ما يحصل عليه من نفط حقل الرميلة الشمالي الى شركات يابانية منها شركة ادميتسو .

ان سر تعطيل شركة نفط العراق لجهود الحكومات العراقية المتعاقبة لاستغلال حقل الرميلة الشمالي هو ، بالاضافة الى تعطيل الارادة الوطنية لدى هذه الحكومات ، اتاحة الفرصة

لشركة نفط الكويت التي تملك شركة البترول البريطانية نصف اسهمها لكي تطور حقل الروضتين في شمال الكويت ، وهذا الحقل هو في واقع الامر امتداد جيولوجي لحقل الرميلة الشمالي . وهذا ما تم بالفعل ، اذ اصبحت شركة نفط الكويت تنتج من حقل الروضتين اكثر من نصف انتاجها الكلي .

وفي عام ١٩٧٢ ، نشأت علاقات نفطية بين الاتحاد السوفييتي وليبيا وذلك بعد ان أممت ليبيا ممتلكات شركة البترول البريطانية ردا على تواطؤ بريطانيا مع ايران في احتلالها للجزر الثلاث في الخليج (ابو موسى وطنب الكبرى وطنب الصغرى) . وتشير المعطيات المتوفرة ان ليبيا صدرت للمنظومة الاشتراكية في عام ١٩٧٢ ما معدله ١٧ الف برميل/اليوم من النفط بينما صدرت اليها في العام ١٩٧٣ ما معدله ٧٧ الف برميل/اليوم(٤٠). وان جل هذا النفط ، ان لم يكن كله ، هو من انتاج حقل سرير الذي كانت تملكه مناصفة شركة البترول البريطانية وشركة بنكر هنت الامريكية والتي أممت حصتها ايضا فيما بعد . ومن المعروف ان شركة البترول البريطانية فرضت حصارا قضائيا على تصدير النفط الليبي المستخرج من حقل سرير المذكور بحجة انها لم تتلق تعويضا عنه . وقد نتج عن هذا الحصار القضائي صعوبة شديدة في تصريف انتاج حقل سرير المذكور في الاسواق الغربية ، ومن هنا تبرز اهمية مبادرة الاتحاد السوفييتي ودول المنظومة الاشتراكية الى شرائه . وبطبيعة الحال ، فان الاتحاد السوفييتي في هذه الحالة يعاود تصدير ما يشتريه من نفط اما الى الدول الاشتراكية الاخرى او الى الدول الرأسمالية الغربية او الى غيرها .

وندرج ادناه جدولا يبين مجموع ما استوردته دول الكتلة الاشتراكية ، بما فيها الاتحاد السوفييتي ، من نفط من اقطار العالم الخارجي خلال العامين الماضيين ١٩٧٢ و ١٩٧٣ ، حيث يظهر ان الاتحاد السوفييتي ودول المنظومة الاشتراكية لا تستورد النفط سوى من الاقطار العربية وايران .

تقدير النفط الخام المجلوب الى الكتلة الاشتراكية في ١٩٧٢ — ١٩٧٣

(بآلاف البراميل في اليوم)(٤٠)

المصدر	١٩٧٢ المجموع	١٩٧٢ الى بلغاريا	١٩٧٢ الى المانيا الديموقراطية	١٩٧٣ الى رومانيا	١٩٧٣ الى الاتحاد السوفييتي	١٩٧٣ الى الجزر	١٩٧٣ المجموع
شمالي العراق	١٠٠	٩٣	٣١	١٨	٩٤	—	١٤٦
جنوبي العراق		١٣	٢٨	—	٥	٢١	٦٨ *
ليبيا	١٧	١٦	—	٢٦	٣٥	—	٧٧
ايران	٧٦	٤	٢٥	٢٢	—	—	٥١
سوريا	١٨	٨	—	—	١	—	٩
مصر	٢٤	٣	٢	—	١	—	٦
الجزائر	٨	—	—	ضئيلة	—	—	ضئيلة
المجموع	٢٤٣	١٣٧	٨٦	٦٦	٤٦	٢١	٣٥٧

* منها الف برميل في اليوم الى تشيكوسلوفاكيا .

ويظهر الجدول ان الاقطار العربية تكاد تكون هي المصدر الوحيد لمستوردات الكتلة الاشتراكية من النفط فيما عدا ايران التي تضاعلت حصتها بنسبة ملموسة في غضون عام واحد . ففي عام ١٩٧٢ بلغت حصة ايران من اجمالي النفط الذي استوردته الكتلة الاشتراكية حوالي ٣٠٪ ولكنها انخفضت في عام ١٩٧٣ الى حوالي ١٤٪ فقط ، وذلك نتيجة لانخفاض صادرات ايران مما معدله ٧٦ الف برميل/اليوم الى ٥١ الف برميل / اليوم من جهة ، ونتيجة زيادة مستوردات الكتلة الاشتراكية من الاقطار العربية مما معدله ١٦٧ الف برميل في اليوم الى ٣٠٦ الاف برميل في اليوم اي ما يزيد قليلا عن ١٥ مليون طن في السنة . ويظهر الجدول اعلاه كذلك ان بلغاريا وحدها استوردت عام ١٩٧٣ قرابة ٤٠٪ من مجموع ما استوردته الكتلة الاشتراكية من النفط ، وهذا أمر مفهوم نظرا لان بلغاريا هي افقر الاقطار الاشتراكية بمصادر الطاقة ، فهي لا تفتقر الى النفط والغاز فحسب ، بل تفتقر ايضا الى الفحم الحجري . ولذلك من المتوقع ان تزداد مستوردات بلغاريا من النفط العربي في غضون السنوات القليلة القادمة ، كما يتوقع بالتالي ان تزداد صلاتها التجارية والاقتصادية مع بعض الاقطار النفطية ولا سيما العراق . ان رومانيا هي ثالث دولة في المنظومة الاشتراكية من حيث حجم مستورداتها النفطية من الاقطار العربية وايران كما انها تستورد كميات كبيرة نسبيا من النفط من الاتحاد السوفييتي رغم انها الوحيدة من بين اقطار اوروبا الشرقية الاشتراكية التي تنتج كمية كبيرة من النفط (زهاء ١٣ مليون طن في السنة) . وسر ذلك أنها طورت لديها صناعة بتروكيميائية فتعيد بالتالي تصدير النفط الخام الذي تستورده على هيئة منتجات نفطية وبتروكيميائية . ويلاحظ من جهة أخرى ، ان العراق هو في طليعة الاقطار العربية التي تستورد الكتلة الاشتراكية منها النفط ، وبلغت حصته من تلك المستوردات في عام ١٩٧٢ نحو ٤١٪ ثم ارتفعت الى حوالي ٦٠٪ عام ١٩٧٣ ، ويعزى ذلك الى تأميم العراق للشطر الاعظم من انتاجه النفطي في عام ١٩٧٢ مما فتح امامه آفاق التصرف بثروته النفطية بحرية بعد أن كان توزيعها حكرا على شركات الاحتكارات النفطية الاستعمارية التي كانت مسيطرة عليها . وحيث ان الشركات النفطية الاستعمارية الرئيسية السبع التي تشكل الكارتيل النفطي العالمي ما زالت تسيطر على نحو ٧٥ ٪ من الاسواق ومنافذ التوزيع في العالم الرأسمالي فانها تضع عقبات كثيرة أمام تصريف النفط المؤمم في الاسواق . وهذا ، الى حد ما ، هو السبب الذي حدا بايران الى التوجه لفتح اسواق لنفطها في دول الكتلة الاشتراكية . ففي عام ١٩٧٠ طلبت الحكومة الايرانية من شركات الكونسورتيوم النفطي العاملة في ايران ان تعطيها جزءا من نصيبها من النفط المنتج عينا لا نقدا ، فاستجابت شركات الكونسورتيوم لطلبها ذلك على مضض ، ولكنها اشترطت الا تقوم ايران بتسويق ذلك النفط الذي تأخذه كجزء من حصتها في الاسواق التي يعمل فيها الكونسورتيوم ، وهي عمليا جميع أسواق العالم الرأسمالي لانه تتمثل في الكونسورتيوم جميع شركات النفط الرئيسية السبع . ونتيجة لذلك توجهت ايران الى اسواق الدول الاشتراكية ، وبوجه خاص المانيا الديموقراطية ورومانيا ، وعقدت معها اتفاقات مقايضة النفط بالالات والمعدات واللوازم وهو الطراز السائد في معاملات التبادل التجاري بين الاقطار الاشتراكية فيما بينها او بينها وبين الاقطار الاخرى .

ان مستوردات الاتحاد السوفييتي من النفط في عام ١٩٧٣ كانت بمعدل ٤٦ الف برميل في اليوم أي ما يساوي حوالي ٢،٤٥ مليون طن في السنة نحو خمسها من العراق (٩٠٠٠ برميل/اليوم) والباقي من ليبيا . ويبدو ان الاتحاد السوفييتي مقبل على تعاون اوسع مع ليبيا في الميادين النفطية وذلك في ضوء اتفاق التعاون الاقتصادي والفني الذي وقع بين الاتحاد السوفييتي وليبيا اثناء زيارة رئيس الوزراء الليبي عبد السلام جلود لموسكو في شهر ايار (مايو) الماضي . « وقد ذكرت مصادر رسمية في ليبيا ان الاتفاق المذكور الذي لم تذع تفاصيله بعد سيقوي تعاون البلدين في مجال البحث عن الثروات المعدنية وفي تطوير صناعة الحديد والصلب والطاقة والموانيء والمنازل والتعليم والمياه والغاز الطبيعي . وذكرت هذه المصادر ايضا ان الوفد السوفييتي قد تعهد بدراسة اقتراح ليبي يقضي بأن يقوم السوفييت ببناء مصفاة النفط في ليبيا(٤١).

نخلص من كل ما تقدم الى جملة من النتائج والاستنتاجات :

اولا : ان العلاقات النفطية بين الاقطار العربية والاتحاد السوفييتي ودول المنظومة الاشتراكية الاخرى هي علاقات محدودة نوعا وحجما .

ثانيا : ان هذه العلاقات النفطية هي في نمو وازدياد تدريجي ، وان يكن بطيئا ، منذ اواسط الخمسينات .

ثالثا : بعد استقراء المعطيات المتوفرة عن هذه العلاقات النفطية يتبين ان النمط العام للعلاقات النفطية بين الاتحاد السوفييتي والاقطار العربية هو أنها جزء من مجمل علاقات التعاون التي قامت خلال السنين الماضية بين الاتحاد السوفييتي وبعض الاقطار العربية في ميادين شتى .

رابعا : ان الاتجاه العام لنشوء العلاقات النفطية بين الاتحاد السوفييتي والاقطار العربية هو أن هذه الاقطار العربية تطلب من الاتحاد السوفييتي مساعدتها او تقديم العون لها في هذا الحقل النفطي أو ذاك سواء في ميدان التنقيب او تقديم مرافق ومنشآت الانتاج او الخبراء والخبرة التكنولوجية أو مد انابيب . ويسدد ثمن هذه المنشآت او المعدات واللوازم او الخدمات بصور شتى انما في غالب الاحيان اما عينا من انتاج حقول النفط المستغلة او مقايضة بسلع او معدات او محاصيل اخرى . فالعراق يدفع نفطا خاما ومصر قطنا وسوريا قمحا الخ ... ولم نسمع مرة ان الاتحاد السوفييتي سعى بطمع او بضغط من اي نوع للقيام بمهمة او الفوز بعقد نفطي مع اي قطر عربي او غيره للفوز بمغانم مادية معينة .

خامسا : باستقراء انواع العلاقات النفطية القائمة بين الاتحاد السوفييتي والاقطار العربية يتعذر على المرء ان يرى او يلمس ما يمكن ان يدخل في باب استغلال الدول الكبرى للشعوب المستضعفة او المتخلفة . فالاتفاقات تتم وفق اصول التعامل الاقتصادي والتجاري المتعارف عليها بين الشعوب الحرة على قدم المساواة وبشروط هي في مجملها لصالح الاقطار العربية . فتقدير اسعار المواد يتم على أساس اسعار السوق الحرة . وتسديد قيمة ما يقدمه الاتحاد السوفييتي من معدات ولوازم الخ يتم بعد مضي زمن يتفق عليه بفائدة ضئيلة فهي بالتالي تدخل في باب المساعدات والقروض والمعونات ويجري التسديد وفق اصول المقايضة ، فكثير من الاقطار العربية مثل مصر او سوريا لا يتوفر لديها فائض من العملات الصعبة ، ولذلك فهي تسدد قيمة ما حصلت عليه مما يتوفر لديها من منتوجات او محاصيل يتفق عليها الطرفان . واذا اخذنا حالة تطوير حقل الرميلة الشمالي في العراق كمثال ملموس نجد ان هذا الحقل النفطي الغزير والهام ظل معطلا بسبب الضغوط الاستعمارية ، وكان دور الاتحاد السوفييتي هو دور الممول لعملية تطوير الحقل وقدم المنشآت والمعدات واللوازم والخبرة الفنية في وقت كان فيه العراق يعاني من ضيق مالي وحصار استعماري ، وجرى الاتفاق على أن يسدد العراق ثمن هذا كله على اقساط سنوية بصورة شحنات نفط خام من انتاج هذا الحقل ذاته بسعر السوق الحرة ، وان مثل هذا الاتفاق الذي جرى في عام ١٩٦٩ عندما كان يتوفر في الاسواق العالمية فائض كبير من النفط يعتبر مساعدة للعراق على تسويق جزء من نفط هذا الحقل في وقت لم يكن هنالك فيه طلب شديد على النفط حسبما تطور اليه الحال عقب حرب اكتوبر ، وفي وقت كانت الاحتكارات النفطية الدولية تسيطر فيه على اسواق تصريف النفط سيطرة شبه تامة . اضف الى ذلك ، ان تقدير اثمان النفط والمعدات يتم حسب اسعار السوق العالمية الحرة ، ولذلك عندما ارتفعت اسعار النفط عقب حرب اكتوبر طالب العراق برفع سعر النفط الذي يشحنه الاتحاد السوفييتي من حقل الرميلة الشمالي فتم ذلك حسب السعر الجديد للنفط في السوق العالمية الحرة ، وهذا ما جرى كذلك مع ايران حيث زود الاتحاد السوفييتي ايران بانشاءات صناعية ضخمة من بينها مجمع ضخم للحديد والصلب في اصفهان تعادل قيمته ٦٠٠ مليون دولار ، وتضمن الاتفاق الذي عقد عام ١٩٦٦ أن يتم مد خط انابيب ضخم لنقل الغاز الطبيعي الايراني الى جمهوريات اسيا الوسطى السوفييتية يسدد منه ثمن هذه المنشآت السوفييتية المقدمة لايران . ويومئذ لم يكن هنالك طلب عالمي كبير على الغاز الطبيعي لا سيما من مناطق بعيدة نسبيا عن أسواقه الطبيعية في اوروبا الغربية كايران (الجزائر أقرب مسافة) ، ولذلك حدد سعر

الغاز الايراني للاتحاد السوفييتي على أساس ١٨ سنت امريكي للالف قدم مكعب . ولكن عندما ارتفع سعر النفط عقب حرب اكتوبر طالب الايرانيون برفع سعر الغاز الذي يبيعونه للاتحاد السوفييتي ، وتم الاتفاق على رفع السعر الى ٣٠،٥ سنت للالف قدم مكعب . وفي شهر تموز الماضي طالب الايرانيون من جديد بمضاعفة سعر الغاز فاعترض السوفييت على هذه الزيادة الكبيرة ، ولكن الايرانيين اعلنوا من جانبهم ان سعر غازهم الطبيعي المشحون للاتحاد السوفييتي ابتداء من مطلع العام ١٩٧٥ سيكون ٦٠ سنتا للالف قدم مكعب ، اي ضعف السعر السابق واكثر من ٣٣٠٪ من السعر الاصلي المتفق عليه ، وهذا يفسر اسباب اعتراض الجانب السوفييتي الذي لم يعد الغاز الايراني مناسبا بالنسبة اليه لانه أصبح يكلفه اكثر من تكلفة انتاج الغاز من سيبيريا التي هي اضخم خزان للغاز الطبيعي في العالم .

وهنالك جانب اخر للامر ، ان الاتحاد السوفييتي يعاني من نقص نسبي في المعدات واللوازم الضرورية لتطوير ثروات سيبيريا من النفط والغاز الطبيعي والمعادن ، وهذا ما بدا مما كتبه ف. دي. شاشن وزير صناعة النفط السوفييتي في مجلة « نفتيانوي جوزيبستفو » من ان معدل اكتشافات النفط في السنوات الاخيرة كان أدنى من المتطلبات ، وانتقد على وجه التحديد وزارة الجيولوجيا على جهودها التنقيبية غير الكافية في المناطق التي لم يجر تطويرها والتي تبشر بالعطاء(٤٢). كذلك يظهر النقص في معدات ووسائل انتاج النفط في الاتحاد السوفييتي من تقصير وزارة الانشاءات المتعلقة بصناعة النفط والغاز — التي انشئت خصيصا للتغلب على الاختلالات في اوضاع الامدادات — عن الوفاء باهداف الانتاج المقررة لها في العام الماضي حيث لم تنتج سوى ٩٦٪ من الاهداف المقررة ، فلم يرتفع انتاج معدات صناعة النفط سوى بنسبة ١٪ تقريبا ، اما انتاج معدات الصناعة الكيميائية وقطع الغيار فارتفع بنسبة ١٢٪ ، ولكن هذه الزيادة ظلت هي ايضا دون الهدف المقرر(٤٣).

نستخلص من كل ما تقدم ان الاتحاد السوفييتي ليس لديه فائض عن حاجته الكبيرة من المعدات واللوازم والمنشآت النفطية وكذلك الخبرة الفنية ليصدرها الى الاقطار الاخرى لاسباب اقتصادية وتجارية بحتة ، ولذلك فهو عندما يقدم المعدات واللوازم والخبراء النفطيين لتطوير حقل شمال الرميلة في العراق ، فهذا تدبير سياسي ، وهو يقدم هذه المساعدات والمعونات لتحقيق اهداف وغايات سياسية وليس من اجل المنافع والمكاسب الاقتصادية . وهذا كذلك ما ينطبق على الكميات الكبيرة من النفط التي يبيعها الاتحاد السوفييتي لحلفائه في منظمة المعونة الاقتصادية المتبادلة « الكوميكون » ، ففي حين يبيع الاتحاد السوفييتي نفطه حاليا لاقطار اوروبا الغربية بأسعار عالمية تصل الى ١٥ دولارا للبرميل فانه ما زال يبيع دول الكوميكون معظم حاجتها من النفط بسعر النفط القديم الذي كان ساريا قبل عام ١٩٧٠ وهو دولاران للبرميل وسيظل يبيعها هذه الكميات الهائلة من النفط بهذا السعر حتى بداية العام ١٩٧٦ حين تنتهي الخطة الخمسية الراهنة لدول الكوميكون وتبدأ الخطة الخمسية الجديدة في جميع دول الكوميكون بما فيها الاتحاد السوفييتي ، فتوضع عندئذ اسعار جديدة لجميع المواد والسلع المتبادلة بين اقطار الكوميكون ، وهذا التدبير لاحتساب الاسعار هو المعمول به في دول الكوميكون والتزم به الاتحاد السوفييتي رغم ارتفاع اسعار النفط الخام منذ عام ١٩٧٠ وهي السنة التي بدأت فيها الخطة الخمسية ، نحو ستة اضعاف او يزيد. هذا في حين ان الاتحاد السوفييتي قد رفع اسعار مشترياته من النفط العراقي والغاز الايراني بحيث تجاري الاسعار السائدة في السوق العالمية . وقد أوردت وكالة الانباء الفرنسية نبأ من موسكو بأن « الاتحاد السوفييتي قد حدد نسبة زيادة مبيعاته من النفط الخام والمنتجات الى الاقطار الرأسمالية في العام ١٩٧٣ بنسبة ٦٪ وذلك حتى يتمكن من زيادة شحناته الى الدول الاشتراكية بنسبة ١٢٪ ، وهكذا فان الزيادة في شحنات النفط السوفييتي الى الاقطار الرأسمالية في اوروبا بلغت ١،٦ مليون طن فقط في مدة ثلاث سنوات مقابل ١٢،٨ مليون طن للدول الاعضاء في الكوميكون . ويرى الخبراء الغربيون ان الاتحاد السوفييتي لن يزيد مبيعاته من النفط الى الدول الرأسمالية في السنوات القادمة ... بالاضافة الى

أن ارتفاع الاسعار العالمية للنفط سيتيح للسوفييت الحصول على ما يتراوح بين ضعفي وثلاثة أضعاف العملات الصعبة التي كانوا يحصلون عليها عن طريق تصدير كميات مماثلة ، ولكن يحتمل ان يواصل السوفييت زيادة شحناتهم من النفط الى حلفائهم في منظمة الكوميكون »(٤٤).

سادسا : ان جميع المعطيات الموضوعية المتوفرة تشير الى أن الاتحاد السوفييتي ليس بحاجة الى أية امدادات من النفط من خارج أراضيه سواء من الاقطار العربية او غيرها ، كما لن يكون بحاجة لمثل هذه الامدادات في المستقبل المنظور ، ولذلك فان وضعه النفطي يختلف جذريا عن وضع الولايات المتحدة الامريكية او أقطار اوروبا الغربية . بيد أن دوائر عديدة ، ولا سيما الدوائر الاستعمارية ، روجت أنباء مفادها أن هنالك خلافا بين الاتحاد السوفييتي وحليفاته من دول الكوميكون حول اعتمادها عليه بصورة شبه كلية في تزويدها بالنفط وأنه يحث هذه الدول على التوجه نحو الاقطار العربية للحصول على شطر من امداداتها النفطية منها . ان ما اوردته وكالة الانباء الفرنسية من موسكو واقتطفناه سابقا بشأن زيادة الاتحاد السوفييتي لشحناته من النفط الى الدول الاشتراكية بنسبة ١٢ ٪ في عام ١٩٧٣ وتقليله زيادة صادراته النفطية الى دول أوروبا الرأسمالية يدحض هذه المزاعم والاقوال (انظر الهامش السابق رقم ٤٤) . بيد أننا لا نؤيد استبعادها واسقاطها كليا . فمن المعروف أن صادرات الاتحاد السوفييتي من النفط كانت دائما تجلب له زهاء ٣٠ ٪ من عائداته من العملات الصعبة سنويا ، وارتفعت قيمتها مؤخرا نتيجة ارتفاع اسعار النفط نحو أربعة أضعاف ما كانت عليه ويقدر أن تبلغ عائدات الاتحاد السوفييتي من بيع نحو ٥٠ مليون طن من النفط الى اقطار اوروبا الرأسمالية وغيرها خارج الكتلة الاشتراكية العام ١٩٧٤ ما يتراوح بين ٢ر٨ الى ٣ر٨ مليار دولار مقابل حوالي ٨٠٠ الى ٩٠٠ مليون دولار في العام ١٩٧٣ . علما بأن اجمالي قيمة مستوردات الاتحاد السوفييتي السنوية من الدول الغربية تعادل ٣ر٨ مليار دولار(٤٥). ولا ريب ان الاتحاد السوفييتي سيظل الان وفي المستقبل حريصا على تصدير هذه الكمية (٥٠ مليون طن) من النفط سنويا كمصدر للعملات الصعبة ولسد الاختلال في ميزانه التجاري مع الدول الغربية ، وهو اختلال مرشح للزيادة في ضوء ازدياد احتياجات الاتحاد السوفييتي من المستوردات من أقطار الغرب الرأسمالية ، لا سيما وانه الان على اعتاب الولوج الى مرحلة مجتمع الاستهلاك والرفاهية . واذا أخذنا بنظر الاعتبار فقر اقطار اوروبا الشرقية الاشتراكية النسبي بمصادر الطاقة عموما ، وحالة الاملاق النفطي التي تعاني منها ، وفي الوقت ذاته تزايد احتياجاتها من الطاقة في ضوء النمو السريع لاقتصادها وفق برامج التنمية الاقتصادية والاجتماعية الطموحة التي تطبقها حاليا بعد أن اجتازت عثراتها السياسية الماضية . واذا علمنا بأن كميات النفط التي صدرها الاتحاد السوفييتي لهذه الاقطار قد ارتفعت من ٣٢ مليون طن عام ١٩٦٨ الى أكثر من ٥٠ مليون طن عام ١٩٧٣(٤٦).

كذلك اذا اخذنا في الاعتبار ان احتياجات هذه الاقطار الاشتراكية من النفط يقدر انها ستبلغ عام ١٩٨٠ حوالي ١٧٠ مليون طن من النفط(٤٧)، فان هنالك ما يحمل على الاعتقاد على امكانية اتجاه اقطار اوروبا الشرقية الاشتراكية الى زيادة تبادلها الاقتصادي وتوسيعه مع الاقطار العربية النفطية للحصول منها على شيء من احتياجاتها النفطية. بيد ان التقارير التي تشير الى ان الاتحاد السوفييتي قد أبلغ حليفاته تلك بأنه لن يستطيع أن يزودها في العام ١٩٨٠ بأكثر مما مجموعه ١٠٠ مليون طن من النفط في العام بينما تشير التقديرات الى ان احتياجاتها تتصل الى ١٧٠ مليون طن في العام(٤٨) تبدو غير دقيقة ومبنية على التقديرات السابقة للتطورات التي طرأت في ميدان الطاقة في أعقاب حرب اكتوبر .

فليس سرا ان العالم بأكمله ، ولا سيما الاقطار الصناعية المتطورة ، يمر الان بمرحلة مخاض عسر في ميدان الطاقة من حيث بداية التخلي عن النفط كمصدر أول للطاقة واستبداله تدريجيا بمصادر بديلة متوفرة كالفحم والغاز والطاقة الكهرمائية والنووية الخ ... وذلك الى ان يتم استنباط مصادر جديدة للطاقة . وبناء عليه فان أقطار أوروبا الشرقية الاشتراكية ستعاود الاهتمام بتطوير ما لديها من مصادر الفحم الحجري مثلا وصنع النفط منه وهي عملية كانت رائجة في المانيا

الديموقراطية وبولنده في الخمسينات قبل ان يتوفر النفط الرخيص نسبيا في الستينات . كما ان شبكات أنابيب نقل غاز سيبيريا السوفييتي الى هذه الاقطار ستكتمل وتزيد بحيث ان احتياجاتها من النفط عام ١٩٨٠ ستكون أقل بنسبة ملموسة من التقديرات السابقة التي حسبت على أساس أوضاع الطاقة في العالم قبل ثورة أسعار النفط الاخيرة .

بيد ان هذا كله لا يعني بأن أقطار أوروبا الشرقية الاشتراكية لن تكون خلال السنوات القادمة بحاجة الى زيادة مستورداتها من النفط العربي بصورة ملموسة ، وهذا ما يؤيده ارتفاع مستوردات الكتلة الاشتراكية من النفط مما معدله ٢٤٣ الف برميل في اليوم عام ١٩٧٢ الى ٣٥٧ الف برميل في اليوم عام ١٩٧٣(٤٩). وأغلب الاحتمال أن ترتفع هذه المستوردات بحلول عام ١٩٨٠ ، الى ما معدله مليون برميل في اليوم (٥٠ مليون طن في السنة) لتثبت عند هذا الحد زمنا قبل أن تأخذ في التناقص بعد عام ١٩٨٥ عندما تكون بدائل النفط كمصدر للطاقة قد نضجت .

مكانة النفط العربي في الاستراتيجية السياسية السوفييتية تجاه المنطقة العربية

من المعروف ان الاستراتيجية السياسية السوفييتية كانت دائما تحكمها اعتبارات عقائدية ، بيد أنه في نهاية الحرب العالمية الثانية فجر الامريكيون سلاحهم النووي الفتاك في هيروشيما وناغازاكي ثم ما لبث السوفييت أن أجروا أولى تجاربهم النووية ، وبذلك أصبح العالم منذ مطلع الخمسينات محكوما بنذر الرعب النووي في أجواء الحرب الباردة الرهيبة ، وبالتالي اصبحت مهمة تخفيف حدة التوتر الدولي هي في قمة اولويات السياسة الخارجية السوفييتية . وغدا يتحكم بصياغة الاستراتيجية السياسية السوفييتية الكونية هذان الاعتباران الاساسيان ، وبدا كأن هذه الاستراتيجية تتحرك بين شقي رحى متناقضين غاية التناقض . ولم يظهر هذا التناقض ، خلال العقدين المنصرمين، بصورة بارزة نافرة كما ظهر في السياسة السوفييتية تجاه هذه المنطقة من العالم، كما لم يبد هذان الاعتباران — العقائدي الهجومي والسلمي الدفاعي — وكأنهما متوازيان غاية التوازي في مدى أهميتهما كما بديا في هذه المنطقة من العالم في غضون العقدين الماضيين . وان هذا بحد ذاته يظهر مدى الاهمية الفائقة التي احتلتها منطقتنا في الاستراتيجية السياسية السوفييتية الكونية العامة حيث بدا وكأن التضحية بهذه المنطقة من العالم لصالح قوى الامبريالية العالمية هو في كفة معادلة للتضحية بسلم العالم أجمع وان تأمين تحرر هذه المنطقة من سيطرة الامبريالية هو صنو للسلم العالمي . ولا ريب ان المنطقة العربية كانت طوال العقدين الماضيين في غنة مناطق العالم التي تحظى بالاولوية في الاستراتيجية السياسية السوفييتية الكونية ان لم نقل أنها كانت تحظى بأولوية خاصة. وفي هذه المنطقة من العالم موقع استراتيجي هو الاهم وخطوط مواصلات دولية هي الاشد حيوية وثروة نفطية هي الاغزر مثلما فيها سيطرة امبريالية هي الاشرس وغزو صهيوني هو الابشع .

ويهمنا بالدرجة الاولى ، في هذا السياق ، تبين ماهية الدور الذي لعبه توفر الثروة النفطية الغزيرة في المنطقة العربية في صياغة الاستراتيجية السياسية السوفييتية تجاه هذه المنطقة من العالم ودرجة الاولوية التي حظيت بها ، كذلك طبيعة التأثير المباشر او غير المباشر الذي تفعله ثروة النفط العربي في صياغة وتحديد الموقف السوفييتي من النزاع العربي — الاسرائيلي ...

بالنسبة للنقطة الاولى ، فقد رأينا فيما تقدم من هذه الدراسة أن المعطيات الموضوعية المتوفرة عن أوضاع الطاقة في الاتحاد السوفييتي تشير الى ان الاملاق النفطي هو ليس بين الاعتبارات التي تحكم السياسة السوفييتية تجاه المنطقة ، كما ان احتمال احتياج دول أوروبا الشرقية الاشتراكية لكميات من النفط العربي قد تبلغ في حدودها القصوى ٥٠ مليون طن في السنة انما هو ناتج عن رغبة الاتحاد السوفييتي في المحافظة على صادراته النفطية الى دول الغرب الرأسمالية في حدودها الحالية على أقل تقدير (حوالي ٥٠ مليون طن في السنة) استدرارا للعملات الصعبة ولسد العجز في ميزانه التجاري مع الاقطار الرأسمالية الغربية . وبناء عليه فان الوضع النفطي الصافي للاتحاد السوفييتي وحليفاته دول أوروبا الشرقية الاشتراكية ، اذا ما أخذت ككتلة واحدة ، هو وضع الاستكفاء الخالص دون فائض أو عجز ، وهذا ما يكاد أن يحيد الحاجة الى الامدادات النفطية العربية كعامل مؤثر بصورة مباشرة في صياغة الاستراتيجية السياسية

السوفييتية تجاه منطقتنا ، وان كان هذا لا يعني بان النفط ليس عاملا فعالا في صياغة الاستراتيجية السياسية السوفييتية تجاه منطقتنا . ففي منطقة وضعها الاستراتيجي حساس كمنطقتنا يستحيل ألا يكون لثروة استراتيجية بالغة الغنى والاهمية كثروة النفط العربي دور ووزن فعال جدا في صياغة الاستراتيجية السوفييتية .

واذا انتقلنا من العموميات الى الخصوصيات ومن النظري المجرد الى ما هو ملموس وعيني نجد أن ثروة النفط العربي هي عامل فعال جدا في صياغة الاستراتيجية السياسية السوفييتية تجاه منطقتنا ولكن ليس بالمعنى الذي تروجه الدوائر الاستعمارية والصهيونية ولا بالصورة التي تشيعها الاوساط الرجعية العربية وهي صورة الدب الروسي الشرس الذي يسيل لعابه شهوة للعق ثروة النفط العربي والتهامها . بل ان الوضع الصحيح للمسألة هو ان ثروة النفط العربي الهائلة كانت خلال السنوات الطويلة الماضية وما زالت الى حد بعيد أضخم احتياطي من الثروة في جعبة قوى الامبريالية والصهيونية العالمية . ولا يمكن ان يغيب عن ناظري مخططي الاستراتيجية السياسية السوفييتية الدور الحاسم الذي تلعبه السيطرة الكلية للامبريالية العالمية على ثروة النفط العربي في معادلة موازين القوى على صعيد العالم أجمع ، ولذلك فان حرمان قوى الامبريالية العالمية من التمتع بهذا الاحتياطي الهائل من الثروة المادية والتموينات الاستراتيجية يلعب دورا أساسيا ، بل وحاسما ، في تغيير موازين القوى العالمية ضد مصلحة قوى الامبريالية العالمية ولصالح معسكر الشعوب بصورة عامة . لقد أظهرت التطورات النفطية العربية في أعقاب حرب ٦ تشرين ١٩٧٣ مدى اعتماد معسكر الامبريالية العالمية على ثروة النفط العربي ، كما أظهرت ان صحة مجمل النظام الرأسمالي العالمي تكاد أن تعتمد اعتمادا كليا على حقن الدواء المقوي الذي يتلقاه من المنطقة العربية والمتمثل بثروة النفط العربي — هذا الاحتياطي الهائل من الدواء الشافي لعلل وأزمات نظام رأس المال والامبريالية العالمية . واستطرادا مع هذا المنطق ، ان حرمان الامبريالية العالمية وأنظمة الرأسمالية العالمية من التمتع باحتياطي ثروة النفط العربي يضعفهما اقتصاديا الى درجة الوهن ويوقع الاقطار الرأسمالية في أوروبا الغربية واليابان والولايات المتحدة ذاتها في عجز في موازين مدفوعاتها ويفجر غول التضخم ليستشري ويستفحل داخل دورتها الاقتصادية ويجعل الازمات التقليدية للنظام الرأسمالي من كساد وبطالة وركود اقتصادي فبطالة تتفاعل بحيث يزيد الاستقطاب الاجتماعي بين المستغلين والمستغلين داخل هذه المجتمعات مما يولد المناخ المناسب لنمو قوى التغيير الاجتماعي المنادية باسقاط نظام الرأسمالية والنهب الامبريالي وارساء قواعد النظام الاقتصادي والاجتماعي في البلاد على أسس العدالة الاجتماعية والملكية العامة لوسائل الانتاج . وهذا كله يفتح الباب على مصراعيه في هذه المجتمعات الرأسمالية ، التي هي قواعد الامبريالية العالمية ، لرياح التغيير والثورة وبالتالي اختلال الميزان العسكري والسياسي والاقتصادي بصورة حاسمة ضد مصلحة نظام رأس المال والامبريالية العالمية ولصالح قوى الشعوب والتحرر والتقدم .

هذا هو اذن ببساطة ووضوح الدور الحقيقي لثروة النفط العربي في صياغة الاستراتيجية السياسية السوفييتية تجاه هذه المنطقة من العالم. وهذا بحد ذاته يلقي أضواء على ماهية الاسباب التي جعلت مخطط الاستراتيجية السياسية تجاه هذه المنطقة من العالم لا يلح على حركة التحرر الوطني العربية بضرورة التطابق مع منطلقاته العقائدية بل تسامح في تحمل كثير من مظاهر التعارض مع هذه المنطلقات في بعض الاحيان . واكتفى بالتلاقي في الاهداف والمنطلقات العريضة — مكافحة الامبريالية وسيطرتها ، فضمن هذه الاهداف العريضة يكمن الهدف المطلوب وهو تحرير ثروة النفط العربية من السيطرة الاحتكارية الامبريالية واستعادتها الى حظيرة السيادة الوطنية . وهذا بحد ذاته كاف ليطلق سلسلة لا حد لها من الازمات تتفاعل تدريجيا داخل مجموعة الانظمة الرأسمالية ويجعل بالتالي ميزان القوى العالمي يختل اختلالا كبيرا ضد مصالح قوى الامبريالية العالمية . ولذلك لم يكن هنالك شيء من الغرابة في أن نرى الاتحاد السوفييتي يدعم سياسيا موقف دول النفط العربية حين بادرت الى اتخاذ بعض الاجراءات المحدودة والجزئية ضد مصالح الاحتكارات النفطية الامبريالية آملا من ذلك ان تتواصل الاجراءات والخطوات ،

بيد أن الارتباط الاستراتيجي الحيوي بين مصالح بعض الحكام ومصالح قوى الامبريالية العالمية جعل الطرفين سرعان ما يلتفان حول تناقضاتهما الثانوية ويضبطان لجام الاحداث التي أخذت تتسارع ، وهذا ما لم يخيب فقط آمال الجماهير العربية وحدها ، بل خيب أيضا آمال الساسة السوفييت مثلما خيب آمال جميع قوى التحرر في العالم المساندة لنضال الشعوب العربية وحركة تحررها الوطني .

ويمكن تلخيص الامر اذن بالقول : ان ثروة النفط العربي هي بكل تأكيد عامل هام مؤثر جدا في صياغة الاستراتيجية السياسية السوفييتية تجاه هذه المنطقة من العالم وكذلك في صياغة الاستراتيجية السياسية السوفييتية الكونية بوجه عام . ولكن أهمية ثروة النفط العربي هنا هي ليست من حيث أنها موضع مطامع سوفييتية للنهب والسلب على النسق الامبريالي ، ولكنها عامل هام وفعال وأساسي بالمعنى الاستراتيجي السياسي . وهذه الاهمية لثروة النفط هذه تضمن وجود حليف قوي فعال الى جانب حركة التحرر الوطني العربية يقف معها بثبات في خندق واحد لما فيه مصلحة مشتركة لكليهما معا ولمجمل حركة التحرر والتقدم العالمية . أما إنعكاسات هذا كله على النزاع العربي — الاسرائيلي فهي واضحة جلية : انها توسع دائرة الصراع ضد اسرائيل والصهيونية بحيث لا تجعلها تقتصر على كونها مجرد نزاع قومي شوفيني بين عنصرين في المنطقة عنصر عربي وعنصر اسرائيلي صهيوني بل تجعل النزاع العربي — الاسرائيلي جزءا لا يتجزأ من حركة الصراع العالمي العام بين قوى الامبريالية وقوى التحرر وبين قوى الرأسمالية وقوى الاشتراكية وبين قوى الرجعية وقوى التقدم، وهذا ما يكسب حركة التحرر الوطني العربية حلفاء وأنصار على طول العالم وعرضه ليشكلوا معها جبهة عريضة تواجه جبهة حلفاء قوى الصهيونية العالمية التي هي جزء لا ينفصم من قوى رأس المال والامبريالية العالمية .

وكلمة اخيرة هنا : ان من يريد موقفا سوفييتيا اشد حزما في وجه الامبرياليين والاعيبهم في منطقتنا عليه ان يساعدهم في التخلص من الحاجة الى أموال هؤلاء الامبرياليين لاستغلال ثروات سيبيريا . وان من يريد أن يرى موقفا سوفييتيا أكثر تطابقا مع الموقف العربي الثوري والحق الفلسطيني في نزاعنا مع العدو الصهيوني وحلفائه الامبرياليين عليه ان يظهر بصورة ملموسة للسوفييت انه يتحسس مشاكلهم في استغلال سيبيريا واعمارها بصورة مادية ملموسة مثلما يتوقع منهم ان يتحسسوا آلامنا ومشاكلنا . ولذلك اذا أردنا أن يكون لثروة النفط العربي دور أكثر ايجابية وفعالية في دعم موقفنا وتقوية جبهتنا في نزاعنا مع الغازي الصهيوني وحلفائه الامبرياليين علينا أن نوجه جزءا من أموال النفط العربي الفائضة عن حاجة مجتمعاتنا لمساعدة الاصدقاء السوفييت في قهر سيبيريا وترويضها واستخراج خيراتها ليحولوها من ارض عقيم الى ارض معطاء مثلما نحلم ان تعود لنا أرضنا يوما معطاء خيرة !! وبذلك تغدو الصداقة العربية — السوفييتية صداقة حقيقية متبادلة بين طرفين ، وليست صداقة من طرف واحد ، وبذلك ايضا يتم ارساء أسس مادية متينة لتحالف مصيري وطيد يعيد المنطقة العربية الى قمة أولويات الاستراتيجية السوفييتية الكونية بعد أن تراجعت مكانتها بين هذه الاولويات في السنوات القليلة الماضية في ضوء النكسات والفشل النسبي الذي منيت به السياسة السوفييتية في منطقتنا . وبذلك ايضا تصبح ثروة النفط العربي في خدمة قضايانا القومية المصيرية مثلما ينبغي ان تكون في خدمة تنمية مجتمعاتنا العربية في مسيرتها نحو مستقبل افضل .

---

١ — نشرة « عالم النفط » في ١٩٧٤/٧/٢٧ .

٢ — المصدر ذاته ، ١٩٧٤/٢/٢ .

٣ — مجلة « النفط »
Petroleum Economist
عدد شباط (فبراير) ١٩٧٤ .

٤ — نشرة « عالم النفط » ، ١٩٧٤/٦/١ .

٥ — نشرة « عالم النفط » ، ١٩٧٣/١٢/٨ ، نقلا عن دراسة اعدتها عن النفط السوفييتي مؤسسة ايكونومست انتلجنس يونيت .

٦ — مجلة « النفط » ، عدد حزيران (يونيو) ١٩٧٤ .

٧ ــ نشرة « عالم النفط » ، ١٩٧٣/١٢/٨ .
٨ ــ المصدر ذاته .
٩ ــ المصدر ذاته .
١٠ ــ المصدر ذاته .
١١ ــ « مجلة النفط » عدد آذار (مارس) ١٩٧٤ .
عدد آذار (مارس) ١٩٧٤ .
١٢ ــ المصدر ذاته .
١٣ ــ المصدر ذاته .
١٤ ــ المصدر ذاته .
١٥ ــ نشرة « عالم النفط » ، ١٩٧٤/١/٢٦ .
١٦ ــ المصدر ذاته .
١٧ ــ « مجلة النفط » شباط (فبراير) ١٩٧٤ .
١٨ ــ نشرة « عالم النفط » ، ١٩٧٤/٣/١٦ .
١٩ ــ مجلة « النفط » شباط (فبراير) ١٩٧٤ .
٢٠ ــ « مجلة البترول والغاز » ، نيسان ١٩٧٤ .
٢١ ــ نشرة « عالم النفط » ، ١٩٧٤/٣/١٦ .
٢٢ ــ « مجلة النفط » عدد آذار (مارس) ١٩٧٤ .
٢٣ ــ نشرة « عالم النفط » ، ١٩٧٤/٣/٩ .
٢٤ ــ نشرة « عالم النفط » ، ١٩٧٤/٧/١٣ .
٢٥ ــ « مجلة النفط » عدد آذار (مارس) ١٩٧٤ .
٢٦ ــ نشرة « عالم النفط » ، ١٩٧٤/٧/٦ .
٢٧ ــ نشرة « عالم النفط » ، ١٩٧٣/١٢/٨ .
٢٨ ــ المصدر ذاته .
٢٩ ــ المصدر ذاته .
٣٠ ــ « مجلة النفط » عدد شباط ١٩٧٤ .
٣١ ــ « مجلة النفط » آذار (مارس) ١٩٧٤ .

٣٢ ــ لكي نفهم سر تهالك شركات النفط الامريكية على الحصول على الغاز من مصادره البكر والصعبة الاستغلال والمكلفة في سيبريا حري أن نعلم ان الولايات المتحدة الامريكية تستهلك حوالي ٥٥ ٪ من اجمالي استهلاك العالم من الغاز الطبيعي المسيل ، وهي أخذت في السنوات القليلة الماضية تعاني من عجز في مواردها المحلية من الغاز رغم ضخامتها واخذت تحتاج الى استيراد كميات متزايدة منه . فمثلا ، يقدر انتاج الولايات المتحدة الامريكية من غاز البروبان لعام ١٩٧٥ بحوالي ٢٥ مليون طن (١٣ مليار غالون) ولعام ١٩٨٥ بحوالي ٣٠ مليون طن (١٥ر٦ مليار غالون) . أما الطلب على غاز البروبان في عام ١٩٧٥ فيقدر بحوالي ٣٢ مليون طن (١٦ر٦ مليار غالون) وبحوالي ٥٤ مليون طن (٢٨ مليار غالون) لعام ١٩٨٥ . وهكذا يقدر العجز لعام ١٩٧٥ بحوالي ٧ ملايين طن ولعام ١٩٨٥ بحوالي ٢٤ مليون طن . كذلك يقدر انتاج الولايات المتحدة من غاز البوتان والمواد الاخرى التي يدخل البوتان في تركيبها بحوالي ١٤ مليون طن لعام ١٩٧٥ مقابل ١٦ مليون طن من الاستهلاك المتوقع ، اما عام ١٩٨٥ فيقدر الانتاج بحوالي ١٦ر٥ مليون طن مقابل ٢٧ر٥ مليون طن من الاستهلاك المتوقع . واذا أخذنا بعين الاعتبار الانتاج المتوقع لغاز البترول المسيل في العالم فمن المنتظر ألا يكفي الفائض من انتاج مختلف المناطق العالمية لسد حاجات الولايات المتحدة بعد عام ١٩٧٥ (نشرة « عالم النفط » ، ١٩٧٤/٧/٢٧) .
٣٣ ــ نشرة « عالم النفط » ، ١٩٧٤/٢/٩ .
٣٤ ــ نشرة « عالم النفط » ، ١٩٧٤/١/٢٦ .
٣٥ ــ مجلة « البترول والغاز العربي » ، نيسان ١٩٧٤ .
٣٦ ــ نشرة « عالم النفط » ، ١٩٧٤/٥/٢٥ .
٣٧ ــ نشرة « عالم النفط » ، ١٩٧٤/٣/٩ .
٣٨ ــ مجلة « البترول والغاز العربي » ، نيسان ١٩٧٤ .
٣٩ ــ « مجلة النفط » حزيران (يونيو) ١٩٧٤ ، ص ٢٠٥ .
٤٠ ــ المصدر ذاته .
٤١ ــ نشرة « عالم النفط » ، ٢٧ تموز ١٩٧٤ .
٤٢ ــ « مجلة النفط » عدد ايار (مايو) ١٩٧٤ .
٤٣ ــ « مجلة النفط » عدد نيسان ١٩٧٤ .
٤٤ ــ صحيفة « السفير » البيروتية ، ١٩٧٤/٦/٣
٤٥ ــ نشرة « عالم النفط » ، ١٩٧٤/٣/٣٠ .
٤٦ ــ مجلة « النفط » ، عدد آذار (مارس) ١٩٧٤ .
٤٧ ــ نشرة « عالم النفط » ، ١٩٧٤/٣/٣٠ .
٤٨ ــ المصدر ذاته .
٤٩ ــ مجلة « النفط » ، حزيران ١٩٧٤ .

النخبة السياسية في المجتمع العربي في فلسطين

الدكتور تيسير الناشف

كانت النخبة السياسية في فلسطين موضوع دراسة قدمها الباحث الفلسطيني ، تيسير الناشف ، للحصول على شهادة الدكتوراه من جامعة ولاية نيويورك في الولايات المتحدة عام ١٩٧٤ . وقد عالجت الدراسة نظرية النخبة ، والنخبة السياسية عند عرب فلسطين ، ثم عند يهود فلسطين ، ايام الانتداب البريطاني ، وانتهت بمقارنة بين النخبتين . وتنشر « شؤون فلسطينية » فيما يلي ترجمة القسم الثاني من الدراسة ، النخبة السياسية في المجتمع العربي في فلسطين في الثلاثينات والاربعينات . ولا شك ان الموضوع يثير نقاشا كثيرا . وقد يجد بعض القراء في هذا المقال ما يدعوهم الى الرد على الكاتب والحوار معه ومناقشته . وستكون صفحات المجلة ، كعادتها ، مفتوحة للنقاش الهادىء ، خاصة في موضوع مهم وجدير بالدرس كهذا الموضوع الذي تتميز دراسة الدكتور الناشف له ، من جملة مميزاتها ، انها الاولى من نوعها حتى الان . وهي تحفل بمعلومات واحصاءات واستنتاجات حرية جدا بالتأمل وبالاهتمام .

تكاثرت في العقود الاخيرة الدراسات عن المجتمعات الشرق أوسطية . وتناولت هذه الدراسات مجتمع الشرق الاوسط من زوايا متنوعة: سياسية ، وتاريخية ، واقتصادية ، وايديولوجية. وعلى الرغم من الدور الملموس الذي لعبته نخبة فلسطين العربية السياسية على المسرح الفلسطيني ، والذي لا تزال تلعبه حتى الوقت الحاضر ، فان موضوع هذه النخبة لم يأخذ قسطه من الدراسات السياسية عن الشرق الاوسط(١).

واني في وصفي لنخبة فلسطين العربية السياسية ، آثرت الوقوف عند حد موضوعي ، واعتبرت اعضاء الهيئة العربية العليا* بين ١٩٣٦ و١٩٤٨ نخبة فلسطين العربية السياسية في حدود اهتمامات هذه الدراسة . ومن الواضح ان هذا التحديد تعسفي ، اذ انه يستبعد اولئك الاشخاص في السلطة السياسية الذين لم يكونوا اعضاء في الهيئة العربية العليا . لكن هذا التأطير للنخبة ضروري طالما اننا عازمون على عدم اللجوء الى المعايير الذاتية في تحديد نخبة فلسطين العربية السياسية .

ان الفترة الزمنية التي تغطيها الدراسة هي حوالي ثلاثة عشر عاما ، بدءا من ١٩٣٦ — العام الذي أنشئت فيه اول لجنة عربية عليا — وانتهاء بالعام ١٩٤٨ عندما انتهى الانتداب البريطاني على فلسطين ، واعلنت اسرائيل . ولقد ضمت الهيئة العربية العليا في الفترة ما بين ١٩٣٦ و١٩٤٨ اثنين وثلاثين شخصا . وان اعتبارنا الهيئة العربية العليا نخبة فلسطين العربية السياسية انما يسوغه تعريف النخبة كما يمر به دارس موضوع النخبة في علمي السياسة والاجتماع نظريا . والنخبة السياسية وفق هذا التعريف تتكون من الاشخاص الذين يمتلكون ويمارسون السلطة السياسية بدرجة اعظم من دور بقية اشخاص مجتمعهم . وحين نقول

---

* كان اسمها منذ تأسيسها عام ١٩٣٦ « اللجنة العربية العليا » ، وأصبح اسمها « الهيئة العربية العليا » في ١٢ حزيران — يونيو ١٩٤٦ بعد حل اللجنة العربية العليا والجبهة العربية العليا ، وتشكيل هيئة موحدة ، نتيجة لمساعي جامعة الدول العربية .

« السلطة » فاننا نعني شبكة العلاقات المتبادلة بين الاشخاص ، تماما مثلما ان تصرف ممثل (او ممثلين) يعدل ويؤثر في تصرف ممثل آخر (او ممثلين) . وحين نقول « تصرف » او « سلوك » او « ممارسة » فاننا نعني اي تبديل في مكانة وموقع الشخص من وقت الى آخر(٣).

ونورد الان بعض المبادىء المتعلقة بـ « السلطة » كما يطرحها نراي . انه ينظر الى ميدان علاقات السلطة باعتباره « مجموعة مسلكيات الاشخاص الواقعين تحت التأثير كما يبدلها الاشخاص النافذون المؤثرون »(٤). وهكذا فان « ميدان السلطة » هو مجموعة الاشخاص الذين يتبدل سلوكهم بفعل تأثير النافذين في خلال نطاق معين »(٤). فوفق هذه المفاهيم ، يمكن القول ان اصحاب السلطة هم اولئك الاشخاص الذين يفعل سلوكهم في سلوك الاخرين ، اي الذين يقولب سلوكهم معظم المجال المسلكي لغالبية الاشخاص في مجتمع من المجتمعات .

لكن انتماء عدد من الاشخاص الى نخبة سياسية ما ، لا يعني ابدا ان السلطة السياسية المتاحة لاحد افراد النخبة تكون مساوية لسلطة فرد اخر في النخبة . اذ ان افراد النخبة — في اية جماعة نخبوية سياسية — يمارسون درجات متنوعة من السلطة السياسية حيال بعضهم بعضا . وان هذه الدراسة تنظر الى مفهوم النخبة السياسية باعتباره عاملا متغيرا ومستمرا . وبكلمات اخرى، ان هناك بالنسبة لدرجة قوة السلطة السياسية تسلسلا هرميا ، وعدة مستويات داخل نخبة ما من النخبات السياسية . ومن هذا ان نخبة فلسطين العربية السياسية ، كان اعضاؤها يمتلكون مقادير متفاوتة من السلطة السياسية . ويمكن تصنيف مراتب هؤلاء الاعضاء في مستويات التسلسل الهرمي ، بناء لمستوى السلطة المتاحة لكل منهم . اضف الى ذلك ، ان هناك على الدوام ، تبادلا في التأثير بين المستويات الاقوى والمستويات الاضعف في اية نخبة سياسية(٥).

وكما قررنا من قبل ، فان افراد نخبة فلسطين العربية السياسية يعتبرون كذلك ، ويأخذون هذا الوزن ، على ضوء عضويتهم في الهيئة العربية العليا . لكن ينبغي ان يكون جليا تماما ان اقتصار حديثنا على هذه « الهيئة » باعتبارها « النخبة » ، لا ينفي ابدا وجود افراد نخبة اخرين خارجها في مجتمع فلسطين العربي . الا ان « الهيئة » ، كانت الاقوى سياسيا ، بين النخبات السياسية المتعددة في مجتمع فلسطين العربي . وهذه « الهيئة » كانت الصانعة لقرارات سياسية حاسمة ، ولعبت دورا سياسيا حاسما في المجتمع العربي اثناء الفترة الزمنية التي تتناولها الدراسة .

وتهتم الدراسات النخبوية بجوانب شتى ، كما تعالج العلاقات المتبادلة بين القادة وبين المجتمع . ولو سرنا على نهج هارولد لاسويل وغيره من دارسي قضية القيادة ، واعتبرنا تكوين النخبات السياسية انعكاسا لتركيب المجتمع ومناقبه ، فان دراسة القادة السياسيين العرب في فلسطين ، كفيلة بان تلقي اضواء كاشفة على مجتمعهم . وبالاضافة الى ذلك ، وانطلاقا من فرضية التفاعل الثابت والمستمر بين تكوين النخبة وبين النظام السياسي ، فان اية تحولات في هذا الجانب ستعكس تحولات في الجانب الاخر .

ان اعضاء النخبة السياسية هم في العادة اكثر قطاعات المجتمع البارزة نشاطا واهمية ، ولهذا فانهم يؤثرون بدرجة عظيمة في العمليات الاجتماعية والسياسية الدائرة في المجتمع . وان دراسة النخبات السياسية ، توفر عددا متنوعا من التفسيرات للظاهرة السياسية . كما يتيح التحقيق في الجذور الاجتماعية والخصائص الخلفية لافراد النخبة السياسية ، تفسيرا عاما لمسلكيتهم السياسية ، ويكشف العلاقات التبادلية بين المجتمع من ناحية ، والعمليات السياسية من ناحية ثانية .

وسنحاول الكشف عن العلائق بين نسبة التجدد والتبدل وبين كل من طبيعة سلطة النخبة ، والمخاطر السياسية ، والاستقرار المنهجي . وقد يمكن مثلا الكشف عن العلائق بين انماط ودرجات تجدد النخبة ، وبين مستويات الاستقرار السياسي . اضف الى ذلك كله ان هذه الدراسة سوف تطرح اسئلة وتبحث عن اجوبتها فيما يخص فعالية النخبة : — أي الى اي حد قام النظام السياسي العربي في فلسطين — بنجاح — بتربية واعداد قادة لتولي مسئولياتهم القيادية ؟ والى اي حد ساهم اسلوب الاختيار السائد في المجتمع العربي في تأمين

التكامل الاجتماعي وذلك بتوزيع الادوار بطرائق مرضية للافراد والجماعات وللمجتمع ككل ؟

وسنركز الان على تحليل منهجي للخلفيات الاجتماعية لنخبة فلسطين العربية السياسية ، وعملية تجددها . وستحلل الدراسة القيادة العربية على ضوء العوامل الاجتماعية مثل السن ،والمهنة، والتعليم ، والارتحال الى الخارج ، والهوية العائلية ، والانتماء الطبقي ، والسيرة السياسية، والهوية السياسية . وستستخدم هذه الدراسة الاساليب القائمة على التجريب والمسلكية . واننا عازمون على الرد على بعض الاسئلة ــ المفاتيح : من اية مصادر تفد العناصر القيادية في المجتمع العربي ؟ وما هي الوسائل والاساليب التي يلجأ اليها القادة السياسيون ليحتلوا منزلة النخبة وليحافظوا بعدئذ على هذه المنزلة ؟ وما هو مدى التعاون و / او الصراع داخل النخبة السياسية؟ وماذا تكون مشاربهم وتوجهاتهم في الحياة بعد ان يغادروا مواقعهم القيادية ؟ ونقول بكل ايجاز ان الدراسة سوف تركز على منابع وانماط تجنيد الاعضاء ، والتماسك ، والاستراتيجيات ، والسيطرة وتنظيم القيادات العربية . وان هذه العناصر هي العوامل التي تشكل ما يسمى في الغالب « تجدد النخبات وتبدلها » .

على ان كاتب هذه السطور ، في محاولته ربط الصفات الاجتماعية الخلفية لافراد النخبة العربية بتصرفاتهم السياسية ، قد آلى على نفسه الا ينساق وراء تخمينات غير ثابتة ، او رسم علاقات مفروضة او قسرية بين متغيرات الخلفية الاجتماعية للنخبة ، وبين توجهاتها السياسية .

ولقد كان من العسير جمع البيانات الضرورية عن سيرة حياة اعضاء النخبة العربية في فلسطين التي تحتاجها هذه الدراسة ، واستخدمنا لهذا شتى الاساليب لجمع المعلومات . فلقد حصلنا على بعض المعطيات من الرجوع الى المراجع المختلفة حول النخبة العربية ، كالموسوعات ، والكتب السنوية ، قواميس السيرة الشخصية ، و « الدليل » المتعلق بفلسطين والشرق الاوسط . كما ان بعض المعلومات استقاها الكاتب من مقابلات شخصية اجراها ، او مراسلات قام بها ، مع عدد من القادة العرب المقيمين في عدة انحاء من الشرق الاوسط . كما ان المعلومات المتعلقة بسير الاشخاص توفرت لنا من المنشورات الرسمية لحكومة فلسطين في ظل الانتداب البريطاني . كما كان الارشيف الاميركي الوطني في واشنطن ذا عون كبير كمصدر جيد للمعلومات . كما كانت الصحف والمجلات باللغات الإنجليزية والفرنسية والعربية ، المنشورة في الشرق الاوسط وفي الغرب ، ذات قيمة كمصدر لتقديم نبذات معينة عن السير الشخصية للزعماء .

وفي حالات قليلة، تبين لنا وجود اخطاء ومفارقات في النبذات التي قدمتها المصادر المنشورة حول سير حياة افراد النخبة العربية . وفي مثل هذه الحالات كان لزاما علي الرجوع الى اكبر عدد ممكن من المصادر والمراجع لجمع اكبر كمية ممكنة من المعلومات والبيانات باللغات العربية والانجليزية والفرنسية ، لمقارنة المعلومات المتضاربة والتثبت منها ، تحقيقا للوصول الى اقصى درجة متاحة من الدقة والصحة في رواية الوقائع والاحداث .

السن ومدة تولي المركز(٦)

ان جميع اعضاء الهيئة العربية العليا لفلسطين، اشتركوا في العمل السياسي ، كما هو متوقع ، قبل توليهم مراكزهم السياسية في الهيئة . فان جميع اعضاء الهيئة العربية العليا شاركوا ، بدرجات متفاوتة ، اما في نشاط الحركات العربية في فلسطين ، او في الحركات القومية العربية على النطاق العربي العام ، من اجل الاستقلال ، او في كلا النوعين من الحركات . ومن المفهوم ان هذا النوع من المشاركة السياسية على الرغم من اهميته لا يمكن مضاهاته او موازنته بتولي مركز سياسي .

الجدول الرقم (١) العمر : معدل اجمالي

	سنوات
١ ــ معدل الاعمار لاعضاء الهيئة العربية العليا لفلسطين لدى قيامهم بأول دور سياسي	٣٥،٢
٢ ــ معدل الاعمار لاعضاء الهيئة العربية العليا لفلسطين لدى توليهم عضوية هذه الهيئة لاول مرة	٤٦،٤
٣ ــ معدل الاعمار لاعضاء الهيئة العربية العليا لفلسطين عند تركهم الهيئة	٥٠،٧

ان المعدل العام لاعمار افراد النخبة العربية السياسية في فلسطين ، عندما تولوا لاول مرة مناصبهم السياسية ، وهو ٣٥ر٢ سنة كما تبين في الجدول رقم (١) ، وهو معدل شاب سواء بالمقاييس المطلقة او النسبية ، وكان يمكن للمعدل العام للاعمار ان يكون ادنى من هذا واكثر فتوة ، لولا دخول بعض اعضاء الهيئة العربية العليا المحترفين الذين قضوا فترة طويلة نسبيا من الممارسات قبل توليهم المراكز السياسية لاول مرة.

ثم ان السن الصغيرة نسبيا التي دخل بها اعضاء الهيئة حياة فلسطين السياسية ، جعل معدل الاعمار في اللجنة الاولى ٤٦ر٤ سنة . وان التأخر في انشاء اللجنة العربية العليا حتى عام ١٩٣٦ ، بعد عقود من السنين شهدت كفاحا سياسيا لعرب فلسطين ، وهو الذي يفسر سبب هذا التباين بحوالي احدى عشرة سنة ، بين معدل عمر اعضاء اللجنة عند لعبهم اول دور سياسي ، وبين معدل عمرهم عندما اكتسبوا لاول مرة عضوية اللجنة العربية العليا لفلسطين .

وبينما كان معدل عمرهم عند انتسابهم الى اللجنة العربية العليا ٤٦ر٤ سنة ، فان معدل عمرهم في وقت مغادرتهم عضوية اللجنة كان ٥٠ر٧ سنة ، وهي سن متدنية نسبيا ، تعكس قصر المدة الزمنية للولاية . وينبغي ان نلاحظ انه بعد حل أول تشكيلة اللجنة ، في ايلول — سبتمبر ١٩٣٧ ، تشكلت اللجنة الثانية بعد مرور اكثر من ثمانية اعوام ، وذلك في تشرين الثاني — نوفمبر ١٩٤٥ . وبسبب الانقطاع في هذه الفترة الفاصلة بين ١٩٣٧ و ١٩٤٥ ، فان الفارق بين معدل العمر عند اكتشاف عضوية اللجنة لاول مرة ، وبين معدل العمر عند تركها ، زاد على اربع سنوات .

واذا عمدنا الى تحليل هذه المعطيات عن معدل عمر اعضاء اللجنة ، فاننا نكتسب قدرا من التبصر بنمط تجدد وتبدل نخبة فلسطين العربية السياسية. بعد ارتفاع لافت للنظر في معدل اعمار اعضاء اللجنة العربية العليا الى ٥٢ر٦ سنة ، في تشرين الثاني — نوفمبر ١٩٤٥ ، من المعدل السابق الشديد التدني في نيسان — ابريل ١٩٣٦ ، فان معدل العمر يشهد نزولا لدى تشكيل الهيئة العربية العليا في اذار — مارس وحزيران — يونيو ١٩٤٦. هذا النزول في معدل العمر مؤشر على عملية الرفد ، اي عملية وفود اعضاء جدد اصغر سنا من ابناء مجتمع فلسطين العربي وانضمامهم الى عضوية الهيئة .

الجدول الرقم (٢)

معدل العمر والتكوين الديني لاعضاء الهيئة العربية العليا لفلسطين

الهيئة	معدل العمر (بالسنوات)(٧)	مسلم	مسيحي	المجموع
٢٥/٤/ ١٩٣٦	٤٧ر٩	٩ — ٧٥ر٠ ٪	٣ — ٢٥ر٠ ٪	١٢
٢٠/١١/١٩٤٥	٥٢ر٦	١١ — ٨٤ر٦ ٪	٢ — ١٥ر٤ ٪	١٣
٣/ ١٩٤٦	٥٠ر٣	١٨ — ٨١ر٨ ٪	٤ — ١٨ر٢ ٪	٢٢
١٢/٦/ ١٩٤٦	٥٠ر٨	٩ — ٩٠ر٠ ٪	١ — ١٠ر٠ ٪	١٠

الجدول الرقم (٣)

معدل اعمار الاعضاء القدامى والجدد : في كل تشكيلة للهيئة

تشكيلة الهيئة	معدل اعمار الاعضاء السابقين	معدل اعمار العناصر الجديدة(٨)
٢٥ ابريل ١٩٣٦	٥٧ر١	٤٧ر٩
٢٠ نوفمبر ١٩٤٥	٥٤	٤٢
مارس ١٩٤٦	٥١ر٨	٤٦

الجدول الرقم (٤)

معدل العمر وفق الانتماء الديني في تشكيلات الهيئة

تشكيلة الهيئة	معدل العمر (بالسنوات) مسلمون	مسيحيون
ابريل ١٩٣٦	٤٧،١	٥٠،٠
نوفمبر ١٩٤٥	٥٦،١	٣٨،٥
مارس ١٩٤٦	٥١،٩	٤٢،٧
يونيو ١٩٤٦	٥٣،٢	٣٩،٠

ومن المجدي لتفحص عملية تجدد وتبدل نخبة فلسطين العربية السياسية ، النظر في الفوارق في معدلات الاعمار بين الالتحاقات القديمة والجديدة الى كل من الهيئات الثلاث الاخيرة . فكما يدل الجدول رقم ٣ ، ظهر فارق هائل بحوالي ١٥ سنة بين معدل عمر الاعضاء القدامى الذين احتفظوا بعضويتهم ، وبين العناصر الجديدة في تشكيلة تشرين الثاني — نوفمبر ١٩٤٥ للجنة . هذا الفرق في معدل العمر بين اعضاء التشكيلة السابقة للجنة، وبين الداخلين الجدد ، استمر بالظهور في تشكيلتي اذار — مارس وحزيران — يونيو ١٩٤٦ ، وان لم يكن بتلك النسبة الكبيرة كما كان في تشكيلة١٩٤٥. ان هذا الفارق دلالة على دخول دماء جديدة الى جسد نخبة فلسطين العربية السياسية .

وانه لمن المفيد ان نلاحظ انه بينما كان هناك اتجاه تصاعدي عام في معدل اعمار المسلمين ، كان هناك اتجاه تنازلي عام في معدل اعمار المسيحيين . (انظر الجدول رقم ٤) . وينبغي أن نلاحظ ان المعدل العام لاعمار المسيحيين في تشكيلة اللجنة عام ١٩٣٦ كان اعلى من معدل اعمار المسلمين ، اما في التشكيلات الثلاث التالية ، فان معدل اعمار المسلمين كان اعلى .

هذا الفارق بين معدل اعمار المسلمين والمسيحيين بين اعضاء الهيئة ، يمكن تبيانه بصورة اوضح باحتساب معدل العمر المتوسط لكل من الجماعتين. فبينما كان معدل عمر الاعضاء المسلمين في التشكيلات الاربع ٥٢،٨ سنة ، كان معدل عمر الاعضاء المسيحيين في هذه التشكيلات ٤٢،٦ سنة .

هذا التفاوت في السن ، يدل على ان عملية تغذية جسد النخبة السياسية بدماء جديدة شابة ، كانت تجري في اوساط المجتمع العربي المسيحي بنسبة اعلى من نسبتها في المجتمع العربي المسلم . ويمكن تفسير هذا الامر بحقيقة ان المسيحيين العرب كانوا اكثر تحديثا من المسلمين العرب . ويمكن القول بالمقاييس النسبية ، ان المسيحيين العرب كانوا اكثر تعلما ، واكثر « تمدنا » [اي الانتقال من حياة الريف الى حياة المدينة] ، واكثر تعرضا وتقبلا للافكار الخارجية، ويتمتعون بمستوى معاشي اعلى من المسلمين(٩). وبمقدار ما يعتبر تركيب السن للنخبة دليلا على استمرارية الاجيال ، فان النسبة الاكبر للفتوة المسيحية تعني ان الفجوة بين الاجيال ، بين النخبة والجماهير ، كانت في وسط المسيحيين اضيق من الفجوة في وسط المسلمين .

ومن الجدول رقم ٥ يتبين لنا ان المعدل العام لمدة ولاية اعضاء التشكيلات الاربع للهيئة العربية العليا ، هي بالمقاييس النسبية ، قصيرة للغاية : سنة واحدة وخمسة اشهر . من الواضح ان معدل مدة ولاية اعضاء الهيئة من المسلمين كان اطول بحوالي خمسة اشهر من معدل مدة ولاية الاعضاء المسيحيين ، ١٨ شهرا للاولين و ١٣،٣ شهرا للاخرين . هذا الفارق بين المعدلين يعبر عن مركزية الدور الاجتماعي والسياسي لمكانة المجتمع الاسلامي في فلسطين العربية ، حيال الدور السياسي والاجتماعي الاقل اهمية ، الذي لعبه العرب المسيحيون .

ولقد كان القصر الشديد للمعدل العام لمدة ولاية اعضاء الهيئة بغض النظر عن انتماءاتهم ، نتيجة لعدم الاستقرار في تكوين تشكيلات الهيئة . على ان هذا الافتقار الى الاستقرار ، كان بدوره نتيجة للاوضاع السياسية والاجتماعية التي عاناها عرب فلسطين اثناء فترة الانتداب البريطاني .

لا استقرارية الهيئة العربية العليا

ان التغير الذي اصاب عضوية الهيئة العربية العليا خلال الفترة الخاضعة لهذه الدراسة ، يكشف عن مدى التزعزع الذي احاق بتشكيلات الهيئة العربية العليا واسبابه . كانت اللجنة العربية العليا التي تشكلت في الخامس والعشرين

من ابريل ١٩٢٦ برئاسة الحاج امين الحسيني تتالف من عشرة رجال . وكان في اللجنة زعماء جميع الاحزاب الفلسطينيين العربية السياسية الستة ، وبعض الشخصيات الوطنية ، كان بينها شخصيات من العرب المسيحيين . وكان للحسيني او للحزب العربي الفلسطيني ثلاثة اعضاء احدهم الحاج امين نفسه ، وكان للنشاشيبي او لحزب الدفاع الوطني عضوان ، وكان لحزب الاستقلال عضوان ، واما بقية اعضاء اللجنة — وهم ثلاثة — فلقد كان كل منهم يمثل حزبا من الاحزاب الثلاثة الاخرى . وكان العضوان العربيان المسيحيان في اللجنة ، يعقوب فراج والفرد روك ، زعيمي طائفة الروم الارثوذكس والروم الكاثوليك في فلسطين .

وفي اخر شهر يونيو ١٩٣٧ جرى اغتيال فخري النشاشيبي ، الذي كان معارضا للجنة العربية العليا التي يسيطر عليها الحاج امين الحسيني ، كما كان زعيما منافسا لال الحسيني . وبالاضافة الى ذلك ، كان فخري ابن اخ عضو « اللجنة » راغب النشاشيبي ومشاركا في تأسيس حزب الدفاع الوطني المعادي للحسيني . وكان من رأي المراقبين المطلعين ان اللجنة العربية العليا كانت وراء عملية اغتيال فخري النشاشيبي . وفي اوائل يوليو ١٩٣٧ انسحب اثنان من اعضاء اللجنة العربية العليا ، وهما ممثلا حزب الدفاع الوطني ، راغب النشاشيبي ، ويعقوب فراج، احتجاجا على الضلع المزعوم للجنة في اغتيال فخري النشاشيبي(١٠). وعبر انسحابهما عن سخطهما على طريقة اللجنة بالتعامل مع خصومها السياسيين .

الجدول الرقم (٥)

مدة ولاية اعضاء الهيئة العربية العليا لفلسطين

	شهور
معدل مدة ولاية اعضاء الهيئة	١٧
معدل مدة ولاية اعضاء الهيئة من المسيحيين	١٣٫٣
معدل مدة ولاية اعضاء الهيئة من المسلمين	١٨

ونتيجة لاستقالة هذين العضوين من اللجنة ، ضم عضوان جديدان اليها : فؤاد سابا ومحمد عزة دروزة(١١). وينبغي ان نلفت النظر هنا الى حقيقة ان الانتماء الديني للعضوين الجديدين ، مماثل للانتماء الديني للعضوين المستقيلين ، فاحدهما مسيحي والاخر مسلم . ورغم ان العضوين المستقيلين كانا من حزب الدفاع الوطني ، الا ان العضوين الجديدين كانا مرتبطين بقوة بالطرف الحسيني ، الحزب العربي الفلسطيني . وان ضمهما رجح الكفة بقوة لصالح جماعة الحسيني في اللجنة العربية العليا لفلسطين .

وفي ٢٥ سبتمبر ١٩٣٧ جرى في الناصرة اغتيال ل. ي. اندروز حاكم لواء الجليل بالوكالة مع حارسه . وكان رد فعل السلطات البريطانية في فلسطين انها حلت اللجنة العربية العليا في اليوم التالي(١٢). ومنذ هذا التاريخ وحتى اعادة تشكيل اللجنة العربية العليا في نوفمبر ١٩٤٥ ، لم يكن هناك وجود رسمي للجنة العربية العليا . ولقد استأنفت الاحزاب العربية التقليدية نشاطها بصورة علنية ورسمية في اوائل ١٩٤٤ .

في نوفمبر ١٩٤٥ ، توجه جميل مردم، السياسي السوري ، الى فلسطين ممثلا لجامعة الدول العربية ليصالح الاحزاب الفلسطينية المتنابذة . ونجح اثناء وجوده في فلسطين باعادة تأسيس اللجنة العربية العليا . وكان معظم اعضاء اللجنة الجديدة الاثني عشرة التي تشكلت في ٢٠ نوفمبر ١٩٤٥ ، من حزب الحسيني او من انصاره . ولقد تكونت كما يلي : توفيق صالح الحسيني بديلا لاخيه جمال الحسيني الى حين عودة جمال من منفاه في روديسيا ، وفيق التميمي ، وكامل الدجاني ، واميل الغوري ، ويوسف صهيون ، وجميع هؤلاء من الحزب العربي الفلسطيني بزعامة الحاج امين الحسيني . وكذلك من راغب النشاشيبي ، وعوني عبد الهادي ، وحسين فخري الخالدي ، وعبد اللطيف صلاح ، ويعقوب الغصين، وهم زعماء الاحزاب الخمسة الاخرى ، واحمد عبد الباقي (المؤيد لحزب الاستقلال) بصفته « مستقلا » ، وموسى العلمي (المؤيد للحسيني) بصفته « مستقلا » ايضا . وبقيت رئاسة اللجنة شاغرة بانتظار عودة الحاج امين الحسيني . وحين عاد جمال الحسيني من المنفى في يناير ١٩٤٦ حل محل اخيه في عضوية اللجنة كرئيس للحزب العربي الفلسطيني ، وتولى قيادة اللجنة(١٣).

ونشب نزاع بين الاحزاب المختلفة حول تركيب

اللجنة ، وكان ذلك في مطلع ١٩٤٦ . ونتيجة لذلك الخلاف ، أعلن كل من حسين فخري الخالدي وراغب النشاشيبي وموسى العلمي وعبد اللطيف صلاح مقاطعة اجتماعات اللجنة ، وعقب ذلك قدموا استقالاتهم من عضويتها .

الجدول الرقم (٦)

أعضاء اللجنة العربية العليا لفلسطين (نيسان — ابريل ١٩٣٦) وانتماءاتهم الحزبية

الاسم	الانتماء الحزبي
أحمد حلمي عبد الباقي	حزب الاستقلال
عوني عبد الهادي	حزب الاستقلال
يعقوب فراج	حزب الدفاع الوطني
يعقوب الغصين	حزب مؤتمر الشباب العربي الفلسطيني
أمين الحسيني	الحزب العربي الفلسطيني
جمال الحسيني	الحزب العربي الفلسطيني
حسين فخري الخالدي	حزب الاصلاح
راغب النشاشيبي	حزب الدفاع الوطني
ألفرد روك	الحزب العربي الفلسطيني
عبد اللطيف صلاح	حزب الكتلة الوطنية

وفي مارس ١٩٤٦ اختار جمال الحسيني تشكيلة جديدة للجنة ، بحيث يكون لكل من الاحزاب الخمسة التقليدية ممثلان ، وسبعة ممثلين لحزب الحسيني ، واثنا عشر « مستقلا » ، كان معظمهم تقريبا من مساندي جماعة الحسيني . وردا على هذا ، اتخذ ممثلو الاحزاب الخمسة الذين اختارهم جمال الحسيني للانضمام الى عضوية اللجنة ، خطوة مشتركة ضد هذه السيطرة الحسينية على اللجنة . فرفضوا الاستجابة لدعوة جمال الحسيني ، ورفضوا عضوية اللجنة ، وأعلنوا عدم اعترافهم باللجنة . وفيما بعد ، شكل قادة الاحزاب الخمسة جماعة مضادة ، اطلقوا عليها اسم « الجبهة العربية العليا » ، اشترك في عضويتها ممثلو الاحزاب الخمسة .

وكان اعضاء الجبهة العربية العليا : حسين فخري الخالدي ، واحمد عبد الباقي ، وعوني عبد الهادي ، وراغب النشاشيبي ، ويعقوب الغصين ، وعبد اللطيف صلاح ، وسليمان طوقان . وفي هذا الوقت كانت اللجنة العربية العليا التي يسيطر عليها جماعة الحسيني ، تتكون من : رفيق التميمي ويوسف صهيون وكامل الدجاني واميل الغوري وجمال الحسيني فقط . ومع مرور الوقت انضم الى عضويتها اخرون : عزت طنوس ، وانور الخطيب ، واحمد الشقيري ، ويوسف هيكل ، وانطون عطاالله ، وسامي طه ، وفريج المصدر . وفي وقت لاحق انضم اخرون بينهم عمر بيطار وفريد العنبتاوي وفارس سرحان .

وفي يونيو ١٩٤٦ عقد مجلس جامعة الدول العربية جلسة طارئة في بلودان في سوريا لتكوين هيئة عربية عليا لجميع سكان فلسطين العرب ، ولوضع حد للنزاع بين اللجنة العربية العليا وبين الجبهة العربية العليا . ودعي ممثلو جماعة

الحسيني وممثلو الفريق الاخر الى بلودان للبحث في اعادة تأسيس تنظيم موحد يمثل كل عرب فلسطين . وبعد مشاورات ، قرر مجلس جامعة الدول العربية في ١٢ يونيو ١٩٤٦ تشكيل هيئة عربية عليا . وتكون التشكيل الجديد من أربعة اعضاء ، وتمثل فيه كل من اللجنة العربية العليا السابقة والجبهة العربية العليا السابقة على قدم المساواة .. وحفظت رئاسة الهيئة العربية العليا الجديدة للحاج امين الحسيني الذي سرعان ما وصل من فرنسا الى مصر لتولي المنصب . وكان تعيين الحاج امين رئيسا للهيئة ، من قبل مجلس جامعة الدول العربية ، يعني اعتراف «الجامعة» بالمفتي كقائد وزعيم لعرب فلسطين .

الجدول الرقم (٧)

تشكيل الهيئة العربية العليا لفلسطين في ١٢ حزيران — يونيو ١٩٤٦(١٤)

الاسم	الانتماء السياسي
الحاج امين الحسيني	من جماعة اللجنة العربية العليا
جمال الحسيني — نائب للرئيس	من جماعة اللجنة العربية العليا
اميل الغوري	من جماعة اللجنة العربية العليا
أحمد عبد الباقي	من جماعة الجبهة العربية العليا
حسين الخالدي	من جماعة الجبهة العربية العليا

وكانت الاهداف التي اعلنتها الهيئة هي : تنظيم عرب فلسطين داخليا وخارجيا ، ونشر المواد الاعلامية ، والحصول على أسلحة ومعدات استعدادا للحرب المتوقعة مع اليهود في فلسطين ، وتدريب اطارات في الناحية العسكرية . وانشأت الهيئة — من أجل متابعة تنفيذ هذه الغايات — مكاتب في القدس والقاهرة ودمشق وبيروت(١٥).

وبعد تشكيلها بضعة شهور ، ضمت الهيئة الى عضويتها خمسة اعضاء جدد هم: معين ماضي، وعزة دروزة ، ورفيق التميمي ، واسحق درويش، والشيخ حسن ابو السعود(١٦).

التخصص الدراسي

ان أحد الاساليب المستخدمة لاكتشاف الوعي التنياسي لاية نخبة من حيث تقويمها للاولويات ، ولادراك طبيعة عوامل التحريك الاجتماعية — السياسية لاي نظام سياسي ، هو التحقيق في الخلفيات التعليمية لافراد النخبة . وحيث ان فلسطين العربية كانت بلدا ناميا ، فان لنوعية التخصص الدراسي لاعضاء النخبة ، اهمية اضافية فائقة اكثر مما يكون الوضع في البلدان المتقدمة .

ونقدم في الجدول رقم ٨ تصنيفا اجماليا لنواحي التخصص الدراسي على مستوى الكليات والجامعات ان قلة من اعضاء « الهيئة » حصلت على اكثر من درجة علمية واحدة في الميدان نفسه ، ان تجاوز حقلين او أكثر من ميادين التخصص وعلى سبيل المثال ، القانون والعلوم السياسية ، دلالة على ان عضو الهيئة يحمل درجة علمية او اكثر في كل ميدان من الميادين .

وكما هو الحال مع النخبات السياسية في بلدان نامية اخرى ، فان دراسة القانون هي الاوسع نطاقا وشعبية بين ميادين التخصص لدى نخبة فلسطين العربية السياسية . فبين ستة عشر من اعضاء الهيئة العربية العليا من حملة الدرجات العليا كان تسعة منهم تخصصهم الوحيد هو القانون، وهكذا فان دراسة القانون هي التخصص الاوسع بين جميع التخصصات . وان الرقم ٩ قد يصبح

١١ اذا اضفنا عضوين اخرين يحملان درجات علمية في القانون وميادين اخرى غير القانون . وعلى هذا تصبح النسبة المئوية للمحامين الاحد عشر ٤٣ر٣ ٪ من مجموع أعضاء الهيئة بين ١٩٣٦ و١٩٤٨ . وان هذا الحضور القوي بنسبة عالية لرجال القانون بين اعضاء الهيئة ، يعكس فعالية اللااختصاصيين اكثر من الاختصاصيين في النظام السياسي لفلسطين العربية .

على أنه قد يكون هناك تفسير اخر لهذه الظاهرة ، وهي ان الامر يعكس المنزلة المحترمة للمؤسسات القضائية والهيئات القانونية ، ودلالة على وجود التقاليد التشريعية في المجتمع العربي . وعلى أي حال فانها شاهد على المكانة العالية نسبيا التي كان ينظر بها الى رجال القانون والمحامين في فلسطين العربية . وكان هناك تقدير خاص لميدان القانون لعدة اسباب . فمنذ عقود من السنين والمحامون في فلسطين العربية يواجهون منافسة . ويسعى الكثير من الشبان الطموحين من أبناء اسر الطبقة العليا الى تحقيق مكانة اجتماعية ارقى وتقدير خاص ، متسلحين بمهنة القانون .

ولقد كتب بندا يقول ان التخصص في الميادين الانسانية والقانونية « يشكل كما يبدو ارضاء — او اشباعا — لمستوى المكانة في المجتمع وفق تقاليد المجتمعات النامية »(١٧). اضف الى ذلك ان الكثير من اسر الطبقات العليا كانوا يبعثون بابنائهم لدراسة القانون والتدريب على المحاماة كي يتولوا حماية أعمال الاسرة المالية ومصالحها التجارية والعقارية ، وكذلك من أجل ان يكونوا ممثليها في الميدان السياسي بعد تخرجهم . كما أن طلاب القانون ادركوا جيدا — وكذلك اسرهم — الفرص العظيمة المتاحة في الحكومة والادارة للمتخصصين في هذا الحقل . وكانت هذه الاسر تنظر الى دراسة القانون على أنها أشد أنواع المؤهلات العلمية ملاءمة لتولي المراكز السياسية والمناصب الادارية. وهذه النظرة ، جعلت المحامين في المجتمع العربي الفلسطيني يشعرون بأنهم افضل الخريجين لتولي المراكز السياسية ، وان مجتمعهم ينظر اليهم كذلك فعلا . وبهذا المفهوم ، يمكننا اعتبار طلاب القانون كجماعة نخبة محتملة .

لقد كان هناك شعور بشدة الحاجة الى دراسة القانون في فلسطين حيث تعززت اهمية الجدال القانوني دفاعا عن قضية العرب ومطالبهم في فلسطين . فكانت دراسة القانون ضرورية لاثبات بطلان وعد بلفور وخطل السياسة الخارجية البريطانية تجاه فلسطين والصهيونية . ومع أن فلسطين العربية كانت — كبلد نام — بأمس الحاجة الى المتخصصين في المجالات التقنية والمهنية الصناعية ، فان افراد الاغلبية الساحقة من أفراد النخبة السياسية العربية كانوا متخصصين في الميادين القانونية والانسانية(١٨).

ومن الجدير بالملاحظة ان كمية مواد الدراسات الانسانية في الميادين الدراسية للاعضاء ، كبيرة . وان هذا الامر يجد تفسيره في الوضعية الفريدة التي كانت فلسطين العربية تجتازها . فخلال فترة الانتداب البريطاني ، كان ابناء النخبة السياسية العربية في فلسطين منهمكين في النضال من اجل الاستقلال السياسي ، ومن أجل التعبئة ضد الصهيونية . وهكذا فان استغراق هذه النخبة في الشؤون السياسية ، يفسر سبب هذه النسبة المتدنية من المتخصصين في النواحي العملية من اجتماعية وطبيعية بين جميع اعضاء الهيئة . وقد يكون هذا الانهماك كفيلا كذلك بتفسير سبب

الجدول الرقم (٨)

التخصص الدراسي لاعضاء الهيئة العربية العليا لفلسطين : تصنيف عام لميادين التخصص(١٩)

ميدان التخصص	العدد	النسبة المئوية
القانون	٩	٢٨٫١
القانون والعلوم السياسية	١	٣٫١
القانون والعلوم السياسية والتاريخ	١	٣٫١
التاريخ	١	٣٫١
الطب	٢	٦٫٣
التجارة	١	٣٫١
الهندسة	١	٣٫١
لا يحملون درجات علمية	١٦	٥٠٫٠
المجموع	٣٢	١٠٠٫٠

الجدول الرقم (٩ ــ أ)

التخصص الدراسي لحملة الدرجات العلمية بين اعضاء الهيئة العربية العليا لفلسطين في جميع تشكيلاتها

التشكيلة	اجمالي الاعضاء		الخريجون من الاعضاء		الاعضاء غير المؤهلين	
	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية
١٩٣٦/ ٤/٢٥	١٢	١٠٠	٥	٤١٫٦	٧	٥٨٫٤
١٩٤٥/١١/٢٠	١٣	١٠٠	٨	٦١٫٦	٥	٣٨٫٤
مارس ــ آذار ١٩٤٦	٢٢	١٠٠	١٣	٥٩٫٠	٩	٤٠٫٩
١٩٤٦/ ٦/١٢	١٠	١٠٠	٤	٤٠٫٠	٦	٦٠٫٠

الجدول الرقم (٩ ــ ب)

التشكيلة	الطب		القانون[٢٠]		القانون والعلوم الاجتماعية[٢١]		الهندسة		التجارة	
	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية	العدد	النسبة المئوية
١٩٣٦/ ٤	١	٨٫٣	٢	١٦٫٧			١	٨٫٣	١	٨٫٣
١٩٤٥/١١	١	٧٫٧	٤	٣٠٫٨	٢	١٥٫٤	١	٧٫٧		
١٩٤٦/ ٣	٢	٩٫٠	٧	٣١٫٨	٣	١٣٫٦	١	٤٫٥		
١٩٤٦/ ٦	١	١٠٫٠	١	١٠٫٠	٢	٢٠٫٠				

هذا الاعتماد شبه الكامل لجميع تشكيلات «اللجنة» ثم « الهيئة » ، على خدمات اللامتخصصين ــ المحامين ــ السياسيين ــ « الادبيين » ، حيث كان هؤلاء اللامتخصصون يشكلون ثلاثة ارباع حملة الدرجات العلمية بين الاعضاء وحيث انهم كانوا قادة لحركة وطنية تناضل من أجل الاستقلال السياسي ، فان التنمية الاجتماعية ــ الاقتصادية لم تكن تحتل المرتبة الاولى في سلم الاولويات في برنامجهم .

ان التدقيق في نواحي تخصص اعضاء مختلف التشكيلات الاربع « للجنة » ثم الهيئة العربية العليا ، يكشف عن نتيجة وصلنا اليها فعلا . ان الجدول رقم ٩ يبين هيمنة المحامين على تشكيلات اللجنة العربية العليا ثم الهيئة العربية العليا ، في اعوام ١٩٣٦ و ١٩٤٥ ومارس ١٩٤٦ مع بعض التقلبات . ان تطورات القوى النسبية للتخصصات الدراسية لاعضاء الهيئة ، كما يبينها الجدول رقم ٩، تؤكد التقدير الذي سبق لنا ذكره . وان احتواء الهيئة العربية العليا عددا كبيرا من المحامين في عضويتها باستمرار ، دلالة على بقاء الاتجاه القانوني القوي لثقافة عرب فلسطين في غضون الفترة التي تشملها الدراسة . ان هذه واحدة من ابرز النتائج اهمية .

مستوى التعليم: كان التعليم العالي في السلطنة

العثمانية ، الى حد ما ، شرطا ضروريا للقبول في الوظائف الادارية والتشريعية والدينية . وعلى هذا فان التعليم كان عاملا في التحريك الاجتماعي والسياسي .

وكان التعليم العالي في فلسطين العثمانية ، وحتى الحرب العالمية الاولى ، في متناول النخبات السياسية والاجتماعية والاقتصادية بشكل اساسي(٢٢). وبالغالب اتيح للشبان الميسورين ان يشقوا طريقهم الى مستويات التعليم الاعلى . وكانت لاقتصار التعليم على الاسر الثرية تاثيرات اجتماعية عميقة . وكانت هناك هوة واسعة بين النخبة الاجتماعية والسياسية من ناحية ، وبين الجماهير من ناحية ثانية . كما ساهم نظام التعليم الذي كان مطبقا في عهد العثمانيين ، في توسيع وتعميق هذه الهوة القائمة اصلا . ولقد شقت هذه المسألة المجتمع العربي الفلسطيني المزق أصلا، الى طبقتين وفق المستوى التعليمي . وبرغم وجود عدة صدوع وشقوق تبعا للعوامل الاجتماعية المتباينة ، فان اتساع الشقة بين القلة المتعلمة من جهة ، وبين الاكثرية السكانية غير المتعلمة، كان احد أبرز الملامح المنظورة لمجتمع فلسطين العربي في ظل الحكم العثماني .

وبقيت الاسر الثرية في ظل الانتداب البريطاني تتمتع بقسط من التعليم العالي ، وهو قسط لم يكن يتناسب ابدا مع قوتها العددية . انما، وعلى نقيض ما كان أيام العثمانيين ، فان نطاقا اوسع من الطلبة من الاسر الاقل ثراء ونفوذا ، بدأت بالانتفاع من التعليم العالي في الجامعات والكليات في زمن الانتداب(٢٣). وهكذا لم يعد التعليم محصورا في دائرة ضيقة من الجامعات المتنفذة اجتماعيا ، على أننا يجب الا نفهم من هذا ابدا، ان هذا التغير في حقل التعليم في زمن الانتداب البريطاني قد ردم الفجوة الشديدة الاتساع بين مستويي المجتمع تبعا لمستوى التعليم . وبمقدار ما كان التعليم وسيلة للتحريك الاجتماعي ، فان الاتجاه نحو السماح لاشخاص من الاسر الاقل نفوذا ليستفيدوا من امكانية الدراسة الجامعية ، كان يعني توسيعا للشرائح الاجتماعية المتحركة من السكان .

الجدول الرقم (١٠)

المستوى التعليمي : العدد الاجمالي

المستوى	العدد	النسبة المئوية
حملة شهادة ب.ع. بين اعضاء الهيئة(٢٤)	١٠	٣١
حملة شهادة م.ع. بين اعضاء الهيئة	٢	٦
حملة شهادة دكتوراه طب(٢٥)	٤	١٢
أعضاء لم يستكملوا دراستهم الجامعية	٣	١٠
أعضاء لم يدخلوا الجامعة	١٣	٤١
المجموع	٣٢	١١٠

الجدول الرقم ١١ : المستوى التعليمي في كل من تشكيلات الهيئة العربية العليا(٢٦)

التشكيلة	اجمالي الاعضاء	حملة الشهادات الجامعية العدد	النسبة	ب.ع. العدد	النسبة	م.ع. العدد	النسبة	الدكتوراه العدد	النسبة
٤ /١٩٣٦	١٢	٥	٤١٫٦	٤	٣٣٫٣			١	٨٫٣
١١/١٩٤٥	١٣	٨	٦١٫٦	٥	٣٨٫٥	٢	١٥٫٤	١	٧٫٧
٣ /١٩٤٦	٢٢	١٣	٥٩٫٠	٧	٣١٫٨	٢	٩٫٠	٤	١٨٫٢
٦ /١٩٤٦	١٠	٤	٤٠٫٠	١	١٠٫٠	٢	٢٠٫٠	١	١٠٫٠

وكما يشير الجدول رقم ١٠ ، فان ٥٩ بالمئة من اعضاء الهيئة العربية العليا ، الذين كانوا بين ١٩٣٦ و١٩٤٨ ، اكتسبوا شيئا من الدراسة الجامعية او مستوى الكليات . وبين هؤلاء كان ٥٠ بالمئة يحملون شهادات جامعية . لكن المعلومات المتوافرة بين ايدينا لا تلقي اية اضواء على ما اذا كان الثلاثة الاخرون قد تخرجوا فعلا من معاهدهم الدراسية .

ولقد كان مهما بالنسبة الينا لو اننا قدمنا مقارنة بين المستوى التعليمي للنخبة السياسية العربية في فلسطين ، وبين بقية سكان فلسطين العرب . ولكن ، نظرا لقلة المعلومات المتعلقة بمستويات التعليم لعرب فلسطين ، فان هذه المقارنة غير ممكنة . ان المقابلة بين النخبة وبين شعبها على ضوء العوامل الخلفية، وسيلة تستخدم لمعرفة الشخصية التمثيلية للنخبة . وعلى أي حال ، ان اللاتمثيلية ليست بالضرورة مصدر توتر بين النخبة وبين المجتمع ، ولا هي بالضرورة مؤشرا على نقص الشرعية السياسية للنخبة . وان المقارنة بين مستوى تعليم النخبة العربية وبين نسبة انتشار الامية بين عرب فلسطين توضح ان افراد النخبة العربية لم يكونوا من الوجهة التعليمية قياسا تمثيليا لمجتمعهم ، اذ بينما كانت الامية منتشرة على نطاق واسع ، كان ثلاثة اخماس ابناء النخبة السياسية ، على الاقل ، يحملون شهادات جامعية(٢٧).

لعل من المفيد في هذا المجال ، ان نضع تشكيلات الهيئة الاربع تحت الضوء ، لرسم بعض ملامحها التكوينية بالقدر الذي يهم دراستنا للمستوى التعليمي . ان نسب حملة الشهادات الجامعية بين اعضاء الهيئة ، برقم تذبذبها ، كانت على الدوام وفي جميع التشكيلات مرتفعة بصورة واضحة . وان نسبة ٦١٫٦ ونسبة ٥٩٪ على وجه الخصوص، اللتين تمثلان حملة الشهادات الجامعية في تشكيلتي نوفمبر ١٩٤٥ مارس ١٩٤٦ ، هاتان النسبتان هما في ذاتهما شهادة على مدى اتساع الفجوة بين الاغلبية السكانية العربية الامية في فلسطين، وبين المستوى التعليمي للنخبة السياسية .

وعلى وجه العموم ، تزايدت نسبة حملة شهادات الدراسات العليا ، اي م. ع. والدكتوراه والطب بصورة مستمرة على مدار السنين . ومن الجلي تماما ان هذا التزايد دلالة واضحة على ارتفاع المستوى التعليمي لاعضاء الهيئة العربية العليا لفلسطين بمرور الزمن .

ومما يلفت النظر ان نسبة عدد الاعضاء الذين يحملون درجات تعليمية جامعية ، قد تدنت في التشكيلة الاخيرة للهيئة . ويعود سبب هذا التدني جزئيا الى ان هذه التشكيلة جرى اختيار اعضائها من قبل مجلس جامعة الدول العربية . فالمجلس — باعتباره عنصرا خارجيا — لم يراع عند اقامته هذه الهيئة واختيار اعضائها ، سوى مقاييس سياسية معينة ، على الارجح ، وكان الامر سيختلف لو ان الاختيار جرى ضمن اطار داخلي ومن قبل القيادة الفلسطينية العربية السياسية وحدها . فاذا استثنينا هذه التشكيلة الاخيرة من تشكيلات الهيئة العربية العليا للاسباب التي اوضحناها الان ، فان الصورة العامة تمثل ارتفاعا مستمرا في نسبة الاعضاء من حملة الدرجات الجامعية ، وارتفاعا مستمرا كذلك في مستواهم التعليمي .

مكان الدراسة : كان ١٦ عضوا من اعضاء الهيئة العربية العليا ، يحملون ٢٢ درجة في التعليم العالي . ولقد عرفنا المعاهد التي منحت ١٩ درجة من هذه الدرجات . وبما ان الاهتمام هنا يتركز على مكان الدراسة ، فاننا لم نحسب في هذه القائمة الدرجات العلمية الثلاث المجهولة المكان .

من بين الدرجات العلمية التسعة عشرة ، اثنتا عشرة منها ، اي ٦٢ بالمئة من المجموع ، صادرة من ثلاثة بلدان في الشرق الاوسط : لبنان وفلسطين(٢٨) وتركيا ، ومن كل من هذه البلدان عدد متساو مع خريجي البلد الآخر . وان الدرجات العلمية السبع المتبقية ، اي ٣٦٫٨ بالمئة ، حصل عليها اعضاء الهيئة من دول الغرب ، من فرنسا وبريطانيا والولايات المتحدة . ومما لا ريب فيه ان الشخصيات العربية المعنية بالدراسة — كغيرها — تعرضت ابان دراستها في الدول الغربية او في الجامعة الاميركية في بيروت ، الى تأثيرات تحديثية. وكانت حصة الجامعة الاميركية في بيروت ، وجامعة اسطنبول ، ومعهد الحقوق في فلسطين — عالية

الجدول الرقم ١٢ : تصنيف لمعاهد وبلاد الدراسة

لبنـــان	فلسطين	تركيـــا	فرنسا	بريطانيا	الولايات المتحدة
٤ — ٢١٪	٤ — ٢١٪[٣٩]	٤ — ٢١	٣ — ١٥،٨٪	٢ — ١٠،٥٪	٢ — ١٠،٥٪
٤ — الجامعة الاميركية في بيروت	٤ — معهد الحقوق في فلسطين	٤ — جامعة اسطنبول	١ — جامعة ليون ٢ — جامعة باريس	١ — جامعة كمبردج ١ — جامعة لندن	٢ — جامعة سينسناتي

بدرجة متساوية ، بالنسبة لحصة بقية الجامعات ومعاهد الدراسة العليا التي تخرج منها اعضاء الهيئة (الجدول الرقم ١٢) . وان السبب البارز في هذا هو قرب وسهولة الوصول الى القـــدس وبيروت واسطنبول . ولم تخلق الدراسة في جامعة اسطنبول اية مشكلة لغوية لاعضاء الهيئة الاربعة الذين درسوا في تركيا . فكون هؤلاء قد ولدوا في الثمانينات من القرن الماضي ، يعني انهم عاشوا عقدين او ثلاثة عقود من الزمن في ظل السلطنـــة العثمانية ، وانهم كانوا على الارجح قد اكتسبوا الماما حسنا باللغة التركية . ولقد تمتعت الجامعة الاميركية في بيروت بمقدار كبـــير مـــن الاعتبار والاحترام ، وربما كان ذلك بسبب قدمها نسبيا . وان لهذه الجامعة منزلة رفيعة تقليدية نظـــرا لمساهمتها في احياء اداب العرب ، وبعثهم الثقافي، ونهضتهم الوطنية . اضف الى ذلك ان هـــذه الجامعة حققت مكانتها الرفيعة بسبب كتابة وجدارة مستوى هيئتها التعليمية التي تتالف الى حد بعيد من اساتذة محليين من ذوي الثقافة الغربية ، او من أساتذة غربيين ، ومن ضمنهم الاميركيون .

اللغات : كانت اللغة العربية اللغة الام لجميع اعضاء الهيئة . وبالاضافة الى اللغة العربية كان عدد من اعضاء الهيئة يجيدون لغة اخـــرى او لغتين ، من الانجليزية والفرنسية والتركية (انظر الجدول رقم ١٤) . لقد كانت فلسطين طيلة قرون خلت ، وحتى العام ١٩١٧ ، جزءا من السلطنة العثمانية حيث كانت اللغة التركية اللغة الرسمية. أن كون تسعة من اعضاء الهيئة يجيدون التركية ، دلالة على التاثير الذي لعبه العنصر التركي في السلطنة العثمانية على الشعب العربي ، كمـــا يعكس مدى تغلغل الثقافـــة التركية بين عـــرب فلسطين . ومن الطبيعي ان الذين أجادوا اللغة التركية ، تعلموها قبل انهيار الحكم العثماني في فلسطين في العام ١٩١٧ . ومع ان احد الاعضاء التسعة الذين عرفوا اللغة التركية ، كان مـــن ١٩٠٨ ، فان الثمانية الاخرين ولدوا قبل ١٩٠١ ، مما يعني ان اعمارهم كانت قد تجاوزت — في الحد الادنى — السبعة عشر عاما ، عند انهيار الحكم العثماني ، وان هؤلاء الاعضاء تعلموا اللغـــة التركية في الفترة السابقة لسنة ١٩١٧ بالطبع .

ومن ناحية ثانية ، ان معرفة اللغتين الانجليزية والفرنسية من جانب ١٤ عضوا للاولى ، وخمسة اعضاء للثانية ، شهادة على التأثيرات الثقافية الانجليزية والاميركية والفرنسية بين العرب . اذ كانت هناك مدارس اميركية وبريطانية وفرنسية في فلسطين ، وفي القدس على وجه الخصوص ، حيث درس اعضاء الهيئة . وكان بعض هذه المدارس تابعا لجمعيات ارسالية . كما درس اعضاء الهيئة في الجامعة الاميركية في بيروت ، وارتحلوا كذلك الى الغرب طلبا للتعليم العالي . والواقع ان فلسطين شهدت كما الشرق كله ، تنافسا قويا بين الثقافتين الفرنسية والانجليزية — الاميركية . وكان طبيعيا ان الحكم البريطاني لفلسطين الذي استمر نحـــو ثلاثة عقود ، قد ادى الى انتشار النفوذ الثقافي البريطاني وتأثيراته في مجال التربية والتعليم .

الجدول الرقم (١٣)

تصنيف لاعضاء الهيئة على ضوء عدد اللغات التي يتقنونها بما في ذلك اللغة العربية

اللغات المعروفة	عدد أعضاء الهيئة الذين يعرفونها	النسبة المئوية
لغة واحدة	١٢	٣٧٫٥
لغتان	١٣	٤٠٫٦
ثلاث لغات	٦	١٨٫٧
أربع لغات	١	٣٫١
المجموع	٣٢	١٠٠٫٠

الجدول الرقم (١٤)

اللغات الاجنبية التي يعرفها أعضاء الهيئة العربية العليا لفلسطين

اللغة	عدد أعضاء الهيئة الذين يجيدونها	النسبة المئوية
الانجليزية	١٤	٤٣٫٧
التركية	٩	٢٨٫١
الفرنسية	٥	١٥٫٦

وهكذا كان بوسع النخبة العربية السياسية في فلسطين ، ان تقيم اتصالات سريعة مع الشعوب الناطقة بالانجليزية والفرنسية والتركية ، لالمامها بهذه اللغات . ولقد نقل اعضاء الهيئة وجهات نظرهم الى هذه الشعوب . وكانوا — عبر الانجليزية والفرنسية — معرضين للقيم الغربية والثقافة الغربية، كما كانوا مطلعين على التطورات السياسية التي تعنيهم .

ولم يكن هناك اي انقطاع وانعزال بين النخبة العربية ، وبين بقية ابناء الشعب ، من الزاوية اللغوية . ذلك انه لم تكن هناك اية اقلية لغوية بين اوساط الشعب العربي الفلسطيني ، وكانت اللغة العربية معروفة من قبل جميع العرب . اضف الى ذلك انه كانت هناك عزلة لغوية بين اليهود والعرب في فلسطين . وكان تعداد سكان فلسطين في ديسمبر ١٩٤٣ ، ١٫٦٧٦٫٥٧١ شخصا، اذا استثنينا طبعا افراد القوات البريطانية(٣٠). وبين هؤلاء السكان كانت اليهودية ديانة ٥٠٢٫٩١٢ شخصا(٣١). ومن المنطقي ان نفترض ان اغلبية السكان اليهود في فلسطين كانت تعرف اللغة العبرية . ان الكثير من المنشورات اليهودية السياسية والحزبية في فلسطين وفي باقي انحاء العالم ، كانت تصدر باللغة العبرية . وان البيانات المتوافرة لنا تذكر انه لم يكن اي من افراد النخبة العربية يعرف العبرية . وهذا يعني ان القيادة السياسية العربية في فلسطين لم تكن قادرة على التعرف على الوجود اليهودي في فلسطين من خلال المصادر الاولية العبرية . ومن الجلي ان هذا النقص في معرفة اللغة العبرية ، كان عائقا امام النخبة العربية ، وخسارة لها .

الارتحال الى الخارج

كانت للنخبة العربية السياسية في فلسطين اتصالات واسعة وسريعة بكثير من البلدان في الشرق والغرب . ويوضح الجدول الرقم ١٥ البلدان التي زارها اعضاء الهيئة . ولم ندرج في الجدول البلدان التي هي مواطن ولادة الاعضاء ، ومن الجدير بالإشارة ، ان جميع اعضاء الهيئة من مواليد فلسطين ، باستثناء عضو واحد مولود في لبنان .

الجدول الرقم (١٥)

تصنيف للنخبة العربية السياسية من زاوية عدد البلدان التي زاروها

عدد البلدان	عدد أعضاء الهيئة الذين زاروها	النسبة المئوية
لم يزوروا أي بلد	٤	١٢٫٥
بلد واحد الى خمسة بلدان	٢٠	٦٢٫٦
ستة بلدان الى تسعة بلدان	٥	١٥٫٦
أحد عشر بلدا الى ثلاثة عشر بلدا	٢	٦٫٢
سبعة عشر بلدا	١	٣٫١
المجموع	٣٢	١٠٠٫٠

ويتضح من الجدول رقم ١٥ ان كل عضو من اعضاء الهيئة ، قام ، كمعدل عام ، بزيارة اربعة بلدان على الاقل . وهذه حقا نسبة عالية . وكانت هناك اسباب شتى ودوافع متنوعة لسفر اعضاء الهيئة العربية العليا لفلسطين الى الخارج . ان قسما من اعضائهـا درس في اوروبا الغربية ، والولايات المتحدة ، وتركيا ، ولبنان ، ومصر . وان احد الاعضاء ولد في لبنان ثم اتخذ من فلسطين مقرا دائما لاقامته . وان احد الاعضاء ارتحل الى المملكة العربية السعودية لاداء فرائض الحج . كما سافر عدد من اعضاء الهيئة الى الخارج للمشاركة في اجتماعات دولية غير سياسية ، مثل المؤتمر العمالي الدولي الذي انعقد في كل من لنـدن وباريس . وسافر عدد من الاعضاء الـى الدول العربية كممثلـين لاحزابهم السياسية لحضـور مؤتمرات سياسية . وأوفد عدد من اعضاء الهيئة الى البلدان العربيـة والاسلامية بهدف جمـع التبرعات لترميـم الاماكن الدينيـة المقدسة في فلسطين . وهناك كذلك بعض الافراد الذين امتهنوا التجارة ، وقاموا برحلات الى بعض بلدان الشرق الاوسط بما تقتضيه ادارة اعمالهم التجارية . كما قام احد الاعضاء برحلات كثيرة الى مصر بصفته ممثلا لعرب فلسطين ، في المؤتمر التحضيري لانشاء جامعة الدول العربية ، ثم اصبح مندوبا في مجلس الجامعة بعد تكوينها .

وان ٢٨ على الاقل من الاثنين والثلاثين أعضاء الهيئة بتشكيلاتها المتتالية ، قاموا بسفرات الى الخارج من أجل هدف محدد وهو نقل المـوقف السياسي للقيادة العربية السياسية لعرب فلسطين حول الانتداب البريطاني والصهيونية ، وحـول المستقبل السياسي لفلسطين ، بأمل احداث تغيير في السياسة البريطانية تجاه فلسطين والصهيونية. وفي العادة ، كان اعضاء الهيئة يحضرون اجتماعات سياسية ، رسمية وغير رسـمية ، عامة وخاصة ، مندوبين عن الهيئة . ومن الجدير بالملاحظة حقا ان الرحلات السياسية الى الخارج زاد عددها على الرحلات غير السياسية ، بل ان اعضاء الهيئة ، حتى حين يكونون في رحلات غير سياسية ، فانهم كانوا يقومون بنشاط سياسي بالتأكيد .

ونبين في الجدول الرقم ١٦ ، البلدان التسعة التي توجهت اليها معظم سفرات اعضاء الهيئة ، وكذلك عدد الاعضاء الذين توجهوا الى كل منها . واستثنينـا فلسطين من هذه اللائحة البلـدانية باعتبارها موطن ولادة واحد وثلاثين عضوا من اعضاء الهيئة الاثنين والثلاثين . ولقد سافر عدة اعضاء عدة مرات الى البلد نفسـه في كثير من الاحيان .

الجدول الرقم (١٦)
البلدان التي زارها افراد النخبة العربية السياسية في فلسطين

البلد	عدد الاعضاء	النسبة المئوية من اجمالي عدد الاعضاء
بريطانيا	١٧	٥٣٫١
مصر	١٢	٣٧٫٥
سوريا	١٢	٣٧٫٥
الاردن	١١	٣٤٫٤
العراق	١٠	٣١٫٣
تركيا	١٠	٣١٫٣
لبنان	٩	٢٨٫١
فرنسا	٦	١٨٫٨
الولايات المتحدة	٦	١٨٫٨

زار اعضاء الهيئة ٣٣ بلدا على الاقل في آسيا وافريقيا واميركا واوروبا . وان الاتساع الجغرافي لنطاق البلدان التي زارها أعضاء الهيئة ، يدل على حجم النشاط السياسي للنخبة العربيـة . واكتسبت القيادة السياسية العربية خلال رحلاتها الى الخارج ، مقدارا كبيرا من الخبرة السياسية. ومن المؤكد ان رحلات الاعضاء الى الخارج وسعت آفاقهم السياسية والاجتماعية. ولا بد انهم تعرضوا لتأثير أفكار سياسية واجتماعية في البلدان التي زاروها .

وانه لامر ذو دلالة ان بين البلدان الثلاثـة والثلاثين التي زارها اعضاء الهيئة العربية العليا، ١٤ بلدا في آسيا، و١٢ في اوروبا ، و٦ في افريقيا، والولايات المتحدة الاميركية . وان العدد الاكبر

من اعضاء الهيئة قام بزيارة بلدان الشرق الاوسط العربية ، وتركيا، وبريطانيا ، وفرنسا، والولايات المتحدة . وحيث ان بريطانيا كانت الجهة التي عهدت اليها عصبة الامم بغرض انتدابها على فلسطين ، فان الوفود العربية الفلسطينية كثيرا ما قامت بزيارتها . وان هذه الزيارات أتاحت لهم اجراء مفاوضات مع الحكومة البريطانية حول مختلف جوانب القضية الفلسطينية ، ومكنتهم من اجراء مباحثات مع مختلف القوى السياسية في بريطانيا .

ان لفلسطين حدودا مشتركة مع كل من مصر وسوريا والاردن ولبنان . وان في هذه البلدان وفي العراق وفيما بينها ، مناقب دينية واجتماعية وسياسية مشتركة ، وبالتالي فانها وفرت مجالا رحبا للنشاط السياسي العربي الفلسطيني. وكثيرا ما ارتحل أعضاء الهيئة الى القاهرة . باعتبارها مقر جامعة الدول العربية ، للمشاركة في اجتماعات ومناقشات هذه الجامعة . ثم ان عددا من اعضاء الهيئة التجأوا الى العراق هربا من السلطات البريطانية والاجراءات التي كانت ستأخذها ضد قادة ثورة ١٩٣٦ المعادية للبريطانيين .

ولقد ساهمت زيارات افراد النخبة العربية السياسية في فلسطين المتكررة للاقطار العربية ، في توجيه وتوعية بعض قطاعات الشعب العربي بقضية فلسطين ، وفتحت ابصار الجماعات العربية — بصورة مباشرة ، او غير مباشرة — على حقيقة الروابط العربية المشتركة .

ومن الجدير بالتسجيل في هذا المقام ان القسم الاعظم من رحلات اعضاء الهيئة كانت للاقطار العربية الاسيوية (وبينها مصر) ، في حين ان الاقطار العربية الافريقية زارها عدد قليل من الاعضاء ، وزار عضو واحد ليبيا ، وزار عضو آخر مراكش . وان للموقع الجغرافي علاقة بهذه المسألة بالطبع . لكن الحقيقة الاهم ان الجناحين الاسيوي والافريقي للعالم العربي كانا في الفترة التي نتناولها في هذه الدراسة ، معزولين عن بعضهما بعضا الى حد بعيد على الصعيد السياسي، بسبب الاوضاع السياسية والدولية التي كانت تهيمن عليهما في ذلك الوقت ، اذ كانت هناك علاقات على أصعدة مختلفة بين بلدان آسيا العربية (بما فيها مصر) ، أقوى بكثير من العلاقات بين هذه البلدان وبين بلدان افريقيا العربية .

كما كانت عدة بلدان ارثوذكسية في البلقان بين الدول الاوروبية التي زارها اعضاء الهيئة. وقامت عدة وفود ارثوذكسية او تحتوي على عناصر ارثوذكسية من المسيحيين العرب في فلسطين ، بزيارة هذه البلدان لاغراض الاعلام السياسي للقضية .

النتاج الادبي

معلوماتنا عن نتاج أعضاء الهيئة العربية العليا لفلسطين على صعيد الكتابة ، والتحرير ، والتأليف والنشر ، محدودة للغاية . والمعلومات المتوافرة تبين انه من بين اعضاء الهيئة الاثنين والثلاثين ، شارك ١٣ منهم ، أي ما يعادل ٤٠،٦ بالمئة من مجموع اعضاء النخبة، في تحرير الصحف والمجلات، وفي تدبيج المقالات وتأليف الكتب ، مستخدمين اللغة العربية كوسيلة تعبير . وبالاضافة الى العربية ، كتب خمسة من اعضاء الهيئة باللغة الانجليزية ، وكتب اثنان بالفرنسية ، وهؤلاء السبعة كانوا من الدارسين في البلدان الغربية .

ولقد تناول اعضاء الهيئة في كتاباتهم عددا شديد التنوع من الموضوعات والقضايا . ان ستة عشر عضوا ، أي ٥٠ بالمئة من مجموع الاعضاء ، كتبوا في القومية العربية والشؤون السياسية . وتناولت هذه الكتابات انبثاق وتطور القومية العربية ، والمجابهات العربية — التركية في غضون العقدين السابقين للحرب العالمية الاولى ، والنزاع العربي — البريطاني في فلسطين خلال عهد الانتداب . ورفض جميع هؤلاء الاعضاء في كتاباتهم ، السياسة البريطانية لاقامة دولة يهودية في فلسطين ، على اساس ان فلسطين عربية . كما قاموا بتحليل السياسة البريطانية تجاه اليهود والعرب في فلسطين ، ونقدها . ونادوا باقامة دولة فلسطينية عربية مستقلة ، واوضحوا الاسباب والحجج الداعية الى ذلك . وحاول هؤلاء الكتاب رد الهزائم الغربية السياسية والعسكرية الى دور اليهود . وتناولت هذه الكتابات القومية العربية بالتحديد والتعريف ، واعتبرت فلسطين ارضا عربية، وجزءا لا يتجزأ من العالم العربي .

الجدول الرقم (١٧)

حقول النتاج الادبي

حقل الكتابة	العدد	النسبة المئوية من مجموع النخبة
القومية العربية والشؤون السياسية	١٦	٥٠٠٠
التاريخ العربي	٢	٦٠٢
اقتصاد فلسطين	٢	٦٠٣
القانون	٢	٦٠٣
التربية والتعليم	١	٣٠١
التشريع الاسلامي	١	٣٠١
العسكرية اليهودية	١	٣٠١
الفكر السياسي	١	٣٠١

السبل الى القوة السياسية

لا بد من توضيح اسلوب التصنيف الذي سنلجأ اليه في هذا الباب . لدى تحليلنا للنشاط المهني للاعضاء ، امكننا معرفة مهن ٣١ عضوا من اعضاء النخبة العربية السياسية في فلسطين الذين نتناولهم بالدراسة . وحيثما عرفنا مهنتين او أكثر للعضو الواحد ، فلقد سجلنا مهنته الاصلية . وحيثما كانت للعضو مهنة واحدة فقط (وهذا نادر جدا) ، فلقد اعتبرنا هذه المهنة الاصلية . وعلى سبيل المثال ، اذا كان أحد الاعضاء مسجلا على انه صحافي وعضو مجلس ما ، اعتبرناه صحافيا اذا كانت الصحافة هي المهنة التي تعاطاها اولا .

وحيث ان اعضاء الهيئة تعاطوا في أكثريتهم الساحقة أكثر من مهنة واحدة ، فان تصنيف عضو من الاعضاء في فئة مهنية معينة ، لا يعني انه لا ينتمي الى فئة او فئات مهنية اخرى ، ولا يعني ايضا ان الاعضاء الاخرين المنتمين الى فئات مهنية اخرى ، لا ينتسبون الى هذه الفئة المهنية المعنية. وهكذا وعلى سبيل المثال ، ان تصنيف ثلاثة من اعضاء الهيئة على انهم « ملاك أرض » لا يعني انهم كانوا ملاكي الارض الوحيدين بين اعضاء الهيئة ، وانما يدل بكل بساطة على ان صفة ملكية الارض باعتبارها المصدر المهني الاصلي لقوة العضو ، تنطبق على هؤلاء الثلاثة دون سواهم أو أكثر من سواهم .

معظم تصنيفات الاعضاء المهنية واضحة . على ان احدها وهو ملكية الارض يقتضي بعض الايضاح. ولقد استخدمت كلمة « ملكية الارض » للدلالة على فئتين : فئة الذين يملكون الارض وفئة الذين يتلحونها ، او الفئتين معا .

ان السيرة المهنية لكل من اعضاء الهيئة العربية العليا ، تفصح عن السبل والمسالك التي طرقها الاعضاء قبل ان يرتقوا مسرح البروز السياسي . ان الخلفية المهنية الاصلية لعضو الهيئة ، نقطة انطلاق حاسمة للارتقاء الى المكانة السياسية الرفيعة . وكما يتضح من الجدول الرقم ١٨ فان المهن الاصلية لاعضاء الهيئة بلغت احدى عشرة مهنة . ولم يكن ممكنا لنا معرفة الخلفية المهنية الاصلية لعضو واحد فقط .

ان القانون هو النبع الذي جاءت منه قوة القسم الاكبر من اعضاء الهيئة كمصدر مهني ، اذ ان

الجدول الرقم (١٨) : سجل عام للمهن الاصلية لاعضاء الهيئة العربية العليا لفلسطين

المهنة	العدد	النسبة المئوية
القانون	١٠	٣١٠٣
السلك الوظيفي	٧	٢١٠٩
ملكية الارض	٣	٩٠٤
السلطة الدينية الاسلامية (الافتاء)	٢	٦٠٣
الصحافة	٢	٦٠٣
الطب	٢	٦٠٣
المحاسبة	١	٣٠١
العمل المصرفي	١	٣٠١
الهندسة	١	٣٠١
شيخ قبيلة	١	٣٠١
التدريس	١	٣٠١
مهنة غير معروفة	١	٣٠١
المجموع	٣٢	١٠٠٠

هناك عشرة اعضاء يمثلون ٣١،٣ بالمئة من مجموع اعضاء الهيئة جاءوا من هذا الطريق . واذا اخذنا بالاعتبار المنزلة الرفيعة التي يحتلها المحامون في المجتمع العربي وما يلقونه من احترام وتكريم ، واذا اخذنا بالاعتبار كذلك منشأهم الطبقي في الاعلى ، وكذلك الثقافة التقليدية لعرب فلسطين ، لا يكون من العجيب — على ضوء هذه الاعتبارات — ان يحتل المحامون حوالي ثلث القيادة السياسية لعرب فلسطين .

وبعد المحامين جاء القسم الثاني من اعضاء الهيئة العربية العليا من حيث الحجم ، من السلك الوظيفي . فلقد كان هناك سبعة موظفين يشكلون نسبة ٢١،٩٪ من النخبة السياسية . واشتمل هذا السلك على رؤساء بلديات ومديرين للاوقاف ودور الايتام الاسلامية ، وقيمين على الاماكن المقدسة ، ورؤساء الاتحادات العمالية . ففي فلسطين العربية ، كان متولو الوظائف العامة يتمتعون بمنزلة خاصة من الاعتبار . وكان الشعب العربي في فلسطين يميل الى معاملة أصحاب الوظائف العامة بقدر كبير من الاحترام . وكانت للموظفين سطوة وتأثير على الصعيدين الاجتماعي والسياسي . وان وجود سبعة من السلك الوظيفي بين أعضاء الهيئة دلالة على ما نقول بشأن هذا النفوذ .

وتألف فريق ملاك الارض من ثلاثة اعضاء ، بنسبة ٩،٤٪ من اعضاء الهيئة. وكان هؤلاء الثلاثة جميعا مهتمين بزراعة الحمضيات . وتتصل بملكية الارض ، الزراعة كمهنة اصلية . هل عكست الهيئة التقسيم المهني الذي كان سائدا في فلسطين العربية ؟ لقد كان هناك تفاوت شديد بين التقسيم المهني لاعضاء الهيئة ، وبين التوزيع المهني للشعب العربي في فلسطين . فبينما كان تمثيل الزراعة — مهنة غالبية عرب فلسطين — في الهيئة أقل بكثير من المعدل ، كان تمثيل أصحاب المهن أعلى من المعدل . كان تمثيل المهنيين في الهيئة أعلى من المعدل ، والى حد أقل ، أعلى حتى بالمقارنة مع سكان المدن في فلسطين العربية .

ويأتي بعد ملاك الارض من حيث النسبة العضوان الاتيان من مجال السلطة الدينية الاسلامية ، أي بنسبة ٦،٣ من النخبة الخاضعة لهذه الدراسة .

ومن الاهمية بمكان ان كلا الرجلين : الحاج أمين الحسيني والشيخ حسن ابو السعود ، هما من مواليد بيت المقدس . وكان كل منهما مفتيا . ومن الطبيعي ان رجلي الدين الاسلامي هذين ، كانت لهما توجهات فكرية اسلامية قوية . تميزت آراء الحاج امين الحسيني بمعارضة قوية لانشاء موطن قومي لليهود في فلسطين . ولقد تزعم الحركات الوطنية العربية في فلسطين المعادية للبريطانيين ، والمقاومة للصهيونية طيلة عشرات الاعوام . ان وجود رجلي دين اسلاميين بين اعضاء الهيئة ، دلالة على مساهمة التأثيرات الدينية الاسلامية في صياغة الحركة القومية العربية في فلسطين .

الدين

وفق احصاء ١٩٣١ كان هناك ٨٣٩،٤٥٧ مواطنا عربيا في فلسطين(٣٢). وكان التركيب الديني لعرب فلسطين ذا نسبة ثابتة خلال الفترة التي تتناولها هذه الدراسة(٣٣). وكانت النسب كما يبينها الجدول الرقم ١٩ على وجه التقريب . وكما يبين الجدول الرقم ٢٠ ، فان التركيب الديني لتشكيلات الهيئة العربية العليا ، لم يكن ممثلا لاعداد الطوائف الدينية . فبالرغم من ان عرب فلسطين المسيحيين شكلوا ٨،٩ بالمئة من الشعب العربي الفلسطيني، فان تمثيلهم في الهيئة العربية العليا كان بنسبة ٢١،٨ بالمئة . وبمقدار ما كان التركيب الديني للهيئة مؤشرا على توزيع القوة السياسية بين عرب فلسطين ، فان العرب المسيحيين كانوا يتمتعون بقوة سياسية لا تتناسب مع وزنهم العددي.

وبرغم حقيقة ان نسبة العرب المسلمين الى العرب المسيحيين في فلسطين كانت أعلى بقليل من ١:٩ ، فان النسبة بين اعضاء الهيئة كانت ١:٤ تقريبا . وان التفوق في تمثيل العرب المسيحيين في الهيئة كان نتيجة للنفوذ المهم الذي مارسوه في الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية لفلسطين العربية ، خلال الفترة الزمنية موضع الدراسة ، وعلى الاخص في الفترة السابقة للحرب العالمية الثانية . وبالرغم من ان العرب المسيحيين كانوا يشكلون أقلية دينية ، فان قوتهم كانت أعظم بكثير مما يمكن ان يكون لوزنهم العددي . وبالمعايير النسبية ، كان العرب المسيحيون أكثر انتماء الى

المدن من العرب المسلمين[٣٤]. كما كان العرب المسيحيون أكثر تعليما وافضل تعليما من العرب المسلمين ، وذلك عائد الى دور المعاهد التعليمية التي أسستها الجمعيات الارسالية. كما كان العرب المسيحيون يمتلكون ويحررون معظم الصحف الصادرة في فلسطين في اوائل العشرينات من هذا القرن[٣٥].

ومما يثير الانتباه لدى تحليل معطيات التركيب الديني ، هو مراقبة النسب المتغيرة للتركيب الديني بين تشكيلة واخرى من تشكيلات الهيئة العربية العليا . فمن حيث الاتجاه العام هناك تقلص متزايد ومستمر مع مرور الزمن في النسبة المسيحية بين اعضاء الهيئة ، لكن هذا الهبوط لم يصل أبدا الى ما دون نسبة العرب المسيحيين العددية الحقيقية بالقياس الى مجموع السكان العرب . والواضح ان العرب المسيحيين وصلوا في تشكيلة يونيو ١٩٤٦ ادنى نسبة لتمثيلهم ، أي ١٠ بالمئة من اعضاء الهيئة ، وهذه النسبة كادت ان توازي نسبتهم في المجموع السكاني العربي العام في فلسطين . (أنظر الجدول الرقم ١٩).

الجدول الرقم (١٩)

التركيب الديني لعرب فلسطين[٣٦]

الدين	النسبة المئوية
مسلمون	٩٠٫٠
مسيحيون	٨٫٩
دروز	١٫١
المجموع	١٠٠٫٠

الجدول الرقم (٢٠)

تصنيف اجمالي للانتماء الديني لاعضاء الهيئة

الدين	العدد	النسبة المئوية
مسلمون	٢٥	٧٨٫٢
مسيحيون	٧	٢١٫٨
المجموع	٣٢	١٠٠٫٠

ان نسبة تمثيل العرب المسلمين في تشكيلات الهيئة العربية العليا الاربع ، تقدمت وتزايدت باطراد ، فيما عدا هبوط بنحو ٣ بالمئة تقريبا في تشكيلة مارس ١٩٤٦ . ووصلت نسبة تمثيل العرب المسلمين الى ذروتها في يونيو ١٩٤٦ عندما سجلت نسبة ٩٠ بالمئة من اعضاء الهيئة ، وهي نسبة تكاد توازي نسبة عدد المسلمين بين مجموع السكان العرب في فلسطين . ان هذا الهبوط في تمثيل المسيحيين ، وهذا الصعود الموازي في تمثيل المسلمين بين اعضاء الهيئة العربية العليا ، مؤشران على تبدل في توزيع القوة الاجتماعية والسياسية في مجتمع فلسطين العربي .

الا ان بوسعنا مع ذلك ان نلاحظ أمرا واضحا ، وهو انه بينما لم يهبط تمثيل العرب المسيحيين في عضوية الهيئة العربية العليا لفلسطين الى ما دون نسبتهم العددية من الشعب العربي الفلسطيني ، فان تمثيل العرب المسلمين في هذه الهيئة ، لم يتجاوز في صعوده ابدا نسبتهم السكانية في اي حال . ان هذه الحقيقة شهادة على ان القطاع المسيحي من الشعب العربي الفلسطيني كان لا يزال ذا وزن اجتماعي — سياسي بارز خلال السنوات الاخيرة من المرحلة الزمنية موضع الدراسة .

اعادة ترتيب اوضاع النخبة

سوف نعالج في هذا الباب الوضع المهني للنخبة العربية بعد مغادرة الهيئة العربية العليا . وان فبراير ١٩٤٩ يمثل في هذه الدراسة نقطة النهاية او الحد القاطع . وحيثما كان عضو الهيئة مشغولا بأكثر من مهنة ، فان المهنة التي تطلبت منه اكثر وقته ، سجلت باعتبارها المهنة الاساسية بعد انتهاء العضوية . ان عشرة اعضاء ، اي ٣١٫٣ بالمئة من النشاط السياسي ، الذي اصبح مجرد واجبات قصيرة الامد ، كالمشاركة في مؤتمرات حول فلسطين ، او مهمات مؤقتة وطارئة . كما تدخل في هذا النمط من النشاط السياسي ، التحركات غير المنظمة التي لم تتأطر ضمن نطاق نظامي معين، كمثل الحض على تضامن وتكاثف الفلسطينيين سياسيا ، ودعوة العرب الى الاستعداد للحرب مع اسرائيل . وان الاعضاء المنتمين الى هذه الفئة (اي الفئة التي استمرت بلعب دور سياسي بعد فبراير ١٩٤٩) عبروا عن التزامهم بهذا الموقف

الجدول الرقم (٢١)
اوضاع نخبة فلسطين العربية السياسية
بين يوليو ١٩٤٨ وفبراير ١٩٤٩

	العدد	النسبة المئوية
النشاط السياسي	١٠	٣١٫٣
السلك الوظيفي	١٠	٣١٫٣
السلك الدبلوماسي	٢	٦٫٣
المحاسبة	١	٣٫١
الزراعـــة	١	٣٫١
التجارة	١	٣٫١
نشاط للطائفة الاسلامية	١	٣٫١
شيخ قبيلة	١	٣٫١
توفي	٤	١٢٫٥
غير معروف	١	٣٫١
المجمـــوع	٣٢	١٠٠٫٠

السياسي او ذاك ، واتخذوا مواقف معينة من المسائل التي هي موضع نزاع او جدال علـى الصعيدين الفلسطيني الضيق والعربي الواسع .

الواقع ان جميـع اعضاء الهيئة كان يمكـن ادراجهم تحت عنوان النشاط السياسي بصرف النظر عن وضعهم المهني بعد تركهم عضوية الهيئة . لكن، وكما قررنا من قبل ، ان مهنا اخرى استغرقت وقت هؤلاء الاعضاء بصورة اكبر من بقية الاعضاء ، فلم يكن ممكنـا ادراجهم تحت عنـوان « النشـاط السياسي » .

استوعب السلك الوظيفي من النخبة العربية السياسية بعد ترك عضوية الهيئة ، عددا مماثلا لعدد الفئة الاولى ، اي ١٠ اشخاص . ومن بين هؤلاء العشرة ، خدم خمسة منهم كوزراء في حكومة عموم فلسطين التي أنشأها مجلس جامعة الدول العربية في مدينة غزة في سبتمبر ١٩٤٨ ، ردا على خلق دولة اسرائيل في مايو ١٩٤٨ . أخذ الاعضاء ، الحاج امين الحسيني ، أصبح رئيسا للمجلس الوطني لفلسطين الذي أقيم في غزة في سبتمبر ١٩٤٨ ، ليكون المؤسسة التمثيلية للشعب العربي الفلسطيني(٣٧). وتولى اربعة أشخاص مناصب في مؤسسات متنوعة تتعلق بالابقاء على الخدمات

الجدول الرقم (٢٢)
مكان ولادة اعضاء الهيئة العربية العليا لفلسطين

	العدد	النسبة المئوية
أ ـ في مناطق المدينة	٢٧	٨٤٫٤
القدس	١٢	٣٧٫٥
نابلس	٥	١٥٫٦
يافا	٤	١٢٫٥
عكا	٢	٦٫٣
حيفا	١	٣٫١
الخليل	١	٣٫١
رام الله	١	٣٫١
صيدا(لبنان)	١	٣٫١
ب ـ في مناطق الريف	٤	١٢٫٥
ج ـ في مناطق قبلية بدوية	١	٣٫١
المجموع	٣٢	١٠٠٫٠

الاساسية في ما تبقى في أيدي هذه الحكومة ، أي قطاع غزة ، بعد انشاء دولة اسرائيل . وكانت بين هذه الوظائف حاكمية منطقة ، ومديرية اجهزة الاتصال ، وادارة الشؤون المالية . ولفت النظر بصورة خاصة الى حقيقة بارزة ومهمة وهي ان بين هؤلاء العشرة الذين انتقلوا الى السـلك الوظيفي الحكومي ، كان سبعة منهم يشـكلون قلب الهيئة العربية العليا .

أما المهن المتبقية فلم تستوعب عددا رئيسيا من أعضاء الهيئة . شخصان عملا في السـلك الدبلوماسي ، أحدهما ممثلا للاردن في الولايات المتحدة الامريكية ، والاخر كمندوب فلسطين ، ثم كمندوب سوريه الى منظمة الامم المتحدة . واثنان عادا الى مهنتيهما الاصليتين، أحدهما الى المحاسبة والاخر الى التجارة . وواحد اتجه الى الزراعة ، رغم ان القانون كان مهنته الاصلية قبل انخراطه في عضوية الهيئة . وواحد عاد الى مركزه الاصلي قبل عضوية الهيئة كشيخ قبيلة . وواحد اتجـه الى نشاط ديني يتعلق بالمسلمين . وهناك اربعة واعتهم المنية قبل انتهاء ولاية التشكيلة الاخـيرة للهيئة العربية العليا .

مكان الولادة

ان دراسة الانتماء البيئي ـ ارتباط العضو بمنطقة معينة بسبب ولادته فيها ـ تلقي أضواء على توزيع السلطة السياسية في النظام السياسي لفلسطين العربية ، على ضوء الاعتبارات البيئية والاجتماعية . وكما يبين الجدول الرقم ٢٢ ، فان الغالبية الساحقة من أعضاء الهيئة ، أي ٨٤،٤ بالمئة منهم ، ولدوا في المدن . ان اربعة فقط من النخبة العربية السياسية لفلسطين أي ما يوازي ١٢،٥ بالمئة ، ولدوا في قرى(٣٨). وهناك عضو واحد ، وهو شيخ القبيلة ، جاء من احدى القبائل البدوية الى الجنوب من غزة .

وليس من الغريب ان نكتشف ان مدينة القدس كانت بين جميع مدن فلسطين ، الاكثر تمثيلا باستمرار بين أعضاء الهيئة ، من حيث مكان ولادتهم . اثنا عشرة من الاعضاء ، أي ٣٧،٥ بالمئة من مجمل نخبة فلسطين العربية السياسية ، كانوا من مواليد المدينة المقدسة . فاذا اخذنا في الاعتبار الاهمية التقليدية الفائقة لبيت المقدس لجميع العرب المسلمين والمسيحيين على امتداد القرون ، على الصعيدين الديني والسياسي على السواء ، واذا أخذنا في الاعتبار كذلك كون القدس عاصمة فلسطين ، فان المرء يصبح قادرا على فهم هذه الحقيقة ، ولا يفاجئه بالتالي ان تقدم هذه المدينة البارزة الاهمية أكثر من ثلث أعضاء الهيئة(٣٩).

ان خمسة من أعضاء الهيئة ، أي ١٥،٦ بالمئة، من مواليد نابلس ، التي تأتي في الدرجة الثانية بعد القدس كمكان ولادة . وان هذا نتيجة لشهرة نابلس كمركز عربي وطني في فلسطين . ولهذا لا غرابة في ان يخرج منها هذا العدد الكبير نسبيا من أفراد النخبة موضع الدراسة . وتأتي يافا بعد نابلس التي ولد فيها أربعة من اعضاء الهيئة ، أي ١٢،٥ بالمئة . وبرغم ان هذه النسبة ليست ضئيلة ، الا انها أقل من نسبة نابلس ، وأقل بثلاثة أضعاف من نسبة القدس . وولد عضوان في عكا ، أما حيفا والخليل ورام الله وصيدا فلقد ولد في كل منها عضو واحد . وان المرء ليدهش اذ يلاحظ ان مدينة حيفا بالذات ، لم تقدم عددا أكبر من الزعماء ، وذلك بسبب مركز هذه المدينة كمرفأ ، وكمركز جذب ثقافي واقتصادي وسياسي لانحاء فلسطين الشمالية . وينبغي ان نشير هنا الى ان احد اعضاء الهيئة الثمانية والعشرين المولودين في المدن ، وهو احمد حلمي عبد الباقي ، ولد خارج فلسطين ، في صيدا ، المدينة اللبنانية .

وهكذا فبينما كانت ثماني مدن في فلسطين مكان ولادة الاغلبية الساحقة من افراد النخبة ، فان المدن او البلدان الاخرى ، وجميع القرى ومضارب البدو على وجه التقريب ، لم تكن حاضرة في عضوية الهيئة وان هذه الخلفية المدينية شبه الكاملة لافراد النخبة ، اثارت الاحتكاك المديني ـ الريفي، وكان عاملا مساعدا محتملا في شق المجتمع العربي الفلسطيني وفق الاعتبارات المدينية والريفية(٤٠).

اما على الصعيد الجغرافي ، فان المواطن التي جاء منها أعضاء الهيئة موزعة بين انحاء فلسطين الشمالية والوسطى والجنوبية . وان مجيء أعضاء الهيئة من مناطق متباينة ومتعددة يجعلهم اقوى « تمثيلا » لفلسطين من الوجهة الجغرافية المجردة. ومن ناحية ثانية فان تشتت اعضاء الهيئة بين عدد من المدن والقرى ، ساهم في انقسامات النخبة .

الايديولوجية

كان اعضاء الهيئة العربية العليا لفلسطين يتبنون ثلاثة خطوط فكرية رئيسية : الوحدة الاسلامية ، الوحدة العربية ، والوطنية العربية الفلسطينية. وكانت هذه الافكار متداخلة ومتشابكة في الواقع . أما فكرة الوحدة الاسلامية ، أي التوحيد القائم على أساس الاخوة الدينية الاسلامية، فلم تتمتع بقدر كبير من الدعم بين اعضاء الهيئة . واستخدمت هذه الفكرة أساسا كوسيلة للوصول الى غايات الكفاح العربي الفلسطيني . لكن الامر يختلف بالنسبة لفكرة الوحدة العربية ، أي التوحيد على أساس القومية العربية . ذلك ان أعضاء الهيئة اعتبروا الحركة القومية العربية في فلسطين جزءا عضويا من الانبعاث القومي العربي العام في المشرق العربي . واعتبروا سكان فلسطين الناطقين بالعربية ، جزءا من الامة العربية . كما اعتبروا فلسطين جزءا من الوطن العربي ـ وان كان جزءا منفصلا . لكن الظروف المحلية والدولية التي سادت منطقة الشرق الاوسط في

اوائل العشرينات من هذا القرن ، انزلت الالتزام التوحيدي العربي من رأس اولويات الحركة الوطنية في فلسطين . ولم يكن هناك حماس مفرط — في الفترة محل الدراسة — لفكرة الوحدة العربية القومية بين أعضاء الهيئة ، رغم انها كانت عاملا أقوى من فكرة الوحدة الاسلامية الدينية .

كان الدافع الاساسي والملح لتوجه اعضاء الهيئة السياسي ، هو تحويل فلسطين الى دولة عربية تتمتع بالسيادة السياسية . لكن تحقيق هذه الفكرة اصطدم بفكرة انشاء وطن قومي يهودي في فلسطين كما تجسدت في بيان بلفور وتعهد الانتداب البريطاني . ومن هنا جاءت معارضة جميع اعضاء الهيئة قاطبة للصهيونية وللانتداب البريطاني . فبما انهم اعتبروا فلسطين ارضا عربية أكثرية سكانها عربية ، فانهم رفضوا وعد بلفور ، والانتداب البريطاني الذي التزم بتنفيذ ذلك الوعد، كما رفضوا فكرة اقامة دولة يهودية في فلسطين ، وطالبوا بوقف الهجرة اليهودية الى البلد ، وحظر بيع الاراضي العربية في فلسطين الى اليهود .

وارتكزت حجة العرب الاساسية على مبدأ ان العرب هم أصحاب فلسطين الشرعيين . ودحض أعضاء الهيئة الزعم الصهيوني بأن وجود علاقات يهودية تاريخية بفلسطين هو أساس شرعي لتأسيس دولة يهودية في هذا البلد . وكان من رأيهم انه ليست لليهود كجماعة قومية أية حقوق في فلسطين. الا ما لهم من حقوق بصفتهم الفردية . ورفضوا قبول أي عرض اتجه « الى وضعهم على قدم المساواة مع اليهود الغرباء » في فلسطين(٤١).

وكان أعضاء الهيئة يميزون بين المجتمع اليهودي في فلسطين الذي قالوا انهم تعايشوا معه سلميا تحت حكم السلطنة العثمانية ، وبين نوع جديد من اليهود ذوي النشاط السياسي القائم على الفكرة الصهيونية ، والذين اعتبرهم اعضاء الهيئة أساس الفتنة وبذرة القلاقل في فلسطين ، وذلك بتخطيطهم لانشاء دولة يهودية في ارض الوطن(٤٢). وكان من رأي اعضاء الهيئة ان اختيار قادة الصهيونيين والقوى الغربية لفلسطين « كمأوى لليهود المضطهدين » كان اختيارا انسانيا كاذبا ومضللا(٤٣). وان فتح ابواب فلسطين ، الضيقة المساحة ، لموجات متتابعة من اليهود المهاجرين ، أمر يهدد بتشويه وطمس الطابع القومي لفلسطين. كما أكدوا ان استمرار الهجرة اليهودية ، سوف يؤدي ، بالنظر الى قدرة الاقتصاد الفلسطيني الاستيعابية ، الى حلول اليهود محل العرب الذين كانت نسبة تزايدهم الطبيعي عالية كذلك .

وبما ان البرامج السياسية للاحزاب العربية في فلسطين كانت الى درجة بعيدة، انعكاسا للموقف السياسي لاعضاء الهيئة ، يصبح من المناسب ان نقوم بجولة عابرة على غايات هذه الاحزاب ومبادئها . ولكن لا بد قبل ذلك من العودة قليلا الى الوراء لتقديم لمحة عامة عن تاريخ الاحزاب .

تميزت السنوات الخمس الاولى من الثلاثينات في هذا القرن ، بنشوء ستة احزاب عربية سياسية في فلسطين والواقع ان جميع الاحزاب كانت مختلفة عن المفهوم الغربي للاحزاب السياسية ، في وجوه شتى وجوانب عديدة . وعلى نقيض الاحزاب في الغرب ، فان جميع هذه الاحزاب العربية في فلسطين ، كانت تفتقر بدرجات متفاوتة الى التنظيم. كما لم تكن هناك انتخابات حزبيةومؤتمرات حزبية لتقرير السياسات او لاختيار المندوبين مثلا ، ولم تكن اجتماعاتها الحزبية منتظمة ، بل كانت تجتمع بدعوة قادة الحزب .

واذا استثنينا حزب الاستقلال ، فان جميع الاحزاب العربية السياسية في فلسطين ، كانت الى حد بعيد تمثل تجمعات يستقطبها اشخاص قياديون او زعماء معينون، وذلك يعود الى الروابط العائلية والعشائرية ، والانتماءات البيئية المحلية الضيقة ، وكذلك الى العلاقات الشخصية(٤٤).

في الرابع من اغسطس ١٩٣٢ ، تأسس في القدس **حزب الاستقلال** ، بقيادة عوني عبد الهادي، وكان اول حزب عربي سياسي يجري تنظيمه واعلانه بصورة رسمية في فلسطين(٤٥). والى جانب عوني عبد الهادي ، كان كل من أحمد حلمي عبد الباقي ، ومعين ماضي ، ومحمد عزة دروزة ، وهم من حزب الاستقلال ، اعضاء في الهيئة العربية العليا .

وكان حزب مؤتمر الشباب العربي الفلسطيني ، مؤتمرا او اجتماعا انتخب لنفسه لجنة تنفيذية دائمة ، أكثر مما كان حزبا بالمفهوم الغربي المألوف للكلمة . انعقد مؤتمران للشباب : اولهما في يافا

في الرابع من ديسمبر ١٩٣٢ . وفي سبتمبر ١٩٣٣ تولى يعقوب الغصين رئاسة المؤتمر . وانعقد المؤتمر الثاني في حيفا في العاشر من مايو ١٩٣٥ برئاسة يعقوب الغصين . وكان بين المشاركين في المؤتمر ، ومن اعضاء الهيئة العربية العليا شخصان هما يعقوب الغصين وفؤاد سابا(٤٦).

تأسس **حزب الدفاع الوطني** في القدس في الثاني من ديسمبر ١٩٣٤ ، بزعامة راغب النشاشيبي . وكان هذا بلورة رسمية بصيغة حزبية لمعارضة آل النشاشيبي للمفتي الحاج أمين الحسيني وبالاضافة الى راغب النشاشيبي كان هؤلاء أعضاء من الحزب في الهيئة العربية العليا : عمر بيطار ، وسليمان طوقان ، ويعقوب فراج ، ويوسف هيكل.

ولقد انتظمت اوساط آل الحسيني لاول مرة في صيغة حزبية معينة تمثلت في **الحزب العربي الفلسطيني** ، وذلك في الرابع والعشرين من ابريل ١٩٣٥ ، في القدس(٤٧). ولم يتول الحاج أمين الحسيني رئاسة الحزب ، لانه أراد الاحتفاظ بمكانته كقائد ديني وزعيم غير حزبي ، ولهذا تولى الرئاسة جمال الحسيني . الا ان شخصية الحاج أمين الحسيني هي التي كانت طاغية في الحزب برغم وجود جمال في رئاسته ، وبالاضافة الى الحاج أمين الحسيني وجمال الحسيني ، كان هؤلاء من الحزب أعضاء في الهيئة العربية العليا : حسن أبو السعود ، وكامل الدجاني ، واسحق درويش، وفريد العنبتاوي ، والفرد روك ، ويوسف صهيون ، واحمد الشقيري ، ورفيق التميمي ، وعزت طنوس ، وتوفيق الحسيني ، واميل الغوري(٤٨).

وكان **حزب الاصلاح** فرعا من الحزب العربي الفلسطيني ، واعلن تنظيمه في اجتماع عقد في القدس في الثامن عشر من حزيران — يونيو ١٩٣٥ برئاسة الدكتور حسين فخري الخالدي . ولقد تشكل هذا الحزب الى حد بعيد من أجل ان يتمكن رئيسه من تولي رئاسة بلدية القدس . ولم يكن من أعضاء الحزب في عضوية الهيئة العربية العليا غير الخالدي وحده(٤٩).

تأسس **حزب الكتلة الوطنية** في نابلس، في الرابع من أكتوبر — تشرين الاول١٩٣٥ برئاسة عبداللطيف صلاح ، اساسا كي يمكن لعبد اللطيف صلاح الانضمام الى عضوية الهيئة العربية العليا . وكان هذا حزب عبد اللطيف صلاح شخصيا ، وكان تأثير الحزب ملموسا في المنطقة الوسطى من فلسطين ، وعلى الاخص في منطقة نابلس ، موطن ومكان ولادة عبد اللطيف صلاح . ولم يكن من اعضاء الحزب في الهيئة العربية العليا لفلسطين سوى عبد اللطيف صلاح نفسه(٥٠).

وانه لامر بالغ المشقة والعناء ان نستطيع تقديم تقدير دقيق للقوة الحسابية او العددية المضبوطة لهذه الاحزاب . ويمكن القول نسبيا ان الحزب العربي الفلسطيني كان أقوى الاحزاب العربية السياسية في فلسطين عدديا ، من ناحية بسبب الولاء لشخصية المفتي الحاج امين الحسيني ، ومن ناحية ثانية مناصرة آل الحسيني. على ان الاحزاب الباقية يمكن تصنيفها من حيث قوتها على الوجه التالي : حزب الاستقلال ، حزب الدفاع الوطني ، حزب الاصلاح ، وحزب الكتلة الوطنية . وان ترتيبنا للاحزاب وفق هذا التتالي ، يعتمد على ما نعلمه عن قواها العددية من ناحية ، وفعالية ونشاط ومكانة قياداتها من ناحية اخرى .

وان جميع هذه الاحزاب العربية الفلسطينية الستة ، لم تتغاير او تختلف في مواقفها من الانتداب البريطاني ومن الصهيونية . وجميعها بلا استثناء عارضت السياسة البريطانية المتجهة لاقامة وطن قومي يهودي في فلسطين . وهي جميعا اعترضت على وعد بلفور وطالبت بريطانيا بالغائه وبالغاء نظام الانتداب البريطاني في فلسطين . وسعت هذه الاحزاب الى تحقيق الاستقلال السياسي الناجز لفلسطين ، وانشاء حكومة دستورية ديمقراطية في فلسطين ، مع برلمان يتكون من اعضاء يمثلون جميع مجتمعات فلسطين بناء لقوة كل منها العددية . كما دعت هذه الاحزاب جميعا الى المحافظة على شخصية فلسطين العربية، والى وقف او على الاقل تقييد الهجرة اليهودية الى البلد ، ومنع او الحد من بيع اراضي العرب لليهود .

واعلنت هذه الاحزاب جميعا ان فلسطين تشكل جزءا من الوطن العربي ، وان الشعب العربي الفلسطيني جزء من الامة العربية . ولهذا فانهم نظروا الى المشكلة الفلسطينية باعتبارها جزءا من القضية العربية(٥١). ومع ان الاحزاب عبرت

عن ايمانها بالوحدة العربية بصيغ مختلفة ، فانها تباينت في ترتيبها لسلم الاولويات بين فكرة الوحدة العربية ، وبين الاستقلال السياسي لفلسطين . ومهما كانت درجة الالتزام الحقيقي لهذه الاحزاب بفكرة الوحدة العربية ، فان غايتها المباشرة والعاجلة خلال الفترة موضع الدراسة ، كانت تحقيق الاستقلال السياسي لفلسطين كدولة منفصلة عن البلدان العربية ، مع ان هذه الاحزاب كانت في الواقع تضمن برامجها الحزبية وادبياتها ومقررات اجتماعاتها بنودا وفقرات تؤكد ايمانها بفكرة الوحدة العربية .

ان احد الاحزاب ، وهو حزب الدفاع الوطني ، عبر بوضوح عن تفضيله استقلال فلسطين على الوحدة العربية ، وذلك بتأكيده ان تحقيق مطالب وحقوق فلسطين المحلية شرط ضروري يجب ان يسبق النظر في أية مخططات وحدوية عربية . ومع ان حزب الاصلاح يؤكد في برنامجه اقتناعه الراسخ بالاهمية الحيوية لتعزيز العلاقات بين فلسطين وبقية الاقطار العربية ، الا انه لم يورد اي ذكر للوحدة العربية(٥٢) . ورغم ان حزب الاستقلال دعا كذلك الى تحويل فلسطين الى دولة مستقلة ، فان قادته كانوا على الصعيد الفكري أكثر التزاما واقتناعا بفكرة توحيد جميع اجزاء الوطن العربي ، من الاحزاب الاخرى ، اذ تبنى هذا الحزب الايديولوجية القائمة على فكرة الامة العربية الواحدة التي يجب ان تبلور وجودها في دولة واحدة ، يمكن للاقطار المختلفة ان تتمتع ضمنها بالاستقلال الذاتي . وأعرب الحزب عن ايمانه بأن تحقيق استقلالية الاقطار العربية يكون أسهل في إطار الدولة الاتحادية العربية . وكان من رأي هذا الحزب ان الاستقلال العربي يمكن تحقيقه بتوحيد جهود جميع القيادات السياسية العربية التي تستطيع بتكاتفها ان تضغط على عصبة الامم ، وكذلك على الدول التي تولت ادارة الانتداب على الاقطار العربية المختلفة .

ولمزيد من التوضيح قد يكون من المفيد ان نسجل فيما يلي ما اورده الحزب — الاستقلال — في مبادئه وبرنامج اهدافه لدى تأسيسه : اولا : الاستقلال الكامل للبلدان العربية . ثانيا : ان الاقطار العربية وحدة غير قابلة للتجزئة . ثالثا : فلسطين قطر عربي وجزء طبيعي من سوريا . رابعا : لا بد من الغاء وعد بلفور ، ولا بد من اقامة نظام برلماني عربي في فلسطين . خامسا : وسوف يبذل الحزب كل ما في وسعه لتحقيق هذه الغايات ، سالكا في ذلك جميع السبل المتاحة له ، وبالتعاون مع التنظيمات الاستقلالية في الاقطار العربية الاخرى(٥٣) .

ولا بد لنا من ان نلاحظ في هذا المجال ، انه بينما أعلنت جميع الاحزاب السياسية الفلسطينية الستة التزامها بهذه الدرجة او تلك بفكرة الوحدة العربية ، وايمانها بوجود العلاقات الوثيقة بين عرب فلسطين وبين بقية الشعوب العربية ، فان برامج ووثائق جميع هذه الاحزاب خالية من اي ذكر لفئة الوحدة الاسلامية او التضامن الاسلامي . وان هذا الاغفال للبعد الاسلامي ، جاء نتيجة للمركز غير الاساسي الذي أعطته الاحزاب لفكرة الوحدة الاسلامية ، في ترتيب السلم السياسي للاولويات ، حيث احتلت المكان المركزي والرئيسي فكرة استقلال فلسطين وقضايا الوحدة العربية .

ويمكن القول ان حزب الاستقلال اذا قورن ببقية الاحزاب من حيث التزامها بفكرة الوحدة العربية كما يتجلى في وثائقها وبرامجها ، يقف الى اليسار . وبعد حزب الاستقلال مباشرة يأتي الحزب العربي الفلسطيني ، ثم حزب الكتلة الوطنية ، وحزب مؤتمر الشباب العربي الفلسطيني في موقع الوسط . ويحتل حزب الاصلاح والدفاع الوطني الموقع اليميني .

ويجب التذكير بأن اعضاء الاحزاب كثيرا ما كانوا يختلفون في آرائهم حول الشؤون السياسية . ان الحاج امين الحسيني وجمال الحسيني ، وكلاهما في الحزب العربي الفلسطيني على سبيل المثال ، كانا يختلفان حول الموقف من بريطانيا . فجمال الحسيني نصح الحاج امين الحسيني في عدة مناسبات بأن يحصر عداوته لبريطانيا ضمن حدود القضية الفلسطينية ، وان يقبل الخطة المعروضة لتقسيم فلسطين بين العرب واليهود . وكان الحاج امين الحسيني يرفض آراء جمال الحسيني بكل حزم(٥٤) .

كانت على المسرح السياسي الفلسطيني جماعتان قويتان متصارعتان لهما طابع عشائري : جماعة الحسينيين والعشائر المتحالفة معهم ، بزعامة

الحاج أمين الحسيني ، وآل النشاشيبي والاسر المتحالفة معهم- تبعا لهذا الصراع كان «المجلسيون» يساندون المجلس الاسلامي الاعلى الذي يرئسه الحاج أمين الحسيني -، وكان « المعارضون—» بزعامة راغب النشاشيبي ضد المجلس الاسلامي الاعلى . ويبين الجدول الرقم ٢٣ ، ان ١٨ من أعضاء الهيئة العربية العليا ، أي نسبة ٥٦،٢ بالمئة ، كانوا من أنصار جماعة الحسيني ، في حين ان سبعة اعضاء يمثلون ٢١،٩ بالمئة كانوا من مساندي معسكر النشاشيبي . وهناك سبعة أعضاء لم يكن لهم انتماء محدد على صعيد هذا الانقسام العشائري . وهؤلاء كانت مواقفهم تارة تميل الى هذا الفريق ، وتارة الى الفريق الاخر ، واحيانا لم يكن لهم أي انتساب . ويمكن القول ان الفريق الحسيني حصل على نسبة أكبر من المؤيدين .

على انه ينبغي ايراد بعض الملاحظات : ان هذه التحزبات والتحالفات العشائرية لم تكن ثابتة ونهائية . ويكفي ايراد بعض الامثلة . ففي الفترة ما قبل ١٩٣٤ ، كان الدكتور حسين فخري الخالدي رئيس حزب الاصلاح مناصرا للحسينيين ، وبعد عام ١٩٣٤ أصبح معاديا لهم . ومرة أخرى عاد في مرحلة لاحقة واصبح حسينيا . وفي ايلول — سبتمبر ١٩٤٤ بذل الخالدي مساعي وساطة بين الاحزاب الفلسطينية ، وبالنتيجة اتفقت هذه الاحزاب على ايفاد موسى العلمي ، الذي كانت له ميول حسينية ، لتمثيل فلسطين في المؤتمر التحضيري لجامعة الدول العربية في ١٩٤٤ . وانقلب موقف الخالدي مرة اخرى في ١٩٤٥ وذهب في اتجاه حزب الاستقلال المعادي للفريق الحسيني. في العام ١٩٣٦ كان قادة حزب الاستقلال من الفريق الحسيني . وفيما بعد غيروا موقفهم وتبنوا موقفا سياسيا أكثر مرونة . ان مواقف الاحزاب السياسية ، كثيرا ما كانت تتكيف وفق الظروف السائدة . وبين ١٩٤٢ و١٩٤٥ دعا قادة حزب الاستقلال ، بعد سنوات من اعلان معاداتهم للسياسة البريطانية لتأسيس وطن قومي يهودي ، دعوا الى التعاون مع السلطات البريطانية .

وينبغي ان يكون واضحا في الذهن ان «حزبية» العضو ، ليست مؤشرا على اعتداله او تطرفه في القضايا السياسية ، ذلك لان دافع التحيز « الحزبي » لم يكن في معظم الحالات نتيجة لتوجه سياسي بل بسبب الهوية العشائرية . ان محمد عزة دروزة مثال جيد : فمع انه كان من مؤسسي حزب الاستقلال في فلسطين ، الا انه كان مع ذلك على علاقة حميمة بالفريق الحسيني ، وتصرف كضابط ارتباط بين حزب الاستقلال وبين الفريق الحسيني. والشيء نفسه مع أحمد حلمي عبدالباقي الذي برغم كونه من أقطاب حزب الاستقلال ، فلقد كانت له ميول قوية مع عبدالله ملك شرق الاردن الموالي للبريطانيين ، وكان على علاقات طيبة به(٥٥).

هكذا كانت الهوية السياسية لعضو الهيئة ، تتحدد في معظم الحالات بناء لهوية عشيرته السياسية ، ومع ذلك فلقد كانت هناك حالات التزم فيها العضو انتماء سياسيا بغير ما يوافق انتماء جماعته او عشيرته، بل وانتمى الى المعسكر الاخر المنافس لعشيرته . فأحمد الشقيري على سبيل المثال الذي كان والده من الشخصيات البارزة في معسكر النشاشيبي ، كان حسينيا . وانه لمن المهم ان نسجل هنا — على ضوء الهوة بين الاجيال — ان الاكثرية الساحقة من هؤلاء المنشقين سياسيا ، وبالتالي اجتماعيا، عن مواقف جماعاتهم العائلية على صعيد التوجه السياسي ، هم من الاجيال الشابة .

النزاعات الحسينية — النشاشيبية

كان الفريقان — الحسينية والنشاشيبية — معاديين للسياسة البريطانية العاملة لتأسيس وطن قومي يهودي في فلسطين . ونادى كلا المعسكرين بالكف عن سياسة خلق الوطن القومي اليهودي ، ورفع الانتداب ، واقامة حكومة فلسطينية وطنية . وبرغم هذه النقاط المشتركة فان معالجات المعسكرين كانت متغايرة . ان أحد أسس الخلافات السياسية بين الجماعتين ، هو درجة عداء كل منهما للسياسة البريطانية ، ولفكرة الوطن القومي اليهودي . أما النشاشيبية فلقد تبنوا سياسة مساومة ، وكان لهم موقف قابل للتسوية مع الادارة البريطانية والتجمع اليهودي في فلسطين أكثر من الحسينية . وعلى عكس ذلك فلقد عارض الحسينيون سياسة التعاون مع الادارة

الجدول الرقم (٢٣)
الهوية العشائرية السياسية لاعضاء الهيئة

	العدد	النسبة المئوية
مؤيدون لفريق الحسيني	١٨	٥٦٫٢
مؤيدون لفريق النشاشيبي	٧	٢١٫٩
عناصر غير محددة الاتجاه	٧	٢١٫٩
المجموع	٣٢	١٠٠٫٠

البريطانية في فلسطين . وان الهيئة العربية العليا لفلسطين ، منذ خضوعها لنفوذ الحسينية ، انتهجت بالمثل سياسة معادية للسياسة البريطانية موازية لسياسة الحسينية الداعية الى المقاومة .

كانت للمواقف المساومة للمعسكر النشاشيبي دوافع نفعية من ناحية ، واعتبارات تكتيكية وايديولوجية من ناحية ثانية . من الناحية النفعية، قامت حسابات النشاشيبية على ان انتهاجها سياسة القسوية والمساومة مع بريطانيا ، سوف يؤدي الى اضعاف نفوذ الحسينية المسيطرة والمنافسة لها ، اذا لم يؤد الى انهائه واستئصاله. وعلى الصعيد التكتيكي كان في تقدير المعسكر النشاشيبي ان الكفاح العربي ضد الصهيونية والانتداب سوف يكون أجدى واقوى فعالية اذا جرى في اطار الانتداب بالذات(٥٦). وبالاضافة الى هذا ، أمل النشاشيبية ان يستميلوا بريطانيا الى جانبهم ، بابداء درجة من التعاون معها . وكان من رأيهم ان من الخير للعرب ان يسلموا باستحالة تغيير السياسة البريطانية المتبعة تجاه فلسطين ، من الوجهة العملية ، وكذلك استحالة اجراء مثل هذا التغيير بالاعتراض او بالعنف . وكان في اعتقاد هذا المعسكر ان عقد اتفاق مع حكومة الانتداب يتضمن تنازلات متبادلة ، سوف يكون أجدى وانفع للمصلحة العربية . ولقد نسج النشاشيبية أوثق العلاقات مع ملك شرق الاردن عبدالله (وكان حينئذ اميرا) . فاذا اخذنا في اعتبارنا ميول الملك عبدالله القوية الموالية للبريطانيين ، فان صلات النشاشيبية به ربما كانت عاملا في تبنيهم موقفا معتدلا من بريطانيا .

وهناك بعض الامثلة على الفوارق والخلافات بين مواقف الفريقين النشاشيبية والحسينية . كان المعسكر النشاشيبي أكثر استعدادا للموافقة على ، ومساندة ما اقترحه البريطانيون من انشاء مجلس تشريعي . فكان هذا المعسكر الحزب السياسي الوحيد في فلسطين الذي أعلن استعداده للموافقة على المجلس . ورغم ان هذا الموقف النشاشيبي تبلور واتخذ في اوائل الثلاثينات ، أي في فترة خارجة عن الحدود الزمنية لهذه الدراسة، ومع ذلك فانه — الموقف — يشكل مفتاحا لتحديد اتجاه سياسة النشاشيبيين خلال الفترة الزمنية التي تعنينا في هذه الدراسة(٥٧).

ومثال آخر على الفوارق والخلافات ، الموقف المدفوع من النشاشيبية الذي وقفه حزب الدفاع الوطني ، ردا على « الكتاب الابيض » الذي أصدرته بريطانيا عام ١٩٣٩ . لقد تعهدت بريطانيا في هذا الكتاب بانشاء حكم ذاتي في فلسطين في غضون عشر سنوات ، وباستمرار الهجرة اليهودية الى فلسطين خمس سنوات اخرى ، الى ان يبلغ تعداد اليهود في فلسطين ثلث مجموع السكان . وتعهد الكتاب الابيض بحصر بيوع الاراضي العربية في فلسطين لليهود في أضيق نطاق . وفيما رحب النشاشيبيون بهذا الكتاب الابيض باعتباره نصرا جزئيا، فان المعسكر الحسيني رفضه وأعلن اصراره على تحقيق الاستقلال الفوري(٥٨).

ان ما ورد في رسالة بعث بها القنصل الاميركي العام في القدس الى الخارجية الاميركية في واشنطن ، كفيل بأن يلقي ضوءا على خط السياسة النشاشيبية تجاه بريطانيا . تقول الرسالة : « ان [راغب] النشاشيبي تعاون مع البريطانيين بصفته رئيسا لبلدية القدس ، منذ ١٩١٩ و١٩٢٠ ، ولن تنحرف السياسة البريطانية عن اسلوبها اذا هي عهدت اليه بالمنصب الجديد (رئاسة المجلس التشريعي) اعترافا بخدماته السابقة »(٥٩).

خلفية اجتماعية — اقتصادية

شهدت فلسطين العربية خلال العهد الزمني الذي تقيدت به هذه الدراسة نظاما طبقيا يقوم على درجة عالية من التفاوت وعدم المساواة(٦٠). وكان عرب فلسطين ينقسمون الى ثلاث طبقات اجتماعية : العليا ، والوسطى ، والدنيا(٦١).

وكان هذا الانقسام الاجتماعي يرتكز الى عدة عوامل اجتماعية متنوعة : كالثروة ، والممتلكات ، والاراضي ، والصيت ، ومنزلة اجتماعية رفيعة مكتسبة مزعومة ، والدخل ، والزواج من اسرة نافذة ، والوظائف الحكومية الكبيرة ، او مجموعة من المزايا تدمج بين عدة خصال من هذه العوامل . وكانت التخوم بين الطبقة وجاراتها حدودا فاصلة قاطعة .

الجدول الرقم (٢٤)

الانتماء الطبقي لاعضاء الهيئة العربية العليا

الطبقة	العدد	النسب
الطبقة العليا	٢٨	٨٧،٥
الطبقة الوسطى	٤	١٢،٥
المجموع	١٢	١٠٠،٠

وكانت أغلبية الشعب العربي في فلسطين تتألف من الطبقة الدنيا التي تتكون من أبناء الريف والبدو والجماهير المدينية . وشكل الفلاحون ، الذين كانوا يمتلكون قطعا صغيرة من الارض ، او لم يكونوا يمتلكون شيئا على الاطلاق ، العمود الفقري للطبقة الريفية الدنيا . وكان بين هذه المجموعة أقلية من المزارعين الذين امتلكوا مساحات واسعة من الارض نسبيا وان حرفة الفلاحين الرئيسية هي فلاحة الارض وزراعتها . وكانت هناك مهن اخرى ترتبط بها او باطار المحيط الريفي كالبناء ، واقتلاع الحجارة من المقالع ، والصناعة الفخارية ، والصيد ، وحياكة الحصر والسلال من القش(٦٢).

وكان معظم البدو في فلسطين ينتمون الى الطبقة الدنيا . وكانت حرفهم الزراعة وتربية المواشي . ان جميع البدو مسلمون ، وكانت الاغلبية الساحقة بين الفلاحين مسلمة ، وكان خمسة بالمئة منهم مسيحية .

ولقد تكونت الطبقة الدنيا في المدينة من كسبة الاجور ، كالعمال الصناعيين ، وعمال الموانىء ، وعمال السكة الحديدية . كما ضمت هذه الطبقة العمال « المستقلين » ، والحمالين ، والبحارة ، والعمال غير المهرة . وفي أسفل القاع كانت هناك طبقة كثيفة من المتسولين والعاطلين عن العمل .

وكانت الطبقة الوسطى تتألف من جماعات وفئات شديدة التنوع ، تطلبت حرفها قدرا من التعليم . غالبية هذه الطبقة تقيم في انحاء المدن ، لكن أقلية منها سكنت القرى . ومن فئات هذه الطبقة : أصحاب الدكاكين ، والمدرسون ، وصغار موظفي الحكومة، والعمال المهرة، واصحاب المهن الحرة. ان بعض الشرائح الميسورة من هذه الطبقة تعاطت زراعة الحمضيات ، واقراض المال ، والانتاج الصناعي . كما اشتملت هذه الطبقة على الموظفين الدينيين : على القضاة الشرعيين ، ورجال الافتاء الشرعي، وائمة المساجد ، والمؤذنين وغيرهم(٦٣).

واذا كان المجتمع العربي الفلسطيني قد شهد شيئا من الجمود ، الا انه لم يكن متحجرا بمستوى المجتمعات « الطبقية » المشهورة تاريخيا ، ولا افتقد المرونة التي تتيح قدرا من الحركة السريعة على صعيد السلم الاجتماعي . وهذا أمر يمكن فهمه وتفسيره في حالة الانتقال من طبقة الى اخرى. فلقد حدث ان بعض عناصر الطبقة السفلى ارتفعت الى الطبقة الوسطى ، وان بعض عناصر الطبقة الوسطى قفزت الى الطبقة العليا في المجتمع .

ان فلسطين العربية تقدم للدارس نموذجا لنظام اجتماعي تفرض سيطرتها السياسية فيه ، تلك الطبقات التي تهيمن على قمة التركيب الاجتماعي . ان جميع اعضاء الهيئة العربية العليا ينحدرون من حمائل — عشائر — بارزة كانوا زعماءها او من وجوهها . ويقوم نظام الحمائل العشائري على صلة القربى الدموية . ان الوجود التاريخي لمؤسسة زعيم العشيرة في المجتمع العربي لفترة زمنية طويلة ، أعطى زعيم العشيرة سلطة اجتماعية وسياسية مسلما بها شرعيا على بقية افراد العشيرة .

وفيما يتعلق باعضاء الهيئة العربية العليا الذين كانوا في الواقع زعماء عشائر وحمائل او من وجوهها البارزة ، فلقد انحدروا في الواقع من حمائل مالكة للارض ، ومن اسر اريستوقراطية عريقة في المدن ، ومن قلة من بعض عائلات الطبقة الوسطى ، والى حد أقل من بعض المناطق الريفية والبدوية(٦٤).

ويمكن القول بنساء لمعايير التصنيف الطبقي الواردة آنفا ، ان ٢٨ عضوا من أعضاء الهيئة العربية العليا ، أي ٨٧،٥ بالمئة من المجموع ، كانوا ينتمون الى الطبقة العليا . أما الاعضاء الاربعة الباقون ، الذين يشكلون ١٢،٥ بالمئة ، فكانوا ينتمون الى الطبقة الوسطى . ولم يكن هناك عضو واحد في الهيئة قد « طلع » من الطبقة الدنيا . (أنظر الجدول الرقم ٢٤) .

وكان ملاك الارض من الطبقة العليا بالطبع ، وتبين المعطيات المتوافرة لدينا ان ١٨ على الاقل من أعضاء الهيئة المنتمين الى الطبقة العليا (أي ٦٤،٣ بالمئة من مجموع الاعضاء) ، كانوا ينتمون الى الاسر التي تمتلك مساحات واسعة من الاراضي . وعلى سبيل المثال ، ان مساحة الارض التي كانت عائلة الحسيني تمتلكها في اواخر العشرينات ، بلغت ٥٠ الف دونم (ما يعادل ١٢،٥٠٠ فدان*) وفي اواخر العشرينات كذلك ، كانت عائلة عبد الهادي تمتلك مساحات من الاراضي تساوي ٦٠ الف دونم (١٥ الف فدان تقريبا)(٦٥).

ولا بد من ان نلاحظ هنا ان القسم الاعظم من أعضاء الهيئة من أصحاب الاراضي المنتمين الى الطبقة العليا ، كانوا يقيمون في انحاء المدن رغم ان الارض الزراعية كانت تشكل مورد دخل كبير لهم . لقد حدث هذا لان بعض شخصيات المدينة اصبحت مالكة للارض وبقيت في المدينة ، او لان بعض شيوخ القبائل من مالكي الارض الاغنياء ، وكذلك بعض الفلاحين الميسورين ، انتقلوا للسكن في المدينة(٦٦).

وكان التجار فئة اخرى كبيرة من فئات الطبقة العليا . واحتوت الهيئة من بين ابناء الطبقة العليا على ثلاثة تجار يشكلون ١٠،٧ بالمئة من أبناء هذه الطبقة في الهيئة . ومن الجدير بالذكر ان اثنين من هؤلاء التجار الثلاثة كانا ينتميان كذلك الى فئة كبار ملاكي الارض في الطبقة العليا .

لقد جاءت الاغلبية الساحقة من أعضاء الهيئة من أبناء الطبقة العليا من أسر مدينية ، وهي

* يساوي الفدان ٤٨٤٠ ياردة مربعة او نحو أربعة آلاف متر مربع .

الجدول الرقم (٢٥) : مكان اقامة أعضاء الهيئة العربية العليا من أبناء الطبقة العليا

مكان الاقامة	العدد	النسب المئوية
المدينة	٢٤	٨٥،٧
الريف	٣	١٠،٧
مضارب البدو	١	٣،٦
المجموع	٢٨	١٠٠،٠

اشارة الى تمركز الثروة والقوة السياسية في المدينة (أنظر الجدول الرقم ٢٥) .

ان من بين اعضاء الهيئة الثمانية والعشرين الذين ينتمون الى الطبقة العليا ، ستة كانوا زعماء الاحزاب العربية السياسية في فلسطين ، وهي اشارة اخرى الى جمع الثروة ، وعلو المقام الاجتماعي ، والسلطة السياسية في الايسدي نفسها .

كما كانت هناك عمليات تزاوج متبادلة بين أعضاء الهيئة من الطبقة العليا . كان موسى العلمي على سبيل المثال متزوجا من آل الحسيني. وكان اسحق درويش ابن اخت الحاج امين الحسيني . وأكثر من ذلك ، ينبغي ان نضيف ان بعض اعضاء الهيئة من الطبقة العليا ، كانوا مرتبطين بالزواج بأسر اريستوقراطية او نافذة أو ذات مكانة اجتماعية بارزة في الاقطار المجاورة.

ومن الجدير بالملاحظة انه بين اعضاء الهيئة الثمانية والعشرين من ابناء الطبقة العليا ، ١٨ عضوا ، أي ٦٤،٣ بالمئة ، تلقوا دراسات في معاهد عليا او كليات جامعية ، في حين ان عشرة فقط من بينهم لم يتلقوا مثل هذا المستوى التعليمي. ان النسبة المرتفعة نسبيا للذين تلقوا دراسة جامعية بين ابناء الطبقتين العليا ، والوسطى الى حد ما ، دلالة على ان التعليم الجامعي كان خلال الفترة الزمنية محل الدراسة ، امتيازا لأسر الطبقات العليا والوسطى الى حد كبير .

كان أصل بعض اعضاء الهيئة من الطبقة العليا، من الريف . فعلى سبيل المثال ، ان أسرة « ماضي » من قرية أجزم في قضاء حيفا ، وانتقل

بعض افرادها للاقامة في حيفا . وكذلك مركز وأصل عائلة عبد الهادي منذ مئات السنين في قرية « عرابة » . وانتقل عدد كبير من أبناء العائلة للاقامة في جنين ونابلس . وان عائلة « سرحان » هي أصلا من قرية « الكابري » في قضاء عكا . ثم انتقل بعض افرادها الى عكا . ويتضح لنا من هذه المعطيات ان حركة الانتقال الاجتماعي من الريف الى المدينة ، كانت تتجه نحو المدينة الاقرب الى القرية المقصودة .

ولقد انحدرت بعض أسر الطبقة العليا في القدس التي ينتمي اليها بعض أعضاء الهيئة ، من أسر اسلامية لقادة عسكريين وموظفين كبار من القرون الوسطى . ان الحسينيين مثلا ينحدرون ، كما هو شائع ، من الحسين ، ابن الخليفة علي بن ابي طالب وفاطمة ابنة الرسول محمد بن عبدالله. وهذه الاسرة ذات الاصل اليمني وفدت الى القدس أما في القرن الثالث عشر او في القرن السادس عشر . ومن المعتقد كذلك ان اسرة موسى العلمي استقرت في فلسطين في القرن السابع عشر ، وانها من منشأ شمال افريقي(٦٧). وان أسرة حسين فخري الخالدي تعتقد بأنها تنحدر من سلالة خالد بن الوليد ، قائد الجيش الاسلامي الذي فتح فلسطين في القرن السابع الميلادي(٦٨).

وعلاوة على ذلك ، فان اعضاء الهيئة من أبناء الطبقة العليا من غير أبناء القدس ، يدعون كذلك الانحدار من قبائل عربية كبيرة في شبه الجزيرة العربية . وعلى سبيل المثال ان عائلتي طوقان وعبد الهادي ترجعان بنسبهما الى قبائل عربية في شبه الجزيرة(٦٩).

ويمكن اعادة النفوذ القوي لبعض اعضاء الهيئة العربية العليا ، اجتماعيا وسياسيا واقتصاديا ، الى العهد العثماني كذلك . ان العديد من المراكز المرموقة اجتماعيا وسياسيا كانت تنتقل أبا عن جد في أصول العائلة نفسها . ان هذه حالة صريحة ونموذج واضح لتكريس النخبة السياسية تبعا للانتساب العشائري المعين . وان بقاء رئاسة بلدية القدس في يد عدة أشخاص من آل الحسيني بين ١٨٦٤ — ١٩١٤ مثلا ، هو دليل على نفوذ الحسينيين اجتماعيا وسياسيا . فان بين الرؤساء العرب الثلاثة عشر لبلدية القدس خلال الفترة المذكورة ، ستة من الاسرة الحسينية(٧٠). وخلال عهد الانتداب البريطاني كان أحد آل الحسيني يتولى رئاسة بلدية القدس وهو موسى كاظم الحسيني .

هذا ولقد احتفظ عدد من اعضاء الهيئة بالالقاب التركية القديمة مثل الافندي والبيك والباشا . وبين أعضاء الهيئة العربية العليا الاثنين والثلاثين ستة على الاقل يحملون لقب البكوية ، وأربعة يحملون لقب الافندية ، واثنان يحملان لقب الباشوية .

الجدول الرقم (٢٦) : تاريخ انضمام اعضاء الهيئة العربية العليا لفلسطين

تشكيلة الهيئة	عدد الاعضاء	عدد الاعضاء الجدد	النسبة المئوية لعدد الاعضاء الجدد
١٩٣٦/٤	١٢		
١٩٤٥/١١	١٣	٦	٤٦،١
١٩٤٦/ ٣	٢٢	١١	٥٠،٠
١٩٤٦/ ٦	١٠	٣	٣٠،٠

الفرصة السياسية

يقدم التحقيق السابق أساسا لادراك بعض الشروط التي لا غنى عنها لارتقاء مناصب القيادة السياسية . من الطبيعي ان حجم الفرص السياسية المتوافرة لاكتساب عضوية الهيئة العربية العليا ، يتوقف على حدوث شواغر في عضويتها . وكانت الحالة المتزعزعة وغير المستقرة أبرز ما يلفت النظر في مسيرتها . ولقد وقعت التغييرات والتبدلات في تركيب الهيئة وتشكيلاتها المتعددة تبعا لعوامل داخلية وخارجية . وحدث

في بعض الحالات ان ادى الشقاق بين أطراف الهيئة المختلفة الى اجتكاكات ثم انسحابات من عضويتها . وتوفر هذه الانسحابات بالطبع فرصا أمام العناصر الجديدة الطامحة لعضوية الهيئة . وحدث في يوليو ١٩٣٧ على سبيل المثال ان اثنين من اعضاء اللجنة استقالا احتجاجا على الطريقة التي تعالج بها بعض النواحي السياسية . وكان خروجهما فرصة لدخول عنصرين جديدين في اللجنة، كما كانت جامعة الدول العربية عنصرا خارجيا يؤثر في تحديد طبيعة تكوين الهيئة وتركيبها العضوي . ان النزاعات المستمرة بين أعضاء الهيئة واجنحتها البارزة ، كانت تدفع « الجامعة » على الدوام الى التدخل في تشكيل الهيئة وأعضائها .

ومن الطبيعي ان حجم التشكيلة المعينة يحدد حجم ومقدار الفرص السياسية . فكلما كان حجم التشكيلة أكبر، كان مجال الفرص السياسية أوسع بالطبع . وتتقلب حجم الهيئة صعودا وهبوطا . فان تشكيلة أبريل ١٩٣٦ تكونت من ١٢ عضوا ، فيما تكونت تشكيلة نوفمبر ١٩٤٥ من ١٣ عضوا . وان خمسة اعضاء من الذين شاركوا في التشكيلة الاولى ، لم يكونوا في التشكيلة الثانية . وهكذا يمكن القول ان ستة عناصر جديدة انفتح أمامها باب المشاركة السياسية في التشكيلة الثانية . وبلغ تشكيل الهيئة أقصى حد له في مارس اذ تكونت من ٢٢ عضوا .

وهكذا نرى انه كانت هناك على الدوام عمليات دخول متواصلة من قبل عناصر جديدة الى النخبة العربية السياسية في فلسطين . وكما يكشف الجدول الرقم ٢٦ ، فان الاعضاء الجدد الذين قبلوا في كل تشكيلة من تشكيلات الهيئة يمثلون نسبة عالية . ان احدى التشكيلات ، تلك التي تكونت في مارس ١٩٤٦ ، ضمت أحد عشر عضوا جديدا ، أي بنسبة ٥٠ بالمئة من مجموع اعضائها . وان كثرة عدد العناصر الجديدة التي دخلت عضوية الهيئة ، دلالة ومؤشر على حجم التجدد ومقدار التبدل للنخبة العربية السياسية في فلسطين . ولكن حيث أن ٢٨ عضوا من مجموع أعضاء تشكيلات الهيئة جميعا ، هم من حمائل الطبقة العالية ، فان من الواضح ان عملية التجدد والتبدل للنخبة العربية كانت تجري في اطار محدود ضمن الطبقة العليا نفسها ، التي كانت متركزة في انحاء المدن التي كانت بدورها تشكل نسبة منخفضة من اجمالي سكان فلسطين الذين كان معظمهم من الفلاحين .

ولقد كان الصعود السياسي يحدث ضمن تأثيرات عدة عوامل سياسية ودينية واقتصادية . وكثيرا ما كان يحدث ان يكون ولاء الشخص السياسي او الحزبي ، او ولاء حمولته لآل الحسيني الاقوياء ، او للحاج امين الحسيني شخصيا ، سببا في دفع ذلك الشخص الى مقدمة المسرح السياسي . وكانت ديانة بعض أعضاء الهيئة المسيحيين ، السبب في اختيارهم لعضوية الهيئة ، اذ لم تظهر أية تشكيلة من تشكيلات الهيئة ، دون ان يشارك في تكوينها العنصر المسيحي . وجرى اولا اختيار يعقوب فراج لطائفة الروم الارثوذكس ، وكذلك الفرد روك كممثل لطائفة الروم الكاثوليك ، رغم انهما ينتميان الى فريقين متنازعين على الصعيد السياسي . وانه لأمر ذو مغزى ان يعقوب فراج عندما قدم استقالته من الهيئة في يوليو ١٩٣٧ ، استبدل بعربي مسيحي آخر ، وان لم يكن من الخط السياسي نفسه الذي ينتمي اليه فراج .

وكان الوضع الاجتماعي والاقتصادي للشخص يؤثر في فرض اختياره لعضوية الهيئة . وكان هناك اعتقاد بجدوى وفائدة اختيار أشخاص لعضوية الهيئة ، من الذين يتمتعون بالثروة والمركز الاجتماعي المرموق . وكشف لنا التحليل السابق ان ٢٨ من أصل أعضاء الهيئة العربية الاثنين والثلاثين ، كانوا من أبناء حمائل الطبقة العليا . وان أربعة فقط من الاعضاء ينتمون الى أسر متوسطة الطبقة . ولم يكن هناك أي عضو من الطبقة الدنيا .

كما كان محيط الشخص وبيئته ومنطقة اقامته من العوامل التي ساهمت في تقرير عضوية الهيئة . وتبين لنا في التحليل السابق ، كيف أن ٢٨ من أعضاء الهيئة الاثنين والثلاثين ، جيء بهم من أوساط مدينية . ومع ان عناصر القدس في الهيئة كانت ذات وزن معتبر ، الا انه يجب القول ان تمثيل مدينتي نابلس ويافا في الهيئة كان مضمونا باستمرار .

تلاشي « الفريق النواة »

كما ذكرنا من قبل ، فان تشكيلة اللجنة العربية الاولى التي تألفت من عشرة اعضاء ، تأسست في الخامس والعشرين من ابريل ١٩٣٦ . احتل هؤلاء الاشخاص مكانة مركزية في قلب الحركة العربية الوطنية في فلسطين . في هذه التشكيلة كانت الاحزاب العربية السياسية الستة في فلسطين ممثلة بقادتها ، وكان فيها زعيما الطائفتين المسيحيتين الروم الارثوذكس والروم الكاثوليك في فلسطين ، وكان فيها مفتي القدس الذي تولى كذلك رئاسة المجلس الاسلامي الاعلى ، والذي كان سياسيا ذا شهرة وشعبية ونفوذ . وترأس المفتي الحاج امين الحسيني اللجنة . وكان هناك ايضا راغب النشاشيبي الذي مثل حزبه في اللجنة.

ومع ان اعضاء الهيئة كانوا متباينين الآراء حول المدى الذي ينبغي ان تصل اليه معارضة السياسة البريطانية لانشاء وطن قومي لليهود في فلسطين ، الا انهم جميعا كانوا متفقين على قرارات تتعلق بوقف الهجرة اليهودية الى فلسطين ، ووقف بيوع الاراضي العربية لليهود ، واقامة حكومة وطنية تكون مسئولة امام مجلس تمثيلي منتخب ، كبديل للانتداب البريطاني(٧١).

ونظرا للدور المركزي الواضح الذي لعبه هؤلاء الاعضاء العشرة (الفريق النواة) في النظام السياسي لفلسطين العربية ، فانهم يستحقون ان نقف عندهم ولو وقفة قصيرة . كانت نسبة اعضاء الهيئة من الفريق النواة ، في تشكيلات الهيئة الثلاث اللاحقة ، عالية حقا . فمن الزعماء العشرة الذين شكلوا اللجنة الاولى ، احتفظ سبعة منهم بعضويتهم في تشكيلتي نوفمبر ١٩٤٥ ، ومارس ١٩٤٦ . وهؤلاء هم عوني عبد الهادي ، وأحمد حلمي عبد الباقي ، ويعقوب الغصين ، وجمال الحسيني ، وحسين فخري الخالدي ، وراغب النشاشيبي ، وعبد اللطيف صلاح . ومرد هذا الهبوط في عددهم من عشرة الى سبعة كان وفاة يعقوب فراج في ١٩٤٤ ، ووفاة الفرد روك في ١٩٤٢ ، واحتجاز الحاج امين الحسيني في فرنسا بسبب علاقاته مع المحور خلال الحرب العالمية الثانية .

ان نصف اعضاء الفريق النواة الثمانية المتبقين، احتفظوا بمقاعدهم في التشكيلة الرابعة . وكان هؤلاء الاعضاء الاربعة : أحمد حلمي عبد الباقي ، والحاج أمين الحسيني ، وجمال الحسيني ، وحسين فخري الخالدي . وهذا الهبوط في عدد أعضاء الفريق النواة في تشكيلة الهيئة ، يعود الى الترتيبات التي لجأ اليها مجلس جامعة الدول العربية حيث تشكلت الهيئة من اربعة أعضاء : اثنان حسينيان (جمال الحسيني واميل الغوري) واثنان يمثلان الكتلة المنافسة وهما أحمد حلمي عبد الباقي وحسين فخري الخالدي ، وتولى الحاج امين الحسيني رئاسة الهيئة . وكان الاربعة الذين لم يؤخذوا في عضوية التشكيلة : عوني عبد الهادي ، ويعقوب الغصين ، وراغب النشاشيبي ، وعبد اللطيف صلاح .

وكانت احدى نتائج الحرب العربية ــ اليهودية عام ١٩٤٨ سير الهيئة العربية العليا في طريق الضعف والوهن . ولم تصبح الهيئة بعد هذه الحرب أكثر من اسم ولافتة . ولم يعد للهيئة وجود على صعيد الغايات العملية .

وأدى سياق الاحداث السياسية والعسكرية وتعاقبها على مسرح فلسطين بعد الحرب العربية ــ الاسرائيلية عام ١٩٤٨ ، الى بعثرة وتشتيت الشعب العربي الفلسطيني . وكان من نتائج هذا بين أمور أخرى ، ان ثمانية من أعضاء « الفريق النواة » ، تبعثروا بين انحاء مختلفة من أقطار الشرق الاوسط . وتولوا جميعا مناصب حكومية متنوعة . ثلاثة منهم تولوا الوزارة في الاردن في الخمسينات وهم : عوني عبد الهادي ، وحسين فخري الخالدي ، وراغب النشاشيبي حتى وفاته. وأصبح أحد السبعة المتبقين ، وهو عبد اللطيف صلاح ، في الخمسينات عضوا في مجلس الاعيان في الاردن ، ولقد توفي بعد سنوات من تقلده هذا المنصب . ومن الستة المتبقين ، توفي اثنان : يعقوب الغصين وأحمد حلمي عبد الباقي الذي وافته المنية عام ١٩٦٣ . وفي سنة ١٩٧١ عاد الحاج أمين الحسيني ليسهم في العمل السياسي ، بتزعمه جماعة يمينية صغيرة ذات اتجاه ديني ، باسم « الفتح الاسلامي » . وتوفي الحاج امين الحسيني في يوليو ١٩٧٤ .

انشقاق في صفوف النخبة السياسية

أشرنا من قبل الى ان النخبة العربية السياسية في فلسطين كانت تعاني على الدوام من نزاعات داخلية مستعصية بسبب عدة عوامل وأسباب . لقد كانت هناك العداوة القديمة بين حمولتي الحسينية والنشاشيبية . وكانت الحمولتان من أقوى العشائر نفوذا في فلسطين . ونشا النزاع بينهما بسبب الصراع المستمر على احتلال المناصب القيادية الاجتماعية والسياسية . وكانت لكل منهما تحالفات مع حمائل وعشائر اخرى . وكانت الخصومة بين اعضاء الهيئة من الحسينية والنشاشيبية انعكاسا للعداوة بين المعسكرين المتنافرين . ونظرا لما كان يتمتع به الفريقان من تأثير واسع الاثر على مجمل الحياة العربية في فلسطين . وكان هذا التنابذ والشقاق ملموسين كذلك في القرى العربية . ففي كثير من القرى ذات الاكثرية الاسلامية والاتجاهات التقليدية والارتباط الديني القوي ، انقسم أهالي القرية الى معسكرين : أحدهما يؤيد الحسينية ، والثاني يؤيد النشاشيبية . وتسبب هذا الصراع بين الفريقين في كثير من الحالات بالحاق ضرر فادح بالمصلحة العربية الوطنية نفسها في فلسطين . اذ وصل امر التنازع الى حد انه اذا قدم أحد الفريقين أي مشروع ، فالفريق الاخر يعارضه ولو كان المشروع يخدم المصلحة العربية في فلسطين فعلا .

ثم ان « الحزبين » كانا يختلفان في درجة معارضتهما للانتداب البريطاني وللسياسة البريطانية العاملة لاقامة وطن قومي يهودي في فلسطين . فرغم ان الفريقين أعلنا معارضتهم للانتداب ولمشروع الوطن القومي اليهودي ، الا ان « الحزب » النشاشيبي أظهر قدرا من الاعتدال أكثر مما بدا من « الحزب » الحسيني . ولقد وفينا هذه الناحية من البحث حقها في موضع سابق ، ولذا لا حاجة للعودة الى هذا الموضوع والاسهاب فيه .

وربما كانت الخلافات في المواقف واضحة ايضا داخل كل حزب من الاحزاب العربية السياسية . وأشرنا في مكان سابق الى الخلاف بين جمال الحسيني وبين الحاج امين الحسيني حول المدى الذي يجب ان تصل اليه المعارضة العربية لبريطانيا ، ودرجة حدة هذه المعارضة . فلقد حث جمال الحسيني الحاج أمين في عدة مناسبات على ان يقبل خطة تقسيم فلسطين ، وان يحصر عداوته لبريطانيا ضمن موضوع القضية الفلسطينية .

كما ان التكوين الاجتماعي للاحزاب السياسية ، كان مصدرا آخر للتباين بين هذه الاحزاب . فحزب الكتلة الوطنية مثلا بزعامة عبد اللطيف صلاح ، كان محدود النطاق . ان السواد الاعظم من أتباع هذا الحزب كانوا في مدينة نابلس والانحاء المجاورة . فكانت نابلس مكان ولادة زعيم الحزب ، ومحل اقامته ، ومقر الحزب . وعلى نقيض حزب الكتلة الوطنية ، فان قادة حزب الاستقلال هم في الغالب من الفئة المثقفة في المناطق المدينية ، وعلى نقيض حزب الكتلة الوطنية الذي كان يقوم كليا على الدعم المحلي جدا الذي يتلقاه من منطقة معينة هي نابلس وجوارها ، فان حزب الدفاع الوطني للنشاشيبية ، والحزب العربي الفلسطيني للحسينية ، لقيا مساندة وانصارا في كل مدينة من مدن فلسطين تقريبا ، وفي كثير من قرى فلسطين العربية . ومع ان كلا الحزبين يضمان في صفوفهما عناصر من الطبقة الوسطى ، فان جماعة النشاشيبية في حزب الدفاع الوطني كان لديها من الانصار من أبناء الطبقة الوسطى أكثر مما كان للحزب العربي الفلسطيني . وكان الحاج أمين الحسيني أكثر الزعماء والسياسيين وقادة الاحزاب شعبية في أوساط الفلاحين المسلمين . ويمكن تفسير هذا الاعجاب العظيم بالمفتي ، وهذا التأييد الكبير لحزبه في الاوساط الريفية الاسلامية، بسبب منصبه كمفتي القدس ورئيس المجلس الاسلامي الاعلى . ولقد دعا الحاج امين الحسيني الى معارضة الصهيونية باعتبار ان هذا الموقف يمثل تطبيقا للتعاليم الاسلامية . وعبرت شعبية الحاج امين الحسيني الواسعة في الاوساط الريفية الاسلامية ، عبرت عن نفسها ، بشعارات وأهازيج رددها الفلاحون ، ومن ذلك قولهم « سيف الدين الحاج امين » . أما بالنسبة الكبيرة من أعضاء حزب الاستقلال من مثقفي المدن ، فهي كافية لتوضيح الالتزام الايديولوجي الاقوى الذي أعطاه الحزب لقضية القومية العربية ، واستعداده للتسوية مع الانتداب البريطاني وسياسة انشاء

الوطن القومي اليهودي . وقد يكون للنسبة المهمة من أبناء الطبقة الوسطى في حزب الدفاع الوطني ، دور في ذلك الاتجاه المعتدل ازاء بريطانيا وتجاه يهود فلسطين على السواء . ففي خلال المجابهات العسكرية والسياسية في فلسطين في الفترة التي تخللت الحرب ، كانت الطبقة الوسطى أكثر طبقات المجتمع معاناة على الصعيد الاقتصادي .

الحواشي :

١ — ان هناك ندرة في الدراسات المنهجية عن القيادة السياسية لجميع بلدان الشرق الاوسط . وبين المؤلفات القليلة المنشورة ، كتاب ريتشارد هرير ديكمجيان ، « **مصر في ظل حكم ناصر : دراسة لقوى التحريك السياسي** »، (الباني : منشورات مطبعة جامعة ولاية نيويورك ، ١٩٧١) ، الصفحات ٩ — ١٣ ، وكتاب فريدريك فري «**النخبة السياسية التركية**» (كامبردج ، ميت برس ١٩٦٥) ، وكتاب وليم كوانت « **الثورة والقيادة السياسية : الجزائر ١٩٥٤ — ١٩٦٨** » (كامبردج ، ميت برس ، ١٩٦٩) وكتاب جي ووتربري « **أيام المؤمنين ، النخبة السياسية المراكشية، دراسة في جوانب سياسية** » (نيويورك ، منشورات جامعة كولومبيا ، ١٩٧٠) وكتاب م. زونيس ، « **النخبة السياسية في ايران** » ، برنستون ، منشورات جامعة برنستون ، ١٩٧١) ، ولستر سليجمان في كتاب «**القيادة في أمة جديدة: التطور السياسي في اسرائيل** » (نيويورك : اترتون ، ١٩٦٤) ، وكتاب ميشال بريتشر « **نظام السياسة الخارجية في اسرائيل : الخلفية والتصورات والسيرورة** » (نيوهافن: منشورات جامعة ييل ، ١٩٧٢) .

٢ — انظر فريدريك دبليو. فراي في كتابه « **تحليل السلطة** »، حاشية الصفحة الاولى كما اقتبسها مارفن زونيس في الكتاب **السابق الذكر**، ص٦ .

٣ — ف. دبليو. فراي في كتاب «**التطور السياسي: السلطة والاتصالات في تركيا** » ، وكذلك كتاب « **الاتصالات والتطور السياسي** » الذي حرره لوسيان دبليو. باي (برنستون ، منشورات جامعة برنستون ، ١٩٦٣) الصفحة ٣٠٢ .

٤ — **المصدر نفسه** ، الصفحة ٣٠٢ .

٥ — هناك تعريف طريف لكلمة « النخبة » تجده في كتاب أي دي جرازيا ، وبي. دوتشمان ، واف هنتر ، « **تحليل النخبة : هكذا يمكنك اكتشاف قادة مجتمع ما وكشف احتمالات تجريحهم دعاويا**» (ستانفورد : معهد الدراسات الصحافية ، ١٩٥٥ ، الصفحة الاولى ، نسخة مسحوبة على الستانسل) .

٦ — حيثما وجدنا تواريخ متعددة لولادة أحد اعضاء الهيئة ، فاننا تبنينا تاريخ الولادة المسجل في المصدر الاجدر بالاعتماد والثقة . وحيثما انتفى عامل الثقة او الجدارة ، فلقد كنا نأخذ بالاعتبار معدلا وسطيا بين تواريخ الولادة المتعدد .

٧ — في أول سنة لعضوية الهيئة .

٨ — في السنوات . وان « العضوية السابقة » لا تعني بالضرورة الاشتراك بعضوية تشكيلة للهيئة سابقة مباشرة للتالية .

٩ — « **فلسطين : دراسة للسياسات اليهودية والعربية والبريطانية** »(نيوهافن : منشورات جامعة ييل ، ١٩٤٧) الصفحة ٤٦٥ .

١٠ — صالح مسعود ابو بصير ، « **جهاد شعب فلسطين خلال نصف قرن** ». (بيروت : دار الفتح للطباعة والنشر ، ١٩٦٨) ، الصفحة ١٨٢ .

١١ — ابو بصير ، المصدر السابق ، الصفحة ١٨٢ .

١٢ — « **فلسطين : دراسة للسياسات اليهودية والعربية والبريطانية** » المصدر السابق ، الصفحة ٨٦١ .

١٣ — اميل الغوري ، « **المؤامرة الكبرى** » (القاهرة ، ١٩٥٥) ، الصفحة ١٦٨ .

١٤ — يمكن الرجوع الى محمد عزة دروزة ، « **القضية الفلسطينية : تاريخ ومذكرات وتعليقات** » ، صيدا ، المكتبة العصرية ، ١٩٥٩ ، ١٩٦٠) ، الجزء الثاني ، الصفحتان ٥٧—٥٨ .

١٥ ــ أنظر أحمد عطية الله في «**القاموس السياسي**» (القاهرة : دار النهضة العربية ، ١٩٦٨) ، الصفحة ١٣٧٦ .

١٦ ــ أنظر دروزة ، **المصدر السابق** ، الصفحتان ٥٧ ــ ٥٨ .

١٧ ــ هاري ج. بندا ، « الانتلجنسيا في غرب كتخبات سياسية » في « **التبدل السياسي في البلدان المتخلفة : القومية والشيوعية** » ، تحرير جون هـ. كاوتسكي (نيويورك : دايلي ، ١٩٦٢) الصفحة ٢٤١ .

١٨ ــ لقد حولنا الارقام الى ارقام صحيحة وقد لا يكون حاصلها الاجمالي ١٠٠٪ .

١٩ ــ لتحليل هذه الظاهرة ، أعني الميل الموجود في البلدان النامية لدراسة القانون والمواد الانسانية ، يمكنك الرجوع الى بندا ، **المصدر نفسه** ، الصفحات ٢٤٠ــ٢٤٢ : « وهكذا ، فبينما هناك نقص فادح في جميع بلدان آسيا والشرق الاوسط وافريقيا وحتى اميركا اللاتينية ، وحاجة شديدة الى الاطباء والمهندسين والعلماء، فان الاكثرية الساحقة من المثقفين والمتعلمين خارج الدول الغربية تتخصص في نواحي القانون والدراسات الانسانية ، لان كلا التخصصين يشبعان ــ كما يبدو ــ الرغبة في البروز الاجتماعي حسب المفاهيم السائدة » ، **المصدر نفسه** ، صفحة ٢٤١ .

٢٠ ــ بما في ذلك علم الجريمة .

٢١ ــ تشتمل العلوم الاجتماعية في هذا التصنيف على العلوم السياسية والتاريخ .

٢٢ ــ عبد اللطيف الطيباوي ، « **التعليم العربي في فلسطين في ظل الانتداب** » (لندن ، لوزاك ، ١٩٥٦) الصفحتان ٢٠ ــ ٢١ .

٢٣ ــ **المصدر نفسه** ، الصفحة ٢٤٤ .

٢٤ ــ في جزء آخر من الدراسة تبيان لفئات الدرجات التعليمية المشابهة .

٢٥ ــ في العادة ، ان نسبة من فئة حملة شهادات الدكتوراه ودكتوراه الطب، تحمل شهادات تنتمي الى فئة ب.ع. وم.ع. ولا وجود بين هؤلاء الاعضاء الذين ينتمون الى الفئات التعليمية الثلاث ، من حصل أكثر من درجة علمية واحدة (شهادة) في المستوى التعليمي نفسه . ان نقطة الاهمية هنا لا تتمثل في عدد الشهادات التي حصلها الاعضاء في المستوى الدراسي نفسه ، وانما على المستوى العامودي للتحصيل الدراسي . ان اهتمامنا هنا ينصب على الناحية العامودية لا الافقية من عملية التحصيل العلمي.

٢٦ ــ لقد حولنا الارقام الى أرقام صحيحة ولذا قد لا يكون المجموع ١٠٠٪ .

٢٧ ــ « **مسح فلسطين** » (القدس : مطبعة الحكومة ، ١٩٤٦) الصفحات ٦٣٨ و٦٩٩ .

٢٨ ــ مع ان عددا من المعاهد التعليمية في فلسطين كانت مصنفة « ككليات » ، فان مستوى غالبية هذه المعاهد لم يكن يسوغ هذا التصنيف، فهو في الواقع مستوى الدراسة الثانوية العالية لا أكثر . ونحن في دراستنا اعتبرنا المعاهد التعليمية التي كانت مصنفة على انها «كليات»، والتي لم نجد ما يبرر لها هذا التصنيف ، اعتبرناها في مستوى المدارس الثانوية ، ولم نحتسبها بين الكليات الجامعية . واذا رغبت بالتعرف الى شكل وطبيعة النظام المدرسي في فلسطين في ظل الانتداب ، يمكنك الرجوع الى عبد اللطيف الطيباوي في **المصدر السابق ذكره**، وخاصة الصفحات ٤٢ــ٧٦ .

٢٩ ــ فيما يتعلق بنظام التربية والتعليم والمعاهد التعليمية في فلسطين تحت حكم الانتداب ، يمكنك مراجعة « **الشرق الاوسط** » ، الصادر عام ١٩٤٨ (لندن ، منشورات يوروبا) الصفحات ٢٢٧ ــ ٢٣٣ .

٣٠ ــ « مسح فلسطين » (القدس: مطبعة الحكومة ، ١٩٤٦) ، الصفحة ١٤١ .

٣١ ــ **المصدر نفسه** ، الصفحة ١٤١ .

٣٢ ــ هذا الرقم يشتمل على ٦٦،٥٠٣ من البدو، وان نسبة العرب بين سكان فلسطين تعادل وفق هذا الاحصاء ٨١،٤٢٪ من مجموع السكان الذي كان ١٤،٣٥،٨٢١ نسمة . أنظر « **فلسطين : دراسة للسياسات اليهودية والعربية والبريطانية** » ، الصفحة ٤٩٦ . وان تعريف « العربي » هنا انه أي شخص لغته الام العربية .

٣٣ ــ مع ان نسبة المواليد بين سكان فلسطين العرب المسلمين كانت أعلى من نسبة المواليد لدى سكان فلسطين العرب المسيحيين ، فان

الزيادة الطبيعية الصافية ، أي زيادة حالات الولادة على حالات الوفاة ، لكل من المسلمين والمسيحيين بين عرب فلسطين ، لم تسجل فارقا كبيرا . ومرد هذا ان نسبة الوفيات بين المسلمين كانت أعلى من نسبة الوفيات بين العرب المسيحيين . (**المرجع نفسه**) الصفحة ٤٦٤ .

٣٤ ــ **المصدر نفسه** ، الصفحة ٤٩٨ .

٣٥ ــ **المصدر نفسه** ، الصفحة ٤٦٥ .

٣٦ ــ بناء لاحصاء ١٩٣١ ، **المصدر نفسه** ، الصفحة ٤٩٦ .

٣٧ ــ محمد فيصل عبد المنعم ، « **فلسطين والغزو الصهيوني** » ، القاهرة ، مكتبة القاهرة الحديثة ، ١٩٧٠ ، الصفحة ٤٠٧ .

٣٨ ــ لقد ولد أحد هؤلاء الاربعة في شفاعمرو . ونحن في هذه الدراسة اعتبرنا شفاعمرو ــ التي كان عدد سكانها عام ١٩٤٤ (٣٦٤٠) نسمة ــ على انها من الريف ، رغم ان السلطات الادارية البريطانية اعتبرتها مدينة . أنظر « **مسح فلسطين** » ، المصدر السابق ، الصفحة ١٥١ .

٣٩ ــ ان هيمنة العاصمة على بقية انحاء البلد في عدة جوانب من حياة المجتمع ، في كثير من اقطار العالم النامي ، حقيقة مسلم بها . كما لاحظ ل. بايندر ان « التوزيع الريفي ــ المديني في ايران ، كما في كثير من دول العالم النامية ، يجعل معظم السكان في الريف ، ويركز السلطة السياسية في المدينة العاصمة ... وان مصير الامة يتقرر في طهران . ويمكن القول بيقين ثابت ان كناسي الشوارع في طهران يتمتعون بفعالية سياسية تؤثر في مستقبل النظام ، اكثر مما هناك من تأثير أو اهمية لهموم وأماني النخبة الموجودة في عدد لا يحصى من القرى وانحاء الريف » ، انظر ليونارد بايندر في كتابه : « **ايران ، التطور السياسي في مجتمع متغير** » ، الصفحة ١٦١ . واذا شئت ان تأخذ فكرة عن مكانة القدس في التاريخ الاسلامي والعربي ، يمكنك الرجوع الى كتاب عبد اللطيف الطيباوي : « **القدس : منزلتها في الاسلام وفي التاريخ العربي** » (بيروت : مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، ١٩٦٩) .

٤٠ ــ « **فلسطين : دراسة للسياسات اليهودية والعربية والبريطانية** » ــ المصدر السابق ، الصفحات ٤٨٣ ــ ٤٨٦ و ٥١٠ .

٤١ ــ المعهد الملكي للشؤون الدولية ، « **بريطانيا العظمى وفلسطين ، ١٩١٥ــ١٩٣٩** » (نيويورك الصفحة ٣٧) .

٤٢ ــ « **فلسطين : دراسة للسياسات اليهودية والعربية والبريطانية** » ، المصدر السابق ، الصفحة ٤٧٢ .

٤٣ ــ دون بيرتز ، « **الشرق الاوسط في الوقت الحاضر** » (نيويورك : هولت ، رايتهارت وونستون ، ١٩٦٣) ، الصفحة ٢٦١ .

٤٤ ــ ان تعريف دبليو. هوارد ريجنز لكلمة زمرة او « شلة » ينطبق على الاحزاب العربية السياسية في فلسطين ، باستثناء حزب الاستقلال والحزب الشيوعي . ولاحظ ريجنز « ان الشخصيات القيادية في معظم البلدان النامية ، تجد حولها رجالا يتبعون زعيما من الزعماء ، بسبب الصلات العائلية ، والمنطقة المشتركة ، والتجربة المشتركة في الجبارة السياسية ، والعلاقات الشخصية ... وان الاحزاب السياسية ليست في مراحل نشوئها ونموها الاولى أكثر من تجمعات ذات تبعية شخصية ، وتلتقي معا الا بصورة مؤقتة حول هدف سياسي معين ومحدد ، كطلب الاستقلال مثلا » . « **حتمية الحاكم** » (نيويورك : مطبوعات جامعة كولومبيا ، ١٩٦٩) ، الصفحتان ٧٣ و٧٤ . وحول هذه المسألة أيضا تستطيع الرجوع الى ديفيد ويلسون ، « **العمل السياسي في تايلند** » (اثاكا : مطبوعات جامعة كورنيل ، ١٩٦٢) الصفحات ١١٦ و٢٣٢ و٢٤٦ ــ ٢٤٧ .

٤٥ ــ كان عوني عبد الهادي ورفيق التميمي ــ وكلاهما من أعضاء الهيئة العربية العليا ــ من الذين شاركوا عام ١٩١١ في تأسيس جمعية الشباب العربي و« **العربية الفتاة** ». وطالبت هذه الجمعية باستقلال عربي كامل عن السلطنة العثمانية ، وباقامة دولة عربية واحدة . وحتى اوائل الحرب العالمية الاولى ، لم يكن هناك وجود لاي حزب سياسي شرعي في سورية ، ولم تظهر جمعية الشباب العربي « العربية الفتاة » الى العلن الا عند نهاية الحرب العالمية الاولى ،

وأعلنت في فبراير ١٩١٩ انها بتواصل كفاحها بصورة شرعية في اطار « **حزب الاستقلال العربي** » ، واصبح وجود الحزب بعد ١٩٢٥ متقطعا ، لكن اعضاءه العاملين استمروا على دعوتهم الى الايديولوجية القومية العربية . وان أقلية من هؤلاء ، مثل عوني عبد الهادي ، أسست منظمات سياسية واطلقت عليها اسم حزب الاستقلال . وهكذا فان حزب الاستقلال المكون حديثا في فلسطين ، ينحدر في الحقيقة من حزب الاستقلال العربي — الام في سوريا ، ويمثل استمرارا لذلك الحزب . وكان عسوني عبد الهادي همزة الوصل بين الفرع الفلسطيني الجديد من الحزب ، وبين الحزب القديم .

٤٦ — من رسالة دبلوماسية رسمية بعث بها القنصل الامريكي العام في القدس الى الخارجية الامريكية في واشنطن ، ٢٢٤٥ — أ/٠٠ ن٨٦٧ ، الصفحتان ٥ — ٦ ، موجودة في الارشيف الامريكي الوطني ، واشنطن دي. سي.

٤٧ — برغم تأسيس هذا الحزب ، فان الحسينيين لم يتخلوا عن قولهم انهم لم يكونوا « حزبا » بالمعنى الضيق للكلمة ، بل ممثلين للشعب العربي الفلسطيني بأسره . ومن هنا جاء اسم الحزب « الحزب العربي الفلسطيني » على هذا النحو التعميمي .

٤٨ — حذف اسم موسى العلمي من قائمة زعماء الحزب ، لانه رفض ان يصبح عضوا فعالا فيه. أنظر الرسالة الدبلوماسية الرسمية من القنصل الامريكي العام في القدس الى الخارجية الامريكية في واشنطن ، ٢٢٤٥ — أ/٠٠ ون ٨٦٧ ، الصفحتان ٣ — ٤ ، في الارشيف الامريكي الوطني في واشنطن دي. سي.

٤٩ — **المصدر نفسه** ، الصفحة ٤ .

٥٠ — **المصدر نفسه** ، الصفحتان ٤ — ٥ .

٥١ — أنظر رسائل القنصل الامريكي العام في القدس التي بعث بها الى الخارجية الامريكية ، واشنطن ، ٢٢٤٥ — أ/٠٠ ون ٨٦٧ ، الصفحات ٣ — ٥ ، وكذلك ٢٢٥/٠٠ ون ٨٦٧ (١/٥/ ١٩٣٥) ، الصفحة الثانية ، في الارشيف الامريكي الوطني ، واشنطن دي. سي.

٥٢ — **المصدر نفسه** ، الصفحات ٣ — ٥ .

٥٣ — من القنصل الامريكي العام في القدس الى وزارة الخارجية في واشنطن ، ٢٢٤٥ — أ/٠٠ ون ٨٦٧ ، الصفحتان ١ — ٢ ، الارشيف الامريكي الوطني ، واشنطن دي. سي.

٥٤ — أحمد فراج طايع ، « **صفحات مطوية عن فلسطين** » ، القاهرة ، دار ومطابع الشعب ، ١٩٦٦) الصفحة ١٥٥ .

٥٥ — أحمد فراج طايع ، **المصدر السابق** ، الصفحة ١٥٤ .

٥٦ — دون بيريتز ، **المصدر السابق** ، الصفحة ٢٦١ .

٥٧ — يمكنك الرجوع الى الرسالة الدبلوماسية التي بعث بها القنصل الامريكي العام في القدس الى الخارجية الامريكية في واشنطن ، والمؤرخة ١٨ اكتوبر — تشرين الاول ١٩٣٤ — ٢٢٠/٠٠ ون ٨٦٧ ، الصفحة الثالثة ، في الارشيف الامريكي الوطني ، واشنطن دي. سي.

٥٨ — دون بيريتز ، **المصدر السابق** ، الصفحة ٢٧٠ .

٥٩ — تاريخ هذه الرسالة ١٨ اكتوبر — تشرين الاول ١٩٣٤ ، ورقمها ٢٢٠/٠٠ ون ٨٦٧ — الصفحة الثالثة ، الارشيف الامريكي الوطني ، واشنطن دي. سي. ، وان الاقواس الواردة في النص هي اضافة من عندنا .

٦٠ — عبداللطيف الطيباوي ، « **التعليم العربي في فلسطين في ظل الانتداب** » ، الصفحات ١٤ — ١٦ ، وكذلك جي. سي. هوريويتز ، « **الكفاح من أجل فلسطين** » (نيويورك : فورتون ، ١٩٥٠) الصفحات ٥١ — ٥٣ .

٦١ — وهناك تقسيم من نوع آخر للمجتمع الفلسطيني ، يمكنك الاطلاع عليه في ما كتبه م. شيرمان ، اذ اعتبر المجتمع الفلسطيني منقسما الى خمس طبقات : البدو ، والفلاحون ، والاندية (أي كبار أصحاب الارض المقيمون في المدن) ، والطبقة المدينية الوسطى ، والجماهير المدينية . أنظر كتاب : « **فلسطين : دراسة للسياسات اليهودية والعربية والبريطانية** » ، الصفحات ٥٠٠ — ٥١٦ .

٦٢ — **المصدر نفسه** ، الصفحة ٥٠٥ .

٦٣ — جبريال بابر ، « **السكان والمجتمع في المشرق العربي** » ، (نيويورك ، بريجر ، ١٩٦٤) ، الصفحة ٢١٥ .

٦٤ ــ د. أي. روستو ، « سياسات الشرق الادنى » في « **سياسات المناطق النامية** » ، تحرير جي.اي الموند وجي.اس كولمان (برنستون : مطبوعات جامعة برنستون ، ١٩٦٠) الصفحة ٤٣٨ .

٦٥ ــ أهارون كوهين ، « **اسرائيل والعالم العربي** » (نيويورك : غنك و واجنالز ، ١٩٧٠) الصفحة ١٩٩ . وللاطلاع على تاريخ وتركيب نظام الاراضي في فلسطين ، اقرأ كتاب سامي هداوي ، « **ملكية الارض في فلسطين** » ، (نيويورك ، مكتب اللاجئين العرب الفلسطينيين ، ١٩٥٧) .

٦٦ ــ باير ، **المصدر السابق** ، الصفحة ٢٠٧ .

٦٧ ــ كوهين ، **المصدر السابق** ، الصفحة ٣١٢ ، الحاشية .

٦٨ ــ رغم انه ليس جميع اعضاء الهيئة الذين ذكرنا انحدارهم من أسر اسلامية ، ينتمون الى أسر كانت حاكمة ، الا ان من المفيد مع ذلك مقارنة حالة فلسطين بايران. فان اعضاء النخبة السياسية المولودين في ايران ، في طهران العاصمة ، كانوا في الغالب من ابناء السلالات الايرانية الحاكمة السابقة . ارجع الى مارفن زونيس في كتابه « **النخبة السياسية في ايران** » ، (برنستون ، مطبوعات جامعة برنستون ، ١٩٧١) الصفحة ١٤٣ .

٦٩ ــ ان الكثير من الاسر المدينية الكبيرة والمتنفذة تعيد أصلها الى سلالات قادة مسلمين ورسميين كبار سابقين . على ان هذه المزاعم لا تتمشى مع الحقيقة في عدة حالات .

٧٠ ــ جي.سي. هوريويتز ، **المصدر السابق** ، الصفحة ٥٨ .

٧١ ــ الوثيقة رقم ٥٤٧٩ ، تقرير لجنة بيل الملكية ، (لندن ، المطبعة الحكومية ، ١٩٣٧) الصفحة ٩٧ .

وزارة الخارجية الاسرائيلية وكيف تعمل

نجدة فتحي صفوة

هنالك أربع وسائل رئيسية تستعين بها الدول للتأثير في العالم الخارجي ، والمحافظة على كيانها ومصالحها، وتحقيق اغراضها ضمن المجموعة الدولية التي تعيش بينها ، وهذه الوسائل هي : الدبلوماسية ، والاعلام ، والمال ، والقوة المسلحة . ويصعب كثيرا تحديد أي هذه الوسائل أكثر أهمية ، وأبعد أثرا ، لانها متممة بعضها لبعض ، ومتداخلة لا غنى لواحدة منها عن الثلاث الاخريات . ويتناول هذا البحث جهاز الدبلوماسية الاسرائيلية ، أي وزارة الخارجية ، طبيعتها ، وتكوينها ، وأجهزتها ، وكيفية عملها.

واذا كان الجهاز الدبلوماسي عظيم الاهمية لكل دولة من الدول ، مهما كبرت أو صغرت ، ومهما كانت طبيعة علاقاتها مع الدول الاخرى ، فان له بالنسبة لاسرائيل أهمية خاصة: فاسرائيل — بالرغم من مرور أكثر من ربع قرن على قيامها — دولة ما زال كيانها ، ومشروعية وجودها ، محل خلاف عنيف ، ومع ذلك فانها تحمل نوايا عدوانية وتوسعية . واسرائيل هي الدولة الوحيدة ، في العالم التي لا تعترف بها اية دولة من الدول المجاورة لها ، وتعيش في أزمة مستمرة منذ أن وجدت ، وتشغل منذ قيامها أرضا مغتصبة من شعبها ، وما زال ذلك الشعب متمسكا بأرضه وينازع اسرائيل وجودها في تلك الارض . وهي ، الى ذلك ، تحتل أراضي تعود لثلاث دول من جاراتها ، وتزيد مساحة الاراضي التي تحتلها عن مساحة أراضيها التي اعطيت لها بقرار التقسيم الصادر عن الجمعية العامة للامم المتحدة بأساليب غير ديمقراطية ولا اخلاقية ، وخرقا لمبادىء القانون الدولي ، وحق تقرير المصير ، وحقوق الانسان ، بل وحتى مبادىء ميثاق الامم المتحدة .

واسرائيل هي الدولة الوحيدة من اعضاء الامم المتحدة التي تعيش في تحد مستمر لقرارات المنظمة، ويشكل استمرار وجودها في الاراضي التي تحتلها ما يعرف في لغة القانون الجنائي بـ « الجريمة المستمرة » .

وبالرغم من اعتراف دول متعددة في العالم باسرائيل ، في ظروف ولاسباب متنوعة ، فانها ما تزال تشعر بعقدة نقص بالقياس الى الدول الاخرى ، كما تشعر بالغربة في المنطقة ، وبالعزلة عن العالم .

ولذلك كان اول اهداف الدبلوماسية الاسرائيلية السعي لتأكيد وجود اسرائيل كدولة ذات سيادة على أرض فلسطين ، كما انها تعمل دوما على ايجاد المناخ الدولي الذي يقبل بوجود هذا الجسم السياسي والاجتماعي الغريب وغير المنسجم في هذه المنطقة من العالم ، والذي يضمن بقاءه ودعمه بمختلف الوسائل المباشرة وغير المباشرة(١).

ومن هنا تأتي الاهمية الخاصة للجهاز الدبلوماسي بالنسبة لاسرائيل . ان الدبلوماسية الاسرائيلية ، وأجهزتها في الداخل والخارج ليست ضربا من الترف ، ولا هي وسيلة لاستكمال المقومات السياسية للدولة العصرية ، وانما هي أداة من أدوات العمل من أجل تثبيت كيان هذه الدولة من جهة ، وانجاز البرامج العدوانية والتوسعية لهذه الدولة الفريدة من نوعها في تاريخ الدول — من جهة اخرى .

ولا بد من الاشارة في البداية الى أن هذا

البحث يتناول جهاز الدبلوماسية الاسرائيلية ، وليس سياسة اسرائيل الخارجية . فالسياسة الخارجية لدولة من الدول شيء ، وجهازها الدبلوماسي شيء آخر . ان سياسة اسرائيل الخارجية لا ترسمها وزارة الخارجية بمفردها — وكذلك الامر في جميع الدول — لان تلك السياسة تقرر بواسطة عدد كبير من المحطات والاجهزة ومجموعة من السلطات العليا في الدولة والجيش والاحزاب الحاكمة ، وترسم على ضوء ظروف واعتبارات متداخلة معقدة . أما وزارة الخارجية فهي الاداة التي تتنفذ بها الدولة سياستها الخارجية ، ويتم ذلك عن طريق أجهزة الوزارة في الداخل ، والممثليات الدبلوماسية في الخارج . وعلى مدى كفاءة هذه الاجهزة يتوقف حسن تنفيذ تلك السياسة .

نشأة وزارة الخارجية الاسرائيلية وتطورها

ظهرت وزارة الخارجية الاسرائيلية كاستمرار طبيعي للمكتب السياسي للوكالة اليهودية(٢)، وكان هذا المكتب أشبه بوزارة خارجية مصغرة، ومسؤولا عن علاقات الوكالة اليهودية مع الدول والمنظمات الاجنبية من أجل تنفيذ الاهداف الصهيونية باقامة دولة يهودية على الارض العربية في فلسطين .

وفي بداية تأسيس وزارة الخارجية كان رجال المكتب السياسي للوكالة هم العنصر المسيطر على الخدمة فيها ، وكان نفوذهم شاملا في تكوين تقاليد الوزارة في العمل . فقد كانت الحلقة الصغيرة التي تقوم باتخاذ القرارات في السنوات الاولى أشبه بأعضاء ناد مغلق متضامن تسيطر عليهم روحية العمل الجماعي.وكانوا مجموعة من الرجال يعرف بعضهم بعضا منذ سنوات عديدة .

وكانت الوكالة اليهودية قبل ستة أسابيع من صدور قرار الجمعية العامة للامم المتحدة بتقسيم فلسطين العربية ، قد شكلت لجنة عليا لتخطيط التنظيم الاداري للدولة التي كانت الصهيونية تعمل على اقامتها في فلسطين بعد انسحاب بريطانية . وقد ألفت هذه اللجنة بدورها عدة لجان فرعية لوضع الهيكل الاداري لكل وزارة من الوزارات التي ستتألف منها الحكومة الجديدة . أما اللجنة التي عهد اليها بوضع تصميم لهيكل وزارة الخارجية فكانت مؤلفة من شخص واحد هو « والتر ايتان » الذي كان في ذلك الوقت مديرا لكلية الخدمة العامة التابعة للوكالة اليهودية ، والذي شغل بعد قيام اسرائيل مباشرة منصب المدير العام لوزارة الخارجية(٣).

وقد تأسست « كلية الخدمة العامة » في عام ١٩٤٦ لتقوم باعداد العناصر التي ستوكل اليها مهمات الخدمة العامة في الدولة المرتقبة التي كانت الاستعدادات تجري لاقامتها . ومن بين ٦٠٠ مرشح تقريبا اختير ٢٥ طالبا،بضمنهم خمس فتيات بعد امتحان صعب احدث ضجة كبيرةفي ذلك الوقت.وبعد تأسيس الكلية بوقت قصير أطلقت عليها الصحافة والرأي العام لقب « مدرسة الدبلوماسيين » ، كما أن الطلاب أنفسهم كانوا يشعرون أنه مهما كانت الاغراض المعلنة للكلية ، فانهم انما يدربون للعمل في الخدمة الخارجية للدولة اليهودية .

وقد انقسم هؤلاء الطلاب ، بعد صدور قرار التقسيم ، الى مجموعات دراسية ، وأخذوا يدرسون كيفية العمل في وزارات الخارجية الاخرى، معتمدين بالدرجة الاولى على الكتب . وأصبحت المعلومات التي تجمعت لدى هؤلاء الطلاب أساسا لمشروع تأسيس وزارة الخارجية وجهازها . وقدم « ايتان » مخطط هذا المشروع ، بمسودته الاولى، الى اللجنة العليا في ٩ كانون الثاني (يناير) ١٩٤٨ ، كما قدم المسودة النهائية في اخر ذلك الشهر ، وكان المخطط جاهزا للتنفيذ عند اعلان قيام الدولة فورا .

وكان المشروع قد بني على فرضية رئيسية ، وهي عدم انفاق أموال تزيد عما هو ضروري جدا، مع العلم بأن تأسيس وزارة خارجية وجهاز خدمة خارجية سيكلف مبلغا كبيرا من المال حتى لو اقيم على أسس متواضعة . وجاء في التقرير أنه « سيكون من الافضل تخصيص مبلغ معقول منذ البداية ، بدلا من افساد السفينة من أجل قطعة من الزفت » .

اقترح « ايتان » في مشروعه كيانا اداريا مؤلفا من سبع دوائر مقسمة على أساس جغرافي ، وهي : الشرق الاوسط ، اوربا الغربية ، أوربا الشرقية ، أمريكا الشمالية ، امريكا اللاتينية ، الامبراطورية البريطانية ، آسيا وافريقية .

وبالاضافة الى هذه الاقسام الجغرافية كانت

هناك ست دوائر وظيفية : الامم المتحدة ، القنصلية ، الاعلام ، التدريب والبحوث . وكانت هذه الدوائر ستعمل تحت رقابة مدير عام للوزارة . ولم يأخذ المشروع بما هو متبع في معظم الدول الاخرى من تعيين نواب او مساعدين لوزير الخارجية ، او وكلاء للوزارة . وكان هنالك أيضا نص يتعلق بمنصب « سكرتير عام » للوزارة يرأس الشؤون الادارية العامة ، والمالية ، والسجلات ، والاوراق ، والبروتوكول ، مع سلطة اضافية للقيام بأعمال المدير العام في حالة غيابه(٤).

وقد نص المشروع على اتخاذ العبرية لغة للعمل — بعد أن كانت الانكليزية هي اللغة المستعملة في المكتب السياسي للوكالة اليهودية بحكم طبيعة اتصالاتها مع سلطة الانتداب — وكان على المدير العام أن يضع المقابل العبري للمصطلحات المستعملة في التعامل الدبلوماسي . ومع ذلك فقد نهض بهذه المهمة — كما كتب ايتان فيما بعد — أول وزير للخارجية « موشي شاريت » بمفرده تقريبا(٥).

وتجري بعض الدول على مبدأ الفصل بين جهازي الخدمة الدبلوماسية والخدمة القنصلية، وان كان معظمها قد عدل عن هذا الفصل ، وأخذ يتجه الى توحيدهما بعد الحرب العالمية الثانية بصورة خاصة . وقد أخذ المشروع بمبدأ توحيد الجهازين الدبلوماسي والقنصلي وامكانية تبادل الموظفين بينهما .

وكانت أعلى درجات السلك الخارجي للدولة الجديدة هي درجة وزير مفوض ، أي أنه لن تكون لها سفارات ولا سفراء ، بل مفوضيات يرأسها وزراء مفوضون . وقد تبنى المشروع هذه الفكرة اعتقادا بأن السفارات تتطلب نفقات باهظة ، وانها تعد من مظاهر البذخ التي قد تكون مثيرة للحسد والبغضاء لدولة تتظاهر بانها دولة صغيرة متواضعة . ويقول « ايتان » ان « ما كان كافيا لسويسرة وفنلندة في ذلك الوقت كان بالتأكيد كافيا لاسرائيل » . ولكن لم يمض على ذلك وقت طويل حتى عينت اسرائيل اول سفير لها . فبعد ان اعترفت الولايات المتحدة باسرائيل اعترافا قانونيا في شهر كانون الثاني (يناير) ١٩٤٩ أبلغتها انها قررت رفع درجة بعثتها الدبلوماسية في اسرائيل الى « سفارة » ، وتعيين سفير لديها . وقد فوجئت اسرائيل بهذا القرار(٦)، ولكنها سارعت الى قبول العرض اذ وجدت ان مثل هذا العرض لا يمكن رفضه ، لا سيما وان الولايات المتحدة كانت ممثلة لدى معظم الدول العربية بوزراء مفوضين فقط . وبعد ذلك بمدة قصيرة افتتحت اسرائيل أول سفارة لها في واشنطن .

وقد حدد المشروع المؤسسات الدبلوماسية والقنصلية التي ستفتح ، وقسم هذه المؤسسات ، من الناحية الزمنية ، الى ثلاث فئات ، على أن يتم تأسيسها جميعا خلال ستة أشهر من اعلان قيام الدولة :

أ — مفوضيات في لندن وموسكو وواشنطن وباريس ، مكاتب جوازات سفر في هامبورغ وفرانكفورت وفيينا وبخارست (وهذه المؤسسات تفتح على الفور . وقد خطط فتحها نظرا للاهمية الواضحة للعواصم الاربع ، ومكاتب جوازات السفر لمنح التأشيرات ومقابلة الحاجة العاجلة لتأمين الاسراع في تهجير اليهود من تلك المدن الى اسرائيل) .

ب — قنصليات عامة في شنغهاي (للشرق الاقصى) وبراغ (لاوربا الشرقية والجنوبية الشرقية) وفي انقرة وطهران ، قنصلية عامة في وارسو ، مكاتب جوازات في عدن والجزائر وتريست ، (وهذه المؤسسات كانت ستفتح « بأقرب وقت ممكن » ، وقد روعي في تحديدها الحاجة الى المهاجرين ، وهذه الحاجة هي التي فرضت شكل التمثيل القنصلي بصورة خاصة) .

ج — قنصليات عامة في ستوكهولم (للدول الاسكندنافية) وريو دي جانيرو (لامريكا اللاتينية)، قنصليات في بومبي وبروكسل وروما وجوهانسبرغ ومونتريال وملبورن ، (وهذه المؤسسات كانت ستفتح خلال ستة اشهر من قيام الدولة . وهنا كانت الاعتبارات السياسية هي التي حددت نوعية التمثيل ومكانه ، فقد كان على اسرائيل ان تكون ممثلة لدى الدول التي هناك امكانية لان تكون صديقة لها ، مع مراعاة أهمية اسيا (قنصلية بومبي) وحسن الجوار في منطقة البحر المتوسط (روما) وأهمية أصوات جمهوريات أمريكا

اللاتينية (ريو دي جانيرو) ـ وأخيرا بعض المراكز الرئيسية للتجمع اليهودي (جوهانسبرغ ومونتريال وملبورن) . ويلاحظ ان مدينة نيويورك التي كانت أكبر المراكز التي تعتمد عليها وزارة الخارجية في الخارج ، ومن أهم مراكز التجمع اليهودي في العالم ، لم يرد لها ذكر في المشروع الاصلي ومع ذلك فقد افتتحت فيها قنصلية عامة بعد قيام اسرائيل بيومين(٧).

وقد تضمن المشروع مواعيد دقيقة للتطبيق : فقد حدد الاول من شباط (فبراير) ١٩٤٨ موعدا لتعيين المدير العام للوزارة ، والسكرتير العام بعده بعشرة أيام ، وكبار الموظفين الاخرين في ١٥ اذار (مارس) .

وكان المبعوثان الى الخارج سيرسلون في النصف الثاني من اذار لمفاوضة حكومات الدول من أجل الحصول على اعترافاتها ، وان الجهاز بأكمله سيكون في حالة تأهب للعمل في يوم الصفر (١٥ مايس مثلا) مع ٧٢ شخصا ، بما فيهم ٣٨ موظفا ، يكونون على مكاتبهم ، و ٤٠ اخرين على استعداد للسفر الى مراكز عملهم في الخارج ، بما فيهم ٤ وزراء مفوضين ، و٤ مستشارين ، و٤ سكرتيرين اولين .

أما الميزانية المقترحة لوزارة الخارجية الجديدة فكانت صغيرة نسبيا ، لا تزيد عن ٤٠٠ر٠٠٠ جنيه فلسطيني (تساوي في ذلك الوقت ٢ر٠٠٠ر٠٠٠ دولار امريكي) ، نصفها للرواتب والمخصصات . وكان من الواضح أنها قدرت على ضوء ميزانيات وزارات الخارجية في مصر والعراق ولبنان (٨).

وقد نظم المشروع ايضا موضوع الارتباط بين دوائر وزارة الخارجية وبين الوزارات ودوائر الدولة الاخرى التي تتصل بها أعمال وزارة الخارجية . الدائرة الاقتصادية مع وزارة التجارة والصناعة . دائرة الاعلام ، مع جميع الوزارات والمنظمات الاخرى ذات العلاقة . الدائرة القانونية مع وزارة العدل . السكرتيرا العام مع وزارة المالية (فيما يتعلق بالشؤون المالية للوزارة) .

كما اقترح المشروع عملية تحقيق واختبار تتعلق بالامن ، وتشمل جميع الموظفين .

واضاف واضع المشروع : « وربما كانت اهم عدة تحتاجها وزارة الخارجية هي مكتبة : ولذلك فقد أعدت لها أصناف منوعة من الكتب » .

ولما أعلن قيام الدولة الصهيونية على الاراضي العربية في فلسطين بدأ العمل مع وزير الخارجية في تل أبيب موظفان اثنان . أما الاخرون المزمع تعيينهم فقد كانوا محاصرين في القدس .

واصبح « شرتوك » (شاريت) ، رئيس المكتب السياسي للوكالة اليهودية ، وزيرا للخارجية في الحكومة الجديدة التي ألفت برئاسة بن غوريون . كما عين والتر ايتان ، مدير «كلية الخدمة العامة» التابعة للوكالة ، مديرا عاما للوزارة . وشغل ايتان هذا المنصب خلال السنين الاحدى عشرة التالية ، وهي أطول مدة يقضيها فيه أي مدير عام حتى الان .

ونما عدد الموظفين في الوزارة خلال شهر واحد من اثنين الى مائة ، وكان أول عمل اضطلعت به الوزارة الجديدة هو ابلاغ حكومات العالم بقيام اسرائيل كدولة ، وطلب اعترافاتها(٩) ولم يكن هنالك في الوزارة من يعرف كيف تصاغ أوراق الاعتماد ، وقد أدى ذلك الى حادثة أصبحت مشهورة ، وهي أنه حين قدم « آفريل » أوراق اعتماده وزيرا مفوضا في براغ، اعادتها الحكومة الجيكوسلوفاكية طالبة اعادة كتابتها بالصيغة المعتادة « حسب الانموذج المرفق بطيه »(١٠).

وبالرغم من تطبيق معظم ما جاء في المشروع الاصلي ، فقد كانت هنالك حالات صغيرة للخروج عليه ، منها ظهور بعثات على مستوى السفارات في وقت مبكر مثل سنة ١٩٤٩ استجابة لمبادرة الولايات المتحدة ، وهو أمر أصبح فيما بعد شاملا لتمثيل اسرائيل الدبلوماسي في الخارج في سنة ١٩٦٥ . ثم تغيير مراكز بعض مكاتب الجوازات، وسرعة الغاء بعضها ، بعد أن اصبح معظم الراغبين في الهجرة منها في طريقهم الى فلسطين. ومع ذلك ، فان التكوين الاساسي لوزارة الخارجية، والمبادىء التي توجهها كانت مستقاة من (المشروع الاصلي) الذي وضعه ايتان .

تكوين الوزارة واقسامها

ان الاطار التنظيمي لوزارة الخارجية الاسرائيلية في سنة ١٩٤٩ تضمن معظم مقترحات ايتان الواردة

في المشروع : مدير عام ذو صلاحيات ومسؤوليات تشمل اعمال الوزارة كلها ، وسكرتير عام مسؤول عن الشؤون الادارية ، وعدد من الدوائر المقسمة على اسس جغرافية ووظيفية . ومع ذلك، فهناك بعض الاختلافات منها اضافة مستشارين (شخصيين) لوزير الخارجية (كان هنالك ثلاثة منهم في سنة ١٩٤٩) ، ومستشار قانوني لوزارة الخارجية (مدير الدائرة القانونية) ، رفع شعبة البحوث الى مستوى « دائرة » . ومنها اضافة بعض الدوائر الجديدة : الثقافية ، الزوار الاجانب . ومنها بعض التغييرات في الاسماء والعناوين : دائرة الامم المتحدة اصبحت تدعى دائرة المنظمات الدولية ، دائرة أمريكا الشمالية أصبحت دائرة الولايات المتحدة، دائرة الامبراطورية البريطانية أصبحت — تمشيا مع الزمن — دائرة الكومنولث البريطاني . كما أصبحت لشؤون آسيا دائرة خاصة بعد أن كانت هناك دائرة واحدة للشؤون الاسيوية والافريقية .

وقد طرات على وزارة الخارجية الاسرائيلية خلال السنوات العشرين الاولى لتأسيسها تغييرات تنظيمية مختلفة . فاستحدثت فيها في سنة ١٩٥١ دائرة جديدة لشؤون الهدنة ، في حين أن تلك الشؤون كانت حتى ذلك الوقت من اختصاص وزارة الدفاع وحدها . وكذلك دائرة الشؤون الاسيوية جرى توسيعها وادمجت فيها الشؤون الافريقية في سنة ١٩٥٧ ، ثم اعيد فصلهما الى دائرتين مستقلتين في سنة ١٩٦٠ .

وبين الدوائر الوظيفية استحدثت دائرة جديدة للتخطيط السياسي والاقتصادي في بداية سنة ١٩٦٠ ، وكانت مهمتها الاساسية مقاومة المقاطعة العربية ، وكذلك استحدثت دائرة « التعاون الدولي » في سنة ١٩٥٩ — ١٩٦٠ كشعبة في البداية ثم كدائرة . والغيت دائرة شؤون الهدنة بعد عدوان حزيران ١٩٦٧ تثبيتا لاحلال اتفاقية وقف اطلاق النار محل اتفاقيات الهدنة لعام ١٩٤٩ .

وفي سنة ١٩٥٢ ادخلت للمرة الاولى وظيفة « مساعد المدير العام » وزاد عدد المساعدين مع السنين ، وفي سنة ١٩٥٣ الغي منصب السكرتير العام للوزارة ، وتولى اعماله احد مساعدي المدير العام ، وفي سنة ١٩٦٦ استحدث منصب « نائب المدير العام » كما ادخل منصب سفير مطلق الصلاحية او سفير متجول في السنة ذاتها .

على ان اكبر التغييرات التي طرأت على تنظيم الوزارة وأهمها كانت في مارس سنة ١٩٦٨ ، فقد زاد عدد مساعدي المدير العام الى اكبر عدد في تاريخ الوزارة (سبعة بضمنهم نائب المدير العام) للاشراف على الدوائر الادارية والوظيفية والجغرافية . واستحدث منصب « المفتش العام » للخدمة الخارجية . وقسمت أوربا الغربية الى دائرتين (اما اوربا الشرقية فقد كانت لها دائرة مستقلة) . ووسع نطاق دائرة الولايات المتحدة لتضم كندا في دائرة اعيدت تسميتها بدائرة امريكا الشمالية . والغيت دائرة الكومنولث البريطاني ، فالحقت شؤون اوستراليا ونيوزيلندة بدائرة موسعة سميت « دائرة آسيا والاوقيانوس » . ووسع نطاق دائرة الشرق الاوسط وسميت « دائرة الشرق الاوسط وشرق البحر المتوسط » واصبحت تضم شؤون تركية ، وقبرص ، وايران ، الى جانب الدول العربية في المنطقة . وكذلك استحدثت دائرة للشؤون السياسية للامم المتحدة منفصلة عن دائرة المنظمات الدولية — مع العلم ان الانفصال كان قائما منذ مدة طويلة من الناحية العملية .

ان الاسباب الموجبة لهذه التعديلات لم تذكر رسميا ، ولكن الرأي السائد بين موظفي الوزارة وبعض مديري دوائرها انها اجريت لمجرد استحداث مناصب بدرجات ذات مستوى مناسب ، وذات مسؤولية كافية للعمل والتحرك . اما من الناحية الشكلية فقد اجريت تلك التعديلات لايجاد مناصب كافية للعدد المتزايد من السفراء الذين يعودون الى القدس بعد فترات طويلة من العمل في الخارج . وهناك من يرى ايضا حاجة حقيقية الى زيادة عدد مساعدي المدير العام بسبب اتساع نطاق المشاكل والمهام التي تواجهها الوزارة(١١).

مهمات وزارة الخارجية

تضطلع وزارة الخارجية الاسرائيلية بمهمات (معلنة) واخرى (غير معلنة) ، او بعبارة اخرى ، مهمات تشابه مهمات وزارات الخارجية في جميع الدول ، وأخرى تختص بها وزارة الخارجية

الاسرائيلية وحدها بحكم طريقة قيام اسرائيل كدولة، وطبيعة تكوينها ، ومطامعها التوسعية وأهدافها العدوانية .

أما المهمات (المعلنة) او التي تشابه مهمات وزارات خارجية الدول الاخرى ، فهي معرفة تعريفا واضحا في تقريرها السنوي — وهي تعهد وصيانة العلاقات الرسمية لدولة اسرائيل مع بقية الدول التي تتبادل واياها التمثيل الدبلوماسي او تقيم علاقات اقتصادية او تجارية او ثقافية ، والعمل على توثيق تلك العلاقات ، وخاصة فيما يعود بالنفع على اسرائيل والتأييد لستراتيجيتها ، وذلك بالوسائل الاتية : عرض شؤون الدولة أمام حكومات العالم وأمام المنظمات الدولية ، احاطة حكومات ومنظمات وشعوب العالم علما بمواقف اسرائيل ومشاكلها ، تنمية العلاقات الثقافية مع الحكومات والشعوب ، توثيق العلاقات الاقتصادية والتجارية مع الدول الاخرى ، تقديم المساعدات الى الدول النامية ، حماية حقوق رعايا اسرائيل في الخارج ، وتقديم الخدمات القنصلية لرعايا الدول الاخرى .

ومن أبرز مهمات وزارة الخارجية الاسرائيلية أيضا العناية بتوثيق العلاقات بين دولة اسرائيل والجاليات اليهودية في الخارج ، والعناية بالمصالح الجوهرية لتلك الجاليات(١٢).

وقد حاولت اسرائيل منذ اول قيامها ، وتأسيس جهازها الدبلوماسي ، أن تتظاهر بأنها دولة عصرية من جميع الوجوه ، وأن تضفي على ذلك الجهاز مظاهر الدبلوماسية الكلاسيكية النزيهة التي تتحاشى اعمال الجاسوسية او التخريب او التهريب او ما شابه ذلك من الاعمال التي تؤكد قواعد التعامل الدبلوماسي على وجوب تجنب الممثل الدبلوماسي لممارستها ، والتي لا يمكن لاية دولة ان تعترف بأنها تقوم بها .

ومع ذلك فقد كانت هنالك حوادث كثيرة تبين منها للرأي العام العالمي ان جهاز الدبلوماسية الاسرائيلي يمارس الى جانب مهماته الرسمية المعلنة ، مهمات سرية اخرى غير معلنة وغير مدونة في الكتب السنوية للحكومة، ولا في تقارير الوزارة، كأعمال الجاسوسية والتخريب والاغتيالات وتهريب الاشخاص وحتى البواخر . وان الممثلين الدبلوماسيين الاسرائيليين ، وكذلك ملحقي قواتها المسلحة والملحقين الفنيين الاخرين (كالملحقين الصحفيين والثقافيين والتجاريين) كانوا مشتركين في تلك الاعمال . وقد اضطرت حكومات عدد من الدول الى اعتبار بعض الدبلوماسيين الاسرائيليين أشخاصا غير مرغوب فيهم وطردهم من بلادها في اوقات مختلفة .

ونذكر على سبيل المثال نماذج من اعمال السفارة الاسرائيلية في موسكو في الفترة بين ١٩٦٣ و١٩٦٦ (التي أتيح لكاتب هذه السطور ان يقضيها في الاتحاد السوفييتي ويرقب نشاط السفارة الاسرائيلية شخصيا) بما ينافي التقاليد الدبلوماسية التي تعلن اسرائيل عن تمسكها بها .

وكان هذا النشاط يتركز بالدرجة الاولى على تحريض يهود الاتحاد السوفييتي على الهجرة الى اسرائيل ، وممارسة كل ضغط ممكن على الحكومة السوفييتية لحملها على السماح لهم بذلك ، ملتجئة بذلك الى اساليب الدعاية والى الضغط الدبلوماسي على المستوى الثنائي والدولي .

وكانت اسرائيل قد أدركت انها اجتذبت من يهود اوربا كل من يمكن اجتذابهم ، وان معين الهجرة اليهودية من اوربا قد نضب . كما ظهر لها تعذر اقناع اليهود الامريكيين بالهجرة ، وانهم يكتفون بتقديم المساعدات الى اسرائيل دون ان يفكروا في الهجرة اليها لانهم لا يريدون التضحية بمستوى المعيشة الذي يتمتعون به في الولايات المتحدة . وظهر ايضا ان الدعوة الصهيونية تواجه المشكلة نفسها في امريكا اللاتينية . ولذلك اتجهت اسرائيل الى المركز الثاني للتجمع اليهودي في العالم بعد امريكا ، وهو الاتحاد السوفييتي محاولة اجتذاب يهودها ، ولجأت من أجل تحقيق هذه الغاية الى طريقتين : الاولى ، شن حملة تشهير عالمية واسعة على الحكومة السوفييتية واتهامها باضطهاد اليهود والتمييز ضدهم ، بقصد احراجها أمام الرأي العام العالمي ، والثانية ، ترغيب اليهود السوفييت انفسهم في الهجرة ، وبث الدعاية الصهيونية بينهم . وكانت الاعمال التي يقوم بها موظفو سفارة اسرائيل في موسكو تنفيذا للجانب الثاني من هذه الخطة .

كانت السفارة تتخذ من الكنس اليهودية مراكز

للدعاية التي تحاول القيام بها ، فتتصل باليهود السوفييت الذين يحضرون لتأدية الصلاة ، وتوزع بينهم المنشورات الصهيونية . وكان مستشار السفارة « ابراهام آغمون » يكثر من التردد على الكنيس لهذه الغاية ، فلفتت الحكومة السوفييتية نظر السفارة الى ما يقوم به اكثر من مرة . ونشرت جريدة « ترود » — الناطقة بلسان نقابات العمال — في شهر مارس سنة ١٩٦٤ مقالا عن هذا الموضوع اشارت فيه الى الرسائل العديدة التي تلقتها الجريدة من المواطنين السوفييت اليهود ، والتي يستنكرون فيها المنشورات التي كان مستشار السفارة يوزعها على المصلين ، او يتناسى مجموعات منها على مقاعد الكنيس . واخيرا قررت الحكومة السوفييتية في شهر آب سنة ١٩٦٤ طرد آغمون باعتباره شخصا غير مرغوب فيه .

وكشف النقاب بعد ذلك عن حادث آخر وقع في مدينة « ريغا » عاصمة جمهورية « لاتفيا » — التي يؤلف اليهود نسبة كبيرة من سكانها — اذ قبضت السلطات السوفييتية على السكرتير الثاني في السفارة الاسرائيلية المدعو « زيمراد » بينما كان يتجول بين المستحمين على شاطىء البحر المزدحم. وبينما كان يشغلهم بالتحية والاستفسار عن أعمالهم وأسمائهم تضع زوجته بين امتعتهم رزمة صغيرة تحتوي منشورات اعتبرتها الحكومة السوفييتية معادية لها ، ووصفتها بأنها « معلومات صهيونية معادية للسوفييت » . وقد نشرت الصحف السوفييتية بمناسبة هذا الحادث مقالات هاجمت فيها سفارة اسرائيل بشدة ، ونشرت جريدة «ترود» مقالا بعنوان « هدايا مسمومة » ومعه تصوير لسكرتير السفارة والى جانبه رزمة من المنشورات التي كان يوزعها على المستحمين(١٣).

وهنالك حادث آخر كان له صدى واسع في الصحافة السوفييتية والعالمية وأثار ضجة كبيرة في الاوساط الدبلوماسية في موسكو ، حدث في مدينة اوديسا ، ميناء الاتحاد السوفييتي على البحر الاسود ومن أقدم مراكز التجمع اليهودي وأكبرها حيث يؤلف اليهود أكثر من ٢٠ بالمائة من مجموع سكان المدينة . فقد قدم بعض افراد الجالية اليهودية في اوديسا الى اثنين من موظفي السفارة الاسرائيلية اثناء زيارة قاما بها الى مدينتهم عريضة يحتجون فيها على اقامة اسرائيل علاقات دبلوماسية وودية مع المانيا الغربية « تلك الدولة التي تعمل على تغيير الحدود الحالية ، وتستعد لشن حرب ضد الشعوب المحبة للسلام وتستخدم في وظائف الدولة نازيين من عملاء آيخمان متغاضية عن جرائمهم » الا ان موظفي السفارة رفضا تسلم تلك العريضة ، وكان ذلك من حقهما طبعا ، ولكنهما ادليا بأقوال تمس الحكومة السوفييتية والحزب الشيوعي السوفييتي . وغادرا أوديسا في اليوم التالي . فنشرت جريدة « ازفستيا » — الناطقة بلسان الحكومة — مقالا هاجمت فيه سفارة اسرائيل على تصريحات موظفيها في الكنيس ، وعلى رفضهم تسلم العريضة(١٤). وبعد ذلك بستة اسابيع سافر السفير الاسرائيلي الى اوديسا وحضر الصلاة في الكنيس ، وبعد انتهائها نهض في محله ووجه الى الحاخام سؤالا عن سبب ارسال الاحتجاج الى الصحف بعد أن رفضه موظفا السفارة ، واشتبك معه في مشادة كلامية ، ووصفه بأنه نازي وليس يهوديا ، كما الح أن يعتلي المنبر ويدافع عن موقف اسرائيل ووجهة نظرها من تبادل التمثيل الدبلوماسي مع المانيا الغربية ، فرفض الحاخام بطبيعة الحال ، وبين للسفير انه لا يجوز بحث القضايا السياسية في المعابد الدينية . ونشرت جريدة « ازفستيا » بعد عودة السفير من اوديسا مقالا هاجمته فيه بالاسم ، وكان شديد اللهجة في انتقاده لتصرف السفير(١٥).

وصرح ناطق بلسان السفارة على اثر نشر المقال للمراسلين الغربيين ان اتهامات جريدة « ازفستيا » لا اساس لها من الصحة . فنشرت جريدة « نيويورك تايمس » هذا التصريح في الصفحة الاولى من طبعتها الاوربية(١٦)، كما ان جريدة « لوموند » الفرنسية نشرت الخبر وانتقدت جريدة « ازفستيا » على مهاجمتها سفير دولة اجنبية وعدت ذلك منافيا لواجبات المجاملة تجاه السفراء الاجانب ، ولم تجد كلتا الجريدتين في تصرفات السفير المذكور ما يستوجب الانتقاد ولم تعلقا عليها بكلمة .

وفي سنة ١٩٦٦ طردت الحكومة السوفييتية خلال فترة تقل عن الشهر الواحد موظفين دبلوماسيين اثنين من سفارة اسرائيل لقيامهما بنشاط تخريبي يتنافى والعرف الدبلوماسي، وبشكل اساءة لسياسة

البلد المضيف ، وهما « دافيد غافيج » السكرتير الثاني ، و« باز » السكرتير الثالث . وقد نشرت الصحف السوفييتية مقالات هاجمت فيها موظفي السفارة وقرنت النشاط الذي يمارسونه بما يمكن ان يسمى بـ « الايديولوجية التخريبية » . وقالت جريدة الازفستيا في عدد ١٩٦٦/٩/٦ : « .. فهم يموهون الحقائق ، ويزيفون الواقع في محاولات يائسة لخدع البعض واغرائهم بالهجرة الى أرض الميعاد او الفردوس الارضي : اسرائيل » .

ويتضح من هذه الامثلة — ولا شك ان هناك أمثلة كثيرة غيرها وقعت في الاتحاد السوفييتي وغيره من الدول — ان وزارة الخارجية الاسرائيلية ، وممثلياتها في الخارج ، تضطلع بكثير من المهمات غير المعلنة ، وتستبيح لنفسها الخروج عن مبادىء التمثيل الدبلوماسي السليمة حينما تجد ضرورة لذلك . وهذه المهمات التي تعد غير مشروعة في التعامل الدبلوماسي ليست الا نتيجة طبيعية لشعور اسرائيل بالحاجة الى اللجوء اليها لتدعيم كيانها الذي هو الاخر غير مشروع .

الموظفون

أولا — كيفية اختيارهم : تمكنت وزارة الخارجية من مجابهة مشكلة اختيار الموظفين في البداية بانتقال ٢٤ شخصا من كبار اعضاء المكتب السياسي للوكالة اليهودية الى وزارة الخارجية لدى تأسيسها مباشرة . وقد كان هذا العدد كافيا لتوفير هيكل الجهاز لجميع الدوائر الجغرافية ولديوان الوزارة الجديدة . ولكن هذا المصدر سرعان ما استنفد وصار اختيار الموظفين وتعيينهم في وزارة الخارجية يتم (حتى سنة ١٩٥٣) بناء على توصية او ترشيح من الاشخاص او المؤسسات المعروفة ، وذلك بسبب الحاجة الملحة الى ملء عدد كبير من الوظائف المتوسطة او الكبيرة . وهذه مشكلة جابهتها وزارات الخارجية في معظم الدول التي قامت حديثا .

وقد أعطيت الافضلية في البداية الى مجموعتين : اولاهما ، اليهود القادمون من البلاد الانكلوساكسونية ، وذلك لكثرة الحاجة الى الناطقين باللغة الانكليزية من جهة ، ولان الاختيار كان بيد الفئة الانكلوساكسونية من جهة اخرى . والثانية ، جماعة اوربا الشرقية الذين كانوا يجيدون لغات متعددة . ومع ذلك فان الحاجة الى هذه الفئة الثانية قد قلت كثيرا بعد سنة ١٩٥١ — ١٩٥٢ ، لان علاقات اسرائيل مع الاتحاد السوفييتي ومعظم الدول الاشتراكية لم تعد على ما كانت عليه في بداية قيامها ، وبالرغم من استمرار هذه العلاقات بصورة عامة (حتى سنة ١٩٦٧) فانها كانت على نطاق اصغر من السابق كثيرا .

ومنذ سنة ١٩٥٣ اصبح تعيين الموظفين في وظائف وزارة الخارجية خاضعا لامتحان تجريه لجنة خاصة في الوزارة .

ويجتاز المرشحون للوظائف الدبلوماسية امتحانات كفاءة في الموضوعات الفنية (ذات العلاقة بالعمل الدبلوماسي) وفي اللغات . وهنالك الى جانب الامتحان تحقيق تجريه دوائر الامن ، وهو يشمل جميع المرشحين بدون استثناء . ويكون التعيين على سبيل التجربة لمدة تتراوح بين ستة أشهر وسنة واحدة .

كانت امتحانات الموظفين في المراحل الاولى — وحتى سنة ١٩٥٩ — تجري من قبل لجنة مؤلفة من كبار موظفي وزارة الخارجية . وكانت هذه الامتحانات — السنوية — مفتوحة عمليا لخريجي الجامعات الذين تتراوح اعمارهم بين ٢٣ و٣٠ عاما وممن يجيدون احدى اللغتين الانكليزية او الفرنسية (الى جانب العبرية طبعا) .

وفي سنة ١٩٥٩ تغيرت طريقة اختيار الموظفين وتعيينهم بتشريع قانون الخدمة المدنية ، فأصبح الاعلان عن الوظائف الشاغرة في الوزارة اجباريا — بالنسبة للدرجات الدبلوماسية — كما هي الحال في الامتحانات السنوية للخدمة المدنية ، حيث يتم اختيار ٢٠ الى ٣٠ مرشحا سنويا . وقد وطد هذا الاسلوب الجديد المبدأ القائل بضرورة اتخاذ الكفاءة أهم الاعتبارات في التعيين ، وذلك الا في حالات استثنائية نادرة جرى فيها التجاوز عن مبدأ الكفاءة(١٧) .

وبالرغم من اهتمام وزارة الخارجية الاسرائيلية بانتقاء موظفيها من بين أكثر العناصر ذكاء وثقافة ، فما تزال هناك شكوى بين الزمرة التي تخطط السياسة الخارجية من ضعف الكفاءة بين موظفي السلك الخارجي الاسرائيلي — وخاصة في الدرجات المتوسطة — وبالرغم من ان هذه الظاهرة لا تنفرد

بها اسرائيل وحدها بين الدول الحديثة ، فان الثمن السياسي الذي تدفعه اسرائيل بنتيجة انخفاض مستوى ممثليها الدبلوماسيين يكون اكبر مما هو بالنسبة للدول الاخرى ، بسبب الاهمية الخاصة للعلاقات الخارجية لدولة تعيش في أزمة مستمرة ، وهي ما تزال في حالة حرب مع جميع الدول المحيطة بها .

ان ازدياد الشكوى من عدم ارتفاع مستوى كفاءة موظفي الخدمة الخارجية الى الحد المطلوب حمل المسؤولين في سنة ١٩٦٤ على انشاء وحدة خاصة لتدريب الموظفين . وقد نظمت هذه الوحدة دروسا لـ ٥٢٠ موظفا في السنة الاولى . ويشترك الموظفون الكبار بموجب البرامج التي تضعها هذه الوحدة ، في دروس نظامية يقدمها معهد « يهود عصرنا » التابع للجامعة العبرية . ولهذه الدروس قيمة للموظفين الذين ستكون لهم علاقة مع اليهود في مواطنهم الاصلية في الخارج ، وهي تشتمل على مواد في الانثروبولجيا اليهودية ، وفي التاريخ والحضارة والثقافة اليهودية ، والشخصية اليهودية(١٨).

اما التدريب الدبلوماسي الستراتيجي فقد نقل مرة الى « كلية الدفاع الوطني الاسرائيلي » والهدف من وراء انشاء هذا المعهد هو ايجاد عقيدة شاملة للدفاع الوطني وخلق لغة مشتركة حول هذا الموضوع بين كل الذين يتحملون مسؤولية الدفاع الوطني في اسرائيل(١٩). وتشتمل الدروس التي تدرس في الكلية على موضوعات مهمة من بينها الانثروبولوجيا وعلم الاجتماع للشعب اليهودي في اسرائيل والخارج ، علاقات اسرائيل مع الدول الكبرى والدول النامية ، اسرائيل والسوق الاوربية المشتركة .. الخ . ويمتد برنامج الدروس لمدة ثمانية أشهر ، بمعدل عشر ساعات او اكثر يوميا لمدة خمسة أيام في الاسبوع يستمع الموظفون خلالها الى محاضرات من اساتذة الجامعات والوزراء والسفراء الاجانب وسفراء اسرائيل في الخارج والاساتذة الزائرين(٢٠). غير ان هذه الكلية اقفلت بعد وقت غير طويل من افتتاحها .

ثانيا ــ الدرجات ، التنقلات ، الترقيات : شهد ترتيب درجات موظفي الخدمة الخارجية في اسرائيل تعديلات عديدة كان آخرها التعديل الذي أدخل في نيسان (ابريل) سنة ١٩٦٤ حين أصبحت الدرجات بتسلسل تصاعدي (بعد ان كان ترتيبها في السابق تنازليا) فأصبحت حسب الجدول الآتي : الدرجة ١٣ : متمرن (تلميذ دبلوماسي) ، ١٤ ــ ١٥ : سكرتير ثالث ، ١٥ ــ ١٦ : سكرتير أول ، ١٦ ــ ١٨ : مستشار ، ١٧ ــ ١٩ : وزير مفوض ، ١٩ ــ ٢٠ : سفير ، ٢٠ : المدير العام لوزارة الخارجية . أما الدرجات من ١٢ الى ١ فهي درجات الموظفين الاداريين (السلك المدني) المعينين عن طريق مراكز التوظيف ولجنة الخدمة المدنية (او مجلس الخدمة) .

ان الحد الادنى للمدة التي يجب ان يقضيها الموظف في كل درجة من الدرجات الدبلوماسية كانت محل خلاف بين وزارة الخارجية ولجنة الخدمة المدنية (مجلس الخدمة) لمدة سنوات . وهي من الناحية الرسمية سنتان للمتمرن ، ٦ سنوات للسكرتير الثالث والثاني ، ٥ سنوات للسكرتير الاول و٦ سنوات للمستشار ــ أي ما مجموعه ١٩ سنة على الاقل قبل ان يصل الموظف الى درجة رئيس بعثة بدرجة وزير مفوض . وقد كانت هنالك استثناءات كثيرة من هذه القواعد في السنوات الاولى ، وبعدها أيضا لم يكن التمسك بها شديدا دائما .

ان الترقيات والتنقلات وجميع ما يتعلق بشؤون التعيينات تقوم بها « لجنة التعيينات » في الوزارة. وكانت هذه اللجنة تتألف من عدد من كبار موظفي الوزارة ، اما المدير العام ومساعده لشؤون الادارة فكانا عضوين دائمين فيها . وكانت اجتماعات اللجنة ، ومواعيدها ، تختلف باختلاف شخصية المدير العام وطريقته في العمل ، ودرجة نفوذه الشخصي وتركيزه الاعمال والقرارات في يديه او تركها للجنة .

ومنذ سنة ١٩٦٨ أصبحت شؤون التعيينات والترقيات والتنقلات قسمة بين لجنتين ، احداهما برئاسة وزير الخارجية ، وهي تختص بشؤون كبار الموظفين (مدير دائرة وما فوق في الوزارة، ورؤساء البعثات في الخارج) ، كما تضم المدير العام ونائبه ومساعده للشؤون الادارية والمفتش العام.

ان رؤساء البعثات الدبلوماسية ، والمدير العام لوزارة الخارجية ، يكون تعيينهم ــ من الناحية

الشكلية — من قبل الحكومة بترشيح من وزير الخارجية . ولكن وزير الخارجية — في الواقع — يتمتع بسلطة كاملة في اختيار المدير العام ، وبسلطة كبيرة في تعيين رؤساء البعثات الدبلوماسية في الخارج . أما الحد الاقصى لمدة الخدمة في أي منصب في الخارج ، فهو عادة خمس سنوات ، وان كانت هنالك استثناءات بارزة لهذه القاعدة(٢١).

اما اللجنة الاخرى المختصة بشؤون الدرجات الصغرى (حتى المستشارين ونواب مديري الدوائر) فهي تتألف من المدير العام ومساعده للشؤون الادارية والمفتش العام وموظفين آخرين ورئيس شعبة الذاتية وممثل عن موظفي الوزارة يختاره المدير العام .

ان تركز السلطة والتناقض في طبيعة اعمال لجنة التعيينات مرت بأكبر تحول في تاريخها في عهد « جدعون رفائيل » الذي تولى منصب المدير العام منذ سنة ١٩٦٧ ، فأصبحت سلطة اختيار الموظفين محتكرة بصورة متزايدة بيد المدير العام ومساعديه الاداريين(٢٢).

ثالثا — عوامل سلبية : ان هذه التغييرات التي مرت بها طريقة التعيينات في وزارة الخارجية الاسرائيلية أوجدت سلكا خارجيا « مسلكيا » ذا نوعيات متباينة . ويبدو ان التعيينات قد شهدت تدهورا في جاذبية الخدمة الخارجية في اسرائيل لاسباب متعددة منها ارتفاع الرواتب في مجالات العمل الاخرى ، وامكانيات السفر المتزايدة المتاحة في الاعمال الاخرى، وتزايد عدد الاماكن غير الملائمة وغير الصحية التي فتحت فيها سفارات جديدة ، ومشاكل تعليم اطفال الموظفين وخاصة باللغة العبرية . وبالرغم من انه لم تكن هنالك ازمة تتعلق بعدد المتقدمين لوظائف وزارة الخارجية ، فان مستوى المتقدمين لم يكن عاليا ، مما اصبح مصدر قلق للمسؤولين في الوزارة .

ان نفسية موظفي الخدمة الخارجية في اسرائيل قد تأثرت بالفجوة الاساسية الموجودة بين القيم السائدة في المجتمع الاسرائيلي ، ومتطلبات العمل الدبلوماسي(٢٣)، ويكمن وراء ذلك عاملان :

١) الرأي العام والخدمة الخارجية : كان الشعب في اسرائيل ينظر الى الجيش نظرة الاحترام في جميع الاوقات ، ولكنه لم ينظر الى الجهاز الدبلوماسي بنفس النظرة . وذلك فضلا عن مشاعر الحسد التي يتعرض لها موظفو الخدمة الخارجية في كل بلد بسبب بعض الامتيازات التي يتمتعون بها . وكان « بن غوريون » مسيطرا على جهازين: الجيش ، وجهاز وزارة الخارجية . ولكنه كان يولي الجيش تفضيله ، ولم يتغير الامر في السنوات التي أعقبت عهد بن غوريون . وكان اثر ذلك كله على الدبلوماسيين الاسرائيليين واضحا .

٢) الضغوط الحزبية : اما العامل الثاني الذي كان له أثر سلبي في معنويات الجهاز الدبلوماسي الاسرائيلي فقد كان ضغط الاحزاب السياسية وبعض الوزارات الاخرى لادخال اعضائها في الخدمة الخارجية(٢٤).

ولا شك ان التأثير الحزبي قوي في الخدمة المدنية الاسرائيلية ، ولكنه في وزارة الخارجية أقل منه في سائر الوزارات (باستثناء وزارة الدفاع اذ ان النفوذ الحزبي فيها اقل من وزارة الخارجية ايضا) وذلك لما تتطلبه الخدمة الخارجية من مؤهلات خاصة يؤدي التساهل فيها الى الاضرار بمصالح البلد العليا وسمعته في الخارج . وقد عبر « بن غوريون » عن هذا بقوله في كتاب « بن غوريون يلقي نظرة الى الوراء »: « ان الشؤون الخارجية، شأنها في ذلك شأن الدفاع ، من المجالات الهامة والحساسة في الحكومة ، وهي قد تتأثر بقرار سليم او خاطىء يتخذ في ادنى المستويات ، وهذا غير حاصل في الوزارات الاخرى . فاذا افتتح مركز بريدي في مكان غير مناسب ، او شقت طريق ضيقة ... قد يكون ذلك أمرا مزعجا ولكنه ليس كارثة .. ولكن حادثة على الحدود تنتج عن طلقة واحدة يطلقها جندي تحت امرة عريف ، قد تؤدي الى توترات سياسية خطيرة . وبالطريقة نفسها فان العلاقات مع القوى الاخرى قد تتأثر برسالة حكيمة او حمقاء ردا على رسالة من احدى الحكومات الاجنبية »(٢٥).

وقد كتب « ايتان » في سنة ١٩٥٨ انه بالرغم من ان وزير الخارجية كان منذ قيام اسرائيل ممن ينتمون الى حزب « ماباي » الحاكم، فلم يكن هنالك سوى زمرة صغيرة من كبار الموظفين الذين هم اعضاء في ذلك الحزب . وحتى هؤلاء حصلوا على مناصبهم بكفاءتهم ، وان عضويتهم في الحزب كانت

عفوية ولا علاقة لها بعملهم او مراكزهم كموظفين .

ويضيف ايتان ان الوزارة كانت تبذل كل جهد ممكن لابقاء وزارة الخارجية بمعزل عن الضغوط الحزبية ، وانه لم يكن لهذه القاعدة سوى استثناءين : اولهما يتعلق بالسكرتير السياسي الخاص لوزير الخارجية . ولما كان الوزير ملتزما بكثير من الاعمال الحزبية فكان من الافضل ان يكون سكرتيره الخاص حزبيا ليتمكن من تأدية الجانب الاخر من اعمال الوزير بسهولة وحرية اكبر(٢٦). اما الاستثناء الثاني فيتعلق برؤساء البعثات الدبلوماسية ويثير مشاكل اوسع من حيث المبدأ ومن حيث العرف المتبع .

وهنالك دول — مثل بريطانيه وفرنسا والبرازيل — يشغل فيها جميع وظائف وزارة الخارجية والبعثات الدبلوماسية في الخارج من اصغرها حتى اكبرها موظفون محترفون من السلك الخارجي تدرجوا فيه . وحينما تحدث استثناءات من ذلك فلا تكون الا على اساس مؤهلات شخصية استثنائية لمنصب صعب في وقت صعب . وهنالك دول اخرى — ومن أبرزها جمهوريات أمريكا اللاتينية — تعد رئاسة بعثاتها الدبلوماسية مكافأة على خدمة سياسية او عامة . وتكون في حالات اخرى وسيلة مريحة لابعاد شخصية سياسية ذات نفوذ اصبح بقاؤها في الداخل محرجا . ان سفراء امثال هذه الدول قلما يكونون من « المسلكيين » ، وانما يأتون من شتى الميادين او الاختصاصات التي يعودون اليها بعد انتهاء مهماتهم او الاسباب التي دعت الى تعيينهم في تلك المناصب . وهنالك طائفة ثالثة من الدول (والولايات المتحدة هي المثال البارز بينها) تأخذ بكلا النظامين معا ، حيث يكون بعض رؤساء البعثات اشخاصا مسلكيين ودبلوماسيين محترفين، وبعضهم من خارج الوزارة .

ولم يكن هنالك موظفون مسلكيون متدرجون في اسرائيل في اول قيامها بطبيعة الحال ، لان السلك الخارجي لم يكن له وجود الا في صورة المكتب السياسي للوكالة اليهودية ، ومن موظفي هذا المكتب استقت وزارة الخارجية — بصورة عامة — الاوائل من رؤساء بعثاتها الدبلوماسية . وبمرور الزمن ، ونشوء عدد من الموظفين المسلكيين خلال السنوات التالية بدأت الضغوط الحزبية بالظهور ، واخذت الاحزاب التي اشتركت في الوزارات الائتلافية في اوقات مختلفة تطالب رجالها في الخدمة الخارجية ، وخاصة في مناصب رؤساء البعثات الدبلوماسية . ويقول « ايتان » اول مدير عام لوزارة الخارجية الاسرائيلية ان مقاومة هذه الضغوط أصبحت تزداد صعوبة بسبب ما يسفر عنه الحكم الائتلافي من مساومات بين الاحزاب . ومع ذلك ، فلم يعين اي رئيس بعثة اسرائيلي استنادا الى ولائه الحزبي وحده ، وان وزارة الخارجية كانت تلح دائما على ان المرشحين لمثل هذه المناصب يجب ان تتوافر فيهم المؤهلات الضرورية — وقد احتفظت لنفسها بحق رفض اي مرشح حزبي اذا كان دون المستوى المطلوب(٢٧).

وقد أضاف ايتان ان عشرة بالمائة فقط من رؤساء البعثات الدبلوماسية كانوا من مرشحي الاحزاب (في سنة ١٩٥٨) الى جانب عدد معقول من الاشخاص من خارج السلك ممن اختيروا لمؤهلات خاصة لديهم . فحين عينت اسرائيل سفيرا لها في بورما اختارته لخبرته الواسعة في تأسيس المشروعات الصناعية للهستدروت(٢٨) وكانت تهدف من وراء ذلك التأكيد على ان هدفها الرئيسي من اقامة العلاقات الدبلوماسية هو تقديم المساعدة الفنية للدول النامية ، وانها تثبيتا لذلك تضع على رأس بعثتها الدبلوماسية شخصا فنيا وليس سياسيا . وكذلك الامر في حالة السفراء المعينين في معظم الدول الافريقية ، اذ كثيرا ما يكونون من الخبراء في شؤون الري او الاسكان او السدود او المرافق العامة . وهنالك ايضا بين سفراء اسرائيل عدد من ضباط الجيش السابقين الذين كانوا بارزين أيضا في تمثيل اسرائيل الدبلوماسي في افريقيه .

وبالرغم من عدم توافر العدد الدقيق لمن هم من خارج السلك بين ممثلي اسرائيل في الوقت الحاضر، فان كثيرا من موظفي السلك الخارجي الذين أجرى « بريشر » مقابلة معهم خالفوا ادعاء ايتان بأن عددهم كان قليلا جدا بدرجة لا تؤثر في نفسية موظفي السلك . والواقع ان آثار الاستياء ومظاهره — خاصة بين موظفي الدرجات الوسطى — ظهرت في سنة ١٩٦٢ بصورة صريحة ، حين تعالت الطلبات بوجوب التزام لجنة التعيينات والترقيات في الوزارة بمبدأ منح الافضلية في المعاملة وفي الحقوق للموظفين المسلكيين(٢٩).

رابعا ــ المرأة في وزارة الخارجية الاسرائيلية :
أما فيما يتعلق بعمل النساء في السلك الخارجي الاسرائيلي ، فقد سمحت وزارة الخارجية بتوظيف النساء لديها ، وشجعتهن في المرحلة الاولى من نشأتها . اما في السنوات التالية ، وخاصة بعد أن أصبحت على رأس وزارة الخارجية امرأة ــ هي غولدا مئير ــ فلم يعد ثمة أي قيد على استخدام النساء في وظائف وزارة الخارجية بالمرة .

وقد عملت احدى النساء قائمة بالاعمال في مونتفيديو لعدة سنوات ، واخرى كانت قنصلا في نيويورك لمدة اطول . وهناك أربع نسوة في ديوان وزارة الخارجية احداهن تشغل منصب مساعدة مدير دائرة الشؤون الافريقية ، واخرى تعمل مساعدة لمدير دائرة المنظمات الدولية ، وثالثة مساعدة مدير التشريفات ، ورابعة ترأس السفارة الاسرائيلية في الدانيمارك .

ولكن ، فضلا عن مشاكل اعتزال العمل بسبب الزواج مما يؤدي الى شيء من الارباك ــ وهي مشكلة مألوفة في تجارب جميع الدول التي تقبل النساء في مناصب التمثيل الخارجي ــ يرى « ايتان » ان هناك مشاكل اكثر جدية ، وان المرأة التي تعمل وتعيش بمفردها في الخارج كدبلوماسية قلما تكون سعيدة ، وغالبا ما تشعر بوحدة قاسية وفراغ كبير في حياتها ، مهما كانت حياتها الدبلوماسية حافلة بالمناسبات الاجتماعية . ويروي « ايتان » حادثة وقعت في احدى السفارات الاسرائيلية حين كانت تقوم بأعمال السفير لدى غيابه عنها سكرتيرة فيها ، وحدث مرة ان طلبت ــ بصفتها هذه ــ ان تزور سفير احدى جمهوريات أمريكا اللاتينية ، وكان هذا السفير على علم بزيارة القائم بالاعمال الاسرائيلي ولكنه ربما لم يكن يعلم انها امرأة . فلما دخلت غرفته بادرها قائلا ــ بالحماس العاطفي اللاتيني ــ « أنت أجمل قائم بالاعمال رأيته في حياتي ! » ــ وبالرغم من هدف الزيارة الرسمي فان معظم الحديث كان محصورا في ناحية واحدة(٣) .

وللنساء ــ بالاضافة الى دورهن كموظفات ــ دور مهم آخر في وزارة الخارجية كزوجات للدبلوماسيين الاسرائيليين . فان نجاح اي دبلوماسي في مهمته يعتمد الى حد كبير على زوجته بقدر اعتماده على الدبلوماسي نفسه . وان زوجة غير مناسبة للدبلوماسي قد تسيء الى فرص زوجها في النجاح والتقدم في مسلكه . وفضلا عن دور الزوجة كمضيفة لضيوف زوجها ــ وتلك في بعض العواصم مهمة تستغرق وقتها كله ــ فان زوجات الدبلوماسيين الاسرائيليين يقمن بمهمة خاصة في الاتصال بالجاليات اليهودية الموجودة في مراكز عمل ازواجهن .

خامسا ــ القناصل الفخريون : تعمد دول كثيرة الى تعيين قناصل فخريين في بعض المدن الكبرى وخاصة في الموانيء التي يجعل فيها حجم التجارة والشحن البحري وجود تمثيل قنصلي امرا مفيدا ، ولكن بدرجة لا تكفي لفتح قنصلية وتعيين موظفين دائمين . ويعهد بهذه المناصب الفخرية عادة الى مواطنين محليين او اجانب من التجار او رجال الاعمال ، ممن يرحبون بها لانها تحقق لهم بعض الامتيازات وان لم تعد عليهم بمنفعة مادية « مباشرة » . وفي حالات كثيرة تكون للقنصل الفخري مصلحة شخصية مشروعة في تنمية التجارة بين بلده والبلد الذي يعهد اليه بتمثيله .

وقد كانت إسرائيل منذ بداية قيامها متحذرة من الاكثار من تعيين هذا النوع من القناصل لاسباب أهمها ان معظم المدن التي ترغب في فتح قنصليات فيها تضم جاليات يهودية تصاب بخيبة اذا كان الشخص الذي تعهد اليه القنصلية الفخرية غير يهودي . ولذلك يكون الخيار محصورا بين الاعضاء البارزين في الجالية اليهودية ، حيث يكون هناك عادة اثنان او ثلاثة ممن يعدون انفسهم او يعدهم أعوانهم واصدقاؤهم احق من غيرهم بهذا الامتياز . ولذلك يكون من المستحيل تعيين احدهم دون اثارة غضب الاخرين وخلق مشاعر الغيرة لديهم ، في حين ان اسرائيل ترغب في اجتناب مثل هذه المشاعر بين الجاليات اليهودية ــ وخاصة في السنوات الاولى ــ مما جعلها تفضل في معظم الحالات عدم تعيين احد .

نمو التمثيل الدبلوماسي الاسرائيلي

ان نمو وزارة الخارجية الاسرائيلية ، خاصة خلال العقد الاول من تأسيسها ، كان سريعا ومطردا ، كما يظهر من الجدول الاتي الذي يبين عدد البعثات الاسرائيلية في كل منطقة بين سنتي ١٩٤٩ و ١٩٧٤ :(١)

المكان	١٩٤٩	١٩٥٠	١٩٥٤	١٩٥٩	١٩٦٥	١٩٦٧	١٩٦٨	١٩٧٤
أفريقيه	١	١	٢	٨	٢٧	٢٩	٢٩	٨
امريكا الشمالية	٤	٣	٥	٧	١١	١٣	١٣	١٣
امريكا اللاتينية	٢	٨	٨	٢٢	١٤	١٥	١٦	٢٩
استراليا ونيوزيلندة	١	٢	٢	٢	٢	٢	٢	٣
اوروبا الغربية	٩	١٩	١٩	٢١	٢١	٢١	٢٣	٢٢
اوروبا الشرقية	٦	٦	٧	٧	٧	٧	١	١
آسيا	—	١	٥	٧	٨	٩	٩	٩
أماكن أخرى	—	٥	٦	٦	—	—	—	٢
المجموع	٢٢	٣٧	٥٩	٨٠	٩٠	٩٦	٩٣	٨٧

ويلاحظ من هذه القائمة ان تمثيل اسرائيل الدبلوماسي الذي بدا في سنة ١٩٤٩ بـ ٢٣ مؤسسة ، قد بلغ في سنة ١٩٧٤ — ٨٧ بعثة دبلوماسية وقنصلية . وان سنة ١٩٦٧ قد سجلت أعلى رقم بلغه تمثيل اسرائيل اذ كانت لديها ٩٦ بعثة موزعة على ٧٨ دولة . وكان التغيير الرئيسي منذ سنة ١٩٥٩ هو الانفجار السريع في عدد الدول الافريقية المستقلة التي سارعت أسرائيل الى انشاء علاقات معها حيث بلغ عدد الدول الافريقية التي كانت اسرائيل تتبادل معها التمثيل الدبلوماسي ٣٢ دولة (بينها ٧ دول كانت لاسرائيل لديها بعثات غير مقيمة) . ويلاحظ ايضا التدهور السريع الذي أصاب تلك العلاقات خلال سنتي ١٩٧٢ و ١٩٧٣ حيث قطعت ٢٤ دولة افريقية علاقاتها مع اسرائيل (وجمدتها معها ثلاث دول اخرى) . كما كان هنالك ارتفاع في عدد البعثات في امريكا الشمالية وانخفاض في امريكا اللاتينية عاد الى الارتفاع في سنة ١٩٧٤ .

أما التغيير البارز الاخر فيظهر في اوروبا الشرقية حيث قطعت جميع دول المنطقة — باستثناء رومانيا — علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل على اثر عدوان حزيران سنة ١٩٦٧ ، وما تزال هذه العلاقات مقطوعة .

أما آخر الاحصائيات عن مجموع البعثات الاسرائيلية في الخارج فهي ٨٧ بعثة (بضمنها ١٨ بعثة غير مقيمة) في ٦٧ دولة ، موزعة كالآتي: ٥٩ سفارة ، مفوضية واحدة ، ممثلية دبلوماسية واحدة ، ١٠ قنصليات عامة ، ٨ قنصليات ، و ٨ قنصليات فخرية (كلها في مدن الولايات المتحدة الكبرى) .

أما من حيث التوزيع الجغرافي ، فتكون نسبة التمثيل الدبلوماسي والقنصلي الاسرائيلي في العالم في الوقت الحاضر كما يأتي : افريقية : ٩٪ ، امريكا الشمالية : ١٥٪ ، امريكا اللاتينية : ٣٣٪ ، استراليا ونيوزيلندة : ٢٪ ، اوروبا الغربية : ٢٥٪ ، اوروبا الشرقية : ١٪ ، آسيا : ١٠٪ ، اماكن اخرى : ٢٪ .

أن النمو السريع في عدد البعثات الدبلوماسية والقنصلية الاسرائيلية لم يصحبه نمو في عدد الموظفين بنفس النسب ، وقد أدى ذلك الى زيادة الأعباء على عاتق موظفي الخدمة الخارجية بصورة مطردة . وفي سنة ١٩٦٨ كانت هنالك ٨ بعثات فقط يزيد عدد موظفيها عن عشرة ، و ١٢ بعثة فيها شخص واحد فقط ، و ٤٩ بعثة فيها موظفان او ثلاثة . أي أن ثلثي البعثات الاسرائيلية في الخارج كانت تدار من قبل ٣ اشخاص او اقل . وكذلك فان عدد الموظفين العاملين في الخارج لم يكن بنسبة متوازية مع عدد البعثات . وكانت هذه الظاهرة بارزة في افريقية اكثر من اي مكان اخر . ففي سنة ١٩٦٨ كان في القارة الافريقية

٥ر٣١٪ من بعثات اسرائيل الدبلوماسية، بينما كان في هذه البعثات ٥ر١٩٪ من مجموع الموظفين الموجودين في الخارج . وكانت الاية معكوسة في أوروبا الغربية ، فقد كان فيها في السنة نفسها ٢٥٪ من البعثات و ٥ر٣٩٪ من الموظفين . أما امريكا الشمالية فكانت تظهر فيها نسبة اعلى من الموظفين : ١٣٪ من البعثات و ٤ر٢٠٪ من الموظفين . وكانت الاية معكوسة ، مرة اخرى ، في امريكا اللاتينية : ٤ر١٧٪ من البعثات الى ٣ر١٢٪ من الموظفين .

ولكن قطع معظم الدول الافريقية علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل في سنتي ١٩٧٢ و ١٩٧٣ ادى الى تخفيف هذه الازمة وتغيير الصورة الى حد بعيد . ففي سنة ١٩٧٢ قطعت ثلاث دول افريقية علاقاتها مع اسرائيل ، وفي سنة ١٩٧٣ قطعتها معها ٢٣ دولة افريقية اخرى (الى جانب ثلاث دول جمدت علاقاتها وقلصت سفاراتها فيها الى حد كبير) مما ادى الى غلق ٢٦ سفارة اسرائيلية في افريقية (فضلا عن ست سفارات في اوروبا الشرقية سبق ان اغلقت في سنة ١٩٧٦) وتوزيع موظفيها على بعثات الاخرى واحدث وفرة اكبر من الموظفين فيها .

ويتمثل نمو التمثيل الخارجي ايضا في المعلومات والاحصائيات المتعلقة بالتعيينات والميزانية . ففي نهاية سنة ١٩٥٩ كان مجموع الموظفين التابعين لوزارة الخارجية في الداخل والخارج ٢٧٧ (بما فيهم الموظفون المدنيون، اي الذين ليسوا في السلك الدبلوماسي) فاصبح العدد بعد ذلك بخمس سنوات أكثر من الضعف (٨٣٣) موظفا . وكان ذلك ايضا من آثار التغلغل الاسرائيلي الواسع في افريقية بعد سنة ١٩٦٠ .

اما نمو ميزانية وزارة الخارجية الاسرائيلية فيجلب النظر ايضا : فقد كانت هذه الميزانية في السنة الاولى لقيام اسرائيل اقل من مليون جنيه فلسطيني فاصبحت ميزانية السنة الحادية والعشرين ٧٢ مليون ليرة اسرائيلية . ولا شك ان خفض سعر الليرة الاسرائيلية من وقت لاخر كان له اثر جزئي في ارتفاع الميزانية ، وخاصة في السنوات ١٩٥٤ — ١٩٥٥ و ١٩٦٢ — ١٩٦٣ و ١٩٦٨ — ١٩٦٩ ، ولكن التوسع العام في عدد البعثات في الخارج وزيادة عدد الموظفين كانا من الاسباب الرئيسية لارتفاع الميزانية . ويذهب حوالي نصف الميزانية الى الرواتب والمخصصات ، ويصرف ثلثا مجموعها بالعملة الاجنبية .

طريقة العمل في الوزارة

من المعروف ان مهمة وزارة الخارجية في اية دولة من الدول ليست رسم الخطوط العريضة للسياسة الخارجية — التي ترسمها عادة سلطة او سلطات أعلى — وانما هي تنفيذ تلك السياسة على ضوء الظروف المحيطة بكل قضية والامكانات والاحتمالات المتوافرة ، والخيار الموجود بين القرارات البديلة .

ان مهمة وزارة الخارجية ، بل علة وجودها ، هي مساعدة اولئك الذين بيدهم السلطة في تحقيق اهداف السياسة العليا بواسطة تنظيم علاقات الدولة مع الدول الاخرى ، والمنظمات الدولية، من يوم لاخر . ان هذه العلاقات تشكل تحديا مستمرا من اجل اتخاذ اصح القرارات التي تضمن تحقيق تلك الاهداف ، او اقربها الى الصحة .

والواقع ان هذا الدور لا تنفرد به وزارة الخارجية الاسرائيلية لان وزارات الخارجية في جميع الدول تقوم بوظيفة تنفيذ القرارات العريضة التي تتخذها السلطة العليا ، ولكن هذا الدور (اي تركز السلطة في القمة) قد رسخته في اسرائيل تقاليد المنظمات اليهودية في عهد الحكم البريطاني ، واستمر بصورة تلقائية بعد قيام اسرائيل . ومنذ سنة ١٩٤٨ ساد هذا الوضع النظام السياسي في اسرائيل بصورة عامة ، وخاصة في الاحزاب وفي الخدمة المدنية .

وكانت هذه الظاهرة بارزة في وزارة الخارجية الاسرائيلية بصورة خاصة لان اسرائيل منذ قيامها، تعيش في وضع دولي خاص ، وفي ازمة مستمرة، وان التهديد الدائم الذي تشعر به قد برر لديها مثل هذا الاسلوب ، واضفى عليه صفة مشروعة وعقلانية بنظرها .

وهنالك بطبيعة الحال مجموعة من القرارات التي تتخذ في وزارة الخارجية من يوم لاخر ، بل من ساعة لاخرى ، وتتم عملية اتخاذها — شكليا — بواسطة جهاز على مستويات مختلفة من السلطة والمسؤولية . وفي هذا الجهاز ثمانية مصادر رئيسية

تصدر عنها القرارات التي تتخذ في الوزارة، وهي: (أ) الوزير (ب) المدير العام (ج) مساعدو المدير العام (د) المستشارون (هـ) مديرو الدوائر (و) المبعوثون الدبلوماسيون في الخارج (ز) الوفد الدائم الى الامم المتحدة (ح) مديرا مكتبي الوزير والمدير العام .

وفيما يلي محاولة لتحليل دور كل من هذه المصادر في اتخاذ القرارات :(٣١)

أ ــ **وزير الخارجية** : هنالك ثلاثة انواع من القرارات التي تصدر عن وزير الخارجية :

١) قرارات ينشئها ويبت فيها وزير الخارجية : يبدأ هذا النوع من القرارات بملاحظات يدونها الوزير على برقية او رسالة واردة ، او تعليق شفوي يصدر عنه الى مدير مكتبه ، فتكون هذه بمثابة تعليمات للعمل ترسل الى مدير الدائرة المختصة ، او مساعد المدير العام المختص او الى المدير العام .

وقد تكون لدى احد هؤلاء الموظفين الذين ابلغوا بهذه التعليمات ملاحظات او اعتراض عليه (وهو في الغالب المدير العام او احد مساعديه) ويمكن تقديم هذه الملاحظات الى الوزير مباشرة ، او عن طريق المرجع المباشر . وللوزير ان يوافق على الملاحظة او الاعتراض ، وليس ــ طبعا ــ ان يرفضها فورا ، ولكنه قد يطلب اجراء مشاورة بشأنها مع المدير العام ، او مساعده المختص ، او رئيس الدائرة او الدوائر المختصة . وهنالك يبحث القرار ، ويعاد النظر فيه ، فاما ان ينال التأييد او يعدل .

ولكن ما هي الاسس التي يستند اليها الوزير في موافقته على اعتراض ما ، او رفضه ، او احالته للمشاورة ؟ يعتمد ذلك على اسلوب الوزير في العمل ، ورأيه المبني على ثلاثة اعتبارات : مدى كون الموضوع عاجلا ، ومقدار اهميته ، مدى شمولية الاعتراض او الملاحظة .

٢) قرارات ينشئها الوزير ولكنه لا يبت فيها شخصيا : تبدأ هذه العملية بملاحظة تحريرية او شفوية يبديها حول موضوع من الموضوعات ، ويدعو الى عقد اجتماع او مشاورة بشأنها . والوزير هو الذي يقرر الاشخاص الذين يحضرون الاجتماع ، وهم في الغالب المدير العام ، ومساعده المختص ، ومدير الدائرة المختصة . ولكن نوعية الاجتماع تتراوح بين أن تكون اجتماعا رسميا ، أو تبادل آراء قد يستغرق دقيقتين مع الشخص المعني . وان اختيار نوعية الاجتماع الذي سيبت فيه بالموضوع يعتمد على رأي الوزير في مدى كون الموضوع مستعجلا ، وتقديره لاهمية القرار الذي سيبحث .

٣) آراء الوزير السابقة للقرارات : تبدأ العملية في هذا النوع من القرارات بملاحظة لوزير الخارجية يعرب فيها عن موافقته او حكمه على تقرير لرئيس احدى البعثات الدبلوماسية الاسرائيلية في الخارج . وهذه الملاحظة قد ترسل الى المدير العام ، او الى احد مساعديه ، او مدير الدائرة المختصة او الى هذه الجهات الثلاث جميعا ــ ويقوم بتبليغ الملاحظة مدير مكتب الوزير بصفة « رأي » أبداه الوزير (وليس تعليمات ، فالتعليمات ترسل للعمل بها) ، ولكن ملاحظات الوزير وآراءه تؤثر بصورة غير مباشرة في آراء الاخرين ، وبالتالي تؤثر في القرارات النهائية .

وهنالك ، الى جانب هذه الانواع الثلاثة من القرارات التي تصدر عن وزير الخارجية ، نوعان اخران قد تكون لهما آثار مهمة بل ونتائج خطيرة في بعض الحالات ، وهما : ١) القرارات التي يتخذها الوزير خلال اتصاله المباشر مع اشخاص من خارج الوزارة او الحكومة كلها . ومثال ذلك القرارات التي يتم اتخاذها خلال محادثاته مع وزير خارجية دولة اخرى ، والالتزامات التي يلزم بها حكومته . وهذا النوع من القرارات يبلغ الى موظفي الوزارة فيما بعد ، لغرض الاطلاع . ٢) التصريحات العامة التي يدلي بها الوزير داخل البلاد او خارجها ، وهذه التصريحات التي قد تتطرق الى شتى الموضوعات ، تلزمه وتلزم وزارة الخارجية والحكومة كلها . وهي ، عادة ، تخلق سوابق تكون لها احيانا نتائج بعيدة الاثر في السياسة الخارجية .

ولا شك انه كانت هنالك منذ قيام دولة اسرائيل على الارض العربية اختلافات بارزة في مواقف وزراء خارجية اسرائيل واساليبهم في اتخاذ القرارات ، وكانت هذه الاختلافات نتيجة طبيعية لشخصية كل وزير ومدى تركيزه سلطة اتخاذ

القرارات بيديه ، ومدى اهتمامه بالتفاصيل ، وميله الى الاصغاء لمشورة الخبراء والاختصاصيين والى عقد الاجتماعات والاستشارات . فقد كان « شاريت » — أول وزير خارجية في اسرائيل — يعقد أكبر عدد من الاجتماعات ، و « آبا ايبان » أقلها . وكان الاول يحترم المثقفين ويصغي الى آراء موظفي الوزارة ويرغب دائما ان يعرف كيف يفكر الاخرون . اما ايبان فهو اكثرهم اعتدادا بالنفس ، بينما كانت « غولدا مئير » — خلال شغلها وزارة الخارجية — كثيرة الاعتماد على معلومات مساعديها في الوزارة ، وخاصة في السنوات الاولى لتوليها الوزارة .

ب — المدير العام : المدير العام اكبر موظف اداري في الوزارة ، وهو شخص فني وليس سياسيا ، ويقابل منصب المدير العام في وزارة الخارجية الاسرائيلية منصب وكيل الوزارة في بعض الدول ، والنائب الاول لوزير الخارجية في غيرها ، والسكرتير العام لوزارة الخارجية كما تعنونه دول أخرى .

ان طريقة صدور القرارات عن المدير العام تشابه الى حد كبير طريقة صدورها عن الوزير . فهو قد ينشيء قرارا بكتابة تعليمات على برقية واردة ، ويجوز ان يعترض على قرار المدير العام أحد مساعديه او مدير احدى الدوائر ، وللمدير العام ان ينقض الاعتراض او يوافق عليه — ولا يحدث ذلك الا في حالات نادرة — كما ان له ان يطلب التشاور مع الموظفين المختصين ، فيؤكد قراره السابق ، او يعدله او يهمله — ويكون الرأي النهائي في ذلك له .

وقد ينشيء المدير العام قرارا ، ولكنه لا يبت فيه في مرحلته النهائية ، وذلك بكتابة مذكرة يطلب فيها التشاور حول قضية معينة . وقد يكون النقاش مختصرا او طويلا ، وقد يعقد الاجتماع فورا او يؤخر الى حين عقد اجتماع اللجنة الوزارية . وقد يكون رسميا او غير رسمي . ومهما كانت طبيعة التشاور ، فان هذا النوع من القرارات يكون جماعيا .

والمدير العام — شأن وزير الخارجية — قد يدون رأيا على برقية او تقرير من ممثل دبلوماسي في الخارج ، او على اية وثيقة اخرى ، فيؤثر هذا الرأي بالتالي على القرار الذي تتخذه الوزارة .

وهنالك ايضا طريقة اخرى لاتخاذ القرارات يكون فيها « المدير العام » عنصرا رئيسيا . فحين يطلب ممثل اسرائيل في الخارج تعليمات بشأن قضية ما ، او موافقة على اجراء يرغب في اتخاذه ، يقدم الطلب الى المدير العام مباشرة او عن طريق مدير الدائرة المختصة ، وهو الذي يقرر نوعية الجواب . ويتم ذلك عادة بعد التشاور مع المختصين في الوزارة .

والخلاصة فان المدير العام ينشيء بعض القرارات ويبت في بعضها الاخر ، ويطلب التشاور — الذي يؤدي الى اتخاذ قرار — في حالات اخرى . والمدير العام — كالوزير — قد يلزم وزارة الخارجية ، او الوزارات الاخرى ، او الحكومة ، بواسطة تصريحات يدلي بها الى الصحافة أو الاذاعة او التلفزيون ، او خلال زيارة رسمية الى الخارج .. الخ .

وقد خمن أحد الذين شغلوا ادارة مكتب المدير العام ان حوالي ٨٠ بالمائة من جميع القرارات الصادرة عن المدير العام كانت استجابة لطلب او ردا عن استفسار ، و ٢٠ بالمائة منها فقط كان هو المحرك لها — والاخيرة عادة كانت أهم . كما اتفق جميع الذين شغلوا ادارة مكتب المدير العام ان القرارات التي انشأها او بت فيها المدير العام كانت اكثر عددا من تلك التي انشأها او بت فيها وزير الخارجية ، وان هذا القول يصح بصورة خاصة في حالة « جدعون رفائيل » المدير العام السابق للوزارة .

ج — مساعدو المدير العام : يصعب تعريف دور مساعد المدير العام تعريفا دقيقا . فهو قد ينشيء قرارا بملاحظة يدونها على برقية او يطلب التشاور في موضوع مع مدير الدائرة التابع له ، او مع المدير العام ، مما قد يؤدي الى اتخاذ قرار . وهو قد يبدي رأيا يكون له اثره في القرارات المقبلة ، وقد يستجيب لمقترحات مدير الدائرة ويسهل مرورها ، صعدا ، الى المدير العام ، واحيانا الى الوزير .

وبصورة عامة فان مساعد المدير العام يسهم في عمليات اتخاذ كافة انواع القرارات مع استثناء واحد وهو انه — خلافا للوزير والمدير العام —

لا يبت في الامور بمفرده ، وان وظيفته الرئيسية هي المراقبة وليس الانشاء ، ولكن مع دور جهم في اتخاذ كثير من القرارات التي تتطلب التشاور على مستوى عال .

ان مديري الدوائر لهم الحق في رفع قضية ما الى المدير العام مباشرة ، ولكنهم قلما يفعلون ذلك دون التشاور مع مساعد المدير العام المسؤول عن دائرتهم اولا ، وهم حتى لو فعلوا ذلك فان المدير العام يستشيره في الموضوع فيما بعد .

وليست هنالك تعليمات خاصة تحدد صلاحيات مساعد المدير العام ومسؤولياته والقرارات التي يحق له اتخاذها ، كما انه ليست هنالك اجراءات معينة موضوعة ، وان مساعد المدير العام هو الذي يقدر حدود القرارات التي له ان يتخذها حسب كياسته وخبرته وعلى ضوء التقاليد المتبعة، وطريقة العمل الدارجة في الوزارة .

أما علاقة مساعد المدير العام بالمدير العام فهنالك خمسة عوامل تقرر نوعيتها وطبيعتها : ١) طبع المدير العام ومدى ميله الى تفويض مساعديه سلطات اتخاذ القرارات . ٢) موضوع القرار ، وأهميته ، ومدى كونه عاجلا ، برأي المدير العام . ٣) طبع المساعد وفيما اذا كان يميل الى ان يبت في الامور بنفسه ويتحمل المسؤولية ، ام سلبيا ومتحذرا . ٤) تقدير مساعد المدير العام للموقف وبصورة خاصة رأيه فيما اذا كانت القضية موضوع البحث تقع ضمن صلاحياته . ٥) العلاقة الشخصية بين المدير العام ومساعده . ولعل هذه الاخيرة هي اهم الاعتبارات . ففي حالة وجود مدير عام قوي وديناميكي وله ثقة بنفسه فان دور مساعد المدير العام في اتخاذ القرارات يكون اضعف ، اما اذا كان المدير العام منظما في عمله، يؤمن بمزايا التشاور الدوري ، يرحب بالمبادرة ولا يميل الى احتكار سلطة اتخاذ القرارات ، فتزداد اهمية دور مساعد المدير العام وتقوى معنوياته .

وقد استحدث منصب مساعد المدير العام في أوائل الخمسينات لايجاد مناصب على مستوى مناسب للسفراء الذين يعودون الى الوزارة بعد العمل في الخارج فترات طويلة . وان وزارة الخارجية الاسرائيلية تكاد تكون فريدة بين وزارات الخارجية الاخرى في رغبة موظفيها في العودة للعمل في ديوان الوزارة خلافا لما هي الحال في الدول الاخرى حيث يفضل معظم الموظفين العمل في الخارج . فالموظفون الاسرائيليون يفضلون العودة ليضمنوا لاولادهم فرص التعليم باللغة العبرية ، ولكي ينشأوا في اسرائيل بقصد تقوية شعور المواطنة لديهم اكثر من آبائهم الذين يعلمون انهم طارئون على البلد ، تجمعوا على ارض فلسطين العربية في مختلف اقطار العالم ، مما كون لديهم عقدة يريدون ان يتخلص منها ابناؤهم .

ويرى البعض ان منصب مساعد المدير العام لم يكن ضروريا من ناحية انجاز الاعمال ، ولا لاتخاذ قرارات افضل ، كما ان مساعد المدير العام ، بحكم اشرافه على دائرة او دوائر معينة ، يقلل من أهمية وظيفة مدير الدائرة وفعاليتها .

بينما يرى اخرون انه طالما كانت الامور متركزة في المناصب العليا ، وان المدير العام لا يستطيع — من الناحية العملية — القيام بكل شيء بنفسه، فهنالك حاجة الى شخص برتبة يستطيع ان يفوض صاحبها جزءا من اعماله . وبالاضافة الى ذلك فان الذين ينظرون الى منصب مساعد المدير العام نظرة ايجابية يقولون انه منصب ضروري للاسباب الاتية : ١) ان مديري الدوائر ليس لهم نفوذ كبير، ولن يكون لمقترحاتهم تأثير يذكر بدون تدخل مساعد المدير العام لدى المراكز العليا . ٢) ان كثيرا من توصيات مديري الدوائر لا تكون مدروسة ومعدة جيدا ، وانما تحتاج الى توجيه وأحيانا الى تصحيحات شخص ذي خبرة أكثر . ٣)-ان كثيرا من القرارات المهمة تعد على مستوى مساعدي المدير العام ، لان مديري الدوائر لا يستطيعون ان يبتوا او يتحملوا مسؤولية البت فيها ، كما انها ليست من الاهمية بدرجة تتطلب رفعها الى المدير العام او الوزير بسبب ضخامة حجم اعمالهما .

د — **المستشارون** : وجد منصب المستشار في وزارة الخارجية منذ البداية (والمستشار في الوزارة غير المستشار في السفارة) وكان دور جميع الذين شغلوا هذا المنصب فعلا استشاريا وليس تنفيذيا — وذلك باستثناء المستشار القانوني طبعا . ولم تكن لاي من المستشارين سلطة مباشرة على اية دائرة معينة ، جغرافية كانت ام وظيفية . ولكنهم جميعا

كانوا على اتصال مباشر بوزير الخارجية والمدير العام وكان بعضهم يعد من المخططين الرئيسيين لسياسة اسرائيل الخارجية .

ومن الناحية العملية كان المستشارون بمثابة مساعدين للمدير العام بدون ان يحملوا ذلك اللقب، وكانت التفرقة بين منصبي مساعد المدير العام والمستشار تقوم على اساس ان مساعدي المدير العام كانوا يرأسون دوائر معينة ، بينما كان المستشارون يشرفون على موضوعات معينة . ومع ذلك فان حدود سلطاتهم لم تكن واضحة مما كان يسبب في بعض الحالات توترات شخصية تؤدي الى شيء من المنافسة غير الصحية بين المستشارين ومساعدي المدير العام ومديري الدوائر .

هـ ــ مديرو الدوائر : اختلفت مكانة « مدير الدائرة » ونفوذه في وزارة الخارجية الاسرائيلية على مر السنين . فحين كان « شاريت » وزيرا للخارجية ، و« ايتان » مديرا عاما للوزارة (١٩٤٨ ــ ١٩٥٦) كانت مكانة مدير الدائرة عالية ومهمة ، وكان معظم مديري الدوائر قد اختيروا من بين اعضاء المكتب السياسي للوكالة اليهودية ، كما أن عدد مساعدي المدير العام كان قليلا ، بل انه لم يكن هنالك مساعد للمدير العام حتى سنة ١٩٥٢ ، وبعد ذلك لم يزد عددهم عن ثلاثة حتى سنة ١٩٥٧ ، ولذلك فان مديري الدوائر كانوا يحتلون مكانة اهم ويتمتعون بسلطات أوسع .

وخلال معظم عهد غولدا مئير كوزيرة للخارجية ، كان هنالك تدهور مطرد في منصب مدير الدائرة لاسباب عديدة اهمها رغبة مساعدي المدير العام في تركيز السلطات بأيديهم منذ اواخر الخمسينات وأوائل الستينات . ولكن في سنة ١٩٧٠ بدا أن هناك تيارا عكسيا ، وذلك عندما عاد الى ديوان الوزارة موظفون قدماء ذوو درجات كبيرة ، ولم تكن هنالك مناصب كافية لهم في المراتب العليا ، ولذلك كان عليهم ان يقبلوا وظيفة مدير دائرة .

ولا شك ان دور مدير الدائرة في اتخاذ القرارات يتكيف حسب العوامل المتعلقة بطبيعة مساعد المدير العام الذي يشرف على دائرته وعلى قوة شخصيته وعلاقته برئيسه المباشر ، وكذلك بطبيعة القضية التي يجب البت فيها ومدى اهميتها . وهنالك علاقة عكسية واضحة بين اهمية القرار المزمع اتخاذه ، والاستقلال الذاتي لمدير الدائرة .

و ــ رئيس البعثة الدبلوماسية (السفير والوزير المفوض) : قيل عن رئيس بعثة دبلوماسية اسرائيلية في الخارج مرة « ان السفير يتخذ اكبر عدد من القرارات التي تترتب عليها اقل النتائج أهمية » ، وربما كان هذا القول صحيحا بالنسبة لمبعوثي كل دولة في الخارج في الوقت الحاضر .

ومع ذلك فقد كانت هنالك استثناءات مهمة ، وخاصة بين المجموعة الاولى من الدبلوماسيين الاسرائيليين : آبا ايبان في واشنطن وفي الامم المتحدة ، ايلات في لندن ، فيشر في باريس ، آفريل في اوروبا الشرقية ، وساسون في انقرة . فقد كانوا جميعا اشخاصا معروفين جيدا واعضاء في المجموعة الصغيرة التي تصنع القرارات ، يتمتعون بكامل ثقتها . وقد كان لبرقياتهم وتقاريرهم تأثير كبير في قرارات وزير الخارجية « شاريت » والمدير العام « ايتان » ، وربما على الحكومة بأجمعها . وقد تغير هذا الوضع فيما بعد بازدياد عدد المبعوثين الدبلوماسيين بدرجة كبيرة . ولكن الاوائل من جماعة المكتب السياسي للوكالة اليهودية عملوا في الخارج مدة طويلة ، فاستمروا في ممارسة نفوذهم في القرارات المتخذة بدرجة تزيد كثيرا عما تبرره مناصبهم .

ان نفوذ المبعوث الاسرائيلي في الخارج (شأن نفوذ اي مبعوث دبلوماسي) يعتمد جزئيا على مكانته الشخصية ومركزه ونفوذه في بلده ، كما يعتمد على اهمية دولته بالنسبة للدولة التي يمثل بلاده لديها . وهنالك عامل اخر وهو شخصية رئيس البعثة الدبلوماسية ــ كما هي الحال في جميع المستويات في سلم الخدمة ــ فمن الممثلين الدبلوماسيين من يعملون بحذر زائد ، ويتبعون تعليمات الوزارة بصورة حرفية ولا يجرؤون على المبادرة في قضية من القضايا . ومنهم من يحاولون الاستقلال في آرائهم وقراراتهم وحل المشاكل التي تواجههم في اماكن عملهم بأنفسهم، وادارة بعثاتهم، وماذا يقولون للحكومة التي يعتمدون لديها ، وكيف يتصرفون في مواجهة التحديات الكثيرة والمتنوعة التي يواجهها كل مبعوث دبلوماسي في الخارج .

ومن رؤساء البعثات من يفرض المقترحات على وزير الخارجية والمدير العام ، ويرى نفسه في وضع

افضل لتقدير احيبن القرارات الواجب اتخاذهـا تجاه البلد الذي يوجد فيه . ومنهم من يقتصـر على تنفيذ التعليمات ، ولا يتحرك الا بتعليمـات ، ويطلب رأي الوزارة في كل صغيرة وكبيرة . وبعضهم يرسل الى الوزارة سيلا من البرقيات والتقارير — التي قد تجرح احيانا زملاءهم في المراكز الاخرى ممن هم اقل انتاجا — واخرون يكتفون بالحد الادنـى الضروري منها . وهذه المراسلات هي ، بطبيعـة الحال ، من اهم المصادر التي تبنى على ضوئهـا القرارات في الوزارة ، وان الصورة التي يرسمها الممثل في الخارج هي التي توجه ، الى حد مـا ، تفهم صانعي القرارات في الوزارة .

ز — وفد اسرائيل الدائم في الامم المتحـدة :

ان مدى النفوذ الدبلوماسي الاسرائيلي في القرارات المتخذة يظهر بصورة واضحة في قضايا الامم المتحدة، وكان هذا صحيحا — بصفة خاصة — في عهـد « شاريت » حينما كانت سياسة اسرائيل في الامم المتحدة تصنع في وزارة الخارجية . ولكن حينما تولت « غولدا مئير » وزارة الخارجية نقلت كثيرا من مشاكل الامم المتحدة الى مجلس الوزراء مضيفة بذلك قيدا جديدا على عمل الممثل الدائم .

ان ممثل اسرائيل الدائم يعود الى اسرائيـل في اواخر الصيف من كل سنة — عادة — للتشاور حول جدول الاعمال المبدئي للدورة القادمة. ويعقد في الوزارة «مؤتمر سنوي» يحضره وزير الخارجية، والمدير العام، ومديرو الدوائر المعنيون، وتتراوح المدة التي يستغرقها المؤتمر بين ثلاثة ايام واسبوع واحـد .

قال دبلوماسي اسرائيلي قديم اشترك في كثير من هذه المؤتمرات السنوية ان المجتمعـين لم يتخذوا فيها قرارات تفصيلية وقال انها لم تكن اجتماعات على مستوى عام من الكفاءة ، ولم يتنازل احد من المجتمعين عن آرائه ، وان معظم الوقت كان يكرس « لقضية اللاجئين العرب ، وافضل الاساليب الواجب اتباعها لمواجهة الجملات العربية والسوفيتية على اسرائيل في الدورة القادمة . أما القضايا الاخرى فلم يكن يبقى لبحثها وقت كثير..» وتكون النتيجة عادة انتقال واضح لسلطة اتخـاذ القرارات في معظم القضايا الى الوفد الاسرائيلي في الامم المتحدة ، وذلك باستثناء القضايا الجوهرية، ولكن خط السياسة في مثل هذه القضايا يكون واضحا ، ويمكن البت فيه على ضوء القـرارات السابقة(٣٢).

وصرح آخر عمل عدة سنوات نائبا للممثل الدائم في الامم المتحدة : « ان كيفية تصويت المنـدوب الاسرائيلي على أي موضوع يطرح للتصويت في الامم المتحدة يتقرر في نيويورك الا اذا كان الامر ذا أهمية خاصة . وبالرغم من ان الوفد الاسرائيلي يكون عادة مطلعا اطلاعا جيدا ، ويحمل تعليمات مفصلة ، بصورة أفضل من معظم الوفود ، فان له مع ذلك مجالا واسعا من ناحية تقدير الموقف واتخاذ القرارات بنفسه »(٣٣).

وتكون صلاحية اتخاذ القرارات — لدى التطبيق — مقسمة على الوجه الآتي : في اللجنة الاولى ، واللجنة السياسية الخاصة : وزير الخارجيـة والممثل الدائم ، في اللجنة الثانية والثالثة والرابعة والخامسة : نائب الممثل الدائم ، في اللجنـة السادسة : الخبراء القانونيون .

ويعقد الوفد الاسرائيلي الى الامم المتحدة ، خلال الدورة ، اجتماعا صباحيا كل يوم ، ولكن نظرا لضيق الوقت خلال هذه الاجتماعات التي تطغى عليها مناقشة القضايا السياسية ، فلا يبقى هنالك مجال كبير للنظر في القضايا الاقتصادية والاجتماعية ومناقشتها ، وبالتالي فان الاعضاء الاسرائيليين يتعين عليهم ، في هذه القضايا ، ان يعتمدوا على تقديرهم الشخصي الى حد كبير .

وقد استمر مجال التصرف الواسع الذي كان يتمتع به الوفد الاسرائيلي الدائم الى الامم المتحدة حتى سنة ١٩٥٩ ، وكانت هنالك ثلاثة عوامل أدت الى ظهور ذلك الوضع الخاص : النفـوذ الشخصي للممثل الدائم آبا ايبان ، بطء وسـائل المواصلات نسبيا مما قيد سيطرة الوزارة وزقابتها الى حد ما ، أهمية امريكا اللاتينية في نتائـج التصويت في الجمعية العامة .

وقد تغيرت هذه العوامل في سنة ١٩٦٠ : فالممثل الدائم الذي حل محل ايبان (كوماي) كان اقل نفوذا من سلفه ، وبالتالي أضعف منه تاثيرا ، ووسائل الاتصال بالمركز قد تحسنت الى حد كبير. وأهم من ذلك جميعا الانفجار السريع في عدد الدول الافريقية في الامم المتحدة والتي استقلت منذ سنة

١٩٦٠ . لقد كانت افريقية في الامم المتحدة نفس ما كانت عليه امريكا اللاتينية في السابق ، وكانت أصوات الدول الافريقية تؤلف ثلث مجموع الاصوات في الجمعية العامة تقريبا ، ولكن كان هنالك فرق جوهري واحد ، وهو ان خبرة اسرائيل في شؤون امريكا اللاتينية ، وشبكة اتصالاتها بها متركزة في نيويورك ، أما خبراء اسرائيل في الشؤون الافريقية فكان مركزهم القدس حيث يعملون تحت ادارة مساعد المدير العام (ايهود آفريل) ، ومنها كانت تجري اتصالاتهم مع الحكومات الافريقية . وقد تقلصت أهمية هذا العامل مرة اخرى ، بعد سنة ١٩٧٣ على أثر قطع معظم الدول الافريقية علاقاتها الدبلوماسية مع اسرائيل .

وقد أدى ذلك جميعا الى مزيد من السيطرة المباشرة من قبل وزارة الخارجية على فعاليات وفد اسرائيل في الامم المتحدة . ولكن بالرغم من التدهور الذي أصاب استقلاله الذاتي ، فقد استمر الوفد الدائم في ممارسة تأثيره على القرارات التي تتخذ في المركز . وقد كشف ممثل اسرائيل الدائم الحالي في الامم المتحدة « تكواه » ان عدد البرقيات التي كان يبعث بها الى الوزارة خلال الدورة كان بمعدل ٣٥ برقية يوميا(٣٤) . والى جانب ذلك فان الممثل الدائم يساهم في اتخاذ القرارات بطريقتين : خلال الاستشارات السنوية في القدس ، وبواسطة البرقيات المتبادلة بين نيويورك والقدس . وبالرغم من أن سفراء اسرائيل في الولايات المتحدة وفرنسا كانوا ذوي نفوذ كبير في وقت أو آخر ، فليس هناك رئيس بعثة دبلوماسية يتمتع بما يتمتع به الممثل الدائم لدى الامم المتحدة من نفوذ وصلاحيات .

ح — مدير مكتب الوزير ومدير مكتب المدير العام:

هنالك هيئتان جانبيتان ، تابعتان ، ولكن لهما تأثيرا كبيرا في القرارات المتخذة في وزارة الخارجية ، وهما مكتب الوزير ومكتب المدير العام . وكان لـ « شاريت » مساعدان او سكرتيران رئيسيان : ادمج المنصبان في سنة ١٩٥٧ في منصب واحد كبير ، ثم أعيد فصلهما بعضهما عن البعض ، ثم السكرتير السياسي ، ومدير مكتب الوزير . وقد دمجهما ثانية في عهد « ايبان » مرتين .

ان المهمة الرئيسية لمدير مكتب الوزير هي غربلة المواد الموجهة الى وزير الخارجية وتنسيقها . ويمكن تصنيف هذه المواد الى اربعة أنواع :

١) الرسائل والتقارير المرسلة من الممثليات الاسرائيلية في الخارج والموجهة الى وزير الخارجية مباشرة ، او عن طريق الدوائر الجغرافية .

٢) المذكرات ، والمطالعات ، والاتصالات الشفوية المرفوعة الى الوزير من المدير العام ، ومساعديه ، ومديري الدوائر ، والتي يطلبون فيها التشاور معه بشأنها ، او الموافقة على اتخاذ اجراء ما ، او ابداء الرأي في اقتراح ما ، او يعربون فيها عن اعتراضهم او ملاحظاتهم على بعض تعليماته .

٣) البرقيات الواردة من ممثلي اسرائيل في الخارج ، وفي سنة ١٩٦٦ كانت هنالك برقيات واردة وصادرة من الوزارة بمعدل مائة برقية من كل فئة . ويقوم بتوزيع البرقيات الواردة مدير شعبة المواصلات في الوزارة وهي وظيفة تتطلب اتخاذ قرارات تترتب عليها أحيانا نتائج سياسية . كما يقوم مساعد مدير المكتب بغربلة البرقيات ذات الاهمية الثانوية . ومن بين حوالي ثمانين برقية متبقية يقرر مدير المكتب أيها يقدم الى وزير الخارجية ، وأيها يبلغه بموضوعها بخلاصة شفوية مختصرة ، وايها يرسل الى مدير الدائرة المختصة مباشرة لاتخاذ الاجراء اللازم بشأنها .

٤) تقارير الاستخبارات وتقدير الموقف . ويقوم السكرتير السياسي للوزير (ومدير المكتب بعد دمج الوظيفتين) بمساعدة الوزير في هجمال اعداد البحوث والدراسات وجمع المعلومات ، وبصورة رئيسية في القضايا التي تناقش في الكنيست (البرلمان الاسرائيلي) ، وكذلك وضع مسودات خطب الوزير ، وخاصة في عهد غولدا مئير . أما شاريت فقد كان يكتب خطبه بنفسه ، وكذلك كان يفعل ايبان .

ان الخطابين السنويين المهمين اللذين يلقيهما وزير الخارجية هما خطابه حول الميزانية في الكنيست ، وخطابه عن السياسة الخارجية لاسرائيل أمام الجمعية العامة للامم المتحدة . وتبدأ عملية اعداد خطاب الميزانية بأن يقوم وزير الخارجية بمناقشة موضوع الخطاب مع مدير مكتبه ويشير الى النقاط التي يرغب في بحثها ، فيعد مدير المكتب مسودة أولى ، وعليها تجرى تعديلات الوزير ، ثم يهيء مسودة ثانية على ضوء هذه التعديلات ، وتناقش

هذه المسودة أمام لجنة الوزارة لاجراء التعديلات المحتملة عليها ، ويقوم مدير المكتب بعد ذلك باعداد المسودة الثالثة او النهائية . وتكون العملية مشابهة لذلك في حالة اعداد خطاب الامم المتحدة ، مع قيام كبار أعضاء الوفد بدور (لجنة الوزارة) في خطاب الميزانية .

ان شدة الضغط الموجود على وقت وزير الخارجية في فترة من الفترات من حيث المواعيد والارتباطات والاجتماعات والرحلات الى الخارج ، هي العامل الذي يحدد كمية المواد والبرقيات التي تعرض عليه ، ويعتمد هذا على تقدير مدير المكتب. ويقوم مدير مكتب الوزير ايضا بتسهيل الاتصالات بين الدوائر المختلفة في الوزارة وتوزيع الطلبات والاستفسارات الواردة اليها من الخارج على الموظفين المختصين لاتخاذ ما يلزم بشأنها . وكذلك مراقبة سير العمل في الوزارة بصورة عامة .

أما الجهاز الآخر ، الموازي، لجهاز مكتب الوزير فهو مكتب المدير العام . وهو يقوم بنفس الدور الذي يقوم به مكتب الوزير ، ولكن مركز مدير مكتب المدير العام ونفوذه — بطبيعة الحال — أقل مما يتمتع به مدير مكتب الوزير .

ومع ذلك فان كلا الجهازين لهما دورهما الواضح في القرارات التي تصدر من الوزارة ، وتأثيرهما الكبير في توجيه أعمال الوزارة وتسهيل سيرها (أو عرقلتها) .

اللجان والمشاورات

شهدت أساليب التشاور في وزارة الخارجية الاسرائيلية ، واللجان التي ألفت لهذه الغاية ، تغييرات كثيرة خلال السنين ، في طريقة توزيع الاعمال ، وكثرة الاجتماعات وانتظام مواعيدها ، وكان العامل الحاسم المؤثر في قوة نفوذ اللجان وضعفها ، وفي درجة احالة القضايا المهمة عليها ، هو موقف المدير العام من كيفية اتخاذ القرارات ومدى ميله الى اتخاذ القرارات بنفسه ، او التشاور مع الموظفين المختصين في الوزارة .

وقد سبقت الاشارة الى احدى اللجان المهمة في الوزارة ، وهي « لجنة التعيينات » وهنالك لجنتان أخريان مهمتان : الاولى لجنة « اجتماعات الصباح » — بشيفات بوكر ، والاخرى لجنة « رسم السياسة » — هانهالا . وقد ازدهرت هاتان اللجنتان في عهد المدير العام « ايتان » بين سنتي ١٩٤٨ و١٩٥٩ ، وكانت الاولى تجتمع يوميا من الساعة٧٤٥ حتى الساعة ٨٤٥ برئاسته لمناقشة تطورات الاربع والعشرين الساعة الماضية ، والقضايا التي تنجم عنها او تتعلق بها . وكان يدعى لحضورها مديرو جميع الدوائر مع المستشارين ومعاوني المدير العام . ولكن الوزارة في تلك الايام كانت مجموعة صغيرة من الموظفين نسبيا ، وان لجنة واسعة الاساس كهذه لم تكن مع ذلك من السعة بحيث يصعب فيها اجراء مناقشات عملية منتجة .

وقد انشئت اللجنة الاولى على اثر ما أعرب عنه بعض مديري الدوائر من شعورهم بأنهم لا يطلعون على ما يجري في الوزارة بدرجة كافية ، ولا يساهمون في اتخاذ القرارات . فأوجد «ايتان» — اجتماعات الصباح — بقصد تعزيز شعور الموظفين بالاشتراك في أعمال الوزارة . وبالرغم من ان البعض انتقد هذه الاجتماعات بأنها كانت مجرد كلام لا نتيجة له فأن الكثيرين وصفوها بأنها كانت ترفع من معنويات الموظفين وتشحذ تفكيرهم .

أما لجنة « رسم السياسة » فكانت اجتماعاتها يومية ايضا ، ولكن نطاقها كان أضيق ، وكانت تضم المستشارين السياسيين ، والسكرتير العام و (أعتبارا من سنة ١٩٥٢) مساعدي المدير العام وكثيرا ما كان وزير الخارجية يحضر هذه الاجتماعات . وكانت لجنة « رسم السياسة » تتخذ القرارات ، أما اجتماعات الصباح فلم تكن هيئة تنفيذية ذات سلطة ، ولكن اذا اتفقت الآراء فيها على اجراء ما ، فان ذلك كان بطبيعة الحال يؤثر في القرارات التي تتخذ .

وهنالك ايضا اجتماعات طارئة تتطلبها الحاجات الآنية لسير العمل في الوزارة . ولكن اللجنتين الدائمتين هما اللتان توفران لموظفي الوزارة الكبار فرصة الاجتماع والتشاور الدوري المنظم .

وقد تغيرت طبيعة « اجتماعات الصباح » منذ سنة ١٩٦٢ ، فاصبحت اسبوعية بعد ان كانت يومية ، ولم تعد أكثر من منبر لاعطاء معلومات او القاء محاضرات او تقارير للموظفين العائدين من الخارج او موظفي الوزارات الاخرى او بعض الزوار . كما ان كثيرا من كبار موظفي الوزارة —

بضمنهم المدير العام — لم يعودوا يحـــضروا اجتماعاتها بصورة منتظمة .

وأهم من ذلك ان « لجنة رسم السياسة » لم يعد لها وجود من الناحية العملية ، لان المدير العام « ليفاي » لم يكن يؤمن بالتشاور وطرح القضايا للمناقشة بل يميل الى اتخاذ القرارات الفردية على مستوى عال .

أما الاجتماعات الطارئة التي تعقد بطلب من وزير الخارجية فانها كانت تعقد في اوقات غير منتظمة ، ولكن بمعدل مرة في كل اسبوعين ، وكانت تبحث خلالها بعض القضايا وتتخذ بشأنها القرارات في شكل تعليمات تصدر عن مكتب الوزير.

وفي عهد المدير العام السابق « جدعون رفائيل » لم يعد للاجتماعات الصباحية وجود ، ولكن « لجنة رسم السياسة » بُعثت واستعادت أهميتهاكاجتماع اسبوعي يعقد بين الساعة العاشرة والحـادية عشرة من صباح كل اربعاء . وكانت تتألف من المدير العام ومساعديه والمستشارين ومديري مكتبي الوزير والمدير العام . أما مديرو الدوائر المعنية فكانوا يدعون اليها بصورة طارئة حسب علاقة القضايا المطروحة للبحث بأعمال دوائرهم .

أما في الوقت الحاضر فان لجنة رسم السياسة عبارة عن « مستهلك » للمعلومات — كما وصفها أحد اعضائها في سنة ١٩٧٠ — والسبب يعـود الى شخصية المدير العام والى تكوين اللجنة . وهنالك اجتماعات تتخذ فيها قرارات مهمة ، ولكن الامر في معظم الحالات على العكس من ذلك . ان لجنة رسم السياسة في شكلها الحالي هي عبارة عن منبر للمناقشات واستقاء المعلومات وهي تخلق جوا من الشعور بالعمل الجماعي ، وبالرغم من أنها قلما تتخذ قرارات مهمة او « ترسـم السياسة » ، فانها عادة مبعث ارتياح للموظفين ومهمتها أشبه بمهمة « اجتماعات الصبـاح » القديمة ، وهي اطلاع أكبر عدد من الموظفين في الوزارة على ما يجري خارج نطاق عملهم المباشر .

ويعقد المدير العام في الوقت الحاضر اجتماعات نصف شهرية مع مديري الدوائر ، كما تعقـد اجتماعات طارئة بين الموظفين الذين يرتئي المدير العام او الوزير حضورهم لبحث المشاكل العاجلة.

ان كثيرا من موظفي الخدمة الخارجية الذين قابلهم « بريشر »(٢٥) انتقدوا أساليب التشـاور الحالية ، وانعدام وجود جهاز محدد لـ « صنع السياسة » وذهبوا الى ان تقسيم المسؤولية غير واضح — مع ما ينتج عن ذلك من ارتباك وعـدم كفاءة — وان معظم القرارات المهمة تتخذ في قمة الوزارة حتى بدون ان تمر على أية لجنة لمناقشتها، أما اللجان فلا يحال عليها الا القضايا الثانوية الاهمية .

خاتمة :ملاحظات تقييمية

في ختام هذا العرض لتنظيم وزارة الخارجية الاسرائيلية ، واسلوب عمل الجهاز الدبلوماسي الاسرائيلي ، يمكن ابداء بعض الملاحظات التقييمية، واستنتاج عدد من النتائج المهمة .

ولعل أهم ما يلاحظ في هذا الشأن هو ان تنظيم وزارة الخارجية الاسرائيلية يتطابق مع مهماتهـا الاساسية التي تنبع من أهداف السياسة الخارجية الاسرائيلية ، وان الجهاز الدبلوماسي الاسرائيلي يعمل بكفاءة عالية مستفيدا الى أقصى حد ممكن من تجارب الدول الاخرى ، والتجارب التي مرت بها الوزارة نفسها منذ انشائها ، وكذلك مـن العناصر التي جاءت الى اسرائيل من بلاد اوروبية او امريكية وغيرها ، ومما كسبته تلك العناصر من معرفة وخبرة في تلك البلاد .

ان تكوين الوزارة ، وأساليب عملها ، وتقسيم الاعمال فيها ، لم تخضع لقواعد جامدة ، ولم تتردد الوزارة في اجراء التغييرات التي وجدتها ضرورية لحسن سير الاعمال فيهـا ، آخذة بعين الاعتبار المرحلة التي تمر بها اسرائيل بالنظر لمركزها الدولي من وقت لآخر ، محاولة دائما الا يبقى أي جزء من جهازها عاطلا او عديم الكفاءة .

ويلاحظ أيضا ان الوزارة كانت سريعة في انتهاز الفرص المؤاتية ، ولم تتأخر قراراتها تجاه الاحداث الدولية الطارئة التي تستطيع استغلالها لمصلحة الكيان الاسرائيلي ، كموافقتها السريعة على تبادل التمثيل الدبلوماسي مع الولايات المتحدة عـلى مستوى السفراء حالما عرض ذلك عليها ،متخطية التأخيرات البيروقراطية التي تحدث عادة في الدول الاخرى في الحالات المماثلة ، وكذلك مبادرتهـا السريعة الى فتح الممثليات الدبلوماسية في الدول

المستقلة حديثا دون انتظار الميزانية الجديدة او ما أشبه ذلك من اجراءات روتينية قد تضيع عليها فرصا ثمينة للتغلغل في تلك الدول ، قبل ان تسبقها اليها غيرها ، وخاصة الدول العربية .

وقد حرصت الوزارة دائما على اختيار موظفي الخدمة الخارجية من أكفأ العناصر ، ووقفت في وجه ضغوط الاحزاب لتعيين اعضائها في وظائفها ، وفي حالة نزولها عند المطالب الحزبية فانها أصرت دائما على ان يكون المرشحون الحزبيون على المستوى المطلوب من الكفاءة ، ولم تلتفت الى شعار (الاخلاص قبل الكفاءة) ، بل انها لم تحجم عن التصريح بانه كان شعارا مضللا ، وذهبت الى ان الاخلاص يفترض في كل مواطن اسرائيلي ، ويشترط في كل مرشح . وهو ضروري ، ولكنه لا يكفي وحده ، وخاصة في الوظائف الفنية او التي تتطلب مؤهلات معينة ، ولا يمكن ان يعوض عن تلك المؤهلات التي يعجز المرشح بدونها عن تأدية واجباته على الوجه المطلوب ، وقد يسيء الى بلاده من حيث لا يعلم ، وبالتالي قد يكون ضرره أكثر من نفعه .

وقد أظهرت اسرائيل مرونة كبيرة في اختيار سفرائها ، وفي تعيين الممثل المناسب في المحل المناسب ، واهتمت بدراسة علاقات ممثليها الدبلوماسيين ونفوذهم وامكانيات نجاحهم في الدول التي يعتمدون لديها . كما انها لم تكتف في انتقاء موظفي وزارة الخارجية بالشهادات العالية التي يحملونها من الجامعات الاسرائيلية أو الاجنبية . بل أكدت على اجتيازهم فترة تدريب مركزة للاستراتيجية الاسرائيلية ، ودراسة لاوضاع اليهود في العالم ، ونقاط الضعف والقوة في الدول التي تتبادل معها التمثيل الدبلوماسي .

والى جانب هذه النواحي الايجابية التي رفعت من مستوى التمثيل الدبلوماسي الاسرائيلي وكفاءة جهازه ، فهنالك جوانب سلبية مهمة انعكست آثارها على ذلك التمثيل .

واول ما يلاحظ في هذا الشأن عدم وجود أي موظف عربي في وزارة الخارجية الاسرائيلية ، كما ان النواب العرب (وكذلك الشيوعيين) في الكنيست الاسرائيلي محرومون من عضوية لجنة الشؤون الخارجية . وهذه احدى الامثلة المكشوفة أمام أنظار العالم الخارجي — والتي تؤلف دليلا ماديا يدحض مزاعم حكومة اسرائيل بشأن معاملتها للعرب الموجودين داخل اسرائيل ، حيث أصبحوا يعاملون في بلدهم — ومن قبل مغتصبيها والدخلاء عليها — معاملة الدخلاء ، واصبحوا في وطن آبائهم وأجدادهم مواطنين من الدرجة الثانية .

وبالاضافة الى ذلك ، فان لوزارة الخارجية الاسرائيلية مهمات غير معلنة ، وغير مدونة في الكتب السنوية للحكومة ، ولا في تقارير الوزارة ، كأعمال الجاسوسية والتخريب والاغتيالات وتهريب الاشخاص والاسلحة وحتى البواخر ...

وتتظاهر اسرائيل بانها دولة عصرية من جميع الوجوه، وتحاول ان تضفي على جهازها الدبلوماسي مظاهر الدبلوماسية الكلاسيكية النزيهة التي تتحاشى اي عمل من أعمال التجسس وغيرها من الفعاليات غير المشروعة التي يؤكد التعامل الدبلوماسي على وجوب تجنب الممثل الدبلوماسي الدولي لممارستها . ومع ذلك ، فقد كانت هنالك حالات كثيرة فضحت فيها محاولات اسرائيلية عديدة ظهر فيها ان ممثليها الدبلوماسيين (فضلا عن ملحقي قواتها المسلحة وملحقيها الفنيين الاخرين) كانوا مشتركين في تلك الاعمال التي ترتب عليها اعتبارهم أشخاصا غير مرغوب فيهم وطردهم من الدول التي يعملون فيها ، مما شكل مطعنا كبيرا في سمعة الوزارة وأخلاقيتها وأساء الى مكانتها الدولية .

---

١ — ابراهيم العابد، **سياسة اسرائيل الخارجية**، بيروت ، ١٩٦٨ ، ص ١١ .

٢ — « الوكالة اليهودية » : هيئة تمثيلية يهودية انشئت بموجب المادة الرابعة من صك الانتداب البريطاني على فلسطين الصادر في سنة ١٩٢٢، وكانت مهمتها تنظيم الهجرة الى فلسطين ، والتعاون مع سلطات الانتداب في جميع الشؤون المتعلقة بتنفيذ وعد بلفور حول انشاء وطن قومي يهودي في فلسطين . وقد جرى توسيع نطاق الوكالة اليهودية في سنة ١٩٢٩ بادخال

٥٠ بالمئة من الاعضاء اليهود غير المنتمين الى المنظمات الصهيونية ، بقصد تمثيل الجاليات اليهودية في مختلف اقطار العالم . وكان لها دور كبير في تحقيق الاهداف الصهيونية ، وقد تمكنت من جمع تبرعات طائلة استخدمت في تدريب المهاجرين ، وتوطينهم ، واستمرت في فعالياتها حتى انتهاء الانتداب البريطاني في سنة ١٩٤٨ ، وبعد ذلك التاريخ زالت صفتها الاولى ولكنها واصلت اعمالها كهيئة تمثيلية لليهود تعمل على تدعيم اسرائيل . ومـــا تزال الوكالة اليهودية فعالة حتى الوقت الحاضر في الشؤون الثقافية والاعلامية اليهودية في الولايات المتحدة وفي اقطار اخرى من العالم .

٣ — انظر مذكرات ايتـــان عـــن تأسيس وزارة الخارجية في كتابه : «**السنوات العشر الاولى : تاريخ دبلوماسي لاسرائيل**» .
Walter Eytan, *The First Ten Years*, New York, 1958, p.p. 206-228.

٤ — أصبح هذا المنصب سببا في بعض المتاعب في السنوات الاولى ، مما أدى الى استقالـــة الشخص الوحيد الذي شغله في سنة ١٩٥٣ ، والظاهر انه فسر صلاحياته بصورة حرفية ، وحاول ان يوسعها بحيث تمتد الى رســـم السياسة أيضا . وقد خفض الوضع القانوني للرئيـــس الاداري للوزارة فأصبح واحدا من معاوني المدير العام ، والغي منصب السكرتير العـــام .

٥ — ايتان ، المرجع السابق ، ص ٢٠٨ — ٢٠٩ .

٦ — أنظر مذكرات جيمس مكدونالد — أول سفير امريكي الى اسرائيل — ووصفه كيفية ابـــلاغ حكومة اسرائيل بقرار الحكومـــة الامريكية ، وكيفية استجابتها له ، ووصف مراسم تقـــديم أوراق اعتماده كأول سفير الى اسرائيل .
James G. Mcdonald, *My Mission in Israel*, London, 1951, pp. 125-127.

٧ — ايتان ، المرجع سالف الذكر ، ص ٢١١ .

٨ — كانت ميزانيات وزارات الخارجية لهـــذه الدول — كما جاء في المشروع — كما يأتي : مصر (سنة ١٩٤٥) ٤٣٦٠٧٠٠ جنيه فلسطيني ، العراق (سنة ١٩٤٥) ٣٨٦٠٠٠٠ جنيـــه فلسطيني ، لبنان (سنة ١٩٤٨) ٣٨٣٠٠٠٠ جنيه فلسطيني .

٩ — كانت اول دولة تستجيب لهذا الطلب هي الولايات المتحدة ، واعقبها الاتحاد السوفيتي ، فغواتيمالا ، فبولونيـــا ، فاوروغـــواي ، فتشيكوسلوفاكيا ، فافريقيـــا الجنوبيـــة ، فيوغوسلافيا ، فهنغاريا ، فرومانيا ، فتشلندة ، فكوستاريا .

١٠ — شبتاي روزن ، في محـــاضرة عن وزارة الخارجيـــة الاسرائيلية في كلية الشرق الاوسط للادارة العامة (كما نقلتها جريدة « جروسالم بوست » ، ١٦ مايس ١٩٤٩) .

١١ — Michael Brecher, *The Foreign Policy System of Israel*, London, 1972, p. 512.

١٢ — تقرير عن وزارة الخارجية الاسرائيلية : ملحق بخطاب وزير الخارجية حول ميزانيـــة الوزارة لسنة ١٩٦٦ — ١٩٦٧ ، القدس ، ص ١ .

١٣ — أنظر جريدة « ترود » الصادرة في ٣١ آب ١٩٦٤ ومما جاء في المقال : « .. ان بعض المتطرفين الصهيونيين في سفارة اسرائيل هم من الحماقة بدرجة يعجزون معها عن فهم الشعب السوفيتي ، وان سيارات السفارة الاسرائيلية المحملة صناديقها الخلفية بالقمامة الايديولوجية طالما شوهدت خلال أشهر الصيـــف في كييف واوديسا وشيرنوفتش وغيرها من المدن . وان السياح الاسرائيليين من حملة الباســـبورات الدبلوماسية تركوا وراءهم ، حيثما حلوا ، آثارا قذرة ...» .

١٤ — « ازفستيا » ، موسكو ، ١٠ نيســـان (ابريل) ١٩٦٤ .

١٥ — « ازفستيا » ، موسكو ، ٢١ مايس ١٩٦٤ .

١٦ — « نيويورك تايمس » الطبعة الاوروبية ، ٢٢ مايس ١٩٦٤ .

١٧ — State of Israel, Civil Service Commission, *Twenty Years of Service*, Jerusalem, 1968, p. 18.

١٨ — *Israel Government Yearbook*, 1964/1965, p. 178.

١٩ — ناركيس (مدير الكلية) في حديث لمجلة « جويش اوبزرفر » المجلد ١٤ ، العدد ٤٨ ، ٢٦ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٥ — نقلا عن

ابراهيم العابد ، المرجع سالف الذكر ، ص ١٢٧ .

٢٠ ــ المرجع السابق .

٢١ ــ بقي آبا ايبان ممثلا دائما في الامم المتحدة ١١ سنة ، وسفيرا في واشنطن ٩ سنوات ، وايلات سفيرا في لندن ٩ سنوات ، وكوماي ممثلا دائما في الامم المتحدة ٧ سنوات ، وايتان سفيرا في باريس اكثر من عشر سنوات ، ونجار سفيرا في بروكسل ٨ سنوات .

٢٢ ــ بريشر ، المرجع سالف الذكر ، ص ٥١٦ .

٢٣ ــ المرجع نفسه .

٢٤ ــ المرجع نفسه .

٢٥ ــ Moshe Pearlman, *Ben Gurion Looks Back*, New York, 1965, p. 127.

٢٦ ــ ايتان ، المرجع سالف الذكر ، ص ٢١٧ .

٢٧ ــ المرجع نفسه .

٢٨ ــ Mordechai E. Krenin, *Israel and Africa, A Study in Technical Cooperation*, New York, 1964, p. 14.

٢٩ ــ Brecher, *Op. Cit.*, p. 517.

٣٠ ــ ايتان ، المرجع سالف الذكر ، ص ٢٢٠ ــ ٢٢١ .

٣١ ــ ان المصدر الرئيسي لهذا التحليل لعملية اتخاذ القرارات في وزارة الخارجية الاسرائيلية هو المقابلات التي اجراها « مايكل بريشر » مع عدد من كبار المسؤولين في تلك الوزارة في ازمنة مختلفة ، يضمنهم وزراء الخارجية السابقون والمديرون العامون وغيرهم من كبار موظفي الوزارة . (أنظر : بريشر ، المرجع سالف الذكر ، ص ٥٢١ وما بعدها) .

٣٢ ــ بريشر ، المرجع سالف الذكر ، ص ٥٣١ ــ ٥٣٢ .

٣٣ ــ المرجع نفسه ، ص ٥٣٢ .

٣٤ ــ المرجع نفسه .

٣٥ ــ المرجع السابق ، ص ٥٣٩ .

المصـــادر

Brecher, Michael, *The Foreign Policy System of Israel*, London (Oxford) 1972.

Eytan, Walter, *The First Ten Years*, New York (Simon and Schuster) 1958.

(وعلى هذين المصدرين اعتمدنا بصورة رئيسية).

Barnes, William and Morgan, John Heath, *The Foreign Service of the United States, Origins, Development and Function*. Washington, D.C. (Department of State) 1961.

Eban, Abba, *Voice of Israel*, New York (Horizon Press) 1957.

Israel Government Yearbooks.

Krenin, Mordechai, E., *Israel and Africa, A Study in Technical Cooperation*. New York (Praeger) 1964.

McDonald, James, *My Mission in Israel*, London (Gollancz) 1951.

State of Israel, Civil Service Commission, *Twenty Years of Services*, Jerusalem, 1968.

Strang, (Lord), and other Members of the Foreign Service, *The Foreign Office*, London (Allen and Unwin) 1957.

صايغ فايز ، **الدبلوماسية الصهيونية** ، بيروت (مركز الابحاث ــ منظمة التحرير الفلسطينية) ١٩٦٧ .

صفوة ، نجدة فتحي ، **اليهود والصهيونية في علاقات الدول الكبرى** ، بغداد ، (وزارة الخارجية العراقية) ١٩٦٧ .

العابد ، ابراهيم ، **سياسة اسرائيل الخارجية** ، بيروت (مركز الابحاث ــ منظمة التحرير الفلسطينية) ١٩٦٨ .

موسى ، شجاده ، **علاقات اسرائيل مع دول العالم** ، بيروت (مركز الابحاث ــ منظمة التحرير الفلسطينية) ١٩٧١ .

مراجعات

محمد علي طه ، **جسر على النهر الحزين : والقصة الفلسطينية**
(منشورات عربسك ، فلسطين المحتلة ١٩٧٤).

هناك ملاحظة مهمة يدركها الدارس المتتبع لما ينشر من نماذج قصصية في فلسطين المحتلة تستحق كثيرا من العناية والتأني في تقصي أبعادها ودلالاتها الفكرية والادبية . وهذه الملاحظة هي توجه القصة في الاراضي المحتلة الى اتخاذ طابع خاص يميزها عن غيرها من القصص الفلسطيني والعربي . وبعبارة أوضح فان قارىء النماذج القصصية القصيرة والطويلة التي كتبها كتاب يعيشون في فلسطين المحتلة يدرك انها أخذت تشكل تيارا فنيا له خصائصه المضمونة والتكنيكية التي تمنحه صفة الامتياز والتميز عن غيره من تيارات القصة ولعلي استطيع الزعم بأن المقارنة بين هذه النماذج القصصية مع نماذج الكتاب القصصيين في المنفى تضعها في موضوع خاص فعندما نقرأ لكاتب كغسان كنفاني او كاتبة شهيرة كسميرة عزام او اي كاتب آخر لوجدنا أنهم كتاب عرب يتناولون في قصصهم ورواياتهم القضية الفلسطينية وشعبها ، بدرجات متفاوتة من الاخلاص والمعاناة ، ومستويات مختلفة من حيث الجودة والاتقان التكنيكي . لكننا في المقابل ندرك شيئا مهما وهو أن القصاصين من امثال اميل حبيبي وحنا ابراهيم ومحمد نفاع ومحمد علي طه وتوفيق فياض هم قصاصون فلسطينيون اولا . ويكتبون عن الشعب الفلسطيني والارض الفلسطينية . ولقد بحثت عن كاتب آخر من الذين لم يقضوا حياتهم في فلسطين المحتلة منذ عام ١٩٤٨ يمكن ان يندرج في هذا التيار فلم أجد الا كاتبا واحدا لم ينشر حتى الان مجموعة قصصية وان كان قد نشر عددا غير قليل من القصص هو الكاتب خليل السواحري الذي أبعد عن الضفة الغربية عام ١٩٦٧ بتهمة الانتماء للحزب الشيوعي الاردني .

على أن سمات هذا التيار القصصي المستقل عن غيره من التيارات تبرز في مناح مختلفة أبرزها ناحية المضمون ثم النواحي التكنيكية ، ولكل سمة من هذه السمات عدة مسببات وحوافز جعلتها قادرة على فرض حضورها في هذه النماذج القصصية .

تقف على رأس هذه السمات — مضمونيا — الحس الطبقي . فهؤلاء القصاصون منتمون طبقيا للكادحين عمالا وفلاحين وبرجوازية صغيرة منسحقة. ولا نكاد نجد نموذجا قصصيا واحدا لا يتجلى فيه هذا الحس الطبقي . فجميع النماذج البشرية التي اهتم بها حنا ابراهيم في مجموعته القصصية الاولى « ازهار برية » (صدرت سنة ١٩٧٢) هم من الناس المسحوقون اجتماعيا واقتصاديا وطبقيا . كما تعكس قصصه وجهة نظر نقدية تجاه النماذج الاخرى كالزعامات التقليدية والوجاهات العشائرية. ولعل نجاح حنا ابراهيم في قصصه هذه يعود الى خبرته الطويلة في النضال العمالي . فهو من الكتاب الذين ارتبطوا بصفوف هذه الطبقة منذ الثلاثينات . وكان عضوا في عصبة التحرر الوطني قبل النكسة . وما يزال في طليعة العاملين في راكاح الذي يدافع عن حقوق الاقلية العربية من النواحي الاجتماعية اكثر من غيره من الاحزاب (انظر : الدراسة عن المجموعة في جريدة الدستور الاردنية ، (ع ٢٥٩٥) ، تاريخ ١٩٧٤/١٠/١٤).

واذا شئنا النظر في قصص الشارع الاصفر وجدنا الكاتب يخلص الى درجة مذهلة في تصوير النماذج الريفية طبقا لوجهة النظر الطبقية . ففي قصة الغرس لتوفيق فياض مثلا ما يؤكد الدلالة القاطعة لموقفه الطبقي .

وتكاد رواية اميل حبيبي التي تميزت بالشمول والدقة في تناول القضية الفلسطينية بكل أبعادها القومية والاجتماعية ، تكاد ان تكون متمحورة حول هذا الحس الاجتماعي ، حس الصراع الطبقي واذا قرأ القارىء قصص خليل السواحري وقصص محمد نفاع وجد الحرص نفسه على تصوير النماذج المسحوقة من المجتمع الفلسطيني بذات الدرجة من الوعي والحساسية الاجتماعية المادية . ان خليل السواحري الذي كتب قصصه كلها في مخاض نكسة حزيران ، تعزف كثيرا على هذا الوتر . وهو يقف في قصصه « مقهى الباشورة » و« تراجيديا المختارة » و« فسرج الهمشري » موقف المتحدي للطبقات التقليدية والبرجوازية فيفضحها ويعريها في الوقت الذي لا يتخلى فيه عن الانحياز لصالح الفئات المسحوقة .

ومن جهة ثانية فان ما يقارب بين قصص هذا التيار فهمها لقضية الاحتلال . فمع ان الكثير من الكتابات توحي بأن كتاب الارض المحتلة ، الشيوعيون منهم خاصة ، يسلمون بشرعية الوجود الاسرائيلي على الارض الفلسطينية فان قصص هذا التيار تعطي دلالة مناقضة . لقد استطاع اميل حبيبي وحنا ابراهيم ومحمد علي طه ان ينسفوا كل النظريات السياسية لانهم اخلصوا لمعاناتهم اخلاصا كبيرا . فاميل حبيبي جعل المتشائل في روايته « الوقائع » يرفع علم الاحتلال على مدينة حيفا . فحيفا محتلة مثلها ، مثل بقية فلسطين . اما محمد طه فقد جعل من ابناء الجليل فدائيين ينخرطون في سلك المقاومة لتحريره .

والسمة الثالثة — مضمونا — هي حرص كتاب هذا التيار على استيعاب جوانب القضية تاريخيا ومكانيا . فقصص محمد علي طه ، وحنا ابراهيم ، واميل حبيبي ، ومحمد نفاع ، قصص تتناولها في المراحل المتعاقبة . وطبقا لقانون التطور ، فهذا الوعي بالقضية لا تكاد نجد مثيلا له في قصص الكتاب الفلسطينيين في المنفى . ومرد ذلك الى ارتباط هؤلاء الكتاب — اي كتاب المنفى — بالاحداث الجديدة ، مباشرة ، في مقابل ارتباط اولئك الكتاب بالاحداث وتراكماتها من عهد الانتداب حتى الان . فكل مجموعة قصصية من مجموعاتهم ، وكل رواية من رواياتهم ، توشك ان تكون وحدة كاملة لتفاصيل الصراع الفلسطيني — الصهيوني — من البداية وحتى الان .

على كل حال فان اي تيار ادبي لا يستمد استقلاليته وتمايزه من المضمون فحسب . فعلى سبيل الحجاج نستطيع ان نأخذ نماذج قصصية فلسطينية في المنفى تجمعها وحدة الفكر ولكنها تختلف فيما بينها اختلافا يحول دون ادراجها في تيار ادبي مستقل . ان وحدة المضامين لا بد لكي تشكل تيارا مميزا من ان تصاغ في أشكال ومعمارات فنية متقاربة ، وهذه هي النقطة الاساسية في الحديث . فهؤلاء القصاصون — اميل حبيبي ، حنا ابراهيم ، محمد نفاع ، محمد علي طه ، خليل السواحري — هم قصاصو الشكل الادبي الشعبي . وهو شكل لا يستمد قيمه الجمالية والفنية من الوسائط التكنيكية المعروفة عالميا وعربيا ، كالرمز ، والاسطورة، والقصة الايقاعية، والقصة المكثفة شعريا ، والقصة التي تشبه المقال .. وما الى ذلك . انما هم قصاصو الشكل الشعبي الذي يقوم على عدة أركان يمكن اجمالها فيما يلي :

١ — الحرص على تصوير البيئة الفلسطينية بكل ما يميزها عن غيرها من الهيئات وفي هذه الحالة كثيرا ما تخون الكاتب مشاعره البورجوازية فلا يجد سبيلا الى الخلاص سوى العودة الى الريف . ومن هنا فان جل النماذج القصصية انما تدور في القرى الصغيرة والقرى المتوسطة لان هذه المناطق هي التي ما تزال تحتفظ بالسمات البيئية الفلسطينية الحقيقية ، وعندما تأخذ عدسة الكاتب بالتقاط المشاهد فاننا نكاد نحس بمواجهتنا الحقيقية للقرية الفلسطينية ، سواء تلك التي دمرت ، ومحيت اثارها ، او تلك التي ما تزال باقية وفيها أهلها . وعندما نقرأ قصص هؤلاء الكتاب نتعرف على قرى الجليل واحدة فواحدة وعندما نقرأ رواية اميل حبيبي فانما نتلمس باصابعنا بيوتها الطينية ، وأشجارها ذات الجذوع الخشنة .

٢ — ان تمايز البيئة الفلسطينية في النماذج القصصية لا يستمد ذاته من الاوصاف التي يسبغها القاص على المشهد التفصيلي بل هناك منبع اخر لهذا التمايز وهو النموذج البشري : نموذج الفلاح الفلسطيني المسحوق من كل النواحي، وحتى ذلك

الذي نجح في التسلق والوصول للمراتب فانما يظل مسحوقا من وجهة النظر المضادة ، لانه يعيش حالة من الاستلاب النفسي والاجتماعي . ومن خلال التركيز على هذه الناحية تبرز خصوصية الانسان الفلسطيني في الارض المحتلة ، وتعطى الشخصية القصصية نكهتها الخاصة .

٣ — اللغة والحوار : شيئان مهمان جدا في فن القصص ، ومع ان الكثير من الكتاب العرب لا يكادون يكشفون عن التمايز البيئي من خلال اللغة التي يستعملون والحوار الذي يستخدمون ، فان كتابنا من امثال : اميل حبيبي ومحمد علي طه ، وحنا ابراهيم وخليل السواحري ، ومحمد نفاع ، وتوفيق فياض ، استطاعوا ان يوظفوا اللغة والحوار في الكشف عن كل ما هو فلسطيني متميز. اما الاشياء التي اسعفتهم في ذلك فمنها :

أ — استخدام الامثال الشعبية . وبرع في هذا الاسلوب اميل حبيبي الى درجة عجيبة . فلو قام احد الكتاب باحصاء الامثال الشعبية في روايته « الوقائع » لخرج منها بحصيلة تكون معجما للامثال الشعبية الفلسطينية . واذا اخذنا قصة « اللجنة » او « المعركة » او « حكاية ابريق الزيت » من قصص محمد علي طه لوجدنا فيها طائفة من الامثال الشعبية تكاد في كثرتها تزاحم المفردات العادية . ان قيمة المثل الشعبي في قصص خليل السواحري هي انه يعكس موقفا طبقيا وفلسطينيا متميزا .

ب — اللغة الدارجة : فالقصاصون الذين تحدثنا عنهم في اغلب الحالات يمتلكون آذانا تقدر على التقاط الكلمة الدارجة المتميزة . ويحسنون الى جانب ذلك تقليد اللسان الشعبي . وهي قوة يفتقر اليها كتاب المسرح فما بالنا اذا فرضت حضورها على السرد القصصي والحوار القصصي.

ج — دلالات الارتباط بالارض الفلسطينية ، وهذه ميزة لم تكن جديدة كل الجدة ، فالشعراء الفلسطينيون من امثال محمود درويش وسميح القاسم وتوفيق زياد كثيرا ما يستخدمونها . ولكنها في القصة وفي السرد القصصي تكون اقدر على اعطاء التمايز الفلسطيني . فاسماء الاشخاص مثلا يتم انتقاؤها بحيث لو وضعت في قصة لقاص عربي فلسطيني لجاءت نابية وغير مناسبة . خذ اسماء الشخوص في قصص خليل السواحري : حمدان الطرشا ، علي الجعار ، محمود الازعر ، سلمان الهرش ، وهناك اسماء الاشجار والنباتات والدواب والحواري ... وكثيرا ما نفتقد هذه الاسماء في قصص الفلسطينيين المقيمين خارج فلسطين .

٤ — الفولكلور ، وهو امر اصبح كثير الشيوع في قصص هذا التيار وما نعني به هنا هو شيء اكثر من استخدام المثل الشعبي ، والاغنية الشعبية ، والحكاية الشعبية التي برع في استغلالها اميل حبيبي وتوفيق فياض ومحمد نفاع ... وانما هو روح الفولكلور . هو كل ما يميز الفولكلور الفلسطيني عن غيره من الفولكلور ، ارتباطا بمعاناة الشعب الفلسطيني عبر الاحداث المتعاقبة . واذا كان اميل حبيبي في السداسية والمتشائل قد اقترب كثيرا من فن الحكاية الشعبية فان محمد نفاع ومحمد علي طه استطاعا ان يجعلا من شخوصهما شخوصا فولكلورية . وعندما تتناول اية قصة من خليل السواحري « كالتحديق في المرآة » او « اللعبة الاخرى » ، او « فرج الهمشري » فانك تحس ان هذه الشخصيات مزجت بالنماذج الشعبية الفولكلورية مزجا يحملها على الايحاء والرمز لا على التقليد او الاقتباس . ومن هنا كثيرا ما نحس بهذا الوجود الخفي للفولكلور في قصص هذا التيار .

ولقد يتساءل المرء : أليس من المستهجن ان يتشابه قصاصون مختلفون في المضمون والشكل ؟ ما مبرر الكثرة الغنية في حالة التشابه ؟ أليس هذا سؤالا باعثا على التشكيك بأهمية القضية المطروحة ؟. الواقع هو العكس تماما . فكل حركة ادبية ، في اية بقعة من بقاع العالم ، تطمح في المدى البعيد ، ان تكون لها سمات وخصائص عامة تكفل لها تميزها عن غيرها من الحركات الادبية . الا ان هذه السمات والملامح لا تأتي من الفراغ . ولا بصورة مفتعلة كانتشار التقليد والمحاكاة ، بل تأتي كنتيجة حتمية لواقع يفرز اشكالا متجانسة من التعبير .

وفي الارض المحتلة كثير من الحوافز التي تدفع لتحقيق هذا القدر من التجانس في التعبير استجابة لافرازات الواقع الموضوعي . فهؤلاء الكتاب

يرفدهم فكر اجتماعي واحد ذو مضمون سياسي تقدمي . وهم فوق ذلك مرغمون على التمسك بشخصيتهم الوطنية التي تجابه — يوميا — مؤامرات السحق والمحو والتدمير . ومن صور التمسك بهذه الشخصية المحافظة على كل ما هو متميز فيها ولها . فاذا اصبح هذا سلوكا يوميا للكاتب ، وهو في النهاية سلوك يرمي للكتاب المذكورين، كان من المحتم ان ينعكس على ابداعاتهم الفنية . فيحملها على الانسياق ضمن مجرى واحد. ويصبح التفاوت والاختلاف مقصورا على مدى التفاوت والاختلاف في الحساسية الادبية لديهم ، وهكذا وجدنا اميل حبيبي مثلا اقدر على كتابة الرواية من غيره . وهو اقدر على السخرية من سواه . وفي المقابل يكاد يكون محمد علي طه افضل من يحلل الشخصية من الداخل ، وسلط الاضواء على اللحظة القصصية المكثفة بابعادها الزمانية والمكانية . والى جانب هذين الاعتبارين نجد خليل السواحري مثلا اقدرهما على الرواية البانورامية التي تقدم صورة تسجيلية لواقع فسيح عبر فترات متفاوتة ، وضمن محور اهتمام واحد ... من خلال نماذج قصصية قصيرة تشكل وحدة كاملة .

قصدت من هذه المقدمة ان تكون مدخلا لمراجعة قصص محمد علي طه التي ضمتها مجموعته القصصية الثالثة جسر على النهر الحزين .وكان الكاتب الذي ولد في قرية ميعار الجليلية التي محت سلطات الاحتلال اثارها من الوجود ، قد اصدر مجموعتين قصصيتين هما : « لكي تشرق الشمس » وظهرت عن طبعة الحكيم في الناصرة سنة ١٩٦٤ ثم « سلاما وتحية » . التي صدرت سنة ١٩٦٩ عن دار الجليل في عكا ، وتأتي هذه المجموعة كما يقول الناشر « دار عربسك » لتؤكد بعمق كبير انجازات محمد علي طه في مجال الفن القصصي بمضامينه الانسانية التقدمية ؛ وتقنيته الفنية العالية . ان قصص جسر على النهر الحزين التي تبلغ عددها اربع عشرة قصة تؤكد ما سبق ان توهنا به من سمات وخصائص تميز التيار الفلسطيني في القصة الطويلة والقصيرة،رغم ما فيها من استثناءات جرت الكاتب اليها قراءاته ومطالعاته في الاقصوصة العربية فجنح فيها الى الرمز والايماء والاسطورة ، وتردى احيانا في اللبس والغموض والابهام .

تتناول قصة « اللجنة » وهي الاولى في قصص المجموعة موضوعا اجتماعيا طبقيا ، دون الابتعاد عن المشكلة الاساسية هي مأساة الاقلية العربية فيما يطلق عليه زورا وبهتانا اسم « اسرائيل » . فالمختار في القصة يمثل طبقة الوجهاء التي اعتادت التعاون مع العدو حفاظا على مصالحها ومكاسبها الاقتصادية والاجتماعية . فهو لا يمثل الحكومة فقط وانما يقوم مقام الذراع الذي تستخدمه في فرض سياستها على الاوساط العربية . وهو ، ايضا ، يعتمد على السلطة الممثلة في الشاويش « حاييم » وموظف ضريبة الدخل « سالم » لاقتلاع بذور التمرد لدى شباب الريف الفلسطيني . وتهديدهم ان هم تخلوا عنه وعن جماعته في الانتخابات البلدية وما شابه .

وقد نجح القاص في تصوير قطبي الصراع : المختار بقوته المستمدة من السلطة ، ومجموعة المسلمات . ثم قوة ابن رباح احد الشبان المنحدرين من الطبقة الكادحة ، ونال ثقافة جعلته يسعى لمنافسة المختار .

ومن خلال التفاصيل الصغيرة ، والجزئيات العديدة ، تمكن الكاتب من شحننا باحساس التفاؤل بانتصار الفئة الشابة ، كما استطاع ان يشحننا بمشاعر الكره والحقد على المختار واضرابه من المستغلين الجشعين ، الذين لا يريدون التنازل عن مراكزهم القيادية ، حتى وان اقتنعوا ان في هذا التنازل فائدة للجميع .

ولعل حنكة القاص وذكاءه يبدوان في النهاية الجيدة للقصة ، فهو رغم انتصار ابن رباح والشباب على المختار لم يجعله يسلم بسهولة ، بل ما يزال يتحين الفرص لكي يستعيد مركزه بواسطة الدس والخديعة والمكر . على ان هذه الحركة الذكية في القصة لا تشكل مضمونها الخاص والعام بل انه يسلط الاضواء من خلال السرد التفصيلي على ابعاد القضية الاجتماعية في الريف، وهي مواجهة الفلاحين لمصاعب الحياة والاضطهاد بثقة وقوة وامل .

وقريب من هذا الموضوع ما تتناوله قصته « المعركة » . وتنبغي الاشارة الى ان موضوع الانتخابات البرلمانية في الكيان الاسرائيلي يكتسب اهمية خاصة في الادبيات العربية هناك ، اذ من

المعروف ان العرب يحق لهم الادلاء باصواتهم في اختيار ممثلين عنهم في الكنيست . وتلجأ الاحزاب الاسرائيلية المتناحرة لاساليب متعددة ، وبشعة ، للحصول على هذه الاصوات . ورغم تناحر هذه الاحزاب الا انها تتفق جميعا على الوقوف ضد حزب واحد هو حزب راكاح الذي تشكل العناصر العربية غالبية اعضائه . وتحرص دوائر هذه الاحزاب على اقناع العرب بضرورة مقاومة هذا الحزب ، والوقوف الى جانبها هي .

وهذا الموضوع ترك اثرا كبيرا في رواية اميل حبيبي المظيمة « الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد ابي النحس المتشائل » كما انه يأخذ مكانة مهمة في قصص محمد علي طه . وقصته « المعركة » تكاد تكون مخصصة لهذا الموضوع . ففيها احد العرب يقدم اعترافا امام احد القضاة الاسرائيليين حول اسباب المعركة التي وقعت بين حيين في احدى القرى العربية سببها التنافس على الولاء لاحد الاحزاب الاسرائيلية . وقد ذهبت ضحية التنافس على هذا الولاء اعداد كبيرة من الضحايا. ومع ذلك فان حارة المتهم اعطت الاصوات المطلوبة كاملة ، فما الذي تحقق لها من الوعود ؟ « فالبلدة » ما تزال كما هي . لا مجلس محلي ، ولا رئاسة ، ولم يوظف احد من اولادها في البنك .

وتقع مشكلة « الاستشهاد والقاعدة » في الخط المضموني ذاته . فهي تتألف من حوار واحد متصل يوجهه احد القرويين العرب في « اسرائيل » الى احد الخواجات اليهود بعد ان يكون هذا الخواجا قد حل ضيفا عليه بصورة مفاجئة ، ودون سابق معرفة .

وتقوم القصة على اساس المفارقة بين موقفين : موقف الفلاح العربي الذي يفاخر بمعرفته للارض، واصالة تعلقه بها ، وصحة ادراكه لطبيعتها وخصبها وما عليها وطول تجربته في الزراعة والفلاحة والتنبؤ بالمطر ، مع موقف الخواجا الصامت الاصم الذي لا يدري عما يتحدث الفلاح .

وتأخذ المقارنة بين الموقفين طابعا حادا ، حتى ليكاد القارىء يحس ان هذه القصة تشكل لائحة اتهام ضد الاسرائيليين المغتصبين كافة . وهي بالاضافة الى هذا وذاك لائحة اتهام يواجه بها الكاتب السلطة الاسرائيلية مواجهة مدمرة . انه يلخص مفهوم الحكومة عند الاسرائيليين بعبارة ذكية مختصرة : « انك لست من ضريبة الدخل ، حتما انك من دائرة الاراضي، فالخواجا لا يمكن ان يكون الا حكومة . ومن هي الحكومة ؟ ضريبة الدخل ودائرة الأراضي ، والشرطة » . (ص ٥١).

كما ان هذه القصة تسلط الاضواء على العلاقة بين اليهودي والعربي فهي من وجهة النظر الاسرائيلية علاقة غالب بمغلوب وغاضب بمغضوب « اذا لم تكن هذا ولا ذاك فمن تكون ؟ ... الانتخابات قد مرت .. وارتحنا .. فماذا تريد ؟..» (ص ٥١) . انها صورة تفضح العلاقة بين الاثنين، هذه العلاقة القائمة على الاستخفاف بالعربي ، واستغلاله سياسيا ابشع استغلال . ولطالما حاولت الدعاية الصهيونية تزيينها ، وطمس حقيقتها ، وقد جاء محمد علي طه ليكشف عنها الغبار ، ويضعها في دائرة الضوء .

وتستمر المقارنة في النمو من خلال المقارنة بين مشاعر الانسان الفلسطيني النبيل المتعلق بالارض والاسرائيلي الاصم الذي لا ينطق بكلمة واحدة الا اذا كانت « لمصلحة » ومع ذلك فان هطول المطر ، واحساس الفلسطيني بالفرح الريفي ، ينسيه كل هذا الفارق بينه وبين الخواجا ، فيعده ضيفا عزيزا « تذبح له دجاجة الدار الوحيدة » .

بجانب الموضوعات الاجتماعية التي تلح على محمد علي طه هناك موضوع اخر فرض حضوره القوي على قصصه واقصد موضوع المقاومة . ولعل القصة الاولى بين قصصه التي كرسها لهذا الموضوع هي « حكاية ابريق الزيت » ولا يخفى ما لهذا العنوان من دلالة ايجابية ، فهو رمز شعبي للتكرار الذي لا نهاية له . واما الشيء الذي يتكرر الى ما لا نهاية فهو المقاومة ، والانخراط في صفوف الثورة . فحكاية « سامي عيد » احد عرب المناطق المحتلة الذي انخرط في صفوف الثورة هي حكاية مكررة مثل حكاية ابريق الزيت . ويتخذ الكاتب من مشاعر الدهشة لدى عرب المناطق المحتلة عادة يغتني بها سرده القصصي . فكلهم يستغربون ان ينخرط سامي مع الفدائيين . وهو امر يدب في نفوسهم الذعر والقلق طالما ان قريتهم الفلسطينية تتعرض لما تتعرض له من اضطهاد وقمع دون ان يقوموا بعمل معاد للسلطة . فما

الذي سيحدث حين يظهر فيها فدائي واحد مثل سامي ؟ ولكن القاص لا يكتفي بالتقاط هذا الجانب من الواقع ، وانما يصور لنا ان الواقع الموضوعي اقوى بكثير من جوانبه الشاذة . فهؤلاء المذعورون الخائفون من انكشاف قصة سامي لا يلبثون ان يتباهوا — في السر والعلانية — باقربائهم الفدائيين .

قال حسن مهنا : — يا جماعة ، هل « الفتح » يتربون لنا ؟

وقال مصطفى : — قلنا للجدران آذان ..

فقال يوسف العبد الله بعد ان اقترب من حسن : — ان اخي علي في الاردن .

فأجابه : — وابن عمي حسن في سوريا .

وعلى هذا النحو استطاع محمد علي طه ان يفجر في حكاية بسيطة عادية كل جوانب الموضوع دون ان يقع في الحرفية او المباشرة .

فالحكاية — كلها — هي ان سلطات الاحتلال اشتبهت بسامي فاعتقلته ، ونشرت صورته في الصحف العبرية . وقامت الشرطة بتفتيش المنزل . وهذه الحركة تثير ردود الفعل في القرية ، هذه الردود يشحنها القاص بما يخدم فكرته الرامية لتجميد الثورة والمقاومة ..

وتلى هذه القصة من حيث التركيز على موضوع المقاومة قصة المغروسون في الارض . وهي قريبة من تلك النماذج التي تشيع كثيرا في قصص كتاب الارض المحتلة ، واعني بها ذكريات المقاومة قبل عام ١٩٤٨ . ففيها صورة من صور المقاومة في تلك الحقبة ، مجموعة من الثوار تطاردهم غير مرة « فوجدوا انفسهم اخيرا في أرض المرج الغارقة بالمياه ، حيث لا يستطيع انسان ان يمر ، لكن حبهم للوطن كان عظيما ، لم يبالوا بالوحل ، الدورية وراءهم ، والوطن امامهم ، والوحل تحت اقدامهم ، وجدوا في السير ، لكنهم بعد خطوات كانوا مغروسين في الارض حتى صدورهم . هل نادوا ؟ هل استغاثوا ؟. من يدري ؟... لقد ماتوا مغروسين في الارض .. ومات ابي واقفا » .

والاصل في الحكاية هو ان ابن ابي النعاج متشوق لزيارة قبر والده الشهيد ، وهو لا يعرف مكان القبر ، وفي اي بلد هو ، ويكتشفه بعد البحث والتحري ان الارض الفلسطينية الكاملة هي قبر والده الشهيد . وان الشوق الى زيارة الضريح هو شوق الى الالتحام بالارض الفلسطينية الكاملة ، المحررة .

لعله صار بالامكان الان ان يدرك القارىء ما مغزى المقدمة التي مهدنا بها لهذا التحليل « القيمي » للقصص . ومن ذلك امكن الاستنتاج ان القصص تشكل مجموعة من لحظات التجلي للمضمون اللاصق بالتيار الفلسطيني القصصي ، وقد شاهدنا ان هذه اللحظات تأخذ شكل الذروة في القصص التي سبق ذكرها . ويمكن حصر اوجه هذا التجلي في النقاط التالية :

١ — الالحاح على الحس الطبقي في المضمون .

٢ — الفهم الواعي لمعنى الاحتلال . فقد لاحظنا كيف جعل محمد علي طه (كاتب منتظم في حزب راكاح المسلم بشرعية الوجود الصهيوني على الارض الفلسطينية) قرية من قرى الجليل تهتز وتتفجر لان واحدا من ابنائها اصبح فدائيا . بل لاحظنا كيف التقط القاص صورة واقعية لما يمور في نفوس هذا الشعب الاسير من حب للثورة ، وانتماء اليها .

٣ — الالمام بجوانب القضية مجتمعة فقد حوت القصص على معالجة ذكية لمشكلة الاقلية العربية في الوقت الذي خاض فيه الكاتب غمار المعالجة لموضوع الثورة على الاحتلال والتطلع لتحرير فلسطين كاملة . الى جانب هذا وذاك عرفنا كيف تنبلج ذكرى ثورة ١٩٤٨ من خلال الحاضر الموضوعي . فكأنه باجتماع هذه الاقاليم يوحد القضية بأبعادها في الزمان والمكان . وفوق ذلك كله فان القصص الاخرى التي جنح فيها للرمز ، ووقع اثناءها في الغموض ، مست القضية من جانب اخر وهو جانب التآمر على فلسطين وشعبها عربيا ودوليا .

ومع ان الفصل — في الواقع — بين الشكل والمضمون في العمل الفني هو امر مرفوض ، انسجاما مع قواعد راسخة الجذور في الادب والفن ، فان الدارس المتعمق لا يستطيع عند تنزيل الحقائق الادبية في منزلة الحقائق الموضوعية ، الا ان يلجأ للتشريح . فتشريح العمل الادبي يقوم اساسا على عملية الفصل الاعتسافية هذه ، ثم

يقوم بعملية تشريح اخرى تؤدي الى مزيد من التفاصل في اجزاء العملية الادبية . وهذه المهمة التي يقوم بها النقد انما تمهد لاعادة صياغة النموذج الادبي طبقا لرؤية جديدة ، وانطلاقا من تقويم معين .

واذ كنا قد ركزنا منذ البداية على ناحية المضمون (القيمة) فاننا سنحاول ، بقدر الامكان استقصاء خصائص وسمات التيار الفلسطيني في القصة ، كما تواجدت او فرضت وجودها في قصص محمد علي طه « جسر على النهر الحزين » .

يقوم الشكل الاقصوصي عند محمد علي طه على استنفاذ كامل للحس الكلاسيكي . في الوقت الذي يحاول فيه ان يعتصر قيما واقعية جديدة في التعبير والاداء الفني . فالنمط التكنيكي عنده هو نمط معروف لا جديد فيه الا بالقدر الذي يفرضه مضمون القصة . فوسائط المعمار الفني لديه يمكن حصرها في عدة ايقاعات :

١ ــ القصة الدائرة : وهو النموذج الذي يتخذ من الايقاع او اللحن الدائري شكلا له . بمعنى ان الحدث في القصة يكون حلقة مكتملة . «فاللجنة» مثلا تبدأ بما كان ينبغي عليها ان تنتهي به . المختار وقد غيظ كثيرا من فشله في الانتخابات ، هذه شرارة تضيء الحدث فيبدأ التسلسل الزمنيبالعودة الى الوراء . وهنا ينقطع دفق الزمان لكي يقف الكاتب عند بعض اللحظات فيحللها نفسيا ، يرسم صورة دقيقة لما يمور من تيارات شعورية داخل الشخصية . وفي الوقت ذاته يعرج الكاتب علىى لقطات حوارية يستهدف منها تصوير الطبقة الاجتماعية من الداخل ، وعبر نماذجها الاكثر تفتحا واستنارة . ثم تستمر حركة الزمان في القصة الى الخلف والى الامام بحيث تندفع جميع هذه النبضات نحو نهايةمحتومة يفرضها المنطق الواقعي. ويسقط المختار حسن عبد القادر في الانتخابات وينتصر الشاب ابن رباح . وهنا لا بد ان يستعيد القارىء بداية القصة : « لو ان مختار بلدنا ، حسن عبد القادر ، طق ومات ، في ذلك اليوم ما لامه احد . وكيف يلومه الناس ، والذي حدث مساء ذلك النهار ، لم يتصور احد ان يحدث في يوم ما ... حتى حسن عبد القادر قال : ربما ان شيئا ما قد حدث في العالم منذ ان بدأ الكفار الروس والاميركان يرسلون السفن الى السماء .. وبصق » .

٢ ــ القصة الاعتراف : وهذا النمط يتجلى بشكل قوي للغاية في حكاية « المعركة » فهي اشبه ببوح نفسي ذاتي رغم ان الشخصية تدلي به في ساحة محكمة . والعبارات الاولى في القصة توضح لنا مدى الاحساس بهذه القناعة لديها : « ان احد ابناء بلدنا ــ يا سيدي القاضي ــ اعتاد دائما ان يقول : خرب بيتك وعلم ابنك . وهذا صحيح وحياة روح امي .. فالقضية قد اكتشفها لي احد اولاد المدارس قبل وقوعها ، وقال لي : احذر يا عباس .. لكن الرصاصة عندما تنطلق لا ترد . والمكتوب على الجبين لا بد من ان ينفذ . « ان الفقرة السابقة ، المأخوذة ، من بداية قصة المعركة تكشف عن الطريق المتميز الذي يسلكنا فيه القاص محمد علي طه . ومع استمرار الحديث يزداد طابع الاعتراف فيه .

٣ ــ القصة الحكاية : وهذا النمط قصصي يقوم على الاستفادة من الحكاية الشعبية . وتذكيرا بما قلناه عن تميز التناول الفولكلوري في قصص الارض المحتلة نكرر التالي : وهو ان الكاتب ــ هنا ــ لا يلتزم بالفولكلور نصا وروحا . بل يغفل النص ويبقي على الروح . وحتى الروح هذه فانه لا يبرزها من خلال السرد القصصي ، او الحوار القصصي ، بل تبقى مثل شيء خفي تستند عليه القصة ، وهو اشبه ما يكون بالثور الذي لا نعرف عنه شيئا لكنه يحمل الدنيا على قرنيه .

من هنا فان دلالة الحكاية المسماة « حكاية ابريق الزيت » تفرض وجودها على القصة شكلا ومحتوى من غير ان يذكر لنا الكاتب شيئا عنها . فالانخراط في صفوف المقاومة ــ الذي تدور حوله القصة ــ هو عمل تكراري يستمر حتى تتحرر فلسطين . وهو تكرار واع . وربما كانت المفارقة بين الحكاية الشعبية الاصلية وبين القصة تكمن في هذه النقطة. فالتكرار في الحكاية الشعبية شبيه بالروتين . وهو استمرار عابث . اما هنا فهو استمرار مقصود ، ومرتبط بمرحلة تاريخية تعبرها الجماهير بثقة وقوة واطمئنان .

٤ ــ هنالك نمط اخر يلجأ اليه محمد علي طه في بعض اقاصيصه وهو قصة الرمز . والرمز عند

محمد علي طه غير ناضج . ولم يختمر في ذهنه . فقد انتهى في بعض القصص الى استعمال الرمز الجبري الذي تعادل فيه الكلمة مدلولا واقعيا . وعندما نقرأ القصة نحتاج اولا الى فهم خاص بالدلالة الرمزية لكل كلمة . فيجب ان نعرف مثلا ان كلمة الشمعة يقصد بها المقاومة . والريح يقصد بها الاعداء . وعلى ضوء ذلك نقرأ قصة « الشمعة والريح » . لكن القصة تظل — حتى لو اخذت في ضوء هذا الفهم المتعسف لدلالات الالفاظ — قصة غير ناضجة لانه لم يلجأ الى استخدام المعادل الموضوعي ، بحيث يشكل من مجموعة المواقف حبكة قصصية توحي في المدى البعيد بحبكة اخرى . وهذا المأخذ — للاسف — ينسحب على عدد غير قليل من قصص المجموعة .

سمة اخرى تلفت الانظار في قصص محمد علي طه وهي اعتماده الكبير على عنصر التشخيص . فهو شأنه في ذلك شأن الكتاب الكلاسيكيين يحرص على الشخوص من حيث الرسم الخارجي للملامح والقسمات ومن حيث التحليل النفسي الداخلي ، ووضع الشخصية في بؤرة الحدث الذي ينوي تصويره ، تمهيدا لطرح الموضوع الواقعي بشكل عميق وجذاب . وهذه سمة تتجلى لا في قصص محمد علي طه وحدها بل تكاد تكون هي العلامة الفارقة في الادب القصصي ذى الاتجاه الفلسطيني المتميز .

ولعلنا نذكر تماما ان شخصية المختار حسن عبد القادر في قصته الاولى اللجنة هي شخصية مرسومة بدقة ووعي الى حد بلغت فيه مستوى النموذج الكلاسيكي بكل ما لديه من قسمات وملامح . وذلك أيضا ينسحب على شخصية بن ابي النماج وسامي عيد وبقية الشخوص . واذا كان لا بد من ذكر بعض الملامح العامة للشخصية عنده فاننا نستطيع التنويه بالحقائق التالية :

١ — الاتجاه بالشخصية نحو النمطية ، فهو هنا يحرص على سبك النموذج القصصي في قالب واقعي للغاية .

٢ — اسباغ طابع الظرافة عليها ، فاشخاصه يجمعون الى جانب صفتهم الرمزية والطبقية طابع الظرافة المحببة التي تجعلنا نسخر من الشخصية او نحنو عليها فنتذكرها بشكل دائم .

٣ — اعطاء الشخصية حرية الحركة في الزمان والمكان . فلا يلجأ محمد علي طه كثيرا للحظة المكثفة التي تحفر رأسيا في مجال التحليل النفسي بل تتيح لقلمه الرشيق ان يغوص في النواحي الافقية للشخصية ، وان يجعل اللحظة القصصية مفتاحا لعالم واسع من اللحظات . فالمختار حسن عبد القادر يتحول من مجرد شخص يلعب دورا هزيلا في انتخابات اللجنة الى شخصية نمطية لها تاريخ عريق ، وماض حافل بالاحداث . وكذلك نجد الشيء ذاته بالنسبة لشخصية الشيخ مسعود الذي لا يصلح الا للرئاسة ولا تصلح الا له . وهكذا ...

٤ — التركيز على التمايز الفلسطيني للشخصية فهي فضلا عن انتمائها للقرية الفلسطينية ذات الطابع الخاص تختصر المسافات بين الانسان الفلسطيني النموذج والفلسطيني العادي ومن اجل هذه الغاية فان الكاتب يوظف مهارته التقنية في الكشف عن الطبائع الخاصة ، مستخدما اللغة القريبة من اللهجة الفلسطينية والمثل الشعبي .

واذا تخلص القارىء من استعراض النماذج الانسانية ، والاشكال الخارجية للقصة كما يفهمها ويمارسها محمد علي طه ، واتضح لديه ما فيها من تكريس لملامح الخط الفلسطيني في القصة توجه الى تقري السطح القصصي بكل ما فيه من منبهات شعورية ولا شعورية لحاسة اللمس . فالغشاء الذي يغلف الاقاصيص جميعها هو غشاء فلسطيني مئة بالمئة . وهذا الغشاء يتكون في واقع الامر من عشرات العناصر التي تمتزج وتتمثل في بعضها بشكل يميزها عن التمازج المعروف بين العناصر الاربعة كما جاء في كتب التاريخ والاساطير .

ولئن كان من الجائز ان نعد كل الامور التي تحدثنا عنها في السابق هي من لحمة هذا الغشاء وسداه فاننا لا نزيد على ان نضيف امورا اخرى :

١ — الدلالات الفلسطينية لغويا . فالكاتب رغم استخدامه للفصحى فانه لا ينأى بها عن الاستيعاب المكثف لمحتوى النطق الفلسطيني الشعبي الدارج . واحيانا نقرأ الجملة مشكولة شكلا تاما وكأنها تركيب عربي فصيح يلائم كل كاتب من اي قطر عربي كان . ولكننا حين نسقط الحركات فاننا نقرأها باللهجة الفلسطينية ، سمتنا وسمة شعبنا المميزة،

وسنحاول ان نقتبس هنا فقرة من احدى القصص ، وما على القارىء الا ان يقرأها بالفصحى والعامية ليدرك الدلالات الفلسطينية للغة : « لا تستغربوا ان قلت لكم : وحياة سيدي الخضر ، ان مختار بلدنا حسن عبد القادر كان يسوقنا — قبل ذلك النهار — يعود اخضر رفيع الى المكان الذي يريده فكم مرة قال لنا ايام الرباعية . يا اهل بلدنا ، نحن رجال الشيخ سعد . فاجبناه : نحن رجالك يا سعد ، يالله وهيه وبعدها جاء الشيخ سعد ، واستقبلناه بالفرح ، ثم وزع المختار حسن عبد القادر الاوراق الصغيرة ام حرفين علينا ، وخبأناها في الجزادين ساعة بدون طية وبعدها وضعناها في المغلفات ، ثم في الصندوق ، بدون حمد ولا شكر ولا جميل ، لان مختار بلدنا حسن عبد القادر قال : المركب السائر اعطه دفشة . والشيخ سعد ناجح بنا وبدوننا . قال المثل : يا صاحبي ساعدني على نقل الحجر ، ان ساعدتني سانقله وان لم تساعدني سانقله ، فاهمين يا اهل بلدنا » .

٢ — استخدام التورية ذات الدلالة الفلسطينية الخاصة . ومحمد علي طه يستخدمها بغزارة ملحوظة الا انه لا يرقى فيها الى مستوى اميل حبيبي من حيث الحدة والسخرية . خذ مثلا هذه الفقرة المأخوذة من قصة حكاية ابريق الزيت : « بدأت الحكاية عندما عبر يوسف العبد الله امام كشك الصحف في « ساحة باريس » التي ما يزال يوسف العبد الله يسميها باسمها القديم « ساحة الحناطير » مع انه والله العظيم لم يشاهد حنطورا واحدا بها منذ وطئت قدماه اول مرة شوارع حيفا، وبدأ يعمل في النافعة » . وموضع الاستشهاد في عبارة « لم يشاهد حنطورا واحدا » .

٣ — استخدام الامثال الشعبية بكثرة ايضا . وقد مثلنا على ذلك من قبل في أول المراجعة .

٤ — الحوار باللهجة المحلية وقد مثلنا على ذلك من قبل ايضا .

وعلى هذا النحو نلاحظ ان محمد علي طه وضع الهم الفلسطيني في قالب قصصي فلسطيني جعله يبدو متميزا عن غيره كل التميز وان كان يقترب اكثر فاكثر من كتاب الاتجاه الفلسطيني في الشكل والمضمون .

ابراهيم خليل

عادل حسن غنيم ، **الحركة الوطنية الفلسطينية من ١٩١٧ الى ١٩٣٦**
(الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٤)

هذا الكتاب هو بالاصل رسالة جامعية ، حصل بها الاستاذ عادل حسن غنيم على درجة الماجستير في التاريخ ، من كلية الآداب ، بجامعة القاهرة ، تحت اشراف واحد من اكبر المؤرخين المعاصرين المصريين ، بل والعرب ، هو الدكتور محمد أنيس، ولكن التلميذ لم يستطع كما تؤكد صفحات الكتاب ان يتأثر ويأخذ بمنهج استاذه في البحث والدراسة والتأريخ .

وبداية ، من الواجب ان يشار هنا الى ظهور قدر غير قليل من الاهتمام في الرسائل الجامعية في مصر ، بالقضية الفلسطينية ، بكل أبعادها ، سواء من حيث تطور الحركة الوطنية الفلسطينية ، أو دراسة الكيان الصهيوني وأوضاعه السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، فضلا عن تاريخ الحركة الصهيونية . بل ان بعض هذه الدراسات تناول واقع النضال الفلسطيني حاليا ، فقد نوقشت في

كلية الاقتصاد والعلوم السياسية رسالة ماجستير عن « فتح » . وبالطبع فان كل هذه الدراسات والكتابات — سواء ما طبع منها وأتيح لجمهور القراء او ما لم يطبع بعد — ليست على درجة واحدة من العمق والاصالة ، ولكنها في التحليل النهائي تعكس تيارا « علميا » يستحق الترحيب والتشجيع ، حتى تستطيع الجامعات العربية أن تشارك بالدور المأمول فيها ، والمطلوب منهـا ، لقضية النضال العربي .

واتجاه الشبـاب المصري الى جعل « قضيـة فلسطين » موضوعا لدراساته الجامعية يعكس ، في الواقع ، مدى الاهتمام الذي أصبحت هذه القضية تحظى به في مصر ، ولدى الشباب المثقف بصفة خاصة . منذ سنوات — وربما حتى الآن — كان جيبنا يندى بالخزي ونحن نجد بعض الشباب المصري لا يعرف متى نشأت اسرائيل ! ومن هو رئيس وزرائها ، وما أهم الاحزاب فيها . ان هذا لم ينته بعد ، ولكنـه بدأ يتلاشى ، ويتراجع ، لاسباب كثيرة ، لم تكن هزيمة حزيران (يونيو) ١٩٦٧ أقلها شأنا ، فقد فتحت عيون المصريين على خطر يترصد بهم في الشرق اسمه اسرائيل ، ابتلع « اخوة » لهم ، ولن يتردد في ابتلاعهم ، وتهديدهم ، والعمل على ابقائهم متخلفين . فقد هزت الهزيمة كيان مصر ، وان كانت هذه الهزة لم تخرج كل آثارها بعد .

ولعل المؤلف قد طرق هذه النقطة بطريق غير مباشر بقوله : « تفتحت عيناي على أحداث القضية الفلسطينية منذ الحرب الفلسطينية عام ١٩٤٨ ... لكن علاقتي بتاريخ فلسطين ترجع الى أكثر من عشر سنوات عندما كنت طالبا بقسم التاريخ بكلية الآداب بجامعة القاهرة أختار من البحوث المطلوبة مـا يتعـلق منهـا بفلسطين ، **وقد أوضحت لي هـذه الدراسة الاولية أنني لـم أكن أعرف كثيرا مـن الحقائق المتعلقة بتاريخ الشعب الفلسطيني ونضاله وتحمله وحده مسؤولية مكافحة الصهيونية في فترة ما بين الحربين العالميتين** . ثم أتيح لي في خلال أدائي للخدمة العسكرية أن أمضي فترة في سيناء وغزة ، فشاهدت عـن كثب قضية اللاجئين على الطبيعة ، ودفعني ذلك الى متابعة اهتمامي العلمي في دراسة سياسية واجتماعية عن قضية اللاجئين ، نشرتها الدار القومية للطباعة والنشر عام ١٩٦٢ ؛ وقد أكدت لي هذه الدراسة عدة حقائق منها أن تاريخ فلسطين الحديث والمعاصر ما زال يحتاج الى دراسات عديدة من الباحثين تزيل ما غشي هذا التاريخ من تشويه وغموض ، وتعاظم الشعور النفسي لدي بضرورة الاستمرار في دراسة الموضوع وابراز دور الشعب العربي في فلسطين في مقاومة الاستعمار والصهيونية العالمية » (ص ٧) .

والسؤال : اذن ، ما الذي فعله المؤلف ليزيل « ما غشي هذا التاريخ (تاريخ فلسطين) من تشويه وغموض » ؟ وهل استطاع فعلا ان يبرز « دور الشعب العربي في فلسطين في مقاومة الاستعمار والصهيونية العالمية » ، خلال الفترة التي يدرسها وهي تمتد من ١٩١٧ الى ١٩٣٦ .

قسم المؤلف موضوعه الى خمسة فصول على النحو التالي : الفصل الاول : الحركة الوطنية أثناء الادارة العسكرية (من ١٩١٧ — يوليو ١٩٢٠). الفصل الثاني : الحركة الوطنية من الادارة المدنية حتى اقرار صك الانتداب (يوليو ١٩٢٠ — يوليو ١٩٢٢) . الفصل الثالث : الحركة الوطنية في فلسطين من الانتداب حتى اضطرابات ١٩٢٩ . الفصل الرابع : اضطرابات ١٩٢٩ . الفصـل الخامس : سنوات التغير في أساليب الحـركة الوطنية . ونظرة واحدة على هذا التقسيم تكشف عن الاخطاء الاساسية في بنيان هذه الدراسة والتي يمكن اجمالها في ثلاثة عيوب منهجية بارزة وواضحة، هي :

أولا : قفز الكاتب الى موضوعه دون مقدمات ، فهو يفترض ان القـارىء يعرف تطورات الوضع الفلسطيني قبل ١٩١٧ ، ويعرف ما هي الصهيونية، متى نشأت ، وماذا تريد ، وغير ذلك . قد يقال ان هذه رسالة جامعية تفترض ان كل هذا من قبيل المعلومات العامة والمتاحة كثيرا للمتخصصين بل ، وللقارىء العادي . قد يكون لهذا الرد وجاهته اذا ظلت الرسالة في حيز الحرم الجامعي ، ولكن السرد يفقد وجاهته ، ويسقط ، عندما تخرج الرسالة في شكل كتاب مطبوع ، ومطروح في السوق ومعروض للقارىء العادي . وأي قارىء ، سيبدأ في الصفحة الاولى من الفصل الاول ، لا بد أن يصاب بقدر من الدهشة والمفاجأة من هذا النهج غير العادي في الهجوم على الموضوع مباشرة ، ودون مقدمات

تبين المداخل و« الارضية » او الخلفية التاريخية للموضوع .

ثانيا : عيب آخر ، من نفس طراز العيب السابق ، وهو غياب الخلفية الاجتماعية والاقتصادية خلال فترة الدراسة ، بحيث تبدو الاحداث معلقة في الهواء ، وبحيث يضطر المؤلف اما الى استخدام اصطلاحات وتعبيرات لم يقل لنا ما الذي يقصده بها ، او يكرر الحقائق أكثر من مرة ، وهو كان في غنى عن ذلك لو بدأ بتوضيح : ما هي فلسطين ، بمعنى ما هي الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية التي كانت سائدة فيها عام ١٩١٧ ، وكيف تطورت هذه الاوضاع ، وما هي آثار هذا التطور على مسار الحركة الوطنية . الحركة الوطنية ليست كائنا خرافيا غير منظور . انها حركة طبقات وفئات اجتماعية ، في وحدتها وصراعها ، وفي مواجهتها لعدوها ، في ايجابياتها وسلبياتها ...

والمؤلف نفسه يعترف بتقصيره في هذه النقطة ، ويحاول تبريره قائلا : « وقد كان في نيتي أن أخصص فصلا من الدراسة عن القوى الاجتماعية في فلسطين ، لكن تشعب الاوضاع السياسية وتعدد جوانبها في تلك الفترة دفعني الى التركيز على الناحية السياسية وان كنت لم اغفل الاشارة الى تلك القوى في أماكن مختلفة من الدراسة » (ص ٩ — ١٠) .

عذر أقبح من الذنب ! صحيح ان السياسة هي تعبير مكثف عن الاقتصاد ، ولكن لن نستطيع فهم الامور السياسية ، في اي مجتمع ، خلال فترة زمنية معينة ، ان لم نفهم اوضاعه الاقتصادية والاجتماعية ، والاشارات الخاطفة هنا وهناك في صلب الدراسة لا تكفي .

أخيرا وليس آخرا : تقسيم الفصول تقسيم مفتعل جدا ، ولا يقوم على أسس تبرره . ذلك ان تاريخ فلسطين خلال الفترة التي يدرسها الكاتب مر بمرحلتين ، لكل منهما معالم وسمات خاصة :

المرحلة الاولى : تبدا مع نهاية الحرب العالمية الاولى تقريبا وتمتد الى ١٩٢٩ ، وهي مرحلة تتميز باعتماد الحركة الوطنية على أساليب المؤتمرات وتوجيه النداءات ، وغيرها ، الى سلطات الاحتلال ، مع حدوث هبات خارج نفوذ قيادة الحركة الوطنية .

المرحلة الثانية : تعقب المرحلة السابقة وتنتج عنها ، وتمتد الى ١٩٣٩ . وهنا يتبين خطأ الكاتب في الوقوف عند عام ١٩٣٦ . انها وقفة غير مبررة ، لا تاريخيا ، ولا علميا . وهكذا بدأت الدراسة مقطوعة الجذور ، وانتهت وهي تقف معلقة في الهواء .

في ضوء هذا ، لم يكن هناك اي داع لتخصيص فصل خاص لانتفاضة ١٩٢٩ التي يسميها المؤلف خطأ بالاضطرابات ، بل لم يكن هناك داع لمثل هذا التقسيم ، وكان الافضل والاكثر علمية ودقة في المنهج ، تقسيم الدراسة الى قسمين ، وتقسيم كل قسم الى فصول او مباحث او ابواب ، بناء على مبررات تاريخية وعلمية .

هذه العيوب الثلاثة الرئيسية تركت بصماتها على كل أجزاء الدراسة ، بل وعلى كل صفحة فيها . فقد تحولت الى نوع من « السرد التاريخي » ، وهي طريقة في كتابة التاريخ اصبحت تقليدية ، وجدت مكانها في متاحف البحث التاريخي مع العاديات والآثار .

والسرد بطبيعته يلجىء صاحبه الى التكرار ، والخلط ، وجعل المعلومات متداخلة ببعضها ، حيث تغيب دقة المنهج وصرامته ، ويغيب التقسيم الفرعي . بل ان السرد في مثل هذه الحالة يتحول الى معلومات « منقولة » ومرصوصة بعضها بجانب بعض ، دون بذل الجهد الواجب والكافي للدمج والربط ، والتحليل ، وتعميق الفكرة الرئيسية ، وتجميع كل الافكار الجانبية حولها كي تخدمها ، وتزيدها جلاء ووضوحا .

كل هذا مفتقد في صفحات الجزء الاغلب من هذا الكتاب ، فضلا عن عدم الدقة في الاسلوب ، وسوء الصياغة أحيانا .

ولا يجافي الحقيقة في شيء القول بأن هذا الكتاب عبارة عن « قص ولصق » ، قص معلومة من هذا الكتاب او المرجع ، ولصقها بجانب معلومة من مرجع آخر وهكذا . وهكذا يصدر كتاب جديد يضاف الى المكتبة العربية ! وما أغنى المكتبة العربية بمثل هذه الكتب ، وما كان اغناها عنها .

هذا هو الادعاء او الاتهام ، وعلينا ان نشفعه بالبينات او البراهين والادلة كما يقول رجال الشرع والقانون . والادلة والبراهين عديدة ، تملأ عشرات الصفحات ، ولا مجال لايرادها بالكامل ، ويكفي ذكر بعض الامثلة :

● « أعلن المندوب السامي في بيان مفصل عن الخطة التي سيسير عليها — انه سيعين مجلسا للشورى » ص ٧٤ ، وفي ص ٧٩ يقول : « ... فأقام مجلسا اسماه المجلس الاستشاري ، وقد أشار المندوب السامي الى هذا المجلس في الخطبة التي ألقاها في القدس في اوائل عهده » ، والتكرار واضح .

● ص ٧٧ « ان انهيار العهد الفيصلي كان صدمة شديدة لتاريخ وطريق الحركة العربية ... وكان لانهيار المملكة العربية في دمشق أثره من غير شك في تسهيل ادارة الامور في فلسطين » وص ٨٠ يقول : « ولقد اوجب تأسيس الادارة المدنية في أول يوليو ١٩٢٠ ثم ابعاد فيصل من دمشق اعادة النظر في الموقف السياسي لعرب فلسطين » .

لماذا التكرار ؟ (وهي سمة غالبة على الكتاب كله) .

في عملية السرد لا يستوفي الكاتب غالبا تفصيلات واقعة معينة ، وينجر الى واقعة اخرى ، وفجأة يعود الى الواقعة الاولى ليستكمل تفصيلاتها ، فيضطر الى التكرار . ولعل هذا يتبين بشكل أوضح من المثال التالي : « ... وفي ذلك المؤتمر الذي سمي بالمؤتمر العربي الفلسطيني الثالث وجدت الحركة القومية المحلية ، واصبح للقوميين الفلسطينيين هدفهم الخاص ، فقد **طالب القوميون المحليون لاول مرة بعد الاحتلال بتأسيس حكومة وطنية في فلسطين تكون مسئولة أمام مجلس نيابي.**

« وانتخبت الجمعيات الاسلامية المسيحية وغيرها من الجمعيات والنوادي بعض اعضاء هذا المؤتمر ، وانتخب الاخرين اعيان الاهالي ووجهاؤهم ورؤساء الطوائف الاسلامية والمسيحية ومشايخ القرى . وقد اتخذ المؤتمر القرارات التالية وطالب الحكومة بتنفيذها : الغاء فكرة الوطن القومي اليهودي ، **تشكيل حكومة وطنية مسئولة امام مجلس نيابي منتخب من السكان الفلسطينيين الذين وجدوا في البلاد قبل الحرب** » (ص ٨٠ — ٨١) .

ما هذا بحق ؟ ان اقل جهد واقل دراية بالكتابة لا تسمح بهذا القدر من التكرار الذي لا يوجد اي داع له ، الا تعدد المراجع التي « ينقل » عنها الكاتب ، (وهو يفعل ذلك فعلا) دون اي جهد في التنسيق ، واكمال المعلومات ببعضها ، واجراء المقارنات اللازمة ، وحذف ما ليس ضروريا ، والبدء بالاهم ، فالمهم ، ثم الاقل اهمية وغير ذلك من مبادىء الكتابة ومبادىء التفكير المنطقي ، او حتى مبادىء تسلسل السرد .

والكتاب مملوء من أوله لاخره بمثل هذا التكرار المعيب ، وان كنا نلاحظ انه يقل شيئا فشيئا ، ليصير غير واضح كثيرا — الا مع التدقيق الشديد — في الفصل الاخير .

والتكرار ليس هو العيب الوحيد في الكتاب . بجانبه ومعه ، مثلا ، ايراد حوادث مبتورة غير مفسرة وغير واضحة ، مثال ذلك ، ص ٩٥ : « ذكر بعض الشهود اليهود امام لجنة التحقيق ان ما حدث كان حركة دبرها ضد اليهود اشخاص ... كان يساعدهم على ذلك بعض الاجانب لا سيما عملاء الفرنسيين » ويعود فيقول في الصفحة نفسها : « قد يكون هناك مجموعة من العرب كانت تميل الى تأييد السياسة الفرنسية وتشجيع اتجاهاتها » .. عملاء الفرنسيين ، مجموعة تميل الى تأييد السياسة الفرنسية الا يستحق هذا توضيحا وتفسيرا ولو في الهامش مع الاحالة الى مراجع اكثر تفصيلا .

وقس على ذلك امثلة عديدة (ص ١٣٩ : مفاوضات بريطانية مع مندوب الملك حسين توطئة لعقد معاهدة تؤيد العهود المقطوعة للعرب . ما هي هذه العهود ، او ص ١٤٠ انعقاد المؤتمر الفلسطيني السادس في ظل ظروف الثورة السورية . ما هي هذه الثورة متى انفجرت ؟ ومن قادها ، وكيف انتهت ، ومتى ؟ لا اجابة !!).

كل هذه الاخطاء وغيرها ، وقع فيها المؤلف لانه ، عند الكتابة ، لجأ الى التجميع او « القص واللصق » ، ويبدو هذا واضحا من انه ينقل من المراجع التي يشير اليها بالنص دون ان يضع ما ينقله بين علامتي تنصيص ، كما تقضي التقاليد . ولكنه خشي ان هو تحرى الدقة اللازمة فسيكون الكتاب كله ، وكل فقرة فيه بين علامات تنصيص .

الدليل على هذا ان المؤلف احال في الهوامش الى كتاب ناجي علوش « المقاومة العربية في فلسطين ١٩١٧ ــ ١٩٤٨ » احال اليه ١٨ مرة . وقد حاولت ان اقارن بين ما يذكره المؤلف ــ محيلا فيه الى علوش ــ وبين ما كتبه علوش في كتابه فخرجت من هذه المقارنة بأن المؤلف لجأ في ١٧ مرة الى النقل نصا ، او النقل مع تحوير كلمة هنا او هناك ، او اسقاط بعض الكلمات ، او بعض العبارات او بعض السطور .

وبالطبع لا مجال لذكر جميع الحالات التي تبين أسلوب المؤلف في الاقتباس المستتر . ويكفي ذكر المثال التالي :

« ومنذ عام ١٩٢٤ ينشغل اهل البلاد بخلافاتهم المحلية وتناحرهم الحربي على حساب القضية الوطنية ، ويترتب على هذا الوضع نتائج سيئة ، اذ أن الصراع الشخصي على القيادة ، ونشوء التكتلات عطل فعاليات القيادة الوطنية ، ودفع دعاة التعاون مع رجال الانتداب الى كشف وجوههم علنا ، معتبرين ان تعاملهم مع هؤلاء وحتى مع الصهيونيين لا يشكل مساسا بوطنيتهم ، وقد استغل السماسرة هذه الفرصة الذهبية فراحوا يعقدون الصفقات دون ان يخافوا شيئا .

« كانت هذه الفترة ثقيلة على نفوس المخلصين ، فهم يشعرون ان العدو يتربص بهم ، ومع هذا يجدون قادتهم يبحثون عن مصالح ومنافع ، ويتصارعون على كراسي الزعامة ومواقع الوجاهة ، وكان هناك اتجاهان : اتجاه يرفض القيادات الموجودة لعجزها ، واتجاه يدعو الى التعاون والاخلاص والتفاني ، وكان الاتجاه الثاني هو الاكثر انتشارا .. اتجاه المواطنين العاديين الذين لم يدركوا طبيعة قياداتهم ، والذين ظنوا ان المسألة مسألة هواية وليست مسألة تكوين ، وان الوعظ والضغط قد يفيدان .. كان هذا الموضوع محل مناقشات واسعة النطاق اشترك فيها كل مواطن تهمه قضية بلاده » . (ص ١٦٠).

اما كلمات ناجي علوش فهي : « كانت لهذا الوضع نتائج سيئة على القضية عامة ، اذ ان الصراع الشخصي على القيادة ، وتنابذ الزعامات والشخصيات ، ونشوء التكتلات المخربة المضللة ، عطل فعاليات القيادة الوطنية ، وقاد الى البلبلة والقرف . ومن هذا الجو اخذ دعاة التعاون مع الانجليز يكشفون عن وجوههم علنا ، معتبرين ان تعاملهم مع الانجليز ، وحتى اليهود ، لا يشكل مساسا بوطنيتهم . وقد استغل « السماسرة » هذه الفرصة الذهبية ، فراحوا يعقدون الصفقات دون ان يخافوا شيئا .

« كانت هذه الفترة ثقيلة على نفوس المخلصين ، وحازة في نفوسهم . فهم يشعرون ان العدو يتلعهم ومع هذا يجدون قادتهم يبحثون عن مصالح ومنافع ، ويتصارعون على كراسي الزعامة ، ومواقع الوجاهة . هنا بدأ البحث عن حل . وقد اتضح منذ البدء اتجاهان ، الاول : يرفض القيادات الموجودة ، لعجزها وفشلها وانتهازيتها ، والثاني : يدعو الى التعاون والاخلاص والتفاني . كان الاتجاه الثاني ، هو الاتجاه الاكثر انتشارا ... اتجاه الناس العاديين الذين لم يدركوا طبيعة قياداتهم ، والذين ظنوا بأن المسألة مسألة هداية ، وليست مسألة « تكوين » ، وأن الوعظ والضغط قد يفيدان . كان هذا الموضوع موضوع نقاشات واسعة النطاق ، اشترك فيها كل مواطن تهمه قضية بلاده ... » (ص ٥٢) .

هذا هو اسلوب المؤلف ، الاستاذ عادل حسن غنيم ، في النقل والاقتباس . واغلب الظن اننا لو رحنا نراجع كل عبارة او فقرة على المصدر الذي يحيل اليه لوجدناه قد فعل نفس ما فعله مع كتاب ناجي علوش . ثم يجمع كل فقرة مع ما يناسبها من المصادر الاخرى بحيث تكتمل حلقات الرواية ، مع ما يترتب على هذا الاسلوب من تكرار كثير ، وخلل كثير ايضا .

وأسلوب التجميع او « القص واللصق » لا يضيف جديدا لاي موضوع ، خاصة اذا سار على النحو الذي اتبعه المؤلف .

ومع ذلك ، فان المؤلف كان امينا حين تمسك بالاشارة الى المراجع ، ولم يفعل ما يفعله كثيرون ممن ينقلون صفحات بأكملها من كتابات غيرهم ، ولا يكلفون انفسهم مئونة الاشارة ، مجرد الاشارة ، الى المصدر الذي استندوا اليه .

وفوق ذلك ، فان المؤلف مع امانته في الاشارة الى المصادر ، قد استند الى مصادر اولية كثيرة

سواء كانت وثائق او دوريات ، وهذه ميزة واضحة .

وعلى اي حال ، فقد جمع الاستاذ عادل حسن غنيم كمية لا بأس بها من المعلومات حول موضوع دراسته ، ولكنه لم يستطع الاستفادة بها على النحو الملائم ، اذ استماله اسلوب « القص واللصق » ، ولم يمكنه من استخدام اساليب العرض ، والتحليل ، والتدقيق ، وهل الكتابة في النهاية الا اسلوب خاص في العرض والتحليل والتدقيق ؟.

وأيا كان تقييمنا لهذا الكتاب ، فانه في النهاية مساهمة شريفة في هذا الوقت بالذات ، لتعريف القارىء العربي ، والمصري خصوصا ، بصفحات من نضال الشعب العربي في فلسطين . والقارىء المصري يحتاج الى مثل هذا الزاد ، في الوقت الذي يتلقى فيه كثيرا من الزاد الزائف والمغشوش الذي لا يبغي مصلحة فلسطين او العروبة ، ولا مصلحة مصر نفسها .

عبد المعال الباقوري

Bertolino, **Les Oranges de Jaffa,**
(Paris, France - Empire, 1974).
Gyorgy Kardos, **Les Sept Jours d'Abraham Bogatir,**
(Paris, Du Seuil, 1971).

رواية الكاتب الفرنسي جان برتولينو « برتقال يافا » هي الرواية الثانية التي تتحدث عن نضال الشعب الفلسطيني من اجل استعادة وطنه (الرواية الاولى كتبتها ايثل مانين) . و (برتقال يافا) ترصد حركة نضال الشعب الفلسطيني بين ١٩٦٧ — ١٩٧٠ ، اي فترة انطلاقة المقاومة حتى خروجها من الاردن بعد المجزرة . ان الرواية تؤرخ للفترة التاريخية التي استطاع فيها الشعب الفلسطيني ان يستعيد وجهه ، عندما أصبح يصنع تاريخه بيده ، والرواية تتعرض للموضوعات التالية :

فلسطين — الحلم : لم تقتلع الغربة صورة فلسطين من خيال الفلسطيني وعقله ، فهي حاضرة قوية جميلة تضرب جذورها بعيدا في ضمير كل فلسطيني ، يرحل خيال الشيخ الطامن اليها ليستعيد ذكرى أيام جميلة ، في حين يبنيها ويصنعها خيال الطفل والشاب كأرض سحرية ، فهي هنا مرئية من خلال القصص والحكايا والمعاناة الفلسطينية اليومية . تشكل فلسطين القريبة — البعيدة هنا هوية الفلسطيني ووجهه ، ان التماثل بها ضرورة معنوية ومادية ، فالارض الفلسطينية تشكل حيزا مكانيا تحج اليها الذاكرة كعملية تعلق وتشبث بالشخصية القومية . فالفلسطيني على الرغم من غربته يتطابق مع ارضه المفقودة التي تشكل ذاته وهويته على الرغم من بعدها .

ويلعب رحيل الذاكرة الى الوطن دورا في القدرة على تحمل الواقع المرير . فالتشبث الروحي بالارض يصبح ينبوع قوة ودفع ، ويتزاجع بؤس

الحاضر عندما يغزوه صوت الارض الغائبة ، فهذا الرحيل المستمر مولد للامل ودافع الى العمل من اجل تجاوز البؤس . فالفلسطيني الغارق في كلية من البؤس يحلم دائما بالرجوع الى ارضه . فيختلط ويتلاحم هنا الحاضر والماضي ، فهناك زمان نفسي حقيقي (زمان صورة الوطن) ، وزمان فيزيائي (الزمان المعاش في مخيمات التشرد) . يصبح في تلاحم الزمنين هذا ، الزمان النفسي مسيطرا .

ويولد هذا الامر شيئين . أولهما استحالة الارض المفقودة الى اسطورة ، الى رسم مركباته التي تعود الى الخيال أكثر منه الى الواقع ، اي ان الخيال والحلم يعيد صياغة ورسم الوطن ، فالسهل والجبل والوادي هي بناء حلمي اكثر منه واقعي . تضحو فلسطين هنا صوتا قدسيا وفردوسا مفقودا يمد جوانحه نحو الطفل بخياله ويعيد انتاجه الشيخ الطاعن من خلال رصد لسطور ذاكرته الواهنة « في هاجرة الصيف ، وساعة القيلولة حيث حرارة الكوخ تصبح خانقة ، كان جد يوسف يجلس على عتبة البيت ، وعصاه في يده ، يرسم على الرمل صورة البيت في يافا ، ويحكي قصته الى حفيده ذي السنوات الاربع ، كما لو كان يروي قصة عفاريت مسحورة .

كان بيت يافا في البدء كوخا متواضعا ذي جدران حوارية محاطا بحديقة مزهرة تجاورها تينة . لكن خيال العجوز اصبح مطلق السراح تحت الالحاح المستمر لحفيده الذي كان يمسكه من جلبابه قائلا له « جدي ، جدي ، احكي لي عن بيت يافا » . لهذا كانت الحكاية تزداد غنى يوما وراء يوم . فتستحيل الحديقة الى حقل ، ثم الى ميدان رحيب » .

الامر الثاني مرتبط ديالكتيكيا بالاول . صورة الحديقة المسحورة تولد حوبا بربوعها ، فتصبح الرغبة في استعادة تملكها قانونا يجثم على صدر الحياة اليومية الفلسطينية . فلا يكتفي الخيال باغتصاب الارض المغتصبة بل تمور اليد باحثة عن اداة مادية ملموسة ، اي ان الخيال لا يستكين سلبيا مترهلا بل يدفع باتجاه تجسيده ماديا ، فمن رحم الخيال والمعاناة يولد المقاتل ، هنا يقدم لنا برتولينو لوحة خلابة لوجوه فلسطينية تنتمي الى المقاومة « الجبهة الديمقراطية » فهناك يوسف الشاب الصغير الذي تسري في عروقه صورة فلسطين المسحورة ، والذي ينحدر من اسرة فقيرة عرفت طعم المخيمات حتى الثمالة . واذا كان الدافع عند يوسف روحيا — اسطوريا ، فان الدافع عند ابي منصور معرفيا ، المعرفة التي تقشع غبار حقيقة الماضي مؤشرة الى طريق استعادة الماضي . وينحدر ابو منصور من اسرة ميسورة ، اكمل دراسته في بريطانيا ، حيث تعرف هناك على الفكر العلمي وعاد ليمارس هذا الفكر ، ليدافع عن قضيته العادلة التي هي جزء من نضال الشعوب . الشخصية الثالثة في « برتقال يافا » هي ابو رائد ، الانسان الذي شرب من مياه بلاده وعرف السبيل الصحيح للعودة اليه ، فهو يلتحق بالجيش المصري ويصبح ناصريا « حتى العظم » بعد حركة ١٩٥٢ ، لكن هزيمة ١٩٦٧ تزعزع ناصريته ، فيوصد باب طريقه القديم ليبحث عن درب جديد ، فيصبح مدربا عسكريا في الجبهة الديمقراطية .

أما لطيفة الشخصية الرابعة فتمثل الفتاة الفلسطينية التي كسرت طوق التقاليد السلبية ، واستعادة انسانيتها وانخرطت في تيار نضال شعبها .

يقوم برتولينو من خلال هذه الشخصيات الاربع صورة نمو المقاومة ونهوضها حتى هزيمتها « المؤقتة » في الاردن عام ١٩٧٠ . وهذه الشخصيات لا ترى كذوات فردية او انا معزولة بل هي نماذج نمطية للشعب الفلسطيني ، اي انها من خلال مسارها ونمو حياتها تعكس مسار الشعب الفلسطيني بفئاته الاجتماعية الوطنية ، كما يقدم المؤلف صورة رائعة لصيرورة الانسان الفلسطيني من خلال المعاناة والممارسة ، اي البراكسيس الذي يعيد صياغة الانسان ليجعله قادرا على المساهمة في صنع الحركة التاريخية ، وتمر اعادة الصياغة هذه خلال مراحل عدة تفضي في نهايتها الى اعادة الخلق هذه ، فهناك اولا صورة الحنين السلبي الذي يمثله الانسان الخام المراقب للواقع بعطالة كاملة ، ثم متابعة رحلة الحنين من خلال صيرورة جديدة ، فالحنين هنا يصبح ايجابيا دافعا ومحركا ، فالذات لا تكتفي بالحنين والحلم العاجز ، لكن الحلم هنا يبحث

عن ادوات للتحقق ، تصبح الذات هنا متمردة ، ذات في حركة وبحث . المرحلة الثالثة تتجلى حين ترصد الذات واقعها من بعد ، رصد من خلال مسافة ، وتعرف كيف تجد الادوات للخلاص من الواقع ومرارته ، فتكون شخصية المناضل تتسم خلال عملية تطور مستمرة .

يبرز برتولينو في روايته امرا جديرا بالثناء هو رسمه للخلفية الاجتماعية البائسة والشروط اللاانسانية التي انبتت جذوة الثورة : « وعندما تعول ريح الشتاء الزمهريرية فوق سقوف الاكواخ القصديرية الملبسة بالوحل ، كان يوسف واخواته يتكورون تحت اللحاف ويحتمون بأبويهما هربا من البرد ، وكانت الشمعة تئن تحت وطأة الريح ، عندها الوالد يتحدث عن بيت يافا بجدرانه السميكة ، وغرفه التي تستحم في الشمس ، ونوافذه الواسعة المطلة على بيارة البرتقال المزدانة بثمار مستديرة صفراء ذهبية ، والجائمة على عتبة البحر . عندها كان يوسف ينام حالما بأنه جنرال جيش متسق من البرتقال يتبختر في عرض عسكري » .

صورة الوطن هنا محذرا ومهددا ، فاستعادة الوطن ليس اذن مجرد استعادة هوية قومية ، بل استعادة انسية فقدت .

ويظهر برتولينو ايضا التغير الكيفي الذي طرأ على الشعب الفلسطيني ككل . فقبل ظهور المقاومة ، كان المتحدثون باسم الشعب ، شعب المخيمات ، لا ينتمون فعلا اليه ، فهم « متخمون ومترهلون » ، لا يحسنون الا الاكل والخطب الرنانة والدعوة الى « رمي اليهود في البحر » . اما بعد ظهور المقاومة فنرى ان القيادة تنبع من الشعب وتعبر عن مطامحه ، وان الشعارات المطروحة تخلصت من بدائيتها وتخلفها . ونرى هنا تطورا ايديولوجيا يمس مفهوم العالم عند الفلسطينيين ، فالمرأة اصبحت انسانا مناضلا وليس كيانا سلبيا هشا ، وبدأ الفرد يؤكد ذاته متخطيا قيود التربية العائلية المحدودة الافق .

يعرض برتولينو هذا في ٣٩٥ صفحة بدقة تقرب الى التقرير اكثر منه الى الرواية من خلال شخصيات حية ورصد لدقائق الحياة اليومية لدى الفدائيين . والرواية زاخرة بالدقائق التي تعبر عن فهم كامل للعمل الفلسطيني ، فمن الصور التي لا تنسى صورة يوسف الحامل على كتفيه « أسطورة فلسطين » وزيارته لعائلته ، صورة أبو رائد وهو يلعب بالافاعي ثم يظهر كيف تقتل وتطبخ وتؤكل ، صورته وهو يزدرد الضفادع النيئة . ومن الصور الجميلة في الرواية صورة وفد « الثوار — السياح » من الفرنسيات اللواتي ينظرن الى المخيم كـ « فرجة » ويجلسن نصف عراة في مخيم تدريب معزول . عند ذلك يصرخ ابو رائد « لن اسمح لهؤلاء المومسات ان يخربن القاعدة » .

ومما لا شك فيه ان مدخل الرواية كان آسرا ، فنرى البطل يدور في مركز دائرة محيطها منظمات فدائية متعددة ، وهو عليه ان يرى ويسمع ويعاين قبل ان ينتقل من المركز ويأخذ مكانه في المحيط .

والرواية تنتهي في احداث ايلول ، حيث يموت الابطال وتذهب سكين الجزار بعيدا عن القلب الفلسطيني ، عندها ينتكس حلم عزيز الانتظار « وفي ٢٨ ايلول مساء ، وفي النهار ذاته والساعة عينها لفظ ابو رائد انفاسه مع عبد الناصر الذي صعقته ازمة قلبية . مصير غريب قرب الرجلين اللذين كان بينهما مسافة لا يمكن اجتيازها » .

ربما يستشرف هنا برتولينو — وهو المتعاطف والمتحمس مع شعبنا — حلما جديدا اكثر صلابة لن تجتثه سكين جلاد اخر مهما كان حجمها .

اذا كان برتولينو يعطي صورة للحقيقة التاريخية بواسطة عمل روائي ، فان جورجي كاردوس يعود بدوره ليعطي صورة ضد — الحقيقة التاريخية(١) . وقد كانت القضية الفلسطينية منذ اغتصاب فلسطين وحتى اليوم تنوس بين محورين : الحقيقة — وضد — الحقيقة . وكثيرا ما كانت الحقيقة تقبع منسية تحت اكوام من التضليل تنثرها بشكل متعمد ترسانة الاعلام الصهيونية .

والتناظر بين رواية برتولينو ورواية كاردوس (أيام ابراهام بوجاتير السبعة) كاملا من حيث ان كلا الروائيين يبني روايته بمسادة تاريخية ، بأشخاص — مفاهيم يوظفون لشرح وعرض القاع التاريخية لمشكلة . الفرق ان مادة برتولينو التاريخية تعيد بناء الحقيقة التاريخية وتصوبها ، في حين ان الاخر يعيد انتاج التضليل التاريخي بشكل روائي . ان كاردوس يصور الواقع

التاريخي في فلسطين ١٩٤٧ من زاوية صهيونية ، بل ان المساحة الروائية التي يوظف فيها الحركة الروائية محكومة بشخصية المناضل اليهودي ، في حين يقف الفلسطيني صامتا باردا في زاوية المساحة ، فهو ذات منفعلة وليست فاعلة ، فهو المتفرج على الحدث وليس المشارك فيه . ويقدم كاردوس روايته بالشكل التالي « فلسطين في صيف ١٩٤٧ ، قرية صغيرة شبه — تعاونية في منطقة غزة ، في فترة تزايدت فيها المقاومة اليهودية « ضد » المحتل البريطاني ، الذي يمثل قوة كولونيالية لا يستهان بها . وازاء المقاومة يرد الكولونياليون البريطانيون بحملات بوليسية . انها بداية حرب تحرير وطني ، لكنها في الوقت ذاته بداية حرب اخوية ، عرب ويهود ، كانت حتى تلك الفترة موجهة الى ظهر الانجليز . ان هذه الحرب أجبرت اسرائيل ان تتصرف ضد مبادئها الذاتية » .

هذه السطور تظهر الى اي مدى يلوي كاردوس عنق الحقيقة ، فقيام اسرائيل تمثل حركة تحرر وطني ضد الكولونيالية اي ليست واقعا كولونياليا مغتصبا ، هنا تصبح اسرائيل نظيرة لكل حركات التحرر التي شهدها العالم بعد الحرب الكونية الثانية . الامر الاخر هو ان الصراع العربي الاسرائيلي عشية اغتصاب فلسطين صراع اخوة وليس صراعا بين قوة كولونيالية عنصرية وشعب يدافع عن ارضه . الامر الثالث ان هذا الصراع كان متجها في البدء ضد البريطانيين ولم ينفجر بين « الاخوة » الا في بداية الـ ٤٧ ، الروائي هنا يتناسى الصدامات المستمرة بين العرب والصهاينة منذ بداية ١٩٢٠ وحتى عشية النكبة . الامر الاخير هو ان اسرائيل انجرفت في « حرب اخوية » تخالف رسالتها الانسانية ، فقتالها كان دفاعا عن النفس .

يبث كاردوس اطروحاته هذه من خلال مادة بشرية محدودة اهمها ابراهام بوجاتير ، وهو فلاح عجوز من اصل روسي ذو ميول اشتراكية ، يرى الارض والطبيعة من منظار صوفي ، فبينه وبين « أرضه » تكافل كامل ، فهو يراها ويلمسها ويسري في عروقها ، انه « وأرضه » يشكلان وحدة متسقة متناغمة . وابراهام انسان طيب وديع محب للخير ، يقضي كل وقته في رحاب الطبيعة ، يقف بعيدا عن حقل الصراع الدائر في زمنه .

وهو لا يلج هذا الحقل الصراعي الا بوسيط خارجي ، فهو يزج بالاحداث دون ان يسعى الى ذلك لان ارضه هي حقله العام والخاص .

تنفتح نافذته على حقل الصراع عندما يأتي اليه طارقا في الليل ، ارهابي في منظمة الارغون (ديفيد) يهدده بمسدس ، ينام عنده . بعد ذلك يطلب ابراهام من الارهابي ان يعمل عنده ، لكن هذا الشاب ما يلبث ان يهرب بعد فترة . تغلق نافذة ابراهام من جديد ، لكنه يعود الى ميدان الاحداث التاريخية عندما يخرج من بيته ، وعلى بعد عدة كيلومترات يوقفه البوليس البريطاني ويقوده الى متاهة من التحقيقات ، ثم الى السجن ، اما سبب ذلك فهو ان ابراهام لا يحمل معه هويته الشخصية . بعد ذلك يفرج عن ابراهام فيعود الى مزرعته محاصرا بالقلق ، جزعا ان يقبض البوليس على ديفيد ويدلي باسم ابراهام الى « المحتلين » . وتنتهي الرواية عندما ترى طائرات بريطانية تتجه الى البحر في حين يبقى ابراهام في انتظار « قدره المأساوي » .

العقدة الروائية هنا لا تشكل الا الهيكل الخام للرواية ، في حين تلعب الايدولوجيا والسياسة دور الملبس ، اي لحم الرواية وبنيانها عهد به الى الفكر الذي يطرح نفسه من خلال شرائح روايته . فالشكل الروائي هنا هو الاداة التي بواسطتها يطرح الفكر الصهيوني شحناته ، بل يمكن القول ان الرواية هنا تستحيل الى لعبة برجماتية لانها لا تلعب دور الرواية بمعناها التكويني بل تصبح قناة ايدولوجية لتاريخ فج ومغلوط .

فخضرة فلسطين في نظر الكاتب لم تنبجس الا بقدوم المستعمرات الصهيونية « تدوم الرحلة الى المجدل حوالي ساعة . عندها كان ابراهام ينظر بأسى الى بساط المستعمرات اليهودية الاخضر المبعثرة هنا وهناك بين الاراضي العربية الجافة ص : ١٠٠ » وهكذا فخضرة فلسطين مستوردة !!

أمر اخر يثير الانتباه هو طبيعة العلاقة بين الصهاينة والانجليز فهي ليست علاقة عدائية فقط « ويرى ابراهام عبارة على جدار مكتوبة بالحوار ، ايها المحتلون البريطانيون اخرجوا من بلادنا ص ١٠١» بين مغتصب ومغتصب ، لكن هذه العلاقة

محكومة ايضا بقانون الصهيونية الابدي : اللاسامية « وهز الضابط الحديد وبدأ يعاكس مصريا مدندنا اغنية مصرية ... ، مستهدفا من ذلك مداعبة المصري . وعندما يلتفت الضابط الى ابراهام تتلاشى طيبته وتستحيل الى أحتقار صامت » فالعلاقة بين العربي والانجليزي علاقة مودة ، في حين ان علاقة الاخير باليهودي علاقة حقد وكراهية واحتقار . لذلك فاليهود يعانون من ارهاب بريطاني اسود .

فحالما وضع فرد وابراهام اشرطة احذيتهم واحزمتهم الجلدية احاط بهم اربعة رجال بوليس مسلحين بالرشاشات . حدث كل شيء بسرعة وبمنتهى النظام ، فقد اعطيت الاوامر باشارات وعبارات قصيرة تكاد لا تسمع . يخرجان الى الساحة محاطين بأربعة مسلحين حيث يقادان الى مصفحة . اجلسوا كلا منهما مقابل الاخر ، وفي جانب كل منهما كان يجلس جنديا متخفرا » .

معنى ذلك ان اليهود كانوا عرضة لعسف انجليزي بلا نظير « فحسب قرار الاتهام ، فان الارهابيين الثلاثة ، كانوا يلبسون هندام البوليس البريطاني ودخلوا الى مخفر كاستينا . ويعتقد ان هدفهم كان اثناء الحرس ومرقبة السلاح » فالصهاينة كما نرى يقومون بعمليات فدائية ، ويتم عملهم « الفدائي » هذا في ظروف صعبة ، فحتى السلاح يعوزهم .

وتأخذ صورة « الفدائي الصهيوني » طابع الشهادة امام جبروت المحتل . «ليس عند المتهمين ما يقولونه . ترفع المحكمة جلستها ، وبعد ربع ساعة من المشاورات تصدر حكمها بالاعدام شنقا . ولم يطالب المتهمون المحكمة بالرحمة » ص ١٥٩ .

فالصهيوني يجثم تحت يد الارهاب واللاسامية في نضاله من اجل استعادة ارضه المصبوغة بحلة صوفية سرمدية « نحن لم نعد في اليمن ، وليبارك اسم الحي الابدي ، ولكن نحن فوق ارض اسرائيل . وفوق أرض اسرائيل وجد كل شيء وسيوجد كل شيء ، منذ البدء حتى نهاية الزمان . ينخفض ويقبل الارض » اما تل ابيب « فبيوتها بيضاء كالحليب ، كن سعيدا ومتع نفسك في تل ــ أبيب » .

وهكذا تستحيل فلسطين في الرواية الى ارض قدسية ولكن يهودية ، فالعرب فيها ليسوا الا ذرات متفرقة مجهولة ، تقف متفرجة وتغوص في بحر الصمت امام الصراع . ومع ان الكاتب كما رأينا يتكلم في مقدمته عن اقتتال الاشقاء ، الا ان هذا الاقتتال غائب في الرواية ، فعثار مسار اليهودي لا يتأتى الا من « المحتل البريطاني » حيث ان الاخرين ــ العرب ــ ذات صامتة . وعندما يكون لها دور فمن خلال تعاونها مع المحتل البريطاني ، فـ « عبد بداوي » يعمل في مخفر بريطاني .

ان قراءة ايديولوجية لسطور الرواية تعزل كل مركبات الايدولوجيا الصهيونية الرسمية وكل تخريجات الدعاية الصهيونية . فظهور اسرائيل يمثل حركة تحرر قومي تم بعد طرد الغزاة ، وتضال اليهود لم يكن موجها بالاصل للعرب ــ على اية حال لم تكن الحاجة تدعو الى ذلك في نظر الكاتب ــ بل ضد الوجود الخارجي ، كما تقبع اللاسامية في كيان كل بريطاني . اكثر من ذلك ان ابراهام بوجاتير كان يذرع سهوب فلسطين وسهولها دون كبوة او عثار اللهم الا عسف الانجليزي .

بقي ان نعلم ان رواية كاردوس ظهرت في اهم دار نشر في فرنسا وفي سلسلة الروايات العالمية الجديرة بالترجمة !! على اية حال فان بؤس التضليل لا يجد دمنة صالحة الا ضمن حقل ايدولوجي احترف قصم ظهر الحقيقة ، وفرنسا تختضن هذا الحقل وترعاه .

الدكتور فيصل دراج

مناقشات

رد على مراجعة السيد نويهض لكتاب المساعدات الاميركية العسكرية لايران المنشور في مجلة شؤون فلسطينية عدد ٤٧ ، تموز (يوليو) ١٩٧٥

في العام ١٩٧٤ ، وعندما كانت العلاقات العربية ــ الايرانية متوترة الى درجة الصدام المسلح مع الجناح الشرقي لامة العرب ، وعندما كانت ايران تساعد العصيان الكردي في شمالي العراق لاستنزاف هذا البلد العربي وتشتيت جهده وعرقلة امكانات اشتراكه في اية معركة تنشب بين دول المواجهة واسرائيل ، كتبت كتاب «المساعدات الاميركية العسكرية لايران » الذي يكشف طبيعة العلاقة بين الامبريالية وامتداداتها العدوانية في الشرق الاوسط ، وخاصة ايران واسرائيل ، ولاحدد الادوار العميقة لهذه الامتدادات ، واذكر بالارقام حجم المساعدات العسكرية التي يتلقاها الحكم « الشاهنشاهاني من البنتاغون » .

ولقد توخيت في كتابي هذا القاء الاضواء على المقولات التالية :

١ ــ ان ايران هي اداة الامبريالية الاولى في منطقة الخليج الغنية بالنفط ، ونقطة وثوبها المتقدمة بالنسبة الى هذه المنطقة .

٢ ــ ان الحقائق التي خلقها الجندي العربي في سيناء والجولان ، قد هزت صورة الاداة الاسرائيلية ، وجعلت الولايات المتحدة تشك في قدرة هذه الاداة على اخضاع العرب ، الامر الذي يجعل من المحتمل ان تزيد واشنطن من دعمها العسكري لايران ، حتى تستطيع لعب دور المكمل والبديل لاسرائيل ، علما بأن ظروف ايران البشرية والتاريخية والاقتصادية والجغرافية تجعلها مؤهلة للعب دور الشرطي في المنطقة اكثر من اسرائيل .

٣ ــ التاكيد على ان السياسة الاميركية في الشرق الاوسط ، والتي تستهدف خدمة مصالح الولايات المتحدة ، هي في الحقيقة سياسة تضر بهذه المصالح على المدى القريب والبعيد .

٤ ــ التاكيد على امكانية خلق شرخ داخل المعسكر الامبريالي عن طريق رفع مستوى حدة تناقضاته الداخلية .

٥ ــ كشف الاخطاء الاميركية في المنطقة وفي العالم ، وتحديد السبب الذي حول المجتمع الاميركي الى مجتمع معاد لحركة التاريخ ، ومؤيد لكل قوى العدوان والفاشية والعنصرية والقهر الطبقي في جميع ارجاء المعمورة . وكانت غايتي الاساسية من هذا الكتاب تحديد ابعاد الخطر الذي تمثله ايران على مستقبل الامة العربية وطموحاتها وتقدمها في المستقبل ، ومدى احتمالات تزايد هذا الخطر ، وكيفية درئه سياسيا وعسكريا.

ولقد تفضل السيد وليد نويهض بكتابة عرض لهذا الكتاب ذكر فيه عددا من ايجابياته ، ثم تطرق بالنقد الى بعض النقاط ، وذكر بعض الملاحظات « لعدم موافقته على المضمون والموقف السياسي » . وهنا جانبه الصواب ، الامر الذي دفعني الى الرد على المراجعة ضمن اطار الحوار العلمي الهادف الى بلورة الحقيقة التي لم تكن يوما سوى وليدة احتكاك الافكار .

الكتابة الصحفية والكتابة العلمية : يذكر السيد نويهض ان المقدمة التي تطرح مضمون العلاقة الاميركية ــ الايرانية وشكلها ومعناها مكتوبة « باسلوب صحفي مبسط » . ولكن ما هي الكتابة الصحفية وماذا يميزها عن الكتابة العلمية. ان الكتابة الصحفية (وهذا امر يعرفه السيد نويهض الصحفي في جريدة المحرر البيروتية)

عبارة عن عمل فكري يستهدف طرح موضوع آني، بشكل مجتزأ في اغلب الاحيان ، دون التركيز بالضرورة على شواهد واحداث تاريخية موثقة ، على حين ان العمل الفكري العلمي يعتمد على طرح الموضوع (آنيا كان أم غير آني) ، مع العودة الى الوثائق، وتأكيد الحقائق بالاستشهادات الموثقة ، والارقام الدقيقة . فالقول مثلا بأن الامبريالية الاميركية تدعم ايران بالاسلحة والخبراء للسيطرة على منطقة الخليج ، هو قول صحيح باسلوب صحفي . اما القول بان الامبريالية الاميركية تدعم ايران بالاسلحة والخبراء ، مع ذكر عدد الاسلحة ، وتواريخ الصفقات وعدد الخبراء واختصاصاتهم ، ومنحى تصاعد الدعم العسكري او نزوله ، واهدافه القريبة والبعيدة، وذكر المراجع العلمية التي استقيت منها المعلومات، فهو قول علمي . ولا يجب ان تكون هذه المعلومات محشورة في المقدمة . والا كانت المقدمة عبارة عن الكتاب . لذا لا يمكن فصل المقدمة عن المتن والنظر اليها بشكل مجتزأ دون العودة الى ما جاء في الفصول والملاحق التي تثبت بالارقام والوثائق التي لم ينشر بعضها بالعربية من قبل لتأكيد مقولات المقدمة .

ولقد اخطأ السيد نويهض عندما ربط الاسلوب المبسط بالكتابة الصحفية ، وكأنه يريد ان يقول ان الكتابة العلمية ينبغي الا تكون مبسطة . وهذا خطأ يرتكبه العديد من المثقفين العرب الذين يعتقدون ان التعقيد في الطرح يعطي الموضوع دسامة « وعلمية » اكبر ، مع ان مسألة العلمية لا تتعلق بالتبسيط بل تتعلق بالمنهج ونوعية المعلومات وطبيعة الوثائق ، كما تتعلق في النهاية بالاستنتاجات المبنية على هذه الامور كلها . ولو كان الاسلوب المبسط منافيا للعلمية لكانت كتابات لينين وماوتسي تونغ وهوشي مينه وجيفارا غير علمية ، لمجرد انها تتسم ببساطة متناهية تدهش الكتاب الغربيين ، كما تدهش مثقفي الحلقات « الثورجية » الذين يطرحون افكارهم ، المفروض انها موجهة لاوسع شرائح الشعب ، بأسلوب معقد ، ومفردات مختارة من قاموس الحلقة المغلقة ، الامر الذي يجعل كتاباتهم « صرخة في واد » لا يسمعها من ينبغي ان يسمعها . ومن هنا نرى ان البساطة لا تنفي العلمية كما ان التعقيد لا يدل بالضرورة على العلمية ، المهم ان يحدد الكاتب هوية من يخاطبهم ، وهل ينوي عرض عضلاته امام قلة متحذلقة تبحث عن الكلمة ، ام انه ينوي مخاطبة اوسع قاعدة من الجماهير صانعة التاريخ باسلوب بسيط مليء بالحقائق والارقام المقنعة التي تعطي مقولاته وزنا علميا مؤثرا وفعالا مع انه غير مفتعل .

التناقض داخل المعسكر الامبريالي : يحاول السيد نويهض اقناعنا في رده بان الامبريالية الاميركية واسرائيل وايران عبارة عن معسكر واحد . وان السياسة الاميركية في المنطقة ثابتة لا تتغير . واذا كانت الوقائع العلمية والتحليل العلمي يؤكدان القسم الاول من رأيه كما يؤكد ان طبيعة العلاقة الوثيقة بين الامبريالية وامتداداتها، فان القسم الثاني في رأيه ينظر الى مسألة العلاقات داخل المعسكر الامبريالي بجمودية مطلقة . وهنا لا بد لنا من الاشارة الى ان الصراع مع المعسكر الامبريالي يعتمد اعتمادا اساسيا على حركية مسألة التناقض داخل هذا المعسكر ، وامكانية استغلال هذا التناقض .

ويأتي التناقض داخل المعسكر الامبريالي ، او اي معسكر اخر ، من تباين المصالح ، وتباين اهمية الاهداف المتعددة بالنسبة الى كل حليف داخل هذا المعسكر . ولذا فان من ابسط مبادىء التكتيك النضالي ضد الامبريالية معرفة مصالح عناصر المعسكر الامبريالي ، وتحديد افضلياتها بالنسبة الى كل عنصر ، والبحث عن اسلوب استغلال تباين المصالح لخلق الشرخ داخل معسكر العدو . هذا هو جوهر التكتيك اللينيني الذي يعتمد على **تقوية معسكر الحلفاء ، واكتساب المحايدين ، وتحييد جزء من معسكر العدو ، وخلق التناقض بين اطراف هذا المعسكر ، مع الحفاظ دائما على وضوح الرؤية الاستراتيجية ، وعدم السماح للتكتيك بالتحول الى استراتيجية .** من هنا جاء حديثنا عن مصالح الولايات المتحدة في المنطقة ، وتناقضها مع مصالح حلفائها المحليين ، وامكانية استغلال هذا التناقض لصالح الحركة الثورية .

ولكن محاولة استغلال التناقض لا تعني بالضرورة ان نقوم بتأمين مصالح الامبرياليين الاميركيين والسماح لهم باستغلال ثرواتنا واستثمار

خيراتنا ومنع وحدتنـــا ، ولكنها تعني افهـام الاميركيين ، بشكل عملي وحازم ، ان مصالحهم الحالية نفسها مهددة بالخطر اذا ما تابعوا دعـم ايران واسرائيـل لحماية هذه المصالـح ، وان اقتصادهم ومستوى الحياة في بلادهـم مهـددان بالتدهور . وتكون هذه هي المرحلة الاولى من شق معسكر العدو . وعندما يتخلى العدو الامبريـالي عن امتداداته المحلية التي لم تعد تؤمن مصالحه ، يقع الشرخ ويتم الانتقال الى المرحلة الثانية مـن الصراع حول المصالح الحالية الموجودة التـي لا يمكن للعرب ان يتطوروا اجتماعيا واقتصاديا الا اذا استطاعوا تصفيتها بشكل كامل . وهكـذا فان مسألة طرح التناقض بين مصالح اطـراف المعسكر الامبريالي مرتبطة بتقسيم الصراع الى مراحل ، واستخدام التكتيك المناسب لكل مرحلة في سبيل تحقيق هدف استراتيجي يتمثل بالقضـاء نهائيا على هذه المصالح . وفهم الطرح المذكـور في الكتاب بشكل اخر غير هذا الشكل ، يدل على ان بعض « التقدميين » العرب ، الذين لم يفهموا التكتيك اللينيني جيـدا ولا يستطيعون تأمـين التمرحل ، يقعون خلال النضال في اخطاء لا تقل خطورة عن اخطاء البورجوازيين المستعدين لتحويل التكتيك الى استراتيجية .

التعاون مع الامبريالية في مجال التنمية : ينتقد السيد نويهض مقولتنا حول ضرورة تعاون رؤوس الاموال العربية والايرانية مع التقنية الاميركية . ولكنه لا يقول لنا لماذا . ولا يسعنا في هذا المجال الا ان نؤكد ان العالم مقسم اليوم الى دول نامية ودول متقدمة (بعضها اشتراكي والبعض الاخـر رأسمالي) . ولا تستطيع الدول النامية ردم الهوة القائمة بينها وبين الدول المتقدمة الا اذا اكتسبت تقنية الدول المتقدمة . ومـن المؤكد ان الحـل الامثل لاكتساب التقنية المتقدمة وتحقيق التطـور الاقتصادي ــ الاجتماعي ، والخروج من التخلف الى التقدم ، **هو السـير على طريـق التحـول الاشتراكي العلمي** . ولكن هل تبدو الاقطـار العربية التقليدية الغنية مؤهلـة اليوم لعمليـة التحول الاشتراكي ؟ وهل تستطيع القوى التقدمية في هذه الاقطار تبديل الانظمة بانظمة مؤهلة لتبني النظام الاشتراكي ؟ ان كل الدلائل تشير الى ان هذا الامر غير وارد على المدى المنظـور ، وان النضج الثوري في هذه الاقطار لم يصل الى نقطة الذروة اللازمة لتفجير الثورة الاجتماعية . وما دام الامر كذلك ، فان اكتساب التقنية عن طريـق الاستعانة بتقنية الدول المتقدمة هو السبيل الوحيد حاليا امام الدول العربية الغنية ، التي لا تـزال رغم غناها دولا نامية .

ولاكتساب التقنية اهمية ثورية بالاضافة الـى اهميتها الاقتصادية . وتكمن هذه الاهمية الثورية ، في ان التقنية مدخل الى التصنيع والتعليم وايجاد الظروف اللازمة لخلق البروليتاريا والفلاح المستنير والانتلجنسيا ، الامر الذي يعجل ظهور الظـروف الموضوعية للثورة ، سواء كانت ثورة بورجوازية ضد الاقطاع او ثورة اشتراكية على البرجوازية بمختلف شرائحها . لهذا فان الدعوة الى اكتساب التقنية عمل ثوري والدعوة الى تعـاون رؤوس الاموال العربية مع التقنية المتقدمة طرح تقدمي ، لانه يشكل البديل العملي لتوظيف رؤوس الاموال العربية الفائضة في الخارج (عقارات ، بنوك ، شركات) ، بكل ما في هذا التوظيف من مخاطر ، وبكل ما تمثله من نزيف لرأس المال العربي بـدلا من تثميره لانماء الوطن العربي .

ولكن لماذا ينبغي ان يتعاون رأس المال العربي مع التقنية الاميركية ؟ ان البلدان العربية الغنيـة الراديكالية (العراق وليبيا) قادرة على تحقيـق هذا التعاون مع التقنية السوفياتية ، ولكن البلدان العربية الغنية التقليدية ترفض هذا التعاون ولا يمكن ان تقبل به طالما ان الطبقات الحاكمة فيهـا حاليا موجودة في قمة هرم السلطة ، وهذا مـا يعيدنا من جديد الى مسألة التغيير في هذه البلدان وامكاناتها العملية في المستقبل المنظور ، لان الامور في هذا المجال لا تقاس بالرغبـات الذاتية بـل بالامكانات والظروف الموضوعية ، وحسابات الممكن وغير الممكن في حقبة زمنية معينة . وبالاضافـة الى ذلك ، فان الدول الاشتراكية المتقدمة ، وعلى رأسها الاتحاد السوفياتي ، بحاجة للتقنية الغربية في بعض المجالات ، وهذا هو احد اسباب سياسة الوفاق التي يسير عليها السوفيات في الوقـت الحاضر . ان طرح مسألة تعاون رأس المـال العربي مع التقنية الاشتراكية حيثما يمكن ذلـك ، وتعاون رأس المال العربي مع التقنية الاميركيـة حيث لا يمكن التعاون مع المعسـكر الاشتراكي

(لاسباب ايديولوجية لا يمكن في الوقت الحاضر تجاوزها ، او لاسباب تقنية بحتة تتعلق بمستوى التقدم السوفياتي في هذا المجال او ذاك) امر عملي ومنطقي لا يمكن رفضه الا استنادا لقاعدة الرفض المجرد ، او استنادا الى احتمالات هبوط التقنية على العرب بقدرة قادر ، او اعتقادا منه بان الانظمة التقليدية (الموجودة بكل تكويناتها واجهزتها والعقلية السائدة فيها) مستعدة غدا للتعاون التقني مع السوفيات (!)

مسالة التوجه نحو المعسكر الاشتراكي :

المعسكر الاشتراكي حليف لكل قوى التحرر في العالم . هذا امر لا شك فيه ، ولكن السياسيين العرب الراديكاليين لم يكتشفوه صدفه ، ولم يتوجهوا للحصول على السلاح من الاتحاد السوفياتي في العام ١٩٥٥ الا بعد ان حجب الغرب عنهم هذا السلاح ، رغم حاجتهم اليه . ويبدو اليوم واضحا في الوطن العربي وفي العالم الثالث بشكل عام انه كلما ازداد الضغط الامبريالي في منطقة من المناطق ، توجهت هذه المنطقة نحو المعسكر الشرقي . والمثالان الهندي والليبي احدث الامثلة في هذا المجال . وهناك من ينظر الى هذا التوجه بمنظار تكتيكي ، ويعتبره عامل ضغط قد يؤدي الى تخفيف الضغط الامريكي . ويساوم هذا النوع من الدول واشنطن للحصول على اغراضه مقابل تخفيف تعاونه مع السوفيات ، وهو يفقد بذلك عادة دعم السوفيات ولا يحصل على ما يطلبه من الاميركيين الذين يعرضون الكثير في حالة وجود السوفيات ثم يتهربون عند خروجهم. ولكن هناك من ينظر الى هذا التوجه بمنظار استراتيجي ، ويخرج من دائرة النفوذ الاميركي نهائيا . وعندما نقول ان السياسة الاميركية في المنطقة اخطاء في اخطاء فاننا نعني انها اخطاء بالنسبة لمصالحها ، لانها ادت الى زيادة التغلغل السوفياتي في المنطقة ، سواء كان هذا التغلغل نتيجة تكتيك تتبعه بعض دول المنطقة او نتيجة لاستراتيجية بعيدة المدى . وعندما نقول ان تغيير السياسة الاميركية يتطلب شرطين احدهما ازالة آثار الاخطاء السابقة — واكبرها خلق اسرائيل ودعمها ومساعدتها على العدوان — فاننا نقصد ولا شك ان هذا التغيير قد يدفع الدول المتحالفة مع السوفيات تكتيكيا الى اعادة النظر في هذا التحالف ، لقاء ثمن كبير هو ازالة اثار الاخطاء . اما الدول المتحالفة مع السوفيات استراتيجيا ، والتي تعتبر نفسها جزءا من المعسكر المعادي للامبريالية ، فانها ستحافظ على هذا التحالف مهما كان الثمن .

والخلاصة ان السيد وليد نويهض نظر الى المسائل السياسية والاستراتيجية المطروحة في الكتاب نظرة جمودية ، ومن قوالب نظرية بحتة ، دون محاولة تطبيق هذه النظريات على الواقع بشقيه الذاتي والموضوعي ، وبكل معطياته العالمية والمحلية .

سلمى حداد

رد على ملاحظات عبد القادر ياسين المنشورة في شؤون فلسطينية العدد ٤٧

كتب عبد القادر ياسين تعليقا على تعقيب علي الشوا في عدد شؤون فلسطينية رقم ٤٧ . وما هو اكثر اهمية من النقاط الخمس عشرة التي تضمنها التعليق المذكور ، هو شرف الكلمة التي كان يجب التقيد بها . لان احدا عندما يقع في خطأ ما ، عليه ان يصحح خطأه من حسابه هو ، لا من حساب الاخرين . وبدلا من الانتظار ثلاثة اعوام ليصحح ما كان قد كتبه عبد القادر ياسين في الطليعة عدد ١٠ (١٩٧٢) كان عليه ان يضمن معلوماته ذلك التقرير وكان وفر جهدا علينا جميعا.

وقبل الرد على الكاتب سوف اثبت بالحرف ما كان قد قاله في الطليعة ولم ينفه او يعتذر عنه يقول في الطليعة عدد ١٠ (١٩٧٢) وليس ٧٤ ما يلي : « **ثم اصبح رشدي الشوا رئيسا لبلدية غزة ، ابان الانتداب البريطاني على فلسطين بالتعيين ، وبالرغم من فوز منافسه فهمي الحسيني عليه في الانتخابات التي اجريت في غزة في الاربعينات** . ثم اقصته الادارة المصرية عن رئاسة البلدية عام ١٩٥٢. وعندما احتلت اسرائيل غزة عام ١٩٥٦ ، **اقصت** رئيس بلديتها ، **منير الريس** ، وعينت بدلا منه **رشدي الشوا** ، الذي اعتقلته الادارة المصرية لدى عودتها لقطاع غزة ، في آذار (مارس) ١٩٥٧ . أما **سعدي الشوا** فقد كان **امين سر حزب مؤتمر الشباب الفلسطيني**، منذ عام ١٩٣٤ ، وعرف عنه نشاطه الكبير في السمسرة لحساب الحركة الصهيونية في بيع الاراضي . وفي عام ١٩٥٨ ، جرت محاكمته في غزة بتهمة الاتصال بالنظام الهاشمي في الاردن وتدبير انقلاب لحسابه في قطاع غزة . وقد اصدرت المحكمة حكمها باعدام سعدي ، الا ان هذا الحكم خفف الى المؤبد ، بفضل وساطة **شكري القوتلي**، المواطن العربي الاول انذاك ، لدى الرئيس **عبد الناصر** ، وقد توفي سعدي عام ١٩٦٨ . **اما** شقيقه عادل فقد كان اكثرهم وضوحا في عدائه للشعب . اذ كان عضوا في الهيئة المركزية لحزب الدفاع الوطني الفلسطيني ، وهو الحزب الذي عبر عن الثورة المضادة في فلسطين ، والذي كان يدعو علنا **للتعامل** مع الانتداب البريطاني في فلسطين . وقد عرف عن هذا الحزب عداءه الشديد للحركة الوطنية الفلسطينية بشكل عام ، وقيامه بدور بارز في ضرب ثورة الشعب الفلسطيني (٣٦ — ٣٩) » .

سأقف الان امام نقاط عبد القادر ياسين ، وخصوصا تلك التي لا تحمل مدلولا سياسيا ، لان المهم ليس حمدي او فهمي ، بل المهم من وجهة النظر العلمية البعد السياسي لاي خطوة بغض النظر عن صاحبها .

بالنسبة (١ و ٢ و ٣) وبرغم تفاصيل واعتذارات عبد القادر ياسين ، لكن هل اكد واقعة « التعيين » أم نفاها . وهو ما كان عبد القادر نفسه قد اشار اليه في تقريره بمجلة الطليعة . وهل رد بهذا علي أم على نفسه أم على ماهر رشدي الشوا . وهي النقطة الفصل في هذا الموضوع كله . وليس حمدي او فهمي ، وعبد القادر ياسين هو الذي يتحمل مسئولية هذا اللبس ، برغم انها تفصيلية لا تغير او تبدل من مدلول تعيين رشدي الشوا السياسي .

بالنسبة لـ (٤) يقول عبد القادر ياسين في تعليقه ، ان رشدي الشوا لم تتم اقالته من البلدية بل اوعزت الادارة المصرية الى المجلس البلدي بتقديم استقالته بحيث يصبح معها رئيس البلدية مستقيلا بالتبعية .. لان المقصود هو ضرب رشدي الشوا فحسب .. ولكن عبد القادر في الطليعة سبق وقال « اقصته الادارة المصرية عن رئاسة البلدية عام ١٩٥٢ » ولم ينف عبد القادر صحة الواقعة بل ووضح الشكل الذي تمت به ، واني لاسأل القارىء أيختلف المعنى السياسي للحدث لو تبدل الشكل الذي تمت به الامور من « اقالة » الى « اقصاء » . الا يعكس هذا الحدث بغض النظر عن الشكل الذي تم به موقفا سياسيا من قبل الادارة المصرية تجاه رشدي الشوا . وقد تناسى عبد القادر ياسين عن عمد ان « **الاقصاء** » قد تم بعد اقل من شهر واحد من قيام الثورة المصرية أي ان الموقف هو موقف الثورة المصرية التي قامت في ١٩٥٢ وليس موقف الادارة المصرية التي وجدت في غزة منذ ١٩٤٨ .

ولم يكشف لنا عبد القادر ياسين كيف ان الشوا «توسع في كشف اخطاء الادارة المصرية». خصوصا وان كل ما يذكر عنه موافقته على دعوات نقل **القوات البريطانية من قناة السويس الى غزة** في العام ١٩٥١ .

ففي مقابلة للشوا مع مجلة المصور المصرية العدد ١٤٥٠ بتاريخ ١٤ سبتمبر ١٩٥١ ، ابدى رغبة في الاتصال بالانجليز والاميركيين « لنستطيع التنفس » الامر الذي دفع الهيئة العربية العليا الى اصدار بيان في ٥١/٩/٢٠ تستنكر فيه ما نشر في المصور حيث قال بيانها « اتجهت جهود المتآمرين الى تصفية قضية فلسطين نهائيا بانتزاع قطاع غزة من ايدي العرب .. وان عرب فلسطين الذين أحرق الاستعمار البريطاني اكبادهم واضاع بلادهم .. يرفضون استبدال المستعمر قطاع غزة بقناة السويس .. ويجب اقصاء الاستعمار عن البلاد العربية قاطبة » .

بعد شرح ما يسميها عبد القادر ياسين « ملابسات » توسع رشاد الشوا في كشف اخطاء الادارة المصرية وسلبياتها نستطيع ادراك الهدف من وراء نشاطات رشاد الشوا وتناغم دعواته تلك مع دعوات تسليم غزة لبريطانيا كي تنقل قواتها الى هناك . اذا كان عبد القادر ياسين يعتقد ان مثل هذا الموقف جدير بالتقدير فله الحق في الاعتقاد كما يريد . ولكن كم نتمنى ان يتذكر عبد القادر ياسين البديهية التي تقول ان شخص القائل مهم ، والهدف من القول مهم ، والظرف الذي تتم في ضوئه مهم ايضا .

واما بشأن (٥) واعتراض عبد القادر ياسين على تقييمنا لطبيعة علاقة منير الريس بالناس وانه « مالك زراعي كبير وان فقد بعض املاكه في سبيل سد التزامات القيادة » . هنا لن ندخل في جدل حول حجم ملكية منير الريس وان كنت اجد مسألة ذات دلالة خاصة ، وتزيد من تقدير الانسان لمنير الريس ، لاننا لم نتعود على زعماء تكلفهم المسئولية بيع املاكهم ، بل تعودنا على اشخاص زادت السلطة من ثرواتهم . وكلام عبد القادر ياسين يؤكد بدون ان يقصد الكاتب ان منير الريس نموذج مختلف للقيادة وهو الذي باع جزءا من املاكه .. بدل ان يضاعفها .

.. وحول (٦) حاول عبد القادر ياسين ان يمدح رشدي الشوا فاثار سؤالا هاما جدا لماذا « لعب الشوا دورا لا يمكن انكاره في وقف هذه الاعتداءات ؟ ولماذا عجز الريس عن التصدي لاعتداءات الجنود الاسرائيليين على بيوت واعراض الاهالي ؟ كما يقول الكاتب . أهي مسألة قدرات شخصية وكفاءات فردية ام ماذا ؟ بالتأكيد ان اختيار الشوا كان اختيارا للمحاور المناسب والمقبول من سلطات الاحتلال الاسرائيلي ، الامر الذي ترتب عليه تسليم المحاور المناسب رئاسة البلدية ، وارسال المحاور غير المناسب الى السجن، واعتقد ان عبد القادر ياسين يعرف جيدا دلالة ان يكون شخص ما مقبولا من اسرائيل ومتعاونا ، وشخص اخر غير مقبول وغير متعاون !! واما عن دور الشوا في وقف اعتداءات الاسرائيليين ، فاننا نسأل عبد القادر ياسين عما يمكن ان يقوم به الاسرائيليون في غزة اضافة لما قاموا به . وما على الكاتب سوى العودة الى كتاب ــ ملف اعدته ادارة فلسطين في جامعة الدول العربية بعنوان « الاعتداء الاسرائيلي على قطاع غزة وسيناء ــ ١٩٥٧ الذي أشار الى سقوط ٢٦١٢ ضحية من أهالي القطاع ليكتشف بعدها ان قاموس الارهاب الاسرائيلي لا يمكن ان يتسع للمزيد .

واما حول دور منير الريس في تشكيل جبهة وطنية ، وان هذا مجاف للصحة ، وعن ان جبهتين قد شكلتا ، لذاكرة الكاتب نقول ان جبهة واحدة قد شكلت في البداية ، وان انقسمت بعد ذلك الى جبهتين بعد الخلاف السياسي الذي نشأ بين اطراف الجبهة حول النظرة للعدو ومنشور رقم ٢ الذي قام الشيوعيون بتوزيعه وكان سبب الخلاف وبالتالي ترك الشيوعيين للجبهة ، وكان الريس احد الشخصيات التي ساهمت في بداية تشكيلها ولم يستمر في العمل بها لانه دخل السجن ، واعتقد ان لمنير الريس عذره المقبول في توقف عضويته بالجبهة التي شكلت لمقاومة الاحتلال !! واما لماذا لم يشر ياسين لهذه الواقعة فتلك مسألة اخرى نترك للقارىء الحكم على مدلولها .

واما اين استشهد محمد علي المشرف ، اعندما كان يسير خلال المظاهرة ام عندما صعد ليرفع العلم . وكان يسحب بجانبه دراجته ام لا ؟ فهي عملية تبهيت لنضال ذلك الشهيد ولدوره حيث

سقط وهو يرفع العلم . وكما يحاول عبد القادر ياسين سلب الشهيد مشرف شرف استشهاده بتحويلها الى عملية قتل عادية فان الكاتب يحاول ان يعطي لقوات الطوارىء شرفا ليست جديرة به، فهي لم تفرج عن السجناء السياسيين ، لان مؤامرة التدويل كانت تسير على قدم وساق ، وما دام عبد القادر ياسين يقر بمؤامرة التدويل وباطلاق القوات الدولية النار على المتظاهرين فكيف تقوم نفس القوات بالافراج عن السجناء السياسيين وهو عمل سيكون له اثره في افشال مخططاتها . اين المنطق ولماذا التبسيط . الواقعة التي يرويها الجميع والمنسجمة مع نفسها بشكل منطقي : المظاهرات الحاشدة تطالب بعودة الادارة المصرية . قوات الطوارىء تتصدى لها . الشهيد مشرف يسقط وهو يحاول رفع العلم . الجماهير الغاضبة تستفز . قوات الطوارىء تضطر للتراجع . الجماهير تستكمل زحفها وتكسر باب السجن . هكذا سارت الامور . وهكذا اجهضت مؤامرة التدويل واخرج السجناء السياسيون .

وبشأن مؤامرة فصل القطاع التي قادها سعدي الشوا ، اريد ان اطرح سؤالا على عبد القادر ياسين . ايقر بالمؤامرة ام لا . في حديثه بالطليعة وكذلك في شؤون فلسطينية يقر ، اذا اين اعتراضه ؟ وقد اورد عبد القادر ياسين تفاصيل وكأني به يريد القول ان سعدي الشوا بريء ويشرح بشكل مؤثر دوافعه فيقول : سعدي هذا أخ غير شقيق لرشدي ، ساءه ما اصاب اخاه في « السجن الحربي » من اهانات . وبسبب تفكيره اليميني وولائه السابق للاسرة الهاشمية ، اجرى سعدي اتصالا بالنظام الهاشمي لتدبير انقلاب في القطاع . وتحالف لتحقيق هذا الهدف مع مصطفى ابو مدين ، الذي لم يكن سوى مندوبا لدى المخابرات المصرية ، فوشى به . وانتظرت المخابرات الفرصة للقبض على سعدي متلبسا . وجاءت الفرصة حين وصل بعض الفدائيين الحناجرة (قبيلة ابو مدين) بمنشورات من الاردن للتمهيد للانقلاب . وكانت المنشورات من نمطين : الاول كتب باسلوب الشيوعيين والثاني في صياغة « وطنية » حسب تعبير المخططين الاردنيين ! ونصت الخطة على توزيع المجموعة الاولى من المنشورات التي تهاجم الادارة المصرية ، بما يدفع الادارة الى اعتقال الشيوعيين ، فتفقد بذلك سندها الشعبي الرئيسي انذاك . وعندها تقوم مجموعة الانقلاب المنتظر بتوزيع المجموعة الثانية من المنشورات . وتنفذ انقلابها دون ما مقاومة تذكر ، بعد ان تكون الادارة المصرية قد ضربت اصدقاءها الشيوعيين بنفسها . وعند القبض على سعدي وجد لديه بندقية ومسدس غير مرخصين ، ومنشور كانت السلطات الاسرائيلية قد وزعته في القطاع عند احتلالها له . وطبعا ، اتهم سعدي بحيازة اسلحة بدون ترخيص بهدف استخدامها في قلب نظام الحكم بالقوة بالاضافة الى حيازة منشورات اسرائيلية وتعامل مع العدو .

ويقتضي الامر الاشارة الى ان مصطفى ابو مدين غرر بسعدي وشجعه ، بعد ان كان الاخير غض النظر عن الانقلاب بعد افراج السلطات المصرية عن اخيه رشدي . ويتأكد ذلك عندما قرر المتهم سعدي الشوا أمام المحكمة انه سلم قياده لمصطفى ، وعندما قرر مدير المخابرات المصرية في قطاع غزة ، في شهاداته امام المحكمة ، ان المخابرات المصرية علمت بامر الانقلاب قبل وقت من اعلام مصطفى ابو مدين له .

أن السؤال الموجه لعبد القادر ياسين ، الذي اقر — برغم تبريره — بدور سعدي الشوا بالمؤامرة ، لمصلحة من التفاصيل التي اوردها وما الهدف من ايرادها ؟ ولماذا غرق في التفاصيل ، ولم يتكرم بالقول لعلي الشوا ان المؤامرة التي نفاها هي حقيقة ؟ ولماذا لم يطالب بمحاكمة مصطفى ابو مدين بتهمة التغرير (بتاصر) وجزاؤها ستة شهور سجن !! وما على عبد القادر ياسين الا ان يقول ببراءة سعدي الشوا الذي (غرر) به ان كان قد (غض النظر عن الانقلاب) ! (وأسلم قياده) لمصطفى أبو مدين !! ولكن أهذا النوع من الرجال هو سعدي الشوا !؟ ايمكن التغرير بمن كان « امين سر حزب » منذ عام ١٩٣٤ كما سبق لعبد القادر ياسين ان ذكر في عدد الطليعة المذكور . ايمكن التغرير بشخص كان قد مضى على وجوده في الحياة السياسية ٢٤ عاما منذ ١٩٣٤ حتى ١٩٥٨ ؟ وهل كثير او غريب ان يتآمر او يتصل بالهاشميين على من عرف عنه نشاطه الكبير في السمسرة لحساب الحركة

الصهيونية في بيع الاراضي كما قال عبد القادر ياسين في الطليعة .

ان عبد القادر ياسين الذي ناقض ما سبق وكتبه في العام ١٩٧٢ ، لم يكن امينا مع التاريخ ايضا اذ حاول النيل من حركة القوميين العرب عند حديثه عن احتضان الادارة المصرية لها وعن ان الاجهزة الرسمية وبكافة اجهزة الامن المصرية ظلت تحتضن حركة القوميين العرب منذ وفدت الى القطاع في اواخر العام ١٩٥٧ وحتى وقوع نكسة ١٩٦٧ اضافة الى وقائع اخرى نثرها هنا وهناك ادعاءه وقائع تاريخية ونفيه لوقائع اخرى ، متناسيا انه لم يكن يمسك بين يديه لسان الميزان الذي يحرك التاريخ . وبشأن الفقرات ١٢ و ١٣ و ١٤ و ١٥ ، المليئة بالادعاء والتزوير ، لا بد من ايضاح ما يلي :

ان حركة القوميين العرب وبرغم انها كانت جزءا منظما من التيار الناصري الذي قاد الحركة الوطنية العربية طيلة عقد من الزمن ، فانها لم تفقد استقلاليتها التنظيمية ، بل على العكس من ذلك فان تطورها قد اتخذ اتجاها متعاكسا نسبيا للتطور الذي سارت عليه الناصرية كمؤسسات وكنظام ، الامر الذي ادخل العلاقة بينهما في عدة مآزق سياسية انتهت بالطلاق الكامل بعد ١٩٦٧ وكانت تعبيرا عن طبيعة تطورهما واختلاف نظراتهما تجاه الامور ؛ فمن الصدام الصعب مع الاجهزة الرسمية المصرية في اليمن عام ١٩٦٦ بشأن دمج الجبهة القومية بتحالف السلاطين والسياسيين التقليديين ممثلا بجبهة تحرير الجنوب الى صدام الحركة بفرعها الفلسطيني وبالتحديد في قطاع غزة مع الاجهزة الرسمية المصرية التي كانت مع ما سمي بعقد مصالحة وطنية في قطاع غزة وذوبان كافة القوى السياسية في منظمة التحرير التي كانت تحظى بدعم ومباركة الاجهزة المصرية . وعبد القادر ياسين يعرف بأمر مؤتمر المصالحة الذي عقد في ١٩٦٦ والذي عقد تحت دعوة الجميع كي « يتخلوا عن حزبيتهم والانصهار في منظمة التحرير » كما دعا الحاكم الاداري العام حينذاك اللواء العجرودي في خطبته التي القاها في افتتاح المؤتمر المذكور .

ويعرف عبد القادر ان ممثلي (كل) الاحزاب قد القوا خطبا في ذلك المهرجان اعلنوا موافقتهم على حل احزابهم ، الا مندوب حركة القوميين العرب والذي كان آخر الخطباء ، وأكد تمسكه بالقضايا السياسية التي كانت الحركة قد تبنتها وطرحتها للشارع الغزاوي كتصور للكيفية التي يجب ان تكون عليها منظمة التحرير الفلسطينية ، واعلن في نفس الوقت قرار الحركة بعدم حل نفسها وادان اولئك الذين حلوا أحزابهم « لان من هو أمين لمبادئه لا يتنازل عنها وعن أدواتها التنظيمية ». ان عبد القادر ياسين يعرف ان الحاكم الاداري العام عندما فشل بايقاف الخطيب ، عن الكلام بسبب موقف الحضور ، انسحب واكمل الخطيب كلمته .

وعندما جرت انتخابات التنظيم الشعبي كانت حركة القوميين وحلفاؤها السياسيون هي في مقابل تحالف (كل) القوى التي سبق لها ان حلت نفسها والتي كانت ملتقية في موقفها من منظمة التحرير مع موقف الادارة المصرية والذي سبق الاشارة اليه ، ولعل في موقف الادارة المعادي لمرشحي القوميين العرب اثرا يذكر في مزيد من الالتفاف الجماهيري حولهم . واذا كانت « حدود علم » عبد القادر ياسين ان احدا من اعضاء اللجنة التنفيذية لم يترشح في تلك الانتخابات ، فان « حدود علم » عبد القادر ياسين ليست هي حدود العالم وعضو اللجنة التنفيذية المعني هو الدكتور حيدر عبد الشافي ومنافسه الناجح كان « يونس الجرو » المحامي المتخرج حديثا الذي كان يعمل موظفا في ادارة الشؤون القانونية بالمجلس التشريعي الذي كان يشغل رئاسته الدكتور عبد الشافي حتى تم تعيينه في اللجنة التنفيذية. ويونس الجرو ما زال حتى الان يقبع في السجن ومحكوم بتهمة عضوية الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، وفشل الدكتور عبد الشافي يجسد موقفا جماهيريا من القضايا التي كانت مطروحة اكثر من كونها موقفا شخصيا منه ، وهو الذي نكن له كل احترام على الصعيد الشخصي وهو الذي شغل رئاسة المجلس التشريعي في قطاع غزة مدة طويلة . ولم يترك منصبه الا بعد انتخابه عضوا في اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير .

وكي يعرف عبد القادر ياسين المناخ الجماهيري

نشير عليه بمراجعة الوقائع الفلسطينية وبالذات جلسة المجلس التشريعي المنعقدة في ٢٦ سبتمبر ١٩٦٣ وما تلاها حتى لا يفاجأ بسقوط احد اعضاء اللجنة التنفيذية في الانتخابات التي جرت بعد ذلك. يقول عضو المجلس التشريعي ، وهو المحامي جمال الصوراني ، ما يلي : « ان تاريخنا مع جامعة الدول العربية تاريخ مليء بالقلق والشك والارتياب منذ ١٩٤٨ عندما تسلمت زمام قضيتنا وهي تسلك بنا معارج ملتوية . لا ندري لها اول من اخر . ففي ١٩٥٩ تقدمت الجمهورية العربية المتحدة بمشروع قرار لابراز الكيان الفلسطيني ونام في ادراج جامعة الدول العربية والان قرأنا في الجرائد ان جامعة الدول العربية قررت ان يكون السيد احمد الشقيري ممثلا لفلسطين في جامعة الدول العربية واغلب ظني لو ان المرحوم احمد حلمي باشا لم يتوفى لما اثير هذا الموضوع لان وقت جامعة الدول العربية عزيز وغال لا يتسع لقضية فلسطين ، قضية العرب الاولى واغلب ظني انهم اكتفوا ان يملأ السيد الشقيري كرسي فلسطين وان يشكل الوفد . اما ابراز الكيان الفلسطيني فاجلوه لشهر شباط ١٩٦٤ لان هذا الموضوع ليس حيويا ولا يهم العرب ولو تأخر خمسة شهور او ستة وحتى لو اجتمعوا في شباط فقد يؤجلوه الى شباط ١٩٦٥ وهكذا دواليك ... واننا اذا اردنا ان نقول كلمتنا في قضيتنا وفي مصيرنا فان هذه القضية وهذا المصير يجب ان يكون بمنأى عن جامعة الدول العربية والا فسيكون هدف الجهاز الفلسطيني هو تعليل أمزجة أعضاء جامعة الدول العربية ... ان تاريخنا مع جامعة الدول العربية ليس تاريخا مشرفا بالنسبة للجامعة . كما دائما بالنسبة لها معذورين ولذا فانا اقول ان هذا الكيان الفلسطيني عندما يبرز يجب ان يكون بعيدا عن امزجة الجامعة واعضاء مجلس الجامعة ويجب ان يكون اهل فلسطين لهم كل السلطة بالنسبة لفلسطين وفي مصيرهم سياسيا وعسكريا واقتصاديا وان لا تكون الكلمة الاخيرة لمجلس الجامعة بل تكون لاهل فلسطين والا فسيكون هذا كيانا فلسطينيا لجامعة الدول العربية وعلى مزاجها . ونحن نريد كيان فلسطيني على مزاج اهل فلسطين » .

واما بشأن قول عبد القادر ياسين بان « طلائع المقاومة الشعبية » لم تضم كافة القوى الموجودة في القطاع بل اقتصرت على القوميين العرب واثنين من حلفائهم هما فاروق الحسيني وابن عمته منير الريس كما لم تشكل الطلائع الا في تشرين الثاني وليس تموز ١٩٦٧ وثمة جبهة غيرها لعبت الدور الاساسي في نضال القطاع في المدة المشار اليها هي الجبهة الوطنية المتحدة ، هنا نقول لعبد القادر ياسين :

١ — شكرا لاعلامنا بأن منير الريس هو ابن أخت أب فاروق الحسيني ! برغم ان احدا غير معني بحسب ونسب فلان وعلان .

٢ — عندما نقول ان طلائع المقاومة الشعبية قد ضمت كافة القوى الموجودة في القطاع ، فاننا نرجو ان نضيف جملة تعريفية بالقوى المقصودة ؛ اننا نعني القوى الملتزمة بخط الكفاح المسلح .

٣ — اما بشأن دور الجبهة الوطنية الاساسي في نضال القطاع : لن نعلق على هذه النقطة شيئا لاننا لا نستطيع ان نقول لعبد القادر ياسين الكلام الذي يجب ان يقال ولكن ، ذات مرة سرت في قطاع غزة اشاعة تقول : ان قبور الشهداء تتحرك وان الشهداء يتململون في قبورهم وأصابع جيفارا غزة ويوسف الخطيب ، وكل الرجال التي كانت تعرف كيف تكتب التاريخ بالدم والرصاص ، التاريخ الذي تكتبه لا يستطيع كل حبر العالم ان يمحيه .

وما تبقى تفاصيل .

حسين أبو النمل

رسالتان

[١]

كيف يتم احيانا الوقوع في فخاخ الصهيونية

قالت عدة صحف هولندية يوم ٧ و٨ آذار ، ان وزير خارجية هولندا السيد فان در ستول قد يعدل عن زيارته الرسمية للعربية السعودية بين ٢٢ و٢٥ من الشهر ، ما لم تسمح الحكومة السعودية لجميع الصحفيين الذين ستشملهم رحلته بمرافقته. وكانت صحيفة اسمها « فراي ندرلاند » قد ذكرت يوم الثامن من آذار ان سفارة المملكة السعودية في لاهاي رفضت منح تأشيرة دخول لصحفي اسمه فان فيسيل بحجة انه يهودي ولكنها امتنعت عن ايراد الاسباب التي ذكرتها السفارة لمندوب الصحيفة في حجب التأشيرة عنه . فالسفارة قالت لذلك المندوب ان السعودية خلال التاريخ لم تتصف بأي انحياز ضد اليهود ، كيهود ، ولكن من اختبارات السبع والعشرين سنة الفائتة تبين لها ان اليهودي اينما اقام يدين بالولاء لدولتين ، الدولة التي يعيش فيها واسرائيل . وبما ان السعودية تعارض ازدواج الولاء والجنسية ، وتعارض قيام دولة اسرائيل المشادة على اسس عدوانية وعنصرية ، فان من حقها رفض دخول اليهود اراضيها .

يوم ٧ آذار قالت صحيفة البارول الاشتراكية ان وزير خارجية هولندا صرح قائلا انه سيكون من الصعب التمييز بين الصحفيين الهولنديين على اسس دينية او عنصرية . في الوقت نفسه نشرت الصحيفة المذكورة البيان الذي أصدرته سفارة السعودية في لاهاي والذي جاء فيه القول « ان حكومة السعودية من أشد دول العالم مقاومة للتمييز العنصري والديني وانها قاطعت الدول العنصرية قبل ان تقاطعها الامم المتحدة تمشيا مع مبادئها في هذا المجال ، ولذلك قاومت انشاء دولة اسرائيل العنصرية المتطرفة في عنصريتها . وبما ان دستور المملكة هو القرآن الكريم ، والقرآن يحرم التمييز العنصري القائم على أسس الجنس واللغة واللون ، فان الحكومة السعودية لا يمكن بحال من الاحوال ان تكون حكومة تمييز عنصري او ديني . وعلاوة على ذلك فان حقوق السيادة تمنح كل دولة حرية التصرف بأمورها فتقبل في اراضيها من تقبل وترفض فيها من ترفض . واخيرا فان سفارة السعودية ترى في محاولات اتهامها بالعنصرية مؤامرة مبيتة تستهدف افشال زيارة وزير خارجية هولندا للسعودية ، تلك الزيارة التي ستساهم في تدعيم الروابط بين البلدين والشعبين . ان توجيه تهمة العنصرية لسفارة السعودية محاولة مدسوسة تستهدف نسف العلاقات الطيبة بين البلدين وتستهدف ضرب مصالحهما التقليدية المشتركة ، كما تهدد بأشد المخاطر مصالح هولندا بالذات ».

ومنذ أن اشتمت الصحف الموالية لاسرائيل رائحة هذا الخلاف الدائر بين سفارة المملكة السعودية ووزارة الخارجية الهولندية ، اخذت تنفخ فيه هواء حقدها وانتهازيتها ، مما زاد الامر تعقيدا بطبيعة الحال بالنسبة لحكومة هولندا . فمنذ اشهر وصحف الصهيونية وبعض البرلمانيين المؤازرين لها يثيرون بصورة مشبوهة وواضحة الاغراض ، قضية أسموها قضية « التمييز العنصري » لدى الدول العربية التي تصر على شهادات موثوقة من طالبي تأشيرات السفر الاجانب تقر بأنهم غير يهود ، في سبيل السماح لهم بدخول بعض البلاد العربية . وقد كان التوقيت في هذه

الحملة ذا هدف معين ايضا . كان التوقيت المتقن يستهدف وصول الحملة ذروتها ، عندما تبدأ رحلة وزير خارجية هولندا للسعودية في آذار لتعقبها رحلة مشابهة لمصر في أيار . هذه المصادر نفسها كانت بحملتها التي إبتدأت قبل اشهر تستهدف نسف زيارات قد تؤدي فيما لو تحققت الى تحسن ما في العلاقات العربية الهولندية . ورغم ذلك ، فقد التبس الامر على ما يبدو على سفارة السعودية في لاهاي ، فلم تكن متأهبة له عندما فتحت تلك المصادر النار عليها . ولو كانت متأهبة ، لقامت بأحد أمرين . الامر الاول ، الاكتفاء ببيان تقول فيه انها امتنعت عن منح ذلك الصحفي الهولندي فان فيسيل تأشيرة دخول لانه يعمل في اسرائيل مراسلا لبعض الصحف الهولندية ، ويدفع ضريبة عن مرتباته لحكومة اسرائيل ويكتب في عدة صحف اسرائيلية ، وفي هذا ما يكفي من الاسباب لاقناع أي انسان بأنه لا حق لهذا الصحفي بدخول البلاد العربية ، بدون اي ذكر على الاطلاق لواقع انه يهودي او ما شابه ذلك . فالعرب يعرفون ان نضالهم ضد اسرائيل والصهيونية لا علاقة لـه باليهودية . كما يعرفون ان هذا الموضوع يجب ان يذكر بكل اصرار وتكرار كلما سنحت الفرص في سبيل افساد خطط المغرضين الذين لا يفتأون يذيعون ان العرب يعادون اسرائيل لانهم يعادون اليهود . وهذا ما فات سفارة السعودية لسوء الحظ . ففي بيانها كانت تصر على ان حجب التأشيرة عن ذلك الصحفي كان بدافع الاقتناع بأن كل يهود العالم دون استثناء موالون لاسرائيل العدوانية العنصرية ، علما بأن العرب يعرفون ان من اليهود فريقا معاديا للصهيونية لا يحمل اي ولاء لدولة اسرائيل ، وان قيمة النضال العربي ضد الصهيونية واسرائيل لا بد ان تتصدع لدى الاخرين اذا ما صبوا نار عدائهم السياسي على اليهود وليس على الصهيونيين . والامر الثاني ، منح هذا الصحفي تأشيرة فيما لو كان صحيحا ما ذكرته الصحف الهولندية المعتدلة من ان حكومة السعودية منحت اربعة صحفيين اميركيين يهود تأشيرات دخول وهم يصاحبون كيسنجر في احدى رحلاته . فلا يمكن للصحفيين الهولنديين او غيرهم ان يقبلوا بمعاملة الصحفي اليهودي الاميركي بغير ما يعامل به الصحفي اليهودي الهولندي او البلجيكي او الدنماركي .

ليلة الثاني عشر من آذار أعلن السيد فان در ستول في البرلمان وعلى التلفزيون انه قرر تأجيل زيارته للسعودية لوقت لاحق ، مبينا انه يتفهم تماما موقف الحكومة السعودية التي تملك الحق في منح تأشيرات السفر لمن تريد وحجبها عمن تريد بموجب اعراف السيادة الوطنية ، ولكنه لا يستطيع التمييز بين صحفي هولندي وآخر على اساس ديني ، وذلك لان الدستور لا يسمح بالتمييز بين الناس على اسس دينية او عنصرية او سياسية . ومع الاعراب عن اسفه الشديد على تأجيل الزيارة ، اعرب عن فائق أمله بأن لا تحول هذه الحادثة دون توطيد العلاقات بين البلدين وهي العلاقات التي تجهد حكومة هولندا بكل طاقاتها للمحافظة عليها وتمتينها وتعزيزها .

صباح الثالث عشر من آذار علقت الصحف الرئيسية جميعا على الموضوع ، والملفت للنظر انها رغم تضامنها التام مع السيد فان در ستول ، فقد كانت في غاية التأدب والحذر والتمسك بلغة العقل في تحليلها للموقف السعودي ، باستثناء صحيفة التلغراف المحافظة الواسعة الانتشار التي كانت حتى وقت قريب مضى تسند اسرائيل بأسلوب عاطفي سقيم ، وصارت اليوم يدافع مصالحها الاقتصادي تدعم رجال الاعمال الذين اصبحوا يؤثرون مصالحهم مع الاقطار العربية على مصالحهم مع اسرائيل . هذه الصحيفة ، يوم ١٣ نشرت خبرا كبيرا مفاده ان اسرائيل فزعة بسبب تحول رجال الاعمال الغربيين عنها ، متجاهلة قصة فان در ستول تماما ، ولكنها يوم ١٤ آذار سارت مع التيار وقالت ان قرار وزير الخارجية كان قرارا صائبا تماما لان هولندا لا تميز بين الناس في مجال الدين او العنصر . كما لم تشر ابدا الى الموقف السعودي . هذا مع العلم بأن هذه الصحيفة معادية لوزير الخارجية ولحزب العمال الذي يمثله وهو الحزب الحاكم حاليا .

صحيفة التراو البروتستانتية الكلفانية الصادرة في امستردام قالت انها تقر وزير الخارجية على موقفه لدوافع هولندية ومسيحية . فان هولندا لا تفرق بين مواطنيها على اسس دينية . لكن اتهام بعض الصحف الهولندية الحكومة السعودية باتخاذ اجراءات عنصرية اتهام خاطىء تماما . فالسعودية لا ترحب باليهود على اساس سياسي بحت . اكثر

من ذلك ان العرب ما كانوا يوما في تاريخهم الطويل لاساميين . كل ما هنالك ان الدول العربية تعتبر نفسها في حالة حرب مع اسرائيل التي تحصل على مؤازرة معظم اليهود في العالم . فاذا كان اليهود أعداء للعرب ، في نظر العرب ، فان هذا أمر مفهوم . والقول ان هذا العداء عنصري ، ليس سوى كليشيه اوروبية قديمة عفى عليها الزمن .

صحيفة ن ر س هاندلسبلاد الروترداميـة الليبرالية ، اعربت عن شديد الاسف لهذا التحول ، لانه قد يعرقل المساعي التي بذلتها حكومة هولندا الحالية في السنتين الاخيرتين ، وبكل صدق واخلاص ، لتثبت للعرب انها غير منحازة لاحد في صراع الشرق الاوسط ، لانها غريق لا يد له في النزاع . كما قالت ان من سوء الحظ ان يقع هذا الحادث في وقت اصبح فيه الرأي العام الهولندي يعالج قضية الشرق الاوسط بتعقل وحكمة وليس من وحي اضطهاد النازية لليهود ، او من وحي تأنيب الضمير ، الذي كان في السابق السر الكامن وراء التعاطف مع اسرائيل .

صحيفة الخمين داخ بلاد الروترداميه المستقلة ، قالت انه كان من واجب الحكومة ان تدرك سلفا نتائج انضمام صحفي يهودي للوفد المرافق لوزير الخارجية . فاسرائيل عدو سياسي للعرب ، وما كان لحكومة السعودية ان ترحب بذلك الصحفي . في نفس الوقت ، اننا نتفهم تماما دوافع وزير الخارجية التي ادت به الى تأجيل الزيارة ، فهو غير قادر ابدا على التمييز بين صحفي وآخر على أسس دينية .

صحيفة فولكسرانت التقدمية الواسعة الانتشار ، والصادرة في امستردام ، اعربت عن املها بأن يتفهم العرب ، ولو بعض التفهم ، الموقف الهولندي . فتأجيل الزيارة لم يقصد به الاساءة للعرب ابدا . كما اننا نرجو ان تزول العقبات التي تحول بين العرب وتقديرهم للمبادىء الهولندية التي تساوي تماما بين جميع الشعوب .

في الواقع ، لقد عثرت الصهيونية على فجوات في بيان السفارة السعودية عبرت منها الى صفوف الحكومة والى نقابة الصحفيين ، وحصلت على تأييد شبه شامل بضرورة الغاء او تأجيل رحلة وزير الخارجية . وقام هو بذلك فعلا ، ولو على مضض شديد ، لانه لم يجد سبيلا لمقاومة الضغط الشديد الموجه له . ان العناصر الصهيونية قوية في حزبه ، وهو حزب العمال الحاكم . والصراع بين رجال الحكم في الحزب ورجال القاعدة ، يجري على اشده منذ أزمة البترول . الحكومة منذ ذلك أدركت خطأ الانحياز الى اسرائيل ، فكانت لها مواقف ايجابية وسليمة ، وخاصة عندما أمرت مندوبها في الامم المتحدة بالامتناع عن التصويت اثناء بحث صفة منظمة التحرير الفلسطينية في الامم المتحدة . تلك كانت المرة الاولى التي لا تصوت فيها هولندا بجانب اسرائيل واصدقائها . وتلك كانت اول مرة يشهد فيها الرأي العام نقاشا مكشوفا حادا ومزمجرا بين رجال الحكومة الكبار من جهة والنواب والصحفيين الساطعين على اسرائيل من جهة اخرى ، حول تفسير موقف الحكومة الجديد . ومنذ ذلك الوقت ، وحكومة هولندا متحفظة اشد التحفظ في كل ما تفعله وتقوله أملا في ان تعدل الحكومات العربية نظرتها اليها . بل لقد سمعت اكثر من مرة للتمهيد لزيارات يقوم بها وزير الخارجية للبلاد العربية . وفي كل مرة ، كانت الصهيونية القوية في هولندا تلعب لعبة ما لافساد هذه الرحلات واحدة بعد الاخرى ، وكانت تنجح . واغلب الظن ان تهيئة الظروف لرحلات يقوم بها السيد فان در ستول ، من شأنها ازالة الكثير من سوء الفهم او التوتر . وقد يقول قائلون ان هولندا لا قيمة لها في المجال الدولي . وسواء كان هذا التقدير صحيحا او غير صحيح ، فان هولندا ستصبح ذات قيمة بالنسبة لصراع الشرق الاوسط فيما لو قدر لها ان ترى صورة ذلك الصراع بصورة واضحة تمام الوضوح . فان من شأن ذلك ان يجرد اسرائيل من بعض ركائزها داخل المنظمة الاوربية الاقتصادية . علاوة على ذلك ، ففي هولندا عناصر شريفة يجب عدم الاستهانة بها ، تسند القضية الفلسطينية وتدافع عن كل قضايا التحرر في العالم وتدعم العالم الثالث في حربه ضد الاستغلال والفقر . وهذه العناصر موجودة داخل لجنة فلسطين الهولندية وداخل اللجان الجامعية وفي الاوساط الثقافية ولحد ما داخل حزب العمال الحاكم . كل هذه المجموعات التي تناصر القضية الفلسطينية ، لحد شن حرب لا هوادة فيها على الصهيونية واسرائيل ، انتقدت بيان سفارة السعودية لانها وجدته عنصري الطابع ، رغم

اجتهادات السفارة الواضحة لاثبات العكس. كذلك الصحف التي صارت في هولندا تنحو منحى الواقعية والعدل في معالجة قضية الشرق الاوسط ، وجدت في البيان مادة صالحة لدعم وزير الخارجية على قراره . احيانا كثيرة ، يتم في لحظات تهديم ما تم بناؤه في سنوات . وذلك لعدم التعمق في اساليب الصهيونية وعدم التعمق في تفهم المجتمعات الاخرى ، وعدم اتخاذ موقف التأهب في الساعات او الفترات الحرجة ، لتخريب الفخاخ التي تنصبها الصهيونية للعرب او للرأي العام الغربي. فالتأهب الدائم لمواجهة هذه الفخاخ ، هو الضمانة لعدم السقوط فيها وتعطيل مفعولها بالرد عليها الرد الملائم ، في كل مناسبة ، بما يتمشى معها ويصلح لها .

أ. ق.

[٢]

السينما الصهيونية في مهرجان « كان » ١٩٧٥

« « روز بد » اسم يخت لرجل يهودي واسع الثراء ... يعطيه لابنته الصغرى ، التي تدعو أربع صديقات ، في مثل سنها ، الى رحلة على ظهره في عرض البحر ... يقوم الارهابيون الفلسطينيون باختطاف الخمس فتيات ... وليس المال هو هدفهم من عملية الاختطاف ... ان الحصول على فرصة تتيح لهم شرح قضيتهم للعالم هو الهدف ... »

بهذه الكلمات ، التي ظاهرها البراءة — وان كان استعمال كلمة ارهابيين في وصف الفدائيين لما يقطع بسوء نية صاحبها — استهل أوتو برمنجر ، مخرج الفيلم الصهيوني المعروف « الخروج »، حديثه مع الناقدة دومينيك رابوردين، والمنشور في عدد مايو من مجلة « سينما ١٩٧٥ » الفرنسية ، بغاية الدعاية لفيلمه الصهيوني الجديد « روز بد » (زنبقة الوردة) . وهو فيلم مستوحى عن قصة لجان همنجواي وبول بونكاريه ، مدارها عملية انقاذ خمس حسناوات من بنات اصحاب الملايين من براثن منظمة أيلول الاسود . والمنقذ في الفيلم جيمس بوند انجليزي (بيتر أوتوول) يعمل في العلن مراسلا في باريس لمجلة نيوزويك الامريكية ويعمل في السر عميلا للمخابرات المركزية الامريكية يستأجره الآباء الاثرياء (من بين الذين يؤدون دور الآباء المتباعين راف فالرن وبيتر لوفورد وعمدة نيويورك السابق باك ليندساي !!) ليقوم بسلسلة من المغامرات السخيفة في ربوع أوروبا والشرق الاوسط ، تتوج به منتصرا على الفدائيين الفلسطينيين ، محررا بنات ملوك المال واسرائيل.

ومما يلفت النظر ان هذا الهراء السينمائي — وهو هراء باجماع النقاد — قد أفردت مجلة «سينما ١٩٧٥» لحديث برمنجر عنه عشر صفحات ، من بينها اربع صفحات مصورة بالكامل للمخرج ونجمه الاول بيتر أوتوول . في حين ان نفس المجلة لم تفرد في عددها التالي (يونيه) سوى خمس صفحات لكفرقاسم ، فيلم برهان علوية عن المذبحة التي دبرتها الصهيونية لفلاحي وعمال كفرقاسم من العرب قبل العدوان الثلاثي على مصر بساعات معدودات وذلك رغم انه حصل على الجائزة الكبرى لمهرجان ترطاج للعام ١٩٧٤ ، وانه في رأي ناقد

المجلة كلود ميشيل كلوني عمل يتسم بوحدة السرد وجمال التشكيل وجدة التحليل السياسي ودرس رائع في السينما السياسية .

وهذا الانحياز الى جانب السينما الصهيونية ، والتماس العلل والمعاذير لها ، نراه أشد ما نراه في تصرف لجنة الثلاثة عشر ناقدا فرنسيا ، وفي الافلام التي اختارتها لتعرض في الاسبوع الدولي للنقد الفرنسي ضمن مهرجان كان للعام ١٩٧٥ . فقد اقترح عليها سبعمائة فيلم لتختار من بينها سبعة أفلام ، تعرض باسم نقاد السينما في فرنسا، على شاشة الصالة الكبرى بقصر المهرجانات المطل على شاطىء الريفييرا . وكان كفرقاسم من بين الافلام التي اقترحت . فما هو الاختيار الذي انتهت اليه ؟ انتهت الى عدم اختيار رائعة برهان علوية « كفرقاسم » ، رغم ما لها من منزلة فنية كبيرة . ولم تكتف بذلك بل امعنت في انحيازها ، واختارت فيلمين صهيونيين ، هما : « مواجهة » للمخرج السويسري رولف ليمي، و« شارع هستر » للمخرجة الامريكية جوان ميخلين سلفر . وهكذا ، وبفضل هذا الاختيار الملتوي ، ارتفع عدد الافلام الاسرائيلية والافلام الصهيونية المنتجة خارج اسرائيل المعروضة ضمن افلام العروض الرسمية او ضمن افلام السوق الى حوالي احد عشر فيلما روائيا طويلا . هذا في الوقت الذي لم يكن فيه لاي فيلم من افلام المشرق العربي المحيط باسرائيل اي وجود ضمن افلام المهرجان .

ولولا الايام السينمائية السياسية ، التي نظمها الحزب الاشتراكي الموحد الفرنسي ، والتي بفضلها عرض فيلم « كفرقاسم » في دار عرض بعيدة عن قصر المهرجانات لانتهى المهرجان دون ان يرى احد اي فيلم عن كفاح الشعب الفلسطيني ضد بربرية الاستيطان الصهيوني لارض فلسطين .

وبعد ، فربما يكون من الخير ان نعرض ، في اختصار ، للافلام التي انتجتها الصهيونية خارج اسرائيل ، وعرضت بمهرجان كان الاخير ، وهي : « موسى وهارون » و« شارع هستر » و« مواجهة » و« ليني » و« تلميذة دافيد كرافيتز » .

و« موسى وهارون » ، لصاحبه المخرج الالماني جان ماري ستروب ، فيلم يصور اوبرا « ارنولد شوانبرج » التي انتهى من تلحين فصليها الاول والثاني فيما بين ١٩٣٠ و١٩٣٢ ، ثم انتهى من كتابة فصلها الثالث والاخير في نيويورك خلال العام ١٩٣٠ ، اي بعد مروره بباريس ... وهو المرور العابر الذي أعلن فيه اعتناق الدين اليهودي . ولا يسع من يشاهد هذه الاوبرا الا ان يلاحظ ان كلماتها انما تردد دعوة الصهيونية ليهود الشتات بالتحرر من العبودية والخوف والعودة الى ارض اللبن والعسل ، ارض اسرائيل .

و« شارع هستر » و« مواجهة » و« ليني » تركز ، هي الاخرى ، على اضطهاد يهود الشتات، ولكن في الازمنة القريبة . واحداث الفيلم الاول تدور في شارع هستر ، قريبا من نهاية القرن التاسع عشر ، وبالتحديد عام ١٨٩٦ ، أي وقت قضية دريفوس ، تلك القضية التي اتخذت منها الصهيونية ذريعة للدعوة الى انشاء وطن لليهود في فلسطين . والشارع في الفيلم واحد من شوارع حي اليهود شرقي نيويورك . والغالبية الغالبة من يهوده مهاجرون من اوروبا الشرقية الى العالم الجديد فرارا من الاضطهاد العنصري في روسيا القيصرية .

والصراع في شارع هستر يدور بين « جيك » ، الزوج المنحل الفردي ، الذي أفسدته الحياة في الشتات ، فتحولت به الى شخص يفخر بجنسيته الامريكية ، وينادي باندماج اليهود في المجتمع الجديد ، باعتبارهم مواطنين عاديين ، ليس لهم حق الانفراد بأي كيان مستقل ، وبين « جيلت » الزوجة الفاضلة المؤمنة ، التي تسلك في الحياة سلوكا جوهره عدم الذوبان في هذا المجتمع الامريكي الغريب اي الاحتفاظ بشخصيتها اليهودية المتميزة. وينتهي الفيلم بالانتصار لقيم الزوجة على قيم الزوج ، بأن تنجح في الحصول على الطلاق مع الاحتفاظ بابنها من مطلقها لتتزوج من « برنشتين »، الذي لا يكل ولا يمل من قراءة التلمود ، ولا يردد سوى قولين : « اليهودي يهودي » و« اللعنة على كولومبس » لانه اكتشف العالم الجديد !

واحداث الفيلم الثاني « مواجهة » ، تبدأ بعد ٣٠ من يناير للعام ١٩٣٣ ، اي بعد استيلاء هتلر على الحكم في المانيا بقليل . وهي احداث حقيقية وقعت بالفعل ، بطلها طالب يهودي معتل الصحة اسمه « دافيد فرانكفورتر » يضطره الاضطهاد العنصري في المانيا الهتلرية الى اللجوء لسويسرا، ليكمل دراسته . وفي مستقره الجديد يفاجأ بأن

للحزب النازي فرعا قويا يمارس، بحرية ، النشاط السياسي في سويسرا تحت زعامة عميل الماني اسمه « جوستلوف » . فيتسلط عليه الاكتئاب واليأس . ويفكر في الانتحار فيشتري مسدسا . ولكنه يستعمله في أمر آخر . يستعمله في اغتيال الزعيم النازي ، ويسلم نفسه الى الشرطة . وأمام القضاء يطالب ممثل الاتهام بالحكم عليه بأقصى العقوبة المقررة لجريمة القتل ، وهي ثمانية عشر عاما . ويطالب الدفاع بالحكم بالبراءة على اساس ان من حق المتهم ، بل من الحق عليه ، ان يثأر لما حدث للشعب اليهودي على أيدي هتلر وجلاديه. وتنتهي المرافعات وتحجز القضية للحكم ، الذي يصدر بأقصى العقوبة دون ادنى تخفيف . الا ان المتهم لا ينفذ العقوبة بالكامل . فألمانيا الهتلرية تندحر ، وفور اندحارها يخرج من السجن ليقول للصحفيين انه ذاهب الى ارض الميعاد في فلسطين. وفي نهاية الفيلم ينتقل بنا المخرج السويسري الى تل ابيب ، لنرى دافيد الحقيقي (أول من قتل نازيا) في مشهد تسجيلي مضاف ، وهو يأكل ويتسامر مع أسرته . ثم وهو يقول ان المآسي التي حدثت له ولشعبه من الممكن ان تحدث في أي مكان آخر من العالم . وغني عن البيان انه يغفل القول بأن ما حدث لليهود في المانيا الهتلرية مـا زال يحدث لشعب آخر اسمه الشعب الفلسطيني ، على ارض اخرى اسمها فلسطين !

اما الفيلم الثالث « ليني » فهو ، عندي ، أخطر الافلام الصهيونية التي عرضت في المهرجان ، لان مخرجه هو « بـوب فوس » ، صاحب فيلـم « كاباريه » ، الحاصل على عدة جوائز اوسكار ، ولان ممثله هو داستن هوفمان ، النجم المتألق في سماء السينما العالمية ، ولان الشركة الموزعة له هي « شركة الفنانين المتحدين » ، ذات الخبرة الكبيرة في توزيع الافلام . وبطل الفيلم « ليني بروس » يهودي كوميدي ساخر ، عمل في ملاهي الليل بأمريكا أيام الماكارثية السوداء . ومات في سن الاربعين مضطهدا مخدرا . ومأساته يحكيها الفيلم من خلال ذكريات امـه وزوجته ومديـر أعماله . وهي ذكريات تنتهي بنا الى الايمان بليني مسيحا جديدا ، مسيحا يهوديا يجيء الى العالم الذي يعاقب اليهود بأشغال شاقة مؤبدة منذ ألفي عام ، لان واحدا من اجدادهم اتهم بقتل المسيح . يجيء اليه برسالة محاربة النفاق والتبشير بالحب وتحرير الانسان من رق الخوف والخرافات . وهو في الفيلم يقول عن نفسه « أنا لست كوميديا ... ولست مريضا ، العالم هو المريض ... وانـا الطبيب ، الجراح الذي يملك مبضعا تجتث به القيم الزائفة » .

واذا ما انتقلنا الى الفيلم الصهيوني الآخـر « تلميذة دافيد كرافيتز » ، لصاحبـه المخرج تد كوتشيف — وهو فيلم كندي حصل على جائزة الدب الذهبي لمهرجان برلين السينمائي العـام ١٩٧٤ وتدور احداثه في كندا عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية — فسنجد ان قصته بسيطة كل البساطة بطلها شاب يهودي غريب معلق لا يدري من اين جاء وان كان يدري الى اين يمضي : ان له عملا ينبغي ان يؤديه هو ان يمتلك قطعـة ارض . فنصيحة جده له ، منذ ان كان صغيرا ، هي ان يكون لحياته غاية : ان يحصل على قطعة أرض ، لان الانسان بلا ارض بلا قيمة . وتختلف عليه احداث تنتهي به الى شراء قطعة ارض كبيرة ، هي اقرب الى جنة تجري من تحتها الانهار . وهو في سبيل الاحتفاظ بها يجنح الى استعمال وسائل ملتوية ، هي الى الاحتيال والجريمة اقرب . ثم ينتهي به الفيلم بعـد كثير مـن الخطوب الـى الانتصار . لقد استطاع ان يحتفظ بالارض وان يصون حياته من الخواء والجدب . وواضح من السياق المتقدم ان قصة « دافيد كرافيتز » زاخرة برموز ، قصد بها تأكيد ضرورة « عودة » يهـود الشتات الـى الارض « ارض الميعاد » وتبريـر الوسائل الاجرامية التي تستعملها الصهيونية في سبيل الاحتفاظ بما اغتصب من ارض العرب في فلسطين وغيرها .

مصطفى درويش

تقارير

[١]

تحليل للدعـــاوة الصهيونية
في شهر مايو ــ أيار ١٩٧٥

سنتابع في تقريرنا لهذا الشهر ما بدأناه في تقرير الشهر الماضي (الذي نشر في عدد تموز ، يوليو ، من هذه المجلة) : في القسم الاول سنعالج مرة اخرى الخط الصهيوني بشأن الاقتتال في لبنان . وسيتبين في بحثنا لاحداث مـــايو ــ أيار حدوث تغيرات مهمة في نقاط التركيز الصهيوني ، وسنرى كيف ان الخط الذي اعتمدته الدعاوة الصهيونية في شهر نيسان ــ ابريل ، تقـــوض كليا في خضم السياق الموضوعي للاحداث ، الامر الذي استوجب نبذه والتخلي عنه في اواخر مايو ــ أيار .

وفي القسم الثاني من تقريرنا التحليلي هـــذا ، سنتصدى مرة اخرى ، لدراسة موضوعات الهجمة الاعلامية الاسرائيلية المستمرة على ما يسمى اعادة تقييم سياسة الولايات المتحدة الامريكية في منطقة الشرق الاوسط . وفي معرض هذا البحث ، سيتاح لنا ان نرى درجة عالية من الاصرار الدؤوب على الخط الدعاوي الصهيوني ، كما يتجسد في مختلف ما يطرحه الناطقون المؤيدون للصهيونية . كمـــا سنعطي تركيزا خاصا على الحجة الصهيونيـــة القائلة ان من صميم المصالح الامريكية الخالصة تلبية جميع طلبات اسرائيل ومساندتها الى أبعد الحدود . وسنلتفت ايضا الى ما ولدته هزيمـــة الولايات المتحدة في جنوب شرق آسيا من تأثيرات ، بالاضافة الى مذكرة الشيوخ الامريكيين الداعمة لاسرائيل والخط الاعلامي الصهيوني على السواء.

*

أحداث أيار في لبنان

لاحظنا في تقرير الشهر الماضي ، انه لا شيء يثلج صدر الدوائر الصهيونية الحاكمة ، أكثر من الاقتتال العربي الداخلي ، وعلى الاخص حين تكون الثورة الفلسطينية طرفا في هذا الامر ، دفاعا عن وجودها ومصالحها ضد الرجعية العربية . بصرف النظر عن مسألة الدور المباشر او غير المباشر للصهيونيين في اثارة او توجيه مثل هذه الصراعات العربية الداخلية ، فان من الواضح بجلاء تام ، ان مثل هذه الاحداث التي شهدها لبنان في شهري نيسان وايار ١٩٧٥ ، تقدم خدمة جلى لا تقدر بثمن للمصالح الاستراتيجية العليا سواء للصهيونيين او للامبريالية الغربية، وعلى الاخص في هذا الوقت بالذات الذي اصبحت فيـــه تصفية المقاومـــة الفلسطينية ، او على الاقل عزلها وتحييدها ، هدفا رئيسيا لجميـــع القوى والعناصر المحليـــة والدولية الساعية إلـــى فرض « تسوية » على المنطقة .

ليس شأننا في هذا التقرير ان نقرر ما اذا كانت احداث لبنان هـــي محصلة لجهود متعمدة مـــن جانب الصهيونيين من تحريك عملائهم المحليين ، بغرض تدمير او اضعاف الثورة الفلسطينية في لبنان . (على ان من المؤكد بالطبع ، ان أية مخططات صهيونية وامبريالية تسعى في المستقبل لتحقيق هذا الهدف ، سوف تحاول الوصول اليه بتحريك العملاء المحليين كما حدث في الاردن في ١٩٧٠ ــ ١٩٧١).

ولطالما تنبأ المعلقون الصهيونيون بأن أحداث الاردن سوف تتكرر في لبنان في يوم من الايام ، وكانوا يعمدون الى تفسير أية حادثة او بادرة عنف على انها المرحلة التمهيدية لمثل تلك المجابهة. وبما ان الدوائر الصهيونية الحاكمة **راغبة** في ان ترى مثل تلك المجابهة ، وبما انها **تترقب** مثل تلك المجابهة ، وبما انها على الارجح **تخطط** لمثل تلك المجابهة ، فان من المحتم علينا ان نستوعب ونتفحص بمنتهى الدقة الخط الدعاوي الصهيوني فيما يخص الاحداث الراهنة في لبنان ، فبهذا نمتلك فكرة مسبقة على جانب من الدقة والنفع ، حول الخط الاعلامي الصهيوني المحتمل انتهاجه فيما لو وقعت مثل تلك المجابهة الشاملة ، وبهذا نكون أكثر قدرة على التنبؤ واحتساب المواقف عند الحاجة .

درسنا في تقرير الشهر الماضي الهيكل الايديولوجي العام الذي من ضمنه يأتي تناول الاعلام الصهيوني لجميع المسائل المتصلة بالعلاقات بين المقاومة الفلسطينية وبين الحكومات العربية . ورأينا كيف ان هذا الخط يعطي تركيزا اساسيا على الطبيعة التناحرية المفترضة لهذه العلاقات ، وكيف ان الصورة المرسومة للثورة الفلسطينية على الدوام هي صورة القوة التخريبية التي تتألف من عناصر منفلتة عن أية سيطرة في سبيل العنف والتدمير ، وكيف ان هذه الثورة الفلسطينية تكافح بلا هوادة وبصورة مستمرة لتقويض الحكومات العربية القائمة واطاحتها . ولقد خرجنا بنقاط معينة في تحليلنا السابق :

أولا : بذل المعلقون الصهيونيون كل جهدهم للاستفادة من جهل الرأي العام العالمي بحقيقة الوضع والتطورات السياسية في لبنان ، وذلك لتمرير تحليلاتهم المفرضة للاحداث ، ولتمرير عدد من الخرافات الصهيونية المحفوظة عن الثورة الفلسطينية .

ثانيا : كان هناك اعتراف ضمني بدور الكتائب في اشعال الاقتتال .

ثالثا : الريشة الصهيونية ترسم الكتائب باعتبارها الطليعة التي تدافع عن السيادة اللبنانية والمصالح الوطنية .

رابعا : اتهام المقاومة الفلسطينية بمحاولة اعطاء صبغة طائفية للصراع .

خامسا : الايحاء ضمنا بأن لبنان في مجمله يتحول بصورة متزايدة ضد المقاومة .

واذا القينا نظرة على الدعاوة الصهيونية خلال شهر ايار ، ندرك ان نواحي التركيز الاعلامي الصهيوني لحقتها تغييرات كبيرة . ومع ان النقاط الواردة آنفا لا تزال واردة في الدعاوة الصهيونية بصيغة او بأخرى ، الا ان التركيز الدعاوي الصهيوني الان هو على ان الصراع أصبح **بوضوح وصراحة** « **لبنانيين ضد فلسطينيين** » . كما ان الاعلام الصهيوني لم يعد يكتفي بالاعتراف **ضمنا** بأن الكتائبيين هم الذين أشعلوا الفتنة وصعّدوا الاقتتال ، بل انه يقول هذا **بصراحة** ، ويضيف اليه الادعاء بأن الكتائبيين بموقفهم هذا يمثلون مصالح لبنان ككل .

كانت هذه خطوط الاعلام الصهيوني المقدم للقراء الاجانب بشأن الازمة السياسية اللبنانية ، حتى قبل ان يتجدد الاقتتال في وقت مبكر من الشهر . الا اننا سنرى ، كيف ان هذه الخطوط الدعاوية الصهيونية لم تعد صالحة للاستعمال ، **بعد تأليف** الحكومة العسكرية ، وردة الفعل السلبية القوية في جميع الاوساط الوطنية والتقدمية في لبنان ، وكيف ان الصهيونيين اضطروا للاقلاع عن هذا التصوير للامور ، واضطروا لتقديم تقارير واقعية الى حد ما عن تطورات الامور .

ولعل أفضل نموذج لتتبع هذا التطور غير الاعتيادي في الدعاوة الصهيونية فيما يخص احداث أيار ، تحليل سلسلة المقالات التي نشرت خلال هذه الفترة في **الجيروزاليم بوست** ، بقلم « مراسل الشؤون العربية » عنان صفدي ، الذي هو أيضا « الخبير بالشؤون العربية » في اذاعة اسرائيل باللغة الانجليزية (لسوء الحظ لم يكن هناك سوى القليل من الدعاوة الاسرائيلية الحقيقية بشأن الموضوع مدار البحث في الصحافة الصهيونية الصادرة باللغات الاجنبية في خلال الفترة التي يتناولها هذا التقرير . على اننا سنتطرق اليها بايجاز في وقت لاحق) . ظهرت المقالة الاولى لعنان صفدي على الصفحة الاولى من **الجيروزاليم بوست** يوم الرابع عشر من أيار ، وكانت بعنوان: « عداء متزايد ضد المخربين في بيروت » . وبعد ان

يبحث الكاتب في الاستقالة الوشيكة لحكومة رشيد الصلح ، ودور الكتائب في اشعال الازمة ، ينقل انطباعات «مثقف عربي في القدس» مجهول الهوية، عاد لتوه من بيروت الى فلسطين المحتلة . ويزعم صفدي ان ذلك المثقف العربي قال ان « المجابهة بين السلطات اللبنانية وبين منظمة التحرير الفلسطينية تبدو امرا محتما » . ويضيف ذلك « المثقف العربي » قائلا : « (ان الظاهرة الاشد بروزا في بيروت الان ، هي ان النزاع لم يعد مسيحيا — اسلاميا ، بل مجابهة لبنانية — فلسطينية) كما لاحظ ان العديد من زعماء المسلمين في لبنان الذين وقفوا في السابق الى جانب منظمة التحرير الفلسطينية ضد المؤسسة المسيحية المهيمنة في البلاد ، يحتشدون الان في « كتلة وطنية لبنانية » تسعى لاعادة فرض سيادة القانون ووحدة الاراضي اللبنانية ».

ان الكاتب عنان صفدي ، يحاول عن طريق « فبركة » شخصية وهمية لذلك « المثقف العربي » الخرافي ، ان يستغل بصورة فعالة جهل قرائه بحقيقة الوضع في لبنان ، وذلك للترويج لافكار غشيمة بصورة فظة . ذلك انه لم يرد في أي مكان، سواء في الصحافة العالمية او العربية او حتى الصحف اللبنانية الرجعية ، ان مسلمي لبنان انقلبوا على المقاومة الفلسطينية . ان هذا غير موجود الا في مكان واحد من أحلام السيد صفدي الدعاوية الصهيونية .

وبينما كان الموقف السياسي يتدهور في لبنان ، تابع السيد صفدي في مقالاته مخادعة قرائه بشأن المعنى الحقيقي للاحداث ، طبقا للخط الاعلامي الصهيوني . ففي الثامن عشر من ايار ، وبعد استقالة حكومة رشيد الصلح ، قال صفدي ان « استقالة الصلح تبدو انتصارا سياسيا بارزا لحزب الكتائب الذي يقوده بيار الجميل ، الذي يعارض وجود منظمة التحرير الفلسطينية في بيروت ... وقيل ان نفوذ الجميل آخذ في الازدياد حيث ان القدرة القتالية للميليشيا التابعة لكتائب الجميل تمثل الان قوة مضادة خطيرة الشأن أمام منظمة التحرير الفلسطينية » . ومن الطبيعي ان الكاتب يغفل الاشارة اطلاقا الى ما ورد في كتاب استقالة حكومة الصلح من تحميل حزب الكتائب كامل المسئولية عن الاضطرابات التي شهدها لبنان . ويضيف صفدي مغايرا الحقيقة ، ان سقوط جميع حكومات سليمان فرنجية الخمس ، يعود الى « النزاع اللبناني مع منظمة التحرير الفلسطينية ».

ويتابع عنان صفدي ولعه المفرط بنشر الاكاذيب في ما تبقى من سلسلة مقالاته عن أحداث أيار . على ان هذه الاكاذيب لا تؤدي الى تقديم دعاوة هشة فحسب ، بل انها — وكما سنرى بعد قليل — مسؤولة عن خلق ارتباكات مهمة في بعض المعطيات . والمثال الجيد لهذا نجده في مقالة صفدي يوم الحادي والعشرين من أيار ، الذي كان اول تقرير يظهر في الجيروزاليم بوست بعد استئناف القتال في لبنان . وينسب صفدي الى «مسئول في شرطة بيروت» قوله: «ان قتال الشوارع الذي شهدته بيروت أمس أثارته منظمة التحرير الفلسطينية » . وبعد هذه « الفبركة » الرخيصة، نأتي الى ما هو أكثر طرافة . فان صفدي يقول في العبارة التالية مباشرة : « ان منظمة المخربين [منظمة التحرير الفلسطينية] تقاوم محاولة كتائبية — لبنانية لابعادها عن بيروت وغيرها من المناطق الاهلة بالسكان » . وهكذا فان الكاتب يتحدث عن الفلسطينيين في الفقرة نفسها مرتين ، مرة باعتبارهم أثاروا الاقتتال ، ومرة أخرى باعتبارهم يقاومون هجوما كتائبيا .

هذا التناقض النموذجي الصارخ ، هو النتيجة المنطقية للخط الدعاوي الصهيوني المتقلب فيما يخص كل مسألة المقاومة الفلسطينية في لبنان ، فان هذا الخط سيحمل في أحشائه تناقضه الذاتي ، اذ هو يسعى — من جهة — الى امتداح الكتائب لمخططاتها العدوانية ضد المقاومة الفلسطينية ، وفي الوقت نفسه يلقي بمسئولية الاضطرابات وأعمال العنف على المقاومة الفلسطينية بصورة مباشرة .

وينبغي ان نوضح في هذا المقام ان الجانب الاشد خطورة في الخط الاعلامي الصهيوني، والاكثر ايذاء فيما لو أتيح له اقناع الرأي العام الدولي ، هو التأكيد المستمر على ان الشعب اللبناني في مجموعه ينقلب على المقاومة الفلسطينية . هذه الفرية بالذات ، تمثل أهم ما في ترسانة الاعلام الصهيوني — الامبريالي في حال تنظيم حشد

شامل يسعى لتوجيه ضربة طاحنة للمقاومة في لبنان . ونظرا لخطورة هذه الكذبة ، فان عنان صفدي لم يمل تكرارها عدة مرات . وكما نذكر فلقد أشرنا في تقريرنا السابق الى ان الدعـاوة الصهيونية تقول هذا الامر **ضمنا وتلميحا** . لكنهم الان يقولونه بكل **صراحة ووضوح** . وكتب صفدي يقول في الموضوع الرئيسي على الصفحة الاولى من عدد الثالث والعشرين من أيار من **الجيروزاليم بوست** : « كانت منظمة التحرير الفلسطينية تناور خلال المجابهات السابقة باللعب على النزاعات الاسلامية ــ المسيحية . لكن يبدو ان الكتائبيين نجحوا هذه المرة بحشد اللبنانيين من مسـلمين ومسيحيين في **كتلة واحدة** ، وذلك بتنظيم قوة شبه عسكرية جيدة التدريب ، تتوقف عليها اعادة سيادة الدولة والاستقرار الداخلي » .

ويوضح صفدي في المقالة نفسها ان الكتائبيين هم الذين سعوا الى المجابهة ، وذلك حين يكتب انهم « يصعدون ضغطهم من أجل ازالة مختلف مؤسسات منظمة التحرير الفلسطينية من بيروت وغيرها من المناطق الاهلة ».

ونشرت **الجيروزاليم بوست** في الثالث والعشرين من **أيار** ، تقريرا مقتضبا حول تصريح لشـخص وصفته بأنه « أمين سر » الموارنة في اسرائيل ، أنيس عبود . ويقول التقرير ان عبود كان يعتزم مناشدة الولايات المتحدة وفرنسا بذل جهودهما لوقف سفك الدماء في لبنان حيث «يتعرض» اخوانه في الدين « للخطر » . وتمضي المقالة في مزاعمها فتدعي ان عبود قال « ان مسلمي لبنان يحاولون انتزاع السلطة في البلد » وذلك « من أجل تصعيد العمليات الارهابية ضد اسرائيل »، وان «المخربين المسلمين ، بدعم نشيط من سوريا ومصر ، أثاروا الاقتتال الحالي » . وان عبود قال ان اول رئيس لدولة اسرائيل حاييم وايزمان كان قد تعهد للبطريرك الماروني الاسبق انطون عريضه ، بان « الدولة اليهودية ستهب » عند قيامها ... الى « مساعدة الموارنة في لبنان اذا ما تعرضوا للخطر » . لكن المقالة لم تذكر ما اذا كان عبود يعتبر ان هذا هو الوقت الذي يتوجب فيه على اسرائيل ان «تساعد» موارنة لبنان « المتعرضين للخطر ».

كان نشر أقاويل عبود ، بلا ريب ، عملا خالصا من أعمال الشغب واثارة القلاقل ، ولم يكن له من غرض غير اثارة الاقتتال الطائفي الذي لطالما اتهم الصهيونيون المقاومة الفلسطينية بمحاولة اثارته واللجوء اليه . ومع ذلك فان أقاويل عبود حتى بالصيغة التي نشرت بها تناقض الطـرح الاساسي في الاعلام الصهيوني الذي يزعم ــ كما مر بنا ــ ان لبنان في مجمله قد انقلب عـلى الثورة الفلسطينية ، وان الثورة الفلسطينيـة حاولت اثارة الشقاق الطائفي لنيل الـدعم الاسلامي ، وانها أخفقت في ذلك .

ان الضعف الشديد الذي يلازم هذا الـخط الاعلامي الصهيوني الذي يقوم على كذبات صريحة ومتعمدة ، تكشّف بجلاء بعد تأليف الحـكومة العسكرية . وعندما هب المسلمون ، والمسيحيون المعتدلون ، وجميع القوى الوطنية والتقدمية هبة الرجل الواحد رفضا للحكومة العسكرية ، وجد الصهيونيون أنفسهم فجأة بلا خط اعلامي يصلح للطرح والاستعمال. ومنذ تأليف الحكومة العسكرية بدأ الصهيونيون بعرض النزاع كما يبدو في أعين جميع المراقبين : انه نزاع لبناني داخلي في أساسه ويتصل بالتوزيع غير المتكافىء للسلطة السياسية والاقتصادية . ولم يكن الفلسطينيون ــ بالقدر الذي اشتركوا به في الاحداث ــ سوى كبش محرقة لتصلب القوى الرجعية ، وأداة ملائمة لاطلاق الخوف والحقد الطائفي غير العقلانيين ، وذلك خدمة للمصالح الضيقة للكتائبيين وحلفائهم. وكما سيتبين لنا بعد قليل ، فلقد كانت هـذه الصورة للاحداث واضحة بجلاء حتى في تقـارير الصحافة الغربية عن الازمة اللبنانية خلال الفترة مدار البحث .

عند هذا الحد من تطور الازمة ، كان الموقف السياسي الموضوعي جليا بصورة كافية للمراقبين، الى حد انه حتى عنان صفدي (الذي كانت ردة فعله الاولية على الحكومة العسكرية ، هو التعبير عن الرأي القائـل انها مجرد تمهيد للانقضاض اللبناني النهائي والشامل على المقاومة الفلسطينية)، اضطر ــ صفدي هذا ــ الى ان يوقف أكاذيبه . ففيما يناقض كل « تحليلاته » السابقة المشحونة بالاكاذيب ، كتب صفدي في السادس والعشرين من أيار يتحدث عن « المعارضة المتصاعدة من جانب مختلف العنـاصر الاسلامية والقوى السياسية

اليسارية » للحكومة العسكرية ، ودعما للمقاومة الفلسطينية . وبدءا من هذا الوقت ، أصبحت مهمة صفدي تقتصر على مجرد تقديم تقارير تكتفي بنقل تطورات الوقائع والاحداث ، مع التخلي الكامل عن الخط الاعلامي الصهيوني كما وصفناه في تقريرنا هذا وفي تقرير الشهر الفائت .

لكن هذا لا يعني ان الصهيونيين لن يعودوا الى بعث واحياء ذلك الخط الاعلامي في المستقبل عندما تقتضي حاجتهم ذلك في المناسبة الملائمة . ان أي شكل من التدخل من قبل الصهيونيين او الامبرياليين في الشؤون الداخلية للاقطار العربية ، كما كان في الاردن عام ١٩٧٠ وكما يحتمل ان يكون في لبنان في المستقبل ، لا بد ان تسبقه وتمهد له ، وكذلك ترافقه ، مجموعة ملائمة و « مقبولة » من الحجج والذرائع . وان من مهمة الاعلام الصهيوني تدبير تلك الحجج والذرائع . ومع ذلك ، وكما تبين لنا بشأن أحداث أيار ، فان المدى الذي يمكن ان يصل اليه رجال الدعاوة الصهيونية في استخدامهم لمثل تلك الاراجيف الخداعة ، يبقى محدودا ومحصورا في اطار منجزات وبيانات القوى الوطنية والتقدمية في لبنان نفسه . وكلما اظهرت هذه القوى في بياناتها وتصريحاتها استعدادا أكبر للكفاح دفاعا عن المصالح الوطنية اللبنانية والتلاحم اللبناني ــ الفلسطيني ، كلما غدت مهمة الدعاويين الصهيونيين أكثر صعوبة ومشقة ، واصبحت مهمة الدوائر الصهيونية الحاكمة أشد تعقيدا ، مما يقلل كثيرا من احتمالات التدخل المكشوف في الاحداث اللبنانية الداخلية .

ملحوظة عن تقارير الصحافة الغربية بشأن أحداث مايو ــ ايار في لبنان

كشفنا في تقريرنا السابق عن بعض نواحي التحريف والتشويه ، سواء المتعمدة والمغرضة ، او الناتجة عن الجهل ونقص المعلومات ، في تقارير عدة مراسلين صحافيين غربيين خلال أحداث نيسان في لبنان . وأوضحنا أهمية اقامة علاقات واتصالات أوثق بين المراسلين الغربيين وبين المقاومة الفلسطينية ، كي لا تنفرد الدوائر الرجعية بتقديم وجهة نظرها وتفسيراتها للاحداث .

ولقد لاحظنا بعض التحسن في تغطية الصحافة الاجنبية للاحداث خلال شهر أيار ، وعلى الاقل بعد تأليف الحكومة العسكرية ، حين اتضحت الابعاد الحقيقية للازمة ، وأصبحت التخريجات الرجعية عاجزة عن الصمود . وهكذا فان تقارير **التايمز** اللندنية ، **والجارديان** اللندنية ، **والنيويورك تايمز** الامريكية ، وبرقيات وكالات الانباء **رويتر** و**الاسوشيتدبرس** و**يونايتدبرس** ، كانت في مجملها متوازنة وموضوعية بصورة عامة . حتى مراسل **الديلي تلجراف** البريطانية الرجعية قدم تقارير على جانب من المنطق والموضوعية . ولفت نظرنا ان **نيوزويك** المجلة الامريكية التي قدمت أسوأ نماذج التشويه في الشهر الماضي ، التزمت الان الصمت المطبق أمام أخطر ازمة يمر بها لبنان منذ العام ١٩٥٨ . ونشرت **لوموند** الفرنسية عدة مقالات بقلم مراسلها في بيروت ادوار صعب كانت معادية للفلسطينيين بصورة ماكرة وخبيثة . وادعى صعب غداة تأليف الحكومة العسكرية أن قطاعات واسعة من المجتمع اللبناني استقبلتها بالترحاب . وبعد ذلك كان استبدل ادوار صعب لفترة مؤقتة بمراسل آخر كان أقل تحيزا في تقاريره عن الازمة . ولقد نشرت مقالات في عدة صحف عن التطورات السياسية اللبنانية ، دلت بصورة جلية على اطلاع حسن على وجهة نظر الفلسطينيين والحركة التقدمية اللبنانية (على سبيل المثال أنظر **الجارديان** يوم الرابع والعشرين من أيار) ، وكذلك بعض المقالات الافتتاحية (مثلا **التايمز** اللندنية يوم الثامن والعشرين من ايار) . ولم يظهر الخط الدعاوي الصهيوني في أي مكان ، مثلما ظهر في بعض الانحاء خلال الشهر الماضي .

اعادة تقييم السياسة الامريكية في منطقة الشرق الاوسط و«الخط الاسرائيلي المتصلب»

سنتابع في تقرير هذا الشهر تحليل الموضوع الرئيسي الثاني الذي تناولناه في تقرير الشهر الماضي ، أعني به اعادة تقييم الولايات المتحدة لسياستها في منطقة الشرق الاوسط ، وردة الفعل الصهيونية . وكما لاحظنا في الشهر المنصرم ، فلقد كانت ردة الفعل الصهيونية حملة اعلامية واسعة وضارية ذات ابعاد شملت كل الولايات المتحدة . واستمرت هذه الحملة خلال أيار ، معطية تركيزا أدق وأوفى على الموضوعات الرئيسية . ولقد توجت الحملة بالرسالة المشهورة

التي بعث بها ستة وسبعون شيخا امريكيا الى الرئيس فورد يطالبون فيها بتأكيد أقوى الدعم الامريكي لاكثر المطالب الاسرائيلية تطرفا وتصلبا .

استخدمت الحملة الدعاوية الصهيونية التي سبقت ثم واكبت « رسالة الشيوخ » ، أنواعا شتى وأنماطا مختلفة من وسائط ووسائل الدعاوة، بما في ذلك الاعلانات في الصحف مثلما نشر في **نيويورك تايمز، ونيويورك بوست**، وكذلك الرسائل المحررة باليد ، والاخطر شأنا الخطب والزيارات من جانب العديد من الوزراء والمسؤولين الاسرائيليين ، والشخصيات الرسمية الامريكية الصهيونية . ولاحظت « **تايم** » الامريكية « انه كان يبدو في بعض الايام ان هناك عددا من المسؤولين الاسرائيليين في الولايات المتحدة أكثر مما في اسرائيل !! » .

قامت الحملة الدعاوية الصهيونية على اعادة تقييم السياسة الامريكية على عدة موضوعات أساسية . ورأينا في تقرير الشهر الماضي كيف ان المطلقين الصهيونيين بذلوا جهدهم لاقناع الجمهور الامريكي بأن أي تغيير للسياسة الامريكية تجاه اسرائيل سيكون مصدرا للخطر ، لانه سوف يشجع الاتحاد السوفياتي و « عملاءه » العرب على شن حرب جديدة . وهكذا فان الزعماء الاسرائيليين أكدوا للجميع ان اعادة التقييم ليست سوى حركة دبلوماسية صورية من جانب كيسينجر وفورد ، وهي حركة لم تجد أية مساندة حقيقية في أوساط الجمهور الامريكي ولا بين أعضاء الكونجرس . الا ان هذا اليقين والتأكيد من جانب اسرائيل أصبحا أقل قوة في خلال شهر أيار ، ربما خوفا من تنفير غير ضروري للادارة الامريكية ، ومع ذلك فان الناطقين الصهيونيين واصلوا تأكيدهم على ان اسرائيل سوف تصمد على « خطها المتصلب » في أية مفاوضات للتسوية السلمية مع الدول المجاورة . وتعزيزا لهذا الالتزام بالخط المتصلب ، استخدم الدعاويون الصهيونيون الطروحات التالية:

أولا : ان اسرائيل لم تكن متصلبة . فخلال جولات كيسينجر قدمت عروضا واقعية ملموسة قابلها الجانب المصري بالرفض . وان البوادر العربية كفتح مصر لقناة السويس ، والبيانات التوفيقية للملك حسين ، لا تقدم تنازلا حقيقيا من جانب العرب في اتجاه التسوية .

ثانيا : ليس في صالح الولايات المتحدة الامريكية الضغط على اسرائيل . بل ان من صميم المصالح الامريكية تقديم أقصى درجات الدعم والمساعدة لاسرائيل في هذا الوقت بالذات .

ثالثا : وتردي النقطة الثانية الآنف ذكرها أهمية خاصة على ضوء انهيار السياسة الامريكية في جنوب شرق آسيا ، ولذا فان من الضروري اظهار وقفة امريكية قوية بجانب اسرائيل كي لا تبدو الولايات المتحدة وكأنها تركت الشؤون العالمية للاتحاد السوفياتي .

النقطة الاولى تظهر على نطاق واسع في الصحافة الصهيونية والمساندة للصهيونية . ولقد ركزت عليها بقوة سلسلة من المقالات ظهرت في **الجويش أبزرفر** خلال أيار وأوائل حزيران . ان المقالة الافتتاحية التي نشرتها هذه الصحيفة يوم الثالث والعشرين من أيار ، تحاول التأكيد على ان التصلب كان في الجانب العربي ، وان اسرائيل كانت مرنة : « كانت اسرائيل خلال جولات كيسينجر الاخيرة على استعداد لان تقدم عمليا كل شيء ، في مقابل بيان بانهاء حالة الحرب . وفيما يتعلق بالفلسطينيين ، أكدت اسرائيل مرارا ان مسألة طبيعة وتكوين الدولة في **الضفة الشرقية** من نهر الاردن هما من اختصاص العرب أنفسهم ليتخذوا ما يناسبهم من قرارات وليس من اختصاص اسرائيل . انما هل العرب مستعدون لدفع الثمن السياسي الذي تطالب به اسرائيل عن حق ؟ ان القادة العرب لم يعبروا عن هذا الاستعداد في أي من بياناتهم العلنية التي أذاعوها في الاسابيع الاخيرة » .

وتكرر هذا الطرح عن المرونة الاسرائيلية والتصلب المصري مرة اخرى بعد اسبوعين في افتتاحية رئيسية أخرى ، في أعقاب اعلان اسرائيل تخفيض قواتها على امتداد قناة السويس . لقد اغتنم محررو **الجويش ابزرفر** الجو العالمي المؤاتي ارتياحا للخطوة الاسرائيلية ، ليميدوا « الدق » على النقطة اياها في افتتاحية السادس من حزيران : « انه لمن الضروري على أي حال التأكيد على ان معظم « التنازلات » التي قدمها السادات بكثير من الجعجعة والطنطنة لم تتمخض سوى

عن النزر اليسير على صعيد التطبيق العملي ، لكنه نجح في خلق انطباع في أذهان غير المطلعين على هذه المسائل بصورة كافية ، بأن مصر كانت الطرف الليّن في النزاع ، وان اسرائيل كانت الطرف المتشدد » .

ان جميع هذه المقالات تتجاهل بالطبع ان اسرائيل هي التي تحتل الاراضي ، وان عليها ان تقدم تنازلات في القضايا المهمة الاخرى المتعلقة بالجولان والضفة الغربية وشرم الشيخ ، كما تتجاهل على الدوام لماذا يتوجب على أي بلد عربي ان يقبل اقامة أي نوع من السلام مع اسرائيل في ظل هذه الشروط والظروف .

ويتكرر هذا الخط الاعلامي حول المرونة الاسرائيلية والتصلب العربي في كل مكان خلال هذه الفترة . فحتى بيانات الملك حسين التي أدلى بها بأسم الدول العربية خلال زيارته للولايات المتحدة ، والتي أظهر فيها الاستعداد للاعتراف باسرائيل مقابل انسحابها الكامل من جميع الاراضي العربية المحتلة وتحقيق « حقوق الفلسطينيين » ، رفضها المعلقون الصهيونيون ، واعتبروها مجرد « كلام منمق » . كان هذا بالضبط تعليق **النيويورك تايمز** على تصريحات الملك حسين ، الذي نشرته يوم الرابع والعشرين من أيار . فلقد دافعت في هذه الافتتاحية عن « تشكك » اسرائيل بنوايا الزعماء العرب ، وأصرت على ضرورة ان يحددوا بصورة دقيقة مفهومهم للسلام مع اسرائيل : « ان هذه التصريحات ملأى بالغموض والمواربة ، واذا كان الزعماء العرب راغبين في ان يجعلوا نغمتهم التوفيقية الجديدة قابلة للتصديق ، فما عليهم الا ان يقدموا تحديدات أكثر دقة بشأن طبيعة الترتيبات المستقبلية التي يرتأونها للتعايش بين الفلسطينيين والاسرائيليين » .

والموضوع الرئيسي الثاني في الحملة الدعاوية الاسرائيلية ــ القائل ان المصالح الامريكية تقضي بتقديم دعم تام لاسرائيل في موقعها التفاوضي ــ لاقى تعبيرات واسعة النطاق كذلك . ويتصل بهذا الموضوع بصورة وثيقة الموضوع الثالث ايضا القائل انه بعد فيتنام ، أصبحت اسرائيل « حالة الاختبار» النموذجية لاظهار عزيمة وتصميم الولايات المتحدة في الشؤون العالمية . ومن الجلي ان هذا الموضوع هو محاولة صريحة للعب على مخاوف الامريكيين من ان تصبح النظرة اليهم بعد هزيمتهم المميتة على أيدي شعوب الهند الصينية ، انهم « نمر من ورق » . وتجسد هذا الخط في كتابات الصهيونيين وأنصارهم على السواء .

ومن هذا القبيل ، ان **الديلي تلجراف** الصحيفة اللندنية الرجعية ، نشرت بعد أقل من أسبوع على الهزيمة الامريكية في سايغون ، ان « الاسرائيليين يميلون الى الشعور بأن احدى تأثيرات انهيار فيتنام ، جعل الولايات المتحدة تقف بكل صلابة الى جانب اسرائيل ... واذا ارادت الولايات المتحدة ، بدءا من الرئيس ومرورا بالكونجرس وانتهاء بالشعب ، اظهار عدم خوفها ، فانه لا توجد قضية أكثر قبولا او شعبية من قضية اسرائيل » .

وفي **الجويش أبزرفر** ظهرت مقالة كتبها عضو هيئة التحرير « بن آزي » في الثاني من ايار ، تكرر الفكرة ذاتها : « اسرائيل ليست فيتنام . واكثر من ذلك فان مجرد كون الولايات المتحدة قد واجهت الاذلال في الهند الصينية ، يجب ان يكون حافزا يدفعها الى التصميم على عدم الخضوع في المجابهة التالية » .

ويمضي آزي الى الاعراب عن اعتقاده بأن اسرائيل هي بالنسبة لاميركا « الحليف الوحيد الصادق والثابت » . وظهرت الاقوال نفسها في مقالات كثيرة أخرى ، من أبرزها ما كتبته **الاكونومست البريطانية** الاسبوعية الموضوعية في العادة .

بعد هزائم الولايات المتحدة في الهند الصينية ، أصبح موضوع اسرائيل المفضل هو الحديث عن دور اسرائيل الذي لا يقدر بثمن ، باعتبارها حليفا قويا وحيويا للمصالح الامريكية في منطقة الشرق الاوسط . وكما سنرى بعد قليل فان هذه الفكرة عنصر أساسي في المنطق الذي تقوم عليه رسالة الشيوخ الستة والسبعين . على ان هناك نموذجا ليس اعتياديا للحجج الاسرائيلية نجده في مقالة **الجيروزاليم بوست** يوم الخامس من أيار ، بقلم مناحيم سافيدور ، زعيم حزب الاحرار الاسرائيلي. فبعد ان يبين سافيدور « ضآلة » ما أنفقته الولايات المتحدة على اسرائيل ، بالقياس الى ما

أنفقته في الهند الصينية وغيرها من المناطق في العالم ، يقول ان اسرائيل تخدم دورها باعتبارها « حصن استراتيجي ضد التوسعية السوفياتية » في الخليج « الفارسي » ، وانها تمثل موازن « للكتلة العربية » ، و « مخفر امامي حيوي مواصلاتي ازاء الاحتمالات المستقبلية الطارئة » . وينتهي الى الفكرة ذاتها : « اسرائيل هي الحليف الاوثق — ان لم يكن الوحيد — للولايات المتحدة ، وتمثل الموقع الاستراتيجي القوي والاشد أهمية في منطقة الشرق الاوسط الشديدة الحساسية ، ذلك كله مقابل أقل الاعباء على دافع الضرائب الاميركي ، ودون تقديم أية تضحيات من جانب الارواح الامريكية » .

ومع ان هذه الفكرة — لسوء الحظ — غير صحيحة ، الا ان قطاعات واسعة من الجمهور الامريكي مقتنعة فعلا بأن اسرائيل تمثل « صفقة » طيبة للولايات المتحدة .

هذا الخط الدعاوي الصهيوني هو ذاته العنصر الحيوي في رسالة الشيوخ الامريكيين الستة والسبعين الى الرئيس فورد . ومن الواضح ان القصد من هذه الرسالة كان توجيه **ضربة قاضية** لسياسة اعادة تقييم الموقف الامريكي في الشرق الاوسط . ونجد في الرسالة الموضوعات اياها التي يطرحها الاعلام الصهيوني في كل مجال ، في خضم حملته الدعاوية الراهنة . ويقول مراسل **الجويش كرونيكل** في القدس عن الرسالة يوم الثلاثين من أيار ، انها « ملأت الاسرائيليين غبطة ». ولا حاجة بنا للبحث عن السبب طبعا . فلقد حذرت الرسالة من « مخاطر » تعليق الامدادات العسكرية الامريكية الى اسرائيل ، لان هذا سوف « يثني العرب » عن اعتدالهم ، ويشجعهم على اشعال الحرب . وتضيف الرسالة : « اننا لنؤمن بأن اسرائيل القوية تشكل الحاجز الجدير بأن يعول عليه لمنع هيمنة الاطراف الخارجية على المنطقة . واذا أخذنا في اعتبارنا السيل الهائل من الاسلحة السوفياتية التي تتدفق على الدول العربية ، فان من المحتم ان نسعى لعدم السماح لميزان القوى بأن يميل ضد اسرائيل » .

هذه هي الحجج نفسها التي نجدها في تعليقات جميع الصحف الصهيونية والمساندة للصهيونية .

وان تعليقات الناطقين بلسان الشيوخ موقعي الرسالة ، تقدم تأكيدا آخر لثباتهم على الخط الصهيوني .

ومن هذا القبيل ، ان الشيخ همفري ، النائب السابق لرئيس الجمهورية ، أبلغ مؤتمرا صحافيا ان « اعادة التقييم لا تعني التراجع » . وتحدث شيخ آخر باسم الموقعين ، هو الشيخ بيرت بايه ، قائلا انهم شعروا « بأهمية ان يعلنوا للعالم أجمع ، غداة هزيمة الولايات المتحدة في فيتنام وكمبوديا ، ان الالتزام الامريكي باسرائيل بقي ثابتا ووطيدا » (أنظر **الجارديان** عدد الثالث والعشرين من أيار).

لقد كان هذا التعبير القوي من الدعم الامريكي لاسرائيل ، أفضل براءة وأقوى تبرير يعطيان لسياسة حكومة رابين القائمة على تجاهل الضغوط الامريكية . ومن وجهة النظر الدعاوية ، أتاحت الرسالة للاسرائيليين ان يتمسكوا بمنتهى السهولة بأقصى مطالبهم ومواقفهم تطرفا ، وان يبرروا خطهم المتصلب وعنادهم بالاستناد الى رسالة الشيوخ . وفي اوائل يونيو — حزيران ، أصبح التصلب الاسرائيلي **حقيقة** مسلما بها صراحة . وفي أول هذا الشهر (حزيران) اجرت **الابزرفر** البريطانية مقابلة مطولة مع رئيس وزراء اسرائيل يتسحاق رابين ، دافع فيها بجلاء تام عن خطه المتصلب ، وأوضح كليا انه لن تكون هناك أية « تنازلات » اضافية من اسرائيل ، ما لم تتراجع مصر عن الموقف الذي اتخذته اثناء مهمة كيسينجر الاخيرة » .

وتؤكد مقالة نشرت في **التايمز** اللندنية يوم السابع والعشرين من أيار ، بقلم مراسل الصحيفة في القدس ، ان الاسرائيليين جعلوا التشدد عنصرا صريحا في خطهم الدعاوي . وبعد ان يسجل الكاتب ان اسرائيل الان أقل رغبة في المساومة مما كانت عليه قبل شهرين، يضيف ان « المستر رابين تلقى جرعة كافية من الجرأة من رسالة الشيوخ ، جعلته يتجاهل استياء البيت الابيض ، ويلتصق بخطه المتصلب » . وبكلمات أخرى يمكن القول ان اسرائيل سوف تعترف ابتداء من الان بأنها متصلبة ، وسوف تباهي بهذا التصلب كذلك .

ادريس الخالدي

[٢]

التطورات على جبهة النفط

شهدت الفترة الاخيرة مجموعة من التطورات الهامة على صعيد الجبهة النفطية. ويمكننا تلخيصها بالاحداث التالية :

اجتماع منظمة الدول العربية المصدرة للنفط : عقد وزراء نفط الدول التابعة لمنظمة الدول العربية المصدرة للنفط اجتماعا في الكويت بتاريخ ٣ — ٤ ايار (مايو) (المملكة العربية السعودية ، العراق ، الكويت ، ليبيا ، دولة الامارات العربية المتحدة ، مصر ، سوريا ، قطر ، البحرين) قرروا فيه انشاء الشركة العربية للخدمات البترولية التي سيكون مقرها في ليبيا وسيكون رأسمالها الاسمي ١٠٠ مليون دينار ليبي (٣٣٨ مليون دولار) ورأسمالها المكتتب ١٥ مليون دينار ليبي (٥٠٫٧ مليون دولار) يسهم فيه جميع الدول الاعضاء بصورة متساوية . وستقوم هذه الشركة بانشاء فروع لها في البلدان الاعضاء تأخذ شكل مشاريع مشتركة مع شركات دولية متخصصة في كل ميدان من ميادين الخدمات البترولية المختلفة مثل المسح الجيوفيزيقي وصيانة آبار البترول وهندسة التخزين ، الخ . وستتمتع هذه الشركة بالامتيازات نفسها التي تتمتع بها الشركات الوطنية في كل واحد من هذه البلدان . بالاضافة الى ذلك اتخذ المؤتمر القرارات التالية :

(١) استمرار الدول الاعضاء في المنظمة بتقديم القروض الخاصة (خلال ١٩٧٥) الى البلدان العربية المحتاجة والمستوردة للنفط استنادا الى المخصصات المقررة لعام ١٩٧٤ (٨٠ مليون دولار). وتجدر الاشارة الى انه جرى خلال ١٩٧٤ تخصيص مبلغ ٨٠ مليون دولار تقدمت به سبعة من الدول الاعضاء (باستثناء مصر وسوريا والبحرين) وتم توزيعه على ست بلدان هي موريتانيا : ٤٫٧ ملايين دولار ، السودان : ٣٧٫٣ مليون دولار ، الصومال : ٧٫٣ ملايين دولار ، الجمهورية العربية اليمنية : ١١ مليون دولار ، جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية : ١١٫٣ مليون دولار ، المغرب : ٨٫٢ ملايين دولار . وتقدم هذه القروض بدون أية فائدة وتسدد بالتقسيط على مدى عشر سنوات بعد مرور فترة سماح مدتها عشر سنوات ايضا . وتقدم هذه الاموال الى الدول المعنية عبر الصندوق العربي للتنمية الاقتصادية والاجتماعية . وخلال ١٩٧٥ سيجري استخدام المعايير ذاتها في توزيع هذه الاموال الا ان الحصص المخصصة لكل بلد قد تختلف بعض الشيء عن السنة الماضية .

(٢) فوض المؤتمر الامين العام للمنظمة دراسة مشروع لانشاء مؤسسة عربية للطاقة وذلك استنادا الى تقرير تقدم به بعض الخبراء حول المصادر البديلة للطاقة وافضل السبل للاستفادة من استخدام البترول الى اقصى حد .

(٣) أحال المؤتمر الى أمانة السر والسلطات المختصة في البلدان الاعضاء مسألة وضع وحدة نقدية تستخدم في تقييم الاستثمارات وحسابها في المشاريع المشتركة التي تقدم عليها بلدان المنظمة . اذ يتطلب هذا الموضوع مزيدا من الدروس على ما يبدو . ولا بد من الاشارة الى ان الوحدة النقدية المذكورة لا علاقة لها على الاطلاق بأسعار البترول او المدفوعات المتعلقة به .

(٤) قرر المؤتمر انشاء ثلاثة معاهد بحرية في جدة والدوحة والبصرة .

(٥) أعطى المؤتمر التوجيهات اللازمة الى الحوض العربي لبناء السفن وصيانتها من أجل مشروع انشاء حوض جاف في الجزء العربي من منطقة البحر الابيض المتوسط .

وقد حاول بعض أعضاء المنظمة ادراج موضوع ضبط انتاج البترول على جدول أعمال المؤتمر الا ان المملكة العربية السعودية عارضت بشدة واحبطت المحاولة .

الحوار العربي — الاوروبي واتفاق اسرائيل مع السوق الاوروبية المشتركة : وقعت اسرائيل في ايار ١٩٧٥ اتفاقا يتناول التجارة والتعاون مع السوق الاوروبية المشتركة . وكان لهذا الحدث بعض التأثيرات السلبية في العالم العربي وخاصة

بالنسبة لمستقبل الحوار العربي — الاوروبي المزمع اجراؤه منذ فترة . وتجدر الاشارة هنا الى ان فكرة الحوار العربي — الاوروبي كانت تتعثر وتلاقي بعض المصاعب حتى قبل توقيع الاتفاق مع اسرائيل . فقد تأجل الاجتماع الاول لمدة أشهر بسبب الخلاف على مسألة تمثيل الفلسطينيين في الحوار . فقد طالبت الدول العربية بادىء الامر ان يتمثل الفلسطينيون بوفد مستقل في حين رفضت دول السوق الاوروبية هذا الاقتراح . وتوصل الطرفان الى حل وسط بحيث يتمثل الفلسطينيون كجزء من الوفد العربي الموسع الذي سيحاور وفدا اوروبيا موحدا . وقد وافقت منظمة التحرير على هذا الترتيب لتسهيل مهمات الحوار . ومن ناحية اخرى ترك انهيار الاجتماع التحضيري بين الدول المنتجة للنفط والدول المستهلكة — الذي انعقد في باريس في شهر نيسان المنصرم — تأثيرا سلبيا على مستقبل الحوار العربي — الاوروبي . فقد صرح السفير الجزائري في بروكسل ورئيس وفد بلاده في محادثات باريس (في مؤتمر صحافي عقد في ٢٣ نيسان) ان الموقف الذي اتخذته دول السوق المشتركة في اجتماع باريس يتناقض بصورة أساسية مع وجهة نظر الدول المنتجة . وحذر الدول الاوروبية بأن ما جرى في اجتماع باريس لا بد وان يترك آثاره السلبية في وقت يجري فيه الكلام عن الحوار العربي — الاوروبي وعن رغبة العرب اعطاء اوروبا مركزا ممتازا في تعاملهم مع بقية الدول .

وكان هناك دوما مصدر آخر للتوتر بين دول السوق الاوروبية المشتركة والعرب وهو موضوع المقاطعة العربية لاسرائيل . وقد اثيرت هذه المسألة خلال المفاوضات التي جرت في ٢٤ — ٢٦ اذار بين دول السوق الاوروبية المشتركة ودول افريقيا الشمالية (الجزائر وتونس والمغرب) من أجل عقد صفقات تجارية جديدة واتفاقات تعاون . وقد ذكرت المصادر الصحافية الجزائرية يومها ان وفد السوق الاوروبية طالب بتعهد من البلدان الافريقية الشمالية الثلاثة بعدم تطبيق أي من اجراءات المقاطعة على الشركات التي يكون مقرها دول السوق الاوروبية المشتركة حتى لو خرقت هذه الشركات قوانين المقاطعة . وبطبيعة الحال رفضت الدول العربية المعنية هذا الشرط الاوروبي رفضا باتا ونهائيا مما أدى الى فشل المفاوضات بين الطرفين .

لقد وقعت الدول الاوروبية المعنية الاتفاق المذكور مع اسرائيل على الرغم من التهديد الذي أطلقته دول الجامعة العربية بأن على اوروبا ان تتحمل النتائج المترتبة على جعل اسرائيل اول شريك في السوق ضمن اطار سياسة السوق الجديدة الرامية الى عقد اتفاقات افضلية مع بلدان البحر الابيض المتوسط . لذلك كانت ردود الفعل العربية على الخطوة الاوروبية شديدة اول الامر .

جاء اول رد فعل عربي من الجزائر حيث بعثت الحكومة بمذكرة عاجلة الى الامانة العامة للجامعة العربية تطالب فيها بتعليق الحوار مع الدول الاوروبية (الذي كان سيبدأ في ١٠ حزيران ١٩٧٥) وتشدد على ضرورة تبني موقف عربي مشترك حول هذه المسألة . وقد جرى توزيع المذكرة على الدول الاعضاء في الجامعة العربية وتمت الدعوة لعقد اجتماع لخبراء الجامعة في ٢٠ ايار لمناقشة النتائج المترتبة على الاتفاق الاسرائيلي — الاوروبي بالنسبة للحوار العربي مع دول السوق المشتركة .

وفي ١٢ ايار اوضح القائم بأعمال السفارة الجزائرية في القاهرة موقف بلاده بقوله ان السوق الاوروبية عقدت اتفاقا تجاريا مع اسرائيل يعتبر تأييدا لاستمرارها في احتلال الاراضي العربية وذلك في وقت تعمل فيه الدول العربية على اعادة الحوار العربي — الاوروبي وتبذل كل جهد ممكن لانجاحه خدمة لمصالح الطرفين . واضاف القائم بالاعمال قائلا ان الخطوة الاوروبية تتطلب موقفا عربيا مشتركا لمواجهة الوضع الناجم عنها . وفي اليوم نفسه علقت صحيفة « المجاهد » الجزائرية على الموضوع بقولها ان اوروبا أعلنت بوضوح عن دعمها للحكومة الاسرائيلية لان الاتفاقية تقدم مساعدات مالية جديدة الى الاقتصاد الاسرائيلي الذي هزته الحرب . وذكرت « المجاهد » ان هذه الخطوة تقدم للحكومة الاسرائيلية تسهيلات واسعة تخفف من المشكلات المالية التي تعانيها وتسمح لها بالاندفاع قدما في مخططاتها العسكرية . كما أن السوق الاوروبية هددت بعملها احتمالات البدء

بالحوار العربي ـ الاوروبي مما سيكون له تأثيره على الجهود العربية لتخطي العقبات التي تعترض هذا الحوار .

أيدت منظمة التحرير الفلسطينية الاقتراح الجزائري وطالبت الدول العربية باتخاذ موقف قوي ردا على الموقف الاوروبي المعادي . ووصفت منظمة التحرير الاتفاقية بين اسرائيل والسوق الاوروبية المشتركة بأنها ضربة موجهة الى اهداف الحوار العربي ـ الاوروبي ، خاصة وان اية مساعدة مالية او اقتصادية تقدمها الدول العربية الى السوق الاوروبية ستكون عمليا نوعا من تقديم المساعدة غير المباشرة الى الاقتصاد الاسرائيلي .

وفي ١٣ أيار صرح وزير خارجية سوريا في بون ـ حيث كان في زيارة رسمية ـ ان من شأن الاتفاقية الاسرائيلية ـ الاوروبية دفع اسرائيل الى مواقف أكثر تصلبا مما يعني انه اما ان يجري تعليق هذه الاتفاقية او التعويض على الدول العربية المعنية بسبب الخسائر التي تكبدتها . وفي اليوم التالي طالبت صحيفة « الثورة » السورية الدول العربية بفرض المقاطعة الاقتصادية على السوق الاوروبية المشتركة بسبب الاتفاقية الجديدة مع اسرائيل . كما طالبت بسحب الارصدة العربية من بلدان السوق كرد على ما جرى مؤكدة ان اوروبا ستكتشف قريبا بأن محاولة اغراء الدول العربية باتفاقات مشابهة لن تجدي .

اما في الكويت فقد صرح ناطق بلسان وزارة الخارجية (صحيفة « الرأي العام » ، ١٢ ايار) قائلا بأن توقيع الاتفاقية الاسرائيلية ـ الاوروبية يضع عائقا في طريق استمرار التعاون العربي ـ الاوروبي ويمنع الوصول الى مقدار اكبر من التفاهم بين الطرفين حول القضايا المطلوب مناقشتها بينهما .

وفي مصر ذكرت « الاهرام » في ١٣ ايار بأنه يصعب على الانسان ، بعد مثل هذه الخطوة ، ان يصدق بأن تكون السوق الاوروبية المشتركة جادة في رغبتها باحياء الحوار العربي ـ الاوروبي بعد الاشهر التي مرت بدون ان يحقق هذا الحوار اي تقدم خاصة وان هدف هذا الحوار ليس خدمة المصالح العربية فقط وهو ليس هبة اوروبية بل يهدف الى خدمة المصالح الاوروبية الحيوية كذلك .

اذ بامكان الدول العربية ان تستغني عن هذا الحوار باعتباره لا يشكل ضرورة حيوية بالنسبة لها في حين ليس بامكان الاطراف الاخرى تجاهل البلدان التي تسيطر على مصادر الطاقة .

في ٢٠ ـ ٢١ أيار عقد ممثلو الدول العربية اجتماعا في القاهرة ولكنهم لم يتمكنوا من التوصل الى قرار نهائي حول المباشرة بالمحادثات مع دول السوق الاوروبية أم لا . واحيلت المسألة الى لجنة فرعية مؤلفة من ممثلي ١٠ دول هي الاردن ومصر وسوريا وتونس والكويت والمملكة العربية السعودية والجزائر والمغرب وفلسطين ودولة الامارات العربية المتحدة وذلك بهدف اجراء المزيد من الدراسة . وفي هذه الاثناء أعلنت الحكومة الليبية قرارها بمقاطعة الاجتماعات المزمع عقدها في القاهرة في ١٠ حزيران بين الدول العربية ودول السوق الاوروبية المشتركة . وواضح ان الموقف الليبي جاء احتجاجا على توقيع الاتفاقية بين اسرائيل ودول السوق .

على الجانب الآخر جاء ممثلان عن السوق الاوروبية الى القاهرة في الاسبوع الثاني من شهر أيار لايضاح وجهة نظر الدول الاعضاء حول الاتفاقية مع اسرائيل . بالاضافة الى ذلك قام السيد جاريت فيتزجيرالد ، رئيس مجلس وزراء السوق الاوروبية المشتركة ، بجولة شملت الاردن ولبنان وسوريا ومصر للهدف ذاته .

وفي ٢٦ أيار أعلن رئيس وزراء مصر بأن حكومته تلقت ايضاحات مقنعة وضمانات كافية بالنسبة لاتفاقية التجارة والتعاون بين السوق الاوروبية واسرائيل . جاء هذا الكلام امام مجلس الشعب حيث أعلن ممدوح سالم بأن الحوار العربي ـ الاوروبي سيبدأ الان . ومن ناحية أخرى اجتمع جاريت فيتزجيرالد الى محمود رياض ، أمين عام الجامعة العربية ، في القاهرة في ٢٤ ايار . وصرح رياض بعد الاجتماع بأنه شرح وجهة النظر العربية الى السيد فيتزجيرالد وطالب دول السوق الاوروبية بالعمل على تنفيذ بيانها الصادر في ٦ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٣ الذي يدعو اسرائيل الى الانسحاب من الاراضي العربية المحتلة والاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني . كما ذكر ان السيد فيتزجيرالد قدم ايضاحات حول الاتفاقية

مع اسرائيل ووعد بدراسة الملاحظات العربية بهذا الشأن .

في ١٠ حزيران بدأ الحوار المنتظر مع دول السوق الاوروبية المشتركة في القاهرة في مقر جامعة الدول العربية . ترأس الوفد العربي السيد نجم الدين الدجاني — سفير الاردن في المانيا الغربية — باعتبار ان الاردن هو حاليا رئيس مجلس الجامعة العربية . وضم الوفد ممثلين عن كافة الدول العربية بالاضافة الى منظمة التحرير الفلسطينية باستثناء ليبيا . وترأس الوفد الاوروبي ، الذي ضم ممثلين عن الدول الاعضاء التسعة في السوق ، السيد ايمون جالاجاهر ، مساعد الامين العام لوزارة الخارجية الايرلندية .

افتتح الحوار السيد محمود رياض بخطاب حث فيه الجانب الاوروبي على التقيد بالمبادىء التي انطوى عليها بيان دول السوق الصادر في ٦ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٣ ، كما عبر عن أمله بأن يعمل الخبراء العرب والاوروبيون لتحقيق التعاون الاقتصادي والتقني بين السوق الاوروبية والدول العربية ، وبأن يؤدي الحوار الى علاقات جديدة بين الطرفين تخدم مصالحهما المتبادلة . وتكلم ايضا في الجلسة الافتتاحية رئيس الوفد العربي حيث أشار الى ان الاتفاق الذي عقد بين دول السوق واسرائيل في ١١ أيار لا ينسجم مع المبادىء التي انطوى عليها بيان دول السوق المذكور سابقا . كما عبر عن أمله هو ايضا بأن يشكل الحوار مدخلا الى حقبة جديدة من التعاون الشامل بين الدول العربية والسوق الاوروبية . على اثر ذلك حدد رئيس الوفد العربي النقاط العشر التي يرجو الجانب العربي ان تكون اساس الحوار ، وهي :

(١) الوصول الى اتفاقية شاملة هدفها التنمية السريعة للدول العربية بدون التأثير على أية اتفاقات قائمة (ثنائية كانت ام متعددة الاطراف) بين أي بلد من البلدان العربية ودول السوق الاوروبية المشتركة .

(٢) تثبيت التعاون بين الطرفين على أسس من المساواة وتعزيز العلاقات بناء على المصالح المشتركة واحترام سيادة كل دولة على مواردها الطبيعية .

(٣) تنمية القطاع الصناعي العربي وتنويع مصادر دخله وتنمية الصناعات الاساسية والوسيطة فيه وزيادة تصنيع المواد الاولية المتوفرة للاستهلاك المحلي وللتصدير .

(٤) تطوير المنتجات الزراعية والحيوانية والغذائية في الدول العربية ، خاصة وان امكانات هذه الدول في الميادين المذكورة واسعة . وهذا يعني البحث عن الطرق والاساليب المناسبة لتحقيق هذا الهدف وتحديد طبيعة المشاركة الاوروبية في هذا القطاع .

(٥) تقديم تسهيلات تجارية وجمركية خاصة للمنتجات الزراعية والصناعية العربية لضمان وضعها التنافسي المناسب في الاسواق الاوروبية .

(٦) تقديم الضمانات والتسهيلات الكافية للاستثمارات العربية في الدول الاعضاء في السوق الاوروبية .

(٧) الاستفادة من الخبرة الاوروبية في الاعمال المصرفية والمالية لتنمية الاسواق المالية العربية .

(٨) جمع الرأسمال العربي والاوروبي بالتكنولوجيا المتقدمة في مشاريع يجري تنفيذها في الدول العربية .

(٩) ضمان معاملة العمال العرب في دول السوق على قدم من المساواة مع العمال الاوروبيين بالنسبة للضمان الاجتماعي والتعليم ومستوى المعيشة وغيرها من التسهيلات والحقوق الاساسية .

(١٠) زيادة التبادل الثقافي بين الدول العربية والدول الاعضاء في السوق .

وقد تم الاتفاق على ان يجري الحوار على ثلاث مراحل . تكون المرحلة الاولى على مستوى الخبراء ، والمرحلة الثانية على مستوى الهيئة العامة للمتحاورين ، والمرحلة الثالثة على مستوى وزراء الخارجية .

وعلى اثر انتهاء الاجتماعات في ١٤ حزيران صدر بيان مشترك حدد اهداف الحوار في ميادين الزراعة والتنمية الريفية والتصنيع والتعاون المالي والتجارة والتعاون العلمي والتكنولوجي والتبادل الثقافي والاجتماعي والعمالي . أي تبنى البيان المشترك بصورة عامة النقاط التي حددها رئيس الوفد العربي في خطابه . كما ذكر البيان ان

الجانبين وافقا على عقد اجتماعات للخبراء بصفة دورية في احدى المدن الاوروبية في شهر تموز (يوليو) المقبل . وصرح الدكتور الدجاني بأن المؤتمر اعد مذكرة مشتركة تضمنت الاطار السياسي العام لفكرة الحوار العربي — الاوروبي مشددا على ضرورة التمسك ببيان ٦ تشرين الثاني (نوفمبر) لعام ١٩٧٣ . وصرح الامين العام للجامعة العربية قائلا بأن الإجتماعات كانت ايجابية وبناءة وتم خلالها الوصول الى أهداف واضحة ومحددة ووضع الخطوط العريضة للتعاون بين الطرفين . اما رئيس الوفد الاوروبي فقد ذكر ان الاجتماعات كانت ناجحة ومفيدة خاصة وانها اول اجتماعات من نوعها .

الحوار بين الدول المنتجة للنفط والمستهلكة له :

عاد الدكتور كيسينجر الى اعادة فتح ملف الحوار الاقتصادي بين الدول المنتجة للبترول والمواد الخام الاخرى (دول العالم الثالث) والدول الصناعية المستهلكة . جاء ذلك في خطابين ألقاهما في باريس في ٢٧ و٢٨ أيار (مايو) وبعد أن انقطع الحوار عند انهيار المؤتمر التحضيري الذي انعقد في باريس في نيسان المنصرم*. ألقى كيسينجر خطابه الاول أمام مؤتمر وكالة الطاقة الدولية (المؤلفة من ١٨ دولة صناعية) حيث قال ان الولايات المتحدة على استعداد للعودة الى عقد مؤتمر باريس المذكور على الاسس السابقة ذاتها على ان يجري انشاء ثلاث لجان تتناول قضايا : (أ) الطاقة ، (ب) المواد الاولية والبترول ، (ج) مشكلات البلدان المتأثرة أكثر من غيرها (في العالم الثالث) نتيجة ارتفاع أسعار البترول . وألقى خطابه الثاني أمام اجتماع وزراء منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية حيث طرح اقتراحات محددة للتعاون الدولي في أربعة ميادين هي الغذاء والمواد الاولية والتجارة والتمويل .

ويمكننا ان نقول ، من خلال معرفتنا بأسباب انهيار مؤتمر باريس بين الدول المنتجة للمواد الخام والمستهلكة لها ، بأن مقترحات كيسينجر الجديدة (فكرة اللجان الثلاث) لن تكون كافية لانجاح المؤتمر ان هو عاد الى الانعقاد أصلا . وهذا واضح من النقد الفوري الذي وجهته الجزائر لمقترحات الوزير الامريكي ومعروف ان الجزائر تتزعم طموح دول العالم الثالث لاعادة ترتيب النظام الاقتصادي العالمي بما يضمن مصالحه بصورة أفضل . وواضح من اقتراحات كيسينجر ان الخط الامريكي المتصلب حول معظم القضايا المطروحة في ميادين الطاقة والاقتصاد والتمويل ما زال على حاله باستثناء بعض الليونة (الشكلية طبعا) ازاء الدول المنتجة للنفط .

ونذكر القارىء هنا أن مصدر فشل مؤتمر باريس المذكور كان اصرار جبهة العالم الثالث على جدول اعمال يتناول مجموع المشكلات الاقتصادية العالمية وبخاصة الطاقة والمواد الاولية واصلاح نظام النقد العالمي وحماية القوة الشرائية للعائدات التي تحصل عليها الدول النامية (مما قد يعني ربط اسعار مصادر الطاقة وبعض المواد الاولية بمعدل التضخم العالمي) . أصر ممثلو العالم الثالث على مناقشة كل هذه القضايا باعتبارها متساوية من حيث أهميتها وخطورتها ، في حين أصر الطرف الاوروبي — الامريكي على اعطاء مشكلة الطاقة (البترول بصورة رئيسية) موقع الصدارة واعتبارها مقدمة على باقي المشكلات في خطورتها وأهميتها . وبطبيعة الحال لا مانع لدى دول العالم الثالث من تناول هذه القضايا من قبل لجان متخصصة مختلفة شريطة الا يكون في ذلك خدعة تفصل فصلا تعسفيا بينها وشريطة ان يتم احراز التقدم بصورة متوازية في عمل كل لجنة من هذه اللجان الى ان يصل المؤتمر الى حلول شاملة . وواضح ان كيسينجر يحاول الالتفاف حول هذه الخلافات المحورية باقتراحه تأليف اللجان الثلاث المذكورة بعد احياء مؤتمر باريس مجددا وتمرير الموقف الاوروبي — الامريكي من خلال تنازل شكلي ولعبة محض اجرائية . فالاقتراحات التي طرحها الوزير الامريكي في خطابه أمام لجنة الطاقة الدولية لا تبين أي تراجع في هذا المجال ، بل على العكس من ذلك فقد بين بما لا يترك مجالا للشك انه على الرغم من تشكيل ثلاث لجان ستنصب الاهتمام بالدرجة الاولى على قضية الطاقة والبترول وعلى اللجنة التي تختص بهما ، وان دور اللجنتين الباقيتين لن يتعدى « تدعيم عمل لجنة الطاقة وتوجيهه وتكملته » . وذكر كيسينجر ، في معرض

---

* انظر « شؤون فلسطينية »، عدد ٤٦ ، حزيران (يونيو) ١٩٧٥ ، ص ٢٠٦ — ٢٠٨ .

محاولته تقوية موقفه ، ان حكومته اجرت محادثات أولية مع بعض — وليس مع كل — الدول المنتجة للنفط حول الاقتراح الامريكي (انشاء اللجان الثلاث) وان البلدان التي جرت المشاورات معها « تجاوبت مع حكومته بشكل عام على ما يبدو » . وواضح ان الجزائر لم تكن بين الدول التي تشاورت معها الحكومة الامريكية بدليل النقد الفوري الذي وجهته وكالة الانباء الجزائرية (والاذاعة أيضا) للمشروع الكيسينجري حيث قالت الوكالة ان « الحوار المحدود » الذي يقترحه الوزير الامريكي لا يصلح كأساس لتجديد الجهود الرامية الى عقد مؤتمر دولي من النوع المطلوب لان بيان الوزير يثبت ان امريكا ما زالت تحاول الدخول - في مناورات للسيطرة ليس على العالم الثالث فحسب بل على البلدان الصناعية الغربية أيضا وهي تعد حلا امريكيا لا يأخذ بعين الاعتبار سوى المصالح الامريكية . كما ذكر راديو الجزائر ان كيسينجر ووكالة الطاقة الدولية يريدان مرة أخرى تجزئة القضايا بحيث يدفعان قدما بالمشكلة الوحيدة التي تهمهما ، أي الطاقة والبترول . أما وزير الصناعة الجزائري ، بلعيد عبد السلام ، فقد أقر بأن موقف الولايات المتحدة « أظهر بعض التحسن » الا انه اكد ان مقترحات كيسينجر الاخيرة غير كافية بحد ذاتها للعودة الى الحوار . وأبرز الوزير الجزائري السلبيات التي يشكو منها الموقف الامريكي كما عرضه كيسينجر باشارته : اولا ، الى الموقف الامريكي السلبي من فكرة ربط أسعار البترول والمواد الخام بمعدل التضخم النقدي العالمي . وثانيا ، الى محاولة الحكومة الامريكية تجزئة القضايا المطروحة من جانب العالم الثالث الى دوائر معزولة عن بعضها مع التشديد دوما على موضوع الطاقة واهمال مسألة المواد الاولية وغيرها من مشكلات العالم الثالث الاقتصادية . وثالثا ، الى غياب أي ذكر امريكي لامكان مناقشة اصلاح النظام النقدي العالمي والقضايا المرتبطة بذلك . لذلك استنتج الوزير الجزائري بأن العالم الثالث حدد موقفه بوضوح تام وأصبح عبء التحرك القادم يقع حاليا على البلدان المستهلكة .

نلاحظ هنا ان كيسينجر حاول بعد الهجوم الجزائري ، في الخطاب الذي ألقاه امام منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية ان يظهر بمظهر من يقترح اجراءات هدفها مساعدة الدول الاكثر تخلفا في ميادين مثل الاغذية والمواد الاولية (باستثناء البترول) والتجارة والتمويل . ولكن التدقيق في كلامه يبين أنه لم يذكر في لائحة الموضوعات التي يفترض أن يجري النقاش حولها بين الدول الصناعية والدول المصدرة للبترول مسألة حماية القوة الشرائية لعائدات هذه الدول — وهي قضية محورية من صلب هذا الخلاف وفي أساسه . بعبارة اخرى ما زالت الولايات المتحدة متمسكة بموقفها المعارض لاي ربط لاسعار البترول بمعدلات التضخم بأي صورة من الصور . ويميل الموقف الامريكي في التصريحات الاخيرة الى التشدد في رفض هذا الربط بالنسبة لكافة المواد الاولية وليس بالنسبة للبترول فحسب . وما لم تبد الحكومة الامريكية ليونة أعظم حول موضوع ربط أسعار البترول بمعدلات التضخم لا يبدو ان اي حوار سيؤدي الى اية نتائج . وقد اشار وزير المال الكويتي ، عبد الرحمن العتيقي ، في باريس ٢٨ ايار (مايو) ، الى ذلك بقوله ان دول الاوبيك ترفض الدخول في اية محادثات ما لم يتنازل المعسكر الاخر عن موقفه بالنسبة لموضوع ربط اسعار النفط بمعدل التضخم .

أمام هذه المواقف المتصلبة لم يعد أمام الولايات المتحدة الا اللجوء الى التهديد الذي يكون احيانا بالتلميح وأحيانا بالتصريح . لذلك أعلن كيسينجر في باريس ان حكومته ستعارض اية زيادة جديدة في اسعار النفط لانه لن يكون لها اي مبرر اقتصادي (كذا) كما انها تأمل بأن تفكر دول الاوبيك مليا بوقع رفع الاسعار على الاقتصاد العالمي . ولا شك ان ملاحظات كيسينجر هذه جاءت استباقا لاجتماع دول الاوبيك الذي انعقد في ٩ حزيران (يونيو) في ليبرفيل في جمهورية الجابون ، حيث كان من المتوقع مناقشة امكانات فرض زيادة طفيفة على اسعار البترول كتعويض عن الهبوط الذي طرأ على قيمة الدولار الامريكي وكجزء من اجراءات الانتقال من التعامل بالدولار الى مجموعة العملات المسماة « بحقوق السحب الخاصة » والتي سيجري حساب اسعار النفط وفقا لها في المستقبل القريب .

اجتماع الاوبيك المنعقد في ليبرفيل : عقدت دول

الاوبيك آخر اجتماعاتها في جمهورية الجابون بين ٩ ــ ١١ حزيران . أكد المؤتمر مجددا القرار الذي اتخذه في شهر كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٤ بالاستمرار بتجميد اسعار البترول الخام حتى نهاية أيلول (سبتمبر) ١٩٧٥. لكن في الوقت ذاته نبه بوضوح الى انه سيجري «تعديل» هذه الاسعار ابتداء من ١ تشرين الاول (أكتوبر) ١٩٧٥ نظرا لزيادة معدلات التضخم النقدي العالمي وانخفاض قيمة الدولار وتدهور القيمة الحقيقية للعائدات التي تحصل عليها الدول الاعضاء . كذلك قرر المؤتمر حماية القوة الشرائية للعائدات البترولية من التقلبات التي يعاني منها الدولار الامريكي وذلك بتبني حقوق السحب الخاصة التابعة لصندوق النقد الدولي باعتبارها الوحدة التي سيجري حساب اسعار البترول الخام وفقا لها ابتداء من ١ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٥*. أما اسلوب تطبيق هذا الاجراء فسيتم تحديده في الاجتماع المقبل للمنظمة الذي سينعقد في ٢٤ أيلول (سبتمبر) في فيينا . ويعني كل ذلك انه مهما كان مستوى الاسعار البترولية الذي سيتم الاتفاق عليه في المؤتمر المقبل للاوبيك سيجري التعبير عن هذه الاسعار (ابتداء من ١ تشرين الاول) بوحدات حقوق السحب الخاصة كما تكون سائدة وقتها . مما يعني بدوره تعويم القيمة الدولارية للبترول بالقياس الى العملات الـ ١٦ التي تتألف منها حقوق السحب الخاصة . علما بأن عمليات الدفع الفعلية ستكون ، بطبيعة الحال ، اما بالدولار او الاسترليني او غيره من العملات وفقا للترتيبات التي يجري الاتفاق عليها .

جدير بالملاحظة هنا انه كان متوقعا بأن يقرر مؤتمر ليبرفيل البدء بالعمل بحقوق السحب الخاصة ابتداء من ١ تموز (بدلا من ١ تشرين الاول) وأن يرفع سعر البترول بالدولار للتعويض عن الانخفاض الذي طرأ على قيمة العملة الامريكية منذ شهر أيلول الماضي . لكن خلافات نشبت داخل المؤتمر حول الموضوع . اذ يعتمد اقرار مثل هذه الزيادة على الشهر الذي يجري اختياره كأساس للانطلاق في عملية التحول من التعامل بالدولار الى التعامل بوحدات حقوق السحب الخاصة في حساب أسعار البترول الخام ، وكان خبراء اللجنة الاقتصادية في الاوبيك قد اجتمعوا قبل انعقاد مؤتمر المنظمة وتوصلوا الى صياغة عدد من البدائل التي يمكن للمؤتمر ان يختار بينها ان هو أراد تطبيق وحدات حقوق السحب الخاصة ابتداء من ١ تموز . استندت البدائل المطروحة الى سعر الاوبيك السائد (١٢ر١٠ دولارات للبرميل الواحد) للبترول « العربي الخفيف » وهي :

(١) اعتبار شهر تشرين الاول ١٩٧٤ كأساس للتخلي عن الدولار (المعدل الشهري : دولار واحد = ٠ر٨٣٨٦٥٠ حقوق السحب الخاصة) وهذا يعني ان الزيادة في سعر النفط ستبلغ حوالي ٤٧ سنتا في سعر البرميل الواحد من البترول الخام .

(٢) اعتبار شهر كانون الاول ١٩٧٤ كأساس المعدل الشهري : دولار واحد = ٠ر٨٢٣٩٤٩ حقوق السحب الخاصة . وهذا يعني زيادة تبلغ ٢٧ سنتا في سعر البرميل الواحد من البترول الخام .

(٣) اعتبار المعدل العام لسنة ١٩٧٤ كلها كأساس وهذا يعني زيادة حوالي ٣٤ سنتا في سعر البرميل الواحد من البترول الخام (تقدم بهذا الاقتراح خبراء الوفد الايراني) .

في بداية المؤتمر ظهر ان الاكثرية تميل الى اعتماد اما شهر كانون الاول ١٩٧٤ او المعدل

---

* كانت حقوق السحب الخاصة أصلا تساوي ١ دولار امريكي ولكنها زادت الى ١ر٢٠٦٣٥ دولار نتيجة تخفيض قيمة الدولار في ١٩٧٢ و١٩٧٣ . وفي ١ تموز (يوليو) ١٩٧٤ جرى تحديد التبدلات في قيمة حقوق السحب الخاصة استنادا الى التغيرات التي تطرأ على قيمة مجموعة من العملات التابعة لـ ١٦ دولة تشكل صادرات كل واحدة منها خلال ١٩٦٨ ــ ١٩٧٢ واحد بالمائة او ما فوق من مجموع الصادرات العالمية . وتضم مجموعة العملات هذه كميات من عملات الدول المذكورة بصور تتناسب مع تجارتها (بالاضافة الى كميات من الدولارات من أجل التأكيد على اهمية الدولار في الصفقات الدولية) . ويجري تحديد قيمة حقوق السحب الخاصة دوريا استنادا الى قيمة العملات المعنية ووفقا لاسعارها في سوق لندن المالية .

العام لسنة ١٩٧٤ كأساس للتخلي عن الدولار مما يعني زيادة في اسعار البترول تراوح بين ٢٧ و٣٤ سنتا . وكانت بعض الدول المعروفة بمواقفها الراديكالية مثل الجزائر والعراق وليبيا تدفع باتجاه تبني الاحتمال الاخير اي الذي يؤدي الى زيادة مقدارها ٤٧ سنتا للبرميل الواحد . الا ان الموقف النهائي للمؤتمر قررته المملكة العربية السعودية (كالعادة) التي وافقت على مبدأ تبني وحدات حقوق السحب الخاصة في حساب اسعار النفط ولكنها في الوقت نفسه اعلنت انها تفضل ان يتم الانتقال من الدولار الى الوحدات الجديدة بدون أن تطرأ اية زيادات على اسعار البترول محسوبة بالدولار ، وانه اذا تم الاتفاق على اقرار اية زيادات فان المملكة لن تقبل الا بشهر كانون الثاني (يناير) ١٩٧٤ كأساس للتخلي عن الدولار (المعدل الشهري دولار واحد = ٨١١١٨٨٣ر. حقوق السحب الخاصة) مما يعني ارتفاعا بالاسعار لا يزيد عن ١١ سنتا للبرميل الواحد .

بسبب هذه الاختلافات قرر المؤتمر تأجيل التخلي عن الدولار واعتماد حقوق السحب الخاصة في حساب اسعار البترول من تموز الى شهر تشرين الاول المقبل مما يفسح المجال لمزيد من المناقشات والبحث في موضوعي الاسعار والتضخم قبل انعقاد مؤتمر الاوبيك في شهر ايلول . وقد عبر عدد من كبار خبراء الاوبيك عن ارتياحهم لهذا التأجيل لانه سيعطيهم الفرصة للتعمق أكثر في دراسة مشكلة تعديل الاسعار بالنسبة لمعدل التضخم النقدي من ناحية، وبالنسبة لتقلبات اسعار العملات الرئيسية من ناحية ثانية . كما ستعقد مجموعة من هؤلاء الخبراء اجتماعا في فيينا في أوائل شهر تموز لدراسة موضوع ربط اسعار البترول بمعدلات التضخم واعداد تقرير مفصل بهذا الصدد يجري رفعه الى مؤتمر المنظمة القادم .

على الرغم من القرار الذي اتخذته دول الاوبيك بالاجماع حول تبني وحدات حقوق السحب الخاصة ابتداء من ١ تشرين الاول فقد اصدرت الحكومة الايرانية في ١٩ حزيران بيانا اعلنت فيه رفضها لهذه الخطوة . أعلن وزير الداخلية الايراني (الذي يمثل بلاده عادة في مؤتمرات الاوبيك ولكنه كان غائبا خلال المؤتمر الاخير بسبب الانتخابات في ايران) بأنه ضد تبني وحدات السحب الخاصة وانه سيتقدم باقتراح بديل في اجتماع الاوبيك القادم في فيينا . ويبرر ذلك بقوله انه اذا تحسنت قيمة الدولار — وهي قيد التحسن الان — ستخسر الدول المنتجة الكثير عند حساب أسعارها استنادا إلى وحدات حقوق السحب الخاصة . ويبدو ان السلطات الايرانية تفضل ابقاء دول الاوبيك للدولار كوحدة للتعامل شريطة ان تتخذ الدول الاعضاء قرارا في الاجتماع المقبل بربط أسعار البترول بأسعار مجموعة من السلع والبضائع الاساسية في التجارة الدولية بحيث تعوض الدول المنتجة خسائرها الناجمة عن التضخم وعن أي تدهور في القوة الشرائية لعائداتها . وأعلن الوزير الايراني عن توقعه بأن يقرر الاجتماع المقبل للاوبيك رفع اسعار البترول لكن ليس بحدود ٣٠ بالمائة كما تشيع بعض الاوساط . كما رد على تهجمات وزير المالية الامريكية ، وليم سايمون ، المتعلقة بزيادة اسعار البترول بقوله ان « السيد سايمون يلعب لعبة حرب اعصاب سخيفة ضدنا » .

اما الموضوع الرئيسي الاخر الذي ناقشه مؤتمر ليبرفيل فكان فوارق الاسعار الناتجة عن النوعيات المختلفة للبترول الخام (أي كميات الكبريت الموجودة في البترول) وعن أجور شحنه . وعلى الرغم من ان خبراء اللجنة الاقتصادية التابعة للاوبيك قدموا تقارير فنية حول هذا الموضوع لم يجر أي اتفاق حوله بسبب الخلافات القائمة . هناك وجهتا نظرا اساسيتان داخل الاوبيك حول هذه المسألة . تقول وجهة النظر الاولى بضرورة تبني صيغة ثابتة يجري تطبيقها بصورة آلية من حين الى حين من اجل حساب الفوارق في اسعار النفط الناتجة عن اختلاف نوعياته وجودته . وترفض وجهة النظر الاخرى هذا الاقتراح وتقول بأن تحديد مثل هذه الصيغة الثابتة وتطبيقها على النحو المذكور مسألة متعذرة عمليا . ويفضل اصحاب هذا الرأي اسلوب الاتصال بين الاطراف المعنية والتشاور فيما بينها من حين الى آخر حول اعادة النظر بالاسعار وفوارقها الناتجة عن الاختلاف في نوعية البترول المستخرج . وواضح ان اغلبية الدول المنتجة في الخليج العربي غير مستعدة (في الوقت الحاضر على اقل تعديل) لاية خطوة منسقة ومنتظمة باتجاه خفض أسعار بترولها ذي النوعية العالية (لا يحوي على كميات كبيرة من الكبريت)

اي انها لا تريد السير على الطريق التي سارت عليها ابو ظبي في آذار (مارس) الماضي . لذلك جمد المؤتمر موضوع الفوارق في الاسعار لاجراء المزيد من الدراسات المفصلة حوله . وسيجتمع في الشهر القادم بعض الخبراء لدراسة هذه المشكلة واعداد اقتراحات (تدخل في تنفيذها الآدمغة الالكترونية) لوضعها امام مؤتمر الاوبيك القادم . وهذا يعني ان خروج ابو ظبي من سياسة باقي دول الخليج فيما يتعلق بالبترول ذو النوعية العالية باق على حاله في الوقت الحاضر .

وناقش مؤتمر ليبرفيل ايضا الموضوعات التالية:

(١) التقارير التي رفعتها اللجان الفنية الثلاث المولجة بمتابعة القضايا التي طرحها بيان دول الاوبيك الصادر في آذار الماضي وهي : (أ) القضايا البترولية بما في ذلك الاسعار ، (ب) اصلاح نظام النقد الدولي، (ج) المساعدات التي ستقدمها دول الاوبيك للبلدان النامية الاخرى (بصورة رئيسية مشروع مصنع الاسمدة الذي اقرته الاوبيك) . لن تجري متابعة القضايا التي درستها اللجنة الاولى (بما في ذلك برمجة الانتاج) من قبل اللجنة الاقتصادية التابعة للاوبيك . اما النتائج التي توصلت اليها لجنة اصلاح النظام النقدي العالمي فسيجري رفعها الى اجتماع وزراء المال لدول المنظمة الذي سينعقد خلال شهر تموز . وخول المؤتمر الامانة العامة للاوبيك صلاحية العمل على وضع الدراسات الفنية اللازمة لمشروع مصنع السماد والاستعانة بخبراء من الخارج .

(٢) قرر المؤتمر تنسيق سياسات تسعير الغاز بحيث تكون منسجمة مع سياسات تسعير البترول.

(٣) قرر المؤتمر انشاء وكالة خاصة ضمن اطار الاوبيك لتشجيع التعاون بين شركات النفط الوطنية في البلدان الاعضاء وخاصة في ميدان التسويق والارجح أن تأخذ هذه الوكالة شكل دائرة خاصة او لجنة دائمة للتنسيق في الامانة العامة .

يمكننا ان نقول ان الجو الذي ساد مؤتمر ليبرفيل يتصف اولا وآخرا بالاعتدال بالنسبة لموضوع الاسعار . وهذا يعني بدوره مهادنة جبهة الدول المستهلكة وعدم استفزاز الولايات المتحدة بعد كل التهديدات العنيفة التي اطلقتها . ولكن استنادا الى ما جرى في هذا المؤتمر تشير كل الدلائل الى ان ارتفاعا لا بأس به سيطرأ على اسعار البترول في الخريف القادم للتعويض عن الارتفاع الحاصل في معدل التضخم النقدي العالمي وعن الخسائر التي تتحملها الدول المنتجة تبعا لذلك . وقد ألمح خبراء الاوبيك بأن الخسائر في القوة الشرائية لعائدات هذه الدول قد بلغت ٣٥ بالمائة كحد ادنى منذ كانون الثاني (يناير) ١٩٧٤. طبعا سيعتمد مقدار هذه الزيادة وكيفية تطبيقها الى حد ما على ما سيجري على صعيد الحوار بين الدول الصناعية والعالم الثالث .

رهف بدوي

[٣]

صناعة الاسلحة الاسرائيلية ومضمونها

صرح عميد معهد الدراسات العليا (التخنيون) العميد الاحتياطي عاموس حوريف بأن اسرائيل في حاجة الى صناعة عسكرية كبيرة جدا ويعتقد بأن اسرائيل قادرة وملزمة بتحسين الانتاج وكيفيته حتى تستطيع الصناعات العسكرية خدمة الغاية المتجهة اليها وبكميات كبيرة . واضاف ان اسرائيل اثبتت امكانيتها في انتاج عتاد محكم الصنع لا يقل بميزاته عن اي صناعة عسكرية عالية واليوم علينا ان نبذل مجهودا اكبر لتوسيع القاعدة الصناعية الامر الذي لم يسبق ان نهج في الماضي لاسباب كنا نجهلها ولخطأ في التقدير(١). وكان وزير الدفاع الاسرائيلي شمعون بيرس قد صرح في وقت سابق بأن الصناعة الحربية الاسرائيلية التي قدمت طائرة كفير ، تستطيع تحقيق التفوق على القوات العربية .

يتطلب بحث اقامة الصناعة العسكرية الاسرائيلية ، الاستناد الى عدد من المعطيات الثابتة والمعروفة ، يمكن ايجازها بما يلي :

١ ــ الصناعة العسكرية ، هي صناعة انتاجية وليست استهلاكية، بمعنى ان نجاحها واستمرارها يتوقف على توفر القدرة في ايجاد اسواق لها . وحتى تستطيع اقتحام هذه الاسواق فانه لا بد لها من توفر شرطين : الجودة والاسعار المنافسة .

٢ ــ الصناعة العسكرية باهظة التكاليف ، تتطلب مخصصات ضخمة وموازنات كبيرة ولهذا تعمل كثير من المؤسسات الكبرى ذات الصناعة المتماثلة على عقد اتفاقات فيما بينها للاشتراك في انتاج نوع معين ومثال ذلك انتاج طائرة جاكوار GR, MKI بمجهود مشترك فرنسي ــ بريطاني. وكذلك انتاج صواريخ هوت ــ وميلان بمجهود مشترك الماني ــ فرنسي .

٣ ــ تتطلب الصناعة العسكرية توفر المواد الاولية الضرورية ــ كصناعة الحديد والصلب ــ والمواد المشعة الى جانب وجود تقدم صناعي وخبرة تقنية عالية وتقدم علمي .

٤ ــ وتحتاج الصناعة العسكرية ايضا الى طاقة بشرية ضخمة ذات كفاءة عالية ، لا سيما وان الصناعة العسكرية قد اصبحت على جانب كبير من التعقيد مما يتطلب تنظيم صناعات مختلفة تخدم الصناعة العسكرية وتوفر لها احتياجاتها ــ كالصناعات الالكترونية .

اذا أخذ بالمعطيات السابقة كمقياس لامكانيات قيام صناعة عسكرية في اسرائيل ، لامكن الوصول الى بدهية بانه من المستحيل على الكيان الاسرائيلي في حدود الارض الضيقة التي يقيم فوقها . وفي حدود امكاناته البشرية التي لا تزيد على ثلاثة ملايين ، وفي حدود قدرته الاقتصادية ــ الانتاجية اقامة صناعة عسكرية . ولكن طرح قضية اقامة صناعة عسكرية في حدود الكيان الاسرائيلي هو طرح خاطيء من ناحيتين . الاولى هي ان اسرائيل لا تعيش وجودها في حدود الارض المحتلة من فلسطين . فهي تعتمد في طاقتها البشرية على مستودع الصهيونية المنتشر في انحاء العالم . وهي تعتمد في اقتصادها على ارتباطها بالمتروستات والكارتلات الدولية وعلى ما توفره لها التنظيمات الصهيونية من متطلبات مادية وهي تعتمد في تقنيتها وتقدمها العلمي على ما توفره لها الامبريالية هذا من ناحية ومن ناحية اخرى فان مخطط الصناعة الاسرائيلية لا يعتمد على الامكانات الحالية وانما يرتبط بالمخطط السياسي والاستراتيجي الذي تحدد ابعاده قوة ثلاثية يمكن وضعها في اطار معادلة ايضا وهي تطلعات الامبريالية الاستراتيجية الاقتصادية للعالم العربي + مخطط الصهيونية العالمية للسيطرة على العالم العربي + مطامع قادة اسرائيل المتوافقة مع التطلعات الامبريالية والمخططات الصهيونية والتي تلبي من ناحية اخرى تطلعات الصهيونية العالمية لرسم الخارطة الجغرافية من الفرات الى النيل .

انطلاقا من هذه المعادلة ، استطاع الكيان الاسرائيلي انشاء بعض فروع الصناعة الحربية كصناعة بناء الطائرات والصواريخ والصناعة الالكترونية الحربية ، كما تجري الابحاث المستمرة

في مجال الاسلحة النووية . واصبح في اسرائيل ما يزيد على ٦٠٠ نوع من انواع الاسلحة والذخيرة . وامكن بذلك توفير الشروط الضرورية لنمو صناعة الاسلحة وتطورها .

فبالنسبة لتصدير الصناعات الحربية وتسويقها، تضاعف انتاج الاسلحة الاسرائيلية المصدرة في الفترة ما بين عام ١٩٦٧ و ١٩٧٢ تسع مرات وبلغ ثمنها ٩٠ مليون دولار ، وتم تصدير القسم الاكبر من هذه الاسلحة الى جنوب افريقيا التي نسقت في السنوات الاخيرة علاقاتها مع اسرائيل ثم توجتها بتحالف عسكري . وفي عام ١٩٧٠ صدرت اسرائيل الى حكومة روديسيا وغيرها من الاسلحة ما قيمته ١٠ ملايين دولار ، بينما زادت القيمة في عام ١٩٧٣ ثلاثة أضعاف ، علما بان قيمة الشحنات الامريكية السنوية لهذه البلاد لا تتجاوز ٢٠ مليون دولار ، كما منحت حكومة اسرائيل نظام الحكم في روديسيا ترخيصا بانتاج الرشاش (عوزي) . ولقد وصل المبلغ الذي حصلت عليه اسرائيل نتيجة لصادراتها الخاصة من الاسلحة (الرشاش عوزي والصاروخ غابرييل) الى أكثر من ٧٠ مليون دولار(٣).

وفي مجال تغطية التكاليف ، تعتمد اسرائيل على دعم الشركات العالمية . ففي عام ١٩٥٣ تم تكوين نواة شركة صناعة الطائرات الاسرائيلية — مؤسسة بيديك — وتمت تغطية المشروع بعقد اتفاقات مع عدة شركات طيران عالمية لصيانة طائراتها في مطار اللد ، ومارست الحكومة الامريكية دورا كبيرا بدعم هذه الشركة ، واعترفت بيديك ، على انها مركز صيانة وكالة الطيران الفيدرالية الامريكية . وشجعت على عقد اتفاقات لصيانة طائرات النقل التابعة لسلاح الجو الامريكي والفرنسي(٤). اما بالنسبة للصناعات الالكترونية فتعتبر شركة الرون Elron ثالث اكبر شركة للصناعة الالكترونية في اسرائيل وقد تأسست في عام ١٩٥٥ كمختبر ثم تحولت الى مصنع في عام ١٩٦٠ ، ومولت التحول جماعة من الامريكيين منهم دافيد ولورانس روكفلر ، وتوزع ملكية هذه الشركة كما يلي (٢٢٪) الجماعة الامريكية (٢٧٪) P.E.C. (٥١٪) بنك اسرائيل ديسكاونت . ويشكل رأس المال الامريكي في الصناعات الالكترونية نسبة تتراوح بين (٤٢٪) و (٦٠٪)(٤) غير ان اهم منابع الدعم المالي على الاطلاق هو المنظمات الصهيونية العالمية فمنذ عام ١٩٤٨ وحتى عام ١٩٧٠ قدمت هذه المنظمات الى اسرائيل قرابة ٧ مليارات دولار . وكذلك ترد الى اسرائيل سنويا اموال باهظة كمدفوعات وتعويضات ، حتى بلغت المساعدة المادية التي منحتها المانيا الغربية لاسرائيل حتى ١ كانون الثاني (يناير) ١٩٧٢ ما قيمته ٨٣ مليار دولار(٥) وتسهم بعض الشركات العالمية الاقتصادية بدعم الانتاج الحربي الاسرائيلي والصناعة الحربية الاسرائيلية. وقد تم عقد اجتماع في نهاية شهر ايار (مايو) ١٩٧٣ في مدينة القدس المحتلة حضره ١٢٠٠ شخص من ممثلي هذه الشركات واكد المجتمعون موافقتهم على الخطة المتضمنة ايداع مبلغ ٦٠ مليار ليرة اسرائيلية في الاقتصاد الاسرائيلي حتى نهاية عام ١٩٧٨ . وفي اعقاب حرب تشرين (اكتوبر) ١٩٧٣ طار وزير خارجية اسرائيل ابا ايبان الى امريكا وحصل على مساعدة قدرها ١٤٠٠ مليون دولار منها ٧٥٠ مليون دولار نقدا و ٦٥٠ مليون دولار كقرض عسكري(٦).

وبخصوص المواد الاولية والطاقة البشرية ، تعتبر مؤسسة صناعة الطائرات الاسرائيلية من اكثر الصناعات تطورا في اسرائيل . وقد تزايد عدد العمال بدرجة مذهلة . فبينما كان عدد العمال لا يتجاوز ٧٠ عاملا عام ١٩٥٧ ، اذ به يقفز الى ١٣٫٥٠٠ عامل في عام ١٩٧٢ و ٢٠٫٠٠٠ عامل عام ١٩٧٥(٧).

وتستوعب مؤسسة صناعة الطائرات الاسرائيلية معظم خريجي معهد (التخنيون) في حقل العلوم الفضائية والجوية ولكن هؤلاء لا يكفون لسد حاجات التوسع التي تزايدت تزايدا كبيرا وخاصة بعد حرب حزيران ١٩٦٧ لذلك حاولت استقدام مهندسين وفنيين من الخارج وعلى الرغم من ان شركات صناعة الطائرات في الولايات المتحدة قد تخلت عن اعداد كبيرة من العاملين فيها ، وعلى الرغم ايضا من ان الولايات المتحدة هي المصدر الرئيسي للمهاجرين التقنيين الى اسرائيل فقد فشلت صناعة الطائرات الاسرائيلية في استقدام الخبراء والفنيين الامريكيين . فقد بلغ عدد الامريكيين الذين استطاعت المؤسسة تطويعهم في

فترة ١٨ شهرا انتهت في شهر تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٠ (١٢٥) شخصا فقط ، قرر عدد ضئيل من بينهم البقاء في اسرائيل مدة تزيد على ٢ سنوات(٨) وبلغ عدد العاملين في الصناعة الالكترونية في اسرائيل عام ١٩٧٠ نحو (٩٠٠٠) عامل (ولا يشمل هذا الرقم العاملين في الصناعة العسكرية وصناعة الطيران) موزعين كما يلي (٨٪) مهندسون (٢٠٪) تقنيون (٦٪) عمال صناعيون . أما الباقون فهم الجهاز الاداري والكتبة والعاملون في التسويق . وتعتمد الصناعة الحربية الاسرائيلية على الفنيين والاختصاصيين والخبراء الذين يتم التعاقد معهم للعمل في اسرائيل وفق عقود قصيرة الامد او طويلة الامد بغية اعطاء هؤلاء الخبرة الفنية والمعرفة العملية للفنيين والاختصاصيين الاسرائيليين العسكريين ، وكذلك لتعليمهم وتدريبهم . وعلى سبيل المثال كان (دوم وزينكر) وهما باحثان اسرائيليان كبيران في صناعة الصواريخ ويعملان حاليا في المعهد السياسي الموجود في (تخنيون) كانا قبل قدومهما الى اسرائيل يعملان كمساعدين في المعاهد العليا للانتاج الحربي في الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا . وكذلك الامر بالنسبة للاختصاصيين الاسرائيليين في حقل انتاج الاسلحة النووية كالبروفسور في الفيزياء (زاخاروس) والبروفسور في علوم الالكترون (فيزنر) والبروفسور في الكيمياء (فيزر) وهو احد صانعي النابالم ، وكل هؤلاء كانوا يعملون في مجالات اختصاصاتهم داخل الولايات المتحدة الامريكية . وفي عام ١٩٧٢ ، وصل الى اسرائيل للعمل بشكل دائم وتقديم المساعدة الفنية والخبرة التكنولوجية العالية في بناء المفاعلات الذرية واحد من اكبر العلماء الامريكيين العاملين في مجال الفيزياء الذرية وهو البروفسور (رادكوفسكي) . وكان هذا البروفسور قد ترأس لمدة ٢٠ عاما لجنة المفاعلات النووية للطاقة الذرية في الولايات المتحدة الامريكية ، وهو الذي نفذ كل العروض الهامة التي قدمها له البنتاغون . وقد نما في السنوات الاخيرة تعاون وثيق بين اختصاصيي الهيئات والمصالح الحربية المختلفة في الولايات المتحدة الامريكية ومؤسسات البحوث العلمية الاسرائيلية في مجال البحوث العسكرية . وتثبت الاحصاءات التي نشرتها الصحف الغربية انه في عام ١٩٧١ توجهت اعمال ٤٨ معهدا ومركزا من مراكز البحوث العلمية الموجودة في اسرائيل الى اكثر من ٢٢٦ تصميما من تصاميم الصناعات الحربية المختلفة ، بطلب من الولايات المتحدة الامريكية التي قدمت من اجل هذا الغرض معونة مالية بقيمة ٢٦ مليون ليرة اسرائيلية . وتقدم المانيا الغربية ايضا نصيبها في دعم وتطوير فروع الصناعة واعمال البحوث العلمية العسكرية للدولة الصهيونية . فمن ٥٠٠ اختصاصي يعملون في اسرائيل يزاول ٧٣ اختصاصيا اعمال البحث المختلفة في مركز البحوث العلمية المسمى (فيسمان) وهو المعهد الذي يقوم بأعمال انتاج الاسلحة النووية .

أهم الصناعات الحربية الاسرائيلية ومنتجاتها

أ ــ الصناعة الجوية الاسرائيلية وميزاتها : بدأت مؤسسة صناعة الطائرات الاسرائيلية عملها في شهر تشرين الاول (اكتوبر) من عام ١٩٥٣ ، وكان اسمها وقتئذ بيديك ــ اي المراقبة والصيانة ــ وكان هناك هدفان وراء انشاء هذه المؤسسة الاول تقديم المساعدة الى سلاح الجو الاسرائيلي بالنسبة لصيانة الطائرات التجارية الاسرائيلية والغربية التي تعمل في مطار اللد . فارتبطت بيديك بوزارة الدفاع الاسرائيلية ، وكان رأس مال المؤسسة عند انشائها (٦٠٠) الف دولار وفي عام ١٩٧٠ تحولت الى مؤسسة حكومية شبه مستقلة رأس مالها (٣٠) مليون دولار . وتقسم هذه المؤسسة اداريا الى (قسم بيديك ــ او قسم الصيانة ــ وقسم الهندسة ــ وفيه يتم وضع تصاميم الطائرات والمعدات الجديدة ، والتعديلات المقترح ادخالها على الطائرات الموجودة . ويضم هذا القسم مختبرا تستخدم فيه حاسبة الكترونية حديثة ضخمة ويأتي بعد ذلك قسم صناعة الطائرات وهو المسؤول عن صنع الطائرات وقطع الغيار ويضم اكثر من ٤٥٠٠ عامل وفني) والى جانب الاقسام الرئيسية الثلاثة المذكورة اعلاه ، تضم مؤسسة صناعة الطائرات الاسرائيلية مجموعة من المصانع والشركات التابعة لها ، ومنها : ــ

المصنع ب ــ ويتم فيه صنع وانتاج صواريخ غبرئيل البحرية والحواجز الالكترونية المخصصة لاعتراض الفدائيين اثناء عبورهم الحدود .

مصنع التا — ويتم فيه صنع المعدات الالكترونية .

مصنع المعدات الارضية ، في منطقة بئر السبع ، ويقوم باعمال الطلاء المعدني وصبغ المعادن وتقطيعها ، ويتم في هذا المصنع انتاج المعدات الارضية الخاصة بخدمة الطائرات وخزانات الوقود من الفولاذ الذي لا يصدأ وخزانات الوقود والمياه التي يمكن نقلها من مكان الى اخر .

مصنع بريسيجن ميكانيز . ومركزه في (بيهود) وينتج مجموعة واسعة من المعدات الكهروميكانيكية وعلب السرعة والمحركات واجهزة القوة المضاعفة.

مصنع اورلايت . وينتج المواد البلاستيكية ، واجزاء الطائرات والسيارات واجهزة لجبل الاسمنت ومعدات بحرية منها زوارق .

مصنع سيرفو هيدروليك . وينتج القطع الهيدروليكية للطائرات ، ومخمدات لامتصاص اهتزازات مراوح الطائرات العمودية من نوع سيكورسكي واجهزة هبوط الطائرات .

صناعات تامام بريسيجن . وتملك هذه الشركة الفرعية مختبرات ومصانع لتصميم وانتاج المعدات الدقيقة والقطع الكهرو — ميكانيكية واجهزة ضبط الاتجاه وقطع اخرى متعلقة بالاجهزة الملاحية .

مصنع بيت شيمش للمحركات . وهو فرنسي الصنع ينتج محركات الطائرات المطابقة لما ينتجه مصنع ماريو بوديه ٦ ويستخدم على الطائرات فوغا ماجيستير النفاثة ، كما يصنع عدة محركات للطائرات العمودية (هليكوبتر) وفق ما ينتجه مصنع تربوميكا الفرنسي ايضا . وتصنع اسرائيل محركات من انواع اتار ٩ . واعلن مصدر غربي ان مصانع بيت شميش ستكون قادرة على بناء محركات نفاثة لطائرات اسرع من الصوت(٩).

بدأت اسرائيل في عام ١٩٧١ انتاج الطائرات النفاثة الحربية من طراز (باراك) وهي طائرات تفوق سرعتها سرعة الصوت . وتؤكد الصحافة العسكرية الغربية انها نموذج معدل لطائرة الميراج ٣ الفرنسية ، ولهذه الطائرة عدة نماذج ، فمنها الطائرة المقاتلة القاذفة القادرة على حمل الاسلحة النووية ومنها الطائرة المقاتلة النهارية والليلية ، وقد زودت القوات الجوية الاسرائيلية في عام ١٩٧٢ ب ٢٤ طائرة من نوع باراك ، وتؤمن اسرائيل محركات هذه الطائرات من شركة جنرال الكتريك الامريكية التي تصنعها خصيصا لاسرائيل، الا انه من المحتمل ان يتم تصنيع هذه المحركات ايضا في اسرائيل ذاتها خلال السنوات القريبة القادمة وبالتأكيد قبل الثمانينات . كما توجد طائرات نقل حربية بمحرك مروحي توربيني من نوع عرافا ٢٠١ ، وطائرة نقل حربية من نوع بيست فيند ويستخدم هذان النوعان من الطائرات كوسائط نقل خارجية(١٠). ان صناعة الطائرات في اسرائيل لا زالت تعتمد على التكنولوجيا الاجنبية ولا زالت تصطدم بكثير من العقبات ، ففي مشروع الكومودور جت ، اشترت الحكومة الاسرائيلية الادوات الخاصة لصنع طائرات جيت كوماندور النفاثة والصغيرة المخصصة لنقل رجال الاعمال من شركة ايرد — كوماندور — دو كويل الامريكية بمبلغ ٢٥ مليون دولار . وقد تضمنت صفقة الصنع ايضا شراء ٤٩ طائرة كانت الشركة الامريكية قد انتهت او على وشك الانتهاء من صنعها ، ولكن هذا المشروع فشل بسبب عدم تمكن الشركة من تحقيق اهدافها في الانتاج وذلك لاصرار شركة صناعة الطائرات الاسرائيلية على ادخال تعديلات كثيرة على الطائرة وحتى عام ١٩٧٢ لم تستطع الشركة حتى من بيع الـ ٤٩ طائرة ، وزاد الاستثمار على المقاييس التي كانت موضوعة بمدى كبير جدا حتى بات مشكوكا فيه ان تغطي المبيعات النفقات(١١). اما بالنسبة لمشروع طائرة عرافا فقد تم بموجبه وضع تصميم في عام ١٩٦٦ من قبل مؤسسة صناعة الطائرات الاسرائيلية وذلك لصنع طائرة نقل خفيفة معدة للاستخدامين المدني والعسكري ، وفي عام ١٩٦٧ ، بدأ العمل في انتاج هذه الطائرة التي سميت عرافا ، وكانت التصاميم موضوعة على اساس تمكين الطائرة من الاقلاع والهبوط على مدارج قصيرة وغير معبدة . وفي كانون الاول (ديسمبر) ١٩٦٩ ، حلقت عرافا أول مرة وكان من المتوقع ان يبدأ الانتاج التجاري سنة ١٩٧١ بمعدل ٤ طائرات شهريا . لكن الصعوبات بدأت تعترض المشروع سنة ١٩٧٠ ، ففي تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٠ تحطم النموذج الاول للطائرة اثناء رحلة تجريبية وقتل فيه كبير طياري الاختبار في مؤسسة صناعة الطائرات الاسرائيلية ، وقد ادى هذا الحادث الى تأخير تقدم

المشروع(١٢)، ومن ثم فقد تعرض هذا المشروع للهجوم ومما قيل فيه [ان سلاح الجو الاسرائيلي لم يقدم طلبا للحصول على هذا النوع من الطائرات . وان هذه الطائرة حظيت الان بهزء وزير الدفاع نفسه . كما ان سبب عدم نجاح تسويق هذه الطائرة يعود الى ان شهرة اسرائيل لم تكن قائمة على الصناعات الدقيقة . وطبعا ليس على الطائرات(١٣). اما اذا تم الانتقال بعد ذلك الى طائرة (كفير) المستحدثة والتي اثيرت ضجة حول تسليح القوات الجوية الاسرائيلية بها فان الامر يتطلب اجراء مقارنة بينها وبين بعض الطائرات المستخدمة في الجيوش العربية والاسرائيلية . وتظهر هذه المقارنة ـ وفق ما هو متوفر من المعلومات بالجدول التالي : ـ(١٤).

جدول للمقارنة بين بعض أنواع
الطائرات المستخدمة عند العرب واسرائيل

الخصائص	الفانتوم ف ٤ ف	الميراج*	الميغ ٢١	الميغ ٢٣	كفير الاسرائيلية الصنع
النوع	مقاتلة متعددة المهمات	مقاتلة متعددة المهمات	مقاتلة معترضة	مقاتلة معترضة	مقاتلة معترضة
قوة المحرك	٨١٢٠كغ مع حارق اضافي	٧٢٠٠كغ مع حارق اضافي	٦٢٠٠ كغ	١١٠٠٠كغ مع حارق اضافي	٨١٢٠كغ مع حارق اضافي
الابعاد					
امتداد الجناحين	١١٠٧١م	٨٠٤٠م	٧٠١٥م	١٢٠٢م	٨٠٤٠م
الطول	١٩٠٢٠م	١٥م	١٥٠٧٦م	١٩٠٨م	١٥م
الارتفاع الكلي	٤٠٩١ م	٤٠٥م	٤٠٥ م	٦ م	٤٠٥ م
مساحة الجناحين	٤٩٠٢٤م٢	٢٥م٢	٢٣م٢	٥٩٠٥م٢	٢٥م٢
الاوزان					
فارغة	١٣٠٨٠٠كغ	٧٠٤٠٠ كغ	٨٠٥٠٠كغ	١٥٠٤٢٥كغ	
الوزن الاجمالي	٢١٠٥٠٠كغ	١٤٠٩٠٠كغ	٩٠٤٠٠كغ	٢٩٠١٥٠كغ	
الميزات					
السرعة العادية	١٠٣ ماك	١٠٢ ماك	١٠١٥ماك	٢٠٧٥ماك	
السرعة القصوى	٢٠٢٧ ماك	٢٠٢٧ ماك	٢٠١ماك	٣٠٢ماك	
نصف القطر					
العملياتي	١٨٥٠ كم	٦٥٠ كم	١١٠٠ كم	١٣٠٠ كم	
السقف العملياتي	١٩٠٦٨٥كم	١٨٠٥٠٠كم	١٨٠٠٠كم	٢٢٠٢٥٠كم	
التسليح	مدفع ٢٠مم+ صواريخ سبارو وسايدوندر	مدفعان ٣٠مم مع ٧ نقاط لتحميل وزن ٤٠٠٠كغ ذخيرة	صاروخان أو قنبلتان وزن الواحدة منهما ٥٠٠كغ	٤ صواريخ جو ـ جو	مدفع٣٠مم+ صاروخ جو ـ جو

* ـ هنالك اختلاف بين مواصفات طائرة الميراج المذكورة وطائرة ميراج م ٥٤ ولكنها غير أساسية في حدود الميزات العامة .

ان مقارنة الخصائص والميزات في جدول المقارنة تظهر النقاط التالية :

— يتميز جيل طائرات الثمانينات او الجيل المتقدم عن جيل طائرات السبعينات بمجموعة من الخصائص مثل زيادة قوة المحرك (وهو للميغ ٢٣ ما يعادل ١١ الف كيلو غرام وللطائرة الامريكية واي. ف ١٦ بما يعادل ١١ر٢٤٠ كغ) في حين تنقص هذه القدرة في طائرة كفير التي تستخدم محرك السبعينات . مما يوفر للطائرة المتقدمة (الثمانينات) ميزات المرونة ، والسرعة ،والقوة.

— زيادة ابعاد الطائرة ، مما يحقق لها المزيد من التوازن والاستقرار والقدرة على الحمل لا سيما في مجال زيادة مساحة الجناحين (على سبيل المثال ٥٩ر٥ م٢ للميغ ٢٣ و ٤٩ر٢٤ م٢ للفانتوم ف ٤ ف) في حين ان هيكل طائرة كفير هو اقرب الى نماذج السبعينات في ابعاده .

— وينتج عن زيادة الابعاد في الطائرة ايضا زيادة في قدرة الحمل للصواريخ ، ويلاحظ ان الجيل المتقدم للثمانينات يزيد في قدرته على حمل الصواريخ والذخائر .

— ان طائرة كفير الاسرائيلية والتي هي تركيب لمحرك الفانتوم على هيكل الميراج ف ٥ . سيجعل من طائرة كفير ذات كفاءة اكبر في قوة المحركات مع فقد ميزات الفانتوم المتفوقة في مساحة ابعادها وقدرتها على الحمل . مما يفقدها بالتالي ميزات الفانتوم وميزات الميراج كطائرة اعتراضية . وعلاوة على ذلك فان تسليح الطائرة كفير هو مماثل لتسلح طائرة الميراج مما لا يمنح طائرة كفير ميزات جديدة من حيث القدرة القتالية . وبذلك يمكن القول ان الطائرة الاسرائيلية المولدة (او الهجينة) كفير هي من الناحية الفنية مجردة من ميزات الطائرات المتقدمة ، وهي بذلك اقرب الى جيل السبعينات منها الى جيل الثمانينات .

ب — الصواريخ في اسرائيل . اشترت اسرائيل من الولايات المتحدة الامريكية قذائف متطورة تصيب الهدف بمساعدة آلة تصوير . واخذت اسرائيل في العمل لتطوير نوع من القذائف التي تتحرك بواسطة اشعة لايزر ، وتتكون شبكة الدفاع الجوي التي تقام في اسرائيل من ستة مراكز قيادية دائمة مزودة بحاسبات الكترونية لتحليل المعطيات وعدد من المحطات لتقديم التقارير . ومن المتوقع ان تندمج الشبكة التي هي من انتاج (هيوز) مع شبكة محطات الرادار المتحركة الاسرائيلية من انتاج (وستينغهاوس) ذات المدى الطويل ومحطات الرادار التابعة لصواريخ هوك للمدى القصير . كما تعمل اسرائيل على تطوير نموذج حديث من صاروخ جو — أرض من نوع زوني الموجه بواسطة اشعة لايزر[١٥]. وللرمي من الطائرات تستخدم اسرائيل ايضا صواريخ جو — أرض من طراز شامزير المزودة باجهزة تسديد معتمدة على الاشعة تحت الحمراء وهي تؤمن الرمي المجدي حتى مسافة ٢٠ كم . وقد جهزت القوات البرية الاسرائيلية بصواريخ من نوع شافيت ٢ التي تطلق الى مسافة ١٥٠ كم (صاروخ عملياتي) ويجري العمل الان لانتاج الصاروخ (أريخون) الذي سيصل مداه حتى ٥٠٠ كم[١٦]. اما بالنسبة للصواريخ البحرية ، فان اسرائيل تعمل على تطوير الصواريخ البحرية غبرئيل ٢ ، وكانت اسرائيل قد اعلنت انها طورت نوعين من صواريخ غبرئيل ، يبلغ مدى الاول ٢٥ كم بينما يبلغ مدى الثاني ٤١ كم ، ولذلك فانه من المرجح ان تزود اسرائيل زوارقها الجديدة بصواريخ غبرئيل ذات المدى الاطول ٤١ كم الذي اشارت اليه المصادر الغربية باسم غبرئيل[١٧].

ج — صناعة اسلحة القوات الارضية وميزاتها: تمارس المصانع والمجمعات الاسرائيلية اجراء تعديل دبابات السنتوريون مارك ٥ وابرز هذه التعديلات تغيير المدفع الاصلي من عيار ٨٥ مم بمدفع ١٠٥ مم مما يسمح بتوحيد الذخيرة في السلاح المدرع الاسرائيلي ويوفر للدبابة تسليحا اقوى . كما يتم استبدال المحرك الذي يعمل على البنزين وقوته ٦٥٠ حصانا بمحرك ديزل امريكي من نوع كونتنتال تبلغ قوته ٧٥٠ حصانا مما يوفر للدبابة قوة دفع اكبر ويزيد من سرعتها ويجنبها خطر الاحتراق فزادت بذلك سرعة الدبابة من ٢٥ كم في الساعة الى ٤٣ كم . كما زادت حمولة الدبابة من الذخيرة. وعملت مصانع الاسلحة الاسرائيلية ايضا على تعديل الانواع الاخرى من الدبابات الموجودة لديها، فزودت دبابات شيرمان القديمة بمدافع جديدة من عيار ١٠٥ مم فرنسية الصنع بعد ان اعيد تصميم البرج وتجهيز الدبابة بجهاز هيدروليكي جديد ، وتم

تركيب مدافع ميدان من عيار ١٠٥ مم و ١٥٥ مم ومدافع هاون عيار ١٦٠ مم على هياكل دبابات شيرمان(١٨). وتأمل اسرائيل استبدال الرشاش عوزي المستخدم حاليا بالبندقية الآلية المسماة غاليل(١٩). وتنتج اسرائيل زهاء ٩٠٪ من حاجة قواتها من الذخائر والمفرقعات . وقد ارتفعت قيمة ما تنتجه اسرائيل من الاسلحة والمعدات والذخائر من (٣٠) مليون جنيه استرليني في عام ١٩٦٧ الى (٣٠٠) مليون جنيه استرليني عام ١٩٧١ .

د — صناعة الاسلحة البحرية : كانت البحرية الاسرائيلية تلقى اهتماما اقل من الاهتمام بتطوير القوات الجوية والقوات الارضية والمدرعة منها بصورة خاصة . وتلقت البحرية الاسرائيلية ضربتين كبيرتين بعد حرب ١٩٦٧ وهما اغراق المدمرة ايلات وفقدان الغواصة داكار . وكانت اسرائيل تتسلم زوارق سعير من فرنسا ، ثم اعلن عن صنع زوارق اسرائيلية جديدة تتميز بقوة ضاربة تعادل ضعف قوة زوارق سعير ، وقد انتهت اسرائيل في الاونة الاخيرة من بناء زورقين حربيين من طراز ريشيف ، وتم انزالهما الى الماء . وقد عملت القيادة الاسرائيلية على انشاء قواعد بحرية جديدة على البحر الابيض المتوسط والبحر الاحمر، وتم تحويل عدة سفن تجارية الى سفن ناقلة للجنود تابعة لسلاح البحرية .

هـ — في مجال التسلح الذري : ان نشاط اسرائيل في مجال التسلح الذري معروف (انظر شؤون فلسطينية — العدد ٤٣ — الخيار النووي الاسرائيلي ص ٩٠ — ١٠٠) ويمكن القول هنا ان الشواهد جميعها تشير الى ان اسرائيل قد اصبحت تمتلك القنبلة الذرية من العيار صغير الحجم . وتؤكد المعلومات التي وضعها معهد استوكهولم للابحاث العامة ان اسرائيل في الفترة ما بين ١٩٦٤ — ١٩٦٩ قد كدست احتياطا من البلوتونيوم يكفي لصناعة عشر قنابل ذرية .

واقع الصناعة الحربية الاسرائيلية

يظهر العرض السابق الحقيقة الواضحة والاكيدة وهي ان صناعة الاسلحة في اسرائيل قد تأسست وتطورت بدعم الاحتكارات الاجنبية وخاصة الامريكية والالمانية الغربية والفرنسية ، ويعتمد الانتاج بشكل اساسي على التكنولوجية الامريكية المستوردة — هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فان صناعة الاسلحة الاسرائيلية لم تحقق حتى الان التقدم التكنولوجي المرجو بحيث يمكن لاسرائيل توفير متطلباتها — واحتياجاتها من الاسلحة والعتاد الحربي ، ولهذا فان اسرائيل قد فشلت الى حد كبير في تحقيق الاكتفاء الذاتي في انتاج الاسلحة وانها تعتمد اعتمادا كليا على الولايات المتحدة في تأمين احتياجاتها من الاسلحة والصواريخ والطائرات والعتاد وكذلك اجهزة الاتصال الحديثة والمتطورة . ويمكن القول بايجاز ان ما يمكن ان تنتجه المؤسسات الصناعية العاملة في الفروع المختلفة في صناعة الاسلحة بما في ذلك مؤسسات وزارة الدفاع هي الاسلحة الخفيفة وادخال تعديلات محدودة على الاسلحة الثقيلة وكذلك انتاج الذخيرة بما في ذلك انتاج عدد محدود من انواع الصواريخ واجهزة الاتصال العسكرية التي لا تحتاج الى دقة كبيرة والى مستوى رفيع من التكنولوجيا . وهذا الانتاج لا يكفي من حيث الكمية او النوعية لسد احتياجات اسرائيل من الاسلحة لتحقيق اغراضها العدوانية والتوسعية في الوطن العربي . ولكن ومهما كان عليه واقع الصناعة الحربية الاسرائيلية ، فانه من الخطأ طرح هذا الواقع بمعزل عن احتمالات المستقبل وبمعزل عن الهدف السياسي والتطلعات الاستراتيجية للقيادة الاسرائيلية وقادة المنظمات الصهيونية .

---

١ — الاذاعة العبرية ، الساعة ١٠،٠٠ يوم ١٩٧٥/٤/١٩ عن نشرة الارض، السنة الثانية، العدد ١٦ .

٢ — المجلة العسكرية السورية، السنة الخامسة والعشرون ، العددان ٦ و٧ ص ٥٦ .

٣ — Flight International, March 26, 1964, p. 465.

٤ — نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، ملحق العدد ٢ ، ١٩٧٢/١/١٦ ، ص ٥٥ — ٦١ .

٥ — وفق تأكيدات صحيفة (زودويتش تسايتونك، ١٩٧٢/٩/٥) .
٦ — المصور رقم اثنين ، ص ٥٨ .
٧ — Israel Economist, April 1970.
٨ — Aviation Week, November, 16, 1970.
٩ — نشرة الارض الصادرة عن مؤسسة الارض للدراسات الفلسطينية ، السنة الثانية ، العدد ٤ ، ص ١٦ و١٧ .
١٠ — المجلة العسكرية السورية ، السنة الخامسة والعشرون ، العددان ٦ و٧ ، ص ٥٥ .
١١ — هآرتس ، ٢٦ كانون الثاني (يناير) ١٩٧٣.
١٢ — Aviation Week, November 30, 1970.
١٣ — هآرتس ، ١٤ كانون الثاني (يناير) ١٩٧٣.
١٤ — المعلومات عن الطائرات الموجودة في الجدول المقارن مستخلصة من المجلة العسكرية السورية ، العدد ٩ ، السنة الخامسة والعشرون ، ص ٦١ — ٨٠ ، وكذلك الاسبوع العربي ، العدد ٨٣٠ ، ص ٢٧ .
١٥ — نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، ١٩٧٢/٨/١٦ .
١٦ — المجلة العسكرية السورية ، السنة الخامسة والعشرون ، العددان ٦ و٧ ص٥٧ .
١٧ — نشرة الارض، المصدر السابق ٩، ص١٩.
١٨ — نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، ١٩٧٣/٣/١٦ .
١٩ — المصدر نفسه السابق رقم ١٦ .

بسام العسلي

صدر عن مركز الابحاث

فلسطين

في مذكرات القاوقجي

١٩٣٦ — ١٩٤٨

اعداد الدكتورة خيرية قاسمية

سعر النسخة ١٢ ل.ل. يضاف اليها اجور البريد الجوي .

اطلب نسختك من : قسم التوزيع في مركز الابحاث

ص.ب ١٦٩١ — بيروت

[٤]

الحزب الشيوعي في اسرائيل

في أعقاب قيام اسرائيل عام ١٩٤٨ أعيد توحيد الجماعات الشيوعية اليهودية المختلفة في فلسطين كحزب شيوعي اسرائيلي واحد (ميفلاغا كومونيستيت يزرائيليت ، او ماكي). وقبل الحزب بالدولة الجديدة ، ولكنه أنكر وجود أي رباط بين الشعب اليهودي في اسرائيل و«التشتت»، وأيد حق اللاجئين الفلسطينيين في العودة او تلقي التعويضات ، ودعا الى تأسيس دولة عربية فلسطينية في الاراضي التي خصصها لها مشروع تقسيم الامم المتحدة لعام ١٩٤٧ . وزادت السياسة السوفياتية نحو المواطنين اليهود ونحو اسرائيل والبلدان العربية من الخلاف ضمن الحزب . ونتيجة لذلك انشق الحزب في آب (أغسطس) ١٩٦٥ الى فئتين — فئة ميكونيس — سنيه ، التي احتفظت باسم الحزب ، وفئة فيلنر — طوبي ، التي دعت نفسها القائمة الشيوعية الجديدة (ريشيما كومونيستيت حداشا ، او راكاح) . وانجذبت أكثرية الشيوعيين اليهود نحو فئة ميكونيس — سنيه التي مالت نحو الاراء الصهيونية (كالاعتراف بوجود رباط بين الشعب اليهودي في اسرائيل و «التشتت»)، في حين انضمت أكثرية الشيوعيين العرب (وبعض الشيوعيين اليهود) الى فئة فيلنر — طوبي التي استمرت تلتزم بآراء الحزب القديم .

والحزبان صغيران جدا ، ويميل دورهما في الحياة السياسية الاسرائيلية الى ان يكون هامشيا. ولم يشترك أي منهما في ائتلاف حاكم كما لم يسمح لممثليهما باحتلال مقاعد في لجان الامن الحساسة في الكنيست . وكلا الحزبين شرعي .

راكـاح

يؤلف اليهود نحو ٣٠٪ من عضوية راكاح ، فيما يؤلف العرب الاكثرية . وتنعقد الهيئة العليا، او المؤتمر ، مرة كل اربعة اعوام . وينتخب المؤتمر اللجنة المركزية ولجنة المراقبة . وتنتخب اللجنة المركزية بدورها المكتب السياسي والامانة العامة (السكريتاريا) . وبين زعماء الحزب البارزين مئير فيلنر الامين العام وعضو الكنيست، توفيق طوبي، منسق الامانة العامة وعضو الكنيست، افراهام ليفرنباوم عضو المكتب السياسي وعضو الكنيست ، توفيق زياد عضو الكنيست الجديد ، ولف ايرليخ رئيس لجنة المراقبة المركزية ، امبل توما ، عضو المكتب السياسي ، اميل حبيبي عضو المكتب السياسي رئيس تحرير الاتحاد، ديفد حنين (ساشا) عضو المكتب السياسي وسكرتير اللجنة المركزية ، زاهي كركبي عضو اللجنة المركزية ، و ا. اونغار عضو اللجنة المركزية ورئيس تحرير زو هادرخ صحيفة الحزب الاسبوعية العبرية .

يقدم راكاح التوجيه لعصبة الشبيبة الشيوعية، وحركة النساء الديموقراطيات ، والجمعية الاسرائيلية للمناضلين ضد الفاشية وضحايا النازية ، وحركة الصداقة الاسرائيلية — السوفياتية (**ورلد ماركسيست ريفيو** ، آذار — مارس ، ١٩٧٤ ، ص ١٤) .

وفي انتخابات الكنيست الثامن التي جرت في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٣ حصل راكاح على ٥٣٫٣٥٠ صوتا مقابل ٣٨٫٨٢٧ حصل عليها عام ١٩٦٩ ، اي بزيادة ٣٦٪ . كانت تلك هي المرة الاولى منذ ١٩٦٥ التي يحصل فيها راكاح على اكثر من ٥٠ الف صوت . ومن هذه الاصوات كان نحو ٤٣٫٠٠٠ من العرب والبقية اصوات يهودية . وكان التقدم الذي حققه راكاح واضحا في الناصرة ، اكبر مدينة عربية في اسرائيل ، حيث نال الحزب ٥٩٪ (او ٧٫٧٠٧) من الاصوات ، مقابل ٤٧٪ من الاصوات (او ٥٫٥٧٨) عام ١٩٦٩ . واجتذب راكاح ١٫٨٢٩ صوتا اخر في كفر قاسم ، و ١٫٠٩٥ صوتا بدلا من ٤٠٠ في أم الفحم (**الارض** ، العدد العاشر ، ٧ شباط — فبراير ، ١٩٧٤ ، دمشق) . ومن المهم ان نلاحظ ان الجيش الذي من الاصوات لراكاح اكثر بأربع مرات مما الذي في ١٩٦٩ (انفورميشن بوليتين ، ص ١٠) . ويمكن عزو الزيادة في الاصوات العربية للحزب الى حرب تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣ التي زادت من المشاعر القومية بين العرب .

ولدى الحزب اليوم اربعة اعضاء في الكنيست، بزيادة عضو واحد عما كان لديه في ١٩٦٩ ، ولولا قانون بادر — اوفر الممالىء للاحزاب الكبيرة ، لكان كسب راكاح مقعدا اخر .

وينحو راكاح باللوم على الحكومة الاسرائيلية لتجدد الحرب بين العرب والاسرائيليين في اكتوبر ١٩٧٣ . وفي الخامس عشر من اكتوبر ، ١٩٧٣ ، في ما كانت الحرب ما تزال جارية ، أصدر مئير فيلنر تصريحا ينتقد الحكومة الاسرائيلية . وفي تلك الرسالة يقول ان مصر والبلدان العربية كانت مستعدة للاعتراف بحق اسرائيل في الوجود كدولة ذات سيادة ولكن حكومة غولدا مئير رفضت تكرارا جميع مبادرات السلام التي عرضتها الامم المتحدة ومشروع روجرز (ذي **راديكال كوميونسيت**، ١ اكتوبر ١٩٧٤ ، ص ٩٥) . وزعم ان الاسباب الحقيقية لحرب اكتوبر هي تبني وثيقة فاليلي (مخطط لتوسيع ومواصلة سياسة ضم المناطق المحتلة) ، والعمليات العسكرية العدوانية المتعمدة ضد سوريا ولبنان (الغارة الجوية الاسرائيلية على سوريا ، خطف طائرة مدنية لبنانية ، الغارة والهجوم على بيروت) ، والانكار المستمر للحقوق الشرعية لشعب فلسطين العربي. وانتقد الحزب ايضا النتائج التي توصلت اليها اللجنة الحكومية للتحقيق في حالة استعداد البلد للحرب في اكتوبر ١٩٧٣ ، وقد انحت باللوم الكلي للاخفاق التام في اكتوبر على الاخطاء واساءات التقدير التي ارتكبت في حرب اكتوبر وتجاهلت تجاهلا تاما السبب الرئيسي — الصفة الافلاسية للخط السياسي الحكومي .

واستمد حزب راكاح من قراري مجلس الامن التابع للامم المتحدة ، الرقمين ٢٤٢ و ٣٨٨ ، برنامج سلام من اربع نقاط يطلب انسحاب اسرائيل من الاراضي المحتلة ، وضمان سيادة وسلامة اراضي جميع بلدان المنطقة بما فيها اسرائيل ، والاعتراف بالحقوق الشرعية للفلسطينيين ، والاعتراف بحقوق مرور السفن الاسرائيلية عبر قناة السويس ومضائق تيران (بودابست Nepszabadsag ، ٢٥ اب — اغسطس ، ١٩٧٤) . ورفض راكاح كلا من مطالبات اسرائيل بالاراضي العربية والاعمال التي تقوم بها جماعات فلسطينية « يائسة » وصفها انها « حمقاء » وانها تهدد مصالح الفلسطينيين بالخطر . وانتقد راكاح سياسة الحكومة الجديدة ، برئاسة رابين ، وهي سياسة الاراضي والحدود الآمنة (وبالتالي فانها استمرار لسياسة الضم التي كانت تنتهجها غولدا مئير) ، لانها لن تؤدي الى السلام بل الى المزيد من الحرب (**راديو موسكو** ، ٦ حزيران — يونيو ، ١٩٧٤) . والى ذلك انتقد الحكومة الحالية لعدم اعترافها بالحقوق الشرعية للشعب الفلسطيني ولمعارضتها اشتراك منظمة التحرير الفلسطينية في اعمال مؤتمر جنيف (**برافدا** ، ٢٥ تموز — يوليو ، ١٩٧٤) . ومن الناحية الاخرى ، اثنى الحزب على اتفاقيتي فك الارتباط مع سوريا ومصر بوصفهما خطوات « ايجابية » على الطريق نحو اقامة سلام عادل ومتين في الشرق الاوسط (**راديو موسكو** ، البرنامج العربي ، ٣ يونيو ، ١٩٧٤) . وحث الحزب الحكومة تكرارا على الاسراع في عقد مؤتمر جنيف بغية التعجيل في تحقيق سلام مستقر (القدس ، البرنامج المحلي ، ٤ اكتوبر ، ١٩٧٤) .

وعارض راكاح تشكيل حكومة وحدة وطنية او حكومة طوارىء مع اشتراك مجموعة ليكود اليمينية المتطرفة باعتبار ان حكومة كهذه من شأنها ان تحبط جهود مؤتمر جنيف وتفضي مباشرة الى حرب جديدة (**انفورميشن بوليتين** ، كانون الثاني — يناير ١٩٧٤ ، ص ٤) . وايد في البداية تاليف حكومة رابين بوصفها اهون الشرين ، ولكنه لم يصوت لها .

وانتقد راكاح حكومتي مئير ورابين لنفقاتهما العسكرية الباهظة (من موازنة بلغت ٣٥ بليون ليرة اسرائيلية السنة الماضية ، انفق ٢١ بليون ليرة على اغراض عسكرية) . وادت مثل هذه السياسة الى زيادة في الاسعار بنسبة ٣٨٫٧٪ وعجز في التجارة الخارجية بلغ ٢٫٥ بليون ليرة . ونتيجة لذلك ازدادت الاعباء الضريبية ، مسببة العذاب بنوع خاص لتلك الطبقات من السكان التي تعيش على الاجور والرواتب (بودابست ، Nepszabadsag ، ٢٥ اغسطس ، ١٩٧٤) .

والى هذا ، اتهم راكاح الحكومة ، بواسطة صحيفته الاسبوعية، بمضايقة اعضائه والمتعاطفين

معه (وخصوصا العرب) ، ونشر مقالات عديدة تتعلق بالاقامة الجبرية في المنزل ، والسجن وغيرهما من الوان الارهاب . وتسببت قصيدة لعضو الكنيست الجديد توفيق زياد بعنوان « العبور العظيم » ، اعرب فيها عن اعتزازه بالنجاحات الاولى التي احرزتها الجيوش العربية في حرب اكتوبر، في اثارة ضجة كبيرة في الكنيست. وقد شكك بعض الاعضاء في ولاء زياد للدولة وهم يريدون التخلص منه (**ذا جيروساليم بوست** ، الثلاثاء ، ٢٩ اكتوبر ، ١٩٧٤ ، ص ٤) .

وتعترف معظم الاحزاب الشيوعية الاجنبية براكاح بوصفه الحزب الشيوعي الشرعي في اسرائيل . وخلال هذه السنة ، قام عدة موفدين من راكاح بزيارة الاحزاب الشيوعية في اوروبا الشرقية والاتحاد السوفياتي . كذلك استقبل الحزب عدة موفدين من احزاب شيوعية اجنبية . ويثني الحزب باستمرار على سياسة الاتحاد السوفياتي في الشرق الاوسط ، قائلا انها تهدف الى السلام والعدالة لجميع شعوب المنطقة . وترتكز السياسة السوفياتية على تنفيذ القرارين ٢٤٢ و ٣٣٨ (المذكورين اعلاه) . وانتقد راكاح الحملات المناهضة للشيوعية وللاتحاد السوفياتي التي قامت بها الاوساط اليمينية الاسرائيلية ، والتي لا تتفق اهدافها الرامية الى شق واضعاف القوى الديموقراطية وانصار السلام مع مصالح جميع الشعوب ومثل الديموقراطية والاشتراكية (**اومانيتيه** ، باريس ، نيسان ــ ابريل ، ١٩٧٤).

وتشتمل منشورات راكاح على الاسبوعية العبرية **زو هاديريخ** (هذه هي الطريق) ، ورئيس تحريرها ا. اونغار ، **دير فيغ** (الطريق) الناطقة باليديش ، **والاتحاد** الناطقة بالعربية والتي يرأس تحريرها اميل حبيبي عضو المكتب السياسي ، والمجلتين النظريتين **اراخيم** (قيم) العبرية **والدرب** العربية ، ونشرة اعلام Information Bulletin شهرية . وبالاضافة الى ذلك تصدر عصبة الشبيبة الشيوعية « **الغد** » بالعربية **وانيان** بالعبرية .

ماكي

يشتمل زعماء ماكي على يائير تاسبان رئيس تحرير **كول هاعام** ، مجلة الحزب ، ويائير زاهان رئيس المكتب السياسي ، وميكونيس عضو الكنيست السابق والامين العام للحزب حتى الرابع عشر من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٤ . وقد برز في ١٩٧٤ توتر بين الزعيم القديم والمؤسس شموئيل ميكونيس واعضاء الجيل الجديد واخذ هذا التوتر يتحول الان من النفور الى انشقاق تام . ويتركز التوتر حول اندماج ماكي مع الحركة الزرقاء ــ الحمراء التي تحافظ على تعاون وثيق مع موكيد . ويعارض ميكونيس الدمج ويرفض المشاركة في عمل اللجنة التي تحضر للجلسة الثانية من المؤتمر السابع عشر المقرر عقدها في الخريف . فهو يريد ان يكون ماكي حزبا شيوعيا مستقلا مهمته الدفاع عن مصالح الشغيلة وشرح الموقف « العادل » لاسرائيل في الحركة الشيوعية الدولية . ويقول ميكونيس انه لن يكون عضوا في الحركة الجديدة (**هآرتس** ، ٢٤ يونيو ، ١٩٧٤ ، ص ٤) . وبعد ذلك ، في الرابع عشر من نوفمبر ، ١٩٧٤ ، استقال ميكونيس من منصبه كأمين عام للحزب احتجاجا على قرارات الحزب واعماله التي لا يسعه الموافقة عليها . واشار بنوع خاص الى امتناع الحزب عن معارضة نشاطات الحكومة في المناطق المحتلة فضلا عن غارات الجيش الانتقامية ضد لبنان (**ذا جيروساليم بوست ويكلي** ، ١٩ نوفمبر ١٩٧٤ ، ص ٣) . والى ذلك يبدو ان ماكي يواجه مصاعب مالية . ولفترة من الوقت توقف عن اصدار المجلة الشهرية المنتظمة Israel at Peace ، التي تصدر الان بصورة غير منتظمة لعدم توفر المال اللازم .

خاض ماكي انتخابات الحادي والثلاثين من ديسمبر ، ١٩٧٣ ، على لائحة موكيد ، في ائتلاف مع الحركة الزرقاء والحمراء . ونال الائتلاف ٢٢٫٤٧٠ صوتا (اي ٤٫١٪) ، مقابل ١٥٫٧١٢ صوتا (١٫١٪) نالها في الكنيست السابع عام ١٩٦٩ . وبكلام اخر حصل الحزب على ٤٠٪ (٦٫٤٣٥) من الاصوات اكثر مما حصل في الانتخاب السابق . ولم يفز موكيد الا بمقعد واحد في الكنيست (مئير بائيل) . ولولا قانون بادر ــ اوفر الذي يعطي المزيد من الاصوات للاحزاب الكبيرة لكان فاز موكيد بمقعد ثان في الكنيست (Israel at Peace ، العدد ١ ــ ٢ ، مارس، ١٩٧٤ ، ص ٣) .

وفي الجلسة الرابعة عشرة التي عقدتها اللجنة

المركزية لحزب ماكي في السابع عشر من نوفمبر ١٩٧٤ ، شجبت اللجنة سياسة فولدا مئير التي ترتكز على صنع حقائق واقعة في المناطق المحتلة والتي ترفض الاعتراف بحقوق الفلسطينيين في تقرير المصير (Israel at Peace ، مارس ١٩٧٤ ، ص ٢) . ويعتقد ماكي ان القرارين ٢٤٢ و ٣٣٨ يوفران اساسا سليما لحل النزاع . ويعتقد ان على الحكومة ان تقوم بتنازلات واسعة النطاق للعرب ، بما في ذلك اعادة جميع الاراضي المحتلة تقريبا التي من شأنها تشجيع السادات وحسين، وقسم من الفلسطينيين ، على التفاوض، والا فان سياستها ستؤدي الى حل مفروض او حرب اخرى (**جيروساليم بوست** ، ١٢ ايلول — سبتمبر ، ١٩٧٤ ، ص ٣) . ويعارض ماكي تأسيس مستوطنات في الاراضي المحتلة . وقد هدد الحكومة بان الحزب سيلجأ الى نشاطات خارج البرلمان ، بما في ذلك الاضطرابات ، لايقاف المزيد من المحاولات لتأسيس مستوطنات في الضفة الغربية . الا ان هذه التهديدات لم تنفذ قط . ويعارض الحزب ، كذلك ، ضم الحزب الديني الوطني الى الحكومة لانه يعتقد بان مثل هذه الخطوة ستعوق مبادرات السلام التي يؤيدها الحزب .

واثنى الحزب على فك الارتباط بين اسرائيل ومصر وسوريا بوصفه خطوة مهمة نحو السلام في المنطقة .

وانتقد الحزب سياسة الحكومة الاقتصادية التي تغني الاثرياء وتفقر الفقراء . وقد وزع ماكي، هو وشركاؤه في الائتلاف ، الكثير من المناشير والملصقات في المناطق الصناعية مطالبا الحكومة بما يلي : (١) « العودة عن قرار الالغاء الجزئي للمعونة المالية الحكومية للمواد الغذائيةالاساسية الحيوية ، وايقاف الارتفاع السريع في الاسعار ، وممارسة رقابة فعالة على الاسعار ، (٢) ان تدفع بصورة آلية علاوة غلاء معيشة كلما ارتفعت الاسعار بنسبة ٣٪ ، (٣) رفع الحد الادنى للاجور الى ٧٥٠ ليرة اسرائيلية شهريا ، (٤) زيادة الرواتب الشهرية للجنود المجندين (ايضا الى ٧٥٠ ليرة اسرائيلية) ، (٥) فرض ضرائب على ارباح الحرب ، (٧) الغاء خفض ضريبة الدخل الممنوح للرأسماليين »(Israel at Peace مارس ، ١٩٧٤ ، ص ٦) . ويعارض ماكي وشركاؤه ضم الحزب الديني الوطني الى الحكومة لان سياسة هذا الاخير نحو معتنقي اليهودية الجدد والقوانين المدنية ستكون عقبة في طريق الجهود الرامية الى بناء جسر فوق الفجوة الاجتماعية (**جيروساليم بوست** ، ١٢ سبتمبر ، ١٩٧٤ ، ص ٣) .

ومنذ الانقسام في ١٩٦٥ ، صار ماكي معزولا عن الاحزاب الشيوعية في الخارج في ما عدا تأييد محدود من تلك الاحزاب الشيوعية المختلفة مع موسكو . وقررت اللجنة المركزية في اجتماعها السادس عشر المنعقد في الثاني من مارس ، ١٩٧٤ ، وارتكازا الى قرار اقره مؤتمر الحزب السابع عشر ، الانضمام الى المؤتمر اليهودي العالمي (Israel at Peace ، مارس ، ١٩٧٤، ص ٦) . وينتقد ماكي سياسة الاتحاد السوفياتي في الشرق الاوسط ونحو اقليته اليهودية (القدس ، **البرنامج الداخلي بالعبرية** ، ٩ سبتمبر ، ١٩٧٤) . ويشجب نفي الكاتب السوفياتي الكساندر سولجنتسين فضلا عن الرقابة التي تفرضها السلطات السوفياتية على الفن والادب (**المصدر نفسه** ، ص ٦) . وقد نشرت **كول هاعام** ، صحيفة الحزب التي تصدر مرة كل اسبوعين ، عدة مقالات حول مؤتمر الاحزاب الشيوعية من بلدان اوروبا الغربية الرأسمالية الذي عقد بين السادس والعشرين والثامن والعشرين من يناير ، ١٩٧٤ ، في بروكسيل . وقد وجه هذا المؤتمر النقد الى سياسة الاتحاد السوفياتي . وكان ماكي يعقد الامل على اقامة اتصال مع مؤتمرات مماثلة في المستقبل Israel at Peace ، ص ٧) .

و **كول هاعام** (صوت الشعب) التي تصدر مرة كل اسبوعين هي الناطقة الرئيسية باسم الحزب . ومجلة Israel at Peace الشهرية (والناطقة باللغتين الانكليزية والفرنسية) تصدر الان بصورة غير منتظمة لاسباب مالية . وبالاضافة الى ذلك ، يصدر الحزب منشورات اخرى من حين لاخر بلغات مختلفة .

الدكتور اياد القزاز

شهريات

(١) المقاومة الفلسطينية

الوضع في لبنان : بعد هدوء نسبي تخللتـــه حوادث افرادية تفجر الوضع في لبنان مجددا بدءا من ليل ٢٣/٢٤ حزيران (يونيو) الماضي . وكان الملاحظ والمثير للريب ان تجدد الاشتباكات حدث مباشرة في أعقاب اجتماع القمة الفلسطينيـــة ــ اللبنانية الذي ضم الاخ ابو عمار والرئيس فرنجية في ٢٣ حزيران واستمر ست ساعات . وعلى الرغم من ان الانباء التي تسربت عن الاجتماع كانت تشير الى الجو « الحاد » الذي ساد بداية الاجتماع ، الا ان الانفراج الذي ساد الجزء الاخير منه كان يشير الى ان انفراجا مماثلا ومستوحى منه كان متوقعا ان ينعكس على الازمة المستحكمة بالاوضاع اللبنانية ويضع حدا لنزيف الدم ويفتح المجال امام حل لهذه الازمة . من هنا فان تجدد الاشتباكات بعد ساعات قلائل من انتهاء الاجتماع ، بالعنف الذي لم تشهده ساحة الصدام في المرات السابقة ، كان يشير باصبع الاتهام والادانة الى الجهة الوحيدة المستفيدة من تطاول الازمـــة واستمرارها بل تصعيدها نعني حزب الكتائب في الاساس . فالكتائب وحدها دون الفرقاء جميعـــا تستفيد من استمرار الازمة لاجـــل : فهي تثبت مواقعها الطائفية من جانب ، كما انها من جانب ثان تمنحها فرصتها الذهبية في التصدي للحركة الوطنية التقدمية اللبنانية . وقد استغلت الكتائب هذه الفرصة استغلالا كثيفا أكد ليس طائفيتهـــا الانعزالية فحسب وانما هتك ستر انتمائها الطبقي ايضا عندما جعلت أهدافها حزام الفقر الذي يحيط ببيروت والمتمثل بأحياء الشياح والنبعة والكرنتينا وما ماثلها ، وهي الاحياء ــ البؤر الخصبة المؤهلة أكثر من سواها للنماء الثوري الاجتماعي . من جانب ثالث فان الكتائب تستفيد من استمرار الازمة لجهة انها جزء من حملة الاستنزاف للجهـــــد الفلسطيني المقاوم باعتبارها واحدة من الوسائل التي يتوسل بها الى شل نضال الثورة الفلسطينية العسكري والسياسي الدولي . واخيرا وكهـــدف آني من استمرار الازمة وتأجيجها فهي تخدم الكتائب من حيث انها تريدها أداة ضغط دموية تنيلها مأربها في المشاركة في الحكم .

كان اجتماع القمة الفلسطينية ــ اللبنانية خطوة في سبيل التهدئة ، غير ان البيان الذي أصدره الاخ أبو عمار في ٦/٢٦ « حول الاخوة اللبنانية ــ الفلسطينية » كان خطوة اخـــرى أكدت الموقـــف الفلسطيني الذي ينبع من قناعات ترتكز عـــلى أساس واحد هو ان مصلحة الثورة هي في تجنب الاحداث الجانبية وان « لب الموضوع [كما ورد في بيان ابو عمار] للحفاظ على معادلة الاخـــوة اللبنانية الفلسطينية تكمن في التالي : اولا ــ احترام الثورة الفلسطينية للسيادة اللبنانية احتراما لا تحفظ فيه ولا ابهام . ثانيا ــ اقرار لبنان بحق الثورة في التواجد على ارضه ضمن الالتزام نصا وروحا بالاتفاقات المعتودة . ثالثا ــ توفر الثقة المتبادلة مع جميع الفئات ، والطوائف وازاحـــة غشاوة المخاوف من الاذهان والبصائر . رابعا ــ ترسيخ القناعة بأن الخندق واحد ، والعدو واحد ، والمصير واحد . خامسا ــ تجلي ارادة التنسيق من القمة الى القاعدة وبالعكس ».

وعلى الرغم مما تضمنه البيان من نية صادقة لتهدئة تفجرات الوضع فقد استمرت مدفعية الكتائب مدعومة بأطراف من السلطة تقصف الاحياء الوطنية

في بيروت والضواحي حتى وصل القصف الى مقر الاخ ابو عمار مما جعل وكالة الانباء الفلسطينية (وفا) في ٦/٢٧ تنبه « الى خطورة اساءة فهم هذا البيان ، لان اساءة فهمه قد تدفع نحو فواجع أضخم وأعم ، لبنان بغنى عنها والفلسطينيون بغنى عنها » . وحذرت الوكالة من « ان المقاومة الفلسطينية بكافة فصائلها والتي تقف صفا واحدا متراصا وقويا ، تؤكد انها وهي تأخذ موقع الجسر الصلب والحقيقي للتفاهم والمودة والاخاء ، لا يمكن ان تسمح لكائن من كان ان يدفع بأدوات دماره وتخريبه عبر هذا الجسر ، فلحمة هذا الجسر أجسادنا وأجساد جماهيرنا وأجساد كل المخلصين في هذا البلد وفي الامة العربية » . ولم يكن هذا التحذير بمعزل عن ممارسته عملا فالثورة ملزمة بالدفاع عن وجودها كما هي ملزمة في الوقت نفسه بالرد على حملات التصفية التي كانت تتعرض لها الجماهير الوطنية الحليف الطبيعي للثورة والدرع التي تقي ظهرها من الطعنات الغائلة .

وعلى الرغم من الخراب الكبير الذي لحق بساحات القتال ومئات القتلى وآلاف الجرحى والمشوهين فان الكتائب استطاعت ان تحقق نجاحا ما في استحداث الغرائز الطائفية واستغلالها لمصلحتها مع ما يثلم هذا النجاح من بروز اتجاهات جديدة في الطائفة نفسها التي تنتمي اليها الكتائب، ترفض منطلقات الكتائب الطائفية ـ الانعزالية ويمكن المراهنة على اتساع نفوذها وعلى ان تكون المعادل المستقبلي لهذه الطائفية ـ الانعزالية، نقول ان الكتائب ان استطاعت ان تحقق هذا النجاح المثلوم في هذا الصدد فقد خانتها حساباتها في الميادين الاخرى : فمن جهة واحدة أظهر مجرى الاحداث قدرة الحركة الوطنية التقدمية اللبنانية على الالتصاق بالشارع الوطني وضبط عفويته من أجل الدفاع عن المواقع التي تحتلها هذه الحركة ، كما أظهر ان الطاقات النضالية المختزنة لدى الجماهير الوطنية العريضة قابلة للتفجر عندما تتعرض للتحدي ، بقدرات اجتياحية تفوق مردوداتها الوطنية ما كان منتظرا منها . واذا كانت الزعامات التقليدية قد استثمرت هذه الحقيقة ووظفتها لمصلحتها بعد ان كثفت الازمة الى حجم تشكيل الحكومة ، فان المواجهة الاخيرة تحمل بذور ارادة التغيير الجذرية لانها فتحت أعين الجماهير على الاسباب الاجتماعية ـ السياسية الحقيقية للازمة ، كما ان هذه الجماهير خرجت أكثر تمرسا بأساليب النضال وأكثر ثقة بقدراتها الذاتية .

ومن جهة ثانية ، فان الكتائب ان كانت قد وضعت النموذج الاردني نصب عينيها في تصديها لحركة المقاومة فان معطيات الساحة اللبنانية تجعل هذا النموذج مثالا سيئا للتقليد في هذه الساحة المختلفة في تناقضاتها وتوازناتها عن تلك الموجودة في شرق الاردن . وهذه المعطيات هي التي مكنت حركة المقاومة ، بالاضافة الى قدراتها الذاتية ، من الصمود في وجه الزوابع التي أثيرت في وجهها مرات متكاثرة في لبنان والتي لم تستطع ان تبتز منها أي تنازل مبدئي . وكانت المواجهة الاخيرة تجسيدا حيا لهذا الواقع .

من جهة ثالثة ، استهدفت الكتائب من فتح المعركة الاخيرة ، كما جرت الاشارة ، ان تجعل منها أداة ضغط تجبر الاطراف الاخرى على قبولها شريكا في الحكم تحت شعار « حكومة الاتحاد الوطني ». وكانت الكتائب كما ظهر من مجرى « العمليات الحربية » العمياء التي نفذتها في بيروت والضواحي على استعداد لعمل كل شيء بما في ذلك حرق « لبنان الاخضر » لاشباع شهيتها في الحكم باعتبار ان الحكم في لبنان بما يؤديه من خدمات مصلحية هو الوسيلة الاكثر جدوى لتحقيق المطامع الفئوية . بيد انه ظهر من ضراوة الاقتتال ان ثمة « توازن رعب » رضخت الكتائب من جرائه لتسوية تمثلت في ان يمثلها في الحكم حليفها كميل شمعون، رئيس حزب الوطنيين الاحرار . وعلى الرغم من ان هذه التسوية استبعدت ، بالاضافة الى الكتائب ، الحزب التقدمي الاشتراكي برئاسة الاستاذ كمال جنبلاط ، الا ان الجانب الايجابي فيها انها مكنت الحركة الوطنية التقدمية اللبنانية من اكتشاف قدراتها وتأثيراتها في صنع القرار ليس على صعيد الشارع الوطني فحسب وانما داخل مؤسسة الحكم نفسها .

وقد كان خاتمة هذه المرحلة الاعلان عن تشكيل الحكومة (أعلنت أسماء الوزراء الستة بمن فيهم رئيس الحكومة في ٦/٣٠ ووزعت الحقائب في ٧/١) بهدف وضع حد للاشتباكات . وقد كان لمساعي السيد عبد الحليم خدام ، نائب رئيس الوزراء

ووزير الخارجية السوري ، تأثير في التهدئة . وقد شارك في الاجتماع الذي عقد في ٧/١ — اثر تشكيل الحكومة — في منزل السيد رشيد كرامي وحضره كرامي نفسه على رأس وفد لبناني عسكري ، والاخ ابو عمار ممثلا الجانب الفلسطيني الذي ضم عددا من قادة المقاومة . وقد صدر عن الاجتماع بيان أعلن ان المجتمعين اتفقوا « في المرحلة الراهنة على التدابير الكفيلة باعادة الثقة الى النفوس وتحقيق الامن واعادة الحياة الى مجراها الطبيعي وهي : ١ — التأكيد على وقف اطلاق النار فورا والقبض على العناصر غير المنضبطة وتسليمها الى القضاء. ٢ — ضبط النفس بعدم الرد بالنار على النار من كلا الطرفين والاتصال بمركز الارتباط لمعالجة الموقف . ٣ — القبض على العناصر التي تقوم بعمليات الخطف وتسليمها الى القضاء . ٤ — ازالة المظاهر المسلحة من مختلف النقاط ، وذلك بسحب المسلحين والاسلحة الثقيلة (هاوين ، صواريخ ، وآر.بي.جي) وازالة كل المتاريس . ٥ — العمل على جعل كل الطرق سالكة وآمنة في العاصمة وفي مختلف المناطق . ٦ — تركيز قوات الامن الداخلي في كل المناطق ، خصوصا الحساسة . ٧ — تكلف الاشراف على التنفيذ لجنة التنسيق العليا ومركز الارتباط بمعاونة لجان الارتباط المشتركة » .

وعلى الرغم من بعض الحوادث المتفرقة التي أعقبت الاتفاق الا ان الهدوء ساد تدريجيا في وقت لاحق ، مع ابقاء هذا السؤال معلقا : هل انتهت ؟ وقد أجاب عن السؤال المكتب التنفيذي للجبهة العربية المشاركة في الثورة الفلسطينية في اجتماعه الذي عقده يوم ٧/٩ برئاسة الامين العام للجبهة الاستاذ كمال جنبلاط وحضور الاخ ابو عمار ، أجاب بقوله « أجمع الحاضرون على ان المؤامرة التي دبرتها القوى الفاشية والانعزالية ضد المقاومة الفلسطينية وضد الحركة الوطنية في لبنان لم تنته بعد على الرغم من الهزيمة التي نزلت بتلك القوى المعادية لعروبة لبنان والمعادية لقضية الشعب الفلسطيني ، وعلى الرغم من الكوارث التي جرتها المؤامرة الكتائبية الانتحارية على لبنان وعلى الشعب اللبناني والاضرار التي الحقتها هذه المؤامرة بالثورة الفلسطينية . ولاحظ الحاضرون بأن السبب الاساسي الذي يدفع بالقوى الفاشية والانعزالية الى الاستمرار في التآمر، هو استنادها الى الدعم الذي تتلقاه من الامبريالية والصهيونية اللتين تسعيان الى ضرب المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية في لبنان ، كمقدمة نحو فرض الحل الاستسلامي الاميركي على العرب على حساب حركة التحرر الوطني العربية » .

احتجاز مورغان : واحد من الذيول : في الثاني من تموز (يوليو) الماضي كشف الناطق باسم وزارة الخارجية الاميركية ان رجالا مسلحين أخذوا كولونيلا في الجيش الاميركي من سيارة تاكسي في بيروت يوم ٦/٢٩ وان الضابط لا يزال مفقودا منذ ذلك الحين . وفي بيروت اوضحت السفارة الاميركية ان الكولونيل مورغان يعمل رئيسا لموظفي التخطيط في بعثة المساعدات العسكرية الاميركية في انقرة . وذكرت مصادر صحافية ان مورغان كان قد وصل بيروت في يوم احتجازه آتيا من باكستان لتمضية ليلة واحدة يتابع بعدها سفره الى مقر عمله في انقرة ، وان الاحتجاز تم بعد خروجه من فندقه الى مطار بيروت « لشراء صحف ومجلات ». وقد ظهر واضحا منذ بداية القضية ان الولايات المتحدة ألصقت تهمة الخطف بالمقاومة الفلسطينية. فقد ذكرت والدة الضابط الاميركي لوكالة « الاسوشييتدبرس » (٧/٣) انها تلقت برقية من مكتب وزير الجيش الاميركي بعد يومين من اختفائه جاء فيها «خطف وطنيون فلسطينيون ابنك الكولونيل أرنست مورغان » .

بيد ان التطور المفاجىء كان اعلانا مما سمي « منظمة العمل الاشتراكي الثوري » عن مسؤوليتها عن خطف الضابط الاميركي . وقد جاء هذا الاعلان في رسالة وجهت الى غودلي ، السفير الاميركي في بيروت ، مساء ٧/٦ بواسطة مكتب « وكالة الصحافة الفرنسية » ذكرت فيها المنظمة انها « منظمة ثورية لبنانية » وحددت مهلة ثلاثة ايام تنتهي في الساعة ٢١ من يوم ٧/٩ « لتنفيذ طلباتنا المرفقة والا فاننا غير آسفين على حياة احد جواسيسكم وجلاديكم » وحددت هذه المطالب بما يلي : « ١ — نشر هذا الكتاب على الصحف والوكالات واذاعته من اذاعة صوت اميركا بالعربية ومن كافة اذاعاتكم وبكل اللغات التي تبثون بها . ٢ — الطلب من السلطات اللبنانية ان تكف عن

البحث والتقصي عن مكان وجود جاسوسكم .

٣ — انكم تعرفون حي المسلخ في بيروت ، هم من الفقراء العمال الذين تستغلهم رؤوس اموالكم ورؤوس اموال عملائكم في لبنان . ان هذا التجمع السكاني قد تعرض مؤخرا الى القصف الوحشي من قبل حزب الكتائب اليميني الفاشي العميل لكم وتسبب في قتل وجرح العشرات وكذلك تهديم مئات الاكواخ . لذا نأمركم بصرف المواد التالية الى التجمع السكاني في الحي المنكوب : ٣٠ طن سكر ، ٣٠ طن رز ، ١٠ أطنان سمن للطعام ضمن علب صغيرة ، ١٠ أطنان حليب للاطفال ، ٢٠٠ طن طحين ، ٣٠٠٠ زوج أحذية جديد ، ٣٠٠٠ زوج من الملابس الداخلية ، ٤٠٠ طن اسمنت ، ٢٠٠ طن حديد للبناء . تسلم هذه المواد الى لجنة شعبية في حي المسلخ وتقوم بدورها بمهمة التوزيع. تمنع السلطة من التدخل ». وقد امتنع الناطق الاميركي الرسمي عن الاجابة عما اذا كانت الولايات المتحدة ستستجيب لهذه المطالب لتأمين الافراج عن مورغان .

تفاعلت القضية على أكثر من صعيد وفي مساء ٧/٩ صدر بيان عن قيادة الثورة الفلسطينية بالاشتراك مع الحركة الوطنية اللبنانية بشأن حوادث الخطف عامة وحادثة الضابط الاميركي خاصة ، وقد اتهم البيان عناصر من جبهة النضال الشعبي بخطف الكولونيل وتسليمه الى أحد عناصر الجبهة الشعبية — القيادة العامة ، كما ذكر « ان المنظمة التي ادعت مسؤوليتها عن وجود مورغان عندها منظمة وهمية لا وجود لها » وقال البيان « ان الثورة تجد في كل هذه الحوادث الفرعية واللاانضباطية تهديدا لامنها ومحاولة للتخريب في صفوفها ودعوة لتسعير عداء القوى المتربصة بها واعطائها المبررات لمواقفها التآمرية والتصفوية على الثورة » وأنهى بأن « الثورة سوف تتخذ من جانبها كافة الاجراءات الضرورية لحماية مكاسبها وأمنها واستقرار المواطنين . وتأمل قيادة الثورة من الجهات المعنية تسليمها كافة المطلوبين لوضع حد جذري لهذا التخريب الفوضوي حتى لا تضطر الى وضع يدها على هذه العناصر بالطرق التي تراها مناسبة ».

وردا على هذا البيان أصدرت « جبهة القوى الفلسطينية الرافضة للحلول الاستسلامية » بيانا هاجمت فيه قيادة م.ت.ف. غير أن البيان لم ينف ولم يؤكد في الوقت نفسه وجود مورغان لدى الجهة التي اتهمتها م.ت.ف. ، ولكنه ذكر « ان اتخاذ قضية مورغان الكولونيل الاميركي الذي جاء الى لبنان في مهمة ليست سياحية كوسيلة للهجوم والتشهير بقوى الرفض ، انما يخدم الامبريالية وعملاءها اذ كان موقف قيادة منظمة التحرير من قضية اختفائه مستغربا ».

ومع انتهاء المهلة المحددة في بيان « منظمة العمل الاشتراكي الثوري » مددت « المنظمة » مهلة ٧٢ ساعة اضافية لتحقيق مطاليبها . وفي ٧/١١ وصلت الى محلة المسلخ شاحنتان لبنانيتان تحملان خمسة أطنان من السكر وخمسة أطنان من الرز وقد ذكرت «النهار» (٧/١٢) انها علمت من مصادر مطلعة « ان توزيع المؤن هو جزء من صيغة تسوية تم التوصل اليها ، في مفاوضات واتصالات سرية ، اشتركت فيها أطراف عديدة بينها مسؤول لبناني كبير ورجل أعمال بارز وشخصيات فلسطينية مستقلة ومسؤول فدائي من خارج م.ت.ف. . ووفقا لهذه الصيغة يفترض ان يسلم الخاطفون الكولونيل المخطوف قبل التاسعة من مساء اليوم [٧/١٢] ». وقبل تسليم الضابط حدث تطور مفاجىء مساء ٧/١١ اذ وزعت « وفا » بيانا للجنة الشعبية لمنطقة المسلخ اعلنت فيه « رفضها كل قدية اميركية واصرارها والتزامها بالشعارات والمواقف لـ م.ت.ف. قائدة نضال شعبنا الفلسطيني وبمواقف الحركة الوطنية والتقدمية اللبنانية وايمانها بأن كل مزايدة على هذه المواقف هي عمل لا يخدم الا المصالح الاميركية ». وفي ٧/١٢ جرى تسليم مورغان الى السيد رشيد كرامي ، رئيس الحكومة اللبنانية ، ضمن غبش اعلامي متعمد وتعتيم على الجهة التي قامت بتسليمه . وقد وزعت « وكالة الصحافة الفرنسية » ووكالة « اليونايتدبرس » الاميركية بيانين ذكرا ان المنظمة الخاطفة أبلغتهما انها لم توافق على اطلاق مورغان الا لان السفارة الاميركية استجابت لطلباتها .

وبذلك انتهى أحد الذيول بعد ان كاد يسبب شرخا في الصف الفلسطيني الذي ظهر موحدا متماسكا خلال الازمة جميعها .

الاعتداءات على المخيمات والجنوب : مع التصعيد العسكري الذي مارسته الثورة الفلسطينية في داخل الارض المحتلة خلال الاسابيع الماضية (راجع جدول العمليات العسكرية في هذا العدد) لجأت القوات الاسرائيلية الى قصف مخيمات الفلسطينيين والمناطق الجنوبية المدنية في جنوب لبنان . ففي ١٥ حزيران (يونيو) تعرضت كفرشوبا لخمس غارات بطائرات الفانتوم والسكايهوك والميراج فصلت الغارة عن الاخرى بضع دقائق وكانت الخسائر في هذه الاعتداءات قتيلة واربعة جرحى وتدمير ما تبقى من منازل القرية التي كانت قد تعرضت للقصف في ١٦ كانون الثاني (يناير) الماضي الذي استمر اربعة ايام متتالية. وقد ذكر بيان الناطق العسكري الفلسطيني (رقم ٧٥/١٩٥) ان العدو استهدف بعدوانه قواعد الثورة الفلسطينية والمناطق اللبنانية المدنية وان القصف الجوي والمدفعي شمل مناطق عديدة في قطاع العرقوب .

وفي ليلة ٧/٦ تموز (يوليو) قامت القوات الاسرائيلية الجوية والبحرية والبرية بهجمات استهدفت المخيمات الفلسطينية في منطقة صور والرشيدية وبعض مناطق الجنوب اللبناني وقد ذكر الناطق العسكري الفلسطيني (تصريح رقم ٧٥/٢١٣) ان « ثوارنا تصدوا ببسالة وكفاءة لقوات العدو المهاجمة واستطاعوا دحرها وايقاع خسائر فادحة في صفوفها واسقاط طائرة من طراز سكاي هوك وتدمير زورق وأسر تارب بمعداته وتجهيزاته ». وذكرت التقارير الصحافية انه سقط تسعة شهداء في هذا الهجوم بينهم اربعة أطفال .

وفي الوقت نفسه تعرضت عدة قرى جنوبية للقصف الاسرائيلي مما سبب استشهاد سيدة في بلدة عديسة وجرح سيدة أخرى وطفلة .

وقد كان رد المقاومة سريعا على هذه الاعتداءات فقصفت صباح ٧/٧ مدينة صفد وضواحيها بالصواريخ الثقيلة وكذلك نهاريا وضواحيها . وقد ذكر الناطق العسكري الفلسطيني (بلاغ رقم ٢١٥ — ٧٥) ان هذا الرد يؤكد « ان حملات الارهاب والتنكيل التي يشنها العدو ضد جماهيرنا ... ومدننا وقرانا لن تلقى من ثوارنا الا مزيدا من تصعيد عملياتهم ».

وفي ٧/١٣ تعرض مخيم عين الحلوة قرب صيدا لغارة اسرائيلية جديدة وحسب بلاغ الناطق العسكري الفلسطيني (٧٥/٢٢٣) « قامت طائرات العدو في الساعة الثانية والنصف من بعد الظهر بالاغارة وقصف منطقتي صيدا ومخيم عين الحلوة ، مستخدمة القذائف الصاروخية والاسلحة الرشاشة. وقد استهدف القصف المنشآت المدنية ، واستمرت الغارة حتى الساعة الثانية والدقيقة الخامسة والاربعين ، وعاود طيران العدو في الساعة الثالثة وعشر دقائق قصف مخيم عين الحلوة ومدينة صيدا ، واستمر القصف عشرين دقيقة . وعلى الفور تصدت الجماهير اللبنانية — الفلسطينية في صيدا الباسلة ومخيم عين الحلوة والمقاومة الشعبية في المنطقة لغارات طيران العدو بمختلف الاسلحة، وقد تمكنت مقاوماتنا الارضية من اسقاط احدى طائرات العدو المغيرة في منطقة الصرفند ، كما شوهدت أخرى تهوي محترقة في اتجاه البحر. وقد أسفر العدوان الصهيوني عن استشهاد أربعة من المواطنين واصابة عشرين آخرين بجروح طفيفة ». وذكرت الانباء الصحافية ان صواريخ سام ٧ كانت تلاحق الطائرات المغيرة في كل اتجاه وتمكن احدها من اصابة طائرة معادية وقال شهود عيان انهم رأوا مظلة طيارها تسقط داخل الاراضي اللبنانية شرقي المخيم .

م.ت.ف. وتخفيض خدمات الاونروا : في ١٠ حزيران (يونيو) اوردت وكالات الانباء ان الدكتور فالدهايم ، الامين العام للامم المتحدة ، وجه نداء عاجلا من أجل تقديم التبرعات الضرورية لوكالة غوث اللاجئين الفلسطينيين (الأونروا) لان العجز في موازنتها هذه السنة الذي يقدر بنحو ٣٠ مليون دولار « بلغ من الضخامة حدا لم يعهد من قبل ». وقال في البيان الذي اصدره ان هذا العجز ناتج عن التضخم المالي وخفض أسعار العملات، ويمثل نحو نصف المبلغ المطلوب للابقاء على برامج الاغاثة والصحة والتعليم للاجئين حتى نهاية ١٩٧٥. وحذر من « ان الوضع المالي الان خطير الى حد انه ما لم يتم ورود تبرعات اضافية فلن يكون هناك بديل من اجراء خفض في البرامج او تعليقها خلال النصف الثاني من السنة ١٩٧٥ » وزاد انه « ينظر بقلق بالغ الى احتمال اجراء تخفيضات شديدة في مخصصات اعاشة اللاجئين والالغاء

الفعلي لبرنامج التعليم المدرسي ».

وفي ٦/١٥ عقد الاخ عبد المحسن ابو ميزر الناطق الرسمي باسم اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. ، مؤتمرا صحافيا في دمشق حدد فيه موقف المنظمة من هذه القضية . وذكر ان جملة من الاخطار تترتب عن التوقف عن تقديم الخدمات الحيوية للفلسطينيين أهمها حرمانهم من هذه الخدمات التي تقدمها الوكالة في مجالات الصحة والتعليم والغذاء .وانهاء خدمات ١٥ الف موظف ومستخدم في اقسام الوكالة المختلفة « وهذا سيؤدي الى قطع ارزاق أكثر من ٧٥ الف شخص من عوائل هؤلاء الموظفين والمستخدمين » وأكد عناصر الموقف التالية : « اولا — ان مشكلة اللاجئين قد فرضها العدوان الصهيوني على فلسطين، وان استمرارها ناجم عن رفض اسرائيل المتواصل والمدعوم بتأييد الولايات المتحدة والدوائر الامبريالية الاخرى ، للانصياع الى مقررات الامم المتحدة المتعلقة بعودة اللاجئين الى ديارهم . وان لا حل لهذه المشكلة الا بعودة شعبنا الى وطنه وديارة واملاكه . ثانيا — ان محاولات تصفية خدمات وكالة الغوث تخفي وراءها ، وفي هذا الوقت بالذات ، أهدافا سياسية سافرة ، تستهدف تصفية قضية اللاجئين خارج وطنهم فلسطين. ثالثا — ان المجتمع الدولي هو الذي يتحمل مسؤولية استمرار هذه المسألة وبالتالي المسؤول عن توفير الاموال الكافية لوكالة غوث اللاجئين . رابعا — ان المفوض العام [للوكالة] والدول المضيفة مطالبون بالعمل ، منذ الان ، بعرض هذا الموضوع على الجمعية العامة للامم المتحدة في دورتها المقبلة ، لتأمين موارد ثابتة لميزانية الوكالة وعدم ابقائها كما هي الان معتمدة على التبرعات الطوعية . خامسا — اننا نؤكد رفضنا لتوجهات المفوض العام الرامية الى الحاق عبء ومسؤولية تمويل ميزانية الوكالة على عاتق الدول العربية ، ولممارساته التي من هذا النوع الخارجة أصلا عن اختصاصاته ».

وفي ٦/١٨ أوردت « وفا » ان الاخ ابو ميزر استقبل في دمشق السيد جون رني ، المفوض العام لوكالة الغوث ويصحبته مديرا الوكالة في كل من سوريا ولبنان . وذكرت الوكالة الفلسطينية ان رني استمع الى وجهة نظر م.ت.ف. التي تصر على ان تظل خدمات الوكالة مسؤولية يتولاها المجتمع الدولي المسؤول عن تطبيق قراراته الخاصة بعودة الفلسطينيين الى وطنهم . وبين الاخ ابو ميزر بوضوح ان م.ت.ف. ضد أي انتقاص من هذه المسؤولية وقال ان م.ت.ف. ستقف ضد أية محاولة لوضع تلك المسؤولية على عاتق الدول العربية ، او على مؤسسات غير متخصصة . وقالت « وفا » ان المفوض العام أشار الى انه سيتابع جهوده لزيادة التبرع لزيادة ميزانية الوكالة على أساس ان تمويل الوكالة بوصفها منظمة دولية يجب ان يظل مسؤولية دولية .

العلاقات الدولية :

● استقبل الاخ ابو عمار مساء ٦/١٢ في بيروت وليم فولبرايت ، الرئيس السابق للجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ الاميركي . وذكرت « وفا » انه جرى في اللقاء استعراض شامل وواضح للقضية الفلسطينية من مختلف جوانبها المحلية والدولية . وقد ادلى فولبرايت في وقت لاحق بحديث لصحيفة « الثورة » السورية (٦/٢٠) سئل فيه عن اجتماعه بأبو عمار فأجاب « ان ما يطلبه السيد عرفات طلب منطقي ، وأنا آمل جدا في ان يتم الاعتراف بشعبه وان يتوافر النص القانوني الذي يؤمن كيانا خاصا للشعب الفلسطيني ».

● في ٦/١٢ قررت منظمة العمل الدولية في اجتماعها في جنيف قبول م.ت.ف. عضوا مراقبا في المنظمة، كما قبلت حركات التحرير في جنوب افريقيا وناميبيا وزمبابوي اعضاء مراقبين ايضا . وذكرت « وفا » (٦/١٣) ان بوب هول ، زعيم نقابات العمال الاسترالية ، والمعروف بميوله الصهيونية حاول التشويش على القرار مدعا الى عدم السماح لـ م.ت.ف. بحضور اجتماعات المنظمة الدولية الا بعد ان تتخلى عن هدفها بتدمير اسرائيل وأيده في جهوده مندوبو نقابات العمال في الولايات المتحدة والسويد وكولومبيا وكندا والمانيا الغربية وبريطانيا . وعلى الرغم من ذلك فقد اتخذت المنظمة قرارها المذكور فانسحب مندوبا اميركة واسرائيل من الاجتماع فور اتخاذ القرار . وحضر اجتماع المنظمة وفد فلسطيني برئاسة الاخ

عبد العزيز الوجيه ، عضو اللجنة التنفيذية .

● ذكرت « وفا » (٦/١٤) ان وفدا فلسطينيا برئاسة الاخ فاروق القدومي (ابو اللطف) ، رئيس الدائرة السياسية في م.ت.ف. ، اجتمع في بلجراد بوزير خارجية يوغسلافيا وتم في الاجتماع « استعراض الوضع الراهن في منطقة الشرق الاوسط واحتمالات عقد مؤتمر جنيف ودور دول عدم الانحياز في دعم النضال العربي عامة والفلسطيني بوجه خاص ، كذلك جرت مناقشة الوضع الحالي في الساحة اللبنانية ».

● التقى سفير جمهورية كوريا الديموقراطية في دمشق مساء ٦/١٥ بالاخوين ابو جهاد وابو ماهر، من قيادة فتح ، وذكرت « وفا » انه جرى في اللقاء بحث القضية الفلسطينية كما أكد السفير الكوري مساندة بلاده للشعب الفلسطيني في كافة المجالات.

● في اليوم ذاته استقبل الاخوان المذكوران سفير جمهورية فيتنام الديموقراطية في دمشق الذي أكد من جديد دعم بلاده المطلق للنضال البطولي الذي يخوضه الشعب الفلسطيني بقيادة طلائعه المقاتلة .

● في ٦/١٨ قام سفير جمهورية المانيا الديموقراطية في لبنان بزيارة ابو عمار وجرى خلال الزيارة بحث الاوضاع الراهنة .

● استقبل ابو عمار في ٦/٢٠ في بيروت اللورد كارادون ، وذكرت « وفا » ان كارادون أبدى في اللقاء « رغبته وحرصه ، من خلال المعاناة والالام التي عاناها الشعب الفلسطيني ، على نيل حقوقه المشروعة والعادلة في أقرب فرصة ممكنة » وقال « انه اذا لم تتحمل كافة الاطراف المعنية مسؤولياتها وتنتهز هذه الفرصة المؤاتية الان ، فان حربا مدمرة ستنشأ في منطقة الشرق الاوسط » .

● اجتمع أبو عمار مساء ٦/٢٠ بالسفير الهندي في لبنان ، وتناول البحث آخر تطورات القضية الفلسطينية والوضع الدولي الراهن .

● ذكرت « وفا » (٦/٢١) ان حزب وحدة البروليتاريا في ايطاليا وجه رسالة لـ م.ت.ف. جاء فيها « ان الحزب يرى أن هذه الظروف الخطرة التي تمر بها القضية الفلسطينية بشكل خاص والاوضاع في البحر المتوسط عامة تستوجب عقد اجتماع مشترك لمناقشة الاوضاع الراهنة وتبادل وجهات النظر ازاءها » وقد ترك الحزب للمنظمة تحديد تاريخ عقد الاجتماع المشترك .

● اجتمع ابو عمار مساء ٦/٢٢ في دمشق بالرئيس القبرصي الاسقف مكاريوس بحضور الاخوين زهير محسن ، رئيس الدائرة العسكرية في م.ت.ف. وعبد المحسن ابو ميزر . وذكرت « وفا » ان الرئيس مكاريوس أكد مجددا في اللقاء دعم قبرص وتأييدها للنضال العادل الذي يخوضه الشعب الفلسطيني . هذا ، وكان مكاريوس قد أعلن في وقت سابق في مؤتمر صحفي عقده في القاهرة في ٦/١٨ اعتراف بلاده بـ م.ت.ف. باعتبارها الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني ، كما أعلن موافقته على فتح مكتب للمنظمة في قبرص .

● اجتمع ابو عمار في ٦/٢٢ في دمشق بالسيد بوريس بوناماريوف ، العضو المرشح للمكتب السياسي/سكرتير اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي ، وحضر الاجتماع من الجانب الفلسطيني الاخوة زهير محسن وعبد المحسن ابو ميزر وعبد العزيز الوجيه ومحمد زهدي النشاشيبي أعضاء اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف. ، وخالد الحسن عضو المجلس المركزي ، وعن الجانب السوفياتي : السادة رومانتسيف ، رئيس قسم الشؤون الدولية في الحزب الشيوعي السوفياتي، وفونوغرادوف ، العضو المرشح لعضوية اللجنة المركزية ، ونور الدين محيي الدينوف ، السفير السوفياتي في دمشق . وقد صرح الاخ ابو ميزر عقب انتهاء الاجتماع بأنه « جرى تبادل الرأي ووجهات النظر بين الوفدين الفلسطيني والسوفياتي في جو من التفاهم . وقد تم استعراض الوضع العالمي وانعكاساته على الوضع في المنطقة . وقد أكد الرفيق بوناماريوف التأييد الحازم والمثابر من الاتحاد السوفياتي لنضال الشعب الفلسطيني من أجل استعادة حقوقه الوطنية ، كما عبر عن مساندة الاتحاد السوفياتي لـ م.ت.ف. بصفتها الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني اينما وجد ، بكل الوسائل والامكانات ... وقد شكر الاخ ابو عمار باسم اللجنة التنفيذية وجماهير شعبنا الفلسطيني موقف الاتحاد السوفياتي المبدئي

والصادق من الثورة الفلسطينية وكفاح امتنسا العربية » . هذا ، وقد اجتمع ابو عمار في وقت لاحق (٧/٢) بالسيد الكسندر سولداتوف ، سفير الاتحاد السوفياتي في لبنان ، وتم في الاجتماع بحث آخر تطورات الموقف في الشرق الاوسط عامة والموقف الحالي على الساحة اللبنانية بشكل خاص .

● استقبل الاخ ابو اللطف في ٦/٢٥ في بيروت السيد شهاب الدين ، القائم باعمال سفارة بنغلاديش في لبنان . وذكرت « وفا » انه جرى في اللقاء التأكيد على أهمية ترسيخ العلاقات وتعميقها بين م.ت.ف. وبنغلاديش .

● استقبل ابو اللطف بمقر الدائرة السياسية في بيروت الدكتور قريشي ، السفير الباكستاني في لبنان ، وذكرت « وفا » (٦/٢٦) انه دار في الاجتماع « بحث العلاقات الاخوية الباكستانية — الفلسطينية ».

عصام سخنيني

(٢) القضية الفلسطينية دوليا

ما زالت قضية اعادة النظر التي تجريها الحكومة الامريكية في سياستها الشرق اوسطية تشكل المحور الذي دارت حوله التطورات الدولية المتعلقة بالقضية الفلسطينية في الفترة الاخيرة . وكانت عملية اعادة النظر المفترضة قد بدأت بعد فشل مهمة كيسينجر الاخيرة في الشرق الاوسط . وآخر تطور بارز على هذا الصعيد كان انعقاد قمة سالزبورج بين الرئيسين فورد والسادات (راجع « شؤون فلسطينية » ٤٧ ، ص ٢٤٨ — ٢٥٢) . واستكمالا لمشاورات هذه القمة سافر رابين الى واشنطن في منتصف شهر حزيران حيث أجرى مباحثات مطولة مع الرئيس فورد وكبار المسؤولين الامريكيين بمن فيهم كيسينجر (أنظر المرجع السابق، ص ٢٥٣ — ٢٥٤) . وخلال وجوده في واشنطن ادلى رابين بسلسلة من التصريحات السياسية نجمل أهم ما جاء فيها بالنقاط التالية : (أ) ان اسرائيل لن توافق على أي اتفاق جزئي جديد مع مصر الا اذا احترمت الاخيرة « كافة تعهداتها السابقة وخاصة وعدها بالسماح للبضائع الاسرائيلية بالمرور عبر قناة السويس ». (ب) ان محادثاته مع فورد اقنعته بأن بعض التغيرات قد طرأت على الموقف المصري السابق . (ج) ان حكومته تحبذ قيام اتحاد اسرائيلي — اردني — فلسطيني في الضفة الغربية كحل للمشكلة الفلسطينية . وفي هذا الكلام اشارة الى الموقف الاسرائيلي المعروف حول الاصرار على التعامل مع النظام الاردني بشأن الضفة الغربية بحيث « يعبر الشعب الفلسطيني عن طموحاته القومية من خلال الكيان الاردني» على حد قول العبارات الاسرائيلية الدارجة حاليا . (د) ان اسرائيل ترحب بجانب من الاتصالات الاردنية — السورية الاخيرة لان في ذلك تدعيما لموقف النظام الاردني في وجه منظمة التحرير وخاصة بالنسبة لاية تسوية مستقبلية للقضية الفلسطينية . (هـ) ان الطريق الوحيد الذي يمكن لاسرائيل ان تسير فيها هي طريق الاتفاقات الجزئية والمؤقتة لان «التسوية الشاملة»

تنطوي على صعوبات كبيرة تتناول حدود اسرائيل المستقبلية والمشكلة الفلسطينية ونوعية التسوية نفسها . وطالب رابين الولايات المتحدة بعدم الالتزام بالبحث عن اية تسوية شاملة ونهائية وهو يشير بذلك الى ما تردد حول الضغط الذي تمارسه الولايات المتحدة لانجاز التسوية الجزئية المؤقتة في جبهة سيناء عن طريق التلميح للاسرائيليين بانه ما لم تتم مثل هذه التسوية في المستقبل القريب ستضطر الولايات المتحدة عندئذ الذهاب الى مؤتمر جنيف حيث لا بد من مناقشة النزاع في الشرق الاوسط مناقشة كلية وطرح حلول شاملة . وهذا تماما ما لا تريده اسرائيل . (و) ذكر رابين انه عرض على فورد « خطة سلام » اسرائيلية تحتفظ اسرائيل بموجبها بشرم الشيخ وبطريق يربط بينها وبين ايلات كما تحتفظ بمرتفعات الجولان بعد ادخال بعض التعديلات على الحدود القائمة فيها . أما بالنسبة للاردن فتدعو الخطة الاسرائيلية الى اتحاد فيدرالي بين اسرائيل والاردن لحل المشكلة الفلسطينية ضمن اطاره على ان تبقى الضفة الغربية تحت السيطرة العسكرية الاسرائيلية والاردنية معا . وذكر رابين بانه لجأ الى الخرائط لايضاح خطته للرئيس الامريكي .

تمثلت الخطوة الرئيسية الاخيرة في عملية اعادة تقييم السياسة الامريكية في المشاورات التي أجراها وزير خارجية سوريا عبد الحليم خدام في واشنطن مع الرئيس فورد ووزير خارجيته وذلك في النصف الاخير من شهر حزيران المنصرم . ذكرت المصادر السورية الرسمية ان مباحثات خدام تناولت آخر التطورات في الشرق الاوسط . اما الجانب الامريكي فقد أعلن ان زيارة خدام لواشنطن هي امتداد للمشاورات التي تجريها الولايات المتحدة مع الحكومات المعنية في الشرق الاوسط ، وان الزيارة جاءت نتيجة طلب الحكومة الامريكية من الرئيس الاسد ارسال من يمثل سوريا الى واشنطن . وجدير بالاشارة ان خدام توقف في لندن حيث اجرى محادثات مع وزير خارجية بريطانيا . وذكرت الانباء الصحافية ، استنادا الى المصادر الدبلوماسية العربية والامريكية المطلعة في واشنطن المعلومات التالية حول زيارة خدام : (أ) ان الوزير السوري عبر اثناء محادثاته عن رفض بلاده لمنطق اسرائيل القائل بأن الجولان بقعة صغيرة لا يمكن التنازل عنها لاسباب أمنية اسرائيلية . وشدد خدام على ان اعادة الجولان الى السيادة السورية لا يمكن ان يرتبط بخطوات جزئية ومرحلية وان الموقف الاسرائيلي من موضوع الجولان لا هدف له الا التهرب من ضرورات ايجاد حل شامل للنزاع في المنطقة . (ب) ان الجانب الامريكي لم يكن راضيا عن الموقف السوري وهذا واضح من التصريحات المقتضبة جدا التي صدرت عن الطرفين بخصوص الزيارة والتي لم ترد فيها حتى العبارات الدبلوماسية التقليدية حول حدوث تقدم في المحادثات . وفي مقابل الموقف السوري تطالب أمريكا بأن لا تصر سوريا على ربط الانسحاب الاسرائيلي الجزئي في سيناء بانسحاب مماثل في الجولان . بعبارة اخرى تريد الولايات المتحدة فصل الجبهة السورية عن الجبهة المصرية وتغطية ذلك دبلوماسيا بابقاء سوريا ضمن اطار المساعي السياسية الجارية « لتحقيق السلام » في المنطقة على حد التعابير المستخدمة كثيرا في الوقت الحاضر . في حين يصر الجانب السوري على وحدة الجبهتين العربيتين ان كان في العمليات الحربية او العمليات الدبلوماسية .

واثناء عودة الوزير خدام الى سوريا توقف في باريس حيث اجرى محادثات مع وزير الخارجية الفرنسي . وذكرت الانباء ان خدام اوضح لزميله ضرورة عدم اقتصار فك الارتباط الجديد على جبهة سيناء وحدها وأهمية شموله للجبهات العربية الثلاث معا . وأوضح خدام ان هذا لا يعني اصرار سوريا على جدوث الانسحابات الاسرائيلية في وقت واحد في الجبهات الثلاث بل ان يتخذ القرار المبدئي في هذا الشأن في وقت واحد ووفقا لجدول زمني معقول .

بعد زيارة خدام نشرت صحيفة « النيويورك تايمس » تحليلا لعملية اعادة النظر في السياسة الامريكية في الشرق الاوسط ذكرت فيه ان الحكومة الامريكية قد توصلت الى عدد من النتائج أهمها الحؤول دون اندلاع حرب جديدة في الشرق الاوسط حماية للمصالح الامريكية هناك وزيادة في تدعيم نفوذها في المنطقة . ابتعاد الحكومة الامريكية عن فكرة انعقاد مؤتمر جنيف والعودة الى سياسة الخطوة خطوة للوصول الى السلام عن طريق المراحل . ان الرئيس السادات زعيم يمكن

للولايات المتحدة ان تثق به وتعتمد عليه بصفته زعيما معتدلا يعمل على تحويل بلاده نحو الغرب وبعيدا عن الاتحاد السوفياتي ، خاصة وان الحكومة الامريكية حريصة على الوجود الضخم الذي أوجدته لنفسها مؤخرا في البلدان العربية والقاهرة هي مفتاح هذا الوجود. وشبهت الصحيفة الامريكية توطيد علاقات الولايات المتحدة بالحكومة المصرية بتوطيد العلاقات مع السعودية وايران وغيرها من الدول بهدف استمرار تدفق النفط الى الغرب وابعاد المنطقة « عن مناطق النفوذ السوفياتي » .

لا بد من الاشارة ايضا الى ان انتهاء عملية اعادة النظر في السياسة الامريكية قد انتجت سلسلة من التصريحات الامريكية والمصرية على أعلى المستويات . بالنسبة للجانب الامريكي ألقى كيسينجر خطابا في ٢٥ حزيران بسط فيه الخطوط العامة للسياسة الامريكية بعد « اعادة النظر » المذكورة . وكان أهم ما جاء في خطابه ما يلي : (أ) التأكيد على التزام بلاده التاريخي والمعنوي ببقاء اسرائيل ورفاهيتها . (ب) التأكيد على مصالح امريكا الضخمة في العالم العربي « الذي يضم اكثر من ١٥٠ مليون نسمة يملكون اكبر مخزون من النفط في العالم » على حد قول الوزير الامريكي . (جـ) التأكيد على ان تصاعد النزاع في الشرق الاوسط وبلوغه نقطة الخطر سيؤثر على علاقات امريكا بحلفائها (اوروبا واليابان) تأثيرا سلبيا كما يمكن أن يؤدي الى نشوب أزمة دولية كبرى حول النفط تهدد رفاه الدول الصناعية المتقدمة بالاضافة الى اخطار حدوث مواجهة امريكية سوفياتية مباشرة . (د) التأكيد على ان سياسة حكومته هي حماية كل مصالحها في الشرق الاوسط بسبب انغماسها « الاقتصادي والسياسي والعسكري » في المنطقة . (هـ) التأكيد على ان الاعتبارات التي جرى بسطها تتطلب من الحكومة الامريكية تحركا مستمرا ونشيطا نحو تحقيق تسوية دائمة في المنطقة على ان تأخذ الحلول المطروحة بعين الاعتبار السلامة الاقليمية لجميع شعوب المنطقة ودولها وحقها في العيش بأمان وسلام . (و) رحب كيسينجر باعادة فتح قناة السويس وبقرار سوريا تمديد مدة انتداب قوات الطوارىء الدولية ستة اشهر اخرى وبقرار حكومة اسرائيل خفض قواتها في المنطقة المحدودة التسلح في جبهة سيناء . وفي ٢٧ حزيران صرح جوزيف سيسكو قائلا بأن منظمة التحرير غير مؤهلة للتفاوض باسم الضفة الغربية وأكد ان الملك حسين يجب ان يقوم بدور المفاوض مع اسرائيل حول مستقبل الضفة . وأضاف سيسكو قائلا ان منظمة التحرير منقسمة على نفسها وسترفض اسرائيل الاعتراف بها طالما « بقيت المنظمة منظمة ارهابية ترفض الاعتراف بحق اسرائيل في الوجود » . لذلك أكد ان المطلوب حاليا هو الخروج بقرار فلسطيني يؤكد حق اسرائيل في الوجود وبدون ذلك من المستحيل التوصل الى تسوية حقيقية في المنطقة . ويبدو لنا ان سيسكو قد عبر في تصريحاته المذكورة عن النتائج التي توصلت اليها الحكومة الامريكية بعد اعادة النظر في سياستها بالنسبة للقضية الفلسطينية عموما ومنظمة التحرير بصورة خاصة .

بالنسبة للجانب المصري أجرت صحيفة «النهار» (١٧ حزيران) مقابلة مطولة مع الرئيس السادات شرح فيها منظوره للسياسة الامريكية « الجديدة » (أي بعد اعادة النظر) في المنطقة . وكان أهم ما قاله السادات ما يلي : (١) ان امريكا اخذت تفكر جديا لاول مرة بطرح حل شامل وكامل للنزاع في المنطقة « وهذا ما لم تفعله منذ ١٩٦٧ » . وعزا الرئيس السادات هذا « التطور الايجابي » في السياسة الامريكية الى حرب اكتوبر ونتائجها . وبهذا الصدد كرر السادات ايضا ما كان قد قاله الرئيس فورد سابقا حول استخدام السياسة الامريكية لدبلوماسية الخطوة خطوة والعمل في الوقت نفسه على انعقاد مؤتمر جنيف . وصف السادات هذا الاتجاه بقوله انه « محاولة للقيام بمسعى جديد بانتظار عقد مؤتمر جنيف وهو محاولة اخرى لسياسة الخطوة خطوة لاتمام ما لم يتم في اسوان ... والذهاب الى جنيف واتمام الخطوة خطوة من داخل جنيف » . (٢) أشاد السادات اشادة كبيرة بالرئيس فورد واصفا اياه بأنه « ليس « كاوبوي زي جونسون » بل هو رجل « من الميدوست » (أي أواسط الولايات المتحدة حيث المناطق الزراعية الكبرى) حيث الناس فلاحون وعند الفلاحين تجد دائما خلق الاستقرار والكلمة والبساطة والصراحة والذهاب الى الهدف مباشرة » . وعبر الرئيس المصري عن سعادته بأنه

وجد كل هذه « الصفات الحميدة » في الرئيس الامريكي . وأكد أن فورد مصمم على الوصول الى حل لمشكلة الشرق الاوسط ولن يسمح بعودة « حالة الركود او الغموض » لتخيم على الازمة مرة اخرى . (٣) اكد السادات ان على العرب ان يكونوا واضحين ومدركين لنقطة هامة هي انه لا فورد ولا الكونغرس يستطيعان التخلي عن اسرائيل او عن علاقتهم الخاصة بها . واكد السادات بأنه لم يطلب شيئا من هذا القبيل من الحكومة الامريكية بل طلب موقفا امريكيا واضحا خاصة وان اسرائيل ضربت مهمة كيسينجر الاخيرة وأساءت الى السياسة الامريكية في الشرق الاوسط . (٤) شدد السادات في كلامه على التزامه بمقررات مؤتمر قمة الرباط التي تنص على عدم التسليم بشبر من الارض او المساومة على حقوق الشعب الفلسطيني . (٥) ألح السادات على ان المسألة الحيوية المطروحة حاليا على الفلسطينيين هي تشكيل حكومة مؤقتة لان مثل هذه الحكومة هي وحدها القادرة على بلورة الموقف الفلسطيني بصورة قاطعة وعلى تحديد المطالب الفلسطينية بصورة جازمة ونهائية . وألمح السادات بشكل غير مباشر نوعا ما الى « ان امريكا لا تستطيع الاتصال بحركة تحرير ، كمبدأ عام ، في حين يمكنها الاتصال بحكومة مؤقتة » . يضاف الى ذلك ان تشكيل مثل هذه الحكومة سيعطي الفلسطينيين « الاداة التي تجعلهم يتصرفون كما يتصرف كل واحد منا » . أي كما تتصرف « كل حكومة من الحكومات العربية » فتكون المقاومة قادرة عندئذ على تقرير « ماذا تريد ما هو موقفها تجاه السلم وموقفها في الحرب » . وأضاف قائلا حول هذا الموضوع الهام بأنه حتى اليوم لا يستطيع احد ان يقول ما اذا كان الفلسطينيون قد أجمعوا على الذهاب الى جينيف أم لا . « وحتى الذين يوافقون على الذهاب الى جينيف لا يقولون ذلك ولا نعرف حساباتهم ثم نسمع جبهات الرفض وكلامها ومناقشاتها . ولا نعرف الى اي حد يمكن ان تنضبط هذه الجبهات في اطار موقف فلسطيني موحد » .

يبدو ان النقطة الجوهرية في السياسة الامريكية ـ الاسرائيلية الحالية هي التوصل الى تسوية جزئية منفصلة ومنعزلة في سيناء بأفضل الشروط الممكنة لاسرائيل وعن طريق الحصول على تنازلات مصرية جديدة . وفي الوقت الحاضر الاتصالات العلنية والسرية جارية على قدم وساق في اعلى المستويات للوصول الى هذا الهدف . وقد طغت على السطح عدد من التصريحات والبيانات والبيانات المضادة والانباء الموثوقة والتكذيبات التي تشير كلها الى المناورات الجارية حاليا لتحقيق التسوية الجزئية المذكورة وتجميد الوضع بالمنطقة لبضع سنوات قادمة بالاضافة الى وضع كل من سوريا ومنظمة التحرير في موضع الاحراج السياسي الكبير والعزلة الدبلوماسية في المنطقة . ففي ٢٩ حزيران صدر تصريح رسمي في تل ابيب يقول بأن اسرائيل اصيبت بخيبة أمل بسبب دعم الولايات المتحدة لمطلب مصر بانسحاب القوات الاسرائيلية من الممرين الاستراتيجيين في سيناء وحقول النفط في أبو رديس . وبعد بضعة ايام صدرت انباء من القاهرة تقول بأن الاختلاف الاساسي حول فك الارتباط الجديد يدور حول حجم الانسحاب الاسرائيلي من سيناء . وذكرت هذه الانباء ان مصر اكدت على مطلبها الاساسي المذكور وأبدت استعدادها لوضع الممرات تحت سيطرة قوات الامم المتحدة بدلا من القوات المصرية وجعل مدة الاتفاق الجديد حوالي ثلاث سنوات . وفي هذه الاثناء أعلن فورد في مقابلة نشرتها صحيفة « الواشنطن بوست » (٢ تموز) ان حكومته ستدعو الى استئناف محادثات مؤتمر جينيف للسلام اذا لم يتم الوصول الى اتفاق مؤقت بين مصر واسرائيل من خلال دبلوماسية الخطوة خطوة . وواضح ان في هذا التصريح حثا لطرفي النزاع على تحقيق الهدف المطلوب بدون تأزيم للعلاقات مع أي منهما خاصة وان اسرائيل ابعد ما تكون عن الرغبة في انعقاد مؤتمر جينيف والرئيس السادات غير متحمس للفكرة حاليا كما هو واضح من سياساته (في حين يصر الاتحاد السوفياتي على ضرورة انعقاد المؤتمر) . وهذا كيسينجر حذر رئيسه في تصريح ادلى به في ٦ تموز حث فيه على اغتنام الفرصة المتاحة الان للوصول الى اتفاق مؤقت مع مصر في صحراء سيناء مذكرا بأن الحرب ستترك عواقب وخيمة خاصة بالنسبة لاسرائيل . وفي ٩ تموز وزعت هيئة الاذاعة البريطانية نبأ اسندته الى مصادر مطلعة في العواصم المعنية يقول

بأن مصر واسرائيل قد توصلتا عمليا الى اتفاق جديد لفصل القوات. وأوردت هيئة الاذاعة البنود الاساسية للاتفاق على النحو التالي : (١) تنسحب اسرائيل من الممرات وحقول النفط بشرط ان تبقي مراكزها العسكرية على السفوح الشرقية لممري متلا وجسدي . (ب) يدير خبراء عسكريون امريكيون مواقع الرادار الاسرائيلية في ممر جدي ويقدمون جميع المعلومات التي تتجمع في هذه المواقع حول القوات المصرية الى السلطات الاسرائيلية . (ج) تكون المناطق التي يتم الجلاء عنها تحت ادارة مصرية مدنية ويمنع اي وجود عسكري مصري فيها وتعتبر هذه المناطق جزءا من منطقة الفصل بين القوات المصرية والاسرائيلية وتعسكر فيها قوات الامم المتحدة . (د) تضمن مصر تجديد انتداب مدة قوات الطوارىء الدولية لمدة الثلاث سنوات المقبلة . (هـ) ترفع مصر المقاطعة المفروضة على الشركات الامريكية التي تتعامل مع اسرائيل كما تخفف من حملاتها الدعائية والاعلامية ضد اسرائيل .

سبب هذا النبأ المفصل بلبلة دبلوماسية وعددا من التصريحات المتضاربة . الا انه يبدو لنا ان مقارنة هذه التصريحات ببعضها تجعلنا اكثر ميلا للنظر الى نبأ هيئة الاذاعة البريطانية على انه يعكس الى حد كبير الخطوط العامة للاتفاق الذي تعمل الولايات المتحدة للتوصل اليه في جبهة سيناء . بالنسبة للجانب المصري أعرب وزير الخارجية اسماعيل فهمي عن دهشته قائلا أن حكومته لم تتلق حتى الان اي جديد من الولايات المتحدة حول موضوع التسوية . الا انه لم ينف نفيا مباشرا وصريحا نبأ الاذاعة البريطانية . وفي ١٠ تموز نقلت وكالات الانباء تصريحا للرئيس السادات ادلى به الى صحيفة « بوسطن هيرالد اميركان » قال فيه بأن مصر واسرائيل قد اتفقتا على الشروط الاساسية لاتفاق جديد لفصل القوات في سيناء . وذكر النبأ ان السادات قال بأنه ابلغ الرئيس فورد في سالزبورج انه بامكان الولايات المتحدة الاشراف على أجهزة الانذار في مضيقي متلا وجدي بعد ان تنسحب اسرائيل منهما . كما التزم بتمديد مهمة قوات الطوارىء بصورة سنوية بدلا من تمديدها كل ثلاثة او ستة اشهر . وعاد السادات الى الاشادة بفورد قائلا « ينبغي ان اعترف بصراحة بأنني أحببت الرجل (أي فورد) وان صورته هي الصورة التي افتقدتها امريكا منذ ايزنهاور وكينيدي » . بعد كل هذه البلبلة صدرت تصريحات اخرى عن القاهرة تقول بأن اقوال السادات قد خضعت لبعض التحريف وسوء الفهم .

اما الجانب الاسرائيلي فقد « نفى » هو بدوره على لسان رابين ما قالته هيئة الاذاعة البريطانية الا ان نفيه كان ضعيفا واخذ صيغة القول « بأن الانباء المتعلقة بالتوصل الى اتفاق مؤقت سابقة لاوانها » ونصح بالامتناع عن تداول مثل هذه الاخبار حتى يتم التوصل الى اتفاق بالفعل .

واستمرارا للاتصالات الحثيثة الجارية للوصول الى تسوية جزئية في سيناء التقى رابين بوزير الخارجية الامريكي في المانيا الغربية خلال الاسبوع الثاني من شهر تموز . قبل اجتماعه الى كيسينجر ادلى رابين بتصريحات تناولت الوضع في الشرق الاوسط عموما واشارت بصورة خاصة الى موضوع التسوية الجزئية والى بعض بنود الاتفاق كما نشرتها هيئة الاذاعة البريطانية . ويمكننا تلخيص أهم ما جاء في تصريحات رابين بالنقاط التالية : (أ) اكد مجددا ان الحكومة الاسرائيلية ترفض الدخول في اية مناقشات « مع المنظمات الارهابية التي جعلت هدفها المعلن تدمير اسرائيل». (ب) اشار الى مستقبل الضفة الغربية قائلا بأن اسرائيل ترغب باتفاق سلام مع الاردن على اساس وجود دولتين مستقلتين هما اسرائيل وعاصمتها مدينة القدس الموحدة ودولة عربية فلسطينية (وأردنية) الى الشرق من اسرائيل حيث يتمكن الفلسطينيون العرب من التعبير عن شخصيتهم الوطنية . نفى ان تكون اسرائيل متصلبة بالنسبة للتسوية الجزئية مع مصر واكد بأن حكومته ستقدم تنازلات ملموسة على صعيدي الارض وحقول النفط على الرغم من ان ما ستحصل عليه في المقابل ليس الا كلام مكتوب على الورق . (ج) اشار الى ان مواضيع مثل انهاء ضغط المقاطعة العربية على الشركات التي تتعامل مع اسرائيل وتخفيف الحملات العربية ضد اسرائيل وكيفية الاشراف على اجهزة الانذار المبكرة في الممرات الاستراتيجية هي قيد الدرس حاليا في المفاوضات الجارية حول التسوية الجزئية المذكورة . (د) اكد رابين مجددا ان

التسوية الشاملة والنهائية في المنطقة لا يمكن ان تعني ابدا تنازل اسرائيل عن كل الاراضي العربية المحتلة في ١٩٦٧ اذ ان اسرائيل تعتقد ان الحدود التي كانت قائمة قبل حرب حزيران لا يمكن الدفاع عنها . (هـ) أوضح رفض اسرائيل لفكرة اي اتفاق مؤقت في جبهتي الجولان والاردن « لاسباب جغرافية وطوبوغرافية » على حد قوله .

وعلى اثر مباحثاته مع كيسينجر أعلن رابين انه ما تزال هناك بعض العقبات التي لم يتم تخطيها بعد في طريق التوصل الى اتفاق جزئي مصري ـ اسرائيلي. وأوضح بأنه يأمل هو والوزير كيسينجر في ازالة هذه العقبات بعد أن قدم الوزير الامريكي ايضاحات معينة اثناء البحث في كل جوانب الاتفاق الجزئي المذكور . كما ذكر رابين ان مجلس وزرائه سيناقش نتائج مباحثاته مع كيسينجر ويقوم بعدها السفير الاسرائيلي في واشنطن بنقل نتائج مداولات مجلس الوزراء الاسرائيلي الى واشنطن والى الدكتور كيسينجر بالتخصيص . وقد ذكرت مصادر صحافية مطلعة بأن الخطوط العريضة للاتفاق الجزئي مع مصر قد اصبحت واضحة نوعا ما وتكهنت بجولة اخرى للوزير كيسينجر في المنطقة وبمحادثات عسكرية مباشرة بين مصر واسرائيل قبل اعلان الصيغة النهائية للاتفاق حوالي نهاية شهر آب .

على صعيد آخر ما زالت العلاقات المصرية السوفياتية على حالها من حيث البرود والركود . ومما زاد في تدهور الوضع الحملة التي شنتها الصحافة المصرية على صفقة الاسلحة الليبية السوفياتية واستمرار الرئيس السادات في الاعتماد الكلي على دبلوماسية كيسينجر في المنطقة بمعزل عن الاتحاد السوفياتي . وذكرت الانباء الصحافية الموثوقة بأن ليونيد بريجنيف قد تخلى نهائيا عن فكرة زيارة القاهرة (كما كان يفترض ان يفعل منذ عدة شهور) في المرحلة الراهنة على أقل تعديل .

بالنسبة لاوروبا ادلى الرئيس الفرنسي جيسكار ديستان بتصريح مطول الى صحيفة « النيويورك تايمس » تناول فيه مشكلة الشرق الاوسط . ذكر الرئيس الفرنسي بأن حكومته كانت صريحة جدا مع الاسرائيليين بقولها لهم بأنهم لن يحصلوا على شروط افضل لتسوية نزاعهم مع العالم العربي من الشروط المطروحة حاليا لان الدول العربية عموما وافقت على حدود اسرائيل كما كانت قبل حرب حزيران ١٩٦٧ . وأكد ديستان ان فرصة اسرائيل في الاحتفاظ بالاراضي العربية المحتلة معدومة وان اسرائيل مخطئة بانطلاقها من المبدأ القائل بأن الوقت يعمل لصلحتها خاصة وان الولايات المتحدة لن ترسل جنودها الى المنطقة لحماية اسرائيل في حال اندلاع حرب جديدة بين طرفي النزاع .

وفي هيئة الامم صرح فالدهايم في مؤتمر صحافي في الاسبوع الاول من تموز قائلا بأنه لا يستبعد انعقاد مؤتمر جنيف قبل نهاية هذا العام لكن كل شيء يتوقف الان على نتيجة الجهود الامريكية المبذولة حاليا من اجل الوصول الى اتفاق جزئي مع مصر. واعتبر فالدهايم الحلول الجزئية مساهمة في خلق الاجواء المناسبة للوصول الى حل شامل ونهائي في آخر المطاف .

(٣) المناطق المحتلة

الانعكاس السياسي لانفجار الثلاجة

كان أهم حدث شهدته المناطق المحتلة خلال الفترة القصيرة الماضية ، الانفجار الذي شهده ميدان صهيون بالقدس في تاريخ ٧٥/٧/٤ وادى الى مقتل وجرح العشرات . ولم تتوقف اهمية هذا الحدث عند عدد القتلى والجرحى ، بل في النتائج المباشرة التي ترتبت على وقوعه .

فلقد كانت ردة الفعل الاسرائيلية الرسمية اعتقال اعداد كبيرة من الشبان العرب من سكان القدس بلغ عددهم كما ذكرت وسائل الاعلام الاسرائيلية نحو ٣٠٠ معتقل . وبالرغم من ان حملة القمع هذه كانت متوقعة بعد حدوث الانفجار، خاصة وان عشرات الشبان قد اعتقلوا قبل الحادث بأيام قليلة ، الا ان امتداد حملة القمع على أيدي جهات اسرائيلية غير رسمية لتصل مواطنين عرب عاديين مثل البائعين المتجولين واصحاب المحلات التجارية والمارة وغيرهم ، كان هو الابرز والاهم في ردة الفعل الاسرائيلية. فمن خلال هياج عشرات الشبان اليهود المتدينين والمتطرفين واعتداءاتهم العنصرية العشوائية على المواطنين العرب ، برزت حقيقة سياسة « التعايش » التي جهدت السلطات الاسرائيلية لفرضها على السكان العرب المحتلين والمقهورين في ديارهم ووطنهم .

وأدرك كبار القادة الاسرائيليين خطورة الاعمال الانتقامية ضد المواطنين العرب على أيدي الجماعات اليهودية المتطرفة . وساقوا التحذير تلو التحذير لتجنب المس بسياسة « التعايش » . وكان هذا هو ما أعلنه شلومو هيلل وزير الشرطة الاسرائيلية محذرا بأن هدف الفدائيين هو ضرب سياسة التعايش تلك التي تسعى اسرائيل الى بسطها في المناطق المحتلة وخاصة في مدينة القدس. وأدرك رئيس بلدية القدس تيدي كولك ما ادركه هيلل حين صرح بأن الرد الاسرائيلي على عمليات الفدائيين يجب ان يكون في المزيد من اجراءات الضم والتوحيد في مدينة القدس .

على ان الاجراء السياسي الاسرائيلي الاكثر خطورة والذي ترتب على عملية القدس ، تمثل في اغلاق الجسور على نهر الاردن لمدة قصيرة ومن ثم اصدار قرار يمنع سفر سكان الضفة الغربية الى الدول العربية ، على ان يشمل هذا المنع الاشخاص الذين تتراوح اعمارهم بين ١٦ — ٤٠ سنة (ر. ا. ا. عدد ٨٥٦) .

وكان الحاكم العسكري الاسرائيلي للضفة الغربية المحتلة قد أصدر أمرا مماثلا قبل فترة من وقوع عملية القدس، وذلك احساسا من سلطات الاحتلال بتصاعد موجة اعمال المقاومة في المناطق المحتلة وخاصة في الضفة الغربية . فقد نشرت صحيفة الشعب في عددها الصادر يوم ٧٥/٥/١٩ تفاصيل أمر الحاكم العسكري الذي بدأ سريانه اعتبارا من تاريخ ١٩٧٥/٦/١٥ .

وجاء في الامر ان قرار منع السفر ينطبق على الشبان من مواليد ٥٠ — ١٩٥٩ الذين يرغبون في الخروج على ان لا يعودوا الا بعد ٦ اشهر باستثناء بعض الحالات منها حالة الوفاة او المرض او الزواج .

وطلب من الراغبين في السفر في هذه السن ، مراجعة رؤساء البلديات كل في منطقته، وتقديم أوراق ثبوتية في الحالة المعنية ، لرفعها للحاكم العسكري للنظر فيها . أما في حالة الطلبة الراغبين بالسفر من اجل تقديم الامتحانات في الجامعات العربية ، فيطلب منهم مراجعة رئيس البلدية واحضار اوراقهم الثبوتية من مكتب التربية والتعليم او مكتب تسجيل الجامعات .

والذي يهمنا من خلال كل تلك الاجراءات ، هو ان سياسة الجسور المفتوحة التي ارسى دعائمها موشيه ديان منذ حوالي ثماني سنوات ، معرضة الان للعطب بفعل عمليات المقاومة التي دأب الاعلام الاسرائيلي على تحميل مسؤولياتها لاناس من الخارج . نتيجة لهذه السياسة الاعلامية ، كثرت النقاشات الاسرائيلية داخل الكنيست ولدى الاحزاب الاسرائيلية حول جدوى وضرر سياسة الجسور المفتوحة هذه . وفي الاونة الاخيرة ، فان كثيرا من الاوساط بدأت تطالب بقوة بالتخلي من سياسة الجسور المفتوحة ووضع حد لها . وما

الاجراءات الجديدة حول الجسور والتشدد في معاملات العبور على النهر، خاصة في هذا الصيف، الا دليل على الاحساس الاسرائيلي المتزايد بخطورة استمرار سياسة الجسور المفتوحة ، على الرغم من المكاسب والمزايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي تجنيها اسرائيل عبر هذه السياسة .

من ناحية اخرى ، وضمن سلسلة ردود الفعل الاسرائيلية على حادث الانفجار الكبير قدم بنيامين هاليفي عضو الكنيست المنشق عن كتلة ليكود المعارضة ، مشروع قانون الى الكنيست لتطبيق عقوبة الاعدام على مرتكبي الحوادث التي تتخذ شكل « اغتيالات جماعية » . ومن الجدير بالذكر ان هاليفي كان احد القضاة الثلاثة الذين حكموا على ايخمان بالاعدام ، ثم استقال من القضاء بعد ذلك وانضم الى حيروت احد الاحزاب اليمينية المتطرفة . وقال هاليفي في معرض تقديمه لذلك الاقتراح في الكنيست انه يجب رفع كل القيود المفروضة على المحاكم العسكرية والتي تمنعها من اصدار احكام بالاعدام .

وفي هذه الاثناء طالب زميل لهاليفي في كتلة الليكود هو شموئيل تامير ، الحكومة الاسرائيلية القيام بمراجعة جذرية لسياسة الجسور المفتوحة على نهر الاردن . وقال في معرض وصفه لهذه السياسة بأنها لم تعد تتجاوب مع اي هدف من الاهداف التي حددت لها في بداية تطبيقها بعد حرب العام ١٩٦٧ .

وكانت الصحف الاسرائيلية من جهتها قد دأبت خلال الايام الاخيرة على الاشارة الى ان حرية الدخول والخروج عبر جسور نهر الاردن ، هي سبب الموجة المتصاعدة من الاعمال الفدائية في المناطق المحتلة .

حق الاستئناف للمبعدين قبل ابعادهم

لقيت النضالات الجماهيرية في الارض المحتلة ضد حملات الابعاد للمواطنين العرب ، استجابة وتأييدا كبيرين من مختلف أوساط الرأي العام العالمي . وشاركت قطاعات ديمقراطية اسرائيلية ذوي المعتقلين في مظاهرات الاستنكار والاعتصام ضد سياسة الابعاد التي ظلت تمارسها السلطات المحتلة طوال سنوات الاحتلال السابقة .

وبعد الادانات المتتالية والاستنكارات العميقة التي احدثتها سياسة الابعاد هذه ، قررت محكمة العدل العليا الاسرائيلية مؤخرا انه يحق لمن يصدر ضده حكم بالابعاد الاعتراض على هذا الحكم الى ان تبت في أمره المحكمة .

وقد جاء قرار المحكمة هذا في معرض نظرها بالطلب الذي قدمته المحامية فيلتسيا لانغر لاصدار أمر بعدم ابعاد ٢٨ معتقلا اداريا الى لبنان او اي مكان آخر . وقد وافقت المحكمة على ما قالته المحامية لانغر بأن الابعاد تم لغاية الان بصورة غير قانونية ، اذ انه لم تعط للمبعدين امكانية الاستئناف على قرار الابعاد كما هو منصوص عليه في القانون .

واصدرت المحكمة قرارها الذي جاء فيه انه يحق لمن يصدر ضده امر بالابعاد التوجه الى اللجنة الاستشارية التي اقيمت بموجب البند ٨/١١٢ من قانون الطوارىء لعام ١٩٤٥ . وقررت المحكمة انه بعد ان تنظر هذه اللجنة في الامر تقدم توصياتها الى الحكومة . واضاف القرار انه حتى لو صدر في المستقبل امر ابعاد ، فان لمن يتعلق به أمر الابعاد ، الحق بالاستئناف للجنة الاستشارية وبعدئذ يطرح الموضوع امام الحكومة .

وبالرغم من رفض طلب المحامية لانغر باصدار امر عدم الابعاد ، فانه يمكن الاستنتاج من هذه الفقرة ، انه على الاقل ، حصلت المحامية لانغر على احد اهدافها من القضية ، حيث تقرر انه لا يمكن ابعاد شخص من وطنه دون اعطائه امكانية للاستئناف على امر الابعاد ، وهو الشيء الذي لم يكن موجودا لغاية الان .

وكانت المحامية لانغر قد قدمت الطلب المذكور الى محكمة العدل العليا بتاريخ ١٩٧٥/٤/٢٠ ، بتكليف من ابناء عائلات ٢٨ من المعتقلين من المناطق المحتلة الموقوفين اداريا منذ نيسان (ابريل) العام الماضي . وقد جدد اعتقالهم مؤخرا لمدة ثلاثة اشهر اضافية . واصدرت المحكمة لدى تقديم الطلب امرا مؤقتا بمنع طرد المعتقلين المذكورين لحين صدور قرار نهائي عن المحكمة .

وقد جدد الامر المؤقت لمدة ١٥ يوما اضافية بتاريخ ١٩٧٥/٥/١٢ . وامرت المحكمة محامية المعتقلين المحامية لانغر بالتوجه الى وزير الدفاع

والاستفسار منه عما اذا كان في نيته ابعاد المعتقلين لان طلب المحامية لانفر حسب رأي المحكمة لا اساس موجب له .

وجاء رد المستشار القضائي لمنطقة الضفة الغربية على رسالة المحامية لانفر انه لا توجد نية لابعاد المعتقلين في المرحلة الحالية . ومع ذلك زعم المستشار القضائي في رسالته ان اية عملية ابعاد اتخذت او ستتخذ من طرف سلطات الحكم العسكري في المستقبل بشأن الموقوفين ، جرت بشكل قانوني وبموجب القانون المعمول به . ويقصد بذلك قانون الطوارىء لعام ١٩٤٥ .

وردت المحامية لانفر على جواب المستشار القضائي قائلة ، انه يتضمن امرا خطيرا جدا ، اذ يتحدث المستشار بشكل واضح عن هذه المرحلة فقط ، لكن من يعرف ماذا سيحدث في المستقبل ؟ وهل سوف لا يحدث لهم ما حدث لاصدقائهم وزملائهم في الرأي وفي السجن .

وكان قد جاء في قرار محكمة العدل العليا المشار اليه ان المحكمة لن « تقيد يد السلطات الى الابد ، وسوف تمنع الابعاد اذا كانت هناك ضرورة لذلك » (الفجر ، ١٩٧٥/٥/٣٠) .

حملة الاعتقالات مستمرة

لم تتوقف حملة الاعتقالات والمحاكمات في المناطق المحتلة منذ احتلالها عام ١٩٦٧ . وقد ازدادت واتسعت حملة الاعتقالات بصورة خاصة خلال الفترة الاخيرة ، نظرا لاتساع موجة المقاومة وتصاعد نشاطها الذي شمل مختلف المناطق المحتلة .

فذكرت صحيفة الشعب نقلا من مكتب المحامية فلتسيا لانفر أن سلطات الاحتلال اعتقلت للمرة الرابعة السيدة خديجة ابو عرقوب من بلدة دورا مساء يوم ١٩٧٥/٥/٣١ . وحاولت المحامية لانفر مقابلة المعتقلة الا أن الشرطة في الخليل رفضت ذلك ، كما رفضت أن تقوم المحامية بأخذ توقيع المعتقلة على أوراق التوكيل حتى ترافع عنها . واعتقلت السلطات بعد ذلك بايام عددا من الطلاب من بلدة دورا ايضا وهم : امين محمد عمرو ، جمال عمرو ، ناصر الدرابيع . واعتقلت السلطات ايضا خليل ابو عرقوب وماجد الذمورة وعشرين طالبا اخر جميعهم من بلدة دورا نفسها . (الشعب ١٩٧٥/٦/١٠) .

وكانت عمليات الاعتقال والتفتيش قد اتسعت في المنطقة الشمالية من الضفة الغربية وفي منطقة طولكرم بالذات ، على اثر الاشتباك الذي وقع بين الفدائيين ودوريات تابعة لقوات الاحتلال على مفترق طريق بيت ليد يوم ١٩٧٥/٥/٨ . فذكر راديو اسرائيل في ذلك الحين ان سلطات الاحتلال لا تزال تفرض نظام منع التجول على قرية شويكة في قضاء طولكرم بعد ان اعتقدت ان الشخص او الاشخاص الذين نفذوا العملية المذكورة هو من قرية الشويكة . واعترف الراديو بأن عمليات التمشيط في القرية وفي أماكن أخرى كانت ما زالت مستمرة وانه بنتيجة ذلك اعتقل العشرات من ابناء قرية الشويكة للتحقيق معهم . واضافت الصحف الاسرائيلية من جهتها ان منع التجول قد فرض في المنطقة وان ابناء القرية قد جمعوا في المدرسة المحلية للتحقيق معهم . وقدرت الصحف الاسرائيلية عدد الذين اعتقلوا في تلك المنطقة اثر وقوع انفجار في كفار سابا في تلك الاونة بحوالي ٤٠ شخصا .

وفي منطقة الخليل اعلن ناطق عسكري ان سلطات الاحتلال قامت بحملة تفتيش واسعة النطاق في قرية سعير اثر ادعائها باكتشاف شبكات مسلحة في القرية (الشعب ١٩٧٥/٥/١٠) .

وفي رام الله ، اعتصم طلاب المدينة في مقر الحاكم العسكري احتجاجا على العقوبات الجماعية التي فرضت على المدينة والمنطقة التابعة لها اثر تصاعد العمليات الفدائية هناك . كما اعلن الطلاب احتجاجهم على القيود الخاصة بمنعهم من السفر الى البلاد العربية لتقديم الامتحانات السنوية في الجامعات التي يدرسون فيها . وقد انضم الى الطلاب المعتصمين رؤساء بلديات رام الله والبيرة وتلواد محتجين على العقوبات الجماعية التي فرضت على منطقتهم . وعلى اثر ذلك وافق الحاكم العسكري على الغاء القيود الخاصة المفروضة على الطلاب . وبذلك لا يبقى على طلاب رام الله والبيرة سوى القيود العامة الجديدة التي فرضت على سفر الشباب من الذكور والتي اشرنا اليها في مكان سابق .

وفي نابلس ذكرت الصحف العربية ان قوات الاحتلال القت القبض على السيدة فايزة عبد المجيد المناضلة المعروفة في نابلس . وكانت السيدة عبد المجيد — ٤٥ سنة — قد عادت من جولة في الدول العربية . واشتبهت السلطات المحتلة بقيام السيدة عبد المجيد باجراء اتصالات مع منظمات فدائية . وقد اثار هذا الاعتقال استنكارا واسعا في نابلس قامت على اثره ممثلات المنظمات النسائية في نابلس بمقابلة الحاكم العسكري للمطالبة بالافراج عن السيدة عبد المجيد (القدس ، الشعب ١٩٧٥/٧/١) .

وبلغت ذروة اتساع موجة الاعتقالات مداها في منطقة بيت لحم . حيث اعتقلت السلطات المحتلة اكثر من مئة شخص اتهموا بانهم اعدوا لاعمال اغتيال ونسف. والنسبة الكبرة من هؤلاء المعتقلين هم من طلاب المدارس الثانوية ومن الطلاب الذين يدرسون في الجامعات العربية بالانتساب . وزعم المراسلون العسكريون في الصحف الاسرائيلية ان طلاب الجامعات المعتقلين في منطقة بيت لحم قد تطوعوا للقيام باعمال فدائية مقابل منح دراسية تقدمها لهم منظمات المقاومة . وقالت وكالة الانباء الاسرائيلية ان بعض المعتقلين هم من المقيمين في البلاد العربية ، وقد جاءوا الى الضفة الغربية في اطار برنامج الزيارات الصيفية ، والقي القبض عليهم قبل ان يتمكنوا من تنفيذ خططهم .

ومن جهة اخرى ذكرت الصحف الاسرائيلية ان الدكتور انطوان منصور البالغ من العمر ٣٩ عاما وعميد كلية بيت لحم الجامعية هو من بين المعتقلين. والدكتور منصور الذي اتم دراسته في الاتحاد السوفياتي متزوج بسيدة سوفياتية وهو متهم بانه حاول تنظيم شبكة فدائية في بيت لحم . ويذكر ان حوالي ثلث المعتقلين المئة هؤلاء من المقيمين في بيت لحم . (الشعب ١٩٧٥/٦/٢٩) .

استيطان « سري » في منطقة رام الله

كشفت سلسلة استجوابات مقدمة من اعضاء حزب مابام في الكنيست الى وزير الدفاع الاسرائيلي شمعون بيريس ، ان الحكومة الاسرائيلية تتستر على مستوطنة أقيمت في منطقة تقع على مسافة ٨ كم شمالي شرق المدينة على طريق اريحا قرب قرية دير دبوان تعرف حاليا باسم باعل حتسور ، وهي معسكر سابق للجيش الاردني .

وكان عدد من اليهود المتطرفين والمتدينين قد سعوا في وقت سابق من العام الحالي واواخر العام الماضي الى اقامة عدة مستوطنات في الضفة الغربية في مناطق اريحا ونابلس ورام الله والقدس وغيرها . الا ان الحكومة الاسرائيلية ، ولاسباب تتعلق بوضعها الداخلي وغيره ، وقفت ضد هذه المحاولات وارغمت القائمين عليها على الجلاء من المناطق التي حاولوا استيطانها .

غير انه اتضح اخيرا ان جماعة من المستوطنين ما زالت تقيم في باعل حتسور بعلم من الحكومة تحت اسم مجموعة من العمال .

وكشف ردود شمعون بيريس على استجوابات بعض اعضاء الكنيست عن موافقة الحكومة الاسرائيلية الصامتة على محاولة الاستيطان في منطقة رام الله . فقال بيريس ان اقامة منشآت عسكرية ومدنية في باعل حتسور جاءت عقب قرار حكومي ، وان اقامة جماعة من العمال المدنيين في تلك الجهة تمت بموافقة الحكومة . واضاف ان الحكومة لم ترد بعد على اقتراحه اقامة مبان مدنية في تلك الجهة ، ولذلك فان العمال يستخدمون مباني الجيش الاردني . وقال انه لا توجد مخصصات كافية لاقامة اثني عشر مسكنا مدنيا ، وانه ابلغ جماعة العمال صراحة ، بانهم لا يقيمون مستوطنة او نقطة محصنة في باعل حتسور . واضاف قائلا « ولكني اذا شعرت ان هناك حاجة لاقامة مستوطنة هناك فانني سأقدم الاقتراح علنا وبضمير صاف » .

لقد جاءت اقوال بيريس هذه لتؤكد اتهام الحمائم من اعضاء الكنيست بان الحكومة تتصرف بالتستر لتنفيذ سياسة الاستيطان الزاحف . ولم يقتنع منتقدو هذه السياسة بقول بيريس بان المنشآت في باعل حتسور يتوجب عليها العمل ليل نهار ، لذلك فانه يفضل ان يبيت العمال المدنيون هناك . وقد اثارت هذه التبريرات بعض الاعضاء الذين وجهوا لبيريس كلمات قاسية (جروزاليم بوست ١٩٧٥/٦/١٨) .

عيسى الشعيبي

(٤) اسرائيليات

[١]

رحلة رابين الى واشنطن
محاولة لاستئناف مساعي
التسوية الجزئية

احاطت وسائط الاعلام الاسرائيلية رحلة رابين الاخيرة الى واشنطن بموجة من الاخبار والتعليقات المتناقضة من حيث التفاؤل والتشاؤم ، ان كان ذلك لجهة نتائج هذه الرحلة بالنسبة لامكانيات التسوية في المرحلة القادمة ، او بالنسبة للعلاقات الثنائية بين اسرائيل والولايات المتحدة . ومع ذلك ، اجمعت وسائط الاعلام هذه ، على ان رحلة رابين كانت رحلة صعبة ، بل انها « اصعب رحلة يقوم بها رئيس حكومة اسرائيلي الى واشنطن في السنوات الاخيرة » (دافار ، ١٩٧٥/٦/١٢ ، ويديعوت أحرونوت ، ١٩٧٥/٦/١٠ .

فسر المعلقون الاسرائيليون « صعوبة » رحلة رابين على النحو التالي (١) اتهمت الولايات المتحدة اسرائيل بانها هي التي افشلت مفاوضات كيسنجر في اذار الماضي . وبما انها قالت « لا » للدكتور كيسنجر في المرة الماضية ، سيكون من الصعب ان تقول « لا » لفورد نفسه ، هذه المرة ايضا ، خاصة وان اسرائيل تنتظر من الرئيس الاميركي ان يطلب من الكونغرس مساعدة ضخمة لها في عام ١٩٧٦ ، وتتوقع ان يستمر تدفق الاسلحة الاميركية الحديثة اليها . (٢) يعتقد البعض ان « تحولا خطيرا حدث في الاستراتيجية والفكر السياسي لدى ادارة الحزب الجمهوري الحاكم . وحدث هذا التحول منذ حرب تشرين وادى الى محاولة تقزيم دور اسرائيل في المصلحة القومية للولايات المتحدة ، والى سياسة تقارب خطيرة تجاه العرب » (من افتتاحية دافار ، ١٣/ ١٩٧٥/٦) .

وتطرق اكثر من معلق الى هذه الناحية . فكتب احدهم ان « اسرائيل تلقة من بلورة خطة اميركية شاملة ، بدأت منذ سنة ونصف السنة ، ترمي الى تأسيس النفوذ الاميركي [في المنطقة] على محور القاهرة — طهران ، بينما تدعم السعودية ودول عربية اخرى هذا المحور اقتصاديا وسياسيا . ولا يوجد لاسرائيل دور في هذه الخطة الشاملة . وهناك من ينظر اليها على انها مصدر متاعب » (ناحوم برناع — دافار ١٣/٦/١٩٧٥).

وادعى اخر (شموئيل سيفف — معاريف ، ١٩٧٥/٦/١٥) ان زيارة رابين الى واشنطن حتى وان أدت الى تحسين العلاقات الاسرائيلية الاميركية والى امكانية « هرب » اسرائيل الى التسوية الجزئية ، فمن المتوقع ان يحدث احتكاك بين اسرائيل والولايات المتحدة على المدى الطويل. وهذا « بسبب الاستراتيجية الاميركية التي بدأت في عام ١٩٧٢ ، ووصلت ذروتها بعد حرب يوم الغفران [حرب تشرين]. فحتى طرد المستشارين السوفييت من مصر ، ارادت الولايات المتحدة ان تثبت لمصر انها لا تستطيع بالسلاح السوفييتي القضاء على اسرائيل . ولكن الآن قسام محور القاهرة — الرياض ، المتحالف مع اميركا . والاميركيون يعتقدون ان لهم نفوذا في دمشق يزيد على نفوذ الاتحاد السوفييتي ... ان مصلحة اميركا الاساسية ، منذ عام ١٩٥٥ ، هي تقليص النفوذ السوفييتي في المنطقة ، وتدفق البترول من الخليج الفارسي عبر قناة السويس بدون خطر تدخل معاد ... وهناك خوف من ان الولايات المتحدة قد تضغط من اجل الانسحاب من الجولان بهدف المحافظة على مكاسبها في سوريا فيما اذا كان يجري فيها نفس التحول الذي حدث في مصر».

على هذه الارضية ، دعا احد المعلقين الى التخلص من خطط فورد — كيسنجر المستقبلية بالنسبة للشرق الاوسط باتباع احدى طريقين : « (١) علينا ان نفحص جيدا ماذا يمكن ان يعطي الاتحاد السوفييتي [لاسرائيل] مقابل اشتراكه

الفعال في هذه المسرحية الاميركية ، من اساسها، والتي يلعب دور الممثلين الرئيسيين فيها كل من السادات وكيسنجر وينضم الاسد اليهما رويدا رويدا . (٢) الوسيلة الثانية لعرقلة هذه المسرحية هي وضع المسألة الفلسطينية على رأس جدول المباحثات ، لكي تكون المفاوضات الاقليمية مشروطة بالاتفاق حول هذه المسألة مقدما . ان كل مناورة اخرى معناها معركة انسحاب في اطار مسرحية كيسنجر — السادات المشتركة » (شلومو اهرونسون — هآرتس ، ١٩٧٥/٦/١٢).

وعلى هذه الارضية ايضا — كما تصورها المصادر الاسرائيلية — « قسم » البعض رحلة رابين الى جزئين ، الاول هو اللقاء « الصعب » مع الادارة الاميركية ، والثاني هو « اللقاء غير الرسمي مع الجمهور اليهودي والشعب الاميركي. وهذا الجزء يكتسب اهمية بالغة ازاء التحول الخطير في الاستراتيجية والفكر السياسي لدى ادارة الحزب الجمهوري الحاكم ... » (دافار ، ١٩٧٥/٦/١٢) .

ان ذكر ادارة الحزب الجمهوري الحاكم بهذا الشكل الصريح ، وحقيقة ان رابين اكثر فعلا من المقابلات مع رجال الكونغرس والمنظمات الصهيونية ومؤسسات الاعلام الاميركية ، لهما دلالة خاصة ازاء كون الولايات المتحدة مقبلة على انتخابات الرئاسة في السنة القادمة . ولوحظ خلال وجود رابين في اميركا ان صحيفة دافار شبه الرسمية حذرت « الشعب الاميركي » من لعبة « التحالف مع العرب الذين برهنت السوابق انه لا يمكن الاعتماد على التحالف معهم » (المصدر نفسه) .

رابين يسافر ويعود بجناحي « صقر »

رغم ان المصادر الاسرائيلية رددت في الاسابيع الماضية ان الولايات المتحدة تعتبر اسرائيل مسؤولة عن فشل رحلة كيسنجر في اذار الماضي، وانها بناء على ذلك تنتظر من رابين ان يأتي الى واشنطن حاملا « افكارا جديدة » ، ظهر من تصريحات رابين قبيل رحلته واثنائها ، انه يتبع موقفا متشددا . ووصف البعض رابين بانه كان « حمامة » عند توليه منصب رئيس الحكومة ، ولكنه تحول الان ، وبعد مرور سنة على توليه هذا المنصب ، الى « صقر » . فقد حدث له ما حدث من قبل لغولدا مئير وليفي اشكول « لان الاشياء تبدو واضحة اكثر عندما ينظر اليها من فوق » (محرر يديعوت احرونوت ، ١٩٧٥/٦/١٠). واشار احدهم الى ان موقف رابين ازداد قوة داخل الحكومة الاسرائيلية قبل سفره الى العاصمة الاميركية ، وساعده في قوله « لا » لكيسنجر في جولة المفاوضات الماضية ، وكذلك « اسكات » المتطرف اريئيل شارون بتعيينه مستشارا له (اريئيل غيناي — يديعوت احرونوت ، ٦/١٣/ ١٩٧٥) . وذهبت مجلة هاعولام هازيه (٦/١٨/ ١٩٧٥) الى حد وصف رابين بانه اصبح يحكم حكما فرديا ، وانه استعاض عن وزراء الحكومة الائتلافية بمجموعة من المستشارين ، مثل شارون ورحبعام زئيفي وعاموس عران وغيرهم . وقالت المجلة ان رابين حصل ، قبل سفره الى واشنطن، على تفويض من الحكومة بان يفعل ما يشاء خلال محادثاته في العاصمة الاميركية. وقبل سفره وخلال جولته ، صرح رابين اكثر من مرة انه لن يقدم افكارا جديدة ، الا اذا قدمت مصر بدورها افكارا كهذه . وخلال وجوده في نيويورك عاد رابين واكد ان « اسرائيل لن توقع على اتفاق جديد قبل تطبيق كل بنود الاتفاق السابق [اي ان تسمح مصر بمرور البضائع الاسرائيلية في قناة السويس] ... يجب عدم ربط اتفاق مع مصر باتفاق مشابه مع سوريا ... ولا مفاوضات مع منظمة التحرير الفلسطينية » (شموئيل سيغف — معاريف ، ١٩٧٥/٦/١٥) . وطالب رابين مصر ، اذا كانت تريد التوصل مع اسرائيل الى تسوية جزئية في سيناء ، ان تظهر ثلاث « اشارات سلام » : « (١) تلطيف الضغوط الدبلوماسية خاصة في دول العالم الثالث ، والتي تهدف الى قطع العلاقات مع اسرائيل ، (٢) تلطيف المقاطعة الاقتصادية لاسرائيل وخاصة ضد شركات اميركية ، (٣) اقامة جسور مفتوحة بين مصر واسرائيل ، اسوة بالجسور المفتوحة على الاردن » (المصدر نفسه).

وذكر احد المحررين ان رابين أظهر خلال محادثاته في واشنطن ثلاثة أمور : « (١) وضع لنفسه حدا ، لم يكن مستعدا لتجاوزه. (٢) أجل اتخاذ القرارات الحاسمة الى ان يتضح اين يقف العدو وأين نقف نحن . (٣) لم يتزحزح عن موقفه بأنه لن تكون هناك تنازلات من جانبنا ، بدون

تنازلات من جانب مصر » (هرتسل روزنبلوم — يديعوت أحرونوت ، ٧٥/٦/١٥).

وقبل عودته من واشنطن ، صرح رابين لمجلة اميركية انه « سيكون من الصعب التوصل الى اتفاق مع مصر ، وان على المصريين التفاوض على ثلاث قضايا أساسية : (١) مدة الاتفاق . نريد ان نعرف ما هي الفترة التي تقترحها مصر كحد أدنى . (٢) اذا لم يطرأ تغيير على حالة الحرب وطالبت مصر بكل حقوق الدولة المحاربة ، فلن نستطيع التخلي عن مواقعنا الدفاعية في الممرات في سيناء . (٣) نطالب مصر باشارات سلام وخطوات سلام رمزية تدل على اننا في الطريق الى السلام » (دافار ، ٧٥/٦/١٥).

وبعد عودته من واشنطن ، صرح رابين لصحيفة معاريف (٧٥/٦/٢٠) انه اقترح على فورد ان تكون حدود اسرائيل النهائية وفقا لبرنامج حزب العمل الانتخابي (النظرية الشفوية) ، الذي أعلن عنه سكرتير الحزب مؤخرا والذي ترفض اسرائيل بموجبه الانسحاب من الجولان وشرم الشيخ والقدس وغيرها .

رغم ذلك صرح رابين ، من ناحية ثانية ، انه بعد محادثاته في واشنطن « أصبح هناك أساس للتوصل الى تسوية جزئية مع مصر » (دافار ، ٧٥/٦/١٣) . وذكرت معظم المصادر الاسرائيلية ان محادثات رابين ادت الى « تحسن العلاقات » مع الولايات المتحدة الاميركية ، والتي قيل انها توترت منذ فشل مهمة كيسنجر في اذار الماضي . وقال بعض المعلقين ان رابين « أظهر ليونة في موقفه من التسوية الجزئية مع مصر... [ولذلك] مهدت الطريق امام التسوية الجزئية . ولكن لكي يتجنب ... اثارة معارضة داخلية مسبقة ، صاغ تصريحاته بعبارات مبهمة » (دان مرغليت — هآرتس ، ٧٥/٦/١٥).

مواضيع المحادثات

اشارت بعض الدوائر الاسرائيلية ، تعليقا على محادثات رابين — فورد ، ان الرئيس فورد اطلع رابين على نتائج لقائه مع الرئيس السادات في سالزبورغ في مطلع الشهر الحالي . ولكن مصادر أخرى ذكرت ان فورد امتنع عن الدخول في تفاصيل ما تم الاتفاق عليه في سالزبورغ ، وان من اسباب ذلك ظاهرة تسريب المعلومات الرسمية الى الصحف في اسرائيل . وذكر بعض المعلقين ايضا ان رابين توقع « ان ينقل اليه فورد تنازلات مصرية جديدة ، ولكن فورد لم يفعل ذلك » (ناحوم برناع — دافار ، ٧٥/٦/١٣) ، بينما اضاف آخر ان « فورد أعلم رابين انه لدى مصر استعداد لتقديم تنازلات ولكنه لم يعط تفصيلا بذلك » (دان مرغليت — هآرتس ، ٧٥/٦/١٢) .

ومن مراجعة ما نشر حول مواضيع البحث في لقاء فورد — رابين ، فهم ان هذه المواضيع كانت : (١) امكانية التوصل الى تسوية جزئية في سيناء . (٢) قدم رابين لفورد تصوره للحل الشامل ، ولكنه لم يعلن قرارات محددة ، بل « مبادىء عامة » . (٣) « بحث موضوع المساعدات الاميركية الى اسرائيل ، ولكن كموضوع منفصل عن الموضوع السياسي » (المصدر نفسه) .

وبخصوص التسوية الجزئية نقل عن رابين تصريحه ، لدى وصوله الى واشنطن ، ان النقطة الرئيسية التي يجب اقرارها للتوصل الى تسوية جزئية مع مصر هي « مسألة مدة الاتفاق ... وكيسنجر قال ان اهم شيء بالنسبة لاسرائيل هو الوقت . اما العوامل الاخرى فهي هامشية » (هآرتس ، ٧٥/٦/١١) . وفي اليوم نفسه نقلت صحف اسرائيل تصريحا لشمعون بيريس قال فيه هو الاخر ان « المشكلة الحقيقية هي طول الفترة المطلوبة لان نقتنع ان مصر انتقلت من الحرب الى التطوير » (المصدر نفسه) .

ولكن بعد ايام قليلة بدأ المعلقون الاسرائيليون يتحدثون عن « قضايا اساسية » اخرى يجب تسويتها للتوصل الى التسوية الجزئية ، فقال احدهم : « المهم الان ليس طول مدة الاتفاق بل المهم هو الخط الذي ستنسحب اليه اسرائيل » (دان مرغليت — هآرتس ، ٧٥/٦/١٧) . واضاف آخر : « يبدو ان مصر مستعدة للتعهد لاميركا بان تكون مدة الاتفاق ثلاث سنوات . والمشكلة الان هي ان اسرائيل تطلب من مصر عدم التدخل في اية حرب خلال فترة الاتفاق ... يبدو ان مصر مستعدة لان تقول ، انها لن تدخل في حرب تبدأها سوريا ، ولكن مصر تستطيع دائما ان تقول ان اسرائيل هي التي بدأت الحرب » (ماتي غولان — هآرتس ، ٧٥/٦/١٧) .

اما بخصوص خط الانسحاب الجديد فقد ذكر ان اسرائيل ترفض الانسحاب من كل الممرات « وتريد ان تبقى قواتها في الجزء الشرقي منها ، او ان تحافظ على اجهزة انذار الكترونية في منطقة ام خشيبه ، في القسم الشرقي من الممرات ... وقد وعد كيسنجر بأن ينقل رد مصر على ذلك بعد اسبوعين » (هآرتس ، ٧٥/٦/١٦) . وفهم ان الولايات المتحدة ستجري مفاوضات بالطرق الديبلوماسية بين الاطراف لتسوية النقاط المعلقة في اطار التسوية الجزئية « ولمح كيسنجر ان سوريا ستشترك في هذه الاتصالات الديبلوماسية » (المصدر نفسه) .

وذكر آخر ان « الفكرة التي تبلورت في محادثات رابين هي انسحاب اسرائيلي لمسافة ٣٠ ـ ٤٠ كم . وتعطى مصر ممرا الى حقول النفط وتسيطر عليها ، بينما تسيطر قوة الامم المتحدة على الممرات [المتلا والجدي] ، ويسمح لمصر ان تضع فيها قوة رمزية . كذلك يسمح لاسرائيل ان تحافظ على اجهزة انذار في ثلاثة مواقع في الجزء الشرقي من الممرات » (ناحوم برناع ـ دافار ، ٧٥/٦/١٦).

ونقل احدهم عن « خبراء اميركيين » قولهم انه « من الممكن ان تظهر مصر ليونة في موضوعين فقط ، وهما : (١) التوقيع على اتفاقية جديدة لمدة ثلاث سنوات ، بشرط ان تستمر المفاوضات مع دول عربية اخرى . (٢) من الممكن التوصل الى حل وسط حول طلب اسرائيل المحافظة على اجهزة انذار الكترونية» (دان مرغليت ـ هآرتس ، ٧٥/٥/١٧) .

نتائج المحادثات

تباينت تحليلات المعلقين الاسرائيليين لنتائج مباحثات رابين في الولايات المتحدة. فقال احدهم : « عاد رابين بدون سلاح . بدون تسوية . وبدون وعد اميركي بأن تؤيد اميركا اسرائيل في موقفها من التسوية الشاملة . مع ذلك لا يمكن القول ان الرحلة كانت فاشلة . فقد مهدت الطريق للتوصل الى تسوية جزئية ، ووسعت بدرجة كبيرة امكانية استئناف التسليح ، واوقف المجرى الخطير لاعادة تقييم السياسة الاميركية فيما يتعلق بالحدود النهائية » (تسيم كنيتي ـ يديعوت احرونوت ، ٧٥/٦/١٥) . وأشار محرر معاريف (٧٥/٦/١٦) الى انه « لم يحدث اي شيء حاسم [في محادثات رابين] ، ولكنها خلقت جوا ملائما لجولة جديدة ، قد تؤدي الى التسوية الجزئية ، وخفت حدة التوتر في العلاقات الاميركية ـ الاسرائيلية ... لم يطرأ اي جديد في مجال التسليح . والشيء المهم هو ان الطرفين اتفقا على انه لاجل التوصل الى اتفاق اسرائيلي مصري ، يجب ان يقدم الجانبان تنازلات ـ وليس الجانب الاسرائيلي فقط » . واضاف آخر : « ان النتيجة الايجابية لمحادثات رابين هي الرغبة المشتركة في السعي الى تسوية على مراحل . واذا حدث تحرك مصري فعلى الحكومة الاسرائيلية ان تعيد النظر في شروطها من خلال أخذ الموقف الاميركي بعين الاعتبار » (دافار ، ١٧/ ٧٥/٦) .

ومن واشنطن ، كتب احد المعلقين (شموئيل سيفف ـ معاريف ، ٧٥/٦/١٥) : « لقد تعلم رابين كيف تنظر الولايات المتحدة الى الحل الشامل ... فالخلاف [مع اميركا] حول حدود المستقبل ، لن يكون أقل من الخلاف في ايام روجرز . والولايات المتحدة لا يمكن ان تشارك اسرائيل موقفها من الحدود النهائية في مؤتمر جنيف . ستساعد التسوية الجزئية فورد في معركة الانتخابات القادمة ، وستتيح لاسرائيل ان تستعد للحل الشامل ، بينما ستعد مصر اقتراحا لحل القضية الفلسطينية ، ربما يكون مقبولا من قبل الاطراف المعنية ... ومن هنا ان لمحادثات رابين نتيجتان على المدى القصير ، وهما : تحسين العلاقات مع الولايات المتحدة وتمكين اسرائيل من « الهرب » الى التسوية الجزئية . واما على المدى الطويل فمن المتوقع ان يحدث احتكاك بين اسرائيل والولايات المتحدة بسبب التحول في استراتيجية الولايات المتحدة في المنطقة ... » .

ولخص معلق آخر (اريئيل غيناي ـ يديعوت احرونوت ، ٧٥/٦/١٥) محادثات رابين بقوله « ان المفاوضات التي قطعت في آذار بدأت من جديد ، وأعلن رابين ان تحركا مصريا قد حدث . ولذلك من المتوقع ان يحدث تغيير في موقف اسرائيل ايضا . ان احدى العقبات الرئيسية الان ، هي ان مصر تطالب بالانسحاب من كل الممرات ، بينما تستعد اسرائيل للانسحاب الى ما وراء الممرات بدون التخلي عنها كليا » . وكان محرر معاريف

(٧٥/٦/١٥) قد ذكر ان كيسنجر هو الذي ضغط على رابين لان يعلن انه حدث « تحرك مصري وهذا يعني ان على اسرائيل ان تغير موقفها وان تقبل الاقتراح الجديد . وذلك لكي لا يكون لدى حكومة رابين التي ستجتمع قريبا مجالا للمناورة ».

وفي الوقت نفسه نشرت انباء مفادها ان اتفاقا جزئيا قد تم التوصل اليه فعلا . « وينص هذا الاتفاق على انسحاب اسرائيل من الممرات ، مقابل تمديد مصر لعمل قوات الامم المتحدة في سيناء مدة ثلاث سنوات . وتقول مصادر في واشنطن ، انه تقرر احاطة الاتفاق بالسرية ، لتجنب ظهور معارضة داخل حكومة رابين ... وتعهد السادات ايضا في مقابل ذلك ان يخفف المقاطعة الاقتصادية المصرية ، وليس العربية ، لاسرائيل . وألمح انه سيسمح لطواقم ملاحين اسرائيليين بالمرور في قناة السويس . ولكنه لم يوافق ان يلطف الضغط الديبلوماسي . واما بخصوص العلاقة بين الاتفاق في سيناء و« التحرك » في الجولان فقد علم ان رابين تعهد ان يقترح على الحكومة ، التوصل الى « تفاهم شخصي » حول هذا التحرك .... على الرغم من ان علاقته .... مع الانسحاب في سيناء لن تكون جزءا من الاتفاق الشكلي مع مصر . وستبحث امكانات هذا التحرك مع الوزير خدام اثناء لقائه في واشنطن مع فورد وكيسنجر ... وقد وافق رابين على ذلك لانه لا يستطيع ان يقول « لا » لفورد ولان عدم القبول قد يضر بالعلاقات مع اميركا في المستقبل . ومقابل ذلك ستحصل اسرائيل على مساعدات كبيرة من اميركا » (شموئيل سيغف — معاريف ، ٧٥/٦/١٧) ... غير ان مكتب رئيس الحكومة سارع الى نشر تكذيب لهذا النبأ ...

وعلق محرر معاريف (٧٥/٦/١٧) على هذا النبأ بقوله انه قد يكون « بالون اختبار او مصيدة ... لكي يقال مزة اخرى ان اسرائيل هي التي افشلت التسوية الجزئية ». أما محرر يديعوت احرونوت (٧٥/٦/١٧) فقد أعلن عن استغرابه « لان مصر تبدي ضبط النفس حول محادثات رابين ... لذلك لا يكفي ان تبحث الحكومة نتائج رحلة رابين ، بل يجب ان تناقش ذلك في الكنيست ايضا على الاقل . فالامر يتعلق بمصيرنا ».

هذا وقد استمرت التصريحات الرسمية والصحفية تبدي موقفا متشددا من مسألة الانسحاب من الاراضي السورية المحتلة ، وكذلك من القضية الفلسطينية . فقد أعلن شمعون بيريس في مقابلة مع دافار ، ٧٥/٦/١٣ : « في هذه المرحلة لا يوجد لسورية ما تقترحه علينا ولا يوجد لدينا ما نقترحه عليها في تسوية جزئية » . وقال احد المعلقين : « ان بقاءنا في الجولان هو الشرط الحتمي لان تتوصل معنا سوريا لاي تسوية كانت . وتمركزنا في الجولان هو الشرط لان تحافظ سوريا على مثل هذه التسوية » (يهودا هرئيل — معاريف ، ١٢/ ٧٥/٦). وبينما أعلن رابين في نيويورك انه سيكون راضيا فيما اذا ادى التنسيق السوري — الاردني الى ان يمثل الاردن الفلسطينيين ، اعرب شمعون بيريس عن قلقه من التقارب السوري — الاردني (دافار ، ٧٥/٦/١٣) .

أما بالنسبة لموقف الاتحاد السوفييتي في المرحلة الراهنة ، فقد ذكر انه لم يعد يتخذ موقفا ملحا من عقد مؤتمر جنيف ولا يريد الاشتراك في التحضيرات الدقيقة لهذا المؤتمر ، ويسعى الى منع تدهور العلاقات مع مصر وايقاف سوريا من السير على طريق التقرب الى الغرب ، « ويؤيد » حاليا الوساطة الاميركية . « ومما يدل على تجاهل الاتحاد السوفييتي لمؤتمر جنيف ان غروميكو الذي خطب بمناسبة الانتخابات القادمة في الاتحاد السوفييتي لم يذكر جنيف في خطابه » (دوف ايفل — دافار ، ٧٥/٦/١٥) .

ومن ناحية ثانية اجتمعت الحكومة الاسرائيلية في ٧٥/٦/١٧ وأسفر اجتماعها عن تفويض كل من رابين وبيريس والون « لمواصلة المفاوضات ، بهدف التوصل الى اتفاق حول تسوية جزئية مع مصر ، ولاحضار نتائج المفاوضات الى جلسة تعقدها الحكومة » (دافار ، ٧٥/٦/١٨) . وذكر احدهم ان رابين ابلغ الوزراء الاسرائيليين ان « التنازلات المصرية غير كافية ... وهو وبيريس يعتقدان ان اسرائيل يجب ان لا تتخلى عن الممرات بكاملها لاسباب عسكرية ... ولن تتخذ الحكومة قرارات محددة الى ان تنقل اليها معلومات جديدة من واشنطن [حول نتائج الاتصالات الديبلوماسية الجارية مع مصر] » (يوسف حاريف — معاريف ، ٧٥/٦/١٧) .

ولخصت مجلة هاولام هازيه (٧٥/٦/١٨) رحلة رابين والموقف الراهن بقولها « اقترح رابين

على الولايات المتحدة تأجيل اية تسوية شاملة ، وتأجيل مؤتمر جنيف ... وتجميد وضع قطاع غزة والضفة الغربية والجبهة السورية . كذلك اقترح انسحابا محدودا جدا من سيناء ، مقابل تنازل مصري معلن ، حقيقي او اسمي ، واقترح ان تمد اميركا اسرائيل بالسلاح والمال ... »

يوسف حمدان

[٢]

حكومة رابين تواصل سياسة « ربح الوقت »

بعد فشل مهمة كيسنجر في آذار الماضي ، أعلن الرئيس الاميركي جيرالد فورد ان هناك ثلاث طرق للتوصل الى تسوية في الشرق الاوسط: (١) سياسة الخطوة خطوة. (٢) عقد مؤتمر جنيف بهدف التوصل الى تسوية شاملة. (٣) سياسة الخطوة خطوة باشراف مؤتمر جنيف . وعاد فورد وأكد الموقف نفسه بعد لقائه مع رئيس الحكومة الاسرائيلية يتسحاق رابين في ١١ حزيران الماضي (دافار ، ٧٥/٧/١) . وقد اسفرت المحادثات التي اجراها الرئيس فورد مع كل من الرئيس السادات ، ورئيس الوزراء الاسرائيلي يتسحاق رابين ، ونائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية السوري عبدالحليم خدام ، في الشهر الماضي ، عن استئناف الخيار الاول ، وهو استمرار وساطة الولايات المتحدة في سياسة الخطوة خطوة . وقد استعيض في هذه المرة عن « ديبلوماسية المكوك » التي قام بها كيسنجر ، بالطرق الديبلوماسية العادية بحيث يتنقل السفير الاميركي في القاهرة هرمان ايلتس بين مصر والولايات المتحدة ، بينما يتنقل السفير الاسرائيلي سمحه دينتس بين الولايات المتحدة واسرائيل . وعن طريق السفيرين تنقل المقترحات والايضاحات بين الحكومات المعنية حول التسوية المرحلية في سيناء . وقد ترك الباب مفتوحا لعودة كيسنجر الى المنطقة .

لماذا الخطوة خطوة ؟

أشارت بعض التصريحات الرسمية والتعليقات الصحفية في اسرائيل الى عدة عوامل ادت الى استئناف سياسة الخطوة خطوة ، رغم فشلها في آذار الماضي . وأعلن يتسحاق رابين في اجتماع كتلة المعراخ بتاريخ ٧٥/٧/١ : « اننا نقف امام احد خيارين : اتفاقية جزئية صعبة او تسوية شاملة مضرة ، ومصحوبة بخفض الدعم العسكري والاقتصادي ... ان الولايات المتحدة ، مع انها كذبت النبأ حول توجيه انذار الينا، معنية بالتسوية الجزئية . ولو اننا لم نؤيد هذا الموقف لكنا في صدام معها حول تسوية شاملة بروح روجرز ... والاتحاد السوفييتي لا يعرقل مساعي الولايات المتحدة لانه مشغول بقطف المكاسب في اوروبا » (هآرتس ، ٧٥/٧/٢) .

وذكر اكثر من معلق ان الاتحاد السوفييتي « منهمك الآن بالتحضير لمؤتمر الامن الاوروبي الذي سيعقد في هلسنكي في أواخر الشهر الحالي ، حيث يريد تثبيت مكاسبه في اوروبا » (ارئيل غيناي — يديعوت احرونوت ، ٧٥/٦/٢٧) وهو لذلك غير معني بعرقلة المساعي الاميركية في الشرق الاوسط قبل عقد المؤتمر .

من ناحية ثانية ، تقول المصادر الاسرائيلية ، ان الوضع الدولي في المرحلة الراهنة ، وكذلك الاوضاع الداخلية في كل من اسرائيل والولايات المتحدة ومصر وسوريا ، تخلق وضعا يساعد على التوصل لتسوية جزئية . فادارة الرئيس فورد تريد احراز نجاح يساعده في الانتخابات القادمة ، « واسرائيل ومصر تعانيان من مشاكل اقتصادية ، ولن تتلقيا الدعم الكافي الا بعد التوصل الى تسوية جزئية . كذلك فان عدم التوصل الى مثل هذه التسوية ، لا يشجع اصحاب رؤوس الاموال في مجال الاستثمار في الدولتين خوفا من استمرار التوتر » (المصدر نفسه) .

وبالنسبة لسوريا ، تقول المصادر الاسرائيلية — نقلا عن مصادر اميركية — انها احتلت مكانا

بارزا في محادثات واشنطن ، وان واشنطن تعهدت لها ، انها « اذا اتاحت لمصر ان تخرج من دائرة الحرب ، فان الولايات المتحدة لن تترك اسرائيل ، الى ان توقع على اتفاق جزئي مع سوريا ايضا » (ماتي غولان — هآرتس ، ٧٥/٦/١٩) . ولذلك، يقول البعض ، تلتزم سوريا بالهدوء حول مساعي التوصل الى تسوية جزئية مع مصر ، علما منها ان « دورها سيجيء » .

ومن ناحية ثانية، تطرق احد الكتاب الاسرائيليين الى موقف حكومته من مساعي التسوية في المنطقة بقوله : « ان اسرائيل تريد التسوية الجزئية وتفضلها على الحل الشامل ، لانها في الواقع تريد ان يكون الحل الجزئي هو الحل الاخير . انها تساوم سعيا لربح الوقت وتظهر انها تتنازل تحت الضغط. فاذا ما حصل الحل الجزئي لن يأتي بعده حل آخر ، فالولايات المتحدة ستكون مشغولة بانتخابات الرئاسة القادمة ، واسرائيل ستستغل الوقت لتقوية الجيش ، وبناء المستوطنات ، وتقول « لا » لسوريا وللفلسطينيين » (بوعز عفرون — يديعوت احرونوت ، ٧٥/٦/٢٧) .

استمرار الحديث عن « الضغط » الاميركي

ذكرت المصادر الاسرائيلية ان الولايات المتحدة لم تؤيد المقترحات الاسرائيلية التي قدمها رابين لمصر ، اثناء زيارته لواشنطن . واضافت ان « اجوبة مصر السلبية وتضامن الولايات المتحدة معها ، ومقابلة فورد مع السفير دينتس ، تدل على ان واشنطن تضغط من اجل التوصل الى التسوية الجزئية بسرعة ، وقبل انعقاد مؤتمر هلسنكي ... وقد استخدمت واشنطن وسيلة ضغط اخرى اتخذت شكل نبأ نشر في نيويورك تايمز ، يقول انه اذا لم يتم التقدم نحو التسوية خلال اسبوعين ، فان الولايات المتحدة ستسير نحو تسوية شاملة في جنيف » (من افتتاحية دافار ، ٧٥/٦/٢٩) .

وقد وصفت الصحف الاسرائيلية الاجتماع الذي عقده الرئيس فورد مع السفير الاسرائيلي سمحه دينتس في ٧٥/٦/٢٧ لمدة ١١ دقيقة ، بأنه اتخذ صفة الانذار « بهدف تقديم المزيد من التنازلات بواسطة اسرائيل » (ناحوم برناع — دافار ، ٧٥/٦/٢٩) . وقيل ان « القدس تشعر بخيبة الامل من اللهجة الانذارية التي سمعها دينتس » (حغاي ايشد — دافار ، ٧٥/٦/٢٩) .

وهاجم اكثر من معلق انتقاد وزارة الخارجية الاميركية بتسريب المقترحات الاسرائيلية الى صحيفة نيويورك تايمز ، تلك المقترحات التي تبين مدى « التنازلات » الاسرائيلية والتي من شأن نشرها « ان يعرقل نوايا الادارة الاميركية للضغط على اسرائيل واظهارها كمسؤولة عن فشل التسوية فيما اذا لم يتم التوصل اليها » (اريئيل غيناي — يديعوت احرونوت ، ٧٥/٦/٢٧) . وذهب البعض الى القول ان مهاجمة كيسنجر لتسريب المقترحات الاسرائيلية « قبل اخذ رأي الحكومة الاسرائيلية واستيضاح الحقائق ، يعني ان الولايات المتحدة لا تريد ان يعرف الرأي العام الاسرائيلي ما تنوي الحكومة الاسرائيلية اقتراحه ، لكي لا يتعرقل مجرى المفاوضات . وتريد [الولايات المتحدة] بذلك خلق الانطباع اننا سنكون مسؤولين عن تفجير المفاوضات . لذلك ، ولكي لا تستمر اميركا بتقديم المزيد من التنازلات على حساب اسرائيل ، يجب ان لا تنسحب من الممرات » (موشي زاك — معاريف ، ٧٥/٦/٢٧) .

وحذر بعض المعلقين من ان امكانيات الضغط الاميركي على اسرائيل ستكون اقوى بعد التوصل الى تسوية جزئية مع مصر . فاسرائيل التي تعتمد على الولايات المتحدة عسكريا واقتصاديا ، سيزيد اعتمادها عليها عسكريا بعد التخلي عن الممرات الاستراتيجية في سيناء ، وسيزيد اعتمادها عليها اقتصاديا بعد فقدان آبار النفط هناك. وستستطيع الولايات المتحدة ان تقول ، مثلا ، في مجال الضغط من اجل توقيع تسوية جزئية اخرى مع سوريا : « هل تريدون حربا استنزاف جديدة مع سوريا ، يشترك فيها الاردن فيهذه المرة ؟ » (يوسف هاريف — معاريف ، ٧٥/٦/٢٧) . لذلك طالب رابين الادارة الاميركية بأن لا تضغط من اجل التوصل الى اي حل آخر خلال ٣ — ٤ سنوات ولكن الولايات المتحدة لم توافق على هذا « التنسيق الاستراتيجي » مع اسرائيل . واعلن ايضا ان فورد هدد رابين اثناء محادثاتهما في واشنطن انه اذا لم يتم التوصل الى تسوية جزئية مع مصر « فمن هذه الغرفة ستخرج خطة مفصلة للحل الشامل حتى لو ادى ذلك الى مصاعب داخلية ... وستجد اسرائيل نفسها امام شح في المساعدات

العسكرية والاقتصادية » (المصدر نفسه) . ولكن رغم ذلك بقي « موقف رابين صلبا ، لا يريد التنازل حتى للولايات المتحدة . وعندما سئل ماذا سنفعل اذا اتجهت اميركا نحو الحل المفروض ، اجاب : عندها سنصمد في المواجهة معها » (المصدر نفسه).

واوضح احد المراسلين ان الاسرائيليين يدرسون النتائج التي قد تترتب على قول « لا » مرة اخرى لفورد . فقد حلل الخبراء خط يد فورد « واكتشفوا انه ثابت في رأيه وقد يظهر رد فعل عاطفي يتمسك به لمدة طويلة ... لذلك فالسؤال الان هو : ماذا تحصل اسرائيل من الولايات المتحدة وليس من مصر مقابل الممرات ؟ هناك أمران بارزان : (١) الدعم العسكري والاقتصادي لمدة سنتين ، (٢) التزام اميركا بأن ترد على خرق مصر للاتفاق » (دان مرغليت ــ هآرتس ، ٧٥/٦/٣٠) .

وفي مجال الحديث عن الضغط الاميركي ايضا ذكر ان كيسنجر ومساعديه سألوا دينتس الذي اجتمع بهم بعد اجتماعه بفورد : هل اسرائيل مستعدة للمجابهة مع الولايات المتحدة اذا اصرت على التمسك بالممرات في سيناء ؟ واشاروا ايضا الى ان الولايات المتحدة في حال عدم التوصل الى تسوية جزئية مع مصر ، لن تستطيع مساعدة اسرائيل اذا جرت محاولة لطردها من الامم المتحدة (شموئيل سيغف ــ معاريف ، ٧٥/٧/٤) .

وأشار البعض ايضا الى وجود جو من عدم الثقة بين الولايات المتحدة واسرائيل . فاسرائيل تشعر ان اميركا توجه اليها « ضغطا فظا » وتضحي بمصالحها على مذبح الصداقة مع العرب . والولايات المتحدة ايضا لا تثق باسرائيل بسبب عرقلة اتفاق التجارة مع الاتحاد السوفييتي ، وبسبب رسالة الـ ٧٦ شيخا . وهناك موظفون في الادارة الاميركية يشكون من ان اسرائيل تحاول تأجيل التوصل الى اتفاق أملا منها في ان يسقط فورد في الانتخابات القادمة ، وفي ان يدخل البيت الابيض رجل اكثر ميلا لها مثل هنري جاكسون . وبالاضافة الى ذلك فان فورد يعتبر ممثل صناعة السيارات الكبيرة في الولايات المتحدة ، وهو لذلك يريد ان يحول دون حظر نفط عربي جديد . ثم ان اسرائيل فقدت منذ حرب تشرين اهميتها في نظر الغرب « كشرطي الشرق الاوسط » . ففي عام ١٩٧٠ « اثبتت اسرائيل اهميتها الاستراتيجية عندما ساعدت الملك حسين بشكل غير مباشر في سحق المخربين ، اما اليوم فلا توجد اية امكانية لتنسيق كهذا مع اسرائيل . واميركا تفضل ان تنسق مع حليفتها الجديدة : مصر . لذلك على قرارات اسرائيل ان تكون نابعة من اعتبارات امنها على مدى سنين طويلة ... » (المصدر نفسه) .

اما السفير سمحه دينتس فقد سئل عند مغادرته اسرائيل الى واشنطن في ٧٥/٧/٧ عن صحة التقارير حول وجود ضغط اميركي على اسرائيل فأجاب بحذر : « كلمة ضغط ، لا تلائم الوضع الراهن » (دافار ، ٧٥/٧/٨) .

صقور وحمائم

منذ اواخر الشهر الماضي ، ومع تزايد الحديث عن « الضغط الاميركي »، بدت الاوساط السياسية الاسرائيلية منقسمة الى معسكرين : معسكر صقور يدعو الى عدم التنازل عن الممرات في سيناء وعدم « الرضوخ للشروط المصرية ــ الاميركية » ، ومعسكر حمائم يدعو الى تقديم التنازلات ، لعدم الدخول في مواجهة مع الولايات المتحدة . وينطبق التقسيم نفسه ايضا على المسؤولين العسكريين وكبار الضباط ، فقسم منهم تحدث عن اهمية الممرات العسكرية ودعا الى عدم الانسحاب منها، او على الاقل من الجزء الشرقي منها . وقسم آخر تحدث عن عدم اهمية الممرات عسكريا ودعا الى الانسحاب منها .

فعلى صعيد الوزراء ، قيل ان رابين وبيريس يرئسان مجموعة الصقور مع انهما يبديان استعدادا لنقل الخط الاسرائيلي من منتصف الممرات الى الجزء الشرقي منها . واما الون فيقف على رأس الحمائم الذين يطالبون بتقديم المزيد من التنازلات (ماتي غولان ــ هآرتس ، ٧٥/٦/٣٠) .

وعلى صعيد المعراخ ذكر ان الاكثرية تؤيد التنازلات ، وهذه الاكثرية متمثلة في كتلتي مباي ومبام ، وفي جزء من كتلة احدوت هعفوداه (الون ــ حمامة ، وغليلي ــ صقر) . اما كتلة رافي فتعارض التنازلات (ما عدا يتسحاق نافون) ، بما يتلاءم مع تصريح موشي دايان الداعي الى عدم التنازل عن الممرات بدون انهاء حالة الحرب (معاريف ، ٧٥/٧/٤) . وذكر ايضا ان الوزراء

الكبار السابقين منقسمين الى صقور وحمائم ، فغولدا مئير ودايان يقفان ضد التسوية المقترحة ، واما ابا ايبن وبنحاس سابير فيؤيدانها (هآرتس، ٧٥/٦/٣٠) .

اما على صعيد البرلمان فيقف ليكود والمفدال وكتلة رافي ضد التسوية المقترحة . ومع ذلك فقد ذكر انه بسبب الاعتبارات السياسية الداخلية ، يستطيع رابين ان يحظى بتأييد الاكثرية فيما اذا قال « نعم » او « لا » لاميركا سواء في الحكومة او في المعراخ او في الكنيست . ففي الحكومة ، واذا قال « نعم » لاميركا ، سيصوت معه كل الوزراء ما عدا بريس ويعقوبي وربما شلومو هيلل . وسيصوت ضده ايضا وزيرا المفدال . كذلك اذا قال « لا » لاميركا ، سيحصل على تأييد الاكثرية في الحكومة لان الوزراء الحمائم سيخشون من سقوط الحكومة فيما اذا صوتوا ضده (معاريف، ٧٥/٧/٤) . وفي الكنيست ايضا يستطيع رابين الحصول على اكثرية اذا قال « نعم » لاميركا ، اذ من المستبعد ان يصوت اعضاء رافي ضد الحزب (العمل) ويخلقون بذلك ازمة حزبية ووزارية . كذلك اذا قال «لا» لاميركا يستطيع ان يحصل على اكثرية في الكنيست بمساعدة المعارضة (المصدر نفسه) .

والمح بعض المراقبين الى ان رابين قد يستمر في موقفه المتصلب الى حد تفشيل المفاوضات الجارية مرة اخرى ، وذلك لاعتبارات داخلية وخارجية . فمن حيث الاعتبارات الداخلية ، وفي حال رفضه الاستجابة للطلبات الاميركية « سيقوى تحالفه مع بريس ، ويضمن لنفسه حياة مريحة مع المفدال ، وسينجح في تحييد المعارضة ... » (ران كسليف — هآرتس ، ٧٥/٧/٢) . ومن حيث الاعتبارات الخارجية « فرابين ايضا يريد التسوية الجزئية . ولكن لان المواجهة مع اميركا تكاد تكون حتمية ، فمن الافضل ان تحدث ، ونحن في مواقع نستطيع فيها الصمود أمام الضغط المصري والاميركي [اي بدون الانسحاب من الممرات وحقول النفط] . والولايات المتحدة قد تختار توقيت هذه المواجهة بعد الانتخابات » (يوسف حاريف — معاريف ، ٧٥/٧/٤) .

حوار حول الممرات

نشرت الصحف الاسرائيلية في الاسبوعين الماضيين تصريحات متناقضة تماما ، صادرة عن عسكريين اسرائيليين ، حول اهمية الممرات العسكرية بالنسبة لاسرائيل . فقد أعلن وزير الدفاع شمعون بيريس « ان الانسحاب من الممرات سيؤدي الى كشف كل سيناء امام الجيش المصري » (هآرتس ، ٧٥/٧/٢) ، بينما اضاف رئيس الاركان مردخاي غور « ان السيطرة على الجزء الشرقي من الممرات يمنع دخول قوات مهاجمة ، اما اذا اعيدت [الى مصر] فستكون الطريق مفتوحة الى الحدود القديمة » (دافار ، ٢٩/ ٧٥/٦) .

وأعلن العميد سمحه ماعوز ، وهو « ضابط كبير في هيئة الاركان العامة » ، امام ٢٠٠ صحفي دعوا لزيارة الممرات : « اذا انسحبنا من الممرات فيجب ان نتخلى ايضا عن منطقة رفيديم [بير جفجفه — وفيها مطار عسكري]. والحد الادنى المطلوب للدفاع عن المتلا والجدي هي السيطرة على عمق ٥كم من الطرف الشرقي للممرات » (يديعوت أحرونوت ، ٧٥/٧/٤).

ونقل عن شارون ودايان انهما عبرا عن الموقف نفسه بالنسبة لاهمية الممرات عسكريا (دافار ، ٧٥/٧/٦).

من ناحية ثانية ، أعلن الجنرال المتقاعد يشعياهو غافيش : « ان التخلي عن الممرات لا يعني كشف سيناء» (يديعوت احرونوت، ٧٥/٧/٦). وصرح عيزر وايزمن قائد سلاح الطيران سابقا انه : « يجب قبول المقترحات المصرية كما هي ، والتخلي عن الممرات والنفط مقابل ٣ سنوات من الهدوء تستغل للبناء الداخلي ، اجتماعيا واقتصاديا » (دافار ، ٧٥/٧/٣).

ودعا الوزير حاييم بارليف ، رئيس الاركان السابق ، الى قبول التسوية المقترحة انطلاقا من قلقه على الوضع الاقتصادي والخشية من خفض المساعدات الاميركية (ر.ا.ا. ، ٧٥/٧/٩).

واضاف الجنرال المتقاعد متتياهو بيليد : « ان سبب التوتر في العلاقات مع الولايات المتحدة ليس الممرات بل افلاس التكتيك الدبلوماسي ، الذي يجعل من الحجة الامنية ستارا لكل هدف سياسي .

ان الخط الحالي ليس الافضل عسكريا بالنسبة لاسرائيل ... لا يجب ابقاء أي جزء من الممرات تحت سيطرتنا » (معاريف ، ٧٥/٧/٤).

أين وصلت المفاوضات ؟

توقع بعض المراقبين ان يتم التوصل الى قرارات نهائية حول التسوية الجزئية في اجتماع الحكومة الاسرائيلية في ٧٥/٧/٦ . وهو الاجتماع الذي عقد بعد الحديث عن « انذار » اميركي وبعد دعوة السفير دينتس من واشنطن للمشاركة في الاجتماع ، خاصة وان دينتس تسلم من واشنطن ردود مصر على آخر المقترحات الاسرائيلية والتقى مع فورد وكيسنجر وسيسكو . ولكن اجتماع الحكومة الذي سبقه اجتماع رابين الى زعيم المعارضة مناحم بيغن ، والى لجنة الخارجية والامن في الكنيست، لم يسفر عن قرارات حاسمة. وخول مرة اخرى الفريق الوزاري المفاوض (رابين، بيريس ، آلون) بالاستمرار في المفاوضات . وفهم بعض المراسلين ان عدم توصل الحكومة الى قرارات نهائية معناه، ان الدكتور كيسنجر سيجتمع مع يتسحاق رابين في المانيا الغربية في ٧٥/٧/١٢، لكي يسمع رابين من كيسنجر التعهدات الاميركية التي نقلها السفير دينتس الى الحكومة الاسرائيلية في حال التوصل الى اتفاق (هآرتس، ٧٥/٧/٧).

وحذر رابين قبل اجتماعه بكيسنجر الصحفيين من توقع الكثير من اجتماعه هذا موحيا ان المفاوضات قد تدوم طويلا . ولم يسفر اجتماع الحكومة الاسرائيلية في اليوم التالي (٧٥/٧/١٣) ايضا عن قرارات حاسمة ، وتقرر فقط ان يستمر الوزراء الثلاثة في المفاوضات « حتى النتيجة الناجحة » . وقد اجتمع الوزراء الثلاثة في ٧/١٤ ٧٥ « لدراسة التطورات بعد اجتماع الحكومة الاسرائيلية » (ر.ا.ا. ، ٧٥/٧/١٤) .

أما آخر ما نشر عن عناصر التسوية الجزئية التي يجري التفاوض عليها الان : فهو ما يلي (ماتي غولان — هآرتس ، ٧٥/٧/٨):

١ — خط الانسحاب: من المحتمل ان يتم التوصل الى صيغة حل وسط يرابط الجيش الاسرائيلي بموجبها خارج الممرات ولكن الخط الاسرائيلي يمر في عمق ٣ كم في ممر المتلا . وبذلك تستطيع مصر ان تقول ان اسرائيل خرجت من كل الممرات وتستطيع اسرائيل ان تقول انه بقي لها موقع في الممرات .

٢ — مدة الاتفاق : ثلاث سنوات تبدأ بعد ان يتم الانسحاب الاسرائيلي .

٣ — ابو رديس : الطريق الغربي الذي يصل بين خليج السويس وأبو رديس يكون تحت الحكم المدني المصري وتحت سيطرة قوات الامم المتحدة. أما الطريق الشرقي الموازي فيبقى تحت سيطرة اسرائيل .

٤ — تتعهد مصر بعدم مقاطعة شركات اميركية تتعامل مع اسرائيل .

٥ — توافق مصر على ان تبقى شبكات انذار مسبق في جانبي الممرات ، بشرط ان يشغلها فنيون اميركيون .

٦ — تكون مصر مستعدة للالتزام بعدم أخذ مبادرة ضد اسرائيل في الامم المتحدة ولا تستغل نفوذها في افريقيا لهذا الهدف .

واضافت مصادر اخرى (دافار ، ٧٥/٧/٩) ان اسرائيل تشترط على مصر بالاضافة الى ما ذكر : جعل معظم المناطق التي ستنسحب منها اسرائيل منزوعة من السلاح ووقف الدعاية المعادية ضد اسرائيل ، وتشكيل دوريات مشتركة ، وتطوير سياحة بين البلدين . هذا الى جانب تعهدات اميركية ملزمة ، منها :

١ — تتعهد الولايات المتحدة بأن تقدم لاسرائيل مساعدات اقتصادية بقيمة ٧٠٠ مليون دولار ومساعدات عسكرية بقيمة ١٨٠٠ مليون دولار .

٢ — تعلن الولايات المتحدة عن نيتها في دعم اسرائيل ديبلوماسيا ، ومن الممكن ان يتم ذلك على شكل مقابلة صحفية .

ويرى البعض (زئيف شيف — هآرتس ، ٧٥/٧/٩) ان الرئيس السادات يمسك بالاوراق الرابحة ، سواء اذا تمت التسوية الجزئية او لم تتم . فاذا لم تتم التسوية سيتحقق هدف مصر والعرب في حدوث ازمة بين اميركا واسرائيل. وسيستغلون هذه الازمة لطرد اسرائيل من الامم المتحدة، ولاقناع الولايات المتحدة بالاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية . وستكون الولايات المتحدة غير مقيدة في مؤتمر جنيف . من ناحية ثانية ،

سينخفض تسليح الجيش الاسرائيلي وسيتوفر لدى الجيش المصري الوقت الكافي لاعادة بناء نفسه ، وستضعف اسرائيل بسبب النزاعات الداخلية .

أما اذا تمت التسوية بالشروط المصرية ، فستربح مصر اقليميا وسياسيا وعسكريا ، وسيوجه ضغط اميركي بهدف الوصول الى تسوية جزئية في الجولان ، « اذ سيطلب من اسرائيل ان تدفع لسوريا لكي يستطيع السادات فصل نفسه عنها » .

وعلى اي حال ، « ان وضع مصر مريح وهي تستطيع ان تجلس بهدوء ، الا اذا «جنّت» اسرائيل وحاربت ، وقلبت الوضع رأسا على عقب » (المصدر نفسه) .

ي. ح.

[٣]

الحكومة الاسرائيلية تصدر قرارا دائما بتخفيض قيمة عملتها وتستعد لتطبيق الاصلاح في الضرائب المباشرة

قررت الحكومة الاسرائيلية بتاريخ ٧٥/٦/١٧ تخفيض قيمة عملتها ، للمرة العاشرة منذ قيام اسرائيل ، بنسبة ٢٪ اي من ٦ ليرات للدولار الى ٦ر١٢ ليرة للدولار ، وكذلك منح وزراء المالية ، التجارة والصناعة ، والعدل ، صلاحية تخفيض قيمة الليرة في المستقبل حتى ٢٪ اذا اعتقدوا ان هناك حاجة لذلك ، شرط ان يكون قد مر ثلاثين يوما على التخفيض الاخير ، وذلك بناء على رأي رئيس الحكومة وبعد استشارة محافظ بنك اسرائيل (البنك المركزي في اسرائيل) . كذلك قررت الحكومة عدم رفع اسعار البنزين والمواصلات العامة واربعة عشر مادة غذائية اساسية ، منها الخبز والزيت والسكر والحليب والبيض ، نتيجة للتخفيض . وبحسب تقدير وزارة المالية الاسرائيلية سيؤدي تخفيض قيمة الليرة الى ارتفاع الاسعار للمستهلك بنسبة ٥ر٠ ٪ ، بينما دعا امين عام الهستدروت ، يروحام ميشل الى وجوب اعفاء المستهلك من نسبة الغلاء هذه وفرض امتصاصها على ارباب العمل (دافار ، ٧٥/٦/١٨) . ونتيجة لتخفيض الليرة سيصبح السعر الحقيقي للاستيراد (السعر الرسمي للدولار بالاضافة الى ضريبة الاستيراد القائمة بنسبة ١٥ ٪) نحو ٧ر٠٤ ليرة للدولار ، والسعر الحقيقي للتصدير (السعر الرسمي للدولار مع حوافز التصدير) ٧ر٩٧ ليرة للدولار .

وأوضح وزير المالية الاسرائيلي رابينوفيتش ان الهدف من قرار الحكومة هذا هو اتباع طريقة جديدة لاحداث ملائمة جارية في قيمة الليرة بهدف تقليص الثغرة بين الواردات والصادرات . اما ميزة هذه الطريقة فهي انها ستمنع ، في المستقبل ، حدوث تخفيضات كبيرة وفجائية في قيمة الليرة قد تؤدي الى زعزعة الاقتصاد والمجتمع في آن واحد. كذلك ستضمن هذه الطريقة ، حسب رأي رابينوفيتش ، « عدم تأثير سرعة التضخم المالي التي لا زالت تفوق عندنا سرعتها في معظم الدول ، على قدرة المنافسة لدينا في الاسواق الخارجية . ولهذا الامر اهمية خاصة عندنا الان بعد دخولنا الى السوق الاوروبية المشتركة . ان الطريقة التي اتبعناها اليوم تضمن قدرتنا على الاستمرار في زيادة صادراتنا من البضائع والخدمات في آن واحد » (دافار ، ٧٥/٦/١٨) .

وكشف رابينوفيتش عن سبب آخر دفعه الى اقتراح اتباع هذه الطريقة في تخفيض العملة ، وهو رغبته في منع المضاربات بالعملة الصعبة في السوق السوداء ، والثراء السهل الذي يرافق التخفيضات الشديدة في قيمة الليرة (المصدر نفسه) .

ويبدو ان هذه الطريقة تعتبر « اصلاحا بعيد المدى في الحقل المالي ، يتمثل في تخفيض دائم لليرة » (دافيد ليفكين ــ دافار ، ٧٥/٦/١٨) .

ولكن سيكون لها ، مع مرور الوقت، تأثيرا واضحا على الاقتصاد الاسرائيلي ، رغم ان التخفيض في المرحلة الاولى لم يتعد ٢ ٪ ، « اذ سيصل مجموع معدلات التخفيض هذه ، خلال بضعة اشهر ، الى ١٢ — ١٦ ٪ ، الامر الذي يلزم ملاءمة الاسعار — اي حدوث غلاء » (المصدر نفسه) .

ويبدو ان الطريقة القديمة في تخفيض قيمة العملة المتمثلة في اجراء تخفيضات كبيرة خلال فترات بعيدة (انظر « قضايا اسرائيلية » ، عدد (٤) ، ١٩٧٤/١٢/١٤ ، ص ١٢٤ — ١٣٠) لا تلائم الوضع الحالي للاقتصاد الاسرائيلي ، اذ انها تؤدي ، بالاضافة الى المضاربات السريعة بالعملة الصعبة ، الى ارتفاع كبير في الاسعار ومطالب لرفع الاجور ومشاكل اجتماعية . لذلك فان الانتقال الى الاسلوب الجديد في التخفيض سيفشل اذا جر وراءه ارتفاعات جديدة في الاسعار (المصدر نفسه).

كذلك فان تعاقب استخدام هذه الطريقة سيكون متعلقا بصورة كبيرة بتطور سرعة التضخم المالي في اسرائيل ، بالمقارنة مع ما يحدث في الخارج : « فاذا بقيت سرعة التضخم المالي عندنا في المستقبل اعلى عما هي عليه في الخارج ، ستكون هناك حاجة الى عمليات تخفيض اضافية في قيمة العملة . وهذا من شأنه ان يطمئن المصدرين الاسرائيليين ويدفعهم للعمل بثقة اكبر . اما تجار العملة الصعبة فسيدركون ان هذه الطريقة لن تدر عليهم سوى الربح القليل . لذلك يمكن القول ان مبادىء السياسة الاقتصادية للمستقبل قد كشفت، ومن هذه الناحية بدأنا فترة جديدة » (ابراهام طال — هآرتس ، ٧٥/٦/١٨) .

الهدف : تشجيع الصادرات

يظهر ان الهدف الاساسي من وراء تخفيض قيمة الليرة هو تشجيع الصادرات الاسرائيلية ، خاصة بعد الاتفاق الذي وقعته اسرائيل مع السوق الاوروبية المشتركة . وهذا ما اشار اليه محافظ بنك اسرائيل موشي زنبار ، عندما أعلن « ان الاقتصاد الاسرائيلي بحاجة دائمة الى تشجيع الصادرات ... وقد قمنا بذلك حتى الان بواسطة منح حوافز للتصدير من جهة واحدة ، وهو أسلوب محظور علينا الان الاستمرار فيه ، وبواسطة فرض ضرائب على الاستيراد من جهة اخرى ، وهو الاسلوب المناقض لاتفاقاتنا الدولية ، سواء مع صندوق النقد الدولي او مع السوق الاوروبية المشتركة ... لذلك رأينا انه يجب تخفيض قيمة الليرة بين الحين والاخر ، الامر الذي يعمل في نفس اتجاه الاسلوبين السابقين » (هآرتس ، ٧٥/٦/١٨) .

تقرير بنك اسرائيل السنوي والمطالبة بالغاء ربط الليرة بالدولار

سبق تخفيض قيمة الليرة اقتراح تقدم به محافظ بنك اسرائيل موشي زنبار ، حول الغاء ربط الليرة بالدولار وربطها ، بدلا من ذلك ، بمجموعة من العملات . « واساس هذا الاقتراح هو ان قيمة الدولار يمكن ان ترتفع في المدى القريب بالنسبة لقيمة العملات الاوروبية بعد ان هبطت باستمرار خلال السنتين الاخيرتين . ان هذه الخطوة لا تغير بحد ذاتها من قيمة الليرة بالنسبة لمجموعة العملات المختارة ، وانما تسمح باعتبار الدولار كاحدى العملات المهمة الاخرى ، وذلك من اجل منع اهتزازات غير مخطط لها وغير مرغوب فيها في قيمة الليرة بالنسبة للعملات الاوروبية » (هآرتس ، ٧٥/٦/١) . وحسب هذا الاقتراح سيكون ربط الليرة بمجموعة العملات ذا انعكاس ايجابي على تجارة اسرائيل الخارجية « في حال ارتفاع قيمة الدولار فقط . وهذا الافتراض قائم اليوم في عالم الاعمال وبين المهتمين بالتجارة الدولية ، خاصة بعد انتهاء حرب فيتنام التي استثمرت الولايات المتحدة فيها مليارات الدولارات» (المصدر نفسه).

وثمة فرق بين اقتراح زنبار هذا وبين تحرير الليرة على غرار ما هو متبع بالنسبة للعملات الاساسية في العالم التي « تتعين قيمتها حسب العرض والطلب في السوق » ، اذ ان اسرائيل لا تستطيع اتباع هذا الاسلوب بسبب عدم وجود سوق مالي حر للعملة الاجنبية فيها (دوف غنحوفسكي — يديعوت احرونوت ، ٧٥/٦/١) . اما الدافع لتقديم اقتراح زنبار هذا فهو تجنب احتمال تعويم الليرة ، الامر غير المرغوب فيه في اسرائيل « فالليرة الاسرائيلية موجودة في وضع غريب الان . انها محررة بالنسبة لجميع العملات في العالم ، باستثناء الدولار الاميركي ... ولكن بما ان الدولار نفسه محرر بالنسبة لجميع العملات

الاخرى ، فان الليرة الاسرائيلية تحررت بواسطته تجاه الليرة الاسترليني والمارك الالماني والفرنك الفرنسي والفلورين الهولندي ، الخ » (المصدر نفسه) . ويعني هذا ان تحرر الليرة الاسرائيلية بالنسبة لهذه العملات لا يتم نتيجة لقيمة الليرة ، وانما حسب قيمة الدولار ، نسبيا ، تجاه تلك العملات . « والمشكلة هنا ان [قيمة] الدولار يمكن ان تتغير في المستقبل القريب بشكل لا يلائم رغبتنا ... اذ يتوقع ارتفاع قيمته مقابل باقي العملات . ان ارتفاع قيمة الدولار ، عندما نكون مرتبطين به على هذا النحو ، ومحررين بواسطته فقط تجاه العملات الاخرى ، يعني تعويم الليرة الاسرائيلية ، الامر غير المرغوب فيه » (المصدر نفسه) . ومن اجل منع هذا التطور قدم محافظ بنك اسرائيل اقتراحه المتمثل في « قطع العلاقة القوية بين الليرة والدولار » بواسطة ربط الليرة بمجموعة من العملات تتألف ، حسب رأيه ، بنسبة ٤٠ ٪ من الدولارات و٢٠ ٪ من الليرات الاسترليني و٤٠ ٪ من العملات الاخرى (هآرتس ، ٧٥/٦/١) .

وهناك دافع آخر لاقتراح زنبار هذا ، وهو ان ربط الليرة بمجموعة العملات المذكورة سيقلل من الاهتزازات اليومية في نسب التبادل ، التي لا تعتبر في صالح المستهلك الاسرائيلي . بالاضافة الى ذلك هناك « اعتبار الاندماج بأوروبا والحاجة الى ملاءمة الجهاز المالي عندنا مع الشروط التي يفرضها الاتفاق مع السوق الاوروبية المشتركة ، الذي سيبدأ سريان مفعوله بعد شهر تقريبا . فاذا كنا نريد تشجيع الاستثمارات الاوروبية ، وزيادة الصادرات الى اوروبا ، ينبغي تمكين المبادرين الاوروبيين والاسرائيليين من التخطيط للمدى الطويل ، الامر الذي يلزمه حدوث ثبات في قيمة الليرة » (يوفال اليتسور — معاريف، ٧٥/٦/١).

ويبدو ان اقتراح زنبار هذا يحظى بتأييد كبار الاقتصاديين في بنك اسرائيل ، فقد كشف النقاب عن مذكرة داخلية قدمها خبير اقتصادي يدعى يوسف يوران ، من كبار العاملين في دائرة البحث في البنك المذكور ، تدعو الى تحديد قيمة الليرة الاسرائيلية بمجموعة من العملات المهمة حسب نسب معينة . « ومعنى هذا الحفاظ على معدل قيمة الليرة الاسرائيلية بالنسبة لمجموعة العملات بواسطة ملاءمة قيمتها من حين لاخر مع كل واحدة من مركبات المجموعة كرد على التغييرات في نظام قيمة العملة في العالم . وبهذه الطريقة يمكن منع انزلاق قيمة الليرة في اتجاه مناقض لمتطلبات الاقتصاد الاسرائيلي . ويتم التنفيذ بصورة جارية بواسطة قواعد معينة ، ووفق قرار الهيئة المختصة » (دافيد ليفكين ، دافار ، ٧٥/٦/١) .

ولكن يظهر ان الحكومة الاسرائيلية غير مقتنعة تماما حتى الان بوجوب تنفيذ اقتراح بنك اسرائيل هذا . وقد علق زنبار على ذلك بعد التخفيض الاخير في قيمة الليرة بقوله : « ان ١٢ اغوراه [قيمة التخفيض] لا تحل المشكلة ، ولكنها تسهلها وتساعد على تخطي الفترة المقبلة — بينما مشكلتنا هي دائمة ، ليس لشهر او لسنة وانما لفترة اطول . لذا اعتقد بوجوب الانتقال الان الى الاسلوب الاخير الذي اقترحته » (دافار ، ٧٥/٦/١٨) .

الخطوات الاقتصادية التي اتخذت في سنة ١٩٧٤ لم تكن كافية

من جهة اخرى ، تطرق تقرير بنك اسرائيل الى « التطورات الاقتصادية خلال السنة الماضية التي لم تكن متجانسة في طبيعتها . فقد بدات تلك السنة باعادة تجميع القوى في الاقتصاد نتيجة الحرب ، وباستمرار الانخفاض في النشاط الاقتصادي ، وانتهت بفترة توقع تخفيض الليرة واتباع سياسة اقتصادية جديدة . اما المشاكل الاساسية في الاقتصاد فهي ميزان المدفوعات وارتفاع الاسعار . وقد برز في سنة ١٩٧٤ التأثير المتراكم لفائض الطلب والضغوط التضخمية من الفترة السابقة ، ثم الارتفاع الكبير في اسعار الواردات » (هآرتس، ٧٥/٦/١) .

واشار التقرير الى الفائدة التي تحققت من وراء سياسة الكبح الاقتصادي التي اتبعت في منتصف ١٩٧٤ ، « التي كانت ضرورية لتحسين ميزان المدفوعات وصد التضخم المالي » ، فذكر ان هذه الفائدة تمثلت في انخفاض الدخل الفردي والاستثمارات في الخدمات وتقليص العمل في البناء وبعض الفروع الصناعية الاخرى التي تنتج للسوق المحلي ، ثم في ثبات الاستيراد . ورغم ذلك يشير التقرير الى ان هذه السياسة لم تكن كافية لاحداث التغييرات المطلوبة في بنية الاقتصاد : تحويل عمال

ومصانع من الانتاج للسوق المحلي الى فرع الصادرات وتقليص الطلب على الواردات . وقد تقرر تخفيض قيمة الليرة (في تشرين الثاني من السنة الماضية) من أجل احراز تقدم في هذه المجالات « ولكن مع انه حدث تغيير في الاتجاهات للمدى القصير (الارتفاع في فوائض العملة الصعبة) ، لا توجد حتى الان دلائل تشير الى زيادة في الصادرات » (المصدر نفسه) .

الاستعداد لتطبيق الاصلاح في الضرائب المباشرة

قدم وزير المالية يهوشواع رابينوفيتش الى البرلمان الاسرائيلي (الكنيست) ، في ٧٥/٦/١٠ ، ثمانية مشاريع قوانين للقراءة الاولى تتعلق بالاصلاح في الضرائب المباشرة ، حسب توصيات لجنة بن ــ شاحار ، التي أعلن عنها في مطلع شهر نيسان من هذه السنة (انظر « تضايا اسرائيلية » ، العدد ٧ (١٤) ، ٧٥/٤/٣ ، ص ٢٤٧ ــ ٢٥٢) . وكان وزير المالية قد اعلن في الماضي عن نيته في تطبيق هذه التوصيات ابتداء من اول شهر تموز المقبل ــ ويبدو انه مصمم على ذلك ، اذ دعا الكنيست الى الاسراع في بحث مشاريع القوانين هذه والمصادقة عليها بأسرع وقت ممكن. وبالفعل وافق الكنيست على هذه المقترحات في القراءة الاولى ، وتم تحويل مشاريع القوانين التي قدمها الوزير الى اللجنة المالية في الكنيست لتحضيرها للقراءتين الثانية والثالثة والمصادقة عليها في اقرب وقت .

قبول توصيات بن ــ شاحار كوحدة متكاملة

اعلن رابينوفيتش في عرضه امام الكنيست بعد تقديم مشاريع القوانين المذكورة ، ان الاصلاح المقترح في الضرائب المباشرة جاء حسب توصيات لجنة بن ــ شاحار التي « تمثلت مهمتها في تقديم مشروع يضمن توزيعا عادلا للدخل ... وابطال العيوب وتأثيراتها السلبية على انتاجية العمل واخلاقية الضرائب ، ثم توسيع قاعدة الضريبة وتسهيل اسلوب دفعها . وقد وافقت الحكومة على قبول هذه التوصيات كوحدة متكاملة كما اقترحت اللجنة » (دافار ، ٧٥/٦/١١) . وبعد ان عدد رابينوفيتش العيوب في جهاز الضرائب الحالي ، المتمثلة اساسا في نسب الضريبة المرتفعة وفي عمليات اخفاء الضرائب، اعلن ان الاصلاح المقترح يعتمد على عدة اسس ، منها : (١) ان تكون الضريبة عامة ، بدون تمييز بين فئة واخرى . (٢) ان تعمل على تشجيع زيادة الدخل. (٣) ان تتم ملاءمة مركبات جهاز الضريبة بصورة اوتوماتيكية مع ارتفاع الاسعار . (٤) ان يكون جهاز الضريبة الجديد بسيطا وقوانينه سهلة الفهم . واضاف الوزير ان الاصلاح الجديد سيوسع قاعدة الضريبة « الامر الذي سيؤدي الى توزيع العبء بصورة عادلة ... بحيث ان ٧٢ ٪ من المأجورين و٥١ ٪ من المستقلين ، سيعفون تماما من دفع الضريبة او سيدفعون ضريبة مستحقة بنسبة ٢٥ ٪ فقط » (المصدر نفسه) .

كذلك أعلن المسؤول عن مداخيل الدولة ، موشي نويدرفر (في مقابلة مع يديعوت احرونوت ، ١٣/ ٧٥/٦) ان الاصلاح المقترح في الضرائب يهدف الى تطبيق الاسس التالية : (١) الغاء العيوب السلبية التي قللت من الرغبة في العمل والربح وادت الى الاضرابات . (٢) رفع مستوى الكشوفات التي يقدمها المكلفون ، بهدف تحسين اخلاقية دفع الضرائب . (٣) توسيع قاعدة الضريبة لمنع الشعور بالظلم بين المكلفين . (٤) زيادة فائدة جباية الضرائب وتوزيع عادل للمداخيل .

الاصلاح يسبب خفض مداخيل الدولة من الضرائب

رغم التفاؤل الذي عم اوساطا عديدة في اسرائيل ، وخاصة الهستدروت ، نتيجة عزم وزارة المالية على تنفيذ مشروع الاصلاح في الضرائب المباشرة ، ظهر بعض التحفظ من جانبها ازاء التأثير السلبي الذي يمكن ان يكون لهذا الاصلاح على الوضع الاقتصادي العام في اسرائيل . والسبب في ذلك ان خزينة اسرائيل ستخسر مبلغا يقدر بـ ١ر٥ مليار ليرة ، حسب تقدير وزارة المالية ، نتيجة خفض الضرائب المباشرة ، وهذا يعني بقاء هذا المبلغ بين ايدي الجمهور ، الامر الذي سيؤدي الى زيادة الاستهلاك ورفع الاسعار. وبما ان الاقتصاد الاسرائيلي يعاني اساسا من مشكلة التضخم المالي السريع فان هذه المشكلة ستزداد حدة ، اذا لم تتخذ الاجراءات اللازمة لاستعادة المبلغ . وقد أعلن رابينوفيتش في مؤتمر

صحفي عقده في تل ابيب ، ان جزءا من هذا المبلغ سيغطى بواسطة فرض ضريبة القيمة الاضافية خلال هذه السنة ، والجزء الاخر بواسطة تقليص ميزانية الدولة (معاريف ، ٧٥/٦/١٢) . ولكن يبدو ان المشكلة اكثر تعقيدا ، اذ اعلن المدير العام الجديد لوزارة المالية ارنون غفني ، انه يتوقع ازدياد مبالغ النقد المتداول بين الجمهور بمبلغ ٤ر٢٥ مليار ليرة ، على النحو التالي : ٥ر١ مليار ليرة نتيجة الاصلاح في الضرائب المباشرة ، ٥ر١ مليار ليرة نتيجة للزيادة في الميزانية الاصلية و١ر٢٥ مليار ليرة نتيجة التأخير في جباية الضرائب وتحويل مبالغ الى السلطات المحلية . وبحسب رأيه « ينبغي تغطية جزء من هذه الاموال بواسطة تقليص الميزانية والجزء الاخر بواسطة زيادة الدخل » بعد فرض ضريبة القيمة الاضافية (في حديث مع ابراهام كوشنير — دافار ، ٧٥/٦/٦). وهذا ما اعلنه ايضا المسؤول عن مداخيل الدولة موشي نويدرفر (في مقابلة مع يديعوت احرونوت ، ٧٥/٦/١٣) .

ولكن يبدو ، من ناحية ثانية ، انه بالرغم من ان الجميع يدعو الى تقليص الميزانية العامة فان هناك ضغوطا ائتلافية شديدة تحول دون ذلك ، خاصة عندما يتعلق الامر بميزانية الدفاع ، والدليل على ذلك زيادة هذه الميزانية في جلسة مشتركة للجنتي المالية والخارجية والامن في الكنيست ، بنصف مليار ليرة ، بعد الاعلان عن تخفيض قيمة الليرة الاسرائيلية بيوم واحد . وخلال تلك الجلسة قدم ٣ نواب (من المفدال) اقتراحا لاضافة نصف مليار ليرة لميزانية الدفاع ، زيادة على اقتراح الحكومة في الميزانية الاصلية (٤ر٢٢ مليار ليرة) . وقد حظي هذا الاقتراح بأغلبية اثناء التصويت (دافار ، ٧٥/٦/١٨) ، الامر الذي اثار عاصفة شديدة بين اعضاء الائتلاف الحكومي .

لذلك فان الدعوة الى تقليص الميزانية تبقى محدودة ، خاصة وان الميزانيات الاخرى ، وأولها تلك المتعلقة بالاوضاع الاجتماعية ، قد تعرضت للتقليص خلال تقديم مشروع الميزانية الجديدة لهذه السنة (انظر « قضايا اسرائيلية » ، عدد ٦ (١٣) ، ٧٥/٣/٢٠ ، ص ٢٠١ — ٢١٢) .

الناحية الاجتماعية في الاصلاح الضريبي

يظهر من خلال ما ذكرنا ، ان الاهمية الاقتصادية للاصلاح الضريبي ، المتمثلة بانخفاض نسبة الضرائب التي يدفعها الاسرائيليون ، محدودة « لان دولة اسرائيل لا تستطيع ان تسمح لنفسها بمتعة تخفيض الضرائب ، ومما ستخسره في الضرائب المباشرة ستحصله من الضرائب غير المباشرة » (دوف غنجوفسكي — يديعوت احرونوت ، ٧٥/٦/١٣) . لذلك تقتصر الاهمية الاساسية لهذا الاصلاح ، على المجال الاجتماعي والاخلاقي ، خاصة بعد ان ادت الضرائب الباهظة التي يدفعها الاسرائيليون الى لجوء بعضهم الى الغش والخداع للتخلص من جزء من هذا العبء ، وذلك بتقديم كشوفات كاذبة الى دوائر الضريبة ، والبحث عن مصادر دخل وهمية تكون معفية من الضرائب ، وما الى ذلك من اساليب اكتشفها الاسرائيليون خلال الوقت ، وكلفت خزينة اسرائيل خسارة مبالغ باهظة ، تقدر بمليارات خلال السنين ، حسب اعتراف وزير المالية نفسه . وقد قدمت لجنة بن — شاحار توصيات مفصلة بهذا الشأن لتعميق جباية الضرائب والقضاء على هذه الظواهر .

المطالبة بتمديد اتفاقات العمل وتحديد علاوة غلاء المعيشة

سينتهي في مطلع شهر تموز سريان مفعول اتفاقات العمل التي مددت بعد الاجراءات الاقتصادية في شهر تشرين الثاني الماضي . وقد طالبت وزارة المالية في ذلك الحين بتمديدها سنة كاملة حتى نهاية ١٩٧٥ ، الا ان الهستدروت اصرت على تمديدها حتى منتصف هذه السنة فقط ، بينما تطالب الحكومة الان باعادة تمديدها . ويبدو ان هناك اتفاقا بين الحكومة والهستدروت بهذا الشأن « اذ أشار زعماء الهستدروت الى استعدادهم للموافقة على تمديد اتفاقات الاجور حتى شهر كانون الثاني المقبل ، اذا نفذ الاصلاح في الضرائب المباشرة » (اريئيل فانيشتاين — معاريف ، ٧٥/٦/٦) .

أما بالنسبة لوضع علاوة غلاء المعيشة المستحقة في اول شهر تموز ايضا ، فقد عينت وزارة المالية لجنة من الخبراء ، برئاسة دكتور تسفي زوسمان من بنك اسرائيل ، لبحث هذه المسألة ودراسة امكانية دفع جزء من هذه العلاوة . ويجدر بالذكر ان علاوة غلاء المعيشة هذه ستكون خاضعة للضريبة حسب الاصلاح الجديد ، في حال تطبيقه .

وتحدد العلاوة حسب معدل الغلاء خلال فترة معينة، ويقدر معدلها الحالي ، بحسب البحث الدائر في اللجنة المختصة ، بـ ٤٧٠ ليرة شهريا (المصدر نفسه) . وينتظر الان ان تقوم هذه اللجنة بتقديم توصياتها الى وزارة المالية لتحديد نسبة العلاوة التي ينبغي دفعها في مطلع الشهر المقبل . وكان احد اعضاء تلك اللجنة قد أعلن ان « دفع علاوة غلاء معيشة كاملة سيدفع الحكومة الى [اتخاذ اجراءات] لامتصاص اموال جديدة من الجمهور ، الامر الذي لا نرغب فيه » (المصدر نفسه) ، مما يدل على ان اللجنة تنوي تقديم توصية باقتطاع جزء من العلاوة . لذلك فان الفترة المقبلة ستكون صعبة من الناحية الاقتصادية بالنسبة للمأجورين والمستخدمين الاخرين ، اذ رغم انهم سيحظون بمكسب معين من وراء الاصلاح في الضرائب ـ اذا تحقق ـ فسيحصلون على علاوة على اجرهم الاساسي نتيجة تخفيض اتفاقات العمل . ويعتبر هذا الامر جزءا من سياسة تجميد الاجور وخفض الاستهلاك الفردي التي اتبعتهما الحكومة خلال السنة الاخيرة ، في اطار محاربتها للتضخم المالي. ويحدث هذا في الوقت الذي تزداد فيه اضرابات العمال في اسرائيل وتتدهور علاقات العمل بشكل لا مثيل له . ويمكن الاستنتاج من ذلك ان تجميد اتفاقات العمل واقتطاع جزء من علاوة غلاء المعيشة سيزيد الاوضاع سوءا ، بين قطاعات كثيرة من العمال ، الامر الذي يبشر بموجة جديدة من الاضرابات .

حنه شاهين

(٥) القضية الفلسطينية عسكريا

[١]

العمليات الفدائية في الارض المحتلة والرد الاسرائيلي عليها

واصلت الثورة الفلسطينية تصعيد كفاحها المسلح في الارض المحتلة في الوقت نفسه الذي تخوض فيه معركة سياسية ضارية على كافة الاصعدة في داخل الارض المحتلة وعلى الساحتين العربية والدولية . وهي بذلك انما تظهر مدى قدرتها على خوض المعارك على كافة الجبهات السياسية والعسكرية اثناء مسيرتها الثورية بهدف التصدي للمؤامرات التصفوية وتحقيق الوحدة الوطنية بين صفوف المناضلين والمقاتلين في الداخل والخارج .

وازاء هذا التصعيد في العمليات جاءت ردود فعل العدو في الداخل بقيام السلطات المحتلة في ١٩٦٥/٦/١٣ بحملة اعتقالات واسعة في صفوف المواطنين العرب في الارض المحتلة شملت (٤) من أهالي نابلس و(١٠) من أهالي الخليل في الضفة الغربية المحتلة بتهمة الانتماء الى حركة المقاومة الفلسطينية . (النهار ١٩٧٥/٦/١٤) .

وكان ناطق عسكري باسم الثورة الفلسطينية قد أعلن عن قيام الثوار الفلسطينيين فجر يوم ١٩٦٥/٦/١٣ بنسف الكابل الرئيسي للهاتف في منطقة بيسان . وأدى ذلك الى تدمير الكابل تدميرا كاملا حيث تم قطع الاتصال الهاتفي في منطقة بيسان (المصدر نفسه) .

وفي فجر يوم ١٩٧٥/٦/١٥ نفذ الثوار الفلسطينيون عملية جريئة في داخل الارض المحتلة استهدفت اقتحام مبنى مركز منظمة الشباب الصهيوني العسكري (ناحال) في مستعمرة « كفار يوفال » التي تبعد مسافة (٥) كيلومترات الى الشمال الشرقي من مستعمرة « كريات شمونه » في الجليل الاعلى . فقد ادلى ناطق بلسان جبهة التحرير العربية ببيان جرى توزيعه في بيروت جاء فيه « ان اربعة فدائيين (فلسطيني ، عراقي ، مغربي ، وتركي) ينتمون الى الجبهة نفذوا في صباح ١٩٧٥/٦/١٥ عملية اقتحام منزل منظمة الشباب العسكرية (ناحال) في مستعمرة كفار يوفال حيث تمكنوا من اقتحام المنزل واحتجاز عدد من الرهائن ، وطالبوا باطلاق سراح عدد من المعتقلين الموجودين في السجون الاسرائيلية وبينهم المطران كبوجي والشيخ ابو طير والفدائي الياباني (اوكوموتو) و٢٩ من الاسرى العرب وعدد من اليهود من اعضاء الجبهة الحمراء المسجونين لتعاونهم مع المقاومة » . واضاف الناطق قائلا : « ان المجموعة نفذت العملية بناء على اوامر من قيادة فرع الداخل لقوات جبهة التحرير العربية ، وان جيش العدو قام بمحاصرة المنزل ومن ثم مهاجمته بعد ان تمكن الفدائيون من احتجاز الرهائن لمدة ثلاث ساعات ونصف . وقد اسفرت العملية عن استشهاد الفدائيين الاربعة ومقتل عدد من الاسرائيليين » (النهار ١٩٧٥/٥/١٦) . أما الناطق الاسرائيلي فقد قال « بأن مجموعة من الفدائيين حاولت التسلل الى مستوطنة « كفار يوفال » الى اول منزل في طريق المستوطنة ، فواجهت نيران الحراس ، وخلال تبادل اطلاق النار لجأ الفدائيون الى منزل قريب واقتحموه ، وكان في المنزل (٦) اشخاص تم احتجازهم كرهائن » . ثم اضاف قائلا « ان قوات الجيش الاسرائيلي الموجودة في المكان طوقت المنزل وسيطرت عليه . وبعد ذلك اقتحمت القوات المنزل حيث قتل الفدائيون الاربعة في حين قتل اثنان وجرح (٦) اشخاص من الرهائن ، كما قتل عدد من الجنود الذين هاجموا المنزل » (ر ا ا . عدد ٨٤٠ تاريخ ١٩٧٥/٦/١٦) . وعلى الفور وصل الى مكان الحادث شمعون بيريس وزير الدفاع يرافقه رئيس الاركان الاسرائيلي الجنرال مردخاي غور وقائد القطاع الشمالي الكولونيل رفائيل ايتان . ومما قاله بيريس « ان القوات الاسرائيلية ستستخدم كل الوسائل لحماية المستوطنات الشمالية » . (النهار ١٩٧٥/٥/١٦) .

وردا على عملية كفار يوفال شنت الطائرات الاسرائيلية ٥ غارات على قرية وخراج «كفرشوبا» بدأت الغارة الاولى في الساعة (٩٫٠٧) من اليوم نفسه واستمرت بصورة متقطعة حتى الساعة (١١٫٣٠) . وقد نجم عن هذه الغارات الخمس تدمير ما تبقى من منازل في القرية. وكانت الطائرات الاسرائيلية قد هاجمت القرية قبل (٥) أشهر ودمرت عددا من منازلها . كما استشهدت امرأة وجرح اربعة اشخاص وفقد واحد (النهار ٦/١٦/ ٧٥) . وفي بيروت صرح ناطق عسكري لبناني بقوله « تعرضت بلدة « كفرشوبا » قبل ظهر اليوم لقصف مركز من قبل طيران العدو ومدفعيته الارضية . أعطيت الاوامر بالتصدي للغارة والرد على مصادر نيران العدو بكل وسائل دفاعنا » (المصدر نفسه) .

أما الناطق العسكري باسم قيادة الثورة الفلسطينية فقد ادلى بعدة تصريحات نوجزها بالآتي :

« قام طيران العدو في الساعة (٩٫٣٠) بقصف مركز لمناطق كفرشوبا والخريبة والمرتفعات الشرقية في قطاع العرقوب في جنوب لبنان ، وفي الساعة (١٠٫٥٠) عاود طيران العدو قصف المنطقة بالقنابل والصواريخ مستهدفا قواعد الثورة الفلسطينية والمناطق المدنية اللبنانية . وفي الساعة (١١٫٠٠) وسع العدو نطاق عدوانه وبدأ بقصف مناطق كفرحمام ، وراشيا الفخار ومثلث شبعا بالمدفعية المتوسطة والثقيلة. وفي الساعة (١٢٫٢٥) اسقط ثوارنا طائرة للعدو من طراز « فانتوم » وذلك في اثناء تصدي مقاوماتنا الارضية لطيران العدو . ويعتقد ان قائد الطائرة ومساعده لم يتمكنا من الهبوط بالمظلة بسبب اصابة الطائرة اصابة مباشرة . وقد شوهدت الطائرة وهي تهوي محترقة في منطقة الحدود بالعين المجردة . وما زال القصف مستمرا حتى الساعة (١٤٫٣٠) » . (المصدر نفسه) .

في منتصف ليلة ١٥ — ١٩٧٥/٦/١٦ قصف العدو بمدافعه تلال العرقوب وردت مدفعية المقاومة الفلسطينية بنيران كثيفة . مما اضطر العدو الى الرد بقصف « النبطية » من مسكف عام وابل القمح في الاراضي المحتلة . وردت المدفعية اللبنانية على مصادر النيران . ثم واصلت الطائرات تحليقها في الجو مستخدمة القنابل المضيئة على طول الحدود . (المصدر نفسه) .

وكانت قوة من الفدائيين داخل الارض المحتلة قد قصفت اهدافا عسكرية في مدينة نهاريا في الساعة (١٨٠٠) من يوم ١٩٧٥/٦/١٥ وعلى منطقة كفار جلعادي في الجليل الاعلى في الساعة (٠٦٠٠) من يوم ١٩٧٥/٦/١٦ ، وقد استخدمت المجموعتان قذائف الكاتيوشا من عيار (١٢٠) ملم (رأ . عدد ٨٤٠ تاريخ ١٩٧٥/٦/١٦) و (النهار ١٩٧٥/٦/١٦).

لقد دلت الاحداث التي وقعت في الجليل الاعلى وعلى طول الحدود اللبنانية في يومي ١٥ و ٦/١٦/ ١٩٧٥ ان المقاومة اصبحت تملك القوة على مهاجمة عمق الاراضي المحتلة متى شاءت وانه اصبح بمقدورها الرد بضربات موجعة على كل اعتداء يقوم به الطيران الاسرائيلي على المناطق المدنية الفلسطينية — واللبنانية الآمنة . لقد حاولت اسرائيل شل الحياة في الطرف الاخر من الحدود في الجبهة اللبنانية لكنها فشلت في تحقيق هدفها وحول هذه المسألة يقول مراسل الاذاعة الاسرائيلية العسكري في المنطقة الشمالية والذي زار المنطقة بعد الاشتباكات في يوم ١٩٧٥/٦/١٦ « اليوم يبرز وجودهم (اي الفدائيين) على طول الحدود اكثر من اي يوم مضى ، انهم يحاولون ان يثبتوا ان الكفاح المسلح مستمر بكل قوته » . واضاف « وعلى الرغم من كل ما قيل فان الحياة في الجانب الاخر من الحدود لم تتبدل ابدا كما يبدو فاليوم كالامس شوهد فلاحون لبنانيون يفلحون اراضيهم في الاماكن نفسها التي ينطلق منها الفدائيون ، ويصعب ان نؤكد على ضوء احداث الـ ٢٤ ساعة الاخيرة ما اذا كانت هذه بداية مرحلة عمليات متواصلة ولكن يبدو ان شروط مثل هذا الوضع متوفرة » (رأ — عدد ٨٤١ — تاريخ ١٩٧٥/٦/١٧) .

بعد الاحداث الاخيرة اتخذت قيادة الدفاع المدني في المنطقة الشمالية في يوم ١٩٧٥/٦/١٨ على استنفار كافة اجهزتها وبوشر في تسليح واعداد احتياطي المستوطنات ودعوة سكان مستعمرات الحدود من الذين يستطيعون ويرغبون في حمل السلاح الى الالتحاق في صفوف الامن اليومي في الجبهة الشمالية . وقال ضابط كبير « ان التدريب

والمعدات الجديدة زادت من قدرة المستوطنين على الدفاع الذاتي » . (رأ — ٨٤٢ — ٦/١٨/ ١٩٧٥) . هذا وقام اعضاء الكيبوتسات والمستوطنات في الجليل الغربي بالتدرب على استخدام الاسلحة التي لم يسبق وان عرفوها وشمل ذلك اجهزة الاتصال وادارة الاتصالات (رأ — ٨٤٨ تاريخ ١٩٧٥/٦/٢٥) . وقد توقع الجميع في اسرائيل قيام الفدائيين بموجة جديدة من الضربات الخاطفة — اضرب واهرب . لهذا تم استنفار القيادة الشمالية خاصة وان الفدائيين اخذوا يضربون بشكل موجع ومؤثر على معنويات سكان المستوطنات الشمالية .

وفي ١٩٧٥/٦/٢٣ اعلنت حركة المقاومة ان الفدائيين في داخل الارض المحتلة نفذوا عملية في منطقة تل ابيب استهدفت موقفا للسيارات وباصات الركاب في قلب المدينة . فقد وضع رجال المقاومة عددا من العبوات الناسفة الموقوتة داخل عدد من سيارات العدو وباص للركاب لشركة (دان) ، وقد ادى الانفجار الى تدمير (٤) سيارات والباص واصابة عدد من السيارات المجاورة باضرار بالغة . (النهار ١٩٧٥/٦/٢٤) .

ومن جهة اخرى وقع اشتباك بين مجموعة من الفدائيين وافراد من الجيش الاسرائيلي في حوالي منتصف الليل بالقرب من كيبوتس ادميت في الجليل الاعلى قرب الحدود اللبنانية ، بعد ان تمكن افراد المجموعة من فتح ثغرة في السياج المكهرب في محاول للتسلل الى الكيبوتس . ووقع الاشتباك قرب خط الحدود تماما . وقد ذكر الناطق الاسرائيلي ان (٤) فدائيين قد استشهدوا في حين جرح احد أفراد الدورية الاسرائيلية (رأ — ٨٤٩ — ١٩٧٥/٦/٢٦) .

وفي ١٩٧٥/٧/١ اعلن ناطق عسكري باسم الثورة الفلسطينية ان رجال المقاومة في داخل الارض المحتلة فجروا عبوات حارقة في مخازن الورق في « بتاح تكفا » كما نسف الثوار في رأس العين على طريق القدس — تل ابيب مستودعات الاخشاب . (النهار ١٩٧٥/٧/٢) .

وفي القدس قام رجال المقاومة في داخل الارض المحتلة باكبر عملية فدائية في هذه المدينة ، اعتبرتها المصادر الصحفية العالمية أكبر العمليات التي نفذها الثوار حتى الان فقد وقع انفجار في العاشرة من صباح ١٩٧٥/٧/٤ في حي صهيون ، الذي يعتبر من أكبر الاحياء في القسم اليهودي من القدس المحتلة ، أدى الى الحاق أضرار بالغة في المباني والمحلات التجارية المجاورة لمكان الانفجار والى قتل (١٣) واصابة (٧٨) بجروح بينهم (١٠) جروحهم خطرة . وبعد الانفجار ، مرت سيارة عربية مسرعة في مكان الانفجار وفتحت النار على المتجمهرين حول مكان الانفجار . وقد وقع الانفجار في وقت كانت السلطات الاسرائيلية منهمكة في الاعداد لتشييع جنازة وزير الشؤون الاسرائيلي حيث اضطرت الى سحب عدد كبير من رجال الامن من الشوارع لمرافقة الجنازة . وهو عامل استغله رجال المقاومة الذين تمكنوا من ترك ثلاجة صغيرة قديمة وفيها (١٥) كيلو غرام من المواد الناسفة والمتفجرة في احد اكثر شوارع القدس ازدحاما . وعلى الاثر توجه الى مكان الانفجار اسحق رابين رئيس الوزراء الاسرائيلي وشمعون بريس وزير الدفاع لتفقد الاضرار وطوق رجال الشرطة المنطقة وعزلوها ، وبعد ذلك تم اعتقال ٢٠٠ من المواطنين العرب ممن كانوا على مقربة من مكان الانفجار . (النهار ١٩٧٥/٧/٥) . (رأ — ٨٥٤ — ١٩٧٥/٧/٥) وفي القدس القى شلومو هيلل تبعة الانفجارات على التأييد العالمي المتزايد لمنظمة التحرير الفلسطينية ، وتعهد بأن تزيد اسرائيل تدابير الامن ضد العرب القادمين الى المدينة وخاصة الزوار الذين يأتون في فصل الصيف عبر نهر الاردن . (المحرر ١٩٧٥/٧/٥) . كما ان مصادر اسرائيلية صرحت انه منذ نيسان ١٩٧٤ قتل نحو ١٠٠ اسرائيلي وجرح ٣٠٠ نتيجة عمليات الفدائيين . (النهار ١٩٧٥/٧/٥) وقد ساد مدينة القدس موجة قلق بعد العملية وحاول عدد من اليهود الاعتداء على سكان القدس العربية المحتلة لكن الشرطة فرقتهم .

وردا على عملية القدس شنت اسرائيل هجوما (بحريا وجويا) على مخيم الرشيدية وبعض القرى في قضاء صور استمر لمدة ثلاث ساعات وخمس واربعين دقيقة ، اسفر عن استشهاد ٩ وجرح عدد اخر واصابة نحو (٤٠) منزلا . فقد صرح ناطق عسكري لبناني بما يلي «في الساعة (٠٢٤٠٠) من يوم ١٩٧٥/٧/٧ قصفت ٣ زوارق حربية

اسرائيلية يدعمها طيران حربي كثيف مخيم الرشيدية جنوب صور فردت عليها قواتنا بكل الاسلحة . توقف الاشتباك في الساعة (٠٢،٥٥). وقد نجم عن القصف نشوب حرائق في المخيم فارسلت اليه سيارات الاطفاء . وفي الساعة (٠٣،٢٠) عاود العدو قصف منطقة البرغلية من البحر فردت عليه قواتنا . توقف القصف في البرغلية في الساعة (٠٤،٣٠) لكن الطيران المعادي استمر بالتحليق وبين الساعة (٠٥،١٠ــ٠٥،٤٠) قصفت الطائرات الاسرائيلية مخيم ضهر معروف شرق القاسمية » . وجاء في تصريح ثان للناطق العسكري اللبناني انه « ليل ٦ ــ ١٩٧٥/٧/٧ تعرضت جبهة الحدود الجنوبية الى قصف مدفعي متقطع من قبل العدو الاسرائيلي استهدف القرى والاماكن المدنية (النهار ١٩٧٥/٧/٨) .

اما الناطق العسكري الفلسطيني فصرح بما يلي : « قامت قوات العدو الصهيوني الجوية والبحرية بهجوم غادر على مخيماتنا في منطقة صور والرشيدية وبعض مناطق الجنوب اللبناني في الساعة (١١،٤٥) من ليلة ٦/٧ وحتى الساعة (٠٥،٢٠) من صباح ١٩٧٥/٧/٧ . وقد تصدى ثوارنا ببسالة وكفاية لقوات العدو المهاجمة واستطاعوا دحرها وايقاع خسائر فادحة في صفوف القوة التي نزلت على الشاطىء من زوارق مطاطية . وقد تم اسقاط طائرة (سكايهوك) وتدمير زورق واسر قارب بمعداته وتجهيزاته » (المصدر نفسه) .

اما في تل ابيب فاعلنت القيادة العسكرية الاسرائيلية ان قوات برية وبحرية وجوية اسرائيلية اغارت الليلة الماضية وصباح امس ١٩٧٥/٧/٧ على ما زعمت انها قواعد للفدائيين على الساحل اللبناني . فقد قامت القوات الاسرائيلية بعملية مشتركة وعادت الى قواعدها سالمة (النهار ١٩٧٥/٧/٨).

فقد تصدت المقاومة الفلسطينية لجنود الكوماندوس الاسرائيلي الذين تمكنوا من التسلل بواسطة الزوارق الحربية والمطاطية وبواسطة طائرات الهليكوبتر الى المنطقة بضراوة وكبدتهم خسائر فادحة في الارواح والمعدات . واستخدم الثوار في دفاعهم عن المخيم كافة الاسلحة الخفيفة والمتوسطة والثقيلة ومنها صواريخ (سام ٧) المضادة للطائرات وصواريخ اخرى مضادة للسفن. وقد اورد المراقبون انها اول مرة منذ مدة طويلة يفشل فيها هجوم اسرائيلي مدبر خطط له بعناية فائقة واشتركت فيه قوات بحرية وبرية وجوية . (المحرر ١٩٧٥/٧/٨) .

وردا على الهجوم الغادر فقد قامت وحدات الثورة العاملة في الداخل منذ صباح ١٩٧٥/٧/٨ بقصف الاهداف العسكرية في مدينة صفد وتجمع اليات العدو في كيبوتس « جدعون » كذلك قصفت مدينة نهاريا وضواحيها . وقد اعترف العدو بهذه الهجمات وزعم انه لم تقع خسائر في الممتلكات والارواح (رأ ــ ٨٥٦ ــ ١٩٧٥/٧/١٨) .

ومن جهة اخرى جددت مدفعية العدو قصفها لبلدة عديسة لليوم الثالث على التوالي ونتج عن القصف استشهاد امرأة وجرح اثنين واصابة منزل باضرار في البلدة . (المحرر ١٩٧٥/٧/٨) .

وفي دمشق ، اعلن السيد محمود رياض الامين العام لجامعة الدول العربية في ١٩٧٥/٧/٨ تعليقا على الاعتداءات الاسرائيلية الاخيرة على جنوب لبنان ومخيمات الفلسطينيين « اننا في معركة مستمرة مع العدو ويجب ان نتوقع منه مثل هذه الاعتداءات ما دمنا نسعى الى التحرير ، ولا بد ان نقوم بواجبنا في تحمل الخسائر وفي الحاق الخسائر بهذا العدو حتى نرغمه على الاستجابة لمطالبنا العادلة » (النهار ــ ١٩٧٥/٧/٩) . اما في القاهرة فقد حذرت صحيفة الاهرام اسرائيل من « مغبة اعتداءاتها المستمرة على مخيمات اللاجئين الفلسطينيين » وقالت « ان اسرائيل تخطىء اذا اعتقدت انها بعملياتها هذه قادرة على ردع المقاومة او دفعها الى التخلي عن العمليات التي اصبحت تجربها بنجاح متعاظم في عقر دار العدو » ونبهت العدو الاسرائيلي الى « ان خريطة المنطقة السياسية للمنطقة لم تعد مماثلة لما كانت عليه قبل حرب تشرين الاول ، وليس المخرج هو دفع المواجهة مع الفلسطينيين الى حد تحطيم كل الجهود الراهنة لتخطي النزاع بل التسليم بأن الفلسطينيين طرف فيه لهم حقوقهم المشروعة المتكافئة اسوة ببقية اطرافه » (المصدر نفسه) .

وفي تعليقها على الاحداث والتصعيد الخطير للعمليات الفدائية في الداخل ذكرت صحيفة معاريف الحكومة الاسرائيلية « بأنها مضى عليها سنوات وهي تعد بعد كل عملية يقوم بها الفدائيون بمقاتلة الارهاب العربي دون هوادة » . ومضت الصحيفة قائلة « الا ان السنوات مضت حتى الان ، وكانت ترجمة هذا الوعد دائما انزال ضربة مرتبطة بالضربة العربية التي تسبقها » . وتقول « انه يبدو ان غاية الحكومة الوحيدة هي تهدئة مشاعر الغضب والانتقام في قلب الجمهور ، وطالما ان مقاومة الارهاب تجري طبقا للقواعد التي يحددها الفدائيون ، فلن تحدث محاولة جادة من جانب اسرائيل لاخذ المبادرة من ايديهم. ولقد حان الوقت لان تعمل الحكومة طبقا لتصريحاتها فتشن حربا متواصلة ومتلاحقة ضد الارهاب » (رأ — ٨٥٧ — ١٩٧٥/٧/٩) .

ولما تمض ٢٤ ساعة على مطالب معاريف الداعية الى شن حرب متواصلة على الفدائيين ، هاجم الفدائيون المحطة الرئيسية لضخ النفط الخام في المنطقة الجنوبية على البحر الاحمر وتقع بين « ايلات » و « بئير اورا » في النقب الجنوبي وقام الثوار بضرب هذا الهدف الحيوي في الساعة (٠٢٤٣٠) من يوم ١٩٧٥/٧/٩ . وقد تم تدمير المحطة تدميرا تاما واشتعلت النيران في المحطة والنفط المتدفق من الانابيب وشوهدت من مسافات بعيدة . وقد ترتب عن هذا الهجوم قطع الطريق الرئيسية المؤدية الى مدينة ايلات وتوجهت الى المنطقة قوات كبيرة من الجيش الاسرائيلي حيث منعت السير والحركة على هذا الطريق والطرق المتفرعة عنه . وقد اعترفت صحيفة « يديعوت احرونوت » ان خط الانابيب الذي ينقل النفط من ايلات الى مصفاة النفط في اسدود اصيب باضرار بالغة نتيجة انفجار ، وادى ذلك الى وقف تدفق النفط في الانبوب ومنع السير على الطريق الرئيسية في المنطقة (النهار ١٩٧٥/٧/١٠) .

وفي ١٩٧٥/٧/١٣ هاجمت طائرات السلاح الجوي الاسرائيلي في الساعة (١٤٠٣٥) مخيم عين الحلوة في صيدا ، واستغرقت الغارة الاولى (١٥) دقيقة تمكنت الطائرات خلالها من القاء حمولتها على اهداف مدنية في داخل المخيم . وحال ظهور الطائرات فوق المدينة والمخيم فتحت المقاومات الارضية الفلسطينية واللبنانية نيرانها على الطائرات المغيرة . وفي الساعة (١٥٠١٠) عادت الطائرات وقد زاد عددها واخذت تهاجم اهدافها في المخيم من جديد ، فتصدت لها المقاومات الارضية اللبنانية والفلسطينية مرة اخرى ، واطلقت باتجاهها صواريخ موجهة من نوع (سام — ٧) . حيث اصيبت طائرة شوهد طيارها يهبط بالمظلة . وعلى الفور توجهت دوريات من الجيش والمقاومة لالقاء القبض عليه ، تساعدها طائرة هليكوبتر تابعة للجيش اللبناني . هذا ونجم عن الاعتداء الجوي اصابة الطرف الجنوبي الشرقي للمخيم باضرار حيث تهدم وتصدع (٤٠) منزلا ومكتبا وكوخا. واستشهد (٥) وجرح (٣٥) مدنيا . ان هذه الغارة تأتي في اعقاب تصعيد رجال المقاومة في الداخل من عملياتهم ضد الاهداف الحيوية الاقتصادية والعسكرية وفي اعقاب فشل الغارة التي شنها العدو برا وبحرا وجوا على مخيم الرشيدية . (النهار ١٩٧٥/٧/١٤) .

وكعادتها ، ردت قوات المقاومة في الداخل على الغارة الاسرائيلية على مخيم عين الحلوة بقصف مستعمرة « روش هنيكراه » ومدينة « نهاريا » الواقعتين على الشاطىء ، ومستعمرة المالكية في اقصى الطرف الشمالي الشرقي لفلسطين المحتلة (الانوار ١٩٧٥/٧/١٤) .

وفي تل ابيب ابلغ اسحق رابين البرلمان الاسرائيلي « ان اسرائيل ستعمد الى الحرب الوقائية وحرب الاستنزاف والعقاب ضد المنظمات الفلسطينية حيثما استطعنا الوصول اليهم » (المصدر نفسه) .

الرائد الطيار حسين عويضة

[٢]

الممرات الاستراتيجية في سيناء وأهميتها العسكرية

منذ بدأت المفاوضات غير المباشرة عبر طرف ثالث هو الولايات المتحدة بين كل من مصر واسرائيل في اعقاب توقف القتال في ١٩٧٣/١٠/٢٥ بهدف التوصل الى فصل للقوات على الجبهة الجنوبية في سيناء ، تركزت عيون كافة الاطراف المعنية بالصراع والمراقبين العسكريين المتتبعين لتطورات الاوضاع العسكرية بالمنطقة على الممرات الاستراتيجية (متلا وجدي والختمه) في سيناء . ان هذه الممرات تشكل مفتاح الموقف بالنسبة لاوضاع قوات طرفي النزاع في سيناء . فهي تسيطر على المحاور الرئيسية الثلاثة التي تربط غربي سيناء بشرقيها . وتبعد هذه الممرات عن قناة السويس مسافة تتراوح بين ٣٠ — ٣٥ كم . وبعد حرب تشرين وفي اعقاب سقوط « خط بارليف » في أيدي الجيش المصري ، اضطرت اسرائيل الى اقامة التحصينات الضخمة في هذه الممرات حيث صرفت عليها مبالغ طائلة بلغت مئات الملايين من الليرات الاسرائيلية ، كما اقامت في « ام خشيب » وعلى سفوح الجبال المتحكمة بالممرات والمطلة على القناة والضفتين الشرقية والغربية محطة للمراقبة زودتها بأجهزة حديثة للانذار وللكشف عن تحركات الجيش المصري في الضفتين . وهكذا لم تفقد اسرائيل زمام الموقف في سيناء في اعقاب سقوط « خط بارليف » بل ظلت قواتها تتحكم في شبه الجزيرة عن طريق سيطرتها على هذه الممرات . ان اسرائيل تحتاج من الناحية العسكرية الى هذه الممرات ، ذلك لانها تخفف عليها الاعباء العسكرية وابرزها تقليل حجم القوات التي تحتاجها القيادة الاسرائيلية للمرابطة في الخطوط الامامية الحالية . ولولا هذه الممرات لكانت اسرائيل مضطرة الى وضع أعداد اكبر بكثير من القوات التي ترابط حاليا في خطوطها الدفاعية في مواجهة الجيش المصري ، مع ما يلحقه ذلك من آثار سيئة على النواحي المعنوية والاقتصادية في داخل اسرائيل . فقد اشار الى ذلك الجنرال غور رئيس الاركان الاسرائيلي بقوله « ان الانسحاب من الممرين الجبليين يلزم الجيش الاسرائيلي الاحتفاظ بقوات اكبر في كل خط آخر محتمل والمغزى الذي يكاد يكون مباشرا : عبء احتياطي اثقل » (ر أ أ ، عدد ٩٥٢ ، ٧٥/٧/١) . بالاضافة الى ان اوضاع الجيش الاسرائيلي الدفاعية ستكون اضعف مما هي عليه الان ، اذا علمنا ان طول خطوط القتال الحالية تبلغ حوالي (١٧٠) كم وتمتد من « عيون موسى » في الطرف الجنوبي للقناة الى « بالوظه » في الشمال . كما ان هذه الممرات تسيطر سيطرة تامة على المحاور التالية التي تربط قناة السويس بشرقي سيناء وبالحدود الفاصلة بين فلسطين المحتلة ومصر ، وهذه المحاور هي :

١ — محور السويس — **ممر متلا** — صدر الحيطان — نخل التمد — الكونتيلا وطوله حوالي ٢٣٥ كم .

٢ — محور السويس — **ممر متلا** — صدر الحيطان — بير تماده — بير حسنه — القسيمة — جبل الصبحه على الحدود مع فلسطين المحتلة وطوله ٢١٠ كم .

٣ — محور البحيرات المرة — **ممر الجدي** — بير تماده — بير حسنه — القسيمه — جبل الصبحه وطوله ١٩٥ كم .

٤ — محور البحيرات المرة — **ممر الجدي** — بير جفجافه — جبل لبنى — ابو عجيله — والذي يمتد الى الحدود باتجاه عوجة الحفير في اراضي فلسطين المحتلة . ويبلغ طوله ٢١٠ كم .

٥ — محور الاسماعيلية — الطاسه — **ممر الختميه** — بير جفجافه — جبل لبنى — ابو عجيله — والعوجه وطوله ٢٠٠ كم .

٦ — محور الاسماعيلية — الطاسه — **ممر الختميه** — بير جفجافه — جبل لبنى — بير لهفان العريش وطوله ٢٥٠ كم .

٧ — المحور الشمالي والذي يمتد على طول الساحل الشمالي لسيناء من القنطرة على قناة السويس مارا بمحاذاة بحيرة البردويل — بير العبد — المزار — ثم العريش وطوله حوالي ١٦٠ كم .

يستدل من ذلك ان كافة الطرق المؤدية الى الشرق لا بد وان تمر عبر الممرات الثلاثة باستثناء الطريق الساحلي . لذلك ان ما يهم اسرائيل هو الاستفادة منها كونها موانع طبيعية مثالية لاقامة خطوطها الدفاعية التي تأمل اسرائيل ان تساعدها في صد أي هجوم تقوم به القوات المصرية باتجاه الشرق في محاولتها لاستعادة سيناء من القوات الاسرائيلية المحتلة . ثم ان القاء نظرة على خارطة سيناء يتضح من خلالها الطبيعة الجغرافية لسيناء التي تبلغ مساحتها حوالي (٦٠،٠٠٠) كم مربع ، حيث تنقسم اراضيها الى قسمين قسم شمالي يصلح لعبور الاليات عبر الممرات التي مر ذكرها والقسم الجنوبي الذي يمتد جنوبا من خط بور توفيق في الطرف الجنوبي لقناة السويس والى الشرق حتى رأس النقب الواقعة في الطرف الجنوبي للحدود الفاصلة بين فلسطين المحتلة وسيناء وهو عبارة عن سلسلة جبال يصعب حتى على جنود المشاة ارتيادها . ان المناطق او المحاور الصالحة لعبور الآليات تتمثل في الطريقين الساحليين اللذين يمتدان على طول الساحل الشرقي والساحل الغربي لسيناء . فالاول يمتد من رأس النقب — نويبع — دهب — نبق — شرم الشيخ وطوله حوالي ٣٠٠ كم . والثاني يمتد من عيون موسى — ابو رديس — ممر الفردان — الطور — شرم الشيخ وطوله حوالي ٣٠٠ كم .

اذن يفهم من كل ذلك ان المناطق الصالحة للتحركات العسكرية ولعبور الاليات والدبابات التي تمثل رأس الحربة بالنسبة للجيوش المعاصرة تكمن في الجزء الشمالي الذي تشكل الممرات بواباته . ومما يزيد من أهمية هذه الممرات انها تتحكم في المحاور الوحيدة المؤدية الى شرقي سيناء والتي بمقدور الدبابات وناقلات الجنود والاليات المرافقة لها عبورها ، وهذه الاليات عادة تكون محملة بالذخائر ومواد التموين التي تحتاجها الدبابات والاليات والطواقم المقاتلة اثناء عملها وقتالها اذا علمنا ايضا ان المناطق الواقعة شمالي الممرات تكثر فيها المناطق الرملية الرخوة ولا تصلح لعبور الاليات المرافقة للدبابات وناقلات الجنود مما يصعب عملها .

ثم ان القيادة الاسرائيلية والتي تشكو من نقص في الطاقة البشرية فانها تسعى الى استغلال الموانع الطبيعية بشكل فعال ، بالاضافة الى التحصينات التي نجحت في اقامتها في هذه الجبهات . ولولا الممرات المذكورة لكانت اسرائيل في ورطة نظرا لكبر مساحة الاراضي في سيناء وطول سواحلها خاصة بعد اجتياح الوحدات المصرية لـ « خط بارليف » . ذلك لانها لا تملك العدد الكافي من الطاقة البشرية لتشغيلها في جبهة عريضة وعميقة كجبهة سيناء . ومن حسن طالع اسرائيل ان تجيء طبيعة الاراضي في سيناء على هذه الشاكلة حيث تشكل سلسلة الجبال في الجنوب حماية لميسرة قواتها على حين تشكل الاراضي الرملية الرخوة والمستنقعات في الطرف الشمالي لسيناء حماية لميمنة قواتها . اذا تبقى خطوط القتال في اواسط سيناء ذي اهمية كبيرة ، واسرائيل قادرة عن طريق مرابطة قواتها في الممرات وبمساعدة طيرانها على معالجة أي وضع حربي كان . لكن بقي ان نعلم ان الوسائل المتاحة في هذه الايام للجيوش المعاصرة ، قللت الى حد كبير من اهمية الموانع الطبيعية والتحصينات الدفاعية الثابتة . فأصبح بمقدور سفن الانزال حمل مجموعات كبيرة من الجنود وانزالها في اي مكان تحدده الخطة ، كما وانه اصبح بمقدور الطائرات حمل تشكيلات مقاتلة كاملة جوا والقائها بالمظلات بعيدا خلف جبهات القتال ، بالاضافة الى طائرات الهليوكبتر التي اصبحت ايضا من الوسائل التي تعتمد عليها الجيوش في حروبها والتي بامكانها نقل الجنود الى خلف الخطوط بسهولة كبيرة . لكن مما يساعد اسرائيل على معالجة هذه الاوضاع هو طيرانها القوي . لذلك تسعى هذه الايام للحصول على الطائرات المتبوتة من الولايات المتحدة لمواجهة القوى العربية النامية .

ان ابلغ وصف لاهمية الممرات الاستراتيجية بالنسبة لاسرائيل جاء على لسان « شمعون بيريس » وزير الدفاع الاسرائيلي الذي قال عنها « هذان جبلان يساعدان شعبا صغيرا بدون طاقة بشرية كافية في الدفاع عن مداخل بلاده . ان مصر مصرة على انسحاب اسرائيل من الممرين كليا ولو كان لدينا ما يكفي من البشر لكان بالامكان التخلي عن الجبال والحفاظ على الحدود بالاستعانة بالبشر ، ولكن عندما تكون الطاقة محدودة تحل الجبال مكان الاشخاص وبالامكان وضع نقاط مراقبة على الجبال وهكذا نحافظ على بلادنا من

الهجوم المفاجيء » (ر أ أ ، عدد ٨٤٤ ، تاريخ ١٩٧٥/٦/٢٠) .

هذه هي الاهمية العسكرية للممرات . تبقى مشكلة حقول النفط في « ابو رديس » هذه الحقول التي تحصل منها اسرائيل يوميا على ما مجموعه (١٠٠) الف برميل وما قيمته ٣٥٠ ــ ٤٠٠ الف دولار . غير ان اسرائيل لا تنظر الى اهمية الابار من الناحية الاقتصادية فقط بل ومن الناحية الاستراتيجية ايضا وهي الناحية الاهم . ذلك لان هذه الابار تؤمن لها المادة الاساسية لتسيير آلتها الحربية . فقد لمست اسرائيل اهمية آبار النفط في ابو رديس في الحرب الاخيرة حيث تمكنت البحرية المصرية بمساعدة من القطع البحرية التابعة لدولتي اليمن من اغلاق مضيق باب المندب في وجه ملاحتها وهو اجراء اوقف شحن النفط اليها بعد ان كانت السفن التجارية وناقلات النفط تفرغ فيها سنويا نحو (١٨) مليون طن من النفط الخام ، حيث كان يجري ضخه بعد ذلك من ميناء ايلات الى مصفاة النفط في ميناء اسدود على البحر الابيض المتوسط . لهذا ترفض اسرائيل التخلي عن هذه الابار وتصر على ضرورة الحصول من الولايات المتحدة على ضمانات كافية لتأمين هذه المادة الاستراتيجية بعد تسليمها هذه الابار الى الادارة المصرية . فقد أوردت صحيفة معاريف ان الولايات المتحدة ابدت استعدادا لتمويل بناء خزانات ضخمة من الوقود في اسرائيل اضافة الى تعهدها بتزويدها بالوقود في حالة السلام كما في حالة الحرب . (النهار ١٩٧٥/٧/٤) . لكن اسرائيل تظل متخوفة من الاقدام على هذه الخطوة الاستراتيجية التي تعتبر من أخطر الخطوات التي ستقدم عليها اسرائيل منذ تاسيسها في عام ١٩٤٨ .

ان اسرائيل تدرك جيدا ان اقدامها على الانسحاب من الممرات ومن الابار هي مفتاح الموقفين السياسي والعسكري برمتهما في المنطقة . فهي تدرك ان أي اتفاق مع مصر لن تكون له أية قيمة فعلية ما لم يعقبه اتفاق مماثل مع سوريا . وكما قال بيريس « ان على اسرائيل ان تسعى بعد تحقيق الاتفاق مع مصر على تحقيق اتفاق آخر مع سوريا لان اي اتفاق مع مصر سيكون لا قيمة له اذا لم يتم التوصل الى اتفاق مع سوريا ، اذ بامكان سوريا ان تبدأ باطلاق النار في اية لحظة وهذا سيجر مصر على التقدم لنجدتها وهي في اوضاع عسكرية وجغرافية متفوقة » . الا ان اسرائيل لا توافق على التوصل الى اتفاق جزئي مع السوريين وهي تطالب باتفاق شامل ذلك لان الاراضي التي تحتلها القوات الاسرائيلية في الجولان لا تمثل العمق الكافي الذي يتيح لقوات الطرفين بالتحرك .

اذا القضية اصبحت مترابطة ولم يعد ممكنا معها التوصل الى اتفاق مع طرف واحد . لهذا ظلت اسرائيل تتهرب من اتخاذ قرارها التاريخي على امل ان تحصل على اكبر قدر ممكن من الضمانات التي تحتاجها .

هذه هي قصة الممرات من كافة جوانبها العسكرية والسياسية والاقتصادية التي تعتبرها مصر مجرد خطوة عسكرية اخرى للفصل بين القوات على حين تحاول اسرائيل ان تجعلها تأخذ ابعادا سياسية واقتصادية وكما قال عنها مسؤول مصري « انهم يتكلمون عن ترتيبات سياسية واقتصادية ونحن نؤكد ان البحث الان يتناول خلق الجو المناسب للاعداد للحل السلمي عن طريق خطوات عسكرية لا ترقى الى مستوى المسائل السياسية وهدفنا من مناقشة هذه الترتيبات العسكرية اختبار النيات واثبات حسن النية واظهار الرغبة في الانتقال من حالة الحرب الى حالة السلام وهو طريق طويل وشاق يحتاج الى اعداد دقيق مثل الاعداد للحرب تماما » . (النهار ١٩٧٥/٧/٤) .

ح . ع .

[٣]

عملية القدس تسبب صدمة في اسرائيل
والسلطات الاسرائيلية تشن حملة ارهاب واعتقالات واسعة

نفذ السريون الفلسطينيون واحدة من أهم العمليات الفدائية ضد الكيان الصهيوني ، وذلك بميدان صهيون في شارع يافا في مدينة القدس . وحدثت العملية يوم ٧٥/٧/٤ ، حيث وضعت كمية كبيرة من المتفجرات داخل ثلاجة قديمة . وقد نتج عن الانفجار الكبير مقتل ١٤ شخصا وجرح اكثر من ٧٠ آخرين ، ومعظمهم من الذين كانوا على بعد عشرات الامتار من مكان الانفجار (دافار ، ٧٥/٧/٦). وهرع الى مكان الحادث رجال الشرطة وقوات حرس الحدود الذين أغلقوا المنطقة ، وقاموا باعتقال المئات من المواطنين العرب. وكذلك حضر الى المنطقة رئيس الحكومة ووزير الدفاع ورئيس بلدية القدس وقائد المنطقة الوسطى والمفتش العام للشرطة .

ومن جهة اخرى ، اثارت هذه العملية ردود فعل عنيفة ومتفاوتة لدى مختلف الجهات الاسرائيلية ، ودعي الكنيست الى اجراء نقاش حولها . وأعلن رئيس الحكومة ، يتسحاق رابين خلال تلك الجلسة ، معلقا على الحادث بقوله ، ان القتل في ميدان صهيون يجب ان يكون علامة تحذير من الوقوع في الاوهام الخطيرة بالنسبة لاتجاهات منظمات « الارهاب » . ولذلك فاننا سنواصل التمسك بسياسة اسرائيل الداعية الى عدم اجراء اية مفاوضات مع تلك المنظمات . ان اللغة الوحيدة التي يفهمونها هي لغة السيف وسنخاطبهم بها (هآرتس ، ٧٥/٧/٨) .

كما تحدث في تلك الجلسة النائب حاييم لانداو (ليكود) الذي اتهم الحكومة باتباع وسائل دفاعية فقط في حربها ضد « الارهاب » ، وبأنها لا تنتهج خط الهجوم المضاد المستمر . وقال « ان العملية التي نفذت هذه الليلة في لبنان لا تساعد كثيرا لانها مجرد عملية انتقامية فقط » . واقترح لانداو السماح للزوار العرب الذين تزيد اعمارهم على ٦٠ عاما فقط بالدخول عبر جسور الاردن الى المناطق المحتلة . اما « بالنسبة للخروج عبر الجسور فليخرج من يريد الخروج مهما بلغ عمره » (ر أ أ ، ٧٥/٧/٨) . أما موشي دايان فقد أعلن « انه لا يجوز تجاهل حقيقة ان منظمات «الارهاب» تتمتع بمساعدات من الدول العربية وان جميع هذه الدول ، وعلى رأسها مصر ، جعلت منظمات المخربين تتحدث باسم الفلسطينيين ، ولهذا ينبغي ان يأتي ردنا في نطاق مواجهة الصراع العربي [بأسره] » (المصدر نفسه) . وقد أيدت معظم الكتل التنديد بهذه العملية ما عدا راكاح الذي صوت ضد التنديد ، وموكيد الذي امتنع عن التصويت .

وسئل رئيس بلدية القدس ، تيدي كوليك ، فيما اذا كان يرى في هذا الانفجار بميدان صهيون تصعيدا للعمليات الفدائية في العاصمة ، فاجاب: « عرفنا طيلة الوقت ان القدس هي الهدف الرئيسي لدى المخربين ... وقد حدثت خلال الفترة الاخيرة نحو ٤٠ عملية في القدس . وقد هنأنا أنفسنا يوما بعد يوم بأنه لم تحدث كارثة ، ولكننا خفنا من ان يحدث شيء ما في أحد الايام «ويصطادوننا». وهنا حدثت الكارثة المخيفة » (معاريف ، ٧٥/٧/٧). وعلقت صحيفة دافار شبه الرسمية في افتتاحيتها (٧٥/٧/٦) على هذه العملية بقولها «ان الانفجار في ميدان صهيون في القدس يفوق من حيث خطورته، عمليات الارهاب في العاصمة منذ مدة طويلة في نتائجه الملطخة بالدماء ». وطالبت الصحيفة باطلاع كافة الجهات ، سواء الحكومات او المنظمات التابعة للامم المتحدة ، على نتائج هذه العملية ، لان هذه المنظمات منحت ، او تدرس منح الاعتراف لمنظمة « القتل » وممثليها. واشارت الى ان الاستعداد الداخلي ضد « الارهاب » ليس كافيا ، حيث ان أجهزة المراقبة والاشراف الروتينية غير ناجحة ، « ويجب استخدام مجموعة من القوانين التي تمنع وضع الاغراض في أي مكان عام . وان الاهمال بهذا الشأن معروف لكل من يعيش في مدن اسرائيل».

حملة اعتقالات واسعة

تقوم السلطات الاسرائيلية منذ مدة بشن حملات اعتقال واسعة في كافة انحاء المناطق المحتلة لمكافحة النشاط الفدائي . وقد ازدادت حملات الاعتقال هذه حدة بعد تنفيذ عملية القدس ، واقيمت عشرات الحواجز على الطرقات بهدف اعتقال الاشخاص الذين وضعوا الثلاجة في الميدان. كما تم اعتقال المئات من المواطنين العرب ، والتحقيق معهم . ووصفت بعض المصادر هذه الحملة بقولها : « ان الجهد الكبير من قبل أجهزة الامن من أجل القبض على منفذي هذه العملية التخريبية في القدس هو بحجم لم يسبق له مثيل منذ سنوات ، منذ « ليلة القنابل » والانفجار في سوق محانيه يهودا [في القدس سنة ١٩٦٨] » (معاريف ، ٧٥/٧/٧).

وعلى اثر حدوث الانفجار في القدس أغلق جسرا اللنبي وداميه ، وذلك للحيلولة دون محاولة هروب منفذي العملية الى الاردن . ولكن المصادر الاسرائيلية اشارت بعد ذلك ، الى ان بعض افراد المجموعة الفدائية التي نفذت العملية ، نجحوا في العبور الى الاردن عن طريق الجسور (يديعوت أحرونوت ، ٧٥/٧/٨). ومن جهة ثانية ، تدرس سلطات الامن الاسرائيلية امكانيات اخرى لتقييد الحركة على جسور نهر الاردن ، بهدف تقليص استعمال الجسور «لاغراض التخريب» قدر الامكان . وقد تقرر مؤخرا تقييد خروج الشبان العرب من المناطق المحتلة الى الدول العربية الى فترة لا تقل عن ستة شهور . وبهذه الوسيلة تريد السلطات الاسرائيلية ان تقيد سفر الشباب بشكل يصعب معه عليهم اقامة علاقات وثيقة مع المنظمات الفدائية . كما تدرس تلك السلطات مقترحات مختلفة من أجل احباط هروب « مخططي ومنفذي العمليات التخريبية » (معاريف ، ٧٥/٧/٨).

وفي هذا الاطار ، يجري ايضا فحص وتفتيش مئات السيارات من الضفة الغربية من قبل قوات الامن الاسرائيلية ، وخاصة تلك التي تشبه السيارة التي استعملها الفدائيون لنقل الثلاجة الى القدس ، واعتقل عدد من سائقي هذه السيارات . هذا وتتركز حملة الاعتقالات بصورة خاصة في منطقة بيت لحم والخليل ، والكثيرين من المعتقلين هم من الفلسطينيين المسيحيين . كما تم اعتقال طلبة جامعيين من بين الذين يدرسون في البلدان العربية ، الذين حضروا لقضاء العطلة الصيفية (دافار ، ٧٥/٧/٨). ويلاحظ مدى عنف وشراسة حملة الاعتقالات هذه في قيام السلطات الاسرائيلية باعتقال معظم الطلبة العرب الذين يدرسون في الخارج والتحقيق معهم، وكذلك اعتقال مئات الاشخاص بمجرد الاشتباه بهم .

اضافة الى حملة الاعتقالات الاخيرة ، التي جاءت بسبب عملية القدس ، تقوم السلطات الاسرائيلية — كما اشرنا — منذ بضعة أشهر بحملات اعتقال واسعة في المناطق المحتلة . وتشير بعض المصادر (يديعوت أحرونوت ، ٧٥/٧/٦) الى ان عدد المعتقلين ، منذ شهر كانون الثاني الماضي وحتى اليوم بلغ ١١٧٨ شخصا ، منهم ٧٦١ لا يزالون رهن الاعتقال وسيقدمون للمحاكمة . ويلاحظ ان النشاط الفدائي في تصاعد منذ مؤتمر الرباط وخطاب عرفات في الامم المتحدة .

ومن بين المعتقلين في الضفة نحو ٦٠ من طلبة المدارس الثانوية . كذلك اعتقل مدير كلية بيتلحم، الدكتور انطون صنصور ، الذي أطلق سراحه بعد ٥ ايام من اعتقاله . وقد تم اعتقال الطلاب الثانويين بعد ان ازداد النشاط المعادي لاسرائيل لدى هذه الاوساط ، في الوقت الذي يساعدهم فيه المعلمون والمدراء بطرق مختلفة ، رغم ان السلطات امتنعت حتى الان من اعتقال اولئك واكتفت بالانذار (معاريف ، ٧٥/٦/٢٩).

وضمن حملة الاعتقالات الاخيرة ، تم اعتقال نحو ٥٠ شخصا من منطقة الخليل ، اتضح ان نصفهم على الاقل كانوا في بداية اقامة تنظيم معاد. وقد هدمت ٣ بيوت في المنطقة واغلق بيتان آخران. واكتشفت خلية فدائية في منطقة طولكرم ، يبلغ عددها سبعة أشخاص ، معظمهم من الطلاب . واعتقل ايضا أكثر من ٣٠ شخصا في جنين ونابلس (المصدر نفسه ، ٧٥/٦/٢٧).

ومن جهة ثانية اعتقلت أجهزة الامن الاسرائيلية قبل نحو ثلاثة اسابيع علي سعيد عبود زبيدات ، وعمره ٢٣ سنة ، من قرية سخنين في الجليل بتهمة القيام بنشاط معاد . وقال المتحدث باسم الشرطة الاسرائيلية ، ان المتهم جند من قبل «فتح»

عندما كان في اوروبا ، وزود بجواز سفر تونسي ونقل الى بيروت حيث تم تدريبه على الاسلحة والمتفجرات ثم عاد الى اوروبا ، ومنها الى اسرائيل للقيام بعملية تنظيم داخلها. والمتهم خريج جامعة حيفا (هآرتس ، ٧٥/٧/٤).

الفدائيون يشكلون قوة عسكرية لا يستهان بها

أدى تطور العمليات الفدائية وكثافتها ، الى مطالبة العديد من الاسرائيليين بعدم الاستهانة بقدرة المنظمات الفدائية، والعمل على مواجهتها بأساليب وطرق متطورة أكثر من تلك المتبعة حتى الان . وعلق أحد المراسلين العسكريين على ذلك بقوله : « ان صورة الوضع لدى منظمات المخربين ، كما تبدو في نهاية شهر حزيران ١٩٧٥ ، لا يوجد فيها ما يشجع سكان اسرائيل . ففي الوقت الذي أصيبت فيه قوتهم السياسية بالاضرار ، الى حد ما ، في أعقاب الاجراءات السياسية الاخيرة في الدول العربية ، زادت المنظمات التخريبية من قوتها العسكرية بأحجام كبيرة جدا . وفي حال اندلاع حرب اخرى في منطقة الشرق الاوسط ، فانه من غير الممكن تجاهل هذه القوة العسكرية التي تشحذ اسنانها في سوريا ، وبصورة خاصة في لبنان . وهذا يمكن ان يكون بكل تأكيد عاملا عسكريا ذا وزن متزايد ، يتطلب من الجيش الاسرائيلي اعطاء أجوبة لعدد من الاسئلة ... » (ايتان هابر — يديعوت أحرونوت ، ٧٥/٦/٢٣).

وتحدث المراسل نفسه عن الاهداف التي يسعى الفدائيون لتحقيقها من وراء التركيز على العمليات في القدس فأعرب عن رأيه في ان السبب في ذلك يعود الى ان كل عملية في القدس تحظى بصدى دولي كبير . وان الفدائيين يقصدون ضرب امكانية التعايش بين العرب واليهود في المدينة ، والاثبات للعالم بأن ذلك لن يتحقق طالما انه لم يتم حل المشكلة الفلسطينية (المصدر نفسه ، ٧٥/٧/٦). كما أشار الى التصعيد في عدد العمليات الفدائية فذكر ان ١٥٥ عملية وقعت منذ الاول من كانون الثاني ١٩٧٥ ، ابتداء من عملية كفار يوفال وانتهاء بوضع حواجز الحجارة على الطرقات وقطع أسلاك الهاتف ، وان نصف العمليات (٧٣) وقعت في الضفة الغربية ، ومنها ٥٢ عملية في القدس (المصدر نفسه).

وأشارت المصادر الاسرائيلية الى ظاهرة تنوع العمليات الفدائية ، ومنها عمليات ضد محطات نقل الجنود ، في القدس وبالقرب من بيت جبرين وآدوريم . كذلك نفذت عمليات أخرى منها سكب السولار وزرع المسامير على الطرقات ، التي تمر فيها السيارات العسكرية . ومن الجدير بالذكر هنا ، ان الصحافة الاسرائيلية أكثرت من الحديث خلال الفترة الاخيرة ، عن وجود عشرات من الطيارين الفلسطينيين التابعين للمنظمات الفدائية، ويخدمون في بعض أسلحة الطيران العربية ، الذين يمكن ان يقوموا بهجمات فردية ضد اسرائيل (معاريف ، ويديعوت احرونوت ، ٧٥/٦/٢٣).

اساليب محاربة « الارهاب »

ادى تزايد العمليات الفدائية الى اعتراف الاسرائيليين بوجود تعاون وثيق بين العرب في المناطق المحتلة والمقيمين في اسرائيل مع المنظمات الفدائية واستعداد هؤلاء للاشتراك في هذه العمليات . ونجم عن هذا الوضع توجيه مزيد من اللوم للسلطات الاسرائيلية بسبب تقصيرها في منع هذا التعاون . وعلق أحدهم على ذلك بقوله : « من الصعب التخلص من الشعور بالتقصير ، عندما نستعرض الميزان الدموي لاعمال القتل والارهاب ، التي تنفذها منظمات المخربين داخل الدولة مقابل نجاح اسرائيل الجزئي في حربها ضد هذه المنظمات . علينا الا نخدع أنفسنا ونتصرف كالنعامة في هذه المسألة الحاسمة . علينا ان نسأل [السلطات] : أين نجحتم ؟ فالمنظمات التخريبية ، بصورة او بأخرى ، قائمة وتعمل ضد اسرائيل ... لا يوجد لدي احصائية ، ولكن مئات من مواطني الدولة قد قتلوا وأكثر من هذا جرحوا، نتيجة لعمليات الارهاب والتخريب العربية . وقد تم استثمار أموال طائلة وطاقة بشرية في حراسة حدود الدولة ... وبعد السنوات الطويلة من فقدان الاحباء واستثمار خيرة الوسائل والتمويل ، علينا ان نجري ثورة في سياسة وأساليب اسرائيل في محاربتها ضد منظمات الارهاب والقتل » (اوري بن — آرى — يديعوت أحرونوت ، ٧٥/٦/٢٣) .

وعاد البعض الى الاقتراحات القديمة ، التي كانت تقدم من حين لاخر ، لمحاربة الفدائيين ومنها اقامة وحدة خاصة في الجيش الاسرائيلي ، تكون

مسؤولة عن محاربة المنظمات الفدائية بأساليب غير روتينية بهدف تحقيق الانتصار في هذه الحرب . وأعلن أحدهم « ان هناك طريقة واحدة لجعل هذه الحرب ناجعة ، وهي ضرب مصادر تمويل ودعاية وتنظيم الارهاب العربي خارج حدود الدولة وحتى خارج حدود الشرق الاوسط . وهنا يجب العمل بمبدأ النفس بالنفس والدم بالدم والبيت بالبيت ... ويجب ان تحدث اولا ثورة في أساليب تجنيد وتنظيم الشبيبة اليهودية في العالم في جهاز من « الدفاع الذاتي »... وانه لمن الصعب الاعتقاد بأن زعامتنا الحالية قادرة على احداث هذه الثورة العميقة » (موشي شامير — معاريف، ٧٥/٦/١٧).

وسخر البعض من تصريحات الحكومة حول نيتها محاربة الفدائيين ، بقوله « ان الحكومة تعد منذ سنوات ، وبعد كل عملية يقوم بها الفدائيون بمحاربة الارهاب العربي دون هوادة . الا ان سنوات طويلة مضت حتى الان ، وكانت ترجمة هذا الوعد دائما انزال ضربة واحدة مرتبطة بالضربة العربية التي تسبقها » (معاريف ، ٧٥/٧/٩) . « ان غاية الحكومة الوحيدة هي تهدئة مشاعر الغضب والانتقام في قلب الجمهور . وطالما ان مقاومة الارهاب تجري طبقا للقواعد التي يحددها المخربون فلن تحدث محاولة جديدة من جانب اسرائيل لاخذ المبادرة من أيديهم . ولقد حان الوقت لان تعمل الحكومة طبقا لتصريحاتها ، فتشن حربا متواصلة ومستمرة ضد الارهاب » (المصدر نفسه).

هذا ووصل رد الفعل لدى بعض الفئات الاسرائيلية الى حد تكوين منظمة لمحاربة الفدائيين، أطلقت على نفسها اسم « الارهاب ضد الارهاب ». وقد اعتقلت الشرطة الاسرائيلية اربعة شبان يهود من أعضاء هذه المنظمة ، في القدس القديمة ، وهم في طريقهم لتنفيذ عملية حرق في أحد المساجد (هآرتس ، ٧٥/٦/١٨).

حمدان بدر

[٤]

كفرشوبا
البوصلة ، ورأس السهم

عندما قام العدو الصهيوني بهجومه على كفرشوبا في ١٩٧٥/١/١١ قام المحللون الصهاينة بدراسة انعكاسات هذا الهجوم على الوضع اللبناني من جهة ، وعلى الوضع داخل فلسطين المحتلة من جهة ثانية . وتوصل المحللون آنذاك الى تقديم النصائح للقيادة الصهيونية ، موصين بعدم تكرار هكذا عمليات ، وبالتركيز على العمليات في المدن ، وفي العمق وقد اعتبر البعض من المحللين الصهاينة بأن عملية كفرشوبا كانت فاشلة ولا يجب أن تتكرر . ولكن لماذا اعتبرت من العمليات الفاشلة ؟ لان اسرائيل خلال اربعة ايام متواصلة وبقوة كثيفة حاولت الدخول للبلدة ولكنها لم تستطع ، نتيجة لصمود قوى الثورة ، ونتيجة لصمود الاهالي ودفاعهم عن ارضهم ، ولهذا فقد دمرت البلدة ، اذ من اصل ثلاثماية وخمسين منزلا دمر ما يزيد عن مايتي وخمسين منزلا . كما أعادت الكرة في ١٩٧٥/٦/١٥ ، فدمرت القسم الباقي من البيوت . وهذا ما أدى الى تشريد حوالي ٢٥٠٠ مواطن « سكان القرية » عن منازلهم . ورغم ما حصل استمرت قوى الثورة في التواجد واستمر الاهالي في صعودهم للقرية . وفشل العدو في تحقيق اي من أهدافه ...

هذا وكان للهجوم الصهيوني انعكاسات مهمة على الصعيد الداخلي ، اذ طورت اتجاها بالتصدي للعدو الصهيوني ، وقد شكلت مجموعة من أهالي كفرشوبا ، والذين تصدوا للعدو الصهيوني الى جانب قوى الثورة الفلسطينية النوى المتقدمة في ذلك ، كما لعبت الجبهة الوطنية الطلابية اضافة الى مجموعة من المؤسسات والقوى الوطنية دورا رائدا على هذا الطريق . وقد حقق هذا الاتجاه بالنسبة لكفرشوبا بعض النجاح اذ ادى الى ما يلي :

١ — فور تهديم كفرشوبا من قبل العدو الصهيوني والى حوالي بداية الشهر الثاني من عام ١٩٧٥ ، كان الصعود الى كفرشوبا بحاجة الى اذن من المراقبين الدوليين وبالتالي من قبل العدو الصهيوني ، وصمود قوى الثورة الفلسطينية اضافة لصعود الاهالي الى البلدة ، ولمساندة مجموعات اخرى من الحركة الوطنية ، الغى هذا الاذن ، والغى الاحتلال غير المعلن وغير المباشر على هذه القرية .

٢ — ادى نزوح الاهالي من كفرشوبا الى نزوح أهالي كفرحمام وراشيا الفخار ، وقسم من أهالي الهبارية . وكانت العودة الى كفرشوبا ، العودة الجزئية والقصيرة ، تهدف للضغط على الدولة باتجاه التعمير ، اضافة الى أن مساندة القوى الوطنية في الضغط كان لهذا الهدف والعودة القصيرة والمؤقتة ، ساعدت الذين نزحوا من القرى الثانية على العودة الى قراهم ، وكان هذا يعني افشال ما كانت تريده اسرائيل من افراغ الارض ، تمهيدا لتحقيق اطماعها .

٣ — واذا كانت اسرائيل تريد من كفرشوبا ان تكون رأس الرمح الموجه الى صدر الحركة الوطنية ، والى صدر الثورة الفلسطينية ، فان القوى الوطنية من أهالي كفرشوبا ومن القوى التي ساعدت الاهالي ، كانوا يريدون ان تكون كفرشوبا رأس الرمح الموجه ابدا باتجاه الجولان والجليل وكل الارض المغتصبة . وتطور الاتجاه المطالب بالتعمير والتحصين تمهيدا للعودة ، اذ كان يرى ان التخلي عن الارض ، ارض كفرشوبا، بداية لتوجيه السهم الصهيوني باتجاه الثورة الفلسطينية ، وباتجاه الحركة الوطنية اللبنانية ويعني ذلك تحقيق الحلم الصهيوني . وكان هذا الاتجاه يرى بعدم التعامل مع قضية كفرشوبا كقضية لاجئين ، ولهذا كان الاصرار على التعمير تمهيدا للعودة . اذ ان قضية كفرشوبا ، هي قضية جزء من الوطن شرد ، وعلى كافة القوى الوطنية ان تعمل من اجل الرجوع الى هذا الجزء من الوطن . وعلى اساس الدفاع عن الارض استشهد قسم من اهالي كفرشوبا ، أولهم حسين

علي قاسم ، وآخرهم ام هاني وابراهيم حمد وعلى هذا الطريق جرح العشرات من الاهالي وعلى طريق تحرير فلسطين ، وعلى طريق التمسك بالارض وبقدسيتها نشأت وتطورت الثورة الفلسطينية والاحزاب القومية والوطنية ، وفي هذا الاتجاه نشأت وتطورت الجيوش العربية ، وعلى هذا الطريق تنشأ وتتبلور الارادة العربية الصلبة ومن بينها تبلور ارادة أهالي كفرشوبا وتصميمهم على تعمير بلدتهم تمهيدا للعودة اليها .

فكفرشوبا ، تجسد اليوم البوصلة ، التي يجب ان نتوجه باتجاهها دائما . فهي عنوان الصمود ، وهي نقطة الخطر . نقطة الصمود اذا عملنا من أجل تعميرها وتحصينها والعودة اليها مع الدفاع عنها . ونقطة الخطر اذا ارتضينا باللجوء المهين والتخلي عنها كقضية لها ابعاد وطنية ذات اهداف بعيدة .

واليوم اذ نتوجه للرأي العام في لبنان والوطن العربي طالبين العمل من اجل ما ذكر ، نتوجه ونحن نرفع شعارا « ادفع قرشا تساعد في تعمير كفرشوبا وفي تعمير وتحصين الجنوب » .

ولتحقيق ما ذكر يلزم ما يلي :

١ ـ العمل على تعمير كفرشوبا ، مع توفير الشروط الاقتصادية لاهاليها ، ولكل منطقة الجنوب ، وذلك بايجاد بعض الصناعات التي يمكن ان تشغل القسم الاكبر من أهالي المناطق الحدودية خاصة . مع التركيز على تنفيذ مشروعي مرفأ صيدا والليطاني .

٢ ـ علينا بالعمل من اجل تطوير وايجاد شبكة مستوصفات ومستشفيات في كل منطقة الجنوب وخاصة في المناطق الحدودية ، وكذلك ايجاد ملاجىء حصينة تستطيع ان تحمي المواطنين من الاعتداءات الصهيونية المتكررة .

٣ ـ هناك عشرات المصابين ، والمشوهين ، والشهداء ، من جرائم الاعتداءات الصهيونية ، ولهؤلاء حق في العيش الكريم كمواطنين ولا يجب ان نهملهم ، بل يجب ان نفتخر ونعتز بهم لانهم قدموا دمهم من اجل الدفاع عن الوطن . لهذا علينا بالعمل من اجل ايجاد مؤسسات مهنية ، يعملون بها ومن خلالها يصار الى الاعتناء بهم وبعائلاتهم .

٤ ـ علينا ان نناضل من اجل ان يكون الجنوب المنطقة الحصينة والاكثر صمودا من حيث وجود قوى تدافع عنها . وهذا بحاجة الى الثقة وتطوير الوحدة الوطنية ، وتطوير العلاقات الجبهوية بين كل القوى الوطنية العاملة في الجنوب وفي الوطن العربي وما الانتصارات التاريخية على الساحة العربية الا دليلا على ذلك .

وأخيرا .. فالجنوب وبشكل خاص المناطق الحدودية وخاصة كفرشوبا المهددة باستمرار بالاحتلال ، بعد تهديم منازلها ، وتشريد أهلها ، بحاجة الى دعم ومساندة من قبل الشعب العربي والقوى والحركات الوطنية منه . وذلك من اجل ان تكون فعلا قلعة للصمود . ومكانا نفتخر به على مر التاريخ .

فرحان صالح

[٥]

ثلاث ملاحظات من « كفار يوفال »

مرة أخرى ، صمم أربعة فدائيين على أن يرووا ثرى فلسطين بدمائهم . ودم الشهيد عطر الارض ، وأرض فلسطين اليه ظمأى . والدم ضريبة واجبة السداد وبدون تأخير عندما لا يصير لدى المرء ما يفقده سوى حياته ، فيحسب تأثيرها وأثرها في البشرية منذ وجدت الى أن يرث الله الارض ومن عليها ، فيكون الاقدام على الاستشهاد هو الفعل الوحيد الذي يجعل للحياة معنى . والاستشهاد هو الشهادة على براءة النصر ، والشهادة أيضا بأنه طالما هناك من يدفعون حياتهم ، وعن طواعية ، ثمنا . فان المستقبل لن يكون الا للشهداء . للعالم الذي يريدون ، ومن أجله يستشهدون ، وللحياة التي تمنوها ، فمدوا أجسادهم جسرا اليها ، وبالدماء رشوا الطريق ليعبدوها ويمهدوها . والانسانية الحقة ، على ضفاف الاستشهاد تنمو . وطعم الشهادة لا يعرفه الا من يكابده . وحين تصعد روح الشهيد لا يستطيع ان يكرر الفعل ، ولا يحدثنا عن التجربة ولكنه يدعونا ان نتذوقها ويقول لنا تعالوا الي . ويضيف : ولا تكونوا مع الذين يقولون لاخوانهم هلموا الينا ، ولا يأتون البأس الا قليلا . والكلمات صامتة ، عاجزة ، عيية ، متحجرة ، أما الاستشهاد فناطق بأوضح لسان ، وبأفصح بيان . واللعنة على من يبيع الكلمات ويتاجر بالقول دون الفعل .

هذه بعض حكمة الاستشهاد . وما نراه نحن — حقا وصدقا — الشهادة والتضحية ، العدو لا يراه — ولا يمكن ان يراه — الا ارهابا وعدوانا ، مع ان العدو هو آخر من يحق له الحديث عن الارهاب والعدوان . وحين ترمي اسرائيل بعض أعمالنا بأنها ارهاب وعدوان ، يجب ان لا نفزع من ذلك .

وفي ضوء هذا ، يرد على ما جرى في كفار يوفال — وهي مستعمرة زراعية في الجليل الاعلى المغتصب منذ سنة ١٩٤٨ — ثلاث ملاحظات حول التباكي الاعلامي الاسرائيلي اولا وحول السرية المطلقة التي فرضتها اسرائيل على هذه العملية ثانيا ، ثم ثالثا واخيرا العجز الاسرائيلي امام العمل الفدائي الفلسطيني .

● اسرائيل — ومن قبلها ومعها الصهيونية بكل اخطبوطها العالمي — بارعة ، ماهرة في الاعلام وفي ميدان الدعاية واستثارة العواطف . وخبراء الدعاية الاسرائيليون يعرفون كيف يخاطبون الرأي العام العالمي والغربي بصفة خاصة وكيف يستميلونه اليهم ، او يزيدون ميله اليهم . ولذلك أصبحت تتكرر في كل عملية فدائية ينفذها الفدائيون في احدى مدن او مستعمرات اسرائيل ، صورة الام التي فقدت طفلها في هذا الهجوم . الطفل هذه المرة رضيع بل ان وكالة انباء امريكية هي الاسوشيتدبرس قالت ان الارهابيين احتجزوا عدة اطفال ، جرح واحد منهم !! فضلا عن ان الاسرة كلها نكبت بالقتلى والجرحى . نفس الشيء قالته اسرائيل من قبل تقريبا في عمليات مماثلة في كريات شمونه ، ومعالوت ، وبيسان . والحديث عن الاطفال « اليهود » نغمة ثابتة في الاعلام الاسرائيلي والصهيوني . ما من فيلم صهيوني عن الحرب العالمية الثانية الا وتجد فيه بشكل او آخر لمسة عن الاطفال .

ان التصوير الاسرائيلي مهما كانت براعته لن يضلل الا الذين حددوا مواقفهم وانتهوا الى مناصرة اسرائيل على طول الخط ، والذين لا يكلفون انفسهم مؤونة السؤال : وماذا عن الاطفال العرب ؟ في دير ياسين وكفرقاسم وبحر البقر والكرامة وقلقيلية وغيرها وغيرها ، او ماذا عن هؤلاء الشباب في عمر الورود يقومون بعمليات انتحارية . لماذا .. لماذا ؟

والتباكي الاسرائيلي الدعائي لا يمكن ان يغطي على القتلة الحقيقيين . والعالم لم يعد أصما عن سماع كلمة الحق العربي .

● فرضت اسرائيل سرية مطلقة او « تعتيما » على انباء العملية . ولم تخرج من اسرائيل الا الصورة الرسمية التي يريد قادة اسرائيل ان ينقلوها الى العالم ، بل والى مواطنيهم أيضا .

وكان شمعون بيريز وزير دفاع اسرائيل قد أصدر تعليماته بعد عملية الهجوم الفدائي على فندق سافوى في تل ابيب في مارس الماضي ، بعدم ذهاب رجال الاعلام — الاسرائيلي والاجنبي — الى ارض اي عملية فدائية ، وادعى بيريز ان هذا يعطل عملية الانقاذ . وبناء عليه منعت التغطية الاعلامية لعملية كفار يوفال من ارض المعركة ، وانتظرت وكالات الانباء واذاعة اسرائيل وصحفها المسائية التصريحات الرسمية عن العملية . وهي بالطبع بلافات غامضة وكاذبة . والهدف من كل هذا هو تجنب التأثير الذي تتركه الروح الفدائية الفلسطينية على سكان اسرائيل ، من ناحية ، والبعد عن التصوير الحقيقي للاحداث الذي يكشف ان اسرائيل ترفض دائما مطالب الفدائيين ، وتهاجمهم وتتسبب في سقوط الضحايا .

ومن اغرب الامور ان الراي العام الاسرائيلي نفسه ، كما اشارت الى ذلك نتائج استفتاء اجري اخيرا ، لا يريد ان يتابع بدقة التغطية الخبرية من ارض الواقع ، وفضلت الاغلبية ان يكتفى ببيانات رسمية . وحين يصل الامر الى حد ان اغلبية « شعب » ما تطالب بحرمانها من المعلومات ، فان هذا يكشف مدى التدهور — ! — في هذا المجتمع ، الذي طالما تم تصويره على انه «مجتمع نموذجي»!! مجتمع الكيبوتزيم ، والموشاف ، والتربية الصهيونية ، مجتمع الجدناع والجيش الذي يعتمد على الاحتياطي ! فاذا به اليوم المجتمع الذي لا يريد ان يرى وجهه !

● ووقوع هذه العملية بعد كل اجراءات اسرائيل عن الامن وحراسة حدودها مع لبنان ، والقوات الخاصة لتعقب الفدائيين ، والحرس المدني ، وقوات الحدود وغيرها ، يدل على ان اسرائيل عاجزة عن « مكافحة الفدائيين » .

ويسقط شهيد ... ويرتفع لواء ثورة حتى النصر .

عبد العال الباقوري

صدر عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية

كتاب

القوات المدرعة الاسرائيلية

عبر أربع حروب

بقلم

محمود عزمي

٥٢٣ صفحة باربع لغات فقط

اطلب نسخك من : قسم التوزيع في مركز الابحاث

ص.ب ١٦٩١ — بيروت .

جدول بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية من ٦/١٣ — ١٩٧٥/٧/١٤

الرقم	تاريخ العملية: اليوم	تاريخ العملية: الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية: قتيل	خسائر العدو البشرية: جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة: شهيد	خسائر المقاومة: جريح	خسائر المقاومة: مفقود	المصدر: البلاغ العسكري	المصدر: تاريخه
١	٦/١٣	—	بيسان	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد		تدمير الكابل الرئيسي للهاتف	—	—	—	٧٥/١٩٢	٦/١٣
٢	٦/١٤	٧٤٠٠	ابوكبر/جنوب يافا(١)	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد		اشتعال النيران في ناد لضباط مخابرات العدو وامتدادها الى محلات مجاورة	—	—	—	٧٥/١٩٣	٦/١٤
٣	٦/١٥	٥٤٠٠	كفاريوفال	هجوم	أسلحة مختلفة	٢٢	٣٧		٤	—	—	٧٥/١٩٤	٦/١٥
٤	٦/١٦	—	نهاريا	قصف	صواريخ ثقيلة	غيرمحدد		اصابة عدة منشآت في المدينة	—	—	—	٧٥/١٩٦	٦/١٩
٥	٦/١٨	—	هشمار هشفعا	تفجير	عبوة ناسفة	—	—	اصابة سيارة أحد ضباط المخابرات بأضرار بالغة	—	—	—	٧٥/١٩٧	٦/٢٠
٦	٦/١٠	٢٤٠٠	هشمار ديفيد	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد		اصابة المحطة المركزية للمياه بأضرار بالغة في منطقة الرملة	—	—	—	٧٥/١٩٨	٦/٢٠
٧	٥/٢٠	—	ابوطويلة/سيناء	تفجير	لغم	—	—	تدمير بلدوزر	—	—	—	٧٥/١٩٩	٦/٢٠
٨	٥/٢٧	—	خان يونس	تفجير	لغم	غيرمحدد		تدمير سيارة عسكرية وقتل وجرح من فيها	—	—	—	٧٥/١٩٩	٦/٢٠
٩	٦/ ٢	—	بين رفح والعريش	هجوم	أسلحة رشاشة وقنابل يدوية	غيرمحدد		تدمير سيارة عسكرية وقتل وجرح من فيها والاستيلاء على أسلحة ومعلومات	—	—	—	٧٥/١٩٩	٦/٢٠

١٠	٦/٢٠	—	تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير عدد من السيارات التابعة لمخابرات العدو في كاراج بشارع بيرتس واصابة المباني المجاورة بأضرار	—	—	—	٧٥/٢٠٠	٦/٢٠
١١	٦/٢٣	٤٠٠٠	اوريهودا/جنوب شرقي تل ابيب(٢)	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير اربع سيارات وباص لشركة دان واصابة السيارات الاخرى بأضرار	—	—	—	٧٥/٢٠١	٦/٢٣
١٢	٦/٢٣	١٦٠٠٠	تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير سيارة ضابطة في الجيش وقتل وجرح من فيها	—	—	—	٧٥/٢٠٢	٦/٢٣
١٣	٦/٢٣	—	بين جنين ونابلس	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	مقتل عدد من الفنيين والمهندسين في جيش العدو اثر انفجار العبوات المشركة داخل أحد الكابلات الرئيسية للهاتف التابع لجيش العدو	—	—	—	٧٥/٢٠٣	٦/٢٣
١٤	٦/٢٤	١٨٠٣٠	الخليل	تفجير	عبوات حارقة	غيرمحدد	اشعال النيران داخل بيت الشباب التابع للمتدينين قرب الحرم الابراهيمي	—	—	—	٧٥/٢٠٤	٦/٢٥
١٥	٦/٢٥	٢٢٠٤٥	ادميت/الجليل الغربي	هجوم	قذائف صاروخية واسلحة رشاشة	غيرمحدد	تدمير عدد من آليات العدو ومهاجمة مركز حرس الحدود	٤	—	—	٧٥/٢٠٥	٦/٢٦

الرقم	تاريخ العملية اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة استشهد	جرح	مفقود	المصدر : البلاغ العسكري تاريخه	
١٦	٦/٢٦	—	رفح	تفجير	عبوة ناسفة	— —	تدمير محطة المياه المركزية وقطع المياه عن جميع المستوطنات المجاورة لرفح	—	—	—	٧٥/٢٠٦	٦/٢٦
١٧	٦/٢٩	—	طبريا	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير واشعال النيران في مبنى البلدية	—	—	—	٧٥/٢٠٧	٦/٢٩
١٨	٦/٣٠	١٤٠٠	بتاح تكفا	تفجير	عبوات حارقة	غيرمحدد	احراق مخازن الورق التابعة لجيش العدو	—	—	—	٧٥/٢٠٨	٦/٣٠
١٩	٦/٣٠	١٥٠٣٠	رأس العين	تفجير	عبوات حارقة	غيرمحدد	اشعال النيران في مستودع أخشاب	—	—	—	٧٥/٢٠٨	٦/٣٠
٢٠	٧/ ٢	١٣٠٣٠	القدس	تفجير	عبوات ناسفة	— —	تدمير سيارة في شارع هليل واصابة عدد من السيارات والمباني بأضرار	—	—	—	٧٥/٢٠٩	٧/ ٣
٢١	٧/ ٤	١٠٤٠٠	القدس	تفجير	عبوات ناسفة	١٥ ٢٠٠	تدمير احدى المنشآت وعدد المحلات والابنية منها مركز الشبيبة الطلائعية الصهيونية وأحد البنوك وعدد من السيارات واشعال النيران فيها وقطع التيار الكهربائي والاتصال الهاتفي عن المنطقة	—	—	—	٧٥/٢١٠	٧/ ٤

٢٢ — ٥ /٧	١٠٤٠٠	بيت يام/جنوب تل ابيب	تنجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير جزء كبير من مبنى يسكنه أحد كبار ضباط مخابرات العدو	—	—	٧٥/٢١١	٦ /٧
٢٣ — ٦/٢٥	١٤٤٣٠	حيفا	تنجير	عبوات ناسفة	— —	اشعال النيران في خزانات غاز تابعة لجيش العدو وامتدادها لمصنع للزجاج	—	—	٧٥/٢١٢	٦/٢٥
٢٤ — ٧ /٧	٦٤٣٠	صفد	قصف	صواريخ ثقيلة	غيرمحدد	اصابة عدد من المنشآت واشعال النيران فيها	—	—	٧٥/٢١٤	٧ /٧
٢٥ — ٧ /٧	٧٤٠٠	جزعون/الجليل الغربي	قصف	صواريخ ثقيلة	غيرمحدد	اصابة عدد من آليات العدو	—	—	٧٥/٢١٤	٧ /٧
٢٦ — ٧ /٧	١٠٤٥٥	نهاريا	قصف	صواريخ ثقيلة	غيرمحدد	اصابة عدد من المنشآت	—	—	٧٥/٢١٥	٧ /٧
٢٧ — ٧ /٧	٨٤٠٠	تل ابيب	تنجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير جزء كبير من مبنى سكني في شارع غاليتسيون واشعال النيران فيه	—	—	٧٥/٢١٦	٨ /٧
٢٨ — ٧ /٧	١٤٤٠٠	القدس	تنجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	اصابة مبنى سكني بأضرار كما أصيبت المباني والمحلات المجاورة في حي تلبيوت	—	—	٧٥/٢١٧	٨ /٧
٢٩ — ٨ /٧	١١٤٠٠	عتليت	تنجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير مستودع ذخيرة واشعال النيران فيه وامتدادها الى مستودعات اخرى	—	—	٧٥/٢١٨	٨ /٧
٣٠ — ٩ /٧	٢٤٣٠	بين ايلات وبئير اورا النقب الجنوبي(٣)	تنجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير محطة ضخ النفط الخام واشعال النيران فيها	—	—	٧٥/٢١٩	٩ /٧
٣١ — ١٠/٧	١٤٤٠٠	القدس	تنجير	عبوات ناسفة	— —	تم اكتشاف العبوة في محطة الباصات العسكرية وابطل مفعولها	—	—	٧٥/٢٢٠	٧/١١

الرقم	تاريخ العملية اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة شهيد	جريح	مفقود	المصدر : البلاغ العسكري	تاريخه
٣٢	٧/١٢	٦٤٠٠	ايلوت/شمال ايلات	قصف	صواريخ ثقيلة	غيرمحدد	اصابة عدة منشآت في المستوطنة	—	—	—	٧٥/٢٢١	٧/١٢
٣٣	٧/١٢	١٢٤١٥	رأس العين	تفجير	عبوات حارقة	غيرمحدد	احراق مئات الدونمات من الاشجار الحرشية واحراق مستودع رئيسي للاخشاب	—	—	—	٧٥/٢٢٢	٧/١٣
٣٤	٧/١٤	٢٠٤٢٠	نهاريا ، رأس الناقورة، كيبوتس المالكية	قصف	صواريخ ثقيلة	غيرمحدد	اصابة عدد من المنشآت واشعال النيران فيها	—	—	—	٧٥/٢٢٤	٧/١٤
٣٥	٧/١٤	١٤٤٠٠	ناثانيا	تفجير	عبوات ناسفة	غيرمحدد	تدمير جزء كبير من مبنى سكني لاحد كبار ضباط مخابرات العدو واصابة عدد من المباني والسيارات المجاورة باضرار	—	—	—	٧٥/٢٢٥	٧/١٤
٣٦	٧/١٤	١٤٤٣٠	ناثانيا	تفجير	عبوات ناسفة	— —	تم اكتشاف عبوات داخل دراجة نارية وأبطل مفعولها	—	—	—	٧٥/٢٢٥	٧/١٤

١ ــ ادعى العدو بأن احتكاكا بالاسلاك الكهربائية ادى الى اشعال النيران في مقهى واثر امتداد النيران الى زجاجات المشروبات الروحية امتدت النيران الى قوارير الغاز مما ادى انفجارها الى تداعي جزء من المبنى واشعال النيران فيه . (راجع نشرة رصد اذاعة اسرائيل العدد ٨٤٠ ، صفحة ٣٤٥ ، بتاريخ ١٩٧٥/٦/١٦).

٢ ــ اعترف العدو بأن اضرارا طفيفة لحقت بأربع سيارات وباص لشركة دان اثر اندلاع حريق تحت هذه السيارات وتمكن رجال الاطفاء من اخماده . (راجع نشرة رصد اذاعة اسرائيل ، عدد ٨٤٧ ، صفحة ٥٥٧ ، بتاريخ ١٩٧٥/٦/٢٤).

٣ ــ اعترف العدو بأن انفجارا وقع في انبوب النفط ايلات ــ اشكلون وادعى بأن الانفجار ناتج عن عطل فني. وقد أدى الى انسياب مئات الاطنـــان من النفط . (راجع نشرة رصد اذاعة اسرائيل ، عدد ٨٥٧ ، صفحة ١٧٠ ، بتاريخ ١٩٧٥/٧/٩).

ملاحظة : تصدر البلاغات العسكرية عن الاعلام العسكري في القيادة العامة لقوات الثورة الفلسطينية .

جدول بالعمليات العسكرية التي اعترف بها العدو الصهيوني من ٦/١٣ — ١٩٧٥/٧/١٤

الرقم	تاريخ العملية اليوم	الساعة	موقعها	نوع العملية	السلاح المستعمل	خسائر العدو البشرية قتيل	جريح	خسائر العدو المادية	خسائر المقاومة شهيد	جريح	مفقود	المصدر	تاريخه
١	٦/١٥	٥،٠٠	كفار يوفال	اقتحام واشتباك	أسلحة مختلفة	٢	٦	—	٤	—	—	ن.عدد٨٤٠،ص٣٥١	٦/١٦
٢	٦/١٦	٦،٠٠	كفار جلعادي/ الجليل الاعلى	قصف	صواريخ كاتيوشا	—	—	اصابة بعض المباني بأضرار ونشوب حريق في ضواحي الكيبوتس	—	—	—	ن.عدد٨٤٠،ص٣٥٨	٦/١٦
٣	٦/١٨	—	تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	—	—	تم اكتشاف العبوة في سيارة تابعة لمصلحة مشمار هاشبعا وأبطل مفعولها	—	—	—	ن.عدد٨٤٤،ص٤٨٠	٦/٢٠
٤	٦/٢٠	—	تل ابيب	تفجير	عبوات ناسفة	—	—	اصابة سيارة ودراجة ناربة بأضرار	—	—	—	ن.عدد٨٤٤،ص٤٨٠	٦/٢٠
٥	٦/٢٥	٧،٣٠	زرعيت	قصف	بازوكا وأسلحة خفيفة	—	—	لم يصب أحد من افراد دورية العدو	—	—	—	ن.عدد٨٤٨،ص٥٩٢	٦/٢٥
٦	٦/٢٦	٢٤،٠٠	ادميت	اشتباك	أسلحة مختلفة	—	١	—	٤	—	—	ن.عدد٨٤٩،ص٦١٧	٦/٢٦
٧	٧/ ٤	—	القدس	تفجير	عبوات ناسفة	١٤	٩٣	اصابة مبان ومحلات ومعامل في ميدان صهيون بأضرار جسيمة	—	—	—	ن.عدد٨٥٤،ص٦٢	٧/٥
٨	٧/ ٥	—	بيت يم	تفجير	عبوات ناسفة	—	—	اصابة ثلاثة منازل بأضرار جسيمة	—	—	—	ن.عدد٨٥٤،ص٦٦	٧/٥

٩ — ٧/ ٧	٦٤٣٠	صفد	قصف	صواريخ الكاتيوشا	—	—	—	—	—	ن.عدد٨٥٥،ص١١٤	٧/٧
١٠ — ٧/ ٧	٧٤٠٠	كيبوتس يريئون	قصف	صواريخ الكاتيوشا	—	—	—	—	—	ن.عدد٨٥٥،ص١١٤	٧/٧
١١ — ٨/ ٧	—	عنليت	تفجير	عبوات ناسفة	—	—	تدمير مستودع للاسلحة واشعال النيران فيه	—	—	ن.عدد٨٥٧،ص١٦٣	٧/٩
١٢ — ١٠/٧	—	القدس	تفجير	عبوة ناسفة	—	—	تم اكتشاف العبوة قرب محطة لنقل الجنود وأبطل مفعولها	—	—	ن.عدد٨٥٩،ص٢١٧	٧/١١

---

* ن — نشرة « رصد اذاعة اسرائيل » تصدر يوميا عن مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية .

غازي خورشيد

خارطة تبين المواقع التي نفذت فيها العمليات العسكرية الوارد نصها في الجدول

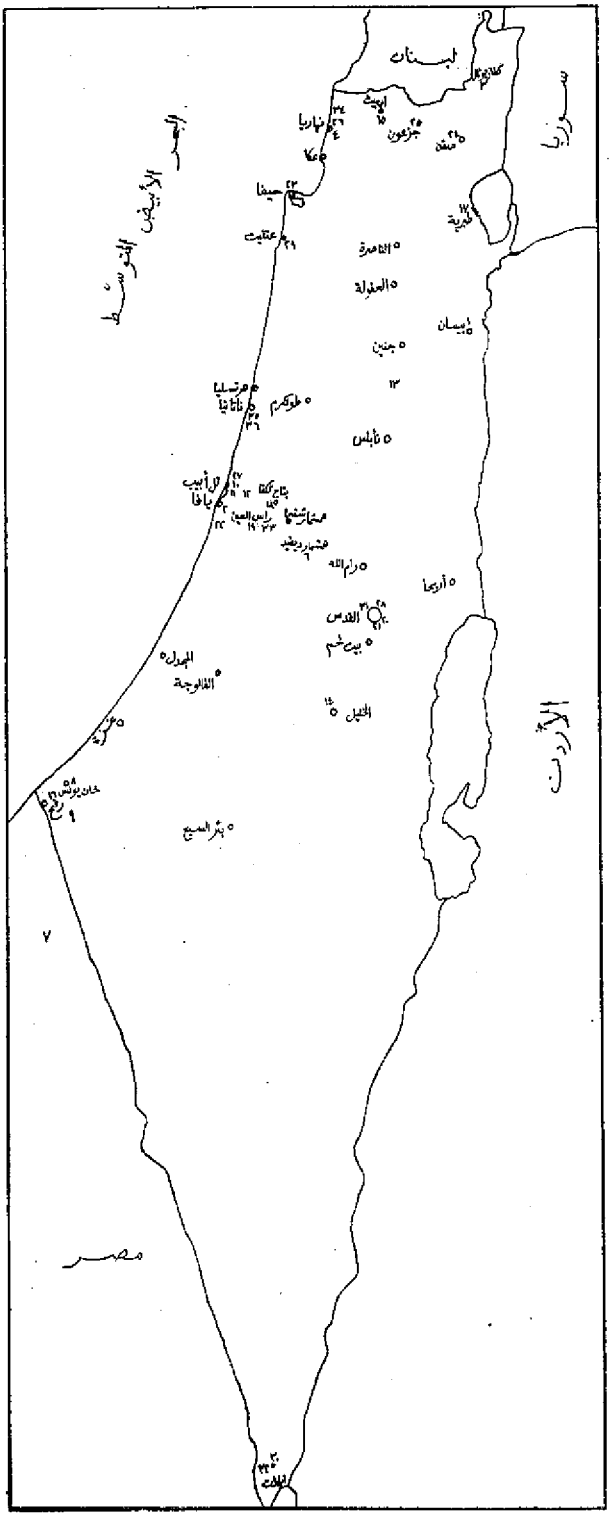

عندما تفكر في العمل التجاري والمصرفي فكر في

البنك الأهلي التجاري

THE NATIONAL COMMERCIAL BANK

الإدارة العامة : جدة ص.ب (٣٥٥٥) هاتف (٣٢٥٨٠) - ٨١ - ٨٢ - ٨٣ - ٨٤

Telex 40102 NCBFORX SJ

مواقع فروع البنك الاهلي التجاري داخل المملكة

بنك المملكة العربية السعودية الرائد

- ooo البنك الذي يعرف البلاد معرفة افضل .
- ooo تجده في كل مكان ليساعدك من البداية .
- o علاقات وثيقة مع مراسلين في جميع أنحاء العالم .
- o شبكة عريضة من الفروع الداخلية .
- o مؤسسات مالية شقيقة البنك الغربي الاوربي:

لوكسمبرج - بروكسل - فرانكفورت

الثقافة العربية

ثقافة عربية أصيلة وفكر إنساني متفتح

مجلة شهرية جامعة - تصدرها
المؤسسة العامة للصحافة
في الجمهورية العربية الليبية

رئيس التحرير: محمد علي الشويهدي

يشترك في تحريرها

نخبة من كبار المفكرين والكتاب والشعراء العرب

نحو ١٣٠ صفحة من القطع الكبير تحوي مجموعة من المقالات والدراسات الفكرية والأدبية والقومية والاقتصادية والعلمية، إلى جانب الأبواب الثابتة من شعر وقصة وفنون.

ثمن العدد: ليبيا ١٠٠ درهم • ج م ع ١٠٠ مليم • سوريا ١٠٠ قرش • لبنان ١٠٠ قرش الكويت ١٥٠ فلسًا • الأردن ١٠٠ فلس • العراق ١٠٠ فلس • البحرين ١٥٠ فلسًا دبي: ريال ونصف • السعودية: ريال ونصف • ابوظبي: درهمان مسقط ٢٠٠ بيسه • قطر: ريال ونصف • السودان ١٠٠ مليم • الجزائر: ديناران تونس ١٠٠ مليم • المغرب: درهم ونصف • عدن ١٥٠ فلسًا • اليمن ١٠٠ بقشة

الاشتراك السنوي: في الجمهورية العربية الليبية: ١,٢٠٠ درهم ليبي، وخارج الجمهورية العربية الليبية: ١,٢٠٠ درهم ليبي مضافاً إليها أجور البريد.

العنوان: مجلة «الثقافة العربية» ص.ب. ٤٨٤٥ - طرابلس ج.ع.ل.

الأقلام

مجلة فكرية عامة تصدرها شهرياً وزارة الاعلام / بغداد

الاقلام مجلة الأدب العربي الجديد

اقرأ في كل عدد قصائد وقصصاً ودراسات
لأبرز أدباء العربية إضافة الى رسائل
ثقافية تغطي النشاطات الإبداعية في
العالم والوطن العربي
والعراق

سعر النسخة

العراق	١٠٠ فلس
لبنان	ليرة لبنانية
مصر	١٠٠ مليم مصري
السودان	١٠٠ مليم سوداني
البحرين	١٠٠ فلس بحريني
الكويت	١٥٠ فلساً كويتياً
تونس	٢٠٠ فلس تونسي

المراسلات: العراق / بغداد / وزارة الاعلام - مجلة الاقلام

دار الآداب

أحدث منشوراتها

محـــاولة رقم ٧ (شـــعر)	محمود درويش
بـــيروت ٧٥ (روايـــة)	غـــادة السمان
امرأتـــان في امرأة (روايـــة)	د. نوال السعداوي
ابتسمي حتى تمر الخيـــل (شـــعر)	محمد الفيتوري
قصائد مهربة الى حبيبتي آســـيا (شعر)	محمد علي شمس الدين
الفكر العربي في معركة النهضـــة	د. أنور عبد الملك
ثقافتنـــا في مفترق الطرق	د. لويس عوض
خليـــل مطران (مختارات من شعره)	تقديم أحمد حجازي
افكـــار في صراع	ترجمة د. عبد الكريم أحمد

مجلة « الآداب »

المجلة الادبية الاولى في العالم العربي

كل عدد منها وثيقة ادبية هامة

رئيـــس التحرير

الدكتور سهيل ادريس

بناية مركز الكتاب ــ ص.ب ٤١٢٣ ، بيروت

مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية

فصلية علمية تعنى بشؤون الخليج والجزيرة العربية
السياسية - الاجتماعية - الاقتصادية - الثقافية - العلمية

رئيس التحرير : الدكتور محمد الرميحي

صدر العدد الاول في كانون الثاني (يناير) ١٩٧٥

يحتوي العدد على حوالي ٢٥٠ صفحة من القطع الكبير تشتمل على :

- مجموعة من الابحاث تعالج الشؤون المختلفة للمنطقة بأقلام عدد من كبار الكتاب المتخصصين في هذه الشؤون .
- عدد من المراجعات لطائفة من أهم الكتب التي تبحث في المناحي المختلفة للمنطقة .
- أبواب ثابتة : تقارير — وثائق — يوميات — بيليوجرافيا .
- ملخصات للابحاث باللغة الانجليزية .

ثمن العدد : ٤٠٠ فلس كويتي او ما يعادلها في الخارج .

الاشتراكات : للافراد سنويا دينارات كويتيان في الكويت ، ٣ دنانير كويتية في الوطن العربي « بالبريد الجوي » ، ١٥ دولارا امريكيا او ٥ جنيهات استرلينية في سائر انحاء العالم « بالبريد الجوي » .

للشركات والمؤسسات والدوائر الرسمية ٨ دنانير كويتية ، في الخارج ٣٠ دولارا امريكيا او ١٠ جنيهات استرلينية .

العنوان : جامعة الكويت — مبنى ٢ — الدور الثاني — الخالدية — ص.ب ١٧٠٧٣
هاتف : ٨١٦٦٢٣ — جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير .

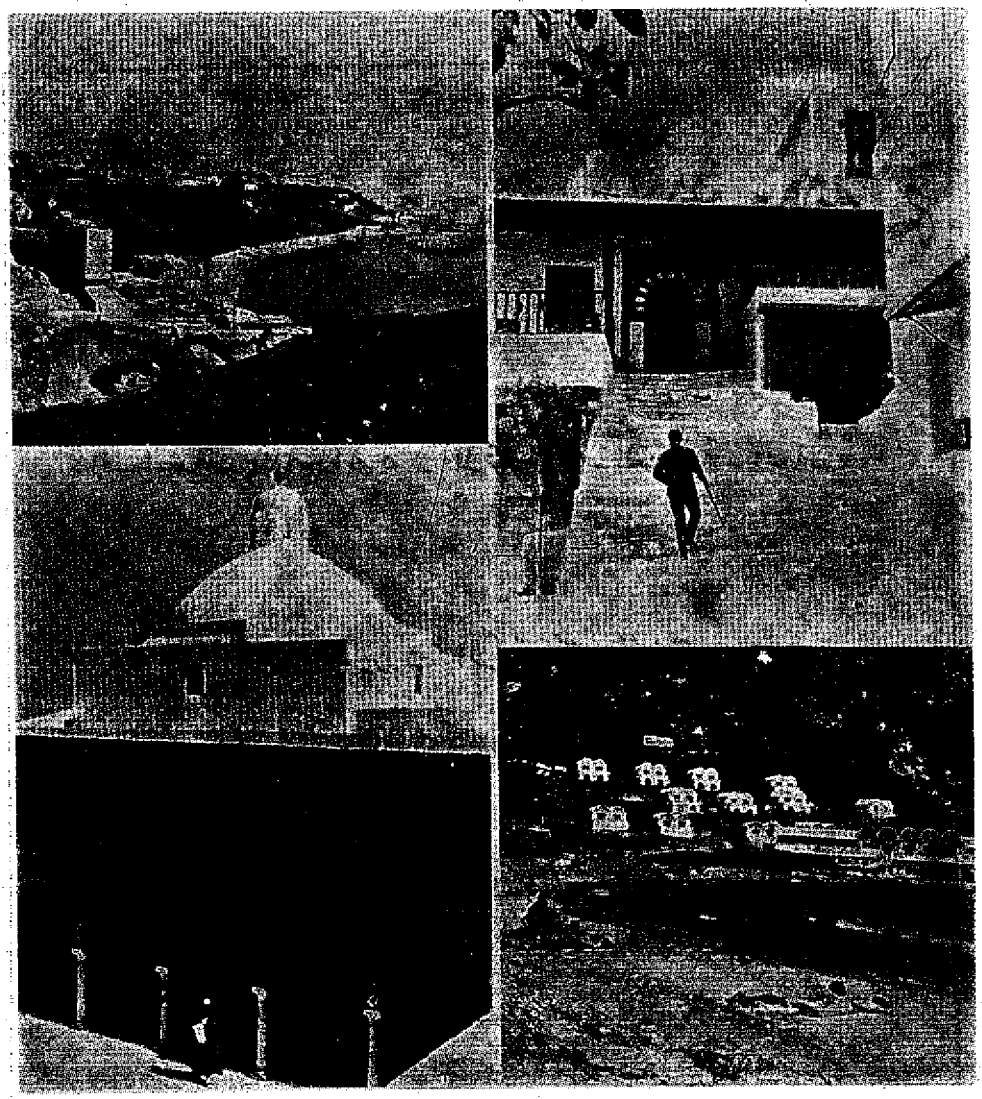

تونس ترحب بالاخوان العرب

مساحتها حوالي 150.000 كلم مربع وتعد حوالي خمسة ملايين من السكان وقد توالت فيها حضارات عديدة ما زالت آثارها موجودة لحد الان ، ولكن الحضارة العربية الاسلامية طغت عليها جميعا وأثرت في البلاد تأثيرا عميقا وأصبح جميع التونسيين من العرب المسلمين .

وتتمتع تونس بمناخ معتدل ومناظر طبيعية خلابة وشواطىء رملية جميلة تمتد على طول 1200 كلم مما جعل المسؤولين التونسيين يطورون القطاع السياحي الذي أصبح قطاعا مزدهرا وجاء السواح الى تونس من كافة الاقطار وخاصة من اوروبا . وتوجد بتونس مئات الفنادق من جميع الاصناف تمتد على طول الشواطىء توفر لحرفائها كامل ظروف الراحة والرفاهية والنزهة .

ومنذ بضعة سنوات أخذ عدد السواح العرب يتكاثر وما زال هذا العدد يكثر كل عام وأملنا ان يتمكن كل عربي من التعرف على وطنه العربي الكبير والملاحظ ان عدد السواح بلغ في تونس سنة 1974 720.000 ومن المتوقع ان يبلغ المليون سائحا في سنة 1975 .

وان تونس تفتح ذراعيها للسواح العرب . للحصول على معلومات دقيقة الرجاء الاتصال بسفارات الجمهورية التونسية بكافة الاقطار العربية أو المراسلة مع :

الديوان القومي للسياحة — 1، شارع محمد الخامس — تونس .

بالحيوية والنجاعة والنجاح اتسمت اعمال الشركة التونسية
للبنك منذ نشأتها سواء بتونس او بافريقيا.
ولقد حققت لهذه المؤسسة المالية المثلى التي شجعتها
دوما، كل الآمال التي وضعتها فيها.

الحبيب بورقيبة
رئيس الجمهورية التونسية

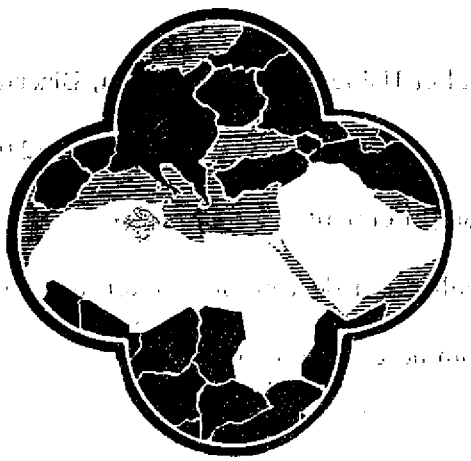

الشركة التونسية للبنك

1 نهج الحبيب ثامر - تونس

شركة رأس مالها 4.000.000 الهاتف 280.000 - 242 833 العنوان التلغرافي س.ت.ب.ن.ك. تلاكس 377 تونس

SOCIETE DES CIMENTS PORTLAND DE BIZERTE

BAIE DE SEBRA

BIZERTE

TUNISIE

Siège social et Usine : Baie de Sebra, Bizerte

Téléphone : 02.31.444 Télex : 12.039

Fabrication du ciment et de la chaux.

Commercialisation de tous les matériaux de Construction.

Agence Commerciale à Tunis :

61, AVENUE FARHAT HACHED - TUNIS -

Téléphone : 240.459 - et 241.484.

Dépôts à Tunis et à Sfax.

وكالة تطوير التمويلات

18 شارع محمد الخامس — تونس

مؤسسة عمومية وقع انشاؤها عملا بالقانون الخاص بالصناعات التصديرية الصادر في 27 افريل 1972 والذي يهدف الى جلب التكنولوجية العصرية وتشغيل اليد العاملة بتونس .

مهمتها :

- تنمية الاستثمارات في قطاع الصناعات المعملية بتونس .
- دراسة المشاريع الصناعية من حيث الجدوى والتقنية ثم المصادقة عليها .
- مساعدة المستثمرين على تركيز مشاريعهم في نطاق السرعة والمرونة .

بهذا تعتبر الوكالة المرجع الوحيد في مجال الاستثمار الصناعي بالجمهورية التونسية .

هدفنا الوحيد

تمويل وتنمية السياحة بالبلاد التونسية

نشاطنا متعدد

- قروض متوسطة المدى
- قروض طويلة المدى ومساهمة في رأس مال مشاريع لها علاقة بميادين مختلفة منها :
  - الايواء
  - النقل
  - المطاعم
  - الترفيه
  - التنشيط

الشركة المالية والسياحية

شركة خفية الاسم رأس مالها (5.000.000) دينار تونسي (10.000.000) دولار امريكي
51 شارع باريس — تونس . الهاتف : 245.200
تيلاكس كوفتور (COFTUR) 12.265 تونس .

SOCIETE TUNISIENNE DE DIFFUSION

الشركة التونسية للتوزيع

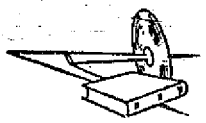

5، شارع قرطاج ــ تونس ــ الهاتف : 255.000
عنوان البرق STUDIFFUSION التيليكس 12521

هدفنا : تزويد البلاد بكميات كافية وبصورة منتظمة وفي الوقت المناسب بجميع المواد التي تدخل في نطاق اختصاص الشركة التونسية للتوزيع وخاصة في ما يتعلق بالكتاب .

سياستنا التجارية : التخفيض من الاسعار بفضل تنويع المواد المستوردة من الخارج او التي تنتجها شركتنا وذلك لتشجيع المستهلك وجعل أسعار الكتاب في متناول الجميع .

هذا وان الشركة التونسية للتوزيع لها مركزان صناعيان أحدثا أخيرا وهما « مصنع الكتاب » ومعمل « النغم لصنع الاسطوانات ».

شركة افريكـولتـور

54 نهج تركيـا ــ تونـس

Société AGRICULTOR

54, Rue de Turquie Tunis - Tél.: 243.200

— Tracteurs à Roues.
— Matériel de Génie Civil.
— Tracteurs Industriels.
— Autres Matériels Agricoles et Industriels.
— Service après Ventes.
— Pièces de Rechange.
— Représentation dans les principaux Centres de Tunisie.

شركـة اوتـوتراكتـور

49 نهج علي درغوث ــ تونس

SOCIETE AUTOTRACTOR

49, Rue Massicault — TUNIS

Concessionnaire exclusif en Tunisie

FORD-FRUEHAUF-WILLEME

LA FUREUR DES VOITURES « *ESCORT* »

Téléphone : 245.811 TUNIS

الاتحاد البنكي للصناعة والتجارة

UBCI

شركة خفية الاسم رأس مالها 1.651.500 دينار — المقر الاجتماعي : 7 و9 نهج جمال عبد الناصر — تونس ، الرئيس المدير العام : السيد عبد السلام بن عياد

الوكالات :

وكالة بورقيبة :	74 نهج الحبيب بورقيبة — تونس	الهاتف : 245.923
وكالة الصادقية :	7 و9 نهج جمال عبد الناصر — تونس	الهاتف : 245.877
وكالة مقرين :	64 شارع الحبيب بورقيبة	الهاتف : 296.066
وكالة بنزرت :	13 نهج ابن خلدون	الهاتف : 02.31424
وكالة صفاقس :	نهج الهادي شاكر	الهاتف : 04.21945
وكالة قابس :	84 نهج الحبيب بورقيبة	الهاتف : 05.20255

وفي القريب العاجل نابل وسوسة .

8 مناطق كبيرة صناعية وتجارية .

8 وكالات كبيرة للاتحاد البنكي للتجارة والصناعة

— بنك اختصاصي في التجارة والصناعة . الاتحاد البنكي للتجارة والصناعة هو المؤسسة التي لها أكبر شبكة في العالم وافريقيا — قطرا اميركا — آسيا — أوروبا — اوقيانيا . الاتحاد البنكي للتجارة والصناعة هو البنك الثالث بالمكان والبنك الخاص الاول حسب جملة ميزانه . الاتحاد البنكي للتجارة والصناعة هو البنك الذي أرث لاحسن التقاليد المصرفية من حيث مصادره (الاندماج مع البنك القومي للتجارة والصناعة الافريقي ومع الاتحاد المالي والتقني في 1961 ثم مع بنك الخصم والصناعة للبلاد التونسية في 1970) .

يضع الاتحاد البنكي للتجارة والصناعة كل تجربته في خدمة الاقتصاد التونسي باعانته الضخمة لتصنيع البلاد التونسية وبمساهمته المباشرة في مجهود تنمية الوطن .

الاتحاد البنكي للتجارة والصناعة هو في خدمتكم .

الشركة القومية العقارية للبلاد التونسية

SOCIETE NATIONALE IMMOBILIERE DE TUNISIE

عمارة انطلاق ، حي المهرجان المنزه ، الهاتف 286.155 ، الحساب الجاري بالبريد 139.80

Immeuble Intilak, Cité Mahrajane - EL MENZAH, Téléphone: 286.155

C.C. Postal No. 139.80

تأسست الشركة القومية العقارية للبلاد التونسية بمقتضى القانون الصادر بتاريخ 10 سبتمبر 1957 وهي تخضع الى التشريع الخاص بالشركات الخفية الاسم والى قانونها الاساسي .

أما رأس مالها الاجتماعي فهو متكون بمساهمة من الدولة يبلغ قدرها 100.000 دينار .

وقد كانت مهمة الشركة عند الانطلاقة تنحصر في التصرف في املاك الدولة العقارية وانجاز مشاريع البناء سواء كان ذلك بمساهمة الحكومة او بعدم مساهمتها .

ومنذ شهر سبتمبر ١٩٦٩ دعيت الشركة القومية العقارية بوصفها المؤسسة الوحيدة لانجاز المشاريع القومية في كل ما يتعلق بالسكن وخاصة الذي يكتسي الصبغة الاجتماعية .

وهكذا أصبحت مشاريعها السنوية في نمو الى ان اجتازت ابتداء من السنة المذكورة معدل الف مسكن سنويا وبلغت الاعداد التالية :

5.000 مسكن في عام 1969 ، 9.500 مسكن في عام 1970 ، 8.400 مسكن في عامي 1971/72 ، 10.500 مسكن في عام 1973 ، 13.500 مسكن في عام 1974 .

هذا وان التمويلات قد بلغت 27.500.000 دينار بالنسبة لبرنامج عام 1974 بعد ان كانت 7.000.000 دينار بالنسبة لمشاريع سنة 1969 . ومما يجب ذكره هو ان المشترين للمساكن يساهمون في التمويلات على سبيل التسبقة بنسبة 30% أما بقية ثمن المسكن وقدرها 70% تدفع في صورة قرض يمنح لهم من طرف الشركة القومية العقارية على مالها الخاص او على القروض التي تتحصل عليها من سائر المؤسسات المالية .

MAISON TUNISIENNE DE L'EDITION
Institution Nationale d'Edition
d'Impression et de Diffusion
54, Av. de la Liberté - TUNIS
Tél. : 285.873
285.878
R. C. 33510
C. C. P. 77229
Adr. Télég. : MATÉDITION

الدار التونسية للنشر
المؤسسة الوطنية للطباعة والنشر والترويج
54 شارع الحبيب بورقيبة - تونس
الهاتف : 285 873
285 878
السجل التجاري 33 510
الحساب الجاري البريدي 77 229

الدار التونسية للنشر ، وأدب المعركة * الثقافة كفاح واسهام في كل كفاح

ذلك هو مفهوم الثقافة في نظر الدار التونسية للنشر ولذلك حرصت ان تشارك بمتواضع قسطها في ادب المعركة باصدار دفعة اولى من انتاجها في هذا الصدد وهي :

العرب أمام قضية فلسطين	للاستاذ الشاذلي القليبي
زلزال في تل ابيب	للاستاذ الميداني بن صالح
نسر ونصر	للاستاذ منور صمادح
اسرائيل والعرب	جان فرنسيس هلد ـ جان ريمون لاكوتير

تحت الطبع :

تاريخ القدس	للدكتور رشاد الامام
تاريخ فلسطين	للاستاذ بشاره خذر
خيام في الافق	لجميل الجودي

ربع الشرق
تحملكم الى
دمشق وبيروت

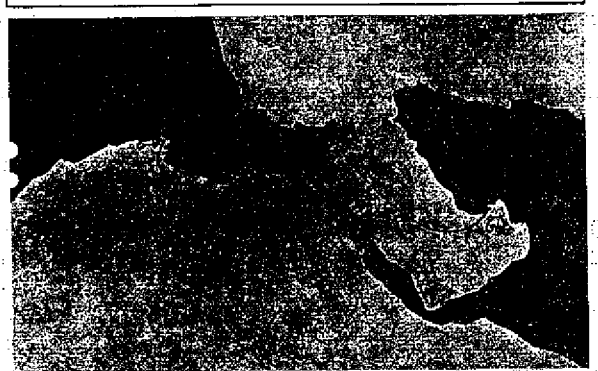

TU 614 الاياب		TU 613 الذهاب
الجزائر	خروج	10.00
	وصول	10.40
تونس	خروج	11.00
	وصول	11.40
طرابلس	خروج	12.00
	وصول	12.40
القاهرة	خروج	13.00
	وصول	13.40
دمشق	خروج	14.00
	وصول	14.40
بيروت	خروج	15.00
	وصول	15.40

الخطوط الجوية التونسية
TUNIS AIR

خدمة للتعاون الفرنسي وتقريبا للمغرب العربي من الشرق تفتح الخطوط الجوية التونسية خطا جديدا ذا طراز طبق حسب الجدول التالي

S
I
A
P
E

I
C
M

SOCIETE INDUSTRIELLE
D'Acide Phosphorique et d'Engrais

Capital : 1.850.000 DT.
Production : Superphosphate triple à 45% P 205.
Capacité : 250.000t/an P 205.
Usine : à SFAX.

INDUSTRIES CHIMIQUES MAGHREBINES

Capital : 6.000.000 DT
Production : Acide phosphorique à 54% P 205.
Superpho phate triple à 45% P 205.
Capacité : 250.000t/an P 205.
Transport : 2 navires phosphoriquiers:
M.T, «GABES». 4500 Tonnes.
M.T. «GAFSA». 10.500 Tonnes.
Usines : à GABES.

S.I.A.P.E

Dureaux:
22, rue Pierre de Coubertin - Tunis.
Téléphone: 249.600
(ligne groupées).
Télég: CHIMAG TUNIS
Télex: CHIM 12398 TN

ELFOULADH

SOCIETE TUNISIENNE DE SIDÉRURGIE

الفولاذ

الشركة التونسية لصناعة الحديد

Siège Social : 122, Rue de Yougoslavie - TUNIS.
Usine : Menzel Bourguiba.

FONTE HEMATITE D'AFFINAGE, BILLETTES DE COULEE CONTINUE, RONDS ABETON CRENELES : TUNSID 42, TUNSID 45, TUNSID 50, DIAMETRES ALLANT DE 8 A 32 mm.
FIL MACHINE D'ACIER DOUX, FIL MACHINE D'ACIER DUR.
TREFILES STANDARDS, FIL CLAIR, FIL RECUIT, FIL GALVANISE, FIL PICK UP, FIL POUR SOMMIER.
TREFILES POUR BETON PRECONTRAINT, STRUCTURES METALLIQUES EN RONDS GALVANISES (Pylones - Hangars)
N'HESITEZ PAS A CONSULTER NOTRE DIRECTION DES VENTES A MENZEL BOURGUIBA.
Tél.: 02.60522 — 02.60.304.
Telex : 355 SIDER MENZEL.

الفولاذ

REPUBLIQUE TUNISIENNE

OFFICE DU COMMERCE
DE LA TUNISIE

33, Rue Sidi Bou Mendil
Téléph. : 247.499
TUNIS

Adresse Télégraphique : OCT/TUNIS
Télex : 391

الجمهورية التونسية
الديوان التونسي للتجارة
13 نهج سيدي بومنديل - تونس
الهاتف : 247.499
العنوان التلغرافي : د.ت.ت. - تونس
تلاكس : 391

اختاروا أحد العقود الآتية :
1. ضمان جراية التقاعد
2. الضمان الوقتي للوفاة
3. الضمان مدى الحياة
4. الخيطة العائلية

المحابرة مع
التعاونية العامة للتأمين
المقر الاجتماعي : 6 شارع الحبيب ثامر - تونس
المكاتب : 35 نهج جمال عبد الناصر تونس
الهاتف : 258 . 011 الرقم الفرعي : 249

SOCOTU — الشركة التجارية التونسية

ساحة النصر تونس ، الهاتف 258.100
تليكس 12048 (SO.CO.TU.)
ممثلة للمنظمة العالمية يساطا
معاملاتها : التسريح (TRANSIT) للنيابات البحرية (Shipping Agency)
تجارة الفحم الحجري تصدير الباكورات والحوامض .
وكالاتها في قابس : 208 شارع الرئيس الحبيب بورقيبة ، الهاتف 05.20504
صفاقس : 9 نهج رمادة الهتف ، الهاتف 04.21568 — 04.20975
سوسة : 5 نهج علي بلهوان ، الهاتف 03.20012 — 03.21631
بنزرت : 10 و8 نهج عاصمة الجزائر .
حلق الوادي : الهاتف : 276.857 — 276.748
مراسلون في جميع اقطار العالم

SOCIÉTÉ NATIONALE DES CHEMINS DE FER TUNISIENS

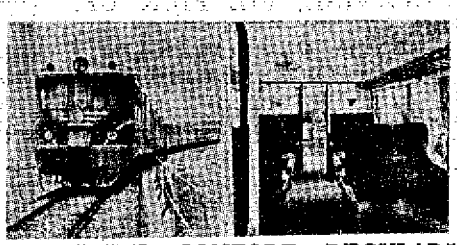

الشركة القومية للسكك الحديدية التونسية

SECURITE - RAPIDITE - CONFORT - REGULARITE
Direction : 67, Avenue F. Hached - TUNIS - Tél. : 242.188.
Ateliers : Sidi Fathallah - Tél. : 295.512.

الحظ ينتظركم

كونوا على موعد معه السبت الاول من كل شهر يقع سحب اليانصيب القومي ان اقبالكم على هذا المشروع يعتبر تشجيعا للتضامن القومي الاجتماعي .

Nos clients sont satisfaits

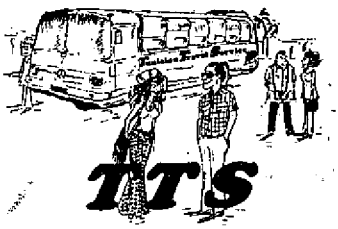

TTS

Dès notre création nous avons décidé:
« Notre client rentrera chez lui heureux.»

Depuis?
... de plus en plus de touristes,
de plus en plus de programmes...

ALLOTEMENTS DANS LES HOTELS — TRANSPORTS
CIRCUITS TOURISTIQUES — EXCURSIONS
TOURS ARCHEOLOGIQUES
EXPEDITIONS SAHARA
ORGANISATION DE CHASSES — CROISIERES
PROMENADES EN MER
ORGANISATION DE CONGRES
LOCATION DE VOITURES

SIEGE SOCIAL : TUNIS
20, Rue Ibn Khaldoun - TUNIS
Téléphone : 256.385 — 256.719
Télex : 729 TRAVSER.TUNIS

BILLETTERIE TUNIS
19, Avenue Habib Bourguiba
Téléphone : 244.020 - TUNIS

SOUSSE — Av. H Bourguiba
Tél. : 03 21 825 — Télex : 30 718

HAMMAMET — Tél. : 02 80 040

JERBA — Téléphone : 05 57 031

الديوان القومي للصناعات التقليدية التونسية

انتاج يدوي جيد تباهي به في كل اقطار العالم

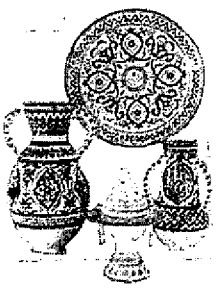

العنوان : الدندان — تونس

الهاتف : 260.422

260.875

الديوان القومي للمناجم

26 نهج انقلترا

تونس

الهاتف : 253.122

Société Tunisienne du Sucre

S. A. au Capital de 3.400.000 Dinars

1, Rue du Caire — TUNIS

الشركة التونسية للسكر

شركة خفية الاسم راس مالها 3.400.000 دينارا

1، نهج القاهرة تونس

Société d'Economie Mixte au capital de : 3.400.000 Dinars
Siège Social : 1, Rue du Caire - TUNIS - Tél. : 259.714
Usine : SUCRERIE - RAFFINERIE DE BEJA

PRODUITS FABRIQUES : — Sucre raffiné de canne, et cristallisé de betterave.
— Mélasse de betterave et mélasse de canne
— Pulpes sèches de betterave.

شـــركـــة المعـــادن بتـــونـــس

METALLURGIQUE DE TUNISIE

SOCIETE ANONYME — CAPITAL 99.000 DINARS

SIEGE SOCIAL : 47, Avenue Farhat Hached — TUNIS

TEL. : 255.259 / 255.332 — C. C. P. TUNIS N° 246.61 — R. C. TUNIS N° 404

USINE A DJEBEL DJELLOUD (PRES TUNIS) . TEL : 242.662

بنـــك التنميـــة للاقتصـــاد التونسي

تمويـــل الصنـــاعة والســـياحة

68 شارع الحبيب بورقيبة — تونس

الهاتف : 245.600 — تلكس : 12382

BDET

ان اعـــداد الصفحـــات الاشهارية لهـــذا العدد قـــد كان من خصـــائص الوكـــالة الاشـــهارية « كريما » التي أشرفت على تنظيمهـــا وتقديمها لحضرات القراء الكـــرام نزولا عنـــد رغبـــة مركـــز أبحـــاث منظمـــة التحرير الفلسطينية .

CREPUMA PUBLICITE

2 نهج عنابة — تونس

الهاتف : 249.873

Palestine Affairs

Published monthly in Arabic by the Palestine Research Center; *Editor*, Dr. Anis Sayegh; *Annual Subscription* (airmail): Lebanon and Syria L L 50, other Arab countries L L 60 or equivalent, Africa and Europe L L 80, elsewhere L L 100; *Annual Subscription* (surface mail): Countries outside the Arab World L L 50. *Address:* P.O.Box 1691, Beirut, Lebanon; Tel. 351260; Cables: MARABHATH.

السعر ٣٠/١ ل.ل. في لبنان
٤ ل.س. في سوريا
٤٥٠ فلساً في الكويت والعراق
٤٠/١ ل.ل. في سائر الاقطار العربية